





## \* (فهرسة الجزء الاول من تاريخ العلامة ابن خلدون) \*

صفحة

- ٧ المقدمة في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والاماع لما يعرض للمؤرخين من المغالط والاهام وذكر شئ من اسبابها
- ٢٩ الكتاب الاول في طبيعة العمران في الخليقة وما يعرض فيها من البدو والحضر والتغلب والكسب والمعاش والصنائع والعلوم ونحوها وما لذلك من العلل والاسباب (وفيه ست فصول كبار)
- ٣٤ الفصل الاول من الكتاب الاول في العمران البشري على الجملة وفيه مقدمات
- ٣٤ المقدمة الاولى في أن الاجتماع الانساني ضروري
- ٣٦ المقدمة الثانية في قسط العمران من الارض والاشارة الى بعض ما فيه من الاشجار والانهار والاقليم
- ٤٠ تكملة لهذه المقدمة الثانية في أن الربع الشمالي من الارض أكثر عمراناً من الربع الجنوبي وذكر السبب في ذلك
- ٤٣ تفصيل الكلام على هذه الجغرافيا
- ٤٤ الاقليم الاول
- ٤٨ الاقليم الثاني
- ٤٩ الاقليم الثالث
- ٥٥ الاقليم الرابع
- ٦٠ الاقليم الخامس
- ٦٥ الاقليم السادس
- ٦٧ الاقليم السابع
- ٦٩ المقدمة الثالثة في المعدل من الاقاليم والمنحرف وتأثير الهواء في ألوان البشر والكثير من أحوالهم
- ٧٢ المقدمة الرابعة في أثر الهواء في أخلاق البشر
- ٧٣ المقدمة الخامسة في اختلاف أحوال العمران في الخصب والجوع وما ينشأ عن ذلك من الآثار في أبدان البشر وأخلاقهم
- ٧٧ المقدمة السادسة في أصناف المدرकिन للغيب من البشر بالقطرة وبالرياضة ويتقدمه الكلام في الوحي والرؤيا

صفحة

- ٨٠ حقيقة النبوة والكهانة والرؤيا وشأن العرافين وغـير ذلك من مدارك الغيب
- ١٠١ الفصل الثاني من الكتاب الاول في العمران البدوي والام الوحشية والقبائل وما يعرض في ذلك من الاحوال وفيه أصول وتهميدات
- ١٠١ فصل في أن أجيال البدو والحضر طبيعية
- ١٠٢ فصل في أن جيل العرب في الخليقة طبيعي
- ١٠٣ فصل في أن البدو أقدم من الحضر وسابق عليه وان البادية أصل العمران والامصار مدد لها
- ١٠٣ فصل في أن أهل البدو أقرب الى الخير من أهل الحضر
- ١٠٥ فصل في أن أهل البدو أقرب الى الشجاعة من أهل الحضر
- ١٠٦ فصل في أن معاناة أهل الحضر للاحكام مفيدة للبأس فيهم ذاهبة بالمنعة منهم
- ١٠٧ فصل في أن سكنى البدو لا يكون الا للقبائل أهل العصية
- ١٠٨ فصل في أن العصية انما تكون من الالتحام بالنسب أو بما في معناه
- ١٠٩ فصل في أن الصريح من النسب انما يوجد للمتوحشين في الفقر من العرب ومن في معنائهم
- ١١٠ فصل في اختلاط الانساب كيف يقع
- ١١٠ فصل في أن الرياسة لا تزال في نصابها المخصوص من أهل العصية
- ١١١ فصل في أن الرياسة على أهل العصية لا تكون في غير نسبهم
- ١١٢ فصل في أن البيت والشرف بالاصالة والحقيقة لاهل العصية ويكون لغيرهم بالمجاز والشبه
- ١١٣ فصل في أن البيت والشرف لاموالى وأهل الاصطناع انما هو بمواليهم لا بانسابهم
- ١١٤ فصل في أن نهاية الحب في العقب الواحد أربعة آباء
- ١١٦ فصل في أن الام الوحشية أقدر على التغلب من سواها
- ١١٧ فصل في أن الغاية التي تجرى اليها العصية هي الملك
- ١١٨ فصل في أن من عوائق الملك حصول الترف وانغماس القبيل في النعيم
- ١١٨ فصل في أن من عوائق الملك حصول المذلة للقبيل والانقياد الى سواهم
- ١١٩ فصل في أن من علامات الملك التنافس في الخلال الحميدة وبالعكس
- ١٢١ فصل في أنه اذا كانت الامة وحشية كان ملكها أوسع



- ١٢٢ فصل في أن الملك اذا ذهب عن بعض الشعوب من أمة فلا بد من عودته الى شعب آخر منها مادامت لهم العصبية
- ١٢٣ فصل في أن المغلوب موانع أبدا بالافتداء بالغالب في شعاره وزيه ونخلته وسائر أحواله وعوائده
- ١٢٤ فصل في أن الأمة اذا غلبت وصارت في ملك غيرها أسرع اليها الفناء
- ١٢٥ فصل في أن العرب لا يتغلبون الا على البساط
- ١٢٥ فصل في أن العرب اذا تغلبوا على أوطان أسرع اليها الخراب
- ١٢٦ فصل في أن العرب لا يحصل لهم الملك الا بصيغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة
- ١٢٧ فصل في أن العرب أبعد الامم عن سياسة الملك
- ١٢٨ فصل في أن البوادي من القبائل والعصائب مغلوبون لاهل الامصار
- ١٢٩ الفصل الثالث من الكتاب الاوّل في الدول العاتية والملك والخلافة والمراتب السلطانية وما يعرض في ذلك كله من الاحوال وفيه قواعد ومقدمات
- ١٢٩ فصل في أن الملك والدولة العاتية انما يحصل بالقبيل والعصبية
- ١٢٩ فصل في أنه اذا استقرت الدولة وتمهدت فقد تستغنى عن العصبية
- ١٣١ فصل في أنه قد يحدث لبعض أهل النصاب الملكي دولة تستغنى عن العصبية
- ١٣٢ فصل في أن الدول العاتية الاستيلاء العظيمة الملك أصلها الدين امان نبوة أو دعوة حق
- ١٣٢ فصل في أن الدعوة الدينية تزيد الدولة في أصلها قوة على قوة العصبية التي كانت لها من عدد
- ١٣٣ فصل في أن الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم
- ١٣٥ فصل في أن كل دولة لها حصّة من الممالك والاطوان لا تزيد عليها
- ١٣٦ فصل في أن عظم الدولة واتساع نطاقها وطول أمدها على نسبة القاعين بها في القلة والكثرة
- ١٣٧ فصل في أن الاوطان الكثيرة القبائل والعصائب قل أن تستحكم فيها دولة
- ١٣٩ فصل في أن من طبيعة الملك الانفراد بالجمد
- ١٣٩ فصل في أن من طبيعة الملك الترف
- ١٤٠ فصل في أن من طبيعة الملك الدعة والسكون

- ١٤٠ فصل في أنه اذا استحكمت طبيعة الملك من الانفراد بالجمد وحصول الترف والدعة أقبلت الدولة على الهرم
- ١٤٢ فصل في أن الدولة لها أعمار طبيعية كما للأشخاص
- ١٤٤ فصل في انتقال الدولة من البداوة الى الحضارة
- ١٤٦ فصل في أن الترف يزيد الدولة في أولها قوة الى قوتها
- ١٤٦ فصل في أطوار الدولة واختلاف أحوالها وخلق أهلها باختلاف الاطوار
- ١٤٨ فصل في أن آثار الدولة كلها على نسبة قوتها في أصلها
- ١٥٢ فصل في استظهار صاحب الدولة على قومه وأهل عصبية بالموالي والمصطنعين
- ١٥٣ فصل في أحوال الموالي والمصطنعين في الدول
- ١٥٥ فصل فيما يعرض في الدول من حجر السلطان والاستبداد عليه
- ١٥٥ فصل في أن المتغلبين على السلطان لا يشاركونه في اللقب الخاص بالملك
- ١٥٦ فصل في حقيقة الملك وأصنافه
- ١٥٧ فصل في أن أرهاف الخدم مضر بالملك ومفسد له في الاكثر
- ١٥٨ فصل في معنى الخلافة والامامة
- ١٥٩ فصل في اختلاف الامة في حكم هذا المنصب وشروطه
- ١٦٤ فصل في مذاهب الشيعة في حكم الامامة
- ١٦٨ فصل في انقلاب الخلافة الى الملك
- ١٧٤ فصل في معنى البيعة
- ١٧٥ فصل في ولاية العهد
- ١٨٢ فصل في الخطط الدينية الخلافة
- ١٨٩ فصل في اللقب بأمر المؤمنين وأنه من سمات الخلافة وهو محدث منذ عهد الخلفاء
- ١٩٢ فصل في شرح اسم البابا والبطريرك في الملة النصرانية واسم الكهنة عند اليهود
- ١٩٥ فصل في مراتب الملك والسلطان وألقابها
- ٢٠٢ ديوان الاعمال والجبليات
- ٢٠٥ ديوان الرسائل والكتابة
- ٢١٠ قيادة الاساطيل (وهي سفائن الحرب)



## صحيفة

- ٢١٤ فصل في التفاوت بين مراتب السيف والقلم في الدول  
٢١٥ فصل في شارات الملك السلطان الخاصة به  
٢١٧ السرير والمنبر والتخت والكرسي  
٢١٧ السكة  
٢٢٠ الخاتم  
٢٢٢ الطراز  
٢٢٣ الفساطيط والسياح  
٢٢٤ المقصورة للصلاة والدعاء في الخطبة  
٢٢٦ فصل في الحروب ومذاهب الامم في ترتيبها  
٢٢٧ فصل ومن مذاهب أهل الكفر والفرق في الحروب ضرب المصاف وراء  
عسكرهم الخ  
٢٢٩ فصل ولما ذكرناه من ضرب المصاف وراء العساكر وتأكد في قتال الكفر  
والفرصار ملوك المغرب يتخذون طائفة من الاقرب في جندهم الخ  
٢٢٩ فصل وبلغنا ان اعم الترتيب لهذا العهد قتالهم مناضلة بالسهم  
٢٢٩ فصل وكان من مذاهب الاول في حروبهم حفر الخنادق على معسكرهم الخ  
٢٣٣ فصل في الجباية وسبب قتلها وكثرتها  
٢٣٤ فصل في ضرب المكوس اواخر الدولة  
٢٣٤ فصل في ان التجارة من السلطان مضرّة بالرعايا مفسدة للجباية  
٢٣٦ فصل في ان ثروة السلطان وحاشيته انما تكون في وسط الدولة  
٢٣٧ فصل ولما توقعه أهل الدولة من امثال هذه المعاطب صاوال كثير منهم  
ينزعون الى القرار عن الرتب والتخلص من رتبة السلطان الخ  
٢٣٩ فصل في ان نقص العطاء من السلطان نقص في الجباية  
٢٣٩ فصل في ان الظلم مؤذن بخراب العمران  
٢٤١ فصل ومن أشد الظلمات وأعظمها في افساد العمران تكليف الاعمال  
وتسخير الرعايا بغير حق  
٢٤٢ فصل وأعظم من ذلك في الظلم وفساد العمران والدولة التسلط على أموال  
الناس بشراء ما بين أيديهم بأجناس الاثمان  
٢٤٣ فصل في الحجاب كيف يقع في الدول وأنه يعظم عند الهرم

## صحيفة

- ٢٤٤ فصل في انقسام الدولة الواحدة بدولتين  
٢٤٥ فصل في أن الهرم اذا نزل بالدولة لا يرتفع  
٢٤٦ فصل في كيفية طروق الخلل للدولة  
٢٤٩ فصل في حدوث الدولة وتجددها كيف يقع  
٢٤٩ فصل في أن الدولة المستجدة انما تستولى على الدولة المستقرة بالمطالبة  
لا بالمناجزة  
٢٥٢ فصل في وفور العمران آخر الدولة وما يقع فيها من كثرة الموتى والمجاعات  
٢٥٣ فصل في أن العمران البشري لا بد له من سياسة ينظم بها أمره  
٢٦٠ فصل في أمر الفاطمي وما يذهب اليه الناس في شأنه وكشف الغطاء عن ذلك  
٢٧٥ فصل في ابتداء الدول والامم وفيه الكلام على الملاحم والكشف عن مسمى  
الجفر  
٢٨٦ الفصل الرابع من الكتاب الاول في البلدان والامصار وسائر العمران  
وما يعرض في ذلك من الاحوال وفيه سوابق ولواحق  
٢٨٦ فصل في أن الدول أقدم من المدن والامصار وانها انما توجد ثانياً عن الملك  
٢٨٧ فصل في أن الملك يدعو الى نزول الامصار  
٢٨٨ فصل في أن المدن العظيمة والهيما كل المرتفعة انما يسبدها الملك الكثير  
٢٨٩ فصل في أن الهيما كل العظيمة جدا لا تستقل ببنائها الدولة الواحدة  
٢٩٠ فصل فيما يجب مراعاته في أوضاع المدن وما يحدث اذا غفل عن تلك المراعاة  
٢٩٢ فصل ومما راعى في البلاد الساحلية التي على البحر أن تكون في جبل  
أو تكون بين أمة من الامم الخ  
٢٩٢ فصل في المساجد والبيوت العظيمة في العالم  
٢٩٨ فصل في أن المدن والامصار باقرية والمغرب قليلة  
٢٩٩ فصل في أن المباني والمصانع في الملة الاسلامية قليلة بالنسبة الى قدرتها والى  
من كان قبلها من الدول  
٣٠٠ فصل في أن المباني التي كانت تحتطها العرب يسرع اليها الخراب الا في الاقل  
٣٠٠ فصل في مبادئ الخراب في الامصار  
٣٠١ فصل في أن تفاضل الامصار والمدن في كثرة الرفه لاهلها ونفاق الاسواق انما  
هو في تفاضل عمرانها في الكثرة والقلة



- ٣٠٣ فصل في أسعار المدن  
٣٠٥ فصل في قصور أهل البادية عن سكنى المصر الكثير العمران  
٣٠٥ فصل في أن الاقطار في اختلاف أحوالها بالرفه والفقر مثل الامصار  
٣٠٧ فصل في تأثر العقار والضياح في الامصار وحال فوائدها ومستغلاتها  
٣٠٨ فصل في حاجات المتولين من أهل الامصار الى الجاه والمدافعة  
٣٠٨ فصل في أن الحضارة في الامصار من قبل الدول وأنهم تترسخ باتصال الدولة ورسوخها  
٣١٠ فصل في أن الحضارة غاية العمران ونهاية لعمره وأنها مؤذنة بفساده  
٣١٣ فصل في أن الامصار التي تكون كرامى للملك تحرب بخراب الدولة وانتقاضها  
٣١٥ فصل في اختصاص بعض الامصار ببعض الصنائع دون بعض  
٣١٥ فصل في وجود العصبية في الامصار وتغلب بعضهم على بعض  
٣١٧ فصل في لغات أهل الامصار
- 
- ٣١٨ الفصل الخامس من الكتاب الاقل في المعاش ووجوهه من الكسب والصنائع وما يعرض في ذلك كله من الاحوال وفيه مسائل
- 
- ٣١٨ فصل في حقيقة الرزق والكسب وشرحه وما وأن الكسب هو قيمة الاعمال البشرية  
٣٢٠ فصل في وجوه المعاش وأصنافه ومذاهبه  
٣٢١ فصل في أن الخدمة ليست من المعاش الطبيعي  
٣٢١ فصل في أن ابتغاء الاموال من الدفائن والكنوز ليس بمعاش طبيعي  
٣٢٥ فصل في أن الجاه مفيد للمال  
٣٢٦ فصل في أن السعادة والكسب انما يحصل غالباً لأهل الخضوع والتملق وأن هذا الخلق من أسباب السعادة  
٣٢٨ فصل في أن القائلين بأمور الدين من القضاء والفتيا والتدريس والامامة والخطابة والاذان ونحو ذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب  
٣٢٩ فصل في أن الفلاحة من معاش المستضعفين وأهل العافية من البدو  
٣٣٠ فصل في معنى التجارة ومذاهبها وأصنافها  
٣٣٠ فصل في أي أصناف الناس يجتري بالتجارة وأيهم ينبغي له اجتناب حرفها  
٣٣١ فصل في أن خلق التجار نازلة عن خلق الاشراف والملوك

- ٣٣١ فصل في نقل التاجر للسلع  
٣٣٢ فصل في الاحتكار  
٣٣٢ فصل في أن رخص الاسعار مضر بالمحترفين بالرخيص  
٣٣٣ فصل في أن خلق التجارة نازلة عن خلق الرؤساء وبعيدة من المروءة  
٣٣٤ فصل في أن الصنائع لا بد لها من المعلم  
٣٣٥ فصل في أن الصنائع انما تكمل بكمال العمران الحضري وكثرته  
٣٣٥ فصل في أن رسوخ الصنائع في الامصار انما هو برسوخ الحضارة وطول أمد مدتها  
٣٣٧ فصل في أن الصنائع انما تستجد وتكثر اذا كثرت طائفتها  
٣٣٧ فصل في أن الامصار اذا قاربت الخراب انتفعت منها الصنائع  
٣٣٧ فصل في أن العرب أبعد الناس عن الصنائع  
٣٣٨ فصل في أن من حصلت له ملكة في صناعة فقل أن يجيد بعدها ملكة أخرى  
٣٣٩ فصل في الاشارة الى أمهات الصنائع  
٣٣٩ فصل في صناعة الفلاحة  
٣٣٩ فصل في صناعة البناء  
٣٤٢ فصل في صناعة التجارة  
٣٤٢ فصل في صناعة الحياكة والخياطة  
٣٤٤ فصل في صناعة التوليد  
٣٤٦ فصل في صناعة الطب وأنهم محتاج اليها في الحواضر والامصار دون البادية  
٣٤٨ فصل في أن الخط والكتابة من عداد الصنائع الانسانية  
٣٥٢ فصل في صناعة الوراقة  
٣٥٢ فصل في صناعة الغناء  
٣٥٨ فصل في أن الصنائع تكسب صاحبها عقلاً وخصوصاً الكتابة والحساب
- 
- ٣٥٨ الفصل السادس من الكتاب الاقل في العلوم وأصنافها والتعليم وطرقه وسائر وجوهه وما يعرض في ذلك كله من الاحوال وفيه مقدمة ولواحق
- 
- ٣٥٨ فصل في أن العلم والتعليم طبيعي في العمران لبشري  
٣٥٩ فصل في أن التعليم للعلم من جملة الصنائع  
٣٦٢ فصل في أن العلوم انما تكبر حيث يكبر العمران وتعمم الحضارة  
٣٦٢ فصل في أصناف العلوم الواقعة في العمران لهذا العهد



## صحيفة

علوم القرآن من التفسير والقراءات	٣٦٥
علوم الحديث	٣٦٨
علوم الفقه وما يتبعه من الفرائض	٣٧٢
علم الفرائض	٣٧٦
أصول الفقه وما يتعلق به من الجدل والخلافات	٣٧٧
علم الكلام	٣٨٢
علم التصوف	٣٩٠
علم تعبير الرؤيا	٣٩٦
العلوم العقلية وأصنافها	٣٩٩
العلوم العددية	٤٠٢
ومن فروع علم العدد صناعة الحساب	٤٠٣
ومن فروع الجبر والمقابلة	٤٠٣
ومن فروع أيضا المعاملات	٤٠٤
ومن فروع أيضا الفرائض	٤٠٤
العلوم الهندسية	٤٠٥
ومن فروع هذا الفن الهندسة المخصوصة بالأشكال الكرية والمخروطات	٤٠٦
المنظر من فروع الهندسة	٤٠٦
ومن فروع الهندسة المساحة	٤٠٦
علم الهيئة	٤٠٦
ومن فروع علم الأزياج	٤٠٧
علم المنطق	٤٠٨
الطبيعيات	٤١٠
علم الطب	٤١١
فصل وللبادية من أهل العمران طب يمينونه في غالب الأمر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص الخ	٤١٢
الفلاحة	٤١٤
علم الالهيات	٤١٤
علم السحر والطلسمات	٤١٤

## صحيفة

فصل ومن قبيل هذه التأثيرات النفسانية الاصابة بالعين	٤٢٠
علم أسرار الحروف	٤٢٠
ومن فروع علم السيمياء عندهم استخراج الاجوبة من الاسئلة	٤٢٣
الكلام على استخراج نسبة الارزان وكيفياتها ومقادير المقابل منها وقوة	٤٢٥
الدرجة المتبعة بالنسبة الى موضع المعلق من استزاج طبائع وعلم طب أو	
صناعة الكيمياء	
الطب الروحاني	٤٢٥
مطرح الشعاعات في مواليد الملوك وبنيهم	٤٢٥
الانفعال الروحاني والانقياد الرباني	٤٢٧
اتصال أنوار الكواكب	٤٢٧
مقامات المحبة وسبل النفوس والمجاهدة والطاعة والعبادة وحب وتعشق	٤٢٧
وفناء الفناء وتوجه ومراقبة وخله دائمة	
فصل في المقامات والنهاية	٤٢٨
الوصية والتختم والايمان والاسلام والتحريم والابهلية	٤٢٨
كيفية العمل في استخراج أجوبة المسائل من زاوية العالم بحول الله	٤٢٩
منقولاً عن لقيناه من القائمين عليها	
فصل في الاطلاع على الاسرار الخفية من جهة الارتباطات الحرفية	٤٣٨
فصل في الاستدلال على ما في الضمائر الخفية بالقوانين الحرفية	٤٤٢
علم الكيمياء	٤٤٤
فصل في ابطال الفلسفة وفساد متعلقاتها	٤٥٣
فصل في ابطال صناعة النجوم وضعف مداركها وفساد غايتها	٤٥٧
فصل في انكار غرر الكيمياء واستحالة وجودها وما ينشأ من المقاسد عن اتصالاتها	٤٦٢
فصل في أن كثرة التأليف في العلوم عاتقة عن التحصيل	٤٦٧
فصل في أن كثرة الاختصارات المولدة في العلوم مخلة بالتعليم	٤٦٨
فصل في وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق افادته	٤٦٩
واعلم أيها المعلم الخ	٤٧٠
فصل في أن العلوم الالهية لا توسع فيها الاقطار ولا تفرغ المسائل	٤٧٢
فصل في تعليم الولدان واختلاف مذاهب الامصار الاسلامية في طرقه	٤٧٣



- ٤٧٥ فصل في أن الشدة على المتعلمين مضره بهم
- ٤٧٦ فصل في أن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة من يد كمال في التعلم
- ٤٧٦ فصل في أن العلماء من بين البشر أبعد عن السياسة ومذاهبها
- ٤٧٧ فصل في أن حلة العلم في الاسلام أكثرهم العجم
- ٤٧٩ فصل في علم اللسان العربي
- ٤٧٩ علم النحو
- ٤٨١ علم اللغة
- ٤٨٣ علم البيان
- ٤٨٦ علم الأدب
- ٤٨٧ فصل في أن اللغة ملكة صناعية
- ٤٨٨ فصل في أن لغة العرب لهذا العهد لغة مستقلة مغايرة للغة مضر وجير
- ٤٩٠ فصل في أن لغة الحضر والاصار قائمة بنفسها مخالفة للغة مضر
- ٤٩١ فصل في تعليم اللسان المضرى
- ٤٩١ فصل في أن ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعليم
- ٤٩٣ فصل في تفسير الذوق في مصطلح أهل البيان وتحقيق معناه وبيان أنه لا يحصل غالباً للمستعربين من العجم
- ٤٩٥ فصل في أن أهل الامصار على الاطلاق قاصرون في تحصيل هذه الملكة اللسانية التي تستفاد بالتعليم ومن كان منهم أبعد عن اللسان العربي كان حصولها له أصعب وأعسر
- ٤٩٧ فصل في انقسام الكلام الى فنى النظم والنثر
- ٤٩٨ فصل في أنه لا تتفق الاجادة في فنى المنظوم والمنثور معاً الا لقل
- ٤٩٩ فصل في صناعة الشعر ووجه تعلمه
- ٥٠٦ فصل في أن صناعة النظم والمراثي هي في الالفاظ لا في المعاني
- ٥٠٦ فصل في أن حصول هذه الملكة بكثرة الحفظ وجودتها بمجودة المحفوظ
- ٥٠٨ فصل في ترفع أهل المراتب عن اتحال الشعر
- ٥٠٩ فصل في أشعار العرب وأهل الامصار لهذا العهد ( وفيه أشعار الهلالية والزناية )
- ٥١٨ الموشحات والازجال للاندلس ( تمت فهرسة الجزء الاول )

الجزء الاول

من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب  
والعجم والبربر ومن عاصريهم من ذوى السلطان الاكبر  
وهو تاريخ دجيد عصره العلامة عبد الرحمن  
ابن خلدون المغربي

مات في سنة ٨٠٦ هـ

Süleyman ve U Kültür nesri  
Hacı Hüsnü Paşa  
Yeni  
Eski Kayıtlar  
862



قوله اليموت هو  
النون أى الحوت  
الذى على ظهره  
الارض السابعة  
ويسمى أيضا لوتيا كما  
في المزمور روح البيان  
واللهجة ومعلوم أن  
بينه وبين زحل الذى  
هو فى الفلك السابع  
بونا بعيدا قال الشهاب  
الخفاجى فى حاشيته على  
البيضاوى فى أول  
سورة نون اليموت بفتح  
المثناة التحتية وسكون  
الهاء وما اشتهر من  
أنه بالباء الموحدة غلط  
على ما ذكره الفاضل  
الحشى اه ومثله  
فى روح البيان قاله نصر  
الهورينى أقره المصحح  
الثانى

(بسم الله الرحمن الرحيم)

{ يقول العبد الفقير الى رحمة ربه الغنى بلطفه عبد الرحمن }  
{ ابن محمد بن خلدون الحضرمى وفقه الله تعالى }

الحمد لله الذى له العزة والجبروت \* ويده الملك والملكوت \* وله الاسماء الحسنى  
والنعوت \* العالم فلا يعزب عنه ما تظهره النجوم ويخفيه السكوت \* القادر  
فلا يعجزه شئ فى السموات والارض ولا يقوت \* أنشأنا من الارض نسما \* واستعمرنا  
فيها أجيالا وأممنا \* ويسر لنا منها أرزاقا وقسما \* تكفينا الارحام والبيوت  
\* ويكفلنا الرزق والقوت \* وتبلينا الايام والوقوت \* ونعوزنا الآجال التى خط  
علينا كآبها الموقوت \* وله البقاء والنبوت \* وهو الحى الذى لا يموت \* والصلاة  
والسلام على سيدنا ومولانا محمد النبى الامى العربى المكتوب فى التوراة والانجيل  
المنعوت \* الذى تخض لفضاله الكون قبل أن تتعاقب الآحاد والسيبوت \* ويتباين  
زحل واليموت \* وشهد بصدقه الحمام والعنكبوت \* وعلى آله وأصحابه الذين  
لهم فى محبته واتباعه الاثر البعيد والصيت \* والشمل الجميع فى مظاهره ولعدوهم  
الشمل الشيت \* صلى الله عليه وعليهم ما اتصل بالاسلام جده المخوت \* وانقطع

بالصفر

بالصفر حبله المبتوت \* وسلم كثيرا (أما بعد) فان فى التاريخ من القنوت التى  
تبدأ ولها الامم والاجيال \* وتشد اليه الركائب والرحال \* وتسمو الى معرفته  
السوقة والأغفال \* وتنافس فيه الملوك والاقبال \* ويتساوى فى فهمه العلماء  
والجهال \* اذهو فى ظاهره لا يزيد على اخبار عن الأيام والدول \* والسوابق  
من القرون الاول \* تنمى فيها الاقوال \* وتضرب فيها الامثال \* وتطرف بها  
الاندية اذا غصها الاحتفال \* وتؤدى اليها شأن الخليفة كيف تقلبت بها الاحوال  
\* واتسع للدول فيها المنطق والمجال \* وعمرها الارض حتى نادى بهم الاحمال  
\* وحان منهم الزوال \* وفى باطنه نظر وتحقيق \* وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق  
\* وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق \* فهو لذلك أصيل فى الحكمة عريق  
\* وحدير بأن يعد فى علومها خليق \* وان يقول المؤرخين فى الاسلام قد استوعبوا  
أخبار الايام وجعوها \* وسطروها فى صفحات الدفاتر وأدعوها \* وخلطوها  
المطفلون بدسائس من الباطل وهو افها وأتدعوها \* وزخارف من الروايات  
المضعفة لفقوها ووضعوها \* واقتنى تلك الآثار الكثر من بعدهم واتبعوها  
\* وأدوها اليها كما سمعوها \* ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والاحوال ولم يراعوها  
\* ولا رفضوا ترهات الاحاديث ولا دفعوها \* فالتحقيق قليل \* وطرف التنقيح فى  
الغالب قليل \* والغلط والوهم نسيب للاخبار خليل \* والتقليد عربى فى  
الآدميين وسليل \* والتطفل على القنوت عريض وطويل \* ومرعى الجهل بين  
الانام وخيم ويل \* والحق لا يقاوم سلطانه \* والباطل يقذف بشهاب النظر شيطانه  
\* والناسل انما هو عليل وينقل \* والبصيرة تنقد الصحيح اذا تمقل \* والعلم يجلوها  
صفحات الصواب ويصقل \* (هذا) وقد دون الناس فى الاخبار وأكثروا \* وجعوا  
تواريخ الامم والدول فى العالم وسطروا \* والذين ذهبوا بفضل الشهرة والامانة المعتبرة  
\* واستفرغوا دواوين من قبلهم فى صحفهم المتأخرة \* هم قليلون لا يكادون  
يجاوزون عدد الانامل \* ولا حركات العوامل \* مثل ابن اسحق والطبرى وابن  
الكلى ومحمد بن عمر الواقدي وسيف بن عمر الاسدى والمسعودى وغيرهم من المشاهير  
\* المتميزين عن الجماهير \* وان كان فى كتب المسعودى والواقدي من المطعن والمغمز  
ما هو معروف عند الاثبات \* ومشهور بين الحفظة الثقات \* الا أن الكافة  
اختصتهم بقبول أخبارهم \* واقفاء سننهم فى التصنيف واتباع آثارهم \* والناقد  
البصير قسطاس نفسه فى تزييفهم فيما ينقلون أو اعتبارهم \* فللعمران طبائع فى  
أحواله ترجع اليها الاخبار \* وتحميل عليها الروايات والآثار \* ثم ان أكثر



التواريخ لهؤلاء عامة المناهج والمسالك \* لعموم الدولتين صدر الاسلام في الاتفاق والممالك \* وتناولها البعيد من الغايات في المآخذ والمشارك ومن هؤلاء من استوعب ما قبل الملة من الدول والامم \* والامر العمم \* كل سعوى ومن نحا منحاه وجاء من بعدهم من عدل عن الاطلاق الى التقيد \* ووقف في العموم والاحاطة عن الشأ والبعد \* فقيدها ورده \* واستوعب أخبار أفعه وقطره \* واقتصر على أحاديث دولته ومصره \* كما فعل أبو حيان مؤرخ الاندلس والدولة الاموية بها وابن الرقيق مؤرخ افریقیة والدول التي كانت بالقيروان ثم لم يأت من بعد هؤلاء الا مقلد \* وبلید الطبع والعقل أو مبتلد \* ينسج على ذلك المنوال \* ويحتذى منه بالمثل \* ويذهل عما حاله الايام من الاحوال \* واستبدلت به من عوائد الامم والاجيال \* فيجلبون الاخبار عن الدول \* وحكايات الوقائع في العصور الاول \* صوراً قد تجردت عن موادها \* وصفاتها انتضت من أعينها \* ومعارف تستنكر للجهل بطارفها وتلاذها \* انما هي حوادث لم تعلم أصولها \* وأنواع لم تعتبر أجناسها ولا تحققت فصولها \* يكثررون في موضوعاتهم الاخبار المتداولة بأعيانها \* اتباعا لمن عني من المتقدمين بشأنها \* ويغفلون أمر الاجيال الناشئة في ديوانها \* بما أعوز عليهم من ترجمانها \* تستعجم صفهم عن بيانها \* ثم اذا تعرضوا لذكر الدولة تسقوا أخبارها نسقا \* محافظين على نقلها وهما أوصدا \* لا يتعرضون لبدايتها \* ولا يذكرون السبب الذي رفع من رايتهما \* وأظهر من آيتها \* ولا علة الوقوف عند غايتها \* فيبقى الناظر متطلعا بعد الى اقتقاد أحوال مبادئ الدول وممراتها \* مفتشاً عن أسباب تراجمها وتعاقبها \* باحثاً عن المقنع في بيانها وتناسبها حسب ما ند كذا في مقدمة الكتاب \* ثم جاء آخرون بأفراط الاختصار \* وذهبوا الى الاكتفاء بأسماء الملوك والاقتصار \* مقطوعة عن الانساب والاخبار \* موضوعاً عليها أعداد أيامهم بحروف الغبار \* كما فعله ابن رشيقي في ميزان العمل \* ومن اقتفى هذا الاثر من الهمل \* وليس يعتبر لهؤلاء مقال \* ولا يعتد لهم بثبوت ولا انتقال \* لما أذهبوا من الفوائد \* وأخلوا بالمذاهب المعروفة للمؤرخين والعوائد (ولما طاعت) كتب القوم \* وسبرت غور الاسس واليوم \* نهت عن القريحة من سنة الغفلة والنوم \* وسمت التصنيف من نفسي وأنا المفلس أحسن السوم \* فأثنت في التاريخ كتابا \* رفعت به عن أحوال الناشئة من الاجيال حجابا \* وفصلته في الاخبار والاعتبار بابا بابا \* وأبدت فيه لاولية الدول والعمران عللاً وأسبابا \* وبنته على أخبار الامم الذين

عمر والمغرب في هذه الاعصار \* وملوا كفاف النواحي منه والامصار \* وما كان لهم من الدول الطوال أو القصار \* ومن سلف من الملوك والامصار \* وهم العرب والبربر \* اذ هما الجبلان اللذان عرف بالمغرب مأزهما \* وطال فيه على الاحقاب مشواهما \* حتى لا يكاد يتصور فيه ما عداهما \* ولا يعرف أهل من أجيال الآدميين سواهما \* فهذبت مناحيه تهدياً \* وقربت لافهام العلماء والخاصة تقريناً \* وسلكت في ترتيبه وتبويبه مسلكاً غريباً \* واخترعت من بين المناسخ مذهبا عجيباً \* وطريقة مبتدعة وأسلوباً \* وشرحت فيه من أحوال العمران والتمدن وما يعرض في الاجتماع الانساني من العوارض الذاتية ما يتعلق بعلم الكواكن وأسبابها \* ويعرفك كيف دخل أهل الدول من أبوابها \* حتى تنزع من التقليد يدك \* وتقف على أحوال من قبلك من الايام والاجيال وما بعدك \* (وربته) على مقدمة وثلاثه كتب

(المقدمة) في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والاماع بغالط المؤرخين \* (الكتاب الاول) في العمران وذكر ما يعرض فيه من العوارض الذاتية من الملك والسلطان والكسب والمعاشر والصنائع والعلوم وما لذلك من العلل والاسباب (الكتاب الثاني) في أخبار العرب وأجيالهم ودولهم منذ مبداء الخليقة الى هذا العهد وفيه الاماع ببعض من عاصرهم من الامم المشاهير ودولهم مثل السبط والسريانيين والفرس وبني اسرائيل والقبط ويونان والروم والترك والافرنجة (الكتاب الثالث) في أخبار البربر ومن اليهم من زبانه وذكر أوليتهم وأجيالهم وما كان لهم بديار المغرب خاصة من الملك والدول ثم كانت الرحلة الى المشرق لاجتلاء أنواره \* وقضاء الفرض والسنة في مطافه ومزاره \* والوقوف على آثاره في دواوينه وأسفاره \* فأقصد ما نقص من أخبار ملوك العجم بتلك الديار \* ودول الترك بما ملكوه من الاقطار \* واتبعت بهما ما كتبه في تلك الاسطر \* وأدرجتها في ذكر المعاصرين لتلك الاجيال من أمم النواحي \* وملوك الامصار والضواحي \* سالك سبيل الاختصار والتحصيل \* مقتدياً بالمرام السهل من العويعص \* داخل من باب الاسباب على العموم الى الاخبار على الخصوص فاستوعب أخبار الخليقة استيعاباً \* وذلك من الحكم النافذة صعباً \* وأعطى لحوادث الدول عللاً وأسباباً \* وأضحى للعكمة صواباً وللتاريخ حجاباً \* (ولما كان) مشتملاً على أخبار العرب والبربر \* من أهل المدن والوزر \* والاماع من عاصرهم من الدول الكبر \* وأفصح بالذكرى والعبر \* في مبتدأ الاحوال وما بعدها من الخبر (سميته) كتاب



العبر \* وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر \* ومن عاصرهم من  
 ذوى السلطان الاكبر \* ولم أترك شيئاً في أولية الاجيال والدول \* وتعاصر الامم  
 الاول \* وأسباب التصرف والحول \* في القرون الخالية والملل \* وما يعرض  
 في العمران من دولة وملة \* ومدينة وحلة \* وعزة وذلة \* وكثرة وقلة \* وعلم  
 وصناعة \* وكسب واصاعة \* وأحوال متقلبة مشاعة \* وبدو وحضر \* وواقع  
 ومستظر \* الا واستوعبت جله \* وأوضحته براهينه وعمله \* فجاء هذا الكتاب  
 فذا بما ضمنت من العلوم الغريبة \* والحكم المحجوبة القرينة \* وأنا من بعدها  
 موقن بالقصور \* بين أهل العصور \* معترف بالعجز عن المضاء \* في مثل هذه القضاء  
 \* راغب من أهل اليد البيضاء \* والمعارف المتسعة الفضاء \* النظر بعين الانتقاد  
 لابعين الارتضاء \* والتغمد لما يعثرون عليه بالاصلاح والاغضاء \* فالبضاعة بين  
 أهل العلم من جادة \* والاعتراف من اللوم منجاة \* والحسن من الاخوان مرتجاة \*  
 والله أسأل أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم وهو حسبي ونعم الوكيل  
 (وبعد) أن استوفيت علاجه \* وأثرت مشكاته للمستبصرين وأذكت سراجيه  
 \* وأضحت بين العلوم طريقه ومنهاجه \* وأزسعت في فضاء المعارف نطاقه وأدريت  
 سياجه \* اتخفت بهذه النسخة منه (٨) خزانة مولانا السلطان الامام المجاهد \*  
 الفاتح الماهر \* المتحلي منذ خلع التمام \* ولون العمام \* بجلى القات الزاهد  
 \* المتوشح من زكاء المناقب والمحامد \* وكرم الشمايل والشواهد \* بأجل  
 من القلائد \* في فحور الولائد \* المتناول بالعزم القوى الساعد \* والجد المواتى  
 المساعد \* والمجد الطارف والتالد \* ذواب ملكهم الراسى القواعد \* الكريم  
 المعالى والمساعد \* جامع أشات العلوم والفوائد \* وناظم شمل المعارف الشوارد  
 \* ومظهر الآيات الربانية \* في فضل المدارك الانسانية \* بفقده الثاقب  
 الناقد \* ورأيه الصحيح المعاهد \* النير المذهب والعقائد \* نور الله الواضح  
 المرشد \* ونعمته العذبة الموارد \* ولطفه الكامن بالمرصد للشدائد \* ورحمته  
 الكريمة المقالد \* التى وسعت صلاح الزمان الفاسد \* واستقامة المائد من  
 الاحوال والعوائد \* وذهبت بالخطوب الاوابد \* وخلعت على الزمان رونق  
 الشباب العائد \* وحجته التى لا يبطئها انكار الجاحد ولا شبهات المعاند \* (أمير المؤمنين)  
 أبوفارس عبد العزيز بن مولانا السلطان الكبير المجاهد المقدس أمير المؤمنين \*  
 أبى الحسن ابن السادة الاعلام من بنى مرين \* الذين جددوا الدين \* ونهجوا  
 السبل للمهتدين \* ومحو آثار البغاة المفسدين \* أفاء الله على الامة ظلاله \*

(٨) قوله اتخفت بهذه  
 النسخة منه الخ وجد  
 في نسخة بخط بعض  
 فضلاء المغاربة زيادة قبل  
 قوله اتخفت وبعد قوله  
 وأدريت سياجه ونصها  
 التمس له الكلف الذى  
 يلج بعين الاستبصار  
 فتونه \* ويلفظ بداركه  
 الدريقة معياره الصحيح  
 وقانونه \* ويميز رتبته  
 في المعارف عمادونه \*  
 فسرحت فكرى في  
 فضاء الوجود \* وأجلت  
 نظرى ليل التمام  
 والوجود \* بين التهام  
 والنجود \* فى العلماء  
 الركع السجود \*  
 والخلفاء أهل الكرم  
 والجلود \* حتى وقف  
 الاختيار بساحة الكمال  
 \* وطافت الافكار  
 بموقف الآمال \*  
 وظفرت أبهى المساعى  
 والاعتمال \* بمتدى  
 المعارف مشرقة فيه غرر  
 الجبال \* وحدائق =

وبلغه  
 . . .

وبلغه في نصر دعوة الاسلام آماله \* ويعتبه الى خزانته الموقفة لطلبة العلم بجامع  
 القرويين من مدينة فاس حضرة ملكهم \* وكبرى سلطانهم \* حيث مقر  
 الهدى \* ورياض المعارف خضلة الندى \* وقضاء الاسرار الربانية فسيح المدى  
 \* والامامة الكريمة الفارسية (١) العزيرة ان شاء الله بنظرها الشريف \* وفضلها  
 الغنى عن التعريف \* تبسطه من العناية مهادا \* وتفسح له في جانب القبول  
 آمادا \* فتوضح بها أدلة على رسوخه واشهادا \* فتفي سوقها تنفق بضائع الكتاب  
 \* وعلى حضرتها تعكف ركائب العلوم والآداب \* ومن مدد بصائر المنيرة  
 نتائج القرائح والالباب \* والله يوزعنا شكر نعمتها \* ويوفر لنا حظوظ المواهب  
 من رحمته \* ويعيننا على حقوق خدمتها \* ويجعلنا من السابقين في ميدانها \*  
 المحلين في حومتها \* ويضيق على أهل ايلاتها \* وما أوى من الاسلام الى حرم عمالتها  
 \* لبوس حمايتها وحرمتها \* وهو سبحانه المسئول أن يجعل أعمالنا خالصة في  
 وجهتها \* بريئة من شوائب الغفلة وشبهتها \* وهو حسبنا ونعم الوكيل

❦ (الخدمة) ❦

في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والامام لما يعرض للمؤرخين  
 من المغالط والادغام وذكري من اسبابها

(اعلم) أن فن التاريخ عجز المذهب جم الفوائد شريف الغاية اذ هو يوقفنا على  
 أحوال الماضين من الامم في أخلاقهم \* والانباء في سيرهم \* والملوك في دولهم  
 وسياساتهم \* حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يروى في أحوال الدين والدينا فهو  
 محتاج الى ما خدمته تددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وثبت يقضيان بصاحبهما  
 الى الحق وينبكان به عن المزلات والمغالطات الانخبار اذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم  
 تحكم اصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والاحوال في الاجتماع  
 الانسانى ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب فربما لم يؤمن فيها من العثور  
 ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين  
 وأئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غشا أو  
 سميئام يعرضونها على اصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سبروها بعبارة الحكمة  
 والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الاخبار فضلوها عن الحق  
 وتناهوا في بقاء الوهم والغلط سيما في احصاء الاعداد من الاموال والعساكر

= العلوم الوارفة  
 الظلال \* عن اليمن  
 والشمال \* فأنتجت  
 مطى الافكار في  
 عرصاتها \* وجلوت  
 محاسن الانظار على  
 منصاتنا \* وأتخفت  
 بديوانها \* مقاصد ايوانها  
 \* وأطلعت كوكبا وقادا  
 في أفق خزانته ازسوانها  
 \* ليكون آية للعقلاء  
 يهتدون بناره \*  
 ويعرفون فضل المدارك  
 الانسانية في آثاره \*  
 وهى خزانة مولانا  
 السلطان الامام المجاهد  
 \* الفاتح الماهر \* الى  
 آخر النعوت المذكورة  
 ههنا قال الخليفة أمير  
 المؤمنين المتوكل على  
 رب العالمين أبو العباس  
 أحمد بن مولانا الامير  
 الطاهر المقدس أبي  
 عبد الله محمد بن مولانا  
 الخليفة المقدس أمير  
 المؤمنين \* ابى يحيى أبى  
 بكر ابن الخلفاء



اذا عرضت في الحكايات اذهي مظنة الكذب ومطية الهذول لا بد من ردها الى  
الاصول وعرضها على القواعد وهذا كما نقل المسعودي وكثير من المؤرخين في  
جيوش بني اسرائيل وأن موسى عليه السلام أحصاهم في التيه بعد أن أجاز من  
يطبق حل السلاح خاصة من ابن عشرين فما فوقها فكانوا ستمائة ألفاً ويريدون  
ويذهلون في ذلك عن تقدير مصر والشام واتساعها مثل هذا العدد من الجيوش لكل  
مملكة من الممالك حصه من الحامية تتسع لها وتقوم بوظائفها وتضيق عما فوقها تشهد  
بذلك العوائد المعروفة والاحوال المألوفة ثم إن مثل هذه الجيوش البالغة الى مثل هذا  
العدد يبعد أن يقع بينها زحف أو قتال لصيق ساحة الارض عنها وبعد هذا اذا اصطفت  
عن مدى البصر مرتين أو ثلاثاً وأزيد فكيف يقتتل هذان الفريقان أو تكون  
غلبة أحد الصفتين وشئ من جوانبه لا يشعر بالجانب الآخر والحاضر يشهد لذلك  
فالماضي أشبه بالآتي من الماء بالماء (ولقد كان) ملك الفرس ودولتهم أعظم  
من ملك بني اسرائيل بكثير يشهد لذلك ما كان من غلب بختنصر لهم والتهامه بلادهم  
واستيلائه على أمرهم وتخريب بيت المقدس قاعدة ملتهم وسلطانهم وهو من بعض  
عمال مملكة فارس يقال انه كان من رزبان المغرب من تخومها وكانت ممالكهم  
بالعراقين وخراسان وما وراء النهر والابواب أوسع من ممالك بني اسرائيل بكثير ومع ذلك  
لم تبلغ جيوش الفرس قط مثل هذا العدد ولا قرياً منه وأعظم ما كانت جيوعهم  
بأقداسية مائة وعشرون ألفاً كلهم متبوع على ما نقله سيف قال وكانوا في أتباعهم أكثر  
من مائتي ألف (وعن عائشة والزهرى) أن جيوع رستم التي زحف بها السعد  
بالقادسية انما كانوا ستين ألفاً كلهم متبوع وإضافاً لبلغ بنو اسرائيل مثل هذا  
العدد لا تتسع نطاق ملكهم وانفتح مدى دولتهم فإن العمالات والممالك في الدول على  
نسبة الحامية والقبيل القائم بها في قلتها وكمثرتها حسب ما بين في فصل الممالك  
من الكتاب الأول والقوم لم تتسع ممالكهم الى غير الاردن وفلسطين من الشام وبلاد  
يثر ب وخير من الجاز على ما هو المعروف وأيضاً فالذي بين موسى واسرائيل انما هو  
أربعة آباء على ما ذكره المحققون فانه موسى بن عمران بن بصهر بن قاهث بفتح الهاء  
وكسرها بن لاوى بكسر الواو وفتحها بن يعقوب وهو اسرائيل الله هكذا نسبته في  
التوراة والمدة بينهما على ما نقله المسعودي قال دخل اسرائيل مصر مع ولده الاسباط  
وأولادهم حين أتوا الى يوسف سبعين نفساً وكان مقامهم بمصر الى أن خرجوا مع موسى  
عليه السلام الى التيه مائتين وعشرين سنة تبدأ أولهم ملوك القبط من الفراعنة ويعد  
أن يتشعب النسل في أربعة أجيال الى مثل هذا العدد وان زعموا أن عدد تلك الجيوش

الراشدين \* من أئمة  
الموحدين الذين جددوا  
الدين ونهضوا السبل  
للمهتدين \* ومحو آثار  
البغاة المفسدين \* من  
الجمجمة والمعتدين \*  
سلاطة الى حصص  
والفاروق \* والنبعة  
النامية على تلك المغارس  
الراكية والعروق \*  
والثور المتلائي من تلك  
الاشعة والبروق فاوردته  
من مودعها العلى بحيث  
مقر الهدى \* ورياض  
المعارف خضلة الندى  
\* الى آخر ما ذكره  
الا انه لم يقيد الامامة  
بالفارسية لكن النسخة  
المذكورة مختصرة عن  
هذه النسخة المنقولة من  
خزانة الكتب الفارسية  
ولم يقل فيها ثم كانت  
الرحلة الى المشرق الخ  
(١) قوله في صحيفة  
الفارسية أي المنسوبة  
الى الأمير أبي فارس  
المقدم ذكره اهـ

انما كان في زمن سليمان ومن بعده فبعيداً أيضاً وليس بين سليمان واسرائيل  
الأحد عشر أباً فانه سليمان بن داود بن ايشاب بن عوفيد ويقال بن عوفيد بن باعز ويقال  
بوعز بن سلون بن نحشون بن عيموذ بن ويقال حينئذ بن ريم بن حصرون ويقال  
حصرون بن يارس ويقال يارس بن يهوذا بن يعقوب ولا يتشعب النسل في أحد عشر  
من الولد الى مثل هذا العدد الذي زعموه اللهم الى المثني والاف فر بما يكون  
وأما أن يتجاوز الى ما بعدهما من عقود الاعداد فبعيداً واعتبر ذلك في الحاضر المشاهد  
والقريب المأروف تجد زعمهم باطلاً ونقلهم كاذباً (والذي ثبت في الاسرائيليات)  
أن جنود سليمان كانت اثني عشر ألفاً خاصة وأن مقر بابه كانت ألفاً وأربعمائة  
فرس مرتبطة على أبوابه هذا هو الصحيح من أخبارهم ولا يلتفت الى خرافات العامة  
منهم (وفي أيام سليمان عليه السلام ومملكه) كان عنقوان دولتهم واتساع ملكهم  
هذا وقد نجد الكافة من أهل العصر اذا أفاضوا في الحديث عن عساكر الدول التي  
لعهدهم أو قرياً منه وتفاوتوا في الاخبار عن جيوش المسلمين أو النصارى  
أو أخذوا في احصاء أموال الجبايات وخراج السلطان ونفقات المترفين وبضائع  
الاغنياء المؤسرين توغلوا في العدد وتجاوزوا حدود العوائد وطاوعوا وساوس  
الاغراب فاذا استكشفت أصحاب الدواوين عن عساكرهم واستتبحت أحوال أهل  
الثروة في بضائعهم وفوائدهم واستجلبت عوائد المترفين في نفقاتهم لم تجد معشار  
ما يعدونه وما ذلك الا لولوع النفس بالغرائب وسهولة التجاوز على اللسان والغفلة على  
المتعقب والمنقذ حتى لا يحاسب نفسه على خطأ ولا عمد ولا يظالمها في الخبر بتوسط ولا  
عدالة ولا يرجعها الى بحث وتفطيش فيبرسل عنانه ويسم في مراتع الكذب لسانه  
ويتخذ آيات الله هزوا ويشترى لهوا الحديث ليضل عن سبيل الله وحسبها صفقة  
خاسرة (ومن الاخبار الواهية للمؤرخين) ما ينقلونه كافة في أخبار التبايعه ملوك  
اليمن وجزيرة العرب أنهم كانوا يغزون من قراهم باليمن الى افر يقية والبربر من بلاد  
المغرب وأن افر يقش بن قيس بن صيفي من أعظم ملوكهم الاول وكان لعهد موسى  
عليه السلام أو قبله بقليل غزا افر يقية وأثنى في البربر وأنه الذي سماهم بهذا الاسم  
حين سمع رطانهم وقال ما هذه البربرة فأخذ هذا الاسم عنه ودعوا به من حينئذ وأنه  
لما انصرف من المغرب جاز هذا القبائل من حيرفاً قاموا بها واختلطوا بأهلها ومنهم  
صنهاجة وكامة ومن هذا ذهب الطبري وأجر جاني والمسعودي وابن الكلبي  
والبيهقي الى أن صنهاجة وكامة من حير وتاباه نسبة البربر وهو الصحيح (وذكر  
المسعودي أيضاً) أن ذا الازعار من ملوكهم قبل افر يقش وكان على عهد سليمان

الاغراب بكسر  
الهمزة اهـ



عليه السلام غزا المغرب ودوخه وكذلك ذكر مثله عن ياسر ابنه من بعده وأنه بلغ وادي الرمل من بلاد المغرب ولم يجد فيه مسلحاً لكثرة الرمل فرجع وكذلك يقولون في تبع الآخر وهو أسعد أبو كرب وكان على عهد يستاسف من ملوك الفرس الكيانية أنه ملك الموصل وأدر بجنان ولقي الترك فهزمهم وأثنى ثم غزاهم ثانية وثالثة كذلك وأنه بعد ذلك أغزى ثلاثة من بنيه بلاد فارس وإلى بلاد الصغد من بلاد أمم الترك وراء النهر وإلى بلاد الروم فلك الأول البلاد إلى سمرقند وقطع المفازة إلى الصين فوجد أخاه الثاني الذي غزا إلى سمرقند قد سبقه إليها فأثنى في بلاد الصين ورجعاً جميعاً بالغنائم وتركوا بلاد الصين قبائل من جيرة فهم بها إلى هذا العهد وبلغ الثالث إلى قسطنطينية فدرسها ودوخ بلاد الروم ورجع (وهذه الاخبار) كلها بعيدة عن الصحة عريقة في الوهم والغلط وأشبهه بأحاديث القصص الموضوعة \* وذلك أن ملك التبابعة إنما كان بجزيرة العرب وقرارهم وكرسيهم بصنعاء اليمن وجزيرة العرب يحيط بها البحر من ثلاث جهات فاجبر الهند من الجنوب وبحر فارس الهابط منه إلى البصرة من المشرق وبحر السويس الهابط منه إلى السويس من أعمال مصر من جهة المغرب كما تراه في مصوّر الجغرافيا فلا يجد السالكون من اليمن إلى المغرب طريقاً من غير السويس والمسلك هنالك ما بين بحر السويس والبحر الشامي قدر مرحلتين فادونهما ويعد أن يمر بهذا المسلك ملك عظيم في عساکر موفورة من غير أن يصير من أعماله هذا تمتنع في العادة \* وقد كان بتلك الأعمال العمالقة وكنعان بالشام والقبط بمصر ثم ملك العمالقة مصر وملك بنو إسرائيل الشام ولم ينقل قط أن التبابعة حاربوا أحداً من هؤلاء الأمم ولا ملكوا شيئاً من تلك الأعمال وأيضاً فالشقة من البحر إلى المغرب بعيدة والازودة والعلوفة للعساكر كثيرة فاذا ساروا في غير أعمالهم احتاجوا إلى انتهاب الزرع والنعم وانتهاب البلاد فيما يمرّون عليه ولا يكتفي ذلك للازودة والعلوفة عادة وان نقلوا كفايتهم من ذلك من أعمالهم فلا تقي لهم الرواحل بنقله فلا بد وأن يمرّوا في طريقهم كلها بأعمال قدم ملكوها ودوخوها لتكون الميرة منها وان قلنا أن تلك العساكر غزتهم هؤلاء الأمم من غير أن يهجمهم فتحصل لهم الميرة بالمسألة فذلك أبعد وأشد استناعاً فدل على أن هذه الاخبار واهية أو موضوعة (وأما) وادي الرمل الذي يعجز السالك فلم يسمع قط ذكره في المغرب على كثرة سالكيه ومن يقص طريقه من الركاب والقرى في كل عصر وكل جهة وهو على ما ذكره من الغرابة تتوفر الدواعي على نقله \* وأما غزوهم بلاد الشرق وأرض الترك وإن كانت طريقه أوسع من مسالك السويس إلا أن الشقة

هنا أبعد وأهم فارس والروم معترضون فيها دون الترك ولم ينقل قط أن التبابعة ملكوا بلاد فارس ولا بلاد الروم وإنما كانوا يحاربون أهل فارس على حدود بلاد العراق وما بين البحرين والحيرة والجزيرة بين دجلة والفرات وما بينهما في الأعمال وقد وقع ذلك بين ذي الأذعان منهم وكيكاوس من ملوك الكيانية وبين تبع الأصغر أبو كرب ويستاسف منهم أيضاً ومع ملوك الطوائف بعد الكيانية والساسانية من بعدهم بمجاورة أرض فارس بالغزو إلى بلاد الترك والتبت وهو تمتنع عادة من أجل الأمم المعترضة منهم والحاجة إلى الازودة والعلوفات مع بعد الشقة كما مرّ في الاخبار بذلك واهية مدخولة وهي لو كانت صحيحة النقل لكان ذلك قادحاً في كفايتهم وهي لم تنقل من وجه صحيح وقول ابن اسحق في خبر يثرب والاوز والخزرج أن تبعاً آخر سار إلى المشرق محمول على العراق وبلاد فارس وأما بلاد الترك والتبت فلا يصح غزوهم إليها بوجه لما تقرّر فلا تثنى بما يلقي اليك من ذلك وتأمل الاخبار واعرضها على القوانين الصحيحة بقع لك تمحيصها بأحسن وجه والله الهادي إلى الصواب

(فصل) وأبعد من ذلك وأعرق في الوهم ما تناقله المفسرون في تفسير سورة والفجر في قوله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد فيجعلون نقطة ارم اسم المدينة وصفت بأنها ذات عماد أي أساطين وينقلون أنه كان لعاد بن عوص بن ارم ابنان هما شديد وثداد ملكا من بعده وهما شديد ونخلص الملك لشداد ودانت له ملوكهم وسمع وصف الجنة فقال لابن ميثم لها فبني مدينة ارم في صحارى عدن في مدة ثمان مئة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وانها مدينة عظيمة قصورها من الذهب وأساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها أصناف الشجر والأنهار المطردة ولما تم بناؤها سار إليها بأهل مملكته حتى إذا كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صحيفة من السماء فملكوا كلهم ذكر ذلك الطبري والتهالبي والزحشر وغيرهم من المفسرين وينقلون عن عبد الله بن قلابه من الصحابة أنه خرج في طلب ابل له فوقع عليها وحمل منها ما قدر عليه وبلغ خبره إلى معاذ بن جندب فحضره وقص عليه فبحث عن كعب الاخبار وسأله عن ذلك فقال هي ارم ذات العماد وسيد خلفها رجل من المسلمين في زمانك أحرأشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فأبصر ابن قلابه فقال هذا والله ذلك الرجل \* وهذه المدينة لم يسمع لها خبر من يومئذ في شيء من بقاع الأرض وصحارى عدن التي زعموا انها بنيت فيها هي في وسط اليمن وما زال عمرانه متعاقباً والادلاء تقص طريقه من كل وجه ولم ينقل عن هذه المدينة خبر ولا ذكرها أحد من الاخباريين ولا من الأمم ولو قالوا انها درست في مدارس من الآثاريين كان



أشبهه إلا أن ظاهر كلامهم أنها موجودة وبعضهم يقول أنها دمشق بناء على أن قوم عاد ملكوها وقد انتهى الهذيان ببعضهم إلى أنها غائبة وانما يعثر عليها أهل الرياضة والسحر من أعم كلها أشبه بالخرافات والذي حمل المفسرين على ذلك ما اقتضته صناعة الأعراب في لفظة ذات العماد أنها صفة أرم وجعلوا العماد على الأساطين فتعين أن يكون بناء ورشح لهم ذلك قراءة ابن الزبير عاد أرم على الإضافة من غير تنوين ثم وقفوا على تلك الحكايات التي هي أشبه بالأقاصيص الموضوعة التي هي أقرب إلى الكذب المنقولة في عداد المنحكات والأقوال العمادية هي عماد الأخبية بل الخيام وإن أريد بها الأساطين فلا بدع في وصفهم بأنهم أهل بناء وأساطين على العموم بما اشتهر من قوتهم لأنه بناء خاص في مدينة معينة أو غيرها وإن أضيفت كما في قراءة ابن الزبير على إضافة القصيدة إلى القبيلة كما تقول قريش كانه والياس مضروربيعة نزار وإي ضرورة إلى هذا المحمل البعيد الذي تحلت لتوجيهه لامثال هذه الحكايات الواهية التي ينزه كتاب الله عن مثلها البعدا عن الصحة (ومن الحكايات) المدخولة للمؤرخين ما ينقلونه كافة في سبب نكبة الرشيد للبرامكة من قصة العباسية أخته مع جعفر بن يحيى بن خالد مولاه وأنه لكفه بكنائهم من معاقرنه إياهما ما أنذر أذن لهما في عقد النكاح دون الخلوة حرصا على اجتماعهما في مجلسه وأن العباسية تحلت عليه في التماس الخلوة به لما شغفها من حبه حتى واقعها زعما في حالةسكر فحملت ووشى بذلك للرشيد فاستغضب وهيئات ذلك من منصب العباسية في دينها وأبوها وجلالها وأنها بنت عبد الله بن عباس ليس بينها وبينه إلا أربعة رجال هم أشرف الدين وعظماء الملة من بعده \* والعباسية بنت محمد المهدي بن عبد الله أبي جعفر المنصور بن محمد السجاد بن علي أبي الخلفاء بن عبد الله ترجان القرآن بن العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم ابنة خليفة أخت خليفة محفوفة بالملك العزيز والخلافة النبوية وصحبة الرسول وعمومته وامامة الملة ونور الوحي ومهبط الملائكة من سائر جهاتها قريبة عهديه دأوة العروبة وسداجة الدين البعيدة عن عوائد الترف ومراعات الفواحش فأين يطلب الصون والعفاف إذا ذهب عنها وأين توجد الطهارة والذكاء إذا فقد من بيتها وكيف تلحم نسبها بجعفر بن يحيى وتدنس شرفها لعربي بمولى من موالى العجم بملكة جدته من الفرس أو بولاء جدتها من عمومة الرسول وأشرف قريش وغايته أن جذبت دولتهم بضبعه وضبع أبيه واستخلصتهم وورقتهم إلى منازل الأشراف وكيف يسوغ من الرشيد أن يصهر إلى موالى الأعاجم على بعدهمته وعظم آباءه ولو نظر المتأمل في ذلك نظر المصنف وقاس

العباسية بآبنة ملك من عظماء ملوك زمانه لاستنكف لها عن مثله مع مولى من موالى دولتها وفي سلطان قومها واستنكره وبلغ في تكذيبه وأين قدر العباسية والرشيد من الناس وانما انكسب البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة واحتجابهم أموال الجباية حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل إليه فغلبوه على أمره وشاركوه في سلطانه ولم يكن له معهم تصرف في أمور ملكه فعظمت آثارهم وبعد صيتهم وعمر وأمراتب الدولة وخططها بالرؤساء من ولدهم وصنائعهم واحتاروها عن سواهم من وزارة وكتابة وقيادة وجباية وسيف وقلم يقال إنه كان بدار الرشيد من ولد يحيى بن خالد خسة وعشرون رئيسا من بين صاحب سيف وصاحب قلم زاجوا فيها أهل الدولة بالمناكب ودفعوهم عنها بالراح لمكان أبيهم يحيى من كفالة هرون ولي عهد وخليفة حتى شب في حجره ودرج من عشه وغلب على أمره وكان يدعوهم يابا فتوجه الأبنار من السلطان إليهم وعظمت الدالة منهم وانبط الجاه عندهم وانصرف نحوهم الوجوه وخضعت لهم الرقاب وقصرت عليهم الآمال وتخطت إليهم من أقصى التخوم هدايا الملوك وتحف الأمراء وسيرت إلى خزانهم في سبيل الترف والاستمالة أموال الجباية وأفاضوا في رجال الشيعة وعظماء القراية العطاء وطوقوهم المن وكسبوا من بيوتات الأشراف المعدم وفكوا العاني ومدحوا بما لم يدح به خليفتهم وأسئوا لعفائهم الجوائز والصلوات واستولوا على القرى والضباع من الضواحي والأمصار في سائر الممالك حتى آسفوا البطانة وأحققوا الخاصة وأعصوا أهل الولاية فكشفت لهم وجوه المناقسة والحسد ودبت إلى مهادهم الوثير من الدولة عقارب السعاية حتى لقد كان بنو قطنية أخوال جعفر من أعظم الساعين عليهم لم تعطفهم لما وقر في نفوسهم من الحسد عواطف الرحم ولا وزعتهم أو أصر القراية وقارن ذلك عند محمد ومهمن نواشي الغيرة والاستنكاف من الحجر والانفة وكامن الحقود التي بعثتها منهم صغائر الدالة وانتهى بها الإصرار على شأنهم إلى كبر المخالفة كقصتهم في يحيى بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب أخى محمد المهدي الملقب بالنفس الزكية الخارج على المنصور ويحيى هذا هو الذي استنزل الفضل بن يحيى من بلاد الديلم على أمان الرشيد بخطه وبذل لهم فيه ألف ألف درهم على ما ذكره الطبري ودفعه الرشيد إلى جعفر وجعل اعتقاله بداره وإلى نظره فبسه مئة ثم حملته الدالة على تخليه سبيله والاستبداد بحمل عقاله حرما الدماء أهل البيت بزعمه ودالة على السلطان في حكمه \* وسأله الرشيد عنه لما وشى به إليه ففطن وقال أطلقته فأبدى له وجه الاستحسان وأسرته في نفسه فأوجد السيل بذلك على نفسه وقومه



حتى ثل عرشهم وألقيت عليهم سماؤهم وخسفت الأرض بهم وبادرهم وذهبت  
سلاطهم مثل اللآلئ خرين أيامهم ومن تأمل أخبارهم واستقصى سير الدولة وسيرهم  
وجد ذلك محققا لاثم هذا السباب (وانظر) ما نقله ابن عبد رب في مفاوضة الرشيد  
عم جده داود بن علي في شأن نكبتهم وما ذكره في باب الشعراء من كتاب العقد في  
محاورة الأصمعي للرشيد والفضل بن يحيى في سمرهم تفهم انه انما قتلهم المغيرة والمنافسة  
في الاستبداد من الخليفة فن دونه وكذلك ما تحيل به أعداؤهم من البطانة فيما دسوه  
للمغنين من الشعر احتيا لا على اسماعه للخليفة وتحريرك حفاظه لهم وهو قوله  
ليت هذا أنجزت ما تعد \* وشفت أنفسنا مما نجد  
واستبدت مرة واحدة \* انما العاجز من لا يستبد  
وأن الرشيد لما سمعها قال اي والله اني عاجز حتى بعثوا بأمثال هذه كما من غيرته  
وسلطوا عليهم بأس انتقامه نعوذ بالله من غلبة الرجال وسوء الحال (وأما) ما توه  
به الحكاية من معاقرة الرشيد النجر واقتران سكره بسكر الندما فحاش لله ما علمنا عليه  
من سوء وأين هذا من حال الرشيد وقيامه بما يجب لمنصب الخلافة من الدين والعدالة  
وما كان عليه من صحابة العلماء والاولياء ومحاوراته للفضيل بن عياض وابن السكالك  
والعمري ومكاتبته سفينان الثوري وبكائه من مواعظهم ودعائه بحكمة في طوافه وما  
كان عليه من العبادة والمحافظة على أوقات الصلوات وشهود الصبح لا قول وقتها  
(حكى) الطبري وغيره انه كان يصلي في كل يوم مائة ركعة نافلة وكان يغزو عاما ويحج  
عاما ولقد زجر ابن أبي مريم مضحكة في سمره حين تعرض له بمثل ذلك في الصلاة لما سمعه  
يقول وما لي لا أعبد الذي فطرني وقال والله ما أدري لم فاعمالك الرشيد أن ضحك ثم  
التفت اليه مغضبا وقال يا ابن أبي مريم في الصلاة أيضا يا لئال والقرآن والدين  
ولك ماشئت بعدهما وأيضا فقد كان من العلم والسذاجة بمكان لقرب عهده من سلفه  
المتحليين لذلك ولم يكن بينه وبين جده أبي جعفر بعيد من انما خلفه غلاما وقد كان  
أبو جعفر بمكان من العلم والدين قبل الخلافة وبعدها وهو القائل لما لك حين أشار  
عليه بتأليف الموطأ يا أبا عبد الله انه لم يبق علي وجه الأرض أعلم مني ومنك وانى قد  
شغلني الخلافة فضع أنت للناس كتابا يتفقهون به تجنب فيه رخص ابن عباس  
وشدائد ابن عمرو وطه للناس توطئة قال مالك فوالله لقد علمني التصنيف يومئذ  
ولقد أدركه ابنه المهدي أبو الرشيد هذا وهو يتورع عن كسوة الجديد لعياله من بيت  
المال ودخل عليه يوما وهو يجلسه يباشر الخياطين في ارقاع الخلقان من ثياب عياله  
فاستكف المهدي من ذلك وقال يا أمير المؤمنين علي كسوة العيال عامنا هذا من

عطائي فقال له لك ذلك ولم يصدمه عنه ولا سمح بالانشاق من أموال المسلمين فكيف  
يليق بالرشيد على قرب العهد من هذا الخليفة وأبوة وماربى عليه من أمثال هذه  
السيف في أهل بيته والتخلق بها أن يعاقر النجر أو يجاهر بها وقد كانت حالة الاشراف  
من العرب الجاهلية في اجتناب النجر معلومة ولم يكن الكرم شجرتهم وكان شربها  
مذمة عند الكثير منهم والرشيد وآبؤه كانوا على نبيج من اجتناب المذمومات في دينهم  
ودنياهم والتخلق بالمحامد وأوصاف الكمال ونزعات العرب (وانظر) ما نقله الطبري  
والمسعودي في قصة جبريل بن مجتيشوع الطيب حين أحضر له السمك في مأثنته  
فحماء عنه ثم أمر صاحب المائدة بحمله الى منزله وفطن الرشيد وارتاب به ودس  
خادمه حتى عاينه يتناولها فأعد ابن مجتيشوع للاعتذار ثلاث قطع من السمك في ثلاثة  
أقداح خلط احداها باللحم المعالج بالتوابل والبقول والبوارد والحلوى وصب  
على الثانية ماء مثلجا وعلى الثالثة خمر صرفا وقال في الاول والثاني هذا طعام أمير  
المؤمنين ان خلط السمك بغيره أو لم يخلطه وقال في الثالث هذا طعام ابن مجتيشوع  
ودفعها الى صاحب المائدة حتى اذا اتته الرشيد وأحضره لتوبخ أحضر الثلاثة  
الاقداح فوجد صاحب النجر قد اختلط وأماع وتفتت ووجد الاخرين قد فسدا  
وتغيرت رائحتهم ما فكانت له في ذلك معذرة وتبين من ذلك ان حال الرشيد في اجتناب  
النجر كانت معروفة عند بطائنه وأهل مأثنته ولقد ثبت عنه انه عهد بحبس أبي نواس  
لما بلغه من انه ما كفي في المعاقرة حتى تاب وأقنع وانما كان الرشيد يشرب نبيذ  
التمر على مذهب أهل العراق وقتاويهم فيها معروفة وأما النجر الصر ففلا سبيل  
الى اتهامه به ولا تقليد الاخبار الواهية فيها فلم يكن الرجل بحيث يوقع محرمات  
من أكبر الكبار عند أهل الملة ولقد كان أولئك القوم كلهم بمنجاة من ارتكاب  
السرف والترف في ملابسهم وزينتهم وسائر متناولاتهم لما كانوا عليه من خشونة  
البداوة وسذاجة الدين التي لم يقارقوها بعد فاضنك بما يخرج عن الاباحة الى الحظر  
وعن الخلية الى الحرمة ولقد اتفق المؤرخون الطبري والمسعودي وغيرهم على  
أن جميع من سلف من خلفاء بني أمية وبني العباس انما كانوا يركبون بالخلية  
الخفيفة من الفضة في المناطق والسيوف واللجم والسروج وأن أول خليفة أحدث  
الركوب بحلية الذهب هو المعتز بن المتوكل ثامن الخلفاء بعد الرشيد وهكذا كان  
حالهم أيضا في ملابسهم فاظنك بمشاربهم وتبين ذلك بأنهم من هذا اذا فهمت  
طبيعة الدولة في أولها من البداوة والغضاضة كما نشرح في مسائل الكتاب الاول  
ان شاء الله والله الهادي الى الصواب (ويناسب) هذا وقرب منه ما نقلوه كافة



عن يحيى بن أكرم قاضي المأمون وصاحبه وأنه كان يعاقر المأمون الخمر وأنه سكر ليلة  
مع شربه فدفن في الریحان حتى أفاق وينشدون على لسانه  
يا سيدي وأسير الناس كلهم \* قد جاز في حكمه من كان يسقيني  
اني غفلت عن الساقى فصيرني \* كما تراني سلب العقل والدين  
وحال ابن أكرم والمأمون في ذلك من حال الرشيد وشراهم إنما كان النبيذ ولم يكن  
محظورا عندهم وأما السكرك فليس من شأنهم وصحابته للمأمون إنما كانت خلعة في  
الدين ولقد ثبت أنه كان ينام معه في البيت ونقل من فضائل المأمون وحسن عشرته  
أنه اتبته ذات ليلة عطشان فقام يتحسس ويلتمس الاناء مخافة أن يوقظ يحيى بن  
أكرم وثبت أنهم ما كان يصلحان الصبح جميعا فأين هذا من المعافاة وأيضا فان يحيى  
ابن أكرم كان من علمه أهل الحديث وقد أثنى عليه الامام أحمد بن حنبل واسماعيل  
القاضي وخرج عنه الترمذي كتابه الجامع وذكر المزي في الحافظ أن البخاري روى  
عنه في غير الجامع فالقدح فيه قدح في جميعهم وكذلك ما ينزهه المجان بالميل الى الغلمان  
بهما ناعلى الله وفريته على العلماء ويستندون في ذلك الى أخبار القصاص الواهية التي  
لعلها من افتراء أعدائه فإنه كان محسودا في كماله وخلته للسلطان وكان مقامه من  
العلم والدين منزها عن مثل ذلك ولقد ذكر لابن حنبل ما يرميه به الناس فقال سبحان  
الله سبحان الله ومن يقول هذا وإنكر ذلك أنكارا شديدا وأثنى عليه اسمعيل القاضي  
فقبل له ما كان يقال فيه فقال معاذ الله أن تزول عدالة مثله بتكذب باغ وحاسد وقال  
أيضا يحيى بن أكرم أبرأ الى الله من أن يكون فيه شيء مما كان يرمى به من أمر الغلمان  
ولقد كنت أقف على سرائره فأجده شديدا يخوف من الله لكنه كانت فيه دعاية  
وحسن خلق فرمى بما رمى به وذكره ابن حبان في الثقات وقال لا يشتغل بما يحكى  
عنه لأن أكثرها لا يصح عنه (ومن أمثال هذه الحكايات) ما نقله ابن عبد ربه  
صاحب العقد من حديث الزبيل في سبب اصهار المأمون الى الحسن بن مهمل في بنية  
بوران وأنه عثر في بعض الليالي في تطوافه بسكك بغداد في زبيل مدلى من بعض  
السطوح بمعالق وجدل مغارة القتل من الحرير فاقتعده وتناول المعالق فاهتزت  
وذهب به صعد الى مجلس شأنه كذا ووصف من زينة فرشته وتنضيد أبيته وجمال  
رؤيته ما يستوقف الطرف ويملك النفس وأن امرأته برزت له من خلل الستور في ذلك  
المجلس رائقة الجمال فتأناه المحاسن فحيتته ودعته الى المنادمة فلم يزل يعاقرها الخمر حتى  
الصباح ورجع الى أصحابه بكنائهم من انتظاره وقد شغفته حبائعه على الاصهار الى  
أبيها وأبن هذا كله من حال المأمون المعروفة في دينه وعلمه واقفا فانه سنن الخلفاء

الراشدين من آباءه وأخذ به بر الخلفاء الاربعة أركان الملة ومفاظرة العلماء وحفظه  
لحدود الله تعالى في صلواته وأحكامه فكيف تصح عنه أحوال القساق المستهترين  
في التطواف بالليل وطروق المنازل وغشيان السمر سبيل عشاق الاعراب وأين  
ذلك من منصب ابنه الحسن بن سهل وشرفها وما كان بدارأيها من الصون والعفاف  
وأمثال هذه الحكايات كثيرة وفي كتب المؤرخين معروفة وانما يبعث على وضعها  
والحديث بها الانهمال في اللذات المحرمة وهتك قناع المحذرات ويتعللون بالتأسي  
بالقوم فيما يأتونه من طاعة لذاتهم فلذلك تراهم كثيرا ما يلهجون بأشياء هذه الاخبار  
وينقرون عنها عند تصفحهم لاوراق الدواوين ولوا تنسوا بهم في غير هذا من  
أحوالهم وصفات الكمال اللائقة بهم المشهورة عنهم لكان خير الهم لو كانوا يعلمون  
ولقد عدلت يوما بعض الامراء من أبناء المولوك في كانه بتعلم الغناء ولوعه بالآوتار  
وقلت له ليس هذا من شأنك ولا يليق بمنصبك فقال لي أفلا ترى الى ابراهيم بن المهدي  
كيف كان امام هذه الصناعة ورئيس المغنين في زمانه فقلت له يا سبحان الله وهلا  
تأسيت بأبيه أو أخيه أو ما رأيت كيف تعد ذلك يا ابراهيم عن مناصبهم فقصم عن عدلى  
وأعرض والله يهدي من يشاء (ومن الاخبار الواهية) ما يذهب اليه الكثير من  
المؤرخين والاثبات في العبيد بين خلفاء الشيعة بالقيروان والقاهرة من نفيتهم عن  
أهل البيت صلوات الله عليهم والطعن في نسبهم الى اسمعيل الامام ابن جعفر الصادق  
يعتمدون في ذلك على أحاديث لفقت للمستضعفين من خلفاء بني العباس ترافقا اليهم  
بالقدح فيمن ناصبهم وتفننا في السمات بعدوهم حسبان ذكر بعض هذه الاحاديث  
في أخبارهم ويغفلون عن التفتن لشواهد الواقعات وأدلة الاحوال التي اقتضت  
خلاف ذلك من تكذيب دعواهم والرد عليهم فانهم متفقون في حديثهم عن مبدأ  
دولة الشيعة أن أباعبده الله المحتسب لما دعى بكامة للرضى من آل محمد واشتهر خبره  
وعلم تحويجه على عبيد الله المهدي وابنه أبي القاسم خشياعلى أنفسهم ما فهر بامن  
المشرق محل الخلافة واجتازا بمصر وأنهما خرجا من الاسكندرية في زى التجار ونفى  
خبرهما الى عيسى النوشري عامل مصر والاسكندرية فسرّح في طلبهما الخيالة حتى  
إذا أدركا خفي حالهما على تابعيهما بما يسوا به من الشارة والرى فأفلتوا الى المغرب  
وأن المعتضد أعز الى الاغالبه أمراء افر بيقية بالقيروان وبني مدرار أمراء سجلماسة  
بأخذ الا فاق عليهم ما واذكاء العيون في طلبهما فعترا اليسع صاحب سجلماسة  
من آل مدرار على خفي مكانهما يلبده واعتقلهما مرضاة للخليفة هذا قبل أن تظهر  
الشيعة على الاغالبه بالقيروان ثم كان بعد ذلك ما كان من ظهور دعوتهم بالمغرب

المستهتر بالشي  
بالفتح المولع به  
لا يبالى بما فعل فيه  
وشتم له والذي  
كثرت ابا طية له اه  
قاموس



وأفرقية ثم باليمن ثم بالاسكندرية ثم بمصر والشام والجزيرة وقاسموا بني العباس في ممالك الاسلام حتى الابلقة وكادوا يلجون عليهم مواطنهم ويزالون من أمرهم ولقد أظهر دعوتهم ببغداد وعراقها الامير الباسري من موالى الديلم المتغلبين على خلفاء بني العباس في مغاضبة جرت بينه وبين أمراء العجم وخطب لهم على منابرها حولا كاملا وما زال بنو العباس يغصون بمكانهم ودولتهم وملوك بني أمية وراء البحر ينادون بالويل والحرب منهم وكيف يقع هذا كله لدى في القسب يكذب في اتحال الامر واعتبر حال القرمطي اذ كان دعيا في اتسابه كيف تلاشت دعوته وتفرقت أتباعه وظهر سر يعا على خبيثهم ومكرهم فساءت عاقبتهم وذاقوا وبال أمرهم ولو كان أمر العبيديين كذلك لعرف ولو بعد مهلة

ومهما تكن عند امرئ من خليقة \* وان خالها تخفى على الناس تعلم فقد اتصلت دولتهم فحووا من مائتين وسبعين سنة وملكوا مقام ابراهيم عليه السلام ومصلاه وموطن الرسول صلى الله عليه وسلم ومدفنه وموقف الحجج ومهبط الملائكة ثم انقضى أمرهم وشيعتهم في ذلك كله على أتم ما كانوا عليه من الطاعة لهم والحب فيهم واعتقادهم بنسب الامام اسمعيل بن جعفر الصادق ولقد خرجوا مرارا بعد ذهاب الدولة ودروس أثرها داعين الى بدعتهم هاتفين بأسماء صبيان من أعقابهم يزعمون استحقاقهم للخلافة ويذهبون الى تعيينهم بالوصية عن سلف قباهم من الأئمة ولوارثا يوا في نسبهم لما ركبوا أعناق الاخطار في الانتصار لهم فصاحب البدعة لا يلبس في أمره ولا يشبه في بدعته ولا يكذب نفسه فيما ينتهله (والعجب) من القاضي أبي بكر الباقلاني شيخ النظار من المتكلمين ينجح الى هذه المقالة المرجوحة ويرى هذا الرأي الضعيف فان كان ذلك لما كانوا عليه من الاحسان في الدين والتعمق في الرافضة فليس ذلك بدافع في صدر دعوتهم وليس اثبات منتسبهم بالذي يغني عنهم من الله شيئا في كفرهم فقد قال تعالى لنوح عليه السلام في شأن ابنه انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلانسانا ليس لك به علم وقال صلى الله عليه وسلم لفاطمة بعظما يا فاطمة اعلمي فلن أغني عنك من الله شيئا ومتى عرف امر وقضية أو استيقن أمرا وجب عليه أن يصدع به والله يقول الحق وهو يهدي السبيل والقوم كانوا في مجال الظنون الدول بهم وتحت رقبة من الطاعة لتوفر شيعتهم وانتشارهم في القاصية بدعوتهم وتكرار خروجهم مرة بعد أخرى فلاذت رجالهم بالاختفاء ولم يكادوا يعرفون كما قبل

فلو تسأل الايام ما سمي مادرت \* وأين مكان ما عرفن مكانا

حتى لقد سمي محمد بن اسمعيل الامام جده عبد الله المهدي بالملكوت سمته بذلك شيعتهم لما اتفقوا عليه من اخفائه حذرهم المتغلبين عليهم فتوصل شبيعة بني العباس بذلك عند ظهورهم الى الطعن في نسبهم وازدلفوا بهذا الرأي القائل للمستضعفين من خلفائهم وأعجب به أولياؤهم وأمراء دولتهم المتولون لحروبهم مع الاعداء يدفعون به عن أنفسهم وسلطانهم معزة العجز عن المقاومة والمدافعة لمن غلبهم على الشام ومصر والجزيرة من البربر الكافرين شبيعة العبيديين وأهل دعوتهم حتى لقد أسجل القضية ببغداد بنفهم عن هذا النسب وشهد بذلك عندهم من أعلام الناس جماعة منهم الشريف الرضي وأخوه المرتضى وابن البطحاوي ومن العلماء أبو حامد الاسفرايني والقندوري والصيمري وابن الاكفاني والايوردي وأبو عبد الله بن النعمان فقمه الشيعة وغيرهم من أعلام الامة ببغداد في يوم مشهود وذلك سنة ستين وأربعمائة في أيام القادر وكانت شهادتهم في ذلك على السماع لما اشتهر وعرف بين الناس ببغداد وغالب شبيعة بني العباس الطاعنون في هذا النسب فنقله الاخباريون كما سمعوه ورووه حسبما وعوه والحق من ورائه وفي كتاب المعتضد في شأن عبيد الله الى ابن الاغلب بالقيروان وابن منذر بن سحلماسة أصدق شاهد وأوضح دليل على صحة نسبهم فالمعتضد أقعد بنسب أهل البيت من كل أحد والدولة والسلطان سوق للعالم تجلب اليه بضائع العالوم والصنائع وتلقس فيه ضوال الحكم وتحدى اليه ركائب الروايات والاخبار وما نفق فيها نفق عند الكافة فان تنزهت الدولة عن التعسف والميل والافن والسفسفة وسلكت النهج الامم ولم تجر عن قصد السبيل نفق في سوقها الا برين الخالص واللجين المصفي وان ذهبت مع الاغراس والحقود وماجت بسعاسة البغي والباطل نفق البهرج والزائف والناقد البصير قسطاس نظره وميزان بحسه وملتسه (ومثل هذا) وأبعد منه كثيرا ما يتناجى به الطاعنون في نسب ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين الامام بعد أبيه بالمغرب الاقصى ويعرضون تعريض الحدي بالتظن في الجمل الخلف عن ادريس الا كبر أنه لراشد مولاهم قبحهم الله وأبعدهم ما أجهلهم أما يعلمون أن ادريس الاكبر كان أصهاره في البربر وأنه منذ دخل المغرب الى أن توفاه الله عز وجل عريق في البدو وأن حال البلدية في مثل ذلك غير خافية اذ لا مكان لهم يتأق فيها الرب وأحوال حرمهم أجمعين عراى من جاراتهم وسميع من جيرانهم لتلاصق الجدران وتطامن البنيان وعدم الفواصل بين المساكن وقد كان راشدي تولى خدمة الحرم أجمع من بعد مولاهم بمشهد من أولياؤهم وشيعتهم ومراقبة من كافتهم وقد اتفق برابرة المغرب

قوله ولم تجر عن قصد السبيل  
الجيم مضارع جار  
أي لم تمل اه



الاقصى عادة على بيعة ادريس الاصغر من بعده وآتوه طاعتهم عن رضا ووافقوا  
وبايعوه على الموت الاخر وخاضوا دونه بحار المنايا في حروبه وغزواته ولو حدثوا  
أنفسهم بمثل هذه الريبة أو قرعت أسماعهم ولو من عدو كاشح أو متافق من تاب لتخلف  
عن ذلك ولو بعضهم كلاً والله انما صدرت هذه الكلمات من بنى العباس أقتالهم  
ومن بنى الاغلب عمالهم كانوا بافر بقية وولاتهم وذلك انه لما قرأ ادريس الاكبر الى  
المغرب من وقعة مج أو عز الهادي الى الاغلبة أن يقعدوا له بالمرصاد ويذكوا عليه  
العيون فلم يظفروا به وخلص الى المغرب فتم أمره وظهرت دعوته وظهر الرشيد من  
بعد ذلك على ما كان من واضح مولا لهم وعاد لهم على الاسكندرية من دسيسة التشيع  
للعلوية وادهاه في نجاة ادريس الى المغرب فقتله ودس الشماخ من موالى المهدي  
أبيه للتحميل على قتل ادريس فأظهر اللعاق به والبراءة من بنى العباس موالىه فاشتمل  
عليه ادريس وخلطه بنفسه وناول الشماخ في بعض خلواته سما استهلكه ووقع  
خبر مهلكه من بنى العباس أحسن المواقع لما رجوه من قطع أسباب الدعوة العلوية  
بالمغرب واقتلاع جرتومتها ولما نادى اليهم خبر الحمل الخلف لادريس فلم يكن لهم  
الا كلا ولا واذا بالدعوة قد عادت والشيعة بالمغرب قد ظهرت ودولتهم بادريس بن  
ادريس قد تجددت فكان ذلك عليهم أنكى من وقع السهام وكان الفشل والهزم  
قد نزل بدولة الغرب عن أن يسموا الى القاصية فلم يكن منتهى قدرة الرشيد على ادريس  
الا كبر مكانه من قاصية المغرب واشتمال البربر عليه الا التحميل في اهلا كبا السجوم  
فعند ذلك فزعوا الى أوليائهم من الاغلبة بافر بقية في سدة تلك الفرجة من ناحيتهم  
وحسم الداء المتوقع بالدولة من قبلهم واقتلاع تلك العروق قبل أن تشج منهم  
يخاطبهم بذلك المأمون ومن بعده من خلفائهم فكان الاغلبة عن برابرة المغرب  
الاقصى أعجز ومثلها من الزبون على ملوكهم أحوج لما طرق الخلافة من انتراء  
ممالك العجم على سدةها واستطاعتهم صهوة التغلب عليها وتصريفهم أحكامها  
ظوع أغراضهم في رجالها وجبايتها وأهل خطتها وسائر نقضها وابرامها كما قال  
شاعرهم

خليفة في قصص \* بين وصيف وبغا

يقول ما قاله \* كما تقول البيغا

نفتى هؤلاء الامراء الاغلبة بوادر السعايات وتلوا بالمعاذير قطورا باحتقار المغرب  
وأهله وطورا بالارهاب بشأن ادريس الخارج به ومن قام مقامه من أعقابيه  
يخاطبونهم بتجاوزه حدود النجوم من عماله ويفقدون سكرته في تحفهم وهداياهم

ومرتفع

ومرتفع جباياتهم تعرضا باستفحاله وتهويلا بأشد ادشوكته وتعظيما للمادفعوا اليه  
من مطالبته ومراسه وتهديدا بقلب الدعوة أن ألجوا اليه وطورا يطعنون في نسب  
ادريس غسل ذلك الطعن الكاذب تحفيضا لشأنه لا يبالون بصدقه من كذبه لبعده  
المسافة وأفن عقول من خلف من صديقه بنى العباس ومماليكهم العجم في القبول من  
كل قائل والسمع لكل ناعق ولم يزل هذا دأبهم حتى انقضى أمر الاغلبة ففرغت هذه  
الكلمة الشنعاء أسمع لغونا وصبر عليها بعض الطاعنين أذنه واعتد هاذر بيعة الى  
النيل من خلفهم عند المنافسة ومالهم قبحهم الله والعدول عن مقاصد الشريعة  
فلا تعارض فيها بين المقطوع والمظنون وادريس ولد على فراش أبيه والولد للفراش  
على أن تنزبه أهل البيت عن مثل هذا من عقائد أهل الايمان فآله سبحانه قد أذهب  
عنهم الرجز وطهرهم تطهيرا ففراش ادريس طاهر من الدنس ومنزه عن الرجز  
بحكم القرآن ومن اعتقد خلاف هذا فقد باء بائعه وولج الكفر من بابه وانما أطنبت في  
هذا الرصد الابواب الرب ودفعنا في صدر الحاسد لما سمعته أذناي من قائله المعتدى  
عليهم به القادح في نسبهم بفرية وينقله بزعمه عن بعض مؤرخي المغرب عن انصرف  
عن أهل البيت وارتاب في الايمان بسلفهم والا فالحمل منزعه عن ذلك معصوم منه ونفى  
العيب حيث يستحيل العيب عيب لـكني جادلت عنهم في الحياة الدنيا وأرجو  
أن يجادلوا عن يوم القيامة (ولتعلم) أن أكثر الطاعنين في نسبهم انما هم الحسدة  
لا عقاب ادريس هذا من منتم الى أهل البيت أدخل فيهم فان ادعاء هذا النسب  
الكريم دعوى شرف عريض على الامم والاجيال من أهل الآفاق فتعرض التهمة  
فيه ولما كان نسب بنى ادريس هؤلاء بمواطنتهم من فاس وسائر ديار المغرب قد بلغ  
من الشهرة والوضوح مبلغا لا يكاد يلحق ولا يطمع أحد في دركه اذ هو نقل الامة  
والجيل من الخلف عن الامة والجيل من السلف وبيت جدتهم ادريس محط فاس  
ومؤسسها بين بيوتهم ومسجده لصق محلاتهم ودروبهم وسيفه منتضى برأس المأذنة  
العظمى من قرار بلدهم وغير ذلك من آثاره التي جاوزت أخبارها حدود التواتر  
مرات وكادت تلحق بالعيان فإذا انظر غيرهم من أهل هذا النسب الى ما آتاهم الله من  
أمثالها وما عاضد شرفهم النبوى من جلال الملك الذي كان لسلفهم بالمغرب واستيقن  
أنه بعزل عن ذلك وأنه لا يبلغ مدأ حدتهم ولا نصيفه وأن غاية أمر المنتمين الى البيت  
الكريم ممن لم يحصل له أمثال هذه الشواهد أن يسلم لهم حالهم لأن الناس مصدقون  
في أنسابهم وبون ما بين العلم والظن واليقين والتسليم فإذا علم ذلك من نفسه غص  
بريقه وود كثير منهم لو يردونهم عن شرفهم ذلك سوقة ووضعاء حسدا من عند أنفسهم



فيرجعون الى العناد وارتكاب اللجاج والبهت بمثل هذا الطعن القائل والقول  
 المتكذب وتعللا بالمساواة في الظنة والمساوية في طرق الاحتمال وهيئات لهم ذلك  
 فليس في المغرب فيما نعلمه من أهل هذا البيت الكريم من يبلغ في صراحة نسبه  
 ووضوحه مبالغ أعقاب ادريس هذا من آل الحسن وكبراؤهم لهذا العهد  
 بنو عمران بن قاس من وادي يحيى الحوطي بن محمد بن يحيى العوام بن القاسم بن ادريس  
 ابن ادريس وهم نقباء أهل البيت هنالك والسالكون بيت جدتهم ادريس ولهم  
 السيادة على أهل المغرب كافة حسبانهم عند ذكر الادارة ان شاء الله تعالى  
 (ولحق) بهذه المقالات الفاسدة والمذاهب القائلة ما يتناولها ضعفه الرأي من فقهاء  
 المغرب من القدح في الامام المهدي صاحب دولة الموحدين ونسبته الى الشيعة  
 والتلبس فيما أتاه من القيام بالتوحيد الحق والنعي على أهل البغي قبله وتكذيبهم  
 لجميع مدعياته في ذلك حتى فيما يزعم الموحدون اتباعه من انتسابه في أهل البيت  
 وانما جل الفقهاء على تكذيبه ما كن في نفوسهم من حسده على شأنه فانهم لما رأوا  
 من أنفسهم مناهضة في العلم والفتيا وفي الدين بزعمهم ثم امتار عنهم بأنه متبعوع الرأي  
 مسموع القول موطن العقب نفسوا ذلك عليه وغضوا منه بالقدح في مذاهبه  
 والتكذيب لمدعياته وايضا كانوا يؤنسونه من ملوك لم تونه أعدائه تجله وكرامة لم تكن  
 لهم من غيرهم لما كانوا عليه من السذاجة واتحال الديانة فكان لجملة العلم بدولتهم  
 مكان من الوجاعة والانتساب للشورى كل في بلده وعلى قدره في قومه فأصبحوا  
 بذلك شيعه لهم وحر بالعدوهم ونقموا على المهدي ما جاء به من خلافهم والتربس  
 عليهم والمناسبة لهم تشييعا لادعائهم وتعبا لدولتهم ومكان الرجل غير مكانهم وحاله  
 على غير معتقداتهم وما ظنك برجل نقم على أهل الدولة ما نقم من أحوالهم وخالف  
 اجتهاده فقهاءهم فنادى في قومه ودعا الى جهادهم بهذه فاقبلت الدولة من أصولها  
 وجعل عاليها سافلها أعظم ما كانت قوة وأشد شوكة وأعز أنصارا وحامية وتساقت  
 في ذلك من أتباعه نفوس لا يحصيها الا خلفاءها قد بايعوه على الموت ووقوه بأنفسهم  
 من الهاكة وتقرّبوا الى الله تعالى باتلاف مهجهم في اظهار تلك الدعوة والتعصب  
 لتلك الكلمة حتى علت على الكلم ودالت بالعدوتين من الدول وهو بحالة من  
 التقشف والحصر والصبر على المكاره والتقلل من الدنيا حتى قبضه الله وليس على  
 شيء من الحظ والمتاع في دنياه حتى الولد الذي ربح ما يتبخ اليه النفوس وتضاد عن  
 غنيته فليت شعري ما الذي قصده بذلك ان لم يكن وجه الله وهو لم يحصل له حظ من  
 الدنيا في عاجله ومع هذا فلو كان قصده غير صالح لما تم أمره وانفسحت دعوته سنة الله

التي قد خلت في عبادته (وأما) انكارهم نسبه في أهل البيت فلا نعنده حجة لهم مع  
 انه ان ثبت أنه أدهم وانتسب اليه فلا دليل يقوم على بطلانه لان الناس مصدقون  
 في أنفسهم وان قالوا ان الرياسة لا تكون على قوم في غير أهل جلدتهم كما هو الصحيح  
 حسبا يأتي في الفصل الاول من هذا الكتاب والرجل قدر رأس سائر المصامدة ودانوا  
 باتباعه والانقياد اليه والى عصابته من هرغة حتى تم أمر الله في دعوته فاعلم أن هذا  
 النسب الفاطمي لم يكن أمر المهدي يوقف عليه ولا اتبعه الناس بسببه وانما كان  
 اتباعهم له بعصية الهرغية والمصيرية ومكانه منها ورسوخ شجرته فيها وكان ذلك  
 النسب الفاطمي خفيا قد درس عند الناس وبقي عنده وعند عشيرته يتناقلونه بينهم  
 فيكون النسب الاول كانه انسخ منه ولبس جلدة هؤلاء وظهر فيها فلا يضره  
 الانتساب الاول في عصيته اذ هو مجهول عند أهل العصاية ومثل هذا واقع كثيرا اذ  
 كان النسب الاول خفيا (وانظر) قصة عرقة وجرير في رياسة بجيلة وكيف كان  
 عرقة من الازد ولبس جلدة بجيلة حتى تنازع مع جرير رياستهم عند عمر رضي الله عنه  
 كما هو مذكور تنفهم منه وجه الحق والله الهادي للصواب (وقد) كدنا أن نخرج عن  
 غرض الكتاب بالاطناب في هذه المغالط فقد زلت أقدام كثير من الاثبات والمؤرخين  
 الحفاظ في مثل هذه الاحاديث والآراء وعلقت بأفكارهم ونقلها عنهم الكفاية من  
 ضعفه النظر والغفلة عن القياس وتلقوها هم أيضا كذلك من غير بحث ولا روية  
 واندرجت في محفوظاتهم حتى صار فن التاريخ واهيا مختلطا وناظره من تسكروا عتد  
 من مناحي العامة فاذا احتاج صاحب هذا الفن الى تعلم بقواعد السياسة وطبائع  
 الموجودات واختلاف الامم والبقاع والاعصار في السير والاخلاق والعوائد والنحل  
 والمذاهب وسائر الاحوال والاحاطة بالحاضر من ذلك ومماثلة ما بينه وبين الغائب  
 من الوفاق أو يرون ما بينهما من الخلاف وتعليل المتفق منها والمختلف والقيام على  
 أصول الدول والممل والمبادئ ظهورها وأسباب حدوثها ودواعي كونها وأحوال  
 لقائهم بها وأخبارهم حتى يكون مستوعبا لاسباب كل حادث واقفا على أصول كل  
 خبر وحيفئذ يعرض خبر المنقول على ما عنده من القواعد والاصول فان وافقها  
 وجرى على مقتضاها كان صحيحا والاريفه واستغنى عنه وما استكبر القدماء علم  
 التاريخ الا لذلك حتى اتحله الطبري والبخاري وابن اسحق من قبلهما وأمثالهم من  
 علماء الامم وقد ذهل الكثير عن هذا السرفيه حتى صار اتحاله مجهلة واستحق  
 العوام ومن لا رسوخ له في المعارف مطالعته وحله والخوض فيه والتطفل عليه  
 فاختلط المرعى بالهمل واللباب بالقشر والصادق بالكاذب والى الله عاقبة الامور



(ومن الغلط) الخفي في التاريخ الذهول عن تبدل الأحوال في الأمم والأجيال بتبدل الأعصار ومرار الأيام وهوداء دوى شديد الخفاء اذ لا يقع الا بعد أحقاب متطاولة فلا يكاد يتقطن له الا الا حاد من أهل الخليفة (وذلك) ان أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر انما هو اختلاف على الأيام والأزمنة وانتقال من حال الى حال وكما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والأمصار فكذلك يقع في الآفاق والأقطار والأزمنة والدول سنة الله التي قد دخلت في عبادته وقد كانت في العالم أمم الفرس الأولى والسرانيون والنبط والتبابعة وبنو إسرائيل والقبط وكانوا على أحوال خاصة بهم في دولهم وممالكهم وسياساتهم وصنائعهم ولغاتهم واصطلاحاتهم وسائر مشاركاتهم مع أبناء جنسهم وأحوال اعتمارهم للعالم تشبه بها آثارهم ثم جاء من بعدهم الفرس الثانية والروم والعرب فتبدلت تلك الأحوال وانقلبت بها العوائد الى ما يجانسها ويشابهها والى ما يباينها أو يباينها ثم جاء الاسلام بدولة مضر فانقلبت تلك الأحوال أجمع انقلاباً أخرى وصارت الى ما أكثر متعارف لهذا العهد ياخذ الخلف عن السلف ثم درست دولة العرب وأيامهم وذهبت الأسلاف الذين شيدوا عزمهم ومهدوا ملكهم وصار الامر في أيدي سواهم من العجم مثل الترك بالشرق والبربر بالمغرب والفرنجية بالشمال فذهبت بذهابهم أمم وانقلبت أحوال وعوائد نسي شأنها واغفل أمرها (والسبب) الشائع في تبدل الأحوال والعوائد أن عوائد كل جيل تابعة لعوائد سلطانه كما يقال في الأمثال الحكمية الناس على دين الملك وأهل الملك والسلطان اذا استولوا على الدولة والامر فلا بد وأن يفزعوا الى عوائد من قبلهم ويأخذوا الكثير منها ولا يغفلوا عوائد جيلهم مع ذلك فيقع في عوائد الدولة بعض المخالفة لعوائد الجيل الأول فاذا جاءت دولة أخرى من بعدهم ومن جرت من عوائدهم وعوائد خالفت أيضاً بعض الشيء وكانت الأولى أشد مخالفة ثم لا يزال التدرج في المخالفة حتى ينتهي الى المباشرة بالجملة فمادامت الأمم والأجيال تتعاقب في الملك والسلطان لا تزال المخالفة في العوائد والأحوال واقعة والقياس والمحاكاة للإنسان طبيعة معروفة ومن الغلط غير ما مونة تخبر به مع الدهول والغفلة عن قصده وتعوّج به عن مراده فربما يسمع السامع كثيراً من أخبار الماضين ولا يتقطن لما وقع من تغير الأحوال وانقلابها فيجربها الأولى وهله على ما عرف ويقسمها بما شهد وقد يكون الفرق بينهما كثيراً فيقع في مهواة من الغلط (في هذا الباب) ما ينقله المؤرخون من أحوال الجحاج وأن أباه كان من المعلمين مع أن التعليم لهذا العهد من جملة الصنائع

الجزم الأصل  
قاموس

المعاشية البعيدة من اعتزاز أهل العصبية والمعلم مستضعف مسكين منقطع الجذم فيتشوف الكثير من المستضعفين أهل الحرف والصنائع المعاشية الى نيل الرتب التي ليسوا لها بأهل ويعتدون بها من الممكات لهم فتذهب بهم وساوس المطامع وربما انقطع حبها من أيديهم فسقطوا في مهواة الهلكة والتلف ولا يعلمون استحالتهم في حقهم وأنهم أهل حرف وصنائع للمعاش وأن التعليم صدر الاسلام والدولتين لم يكن كذلك ولم يكن العلم بالجملة صناعة انما كان نقلاً لما سمع من الشارع وتعلماً لما جهل من الدين على جهة البلاغ فكان أهل الانساب والعصبية الذين قاموا بالملة هم الذين يعلمون كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم على معنى التبليغ الخبرى لا على وجه التعليم الصناعي اذ هو كتابهم المنزل على الرسول منهم وبه هداياتهم والاسلام دينهم قاتلوا عليه وقتلوا واختصوا به من بين الأمم وشرقوا فيحرصون على تبليغ ذلك وتفهمه للأمة لاتصدهم عنه لائمة الكبر ولا يرعهم عاذل الانفة ويشهد لذلك بعث النبي صلى الله عليه وسلم كبار أصحابه مع وفود العرب يعلمونهم حدود الاسلام وما جاء به من شرائع الدين بعث في ذلك من أصحابه العشرة فمن بعدهم فلما استقر الاسلام ووشجت عروق الملة حتى تناولها الامم البعيدة من أيدي أهلها واستألت بمرور الأيام أحوالها وكثرت استنباط الاحكام الشرعية من النصوص لتعدد الوقائع وتلاحقها فاحتاج ذلك لقانون يحفظه من الخطا وصار العلم ملكة يحتاج الى التعلم فأصبح من جملة الصنائع والحرف كما يأتي ذكره في فصل العلم والتعليم واشتغل أهل العصبية بالقيام بالملك والسلطان فدفع للعلم من قام به من سواهم وأصبح حرفة للمعاش وشجعت أنوف المترفين وأهل السلطان عن التصدي للتعليم واختص اتحاله بالمستضعفين وصار متحلاً محترقاً عند أهل العصبية والملك والجحاج بن يوسف كان أبوه من سادات ثقف وأشرافهم ومكانهم من عصبية العرب ومناخضة قريش في الشرف ما علمت ولم يكن تعليمه للقرآن على ما هو الامر عليه لهذا العهد من أنه حرفة للمعاش وانما كان على ما وصفناه من الامر الأول في الاسلام (ومن هذا الباب) أيضاً ما يتوهمه المتصفعون لكاتب التاريخ اذا سمعوا أحوال القضاة وما كانوا عليه من الرياسة في الحروب وقود العساكر فترامى بهم وساوس الهمم الى مثل تلك الرتب يحسبون أن الشأن في خطة القضاء لهذا العهد على ما كان عليه من قبل ويظنون بأن أي عامر صاحب هشام المستبدي عليه وابن عباد من ملوك الطوائف باشيحية اذا سمعوا أن أباهم كانوا قضاة أنهم مثل القضاة لهذا العهد ولا يتفطنون لما وقع في رتبة القضاة من مخالفة العوائد كما بينته في فصل القضاء من الكتاب الأول



والعصبة بفتحين  
التعصب وهو أن  
يذب الرجل عن  
حريم صاحبه  
ويشمر عن ساق  
الجد في نصره  
منسوبة إلى  
العصبة محركة وهم  
أقارب الرجل من  
قبل أبيه لأنهم هم  
الذابون عن حريم  
من هو منتهاهم  
وهي بهذا المعنى  
عمدوحة وأما  
العصبة المذمومة  
في حديث الجامع  
الصغير ليس منا  
من دعا إلى عصبة  
وليس منا من  
قاتل على عصبة  
وليس منا من مات  
على عصبة فهي  
تعصب رجال  
لقبيلة على رجال  
قبيلة أخرى لغير  
ديانة كما كان يقع  
من قيام سعد على  
حرام نسبة إلى =

وابن أبي عامر وابن عباد كانا من قبائل العرب القاطنين بالدولة الاموية بالاندلس وأهل  
عصبتهم وكان مكانهم فيها معلوما ولم يكن يلهيهم ما نالوه من الرياسة والملك بخطة القضاء  
كما هي لهذا العهد بل انما كان القضاء في الامر القديم لاهل العصبة من قبيل الدولة  
ومواليها كما هي الوزارة لعهدنا بالمغرب وانظر خروجهم بالعساكر في الطوائف  
وتقليدهم عظام الامور التي لا تقلد الا لمن له الغنى فيها بالعصبة فيغلط السامع في  
ذلك ويحمل الاحوال على غير ما هي وأكثربما يقع في هذا الغلط ضعفاء البصائر من  
أهل الاندلس لهذا العهد لفقدان العصبة في مواطنهم منذ أعصار بعيدة لفناء العرب  
ودولتهم بها وخروجهم عن ملكة أهل العصبات من البربر فبقيت أنسابهم العربية  
محفوظة والذريعة إلى العز من العصبة والتناصر مفقودة بل صاروا من جملة الرعايا  
المتخاذلين الذين تعبدتهم القهرو ورغوا للمذلة يحسبون ان أنسابهم مع مخالطة الدولة  
هي التي يكون لهم بها التغلب والتحكم فتجد أهل الحرف والصنائع منهم متصددين  
لذلك ساعين في نيله فأما من باشر أحوال القبائل والعصبة ودولهم بالعدوة الغربية  
وكيف يكون التغلب بين الامم والعشائر فقلما يغلطون في ذلك ويخطئون في اعتباره  
(ومن هذا الباب) أيضا ما يسلكه المؤرخون عند ذكر الدول ونسب ملوكها فيذكر  
اسمه ونسبه وأباه وأمه ونسائه ولقبه وخاتمه وقاضيه وحاجبه ووزيره كل ذلك تقليد  
لمؤرخي الدولتين من غير تفطن لمقاصدهم والمؤرخون لذلك العهد كانوا يضعون  
نواريحهم لاهل الدولة وأبائهم امتشاقون في سير أسلافهم ومعرفة أحوالهم ليقتفوا  
آثارهم وينسجوا على منوالهم حتى في اصطناع الرجال من خلف دولتهم وتقليد الخطط  
والمراتب لآباء صنائعهم وذويهم والقضاة أيضا كانوا من أهل عصبة الدولة وفي  
عداد الوزراء كما ذكرناه فيحتاجون إلى ذلك كرهه وأما حين تبانت الدول  
وتباعد ما بين العصور ووقف الغرض على معرفة الملوك بأنفسهم خاصة ونسب الدول  
بعضها من بعض في قوتها وغلبتها ومن كان يباغضها من الامم أو يقصر عنها في الفائدة  
للمصنف في هذا العهد في ذكر الأبناء والنساء ونسب الخاتم واللقب والقاضي والوزير  
والحاجب من دولة قديمة لا يعرف فيها أصولهم ولا أنسابهم ولا مقاماتهم انما جعلهم على  
ذلك التقليد والغفلة عن مقاصد المؤلفين الاقدمين والذهول عن تخرى الأغراض  
من التاريخ اللهم الا ذكر الوزراء الذين عظمت آثارهم وعفت على الملوك أخبارهم  
كالخاج وبني المهلب والبرامكة وبني سهل بن فويح وكافور الاخشيدي وابن أبي عامر  
وأمثالهم فغير نكير للمصنف بالانساب والاشارة إلى أحوالهم لا تنظامهم في عداد الملوك  
(ولقد ذكر) هنا فائدة فتم كلامنا في هذا الفصل بها وهي أن التاريخ انما هو ذكر

الاخبار الخاصة بعصر أو جيل (فأما) ذكر الاحوال العامة للآفاق والاجيال  
والاعصار فهو أس للمؤرخ تبني عليه أكثر مقاصده وتبين به أخباره وقد كان الناس  
يفردونه بالتأليف كما فعله المسعودي في كتاب مروج الذهب شرح فيه أحوال الامم  
والآفاق لعهد في عصر الثلاثين والثلاثمائة غربا وشرقا وذكر نحلهم وعوائدهم  
ووصف البلدان والجبال والبحار والممالك والدول وفرق شعوب العرب والعجم فصار  
امام للمؤرخين يرجعون اليه وأصله يقولون في تحقيق الكثير من أخبارهم  
عليه ثم جاء البكري من بعده ففعل مثل ذلك في المسالك والممالك خاصة دون غيرها  
من الاحوال لأن الامم والاجيال لعهد لم يقع فيها كثيرا انتقال ولا عظيم تغير وأما هذا  
العهد وهو آخر المائة الثامنة فقد انقلبت أحوال المغرب الذي نحن شاهدوه وتبدلت  
بالجملة واعتاض من أجيال البربر أهل على القدم بمن طرأ فيه من لدن المائة الخامسة  
من أجيال العرب بما كسروهم وغلبوهم وانتزعوا منهم عامة الاوطان وشاركوهم فيها  
بقي من البلدان لملكهم هذا إلى ما نزل بالعمران شرقا وغربا في منتصف هذه المائة  
الثامنة من الطاعون الجارف الذي تعصف الامم وذهب بأهل الجبل وطوى كثيرا من  
محاسن العمران ومحاها وجاء للدول على حين هزمها وبلوغ الغاية من مداها فقلص  
من ظلالها وقل من حدها وأوهن من سلطانها وتداغت إلى التلاشي والاضمحلال  
أحوالها وانتقص عمران الارض بانتقاص البشر فخربت الامصار والمصانع ودرست  
السبل والمعالم وختل الديار والمنازل وضعفت الدول والقبائل وتبدل الساكن  
وكأنما نادى لسان الكون في العالم بالهول والانتقاض فبادر بالاجابة والله وارث  
الارض ومن عليها واذ تبدلت الاحوال جملة فكأنما تبدل الخلق من أصله وتحول  
العالم بأسره وكأنه خلق جديد ونشأة مستأنفة وعالم محدث فاحتاج لهذا العهد من  
يدون أحوال الخليفة والآفاق وأجيالها والعوائد والنحل التي تبدلت لاهلها ويقفوا  
مسلك المسعودي لعصره ليكون أصلا يقتدى به من يأتي من المؤرخين من بعده  
(وإنما ذكر في كتابي) هذا ما أمكنني منه في هذا القطر المغربي اما صريحا أو مندرجا في  
أخباره وتلويحا لاختصاص قصدي في التأليف بالمغرب وأحوال أجياله وأممهم وذكر  
ممالكهم ودولهم دون ما سواه من الاقطار لعدم اطلاعي على أحوال المشرق وأممهم وإن  
الاخبار المتناقلة لا توفي كنه ما أريده منه والمسعودي انما استوفى ذلك لبعدر رحلته  
وتقلبه في البلاد كما ذكر في كتابه مع أنه لما ذكر المغرب قصر في استيفاء أحواله وفوق كل  
ذي علم وعلم وحرد العلم كله إلى الله والبشر عاجز قاصر والاعتراف متعين واجب ومن

=العصبة بمعنى قوم  
الرجل الذين  
يتعصبون له ولو  
من غير أقاربه  
فلما كان أو  
مطلوما وفي  
الفتاوى الحيرية  
من موانع قبول  
الشهادة العصبة  
وهي أن يغض  
الرجل الرجل لانه  
من بني فلان أو  
من قبيلة كذا  
والوجه في ذلك  
ظاهر وهو ارتكاب  
الحرم في الحديث  
ليس منا من دعا  
إلى عصبة وهو  
موجب للفسق  
ولاشهادة لمركبه  
قاله الاستاذ أبو  
الوفاء اهـ معجده



كان الله في عونته تسيرت عليه المذاهب وأنجحت له المساعي والمطالب (ونحن)  
آخذون بعون الله فيما رماه من أغراض التأليف والله المسدد والمعين وعليه التكلان  
(وقد) بقي علينا أن نقدم مقدمة في كيفية وضع الحروف التي ليست من لغات  
العرب إذا عرضت في كتابنا هذا (اعلم) أن الحروف في النطق كما يأتي شرحه بعد  
هي كيفية الاصوات الخارجة من الحنجرة تعرض من تقطيع الصوت بقرع اللهاة  
وأطراف اللسان مع الحنك والخلق والاذراس أو بقرع الشفتين أيضا فتتغير  
كيفية الاصوات بتغير ذلك القرع وتجي الحروف متميزة في السمع وتتركب  
منها الكلمات الدالة على ما في الضمان وليست الامم كلها متساوية في النطق بتلك  
الحروف فقد يكون لامة من الحروف ما ليس لامة أخرى والحروف التي نطق بها  
العرب هي ثمانية وعشرون حرفا كما عرفت ونجد للعبرانيين حروفا ليست في لغتنا وفي  
لغتنا أيضا حروف ليست في لغتهم وكذلك الافريق والترك والبربر وغير هؤلاء من  
العجم ثم ان اهل الكتاب من العرب اصطالحوا في الدلالة على حروفهم المسموعة بأوضاع  
حروف مكتوبة متميزة بأشخاصها كوضع ألف وباء وجيم وراء وطاء الى آخر  
الثانية والعشرين وإذا عرض لهم الحرف الذي ليس من حروف لغتهم بقي مهملا عن  
الدلالة الكتابية مفعلا عن البيان وربما رسمه بعض الكتاب بشكل الحرف الذي  
يليه من لغتنا قبله أو بعده وليس ذلك بكاف في الدلالة بل هو تغيير للحرف من أصله  
(ولما) كان كتابنا مشتملا على أخبار البربر وبعض العجم وكانت تعرض لنا في أسمائهم  
أو بعض كلماتهم حروف ليست من لغة كتابنا ولا اصطلاح أو ضاعنا اضطررنا الى بيانه  
ولم نقف برسم الحرف الذي يليه كما قلناه لانه عندنا غير وافي بالدلالة عليه  
فاصلحت في كتابي هذا على أن أضع ذلك الحرف العجمي بمائيل على الحرفين اللذين  
يكشفانه ليتوسط القارئ بالنطق به بين مخرجي ذينك الحرفين فيحصل تأديته وانما  
اقتبس ذلك من رسم أهل المصحف حروف الاشمام كالصراط في قراءة خلف فان  
النطق بصاحه فيها معجم متوسط بين الصاد والزاي فوضعوا الصاد ورسموا في داخلها  
شكل الزاي ودل ذلك عندهم على المتوسط بين الحرفين فكذلك رسمت أنا كل  
حرف يتوسط بين حرفين من حروفنا كالكاف المتوسطة عند البربر بين الكاف  
الصريحة عندنا والجيم أو القاف مثل اسم بلكين فأضعها كفا وأقطعتها بنقطة الجيم  
واحدة من أسفل أو بنقطة القاف واحدة من فوق أو ثنتين فيدل ذلك على أنه متوسط  
بين الكاف والجيم أو القاف وهذا الحرف أكثر ما يجيء في لغة البربر وما جاء من  
غيره فعلى هذا القياس أضع الحرف المتوسط بين حرفين من لغتنا بالحرفين معا ليعلم

القاري أنه متوسط فينطق به كذلك فيكون قد دللنا عليه ولو وضعناه برسم الحرف  
الواحد عن جانبيه لكاف قد صرنا من مخرجه الى مخرج الحرف الذي من لغتنا وغيرنا  
لغة القوم فأعلم ذلك والله الموفق للصواب بعينه وفضله

الكتاب الاول في طبيعة العمران في الحقيقة وما تعرض فيه من ابدن والمخبر والتغلب  
والكسب والمعاش والصنائع والعلوم ونحوها وما لذلك من العلل والاسباب

(اعلم) أنه لما كانت حقيقة التاريخ أنه خبر عن الاجتماع الانساني الذي هو عمران  
العالم وما تعرض لطبيعة ذلك العمران من الاحوال مثل التوحش والتأنس  
والعصيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك من الملك  
والدول وممراتها وما يتكلمه البشر باعمالهم وفساعاتهم من الكسب والمعاش  
والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الاحوال (ولما كان)  
الكذب متطرقا للخبر بطبيعته وله أسباب تقتضيه فمنها التشيعات للآراء والمذاهب  
فان النفس اذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر أعطته حقه من التخصيص  
والنظر حتى يتبين صدقه من كذبه واذا خمرها تشيع لرأى أو نخله قبلت ما يوافقها  
من الاخبار لا قول وهله وكان ذلك الميل والتشيع غطاء على عين بصيرتها عن  
الاتقاد والتخصيص فتقع في قبول الكذب ونقله (ومن الاسباب) المقتضية للكذب  
في الاخبار أيضا الثقة بالناقلين وتخصيص ذلك يرجع الى التعديل والتجريح (ومنها)  
الذهول عن المقاصد فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عاين أو سمع وينقل الخبر على  
ما في ظنه وتخمينه فيقع في الكذب (ومنها) توهم الصدق وهو كثير وانما  
يجيء في الأكثر من جهة الثقة بالناقلين (ومنها) الجهل بتطبيق الاحوال على  
الوقائع لاجل ما بداخها من التلبس والتصنع في نقلها المخبر كما رآها وهي بالتصنع على  
غير الحق في نفسه (ومنها) تقرب الناس في الأكثر لاصحاب العجلة والراتب  
بالثناء والمدح وتحسين الاحوال وإشاعة الذكر بذلك فيستفيض الاخبار بها على غير  
حقيقة فالنفوس مولعة بحب الثناء والناس متطاعون الى الدنيا وأسبابها من جاه  
أو ثروة وليسوا في الأكثر راغبين في الفضائل ولا متنافسين في أهلها (ومن الاسباب)  
المقتضية له أيضا وهي سابقة على جميع ما تقدم الجهل بطبائع الاحوال في العمران  
فان كل حادث من الحوادث ذاتا كان أو فعلا لا بد له من طبيعة تخصه في ذاته وفيما  
يعرض له من أحواله فاذا كان السامع عارفا بطبائع الحوادث والاحوال في  
الوجود ومقتضياتها أعانه ذلك في تخصيص الخبر على تميز الصدق من الكذب وهذا



أبلغ في التجميع من كل وجه يعرض وكثيرا ما يعرض للسامعين قبول الاخبار المستحيلة وينقلونها وتؤثر عنهم كما نقله المسعودي عن الاسكندر لما صدته دواب البحر عن بناء الاسكندرية وكيف اتخذ تابوت الخشب وفي باطنه صندوق الزجاج وعاص فيه الى قعر البحر حتى كتب صور تلك الدواب الشيطانية التي رآها وعمل تماثيلها من أجساد معدنية ونصبها حذاء البنيان فقرت تلك الدواب حين خرجت وعمايتها وتم له بناؤها في حكاية طويلة من أحاديث خرافة مستحيلة من قبل اتخاذ التابوت الزجاجي ومصادمة البحر وأما وجه بحره ومن قبل أن الملوك لا تحمل أنفسهم على مثل هذا الغرر ومن اعتمده منهم فقد عرّض نفسه للهلكة وانتقاض العقدة واجتماع الناس الى غيره وفي ذلك اتلافه ولا ينتظرون به رجوعه من غروره ذلك طرفه عين ومن قبل أن الجن لا يعرف لها صور ولا تماثيل تختص به انما هي قادرة على التشكل وما يذكر من كثرة الرؤس لها فانما المراد به البشاعة والتهويل لأنه حقيقة (وهذه) كلها قاذحة في تلك الحكاية والقادح المحيل لها من طريق الوجود أبين من هذا كله وهو ان المنغمس في الماء ولو كان في الصندوق يضيق عليه الهواء للتنفس الطبيعي وتسخن روحه بسرعة تغلبه فيفقد صاحبه الهواء البارد المعدل لمزاج الرئة والروح القلبي ويهلك مكانه وهذا هو السبب في هلاك أهل الحمامات اذا أطبقت عليهم عن الهواء البارد والتدليل في الآبار والمظامير العميقة المهوى اذا سخن هواها بالعفونة ولم تداخلها الرياح فتخلطها فان المتدلى فيها يهلك لحينه وبهذا السبب يكون موت الحوت اذا فارق البحر فان الهواء لا يكفيه في تعديل رثته اذ هو حار بافراط والماء الذي يهدله بارد والهواء الذي خرج اليه حار فيستولى الحار على روحه الحيواني ويهلك دفعة ومنه هلاك المصعوقين وأمثال ذلك (ومن الاخبار) المستحيلة ما نقله المسعودي أيضا في شمال الرز زور الذي برومة تجتمع اليه الرزازير في يوم معلوم من السنة حاملة للزيتون ومنه يتخذون زيتهم وانظر ما أبعد ذلك عن المجري الطبيعي في اتخاذ الزيت (ومنها) ما نقله البكري في بناء المدينة المسماة ذات الابواب فحيط بأكثر من ثلاثين مرحلة وتشتمل على عشرة آلاف باب والمدن انما اتخذت للتحصن والاعتصام كما يأتي وهذه خرجت عن ان يحاط بها فلا يكون فيها حصن ولا معتصم وكما نقله المسعودي أيضا في حديث مدينة النحاس وانما مدينة كل بنائها نحاس بحجارة سجيل ماسية ظفر بها موسى بن نصير في غزوة الى المغرب وانما مغلقة الابواب وان الصاعد اليها من أسوارها اذا أشرف على الحائط صفق ورعى بنفسه فلا يرجع آخر الدهر في حديث مستحيل عادة من خرافات القصص وصحراء سحابة ماسية قد نقصها

الخرق بالضم اثاث البيت اه قاسوس

الركاب والادلاء ولم يقفوا هذه المدينة على خبر ثم ان هذه الاحوال التي ذكرناها كلها مستحيل عادة مناف للاسوار الطبيعية في بناء المدن واختطاطها وان المعادن غاية الموجود منها أن يصرف في الآنية والخرق وأما تشييد مدينة منها فكما تراه من الاستحالة والبعد وأمثال ذلك كثير وتجميعه انما هو بعرفة طبائع العمران وهو أحسن الوجوه وأوثقها في تجميع الاخبار وتغيير صدقها من كذبها وهو سابق على التجميع بتعديل الرواة ولا يرجع الى تعديل الرواة حتى يعلم ان ذلك الخبر في نفسه ممكن أو متمنع وأما اذا كان مستحيلا فلا فائدة للنظر في التعديل والتجريح ولقد عدد أهل النظر من المطاعين في الخبر استحالة مدلول اللفظ وتأويله أن يؤول بما لا يقبله العقل وانما كان التعديل والتجريح هو المعترف في صحة الاخبار الشرعية لان معظمها تكاليف انشائية أوجب الشارع العمل بها حتى حصل الظن بصدقها وسبيل صحة الظن الثقة بالرواة بالعدالة والضبط (وأما الاخبار) عن الواقعات فلا بد في صدقها وصحتها من اعتبار المطابقة فلذلك وجب أن يتطرق في امكان وقوعه وصار فيها ذلك أهم من التعديل ومقدما عليه اذ فائدة الانشاء مقتبسة منه فقط وفائدة الخبر منه ومن الخارج بالمطابقة واذا كان ذلك فالقانون في تميز الحق من الباطل في الاخبار بالامكان والاستحالة أن تتطرق في الاجتماع البشري الذي هو العمران وغير ما يلحقه من الاحوال لذاته وبمقتضى طبعه وما يكون عارضا لا يعتد به وما لا يمكن أن يعرض له واذا فعلنا ذلك كان ذلك لنا قانونا في تميز الحق من الباطل في الاخبار والصدق من الكذب بوجه برهاني لا مدخل للشك فيه وحينئذ فاذا سمعنا عن شيء من الاحوال الواقعة في العمران علمنا ما نتحكم بقبوله مما نتحكم بترقيقه وكان ذلك لنا معيارا صحيحا يتحرى به المؤرخون طريق الصدق والصواب فيما ينقلونه وهذا هو غرض هذا الكتاب الاول من تأليفنا وكان هذا علم مستقل بنفسه فانه ذو موضوع وهو العمران البشري والاجتماع الانساني وذو مسائل وهي بيان ما يلحقه من العوارض والاحوال لذاته واحدة بعد اخرى وهذا شأن كل علم من العلوم وضعيا كان أو عقليا (واعلم) ان الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة غريب النزعة عزيز الفائدة أغثر عليه البحث وأدى اليه الغوص وليس من علم الخطابة الذي هو أحد العلوم المنطقية فان موضوع الخطابة انما هو الاقوال المقنعة النافعة في استمالة الجمهور الى رأي أو صدقهم عنه ولا هو أيا من علم السياسة المدنية اذ السياسة المدنية هي تدبير المنزل والمدينة بما يجب بمقتضى الاخلاق والحكمة ليحمل الجمهور على منهاج يكون فيه حفظ النوع وبقاؤه فقد خالف موضوعه موضوع هذين الفنين اللذين



ربما يشبهانه وكأنه علم مستتبب النشأة ولعمري لم أقف على الكلام في منعه لاحد من الخليفة ما أدري لغفلتهم عن ذلك وليس الظن بهم أولعلمهم كتبوا في هذا الغرض واستوفوه ولم يصل اليها العلوم كثيرة والحكمة في أمم النوع الانساني متعددون ومالم يصل اليها من العلوم أكثر مما وصل فأين علوم الفرس التي أمر عمر رضي الله عنه بمحوها عند الفتح وأين علوم الكلدانيين والسريانيين وأهل بابل وما ظهر عليهم من آثارها وتآخجها وأين علوم القبط ومن قبلهم وانما وصل اليها علوم أمة واحدة وهم يونان خاصة لكلف المأمون باخراجها من لغتهم واقتداره على ذلك بكثرة المترجمين وبذل الاموال فيها ولم نقف على شيء من علوم غيرهم واذا كانت كل حقيقة متعقلة بطبيعية يصلح أن يبحث عما يعرض لها من العوارض لذاتها وجب أن يكون باعتبار كل مفهوم وحقيقة علم من العلوم يخصه العلم الحكمة لعلهم انما لاحظوا في ذلك العناية بالثمرات وهذا انما عثرته في الاخبار فقط كما رأيت وان كانت مسائل في ذاتها وفي اختصاصها شريفة لكن ثمرته تصحيح الاخبار وهي ضعيفة فلهذا هجره والله أعلم وما أوتيتم من العلم الا قليلا (وهذا الفن) الذي لاح اننا النظر فيه نخدمه مسائل تجري بالعرض لاهل العلوم في براهين علومهم وهي من جنس مسائل بالموضوع والطلب مثل ما يذكره الحكماء والعلماء في اثبات النبوة من أن البشر متعاونون في وجودهم فيحتاجون فيه الى الحاكم والوازع ومثل ما يذكر في أصول الفقه في باب اثبات اللغات أن الناس يحتاجون الى العبارة عن المقاصد بطبيعة التعاون والاجتماع وتبين العبارات أخف ومثل ما يذكره الفقهاء في تعليل الاحكام الشرعية بالمقاصد في أن الزنا مخلط للانساب مفسد للنوع وأن القتل أيضا مفسد للنوع وان الظلم مؤذن بخراب العمران المقضى لفساد النوع وغير ذلك من سائر المقاصد الشرعية في الاحكام فانها كلها مبنية على المحافظة على العمران فكان لها النظر فيما يعرض له وهو ظاهر من كلامنا هذا في هذه المسائل الممثلة (وكذلك) أيضا يقع البناء القليل من مسائله في كلمات متفرقة لحكماء الخليفة لكنهم لم يستوفوه (فن كلام) الموبدان بهرام بن بهرام في حكاية اليوم التي نقلها المسعودي أيها الملك ان الملك لا يتم عزه الا بالشريعة والقيام لله بطاعته والتصرف تحت أمره ونهييه ولا اقوام للشريعة الا بالملك ولا عز للملك الا بالرجال ولا اقوام للرجال الا بالمال ولا سبيل الى المال الا بالعمارة ولا سبيل للعمارة الا بالعدل والعدل الميزان المنصوب بين الخليفة نصبه الرب وجعل له قيميا وهو الملك (ومن كلام أنوشروان) في هذا المعنى بعينه الملك بالجند والجند بالمال والمال بالخراج والخراج بالعمارة والعمارة بالعدل والعدل باصلاح العمال

واصلاح العمال باستقامة الوزراء ورأس الكل باقمة ادا الملك حال رعيته بنفسه واقتداره على تأديها حتى يملكها ولا تملكه (وفي الكتاب) المنسوب لارسطو في السياسة المتداول بين الناس جزء صالح منه الا أنه غير مستوفي ولا معطى حقه من البراهين ومختلط بغيره وقد أشار في ذلك الكتاب الى هذه الكلمات التي نقلناها عن الموبدان وأنوشروان وجعلها في الدائرة القريية التي أعظم القول فيها وهو قوله العالم بستان سياحه الدولة الدولة سلطان تحياه السنة السنة سياسة يسوسها الملك الملك نظام يعضده الجند الجند أعوان يكفلهم المال المال رزق يجمعه الرعية الرعية عبيد يكتنفهم العدل العدل مألوف وبه قوام العالم العالم بستان ثم ترجع الى أول الكلام فهذه ثمان كلمات حكمة سياسية ارتبط بعضها ببعض وارتدت أعجازها على صدورها واتصلت في دائرة لا يتعين طرفها غير بعثوره عليها وعظم من فوائدها وأنت اذا تأملت كلامنا في فصل الدول والملك وأعطيته حقه من التصفح والتفهم عثرت في أثناءه على تفسير هذه الكلمات وتفصيل اجمالها مستوفي بينا بأوعب بيان وأوضح دليل وبرهان أطلعنا الله عليه من غير تعليم ارسطو ولا افادة موبدان وكذلك تجدي كلام ابن المقفع وما يستطرد في رسائله من ذكر السياسات الكثير من مسائل كتابنا هذا غير مبرهنة كما برهناه انما يجليها في الذكر على منحنى الخطابة في أسلوب الترسل وبلاغة الكلام وكذلك حوتم القاضي أبو بكر الطرطوشي في كتاب سراج الملول وبوبه على أبواب تقرب من أبواب كتابنا هذا ومسائله لكنه لم يصادف فيه الرمية ولا أصاب الشاكلة ولا استوفى المسائل ولا أوضح الأدلة انما يقرب الباب للمسئلة ثم يستكثر من الاحاديث والآثار وينقل كلمات متفرقة لحكماء الفرس مثل بزرجمهر والموبدان وحكماء الهند والمأثور عن دانيال وهرمس وغيرهم من أكابر الخليفة ولا يكشف عن التحقيق قناعا ولا يرفع بالبراهين الطبيعية حجابا انما هو نقل وترغيب شبيه بالمواعظ وكله حوتم على الغرض ولم يصادفه ولا تحقق قصده ولا استوفى مسائله ونحن ألهمنا الله الى ذلك الهاما وأعثرنا على علم جعلنا بين بكرة وجهينة خبره فان كنت قد استوفيت مسائله وميزت عن سائر الصنائع أنظاره وأنحاء فتوفيق من الله وهداية وان فاتني شيء في احصائه واشتبهت بغيره مسائله فللناظر ان يحقق اصلاحه ولي الفضل لاني نهجت له السبيل وأوضح له الطريق والله يهدي بنوره من يشاء (ونحن) الآن نبين في هذا الكتاب ما يعرض للبشر في اجتماعهم من أحوال العمران في الملك والكسب والعلوم والصنائع بوجوه برهانية توضح بها التحقيق في معارف الخاصة والعامة وتدفع



بها الاوهام وترفع الشكوك (ونقول) لما كان الانسان متميزا عن سائر الحيوانات  
بخواص اختص بها اخفاها العلوم والصنائع التي هي نتيجة الفكر الذي تميز به عن  
الحيوانات وشرف بوصفه على المخلوقات ومنها الحاجة الى الحكم الوازع والسلطان  
القاهر اذ لا يمكن وجوده دون ذلك من بين الحيوانات كلها الا ما يقال عن النحل  
والجراد وهذه وان كان لهما مثل ذلك فبطريق الهامى لا يفكر وروية ومنها السعي  
في المعاش والاعمال في تحصيله من وجوهه واكتساب أسبابه لما جعل الله فيه من  
الاقتدار الى الغذاء في حياته وبقائه وهذا الى التماسه وطلبه قال تعالى أعطى كل  
شيء خلقه ثم هدى ومنها العمران وهو التساكن والتنازل في مصر أو حلة للانس  
بالعشيرة واقتضاء الحاجات لما في طباعهم من التعاون على المعاش كما سنبينه ومن هذا  
العمران ما يكون بدويا وهو الذي يكون في الضواحي وفي الجبال وفي الحلال المنتجة  
في القفار وأطراف الرمال ومنه ما يكون حضريا وهو الذي بالامصار والقرى والمدن  
والمدائر للاعتصام بها والتحصن بجدرانها وله في كل هذه الاحوال أمور تعرض  
من حيث الاجتماع عروضا ذاتيا له فلا جرم انحصر الكلام في هذا الكتاب في ستة  
فصول (الاول) في العمران البشري على الجملة وأصنافه وقسطه من الارض  
(والثاني) في العمران البدوي وذكر القبائل والامم الوحشية (والثالث) في  
الدول والخلافة والملك وذكر المراتب السلطانية (الرابع) في العمران الحضري  
والبلدان والامصار (والخامس) في الصنائع والمعاش والكسب ووجوهه  
(والسادس) في العلوم واكتسابها وتعلمها (وقد) قدمت العمران البدوي لانه  
سابق على جميعها كما نبين لك بعد وكذا تقدم الملك على البلدان والامصار وأما تقديم  
المعاش فلان المعاش ضروري طبيعي وتعلم العلم كمالى أو حاجى والطبيعى أقدم  
من الكمالى وجعلت الصنائع مع الكسب لانها منه ببعض الوجوه ومن حيث  
العمران كما نبين لك بعد والله الموفق للصواب والمعين عليه

### (الفصل الاول من الكتاب الاول)

### (في العمران البشري على الجملة وفيه مقدمات)

(الاولى) في أن الاجتماع الانساني ضرورى ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم الانسان  
مدني بالطبع أى لا بد له من الاجتماع الذي هو المدينة في اصطلاحهم وهو معنى  
العمران وبيانه أن الله سبحانه خلق الانسان ورأسه على صورة لا يصح حياتها  
وبقاؤها الا بالغذاء وهذا الى التماسه بفطرته وبما ركب فيه من القدرة على تحصيله

الا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء غير موفية له  
بمادة حياته منه ولو فرضنا منه أقل ما يمكن فرضه وهو قوت يوم من الخنطة مثلا فلا  
يحصل الا بعلاج كثير من الطحن والعجن والطبخ وكل واحد من هذه الاعمال الثلاثة  
يحتاج الى مواعين والآلات لا تتم الا بصناعات متعددة من حداد ونجار وفاخورى  
هب أنه يأكله حيا من غير علاج فهو أيضا يحتاج في تحصيله أيضا حيا الى أعمال أخرى  
أكثر من هذه من الزراعة والحصاد والدراس الذي يخرج الحبوب من غلاف السنبل  
ويحتاج كل واحد من هذه الى آلات متعددة وصنائع كثيرة أكثر من الاولى بكثير  
ويستحيل أن توفى بذلك كله أو ببعضه قدرة الواحد فلا بد من اجتماع القدر  
الكثيرة من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من  
الحاجة لا أكثر منهم بأضعاف وكذلك يحتاج كل واحد منهم أيضا في الدفاع عن نفسه  
الى الاستعانة بأبناء جنسه لان الله سبحانه لما ركب الطباع في الحيوانات كلها وقسم  
القدر بينها جعل حظوظ كثير من الحيوانات العجم من القدرة أكمل من حظ الانسان  
فقدرة الفرس مثلا أعظم بكثير من قدرة الانسان وكذا قدرة الحمار والثور وقدرة  
الاسد والذئب أضعاف من قدرته ولما كان العدو ان طبيعيا في الحيوان جعل  
لكل واحد منها عضوا يختص بدفاعته ما يصل اليه من عادية غيره وجعل للانسان  
عوضا من ذلك كله الفكر واليد فاليد مهيئة للصنائع بخدمة الفكر والصنائع  
تحصل له الآلات التي تنوب له عن الجوارح المعدة في سائر الحيوانات للدفاع  
مثل الرماح التي تنوب عن القرون الناطحة والسيوف النابتة عن المخالب الجارحة  
والتراس النابتة عن البشرات الجاسية الى غير ذلك مما ذكره جالينوس في كتاب  
منافع الاعضاء فالواحد من البشر لا تقاوم قدرته قدرة واحد من الحيوانات العجم  
سيما المفترسة فهو عاجز عن مدافعتها وحده بالجملة ولا تنفي قدرته أيضا باستعمال الآلات  
المعدة للمدافعة لكثرة الصنائع والمواعين المعدة لها فلا بد في ذلك كله من  
التعاون عليه بأبناء جنسه وما لم يكن هذا التعاون فلا يحصل له قوت ولا غذاء ولا تتم  
حياته لما ركب الله تعالى عليه من الحاجة الى الغذاء في حياته ولا يحصل له أيضا  
دفاع عن نفسه لفقدان السلاح فيكون قريسة للحيوانات ويعاجله الهلاك عن  
مدى حياته ويظلم نوع البشر واذا كان التعاون حصل له القوت للغذاء والسلاح  
للمدافعة وقت حكمه الله في بقاءه وحفظ نوعه فاذن هذا الاجتماع ضرورى للنوع  
الانسانى والالم يكمل وجودهم وما أراد الله من اعمار العالم بهم واستخلافه اياهم  
وهذا هو معنى العمران الذي جعلناه موضوعا لهذا العلم وفي هذا الكلام نوع اثبات



للموضوع في قته الذي هو موضوع له وهذا وان لم يكن واجبا على صاحب الفن لما  
تقرر في الصناعة المنطقية أنه ليس على صاحب علم اثبات الموضوع في ذلك العلم فليس  
أيضا من المنوعات عندهم فيكون اثباته من التبرعات والله الموفق بفضلته ثم ان  
هذا الاجتماع اذا حصل للبشر كما قررناه وتم عمران العالم بهم فلا بد من وازع يدفع  
بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم وليست السلاح التي  
جعلت دافعة لعدوان الحيوانات العجم عنهم كافية في دفع العدوان عنهم لانها  
موجودة لجميعهم فلا بد من شيء آخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض ولا يكون من  
غيرهم لقصور جميع الحيوانات عن مداركهم والهامة فيكون ذلك الوازع واحدا  
منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل أحد الى غيره بعدوان  
وهذا هو معنى الملك وقد بين لك بهذا أنه خاصة للانسان طبيعية ولا بد لهم منها  
وقد يوجب في بعض الحيوانات العجم على ما ذكره الحكماء كما في النحل والجراد لما  
استقرى فيها من الحكم والالتقاء والاتباع لرئيس من أشخاصها متميز عنهم في خلقه  
وجسمانه الا أن ذلك موجود لغير الانسان بمقتضى الفطرة والهداية لا بمقتضى الفكرة  
والسياسة أعطى كل شيء خلقه ثم هدى وتزيد الفلاسفة على هذا البرهان حيث  
يحاولون اثبات النبوة بالدليل العقلي وأنها خاصة بطبيعة الانسان فيقررون هذا  
البرهان الى غايته وأنه لا بد للبشر من الحكم الوازع ثم يقولون بعد ذلك وذلك الحكم  
يكون بشرع مفروض من عند الله يأتي به واحد من البشر وأنه لا بد أن يكون متميزا  
عنهم بما يودع الله فيه من خواص هدايته ليقع التسليم له والقبول منه حتى يتم  
الحكم فيهم وعليهم من غير انكار ولا تزييف وهذه القضية للحكماء غير برهانية كما تراها اذا  
الوجود وحياة البشر قد تتم من دون ذلك بما يقرضه الحاكم لنفسه أو بالعصبة التي  
يقدر بها على قهرهم وجلهم على جادته فأهل الكتاب والمتبعون للانبياء قليلون  
بالنسبة الى المجوس الذين ليس لهم كتاب فانهم أكثر أهل العالم ومع ذلك فقد كانت  
لهم الدول والآثار فضلا عن الحياة وكذلك هي لهم لهذا العهد في الاقاليم المنحرفة  
في الشمال والجنوب بخلاف حياة البشر فوضى دون وازع لهم البتة فانه يتبع  
وهذا يتبين لك غلطهم في وجوب النبوات وأنه ليس بعقلي وانما مدركه الشرع  
كما هو مذهب السلف من الامة والله ولي التوفيق والهداية

(المقدمة الثانية)

(في قسط العمران من الارض والاشارة الى بعض ما فيه من الاشجار والانهار والاقاليم)

(اعلم)

(اعلم) أنه قد تبين في كتب الحكماء الناظرين في أحوال العالم أن شكل الارض  
كروي وأنما مخوفة بعنصر الماء كانتها عنب طافية عليه فانحسر الماء عن بعض جوانبها  
لما أراد الله من تكوير الحيوانات فيها وعمرانها بالنوع البشري الذي له الخلافة  
على سائرها وقد يتوهم من ذلك أن الماء تحت الارض وليس بصحيح وانما تحت  
الطبيعي قلب الارض ووسط كرتها الذي هو مركزها والكل يطلبه بما فيه من الثقل  
وما عد ذلك من جوانبها وأما الماء المحيط بها فهو فوق الارض وان قيل في شيء منها  
انه تحت الارض فبالاضافة الى جهة أخرى منه وأما الذي انحسر عنه الماء من  
الارض فهو النصف من سطح كرتها في شكل دائرة أحاط العنصر المائي بها من جميع  
جهات ساجرا يسمى البحر المحيط ويسمى أيضا بسلاية بتفخيم اللام الثانية ويسمى  
أوقيانوس أسماء أعجمية ويقال له البحر الاخضر والاسود ثم ان هذا المنكشف  
من الارض للعمران فيه القفار والخلاء أكثر من عمرانه والخالى من جهة الجنوب  
منه أكثر من جهة الشمال وانما المعمور منه قطعة أميل الى الجانب الشمالي على  
شكل مسطح كروي ينتهي من جهة الجنوب الى خط الاستواء ومن جهة الشمال الى  
خط كروي ووراء الجبال الفاصلة بينه وبين الماء العنصري الذي بينهما سديا جوج  
وما جوج وهذه الجبال مائلة الى جهة المشرق وينتهي من المشرق والمغرب الى  
عنصر الماء أيضا بقطعتين من الدائرة المحيطة وهذا المنكشف من الارض قالوا  
هو مقدار النصف من الكرة وأقل والمعمور منه مقدار ربعه وهو المنقسم  
بالاقاليم السبعة وخط الاستواء يقسم الارض بنصفين من المغرب الى المشرق  
وهو طول الارض وأكبر خط في كرتها كما أن منطقة فلك البروج ودائرة معدل النهار  
أكبر خط في الفلك ومنطقة البروج منقسمة بثلاثمائة وستين درجة والدرجة من  
مسافة الارض خمسة وعشرون فرسخا والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع في ثلاثة أميال  
لان الميل أربعة آلاف ذراع والذراع أربعة وعشرون أصبعاً والأصبع ست حبات  
شعير مصفوفة ملصق بعضها الى بعض ظهرا لبطن وبين دائرة معدل النهار التي تقسم  
الفلك بنصفين وتسامت خط الاستواء من الارض وبين كل واحد من القطبين تسعون  
درجة لكن العمارة في الجهة الشمالية من خط الاستواء أربع وستون درجة  
والباقي منها خلاء لا عمارة فيه لشدة البرد والجود كما كانت الجهة الجنوبية خلاء  
كلها لشدة الحر كما بين ذلك كله ان شاء الله تعالى ثم ان الخبرين عن هذا المعمور  
وحدوده وما فيه من الامصار والمدن والجبال والبحار والانهار والقفار والرمال  
مثل بطليموس في كتاب الجغرافيا وصاحب كتاب زجارج من بعده قسموا هذا المعمور



بسبعة أقسام يسمونها الأقاليم السبعة بحدود وهمية بين المشرق والمغرب متساوية في العرض مختلفة في الطول فالأقليم الأول أطول مما بعده وكذا الثاني إلى آخرها فيكون السابع أقصر لما اقتضاه وضع الدائرة الناشئة من انحسار الماء عن كرة الأرض وكل واحد من هذه الأقاليم عندهم منقسم بعشرة أجزاء من المغرب إلى المشرق على التوالي وفي كل جزء الخبر عن أحواله وأحوال عمرانه (وذكرنا) أن هذا البحر المحيط يخرج منه من جهة المغرب في الأقليم الرابع البحر الرومي المعروف يبدأ في خليج متضيق في عرض اثني عشر ميلاً ونحوها ما بين طنجة وطريف ويسمى الزقاق ثم يذهب مشرقاً وينقسم إلى عرض ستمائة ميل ونهايته في آخر الجزء الرابع من الأقاليم الرابع على ألف فرسخ ومائة وستين فرسخاً من مبدئه وعليه هنالك سواحل الشام وعليه من جهة الجنوب سواحل المغرب أولها طنجة عند الخليج ثم أفريقية ثم رقّة إلى الاسكندرية ومن جهة الشمال سواحل القسطنطينية عند الخليج ثم البنادقة ثم رومة ثم الأفرنجية ثم الاندلس إلى طريف عند الزقاق قبالة طنجة ويسمى هذا البحر الرومي والشامي وفيه جزر كثيرة عامرة كبار مثل اقريطش وقبرص وصقلية وميورقة وسردانية ودانية (قالوا) ويخرج منه في جهة الشمال بحران آخران من خليجين أحدهما مسامت للقسطنطينية يبدأ من هذا البحر متضيقاً في عرض رمية السهم ويمر ثلاثة بحار فيصل بالقسطنطينية ثم ينقسم في عرض أربعة أميال ويمر في جريه ستين ميلاً ويسمى خليج القسطنطينية ثم يخرج من فوهة عرضها ستة أميال فيمد بحرين طش وهو بحر ينحرف من هنالك في مذهبه إلى ناحية الشرق فيمر بأرض هريقلية وينتهي إلى بلاد الخزرية على ألف وثلاثمائة ميل من فوهته وعليه من الجانبين أهم من الروم والترك وبران والروس والبحر الثاني من خليجي هذا البحر الرومي وهو بحر البنادقة يخرج من بلاد الروم على سمت الشمال فإذا انتهى إلى سمت الجبل انحرف في سمت المغرب إلى بلاد البنادقة وينتهي إلى بلاد انكلية على ألف ومائة ميل من مبدئه وعلى حافته من البنادقة والروم وغيرهم أمم ويسمى خليج البنادقة (قالوا) وينساح من هذا البحر المحيط أيضاً من الشرق على ثلاث عشرة درجة في الشعاع من خط الاستواء بحراً عظيماً متسع يمتد إلى الجنوب قليلاً حتى ينتهي إلى الأقليم الأول ثم يمر فيه مغرباً إلى أن ينتهي في الجزء الخامس منه إلى بلاد الحبشة والزنج وإلى بلاد باب المندب منه على أربعة آلاف فرسخ وخمسمائة فرسخ من مبدئه ويسمى البحر الصيني والهندي والحبشي وعليه من جهة الجنوب بلاد الزنج وبلاد بربر التي ذكرها امرؤ القيس في شعره وليسوا من البربر

الذين هم قبائل المغرب ثم بلاد مقدشو ثم بلاد سفالة وأرض الواق واق وأهم آخريس بعدهم الا القفار والخلاء وعليه من جهة الشمال الصين من عند مبدئه ثم الهند ثم السند ثم سواحل اليمن من الاحقاف وزيد وغيرهما ثم بلاد الزنج عند نهايته وبعدهم الحبشة (قالوا) ويخرج من هذا البحر الحبشي بحران آخران (أحدهما) يخرج من نهايته عند باب المندب فيبدأ متضيقاً ثم يمر مستبحراً إلى ناحية الشمال ومغرباً قليلاً إلى أن ينتهي إلى مدينة القلزم في الجزء الخامس من الأقليم الثاني على ألف وأربعمائة ميل من مبدئه ويسمى بحر القلزم وبحر السويس وبينه وبين فسطاط مصر من هنالك ثلاث مراحل وعليه من جهة الشرق سواحل اليمن ثم الحجاز وجدة ثم مدين وأيلة وفاران عند نهايته ومن جهة الغرب سواحل الصعيد وعيذاب وسواكن وزيلع ثم بلاد الحبشة عند مبدئه وآخره عند القلزم يسامت البحر الرومي عند العريش وبينهما نحو ست مراحل وما زال الملوك في الاسلام وقبله يرومون خرق ما بينهما ولم يتم ذلك (والبحر الثاني) من هذا البحر الحبشي ويسمى الخليج الأخضر يخرج ما بين بلاد السند والاحقاف من اليمن ويمر إلى ناحية الشمال مغرباً قليلاً إلى أن ينتهي إلى الابله من سواحل البصرة في الجزء السادس من الأقليم الثاني على أربعمائة فرسخ وأربعين فرسخاً من مبدئه ويسمى بحر فارس وعليه من جهة الشرق سواحل السند ومكران وكرمان وفارس والابله عند نهايته ومن جهة الغرب سواحل البحرين واليمامة وعمان والشحر والاحقاف عند مبدئه وفيما بين بحر فارس والقلزم جزيرة العرب كما أنها دخلت من البر في البحر يحيط بها البحر الحبشي من الجنوب وبحر القلزم من الغرب وبحر فارس من الشرق وتفضي إلى العراق فيما بين الشام والبصرة على ألف وخمسمائة ميل بينهما وهنالك الكوفة والقادسية وبغداد وایوان كسرى والحيرة ووراء ذلك أهم الاعاجم من الترك والخزر وغيرهم وفي جزيرة العرب بلاد الحجاز في جهة الغرب منها وبلاد اليمامة والبحرين وعمان في جهة الشرق منها وبلاد اليمن في جهة الجنوب منها وسواحلها على البحر الحبشي (قالوا) وفي هذا المعمور بحر آخر منقطع من سائر البحار في ناحية الشمال بأرض الديلم يسمى بحر جرجان وطبرستان طول ألف ميل في عرض ستمائة ميل في غربيه أذربيجان والديلم وفي شرقيه أرض الترك وخوارزم وفي جنوبيه طبرستان وفي شماليه أرض الخزر واللان (هذه) جملة البحار المشهورة التي ذكرها أهل الجغرافيا (قالوا) وفي هذا الجزء المعمور أنهار كثيرة أعظمها أربعة أنهار وهي النيل والفرات ودجلة ونهر بلخ المسمى جيحون (فأما النيل) فبذو من



جبل عظيم وراء خط الاستواء بست عشرة درجة على سمت الجزء الرابع من الاقليم  
الاول ويسمى جبل القمر ولا يعلم في الارض جبل أعلى منه تخرج منه عيون كثيرة  
فيصب بعضها في بحيرة هناك وبعضها في أخرى ثم تخرج أنهار من البحيرتين فتصب  
كلها في بحيرة واحدة عند خط الاستواء على عشر مراحل من الجبل ويخرج من  
هذه البحيرة نهران يذهب أحدهما الى ناحية الشمال على سمتة ويمر ببلاد النوبة  
ثم بلاد مصر فاذا جاوزها تشعب في شعب متقارب يسمى كل واحد منها خليجا وتصب  
كلها في البحر الرومي عند الاسكندرية ويسمى نيل مصر وعليه الصعيد من شرقيه  
والواحات من غربيته ويذهب الآخر منعطفًا الى المغرب ثم يمر على سمتة الى أن يصب  
في البحر المحيط وهو نهر السودان وأسمهم كلهم على ضفتيه (وأما الفرات) فيدور من  
بلاد أرمينية في الجزء السادس من الاقليم الخامس ويمر جنوبا في أرض الروم  
وملطية الى منبج ثم يمر بصفين ثم بالرقعة ثم بالكوفة الى أن ينتهي الى البطحاء التي بين  
البصرة واسط ومن هناك يصب في البحر الحبشي وتجلب اليه في طريقه أنهار كثيرة  
ويخرج منه أنهار أخرى تصب في دجلة (وأما دجلة) فيسودها عين ببلاد  
خياط من أرمينية أيضا وتترعى سمت الجنوب بالموصل وأذربيجان وبغداد الى  
واسط فتتفرق الى خيطان كلها تصب في بحيرة البصرة وتفيض الى بحر فارس وهو في  
الشرق على عين الفرات وتجلب اليه أنهار كثيرة عظيمة من كل جانب وفيما بين  
الفرات ودجلة من أوله جزيرة الموصل قبالة الشام من عدوى الفرات وقبالة  
أذربيجان من عدوة دجلة (وأما نهر جيحون) فيسود من بلخ في الجزء الثامن  
من الاقليم الثالث من عيون هناك كثيرة وتجلب اليه أنهار عظام ويذهب من  
الجنوب الى الشمال فيمر ببلاد خراسان ثم يخرج منها الى بلاد خوارزم في الجزء الثامن  
من الاقليم الخامس فيصب في بحيرة الجرجانية التي بأسفل مدينتها وهي مسيرة شهر في  
مثله واليه ينصب نهر قرغانة والشاش الآتي من بلاد الترك وعلى غربي نهر جيحون  
بلاد خراسان وخوارزم وعلى شرقيه بلاد بخارى وترمز وسمرقند ومن هناك الى  
ما وراء بلاد الترك وقرغانة والخزلية وأهم الاعاجم وقد ذكر ذلك كله بطليموس في كتابه  
والشريف في كتاب زجار وصوروا في الجغرافيا جميع ما في المعمور من الجبال  
والبحار والودية واستوفوا من ذلك ما لا حاجة لنا به لطوله ولأن عنايتنا في الأكثر  
انما هي بالمغرب الذي هو وطن البربر والاطنان التي للعرب من المشرق والله الموفق

تكملة هذه المقدمة الثانية

(في أن الربع الشمالي من الأرض أكثر عمرانًا من الربع الجنوبي وذكر السبب في ذلك)

وهو

ونحن نرى بالمشاهدة والاخبار المتواترة أن الأول والثاني من الاقليم المعمورة أقل  
عمرًا مما بعدهما وما وجد من عمرانها فيخلله الخلاء والقفار والرمال والبحر الهندي  
الذي في الشرق منهما وأما هذين الاقليمين وأناسيهما ليست لهم الكثرة البالغة  
وأمصاره ومدنه كذلك والثالث والرابع وما بعدهما بخلاف ذلك فالقفار فيهما قليلة  
والرمال كذلك أو معدومة وأما أناسيهما فتجاوز الحد من الكثرة وأمصارها ومدنها  
تجاوز الحد عددًا والعمران فيها مندرج ما بين الثالث والسادس والجنوب خلاء كله  
وقد ذكر كثير من الحكماء أن ذلك لا فراط الحذر وقلة ميل الشمس فيها عن سمت  
الرؤس فلتوضح ذلك ببرهانه ويبين منه سبب كثرة العمارة فيما بين الثالث والرابع  
من جانب الشمال الى الخامس والسابع (فقول) ان قطبي الفلك الجنوبي والشمالي  
اذا كانا على الافق فهناك دائرة عظيمة تقسم الفلك بنصفين هي أعظم الدوائر المارة من  
المشرق الى المغرب وتسمى دائرة معتدل النهار وقد بين في موضعه من الهيئة أن الفلك  
الأعلى متحرك من المشرق الى المغرب حركة يومية يحركها ساكن الافلاك التي في جوفه  
فهذا وهذه الحركة محسوسة وكذلك بين أن الكواكب في أفلاكها حركة مخالفة  
لهذه الحركة وهي من المغرب الى المشرق ويختلف مؤداها باختلاف حركة الكواكب  
في السرعة والبطء وعمرات هذه الكواكب في أفلاكها توازيها كلها دائرة عظيمة من  
الفلك الأعلى تقسمه بنصفين وهي دائرة فلك البروج منقسمة ثاني عشر برجا وهي على  
مابين في موضعه مقاطعة لدائرة معتدل النهار على نقطتين متقابلتين من البروج هما  
أول الحمل وأول الميزان فتقسمها دائرة معتدل النهار بنصفين نصف مائل عن معتدل  
النهار الى الشمال وهو من أول الحمل الى آخر السنبلة ونصف مائل عنه الى الجنوب  
وهو من أول الميزان الى آخر الحوت واذا وقع القطبان على الافق في جميع نواحي  
الأرض كان على سطح الأرض خط واحد يسمت دائرة معتدل النهار يمر من المغرب  
الى المشرق ويسمى خط الاستواء ووقع هذا الخط بالرصد على ما زعموا في مبدأ الاقليم  
الاول من الاقليم السبعة والعمران كله في الجهة الشمالية عنه والقطب الشمالي  
يرتفع عن آفاق هذا المعمور بالتدريج الى أن ينتهي ارتفاعه الى أربع وستين درجة  
وهناك ينقطع العمران وهو آخر الاقليم السابع وإذا ارتفع على الافق تسعين  
درجة وهي التي بين القطب ودائرة معتدل النهار صار القطب على سمت الرؤس وصارت  
دائرة معتدل النهار على الافق وبقيت ستة من البروج فوق الافق وهي الشمالية  
وسبعة تحت الافق وهي الجنوبية والعمارة فيما بين الأربعة والستين الى التسعين  
ممتلئة لأن الحر والبرد حينئذ لا يحصلان فمتزجين بعد الزمان بينهما فلا يحصل التكوين

ل

خلد

٦



فاذا الشمس تسامت الرأس على خط الاستواء في رأس الحمل والميزان ثم تميل عن  
المسامة الى رأس السرطان ورأس الجدى ويكون نهاية ميلها عن دائرة  
معدل النهار أربعاً وعشرين درجة ثم اذا ارتفع القطب الشمالي عن الافق مالت  
دائرة معدل النهار عن سمت الرأس بمقدار ارتفاعه وانخفض القطب الجنوبي  
كذلك بمقدار متساو في الثلاثة وهو المسمى عند أهل المواقيت عرض  
البلد واذا مالت دائرة معدل النهار عن سمت الرأس علت عليها البروج الشمالية  
من درجة في مقدار علوها الى رأس السرطان وانخفضت البروج الجنوبية من  
الافق كذلك الى رأس الجدى لانحرافها الى الجانبين في أفق الاستواء كما قلناه فلا  
يزال الافق الشمالي يرتفع حتى يصير أبعد الشمالية وهو رأس السرطان في سمت  
الرأس وذلك حيث يكون عرض البلد أربعاً وعشرين في الجاز وما يليه وهذا  
هو الميل الذي اذا مال رأس السرطان عن معدل النهار في أفق الاستواء ارتفع  
بارتفاع القطب الشمالي حتى صار مساوياً فاذا ارتفع القطب أكثر من أربع وعشرين  
نزلت الشمس عن المسامة ولا تزال في انخفاض الى أن يكون ارتفاع القطب أربعاً  
وستين ويكون انخفاض الشمس عن المسامة كذلك وانخفاض القطب الجنوبي  
عن الافق مثلها فينقطع التكوين لافراط البرد والجذ وطول زمانه غير متزوج بالحر  
ثم ان الشمس عند المسامة وما يقاربها تبعث الاشعة على الارض على زوايا قائمة وفيما  
دون المسامة على زوايا منفرجة وحادة واذا كانت زوايا الاشعة قائمة عظم الضوء  
وانتشر بخلافه في المنفرجة والحادة فلهذا يكون الحر عند المسامة وما يقرب منها  
أكثر منه فيما بعد لان الضوء سبب الحر والتسخين \* ثم ان المسامة في خط  
الاستواء تكون مرتين في السنة عند نقطتي الحمل والميزان واذا مالت فغير بعيد ولا  
يكاد الحر يتعدل في آخر ميلها عند رأس السرطان والجدى الا وقد صعدت الى  
المسامة فتنبع الاشعة القائمة الزوايا تلج على ذلك الافق ويطول مكثها ويدوم فيشتعل  
الهواء حرارة ويفرط في شدتها وكذا ما دامت الشمس تسامت مرتين فيما بعد خط  
الاستواء الى عرض أربعة وعشرين فان الاشعة ملحة على الافق في ذلك بقرب من  
الجاحها في خط الاستواء وافرط الحريفة في الهواء تجفيفاً ويسايمع من التكوين  
لانه اذا فرط الحر جفت المياه والرطوبات وفسد التكوين في المعدن والحيوان  
والنبات اذا التكوين لا يكون الا بالرطوبة ثم اذا مال رأس السرطان عن سمت  
الرأس في عرض خمسة وعشرين فما بعده نزلت الشمس عن المسامة فصير الحر الى  
الاعتدال أو تميل عنه ميلاً قليلاً فيكون التكوين ويتزايد على التدريج الى أن يفرط

البرد في شدته لقله الضوء وكون الاشعة منفرجة الزوايا فينقص التكوين ويفسد  
الآن فساد التكوين من جهة شدة الحر أعظم منه من جهة شدة البرد لان الحر أرفع  
تأثيراً في التجفيف من تأثير البرد في الجمد فلذلك كان العمران في الاقليم الاول والثاني  
قليلاً وفي الثالث والرابع والخامس متوسط الاعتدال الحر ينقصان الضوء وفي  
السادس والسابع كثير النقصان الحر وأن كيفية البرد لا تؤثر عند أولها في فساد  
التكوين كما يفعل الحر اذ لا تجفيف فيها الا عند الافراط بما يعرض لها حينئذ من  
البيس كما بعد السابع فلهذا كان العمران في الربع الشمالي أكثر وأوفر والله أعلم \*  
ومن هنا أخذ الحكماء خلاصة خط الاستواء وما وراءه وأورد عليهم أنه معمور بالمساهدة  
والاخبار المتواترة فكيف يتم البرهان على ذلك والظاهر أنهم لم يريدوا امتناع العمران  
فيه بالكلية انما آذاهم البرهان الى أن فساد التكوين فيه قوى بافراط الحر والعمران  
فيه اما ممتنع أو ممكن أقل وهو كذلك فان خط الاستواء والذي وراءه وان كان فيه  
عمران كما نقل فهو قليل جداً (وقد زعم) ابن رشد أن خط الاستواء معتدل وأن ما وراءه  
في الجنوب بمثابة ما وراءه في الشمال فيعمر منه ما عر من هذا والذي قاله غير ممتنع من  
جهة فساد التكوين وانما امتنع فيما وراء خط الاستواء في الجنوب من جهة أن  
العنصر المائي تغمر وجه الارض هنالك الى الحد الذي كان مقابله من الجهة الشمالية  
قابلاً للتكوين ولما امتنع المعتدل لغلبة الماء تبعه ما سواه لان العمران متدرج  
ويأخذ في التدرج من جهة الوجود لا من جهة الامتناع وأما القول بامتناعه في خط  
الاستواء فبرده النقل المتواتر والله أعلم \* ولترسم بعده هذا الكلام صورة الجغرافيا  
كما رسمها صاحب كتاب زجارتهم نأخذ في تفصيل الكلام عليهم الخ

### ﴿تقسيم العالم على هذه الجغرافيا﴾

اعلم أن الحكماء قسموا هذا المعمور كما تقدم ذكره على سبعة أقسام من الشمال الى  
الجنوب يسمون كل قسم منها اقليماً فانقسم المعمور من الارض كله على هذه السبعة  
الاقليم كل واحد منها أخذ من الغرب الى الشرق على طوله \* فالاول منها ما من  
الغرب الى المشرق مع خط الاستواء بجده من جهة الجنوب وليس وراءه هنالك الا  
القفار والرمال وبعض عمارة ان صحت فهي كلاعامة ويليه من جهة شمالية الاقليم  
الثاني ثم الثالث كذلك ثم الرابع والخامس والسادس والسابع وهو آخر العمران من  
جهة الشمال وليس وراء السابع الا الخلاء والقفار الى أن ينتهي الى البحر المحيط



كلحال فيما وراء الاقاليم الاول في جهة الجنوب الا أن الخلاء في جهة الشمال أقل  
بكثير من الخلاء الذي في جهة الجنوب \* ثم ان أرملة الليل والنهار تتفاوت في  
هذه الاقاليم بسبب ميل الشمس عن دائرة معدل النهار وارتفاع القطب الشمالي عن  
آفاقها فتفاوت قوس النهار والليل لذلك وينتهي طول الليل والنهار في آخر الاقاليم  
الاول وذلك عند حلول الشمس برأس الجدي لليل وبرأس السرطان للنهار كل واحد  
منهما الى ثلاث عشرة ساعة وكذلك في آخر الاقاليم الثاني مما يلي الشمال فينتهي طول  
النهار فيه عند حلول الشمس برأس السرطان وهو منقلبها الصيفي الى ثلاث عشرة  
ساعة ونصف ساعة ومثله أطول الليل عند منقلبها الشتوي برأس الجدي ويبقى  
للاقص من الليل والنهار ما يبقى بعد الثلاث عشرة ونصف من جملة أربع وعشرين  
الساعات الزمانية لمجموع الليل والنهار وهو دورة الفلك الكاملة وكذلك في آخر  
الاقليم الثالث مما يلي الشمال أيضا ينتهيان الى أربع عشرة ساعة وفي آخر الرابع الى  
أربع عشرة ساعة ونصف ساعة وفي آخر الخامس الى خمس عشرة ساعة وفي آخر السادس  
الى خمس عشرة ساعة ونصف وفي آخر السابع الى ست عشرة ساعة وهناك ينقطع  
العمران فيكون تفاوت هذه الاقاليم في الاطول من ليالها ونهارها بنصف ساعة  
لكل اقليم يتزايد من أوله في ناحية الجنوب الى آخره في ناحية الشمال موزعة على  
أجزاء هذا البعد \* وأما عرض البلدان في هذه الاقاليم فهو عبارة عن بعد ما بين سمت  
رأس البلد ودائرة معدل النهار الذي هو سمت رأس خط الاستواء وبمثله سواء ينخفض  
القطب الجنوبي عن افق ذلك البلد ويرتفع القطب الشمالي عنه وهو ثلاثة أبعاد  
متساوية تسمى عرض البلد كما مر ذلك قبل \* والمتمكمون على هذه الجغرافيا  
قسموا كل واحد من هذه الاقاليم السبعة في طولها من المغرب الى المشرق بعشرة  
أجزاء متساوية ويذكرون ما اشتمل عليه كل جزء منها من البلدان والامصار والجبال  
والانهار والمسافات بينها في المسالك ونحن الآن نوجز القول في ذلك ونذكر مشاهير  
البلدان والانهار والبحار في كل جزء منها ونحاذي بذلك ما وقع في كتاب نزهة المشتاق  
الذي ألفه العلوي الادريسي الجودي ملك صقلية من الافرنج وهو زجاري بن زجار  
عندما كان نازلا عليه بصقلية بعد خروج صقلية من امارة مالقة وكان تأليفه للكتاب  
في منتصف المائة السادسة وجمع له كتابا للمسعودي وابن خرداذبة والحقوقي  
والقدرى وابن اسحق المنجم وبطليموس وغيرهم ونبدأ منها بالاقليم الاول الى آخرها  
والله سبحانه وتعالى يعصمنا عنه وفضله

\*(الاقليم الاول)\* وفيه من جهة غربيه الجزائر والاندلس التي منها بدأ بطليموس

بأخذ أطوال البلاد وليست في بساط الاقليم وانما هي في البحر المحيط جزر متكررة  
أكبرها وأشهرها ثلاثة ويقال انها معمورة وقد بلغنا أن سفائن من الافرنج حترت بها  
في أواسط هذه المائة وقاتلوهم فغنموا منهم وسبوا وباعوا بعض أسرارهم بسواحل  
المغرب الاقصى وصاروا الى خدمة السطان فلما تعلموا اللسان العربي أخبروا عن حال  
جزائريهم وأنهم يحتقرون الارض للزراعة بالقرون وأن الحديد مفقود بأرضهم  
وعيشهم من الشعير وما شئتهم المعز وقاتلهم بالحجارة يرمونها الى خلف وعبادتهم  
المسجود للشمس اذا طلعت ولا يعرفون دينا ولم تبلغهم دعوة ولا يوقف على مكان هذه  
الجزائر الا بالعثور لا بالقصد اليها لان سفر السفن في البحر انما هو بالرياح ومعرفة جهات  
مهابها والى أين يوصل اذا مرت على الاستقامة من البلاد التي في ممر ذلك المهبط واذا  
اختلف المهبط وعلم حيث يوصل على الاستقامة حوذي به القلع محاذة يحمل  
السفينة بها على قوائم في ذلك محصلة عند النواية والملاحين الذي هم رؤساء السفن  
في البحر والبلاد التي في حفا في البحر الرومي وفي عدونه مكتوبة كلها في صحيفة  
على شكل ماهي عليه في الوجود وفي وضعها في سواحل البحر على ترتيبها ومهاب الرياح  
ومراتها على اختلافها مرسوم معها في تلك الصحيفة ويسمونها الكنباص وعليها  
يعتمدون في أسفارهم وهذا كله مفقود في البحر المحيط فلذلك لا تلج فيه السفن  
لانها ان غابت عن مرأى السواحل فقل أن تهدي الى الرجوع اليها مع ما يتعقد في  
جو هذا البحر وعلى سطح مائه من الابخرة الممانعة للسفن في مسيرها وهي لبعدها  
لا تدركها أضواء الشمس المنعكسة من سطح الارض فتحللها فلذلك عسر الاهتداء  
اليها وصعب الوقوف على خبرها \* وأما الجزء الاول من هذا الاقليم ففيه مصب النيل  
الآتي من مبدئه عند جبل القمر كما ذكرناه ويسمى نيل السودان ويذهب الى البحر  
المحيط فيصب فيه عند جزيرة اوليك وعلى هذا النيل مدينة سلاوة وكرور وغانة  
وكلها هذا العهد في مملكة ملك مالى من امم السودان والى بلادهم تسافر تجار المغرب  
الاقصى وبالقرب منها من شمالها بلاد ملتونة وسائر طوائف الملمثين ومفاوز يجولون  
فيها وفي جنوبى هذا النيل قوم من السودان يقال لهم الملم وهم كفار ويكنون في  
وجوههم وأصداعهم وأهل غانة والتكروور يغيرون عليهم ويسبونهم ويبيعونهم للتجار  
فيجلبونهم الى المغرب وكلهم عاتمة رقيقهم وليس وراءهم في الجنوب عمران يعتبر الا  
أناسي أقرب الى الحيوان العجم من الناطق يسكنون الفيا في الكهوف ويأكلون  
العشب والحبوب غير مهياة وربما يأكل بعضهم بعضا وليسوا في عداد البشر وقواكه  
بلاد السودان كلها من قصور صحراء المغرب مثل توات وتكدراين ووركان



فكان في غانة فيما يقال ملك ودولة تقوم من العلويين يعرفون ببنى صالح وقال صاحب كتاب زجاراته صالح بن عبد الله بن حسن بن الحسن ولا يعرف صالح هذا في ولد عبد الله بن حسن وقد ذهبت هذه الدولة لهذا العهد وصارت غانة لسلطان مالى وفي شرقى هذا البلد في الجزء الثالث من هذا الاقليم بلد كوكو على نهر ينبع من بعض الجبال هناك ويعر مغربا فيغوص في رمال الجزء الثاني \* وكان ملك كوكو قائما بنفسه ثم استولى عليها سلطان مالى وأصبحت في ملكه وخربت لهذا العهد من أجل قسنة وقعت هناك كرها عند ذكر دولة مالى في محلها من تاريخ البربر وفي جنوبى بلد كوكو بلاد كاتم من احم السودان وبعدهم ونغارة على ضفة النيل من شماليه وفي شرقى بلاد ونغارة وكاتم بلاد زغاوة وتاجرة المتصلة بأرض النوبة في الجزء الرابع من هذا الاقليم وفيه عير تيل مصر ذاهبا من مبدئه عند خط الاستواء الى البحر الرومى في الشمال \* وخرج هذا النيل من جبل القمر الذى فوق خط الاستواء بست عشرة درجة واختلفوا في ضبط هذه اللفظة فضبطها بعضهم بفتح القاف والميم نسبة الى قر السماء لشدة بياضه وكثرة ضوئه وفي كتاب المشرق لياقوت بضم القاف وسكون الميم نسبة الى قوم من أهل الهند وكذا ضبطه ابن سعيد فيخرج من هذا الجبل عشرين عيون تجتمع كل خمسة منها في بحيرة وبينها ستة أميال ويخرج من كل واحدة من البحيرتين ثلاثة أنهار تجتمع كلها في بطيخة واحدة في أسفلها جبل معترض يشق البحيرة من ناحية الشمال وينقسم ماؤها بقسمين فيمر الغربى منه الى بلاد السودان مغربا حتى يصب في البحر المحيط ويخرج الشرقى منه ذاهبا الى الشمال على بلاد الحبشة والنوبة وفيما بينهما وينقسم في أعلى أرض مصر فيصب ثلاثة من جداوله في البحر الرومى عند الاسكندرية ورشيد ودمايط ويصب واحد في بحيرة ملحقة قبل أن يتصل بالبحر في وسط هذا الاقليم الاول \* وعلى هذا النيل بلاد النوبة والحبشة وبعض بلاد الواحات الى أسوان وحاضرة بلاد النوبة مدينة دنقلة وهي في غربى هذا النيل وبعدها علوة وبلاق وبعدهما جبل الجنادل على ستة مراحل من بلاق في الشمال وهو جبل عال من جهة مصر ومنخفض من جهة النوبة فينفذ فيه النيل ويصب في مهبوى بعيد صباهم ولا فلاح يمكن أن تسلك المراكب بل يحول الوسق من مراكب السودان فيحمل على الظهر الى بلد أسوان قاعدة الصعيد وكذا وسق مراكب الصعيد الى فوق الجنادل وبين الجنادل وأسوان اثنتا عشرة مرحلة والواحات في غربها عدوة النيل وهي الآن خراب وفي آثار العمارة القديمة \* وفي وسط هذا الاقليم في الجزء الخامس منه بلاد الحبشة على وادي أتى من

وراء خط الاستواء ذاهبا الى أرض النوبة فيصب هناك في النيل الهابط الى مصر وقد وهم فيه كثير من الناس وزعموا أنه من نيل القمر وطلحوس ذكره في كتاب البحر فباؤد كراته ليس من هذا النيل \* والى وسط هذا الاقليم في الجزء الخامس ينتهى بحر الهند الذى يدخل من ناحية الصين ويغمر عادة هذا الاقليم الى هذا الجزء الخامس فلا يبقى فيه عمران الا ما كان في الجزائر التى في داخله وهي ممتدة يقال تنتهى الى ألف جزيرة أو فيما على سواحلها الجنوبية وهي آخر المعمور في الجنوب أو فيما على سواحلها من جهة الشمال وليس منها في هذا الاقليم الاول الا طرف من بلاد الصين في جهة الشرق وفي بلاد اليمن \* وفي الجزء السادس من هذا الاقليم فيما بين البحرين الهابطين من هذا البحر الهندى الى جهة الشمال وهما بحر قلزم وبحر فارس وفيما بينهما جزيرة العرب وتشتمل على بلاد اليمن وبلاد الشحر في شرقها على ساحل هذا البحر الهندى وعلى بلاد الحجاز واليمامة وما اليها كما ذكره في الاقليم الثاني وما بعده فأما الذى على ساحل هذا البحر من غربيه قبل ذلك من أطراف بلاد الحبشة ومحالات الجبة في شمال الحبشة ما بين جبل العلاقى في أعالي الصعيد وبين بحر القلزم الهابط من البحر الهندى وتحت بلاد الزالع من جهة الشمال في هذا الجزء خليج باب المندب يضيق البحر الهابط هناك بزاوية جبل المندب المائل في وسط البحر الهندى تمتد مع ساحل اليمن من الجنوب الى الشمال في طول اثني عشر ميلا فيضيق البحر بسبب ذلك الى أن يصير في عرض ثلاثة أميال أو نحوها ويسمى باب المندب وعليه تمر مراكب اليمن الى ساحل السويس قريسا من مصر وتحت باب المندب جزيرة سواكن ودعلك وقبالتهم من غربيه محالات الجبة من أمم السودان كما ذكرناه ومن شرقيه في هذا الجزء تمام اليمن ومنها على ساحلها بلد على بن يعقوب وفي جهة الجنوب من بلد الزالع وعلى ساحل هذا البحر من غربيه قري بربر يتلو بعضها بعضا وينعطف مع جنوبيه الى آخر الجزء السادس ويليهما هناك من جهة شرقها بلاد الزنج ثم بلاد سفالة على ساحلها الجنوبي في الجزء السابع من هذا الاقليم وفي شرقى بلاد سفالة من ساحلها الجنوبي بلاد الواق واق متصلة الى آخر الجزء العاشر من هذا الاقليم عند مدخل هذا البحر من البحر المحيط \* وأما جزائر هذا البحر فكثيرة من أعظمها جزيرة سرديب مدورة الشكل وبها الجبل المشهور يقال ليس في الارض أعلى منه وهي قبالة سفالة \* ثم جزيرة القمر وهي جزيرة مستطيلة تبدأ من قبالة أرض سفالة وتذهب الى الشرق منحرفة كثيرا الى الشمال الى أن تقرب من سواحل أعالي الصين ويخفف بهم في هذا البحر من جنوبها جزائر الواق واق ومن شرقها جزائر السيلان الى جزائر

الجبة بضم الباء  
وفتح الجيم ويقال  
أيضا الجبة وأما  
زالع فهي زيلع اه



آخر في هذا البحر كديرة العدد وفيها أنواع الطيب والافاويه وفيها يقال معادن الذهب والزمرّد وعامة أهلها على دين المجوسية وفيهم ملوك متعدّدون وبهذه الجزائر من أحوال العمران عجائب ذكرها أهل الجغرافيا وعلى الضفة الشمالية من هذا البحر في الجزء السادس من هذا الاقليم بلاد اليمن كلها في جهة بحر القلزم بلديسد والمهجم وتهامة اليمن وبعدها بلد صعدة مقر الامامة الزيدية وهي بعيدة عن البحر الجنوبي وعن البحر الشرقي وفيما بعد ذلك مدينة عدن وفي شمالها صنعاء وبعدها إلى المشرق أرض الاحقاف وظفار وبعدها أرض حضرموت ثم بلاد الشحر ما بين البحر الجنوبي وبحر فارس \* وهذه القطعة من الجزء السادس هي التي انكشف عنها البحر من أجزاء هذا الاقليم الوسطى وينكشف بعدها قليل من الجزء التاسع وأكثر منه من العاشر فيه أعالي بلاد الصين ومن مدنه الشهيرة خاتكو وقبالتان من جهة الشرق جزائر السيلان وقد تقدّم ذكرها وهذا آخر الكلام في الاقليم الاول والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق بحمده وفضله

\* (الاقليم الثاني) \* وهو متصل بالاول من جهة الشمال وقبالة المغرب منه في البحر المحيط جزيرتان من الجزائر الخالدات التي مرّ ذكرها وفي الجزء الاول والثاني منه في الجانب الاعلى منهما أرض قنورية وبعدها في جهة الشرق أعالي أرض غانة ثم مجالات زغاوة من السودان وفي الجانب الاسفل منهما صحراء يسر متصلة من الغرب إلى الشرق ذات مفاوز تسلك فيها التجار ما بين بلاد المغرب وبلاد السودان وفيها مجالات الملمين من صنهاجة وهم شعوب كثيرة ما بين كزولة ولتونة ومسراتة ولطة ووركة وعلى سمت هذه المفاوز شرقاً أرض فزان ثم مجالات أركار من قبائل البرذاهبة إلى أعالي الجزء الثالث على سمتها في الشرق وبعدها من هذا الجزء بلاد كوار من أمم السودان ثم قطعة من أرض الباجوين وفي أسفل هذا الجزء الثالث وهي جهة الشمال منه بقية أرض ودان وعلى سمتها شرقاً أرض سنترية وتسمى الواحات الداخلة وفي الجزء الرابع من أعلاه بقية أرض الباجوين ثم يعترض في وسط هذا الجزء بلاد الصعيد حفاف النيل الذاهب من مبدئه في الاقليم الاول إلى مصبه في البحر فيمر في هذا الجزء بين الجبلين الحاجزين وهما جبل الواحات من غربيه وجبل المقطم من شرقيه وعليه من أعلاه بلاد اسنا وأرمنت ويتصل كذلك حفافيه إلى أسبوط وقوص ثم إلى صول \* ويفترق النيل هنالك على شعبين ينتهي الايمن منهما في هذا الجزء عند اللاهون واليسر عند دلاص وفيما بينهما أعالي ديار مصر وفي الشرق من جبل المقطم صحارى عيذاب ذاهبة في الجزء الخامس إلى أن

تنتهي إلى بحر السويس وهو بحر القلزم الهابط من البحر الهندي في الجنوب إلى جهة الشمال وفي عدوته الشرقية من هذا الجزء أرض الحجاز من جبل يلم إلى بلاد يثرب وفي وسط الحجاز مكة شرفها الله وفي ساحلها مدينة جدة تقابل بلدة عيذاب في العدو الغربية من هذا البحر وفي الجزء السادس من غربيه بلاد نجد أعلاها في الجنوب وتبالة وجرش إلى عكاظ من الشمال وتحت نجد من هذا الجزء بقية أرض الحجاز وعلى سمتها في الشرق بلاد نجران وخيبر وتحتها أرض اليمامة وعلى سمت نجران في الشرق أرض سبأ ومأرب ثم أرض الشحر وينتهي إلى بحر فارس وهو البحر الثاني الهابط من البحر الهندي إلى الشمال كما مر ويذهب في هذا الجزء بالبحر إلى الغرب فيمر ما بين شرقيه وجوفيه قطعة مثلثة عليها من أعلاه مدينة قلهاة وهي ساحل الشحر ثم تحتها على ساحله بلاد عمان ثم بلاد البحرين وهجر منها في آخر الجزء وفي الجزء السابع في الأعلى من غربيه قطعة من بحر فارس تتصل بالقطعة الاخرى في السادس ويغمر بحر الهند جانبه الأعلى كله وعليه هنالك بلاد السند إلى بلاد مكران ويقابلها بلاد الطوران وهي من السند أيضاً فيتصل السند كله في الجانب الغربي من هذا الجزء وتحول المفاوز بينه وبين أرض الهند وعرفيه نهره الآتي من ناحية بلاد الهند ويصب في البحر الهندي في الجنوب وأول بلاد الهند على ساحل البحر الهندي وفي سمتها شرقاً بلاد بلهر وتحتها الملتان بلاد الصنم المعظم عندهم ثم إلى أسفل من السند ثم إلى أعالي بلاد سجستان وفي الجزء الثامن من غربيه بقية بلاد بلهر من الهند وعلى سمتها شرقاً بلاد القندهار ثم بلاد منيبار وفي الجانب الأعلى على ساحل البحر الهندي وتحتها في الجانب الاسفل أرض كابل وبعدها شرقاً إلى البحر المحيط بلاد القنوج ما بين قشمر الداخلة وقشمر الخارجة عند آخر الاقليم وفي الجزء التاسع ثم في الجانب الغربي منه بلاد الهند الأقصى ويتصل فيه إلى الجانب الشرقي فيتصل من أعلاه إلى العاشر وتبقى في أسفل ذلك الجانب قطعة من بلاد الصين فيها مدينة شيغون ثم تتصل بلاد الصين في الجزء العاشر كله إلى البحر المحيط والله ورسوله أعلم وبه سبحانه والتوفيق وهو ولي الفضل والكرم

(الاقليم الثالث) هو متصل بالثاني من جهة الشمال في الجزء الاول منه وعلى نحو الثلث من أعلاه جبل درن معترض فيه من غربيه عند البحر المحيط إلى الشرق عند آخره ويسكن هذا الجبل من البربر أم لا يحصيهم الا خالقهم حسبما يأتي ذكره وفي القطعة التي بين هذا الجبل والاقليم الثاني وعلى البحر المحيط منها رباط ماسة ويتصل به شرقاً بلاد سوس ونول وعلى سمتها شرقاً بلاد درعة ثم بلاد سجلماسة ثم قطعة



من صحراء نيسر المغارة التي ذكرناها في الاقليم الثاني وهذا الجبل مطل على هذه  
البلاد كلها في هذا الجزء وهو قليل الثنايا والمسالك في هذه الناحية الغربية الى  
أن يسامت وادى ملوية فتكثر ثناياه ومسالكه الى أن ينتهي وفي هذه الناحية منه أمم  
المصامدة ثم هستانة ثم قينك ثم كدميوه ثم مشكورة وهم آخر المصامدة فيه ثم قبائل  
صنهاكة وهم صنهاجة وفي آخر هذا الجزء منه بعض قبائل زناتة ويتصل به هنالك  
من حوفيه جبل أوراس وهو جبل كامة وبعد ذلك أمم أخرى من البرابرة ثم كرههم  
في أمم كهم \* ثم أن جبل درن هذا من جهة غربية مطل على بلاد المغرب الاقصى  
وهي في جوفيه ففي الناحية الجنوبية منها بلاد مرأكش وانغمان وتادالا وعلى  
البحر المحيط منها رباط اسفي ومدينة سلا وفي الجوف عن بلاد مرأكش بلاد فاس  
ومكاسة وتازا وقصر كامة وهذه هي التي تسمى المغرب الاقصى في عرف أهلها وعلى  
ساحل البحر المحيط منها بلدان أصيلا والعرايش وفي سمت هذه البلاد شرقا بلاد  
المغرب الاوسط وقاعدتها تلسان وفي سواحلها على البحر الرومي بلد هنين ووهران  
والجزائر لان هذا البحر الرومي يخرج من البحر المحيط من خليج طنجة في الناحية  
الغربية من الاقليم الرابع ويذهب مشرقا فينتهي الى بلاد الشام فاذا خرج من الخليج  
المتصايق غير بعيدا فسمي جنوبا وشمالا فدخل في الاقليم الثالث والخامس فلهذا كان  
على ساحله من هذا الاقليم الثالث الكثير من بلاده ثم يتصل ببلاد الجزائر من  
شرقها بلاد بجاية في ساحل البحر ثم قسنطينة في الشرق منها وفي آخر الجزء الاول  
وعلى مرحلة من هذا البحر في جنوب هذه البلاد دمر تسعا الى جنوب المغرب  
الاوسط بلد أشير ثم بلد المسيلة ثم الزاب وقاعدتها بكرة تحت جبل أوراس المتصل  
بدرن كما مر وذلك عند آخر هذا الجزء من جهة الشرق والجزء الثاني من هذا الاقليم  
على هيئة الجزء الاول ثم جبل درن على نحو الثلث من جنوبه ذاهبا فيه من غرب  
الى شرق فيقسمه بقطعتين ويغمر البحر الرومي مسافة من شماله فالقطعة الجنوبية  
عن جبل درن غربيها كله مفاوز وفي الشرق منها بلد غدامس وفي سمتها شرقا  
أرض ودان التي بقيتها في الاقليم الثاني كما مر والقطعة الجوفية عن جبل درن ما بينه  
وبين البحر الرومي في الغرب منها جبل أوراس وتبسة والابيس وعلى ساحل البحر  
بلد بونة ثم في سمت هذه البلاد شرقا بلاد افر بقة فعلى ساحل البحر مدينة تونس ثم  
سوسة ثم المهديّة وفي جنوب هذه البلاد تحت جبل درن بلاد الجريد توزر وقفصة  
ونقراوة وفيما بينهما وبين السواحل مدينة القيروان وجبل وسلات وسيطة وعلى  
سمت هذه البلاد كلها شرقا بلد طرابلس على البحر الرومي وبازائها في الجنوب جبل

دمر ونقرة من قبائل هواردة متصلة بجبل درن وفي مقابلة غدامس التي مر ذكرها في  
آخر القطعة الجنوبية وآخر هذا الجزء في الشرق سويقة ابن مشكورة على البحر وفي  
جنوبها مجالات العرب في أرض ودان وفي الجزء الثالث من هذا الاقليم غير أن إضافة  
جبل درن الا أنه ينعطف عند آخره الى الشمال ويذهب على سمتة الى أن يدخل في  
البحر الرومي ويسمى هنالك طرف أوثنان والبحر الرومي من شماله غير طائفة منه الى  
أن يضابق ما بينه وبين جبل درن فالذي وراء الجبل في الجنوب وفي الغرب منه بقية  
أرض ودان ومجالات العرب فيها ثم زويلة ابن خطاب ثم رمال وقفار الى آخر الجزء  
في الشرق وفيما بين الجبل والبحر في الغرب منه بلد سرت على البحر ثم خلا وقفار تجول  
فيها العرب ثم اجداية ثم برقة عند منعطف الجبل ثم طلسة على البحر هنالك ثم في شرق  
المنعطف من الجبل مجالات هيب ورواحة الى آخر الجزء وفي الجزء الرابع من هذا  
الاقليم وفي الاعلى من غربيه صحارى برقيق وأسفل منها بلاد هيب ورواحة ثم يدخل  
البحر الرومي في هذا الجزء فيغمر طائفة منه الى الجنوب حتى يراحم طرفه الاعلى ويبقى  
بينه وبين آخر الجزء وقفار تجول فيها العرب وعلى سمتها شرقا بلاد القيوم وهي على مصب  
أحد الشعين من النيل الذي يمر على اللاهون من بلاد الصعيد في الجزء الرابع من  
الاقليم الثاني ويصب في بحيرة فيوم وعلى سمتة شرقا أرض مصر ومدينتها الشهيرة على  
الشعب الثاني الذي يمر بدلاص من بلاد الصعيد عند آخر الجزء الثاني ويفترق  
هذا الشعب افتراقة ثانية من تحت مصر على شعبين آخرين من شطونف وزفتي  
وينقسم الايمن منهما من قرط بشعين آخرين ويصب جميعها في البحر الرومي فعلى  
مصب الغربي من هذا الشعب بلاد الاسكندرية وعلى مصب الوسط بلد رشيد وعلى  
مصب الشرقي بلد دمياط وبين مصر والقاهرة وبين هذه السواحل البحرية أسافل  
الديار المصرية كلها محشوة عمراناً ونجلاً وفي الجزء الخامس من هذا الاقليم بلاد  
الشام وأكثرها على ما أصف وذلك لان بحر القلزم ينتهي من الجنوب وفي الغرب منه  
عند السويس لانه في ممره مبتدئ من البحر الهندي الى الشمال ينعطف أخذا الى  
جهة الغرب فتكون قطعة من انعطافه في هذا الجزء طويلة فينتهي في الطرف  
الغربي منه الى السويس وعلى هذه القطعة بعد السويس فاران ثم جبل الطور ثم  
أيلة مدين ثم الحوراء في آخرها ومن هنالك ينعطف بساحله الى الجنوب في أرض  
الحجاز كما مر في الاقليم الثاني في الجزء الخامس منه وفي الناحية الشمالية من هذا  
الجزء قطعة من البحر الرومي غمرت كثير من غربيه عليها القرماء والعريش وقارب  
طرفها بلاد القلزم فيضابق ما بينهما من هنالك ويبقى شبه الباب مفضيا الى أرض الشام



وفي غربي هذا الباب حص التيه أرض جرداء لا تنبت كانت محال لبني اسرائيل بعد  
خروجهم من مصر وقبل دخولهم الى الشام أربعين سنة كما قصه القرآن وفي هذه  
القطعة من البحر الرومي في هذا الجزء طائفة من جزيرة قبرس وبقيتها في الاقليم  
الرابع كما ذكره وعلى ساحل هذه القطعة عند الطرف المتضيق لبحر السويس بلد  
العريش وهو آخر الديار المصرية وعسقلان وبينهما طرف هذا البحر ثم تحط هذه  
القطعة في انعطافها من هنالك الى الاقليم الرابع عند طرابلس وغزة وهنالك ينتهي  
البحر الرومي في جهة الشرق وعلى هذه القطعة أكثر سواحل الشام ففي شرقه  
عسقلان وبانحراف يسير عنها الى الشمال بلد قيسارية ثم كذلك بلد عكا ثم صور ثم  
صيدا ثم غزة ثم ينعطف البحر الى الشمال في الاقليم الرابع ويقابل هذه البلاد  
الساحلية من هذه القطعة في هذا الجزء جبل عظيم يخرج من ساحل ايلة من بحر القلزم  
ويذهب في ناحية الشمال منحرفا الى الشرق الى أن يجاوز هذا الجزء ويسمى جبل  
اللكام وكأنه حاجز بين أرض مصر والشام ففي طرفه عند أيلة العقبة التي يمر عليها  
الحجاج من مصر الى مكة ثم بعدها في ناحية الشمال مدفن الخليل عليه الصلاة  
والسلام عند جبل السراة يتصل من عند جبل اللكام الى كور من شمال العقبة ذاهبا  
على سمت الشرق ثم ينعطف قليلا وفي شرقه عنالك بلد الحجر وديار عمود ونباء ودومة  
الجندل وهي أسفل الحجاز وفوقها جبل رضوى وحصون خيبر في جهة الجنوب عنها  
وفيما بين جبل السراة وبحر القلزم صحراء تبوك وفي شمال جبل السراة مدينة القدس  
عند جبل اللكام ثم الاردن ثم طبرية وفي شرقها بلاد الغور الى أذرعاء وفي سمتها شرقا  
دومة الجندل آخر هذا الجزء وهي آخر الحجاز \* وعند منعطف جبل اللكام الى  
الشمال من آخر هذا الجزء مدينة دمشق مقابلة صيدا وبيروت من القطعة البحرية  
وجبل اللكام يعترض بينهما وبينها وعلى سمت دمشق في الشرق مدينة بعلبك ثم مدينة  
حاص في الجهة الشمالية آخر الجزء عند منقطع جبل اللكام وفي الشرق عن بعلبك  
وحص بلد تدمر ومجالات البادية الى آخر الجزء وفي الجزء السادس من أعلاه  
مجالات الاعراب تحت بلاد نجد واليمامة ما بين جبل العرج والصمان الى البحرين  
وهجر على بحر فارس وفي أسفل هذا الجزء تحت المجالات بلاد الحيرة والقادسية  
ومغايض الفرات \* وفيما بعدها شرقا مدينة البصرة وفي هذا الجزء ينتهي بحر  
فارس عند عبادان والابله من أسفل الجزء من شماله ويصب فيه عند عبادان نهر  
دجلة بعد أن ينقسم بجداول كثيرة وتختلط به جداول أخرى من الفرات ثم تجتمع  
كلها عند عبادان وتصب في بحر فارس وهذه القطعة من البحر تسعة في أعلاه

الابله بضم الهمزة  
والباء وتشديد اللام  
ام

متضايقة في آخره في شرقه وضيقة عند منتهاه متضايقة للحد الشمالي منه وعلى  
عدوته الغربية منه أسفل البحرين وهجر والاحسا وفي غربها أخطب والصمان  
وبقية أرض اليمامة وعلى عدوته الشرقية سواحل فارس من أعلاها وهو من عند  
آخر الجزء من الشرق على طرف قدامته من هذا البحر مشرقا ورواء الى الجنوب في  
هذا الجزء جبال القفص من كرمان وتحت هرم من على الساحل بلد سيرا فونجهرم على  
ساحل هذا البحر \* وفي شرقه الى آخر الجزء وتحت هرم من بلاد فارس مثل صابور  
وداراجرد ونسا واصطخر والشاهجان وشيراز وهي قاعدتها كلها وتحت بلاد فارس  
الى الشمال عند طرف البحر بلاد خوزستان ومنها الاهواز وتستر وصدى وصابور  
والسوس ورام هرم وغيرها وأرجان وهي حتما بين فارس وخوزستان وفي شرق  
بلاد خوزستان جبال الاكراد متصلة الى نواحي اصهبان وبها مساكنهم ومجالاتهم  
وراءها في أرض فارس وتسمى الرسوم وفي الجزء السابع في الأعلى منه من المغرب  
بقية جبال القفص ويلها من الجنوب والشمال بلاد كرمان ومكران ومن مدنها  
الرودان والشيرجان وجيرفت ويزدشير والهرج وتحت أرض كرمان الى الشمال  
بقية بلاد فارس الى حدود اصهبان ومدينة اصهبان في طرف هذا الجزء ما بين غربه  
وشماله ثم في المشرق عن بلاد كرمان وبلاد فارس أرض سجستان وكوهستان في  
الجنوب وأرض كوهستان في الشمال عنها ويتوسط بين كرمان وفارس وبين سجستان  
وكوهستان في وسط هذا الجزء المفاوز العظمى القليلة المسالك لصعوبتها ومن مدن  
سجستان بست والطاق وأما كوهستان فهي من بلاد خراسان ومن مشاهير بلادها  
سرخس وقوهستان آخر الجزء \* وفي الجزء الثامن من غربه وجنوبه مجالات  
البلخ من أهم التل متصلة بأرض سجستان من غربها وأرض كابل الهند من  
جنوبها وفي الشمال عن هذه المجالات جبال الغور وبلادها وقاعدتها غزنة فرضة  
الهند وفي آخر الغور من الشمال بلاد استراباذ ثم في الشمال عنها الى آخر الجزء بلاد  
هراة وأوسط خراسان وبها اسفراين وقاشان وبوشنج ومر والروذ والطالقان والجزجان  
وتنتهي خراسان هنالك الى نهر جيحون \* وعلى هذا النهر من بلاد خراسان من  
غربه مدينة بلخ وفي شرقه مدينة ترمذ ومدينة بلخ كانت كرسى مملكة التل وهذا النهر  
نهر جيحون يخرج من بلاد وبار في حدود ديدخشان مما يلي الهند ويخرج من  
جنوب هذا الجزء وعند آخره من الشرق فينعطف عن قرب مغربا الى وسط الجزء  
ويسمى هنالك نهر خرناب ثم ينعطف الى الشمال حتى يمر بخراسان ويذهب على سمت  
الى أن يصب في بحيرة خوارزم في الاقليم الخامس كما ذكره ويمتد عند انعطافه في وسط



الجزء من الجنوب الى الشمال خمسة أشهر عظيمة من بلاد الختل والوخش من شرقيه  
 وأنهار أخرى من جبال البتم من شرقيه أيضا وجوف الجبل حتى يتسع ويعظم بما  
 لا كفا له ومن هذه الأنهار الخمسة المدة له نهر وخشاب يخرج من بلاد التبت وهي  
 بين الجنوب والشرق من هذا الجزء فيمر مغربا نحو اراف الى الشمال الى أن يخرج الى  
 الجزء التاسع قريبا من شمال هذا الجزء يعترضه في طريقه جبل عظيم يمر من وسط  
 الجنوب في هذا الجزء ويذهب مشرقا نحو اراف الى الشمال الى أن يخرج الى الجزء  
 التاسع قريبا من شمال هذا الجزء فيجوز بلاد التبت الى القطعة الشرقية الجنوبية من  
 هذا الجزء ويجول بين التبت وبين بلاد الختل وليس فيه الامسالك واحد في وسط الشرق  
 من هذا الجزء جعل فيه الفضل بن يحيى سدا ونحوه بابا كسد يا جوج وما جوج فاذا  
 خرج نهر وخشاب من بلاد التبت واعترضه هذا الجبل فيمر تحته في مدى بعيد الى  
 أن يمر في بلاد الوخش ويصب في نهر جيحون عند حدود بلخ ثم يمر هابطا الى الترمذ في  
 الشمال الى بلاد الجوزجان وفي الشرق عن بلاد الغور فيما بينها وبين نهر جيحون بلاد  
 النسان من خراسان وفي العدو الشرقية هنالك من النهر بلاد الختل وأكثرها  
 جبال وبلاد الوخش ويحدها من جهة الشمال جبال البتم يخرج من طرف  
 خراسان غربا نهر جيحون وتذهب مشرقة الى أن يتصل طرفها بالجبل العظيم الذي  
 خلفه بلاد التبت ويمر تحته نهر وخشاب كما قلناه في متصل به عند باب الفضل بن  
 يحيى ويمر نهر جيحون بين هذه الجبال وأنهار أخرى تصب فيه منها نهر بلاد الوخش  
 يصب فيه من الشرق تحت الترمذ الى جهة الشمال ونهر بلخ يخرج من جبال البتم  
 من مبدئه عند الجوزجان ويصب فيه من غربيه وعلى هذا النهر من غربيه بلاد آمد  
 من خراسان وفي شرقي النهر من هنالك أرض الصغد وأسر وشنة من بلاد التبت وفي  
 شرقها أرض فرغانة أيضا الى آخر الجزء شرقا وكل بلاد التبت تحوزها جبال البتم  
 الى شمالها وفي الجزء التاسع من غربيه أرض التبت الى وسط الجزء وفي جنوبها بلاد  
 الهند وفي شرقها بلاد الصين الى آخر الجزء وفي أسفل هذا الجزء شمالا عن بلاد التبت  
 بلاد الخزر لحيمة من بلاد التبت الى آخر الجزء شرقا وشمالا ويتصل بها من غربيها أرض  
 فرغانة أيضا الى آخر الجزء شرقا ومن شرقها أرض التغرغر من التبت الى آخر الجزء  
 شرقا وشمالا \* وفي الجزء العاشر في الجنوب منه جميعا بقية الصين وأساقله وفي  
 الشمال بقية بلاد التغرغر ثم شرقا منهم بلاد خرخر من التبت أيضا الى آخر الجزء شرقا  
 وفي الشمال من أرض خرخر بلاد كتمان من التبت وقبالتها في البحر المحيط جزيرة  
 الياقوت في وسط جبل مستدير لا منفذ منه اليها ولا مسالك وانصعود الى أعلاه من

خارجه صعب في الغاية وفي الجزيرة حيمات قتالة وحصى من الياقوت كثيرة فيجتمعا  
 أهل تلك الناحية في استخراجها بما يلزمهم الله اليه وأهل هذه البلاد في هذا الجزء  
 التاسع والعاشر فيما وراء خراسان والجبال كلها مجالات للترك أهم لا تحصى وهم  
 طوائع رحالة أهل ابل وشاء وبقر وخيل للسياح والركوب والاكل وطوائفهم  
 كثيرة لا يحصونهم الا خالقهم وفيهم مسلمون مما يلي بلاد النهر نهر جيحون وبغزون  
 الكفار منهم الدائنين بالمجوسية فيبيعون رقيقهم لمن يلبسهم ويخرجون الى بلاد  
 خراسان والهند والعراق

(الاقليم الرابع) يتصل بالثالث من جهة الشمال \* والجزء الاول منه في غربيه  
 قطعة من البحر المحيط مستطيلة من أوله جنوبا الى آخره شمالا وعليها في الجنوب  
 مدينة طنجة ومن هذه القطعة تحت طنجة من البحر المحيط الى البحر الرومي في خليج  
 متضيق بمقدار اثني عشر ميلا بين طرفيها والجزيرة الخضراء شمالا وقصر البحار  
 وبسطة جنوبا ويذهب مشرقا الى أن ينتهي الى وسط الجزء الخامس من هذا الاقليم  
 وينفسم في ذهابه بتدرج الى أن يغمر الاربعة أجزاء وأكثر الخامس ويغمر عن  
 جانبيه طرفا من الاقليم الثالث والخامس كما سنذكره ويسمى هذا البحر البحر الشامي  
 أيضا وفيه جزائر كثيرة أعظمها في جهة الغرب يابسة ثم مايرقة ثم منركة ثم سردانية ثم  
 صقلية وهي أعظمها ثم بلونس ثم اقريطس ثم قبرص كما ذكرها كلها في أجزاءها  
 التي وقعت فيها ويخرج من هذا البحر الرومي عند آخر الجزء الثالث منه وفي الجزء  
 الثالث من الاقليم الخامس خليج البنادقة يذهب الى ناحية الشمال ثم يعطف عند  
 وسط الجزء من جوفيه ويمر مغربا الى أن ينتهي في الجزء الثاني من الخامس ويخرج  
 منه أيضا في آخر الجزء الرابع شرقا من الاقليم الخامس خليج القسطنطينية يمر في  
 الشمال متضايقا في عرض رمية السهم الى آخر الاقليم ثم يفضي الى الجزء الرابع  
 من الاقليم السادس وينعطف الى بحر ينطش ذاهبا الى الشرق في الجزء الخامس  
 كله ونصف السادس من الاقليم السادس كما ذكرنا ذلك في أما كنه وعند ما يخرج هذا  
 البحر الرومي من البحر المحيط في خليج طنجة وينفسم الى الاقليم الثالث يبق في الجنوب  
 عن الخليج قطعة صغيرة من هذا الجزء فيها مدينة طنجة على مجمع البحرين وبعددها  
 مدينة سبتة على البحر الرومي ثم قطاون ثم باديس ثم يغمر هذا البحر بقية هذا الجزء  
 شرقا ويخرج الى الثالث وأكثر العمار في هذا الجزء في شماله وشمال الخليج منه وهي  
 كلها بلاد الاندلس الغربية منها ما بين البحر المحيط والبحر الرومي أولها طريف عند مجمع  
 البحرين وفي الشرق منها على ساحل البحر الرومي الجزيرة الخضراء ثم مالقة ثم المنكب



ثم المرية وتحت هذه من لدن البحر المحيط غربا وعلى مغربه منه شريش ثم لبله وقبلتها فيه جزيرة قادس وفي الشرق عن شريش ولبلة اشيلية ثم استجة وقرطبة ومديلة ثم غرناطة وجيان وأبدة ثم وادي اش وبسطة وتحت هذه شنترية وشلب على البحر المحيط غربا وفي الشرق عنهما بطليموس وماردة ويابرة ثم غافق وبزجالة ثم قلعة رياح وتحت هذه أشبونة على البحر المحيط غربا وعلى نهر باجة وفي الشرق عنها شنترين وموزية على النهر المذكور ثم قنطرة السيف ويسامت اشبونة من جهة الشرق جبل الشارات يبدأ من المغرب هنالك ويذهب مشرقا مع آخر الجزء من شماله فينتهي الى مدينة سالم فيما بعد النصف منه وتحت هذا الجبل طليعة في الشرق من فورة ثم طليعة ثم وادي الحجارة ثم مدينة سالم وعند أول هذا الجبل فيما بينه وبين اشبونة بلد قلريه هذه غربي الاندلس \* وأما شرقي الاندلس فعلى ساحل البحر الرومي منها بعد المرية قرطاجنة ثم لفته ثم دانية ثم بلنسية الى طرطوشة آخر الجزء في الشرق وتحتها شمالا ليورقة وشقورة تتاخجان بسطة وقلعة رياح من غرب الاندلس ثم مرسية شرقا ثم شاطبة تحت بلنسية شمالا ثم شقر ثم طرطوشة ثم طركونة آخر الجزء ثم تحت هذه شمالا أرض منجالة وريدة متاخجان لشقورة وطليلة من الغرب ثم افرغة شرقا تحت طرطوشة وشمالا عنها ثم في الشرق عن مدينة سالم قلعة أيوب ثم سرقسطة ثم لاردة آخر الجزء شرقا وشمالا \* والجزء الثاني من هذا الاقليم غمر الماء جميعه الاقطعة من غربيته في الشمال فيها بقية جبل البرنات ومعناه جبل الشايات والسالك يخرج اليه من آخر الجزء الأول من الاقليم الخامس يبدأ من الطرف المنتهي من البحر المحيط عند آخر ذلك الجزء جنوبا وشرقا ويتفرع في الجنوب بانحراف الى الشرق فيخرج في هذا الاقليم الرابع منحرفا عن الجزء الأول منه الى هذا الجزء الثاني فيقع فيه قطعة منه تنضي ثاياتها الى البر المتصل وتسمى أرض غشكونية وفيه مدينة خريدة وقرقشونة وعلى ساحل البحر الرومي من هذه القطعة مدينة برسلونة ثم أربونة وفي هذا البحر الذي غمر الجزء جزائر كثيرة والكثير منها غير مسكون لصغر هافي غربيته جزيرة سردانية وفي شرقيه جزيرة صقلية متسعة الاقطار يقال ان دورها سبع مائة ميل وبها مدن كثيرة من مشاهيرها سرقوسة وبلرم وطرابغة ومازروميني وهذه الجزيرة تقابل أرض افرريقية وفيما بينهما جزيرة أعدوش ومالطة \* والجزء الثالث من هذا الاقليم مغمور أيضا بالبحر الا ثلاث قطع من ناحية الشمال الغربية منها أرض قلورية والوسطى من أرض ابي كبره والشرقية من بلاد البنادقة \* والجزء الرابع من هذا الاقليم مغمور أيضا بالبحر كما مر

وجزائره كثيرة وأكبرها غير مسكون كما في الثالث والمغمور منها جزيرة بلونس في الناحية الغربية الشمالية وجزيرة اقريطش مستطيلة من وسط الجزء الى ما بين الجنوب والشرق منه \* والجزء الخامس من هذا الاقليم غمر البحر منه مثلثة كبيرة بين الجنوب والغرب ينتهي الضلع الغربي منها الى آخر الجزء في الشمال وينتهي الضلع الجنوبي منها الى نحو الثلثين من الجزء ويبقى في الجانب الشرقي من الجزء قطعة نحو الثلث يمر الشمال منها الى الغرب منعطفا مع البحر كما قلناه وفي النصف الجنوبي منها أسافل الشام ويمر في وسطها جبل اللكام الى أن ينتهي الى آخر الشام في الشمال فينعطف من هنالك ذاهبا الى القطر الشرقي الشمالي ويسمى بعد انعطافه جبل السلسلة ومن هنالك يخرج الى الاقليم الخامس ويجوز من عند منعطفه قطعة من بلاد الجزيرة الى جهة الشرق ويقوم من عند منعطفه من جهة المغرب جبال متصلة بعضها ببعض الى أن ينتهي الى طرف خارج من البحر الرومي متأخرا الى آخر الجزء من الشمال وبين هذه الجبال ثايات تسمى الدروب وهي التي تفضي الى بلاد الارمن وفي هذا الجزء قطعة منها بين هذه الجبال وبين جبل السلسلة فأما الجهة الجنوبية التي قدمنا أن فيها أسافل الشام وأن جبل اللكام معترض فيها بين البحر الرومي وآخر الجزء من الجنوب الى الشمال فعلى ساحل البحر منه بلد أنطوطوس في أول الجزء من الجنوب متاخجة لغزة وطرابلس على ساحله من الاقليم الثالث وفي شمال أنطوطوس جبله ثم اللاذقية ثم اسكندرونة ثم سلوقية وبعدها شمالا بلاد الروم وأما جبل اللكام المعترض بين البحر وآخر الجزء بحفافيه فيصاقيه من بلاد الشام من أعلى الجزء جنوبا من غربيته حصن الحوانى وهو للحشيشة الاسماعيلية ويعرفون لهذا العهد بالقداوية ويسمى الحصن مصبات وهو قبالة أنطوطوس وقبالة هذا الحصن في شرق الجبل بلدة سلمية في الشمال عن حصن وفي الشمال عن مصبات بين الجبل والبحر بلدة انطاكية ويقابلها في شرق الجبل المعرة وفي شرقها المراغة وفي شمال انطاكية المصيصة ثم أذنة ثم طرسوس آخر الشام ويحاذيها من غرب الجبل قنسرين ثم عين زربة وقبالة قنسرين في شرق الجبل حلب ويقابل عين زربة منبج آخر الشام \* وأما الدروب فعن يمينها ما بينها وبين البحر الرومي بلاد الروم التي هي لهذا العهد للتركان وسلطانها ابن عثمان وفي ساحل البحر منها بلدة انطاكية والعلايا \* وأما بلاد الارمن التي بين جبل الدروب وجبل السلسلة ففيها بالدمر عس وملطية والمعرة الى آخر الجزء الشمالي ويخرج من الجزء الخامس في بلاد الارمن نهر جيحان ونهر سيحان في شرقيه فيمر بهما جيحان جنوبا حتى يتجاوز الدروب ثم يمر بطرسوس ثم بالمصيصة ثم ينعطف هابطا الى الشمال ومغربا



حتى يصب في البحر الرومي جنوب سلوقية ويمر ثم سيمحان مواز بالنهر جحمان فيمأذي  
 المعرة ومرعش ويتجاوز جبال الدروب الى أرض الشام ثم يمر بعين زربة ويجوز عن  
 نهر جحمان ثم ينعطف الى الشمال مغربا فيختلط بنهر جحمان عند المصبة ومن غربها  
 \* وأما بلاد الجزيرة التي يحيط بها منعطف جبل اللكام الى جبل السلسلة ففي جنوبها  
 بلاد الرافضة والرقعة ثم حران ثم سروج والرها ثم نصيبين ثم سميساط وآمد تحت جبل  
 السلسلة وآخر الجزء من شماله وهو أيضا آخر الجزء من شرقيه ويمر في وسط هذه  
 القطعة نهر الفرات ونهر دجلة يخرجان من الاقليم الخامس ويمران في بلاد الارمن  
 جنوبا الى أن يتجاوزا جبل السلسلة فيمر نهر الفرات من غربي سميساط وسروج  
 وينحرف الى الشرق فيمر بقرب الرافضة والرقعة ويخرج الى الجزء السادس وتقر دجلة  
 في شرق آمد وتنعطف قريبا الى الشرق فيخرج قريبا الى الجزء السادس \* وفي  
 الجزء السادس من هذا الاقليم من غربيه بلاد الجزيرة وفي الشرق منها بلاد العراق  
 متصلة بهم انتهت في الشرق الى قرب آخر الجزء ويترص من آخر العراق هنالك جبل  
 اصبهان هابطا من جنوب الجزء منحرفا الى الغرب فاذا انتهى الى وسط الجزء من آخره  
 في الشمال يذهب مغربا الى أن يخرج من الجزء السادس ويتصل على ستمته بجبل  
 السلسلة في الجزء الخامس فينقطع هذا الجزء السادس بقطعتين غربية وشرقية ففي  
 الغربية من جنوبها يخرج الفرات من الخامس وفي شمالها يخرج دجلة منه أما  
 الفرات فأول ما يخرج الى السادس يمر بقريسيما ويخرج من هنالك جدول الى  
 الشمال ينساب في أرض الجزيرة ويغوص في نواحيها ويمر من قريسيما غير بعيد ثم  
 ينعطف الى الجنوب فيمر بقرب الخابور الى غرب الرحبة ويخرج منه جدول من هنالك  
 يمر جنوبا ويبقى صفيين في غربيه ثم ينعطف شرقا وينقسم بشعوب فيمر بعضها بالكوفة  
 وبعضها بقصر ابن هبيرة وبالجامعين وتخرج جميعا في جنوب الجزء الى الاقليم الثالث  
 فيغوص هنالك في شرق الحيرة والقادسية ويخرج الفرات من الرحبة مشرقا على  
 ستمته الى هيت من شمالها يمر الى الزاب والانبار من جنوبها ثم يصب في دجلة عند  
 بغداد \* وأما نهر دجلة فاذا دخل من الجزء الخامس الى هذا الجزء يمر مشرقا على  
 ستمته ومحاذيا لجبل السلسلة المتصل بجبل العراق على ستمته فيمر بجزيرة ابن عمر على شمالها  
 ثم يواصل كذلك وتكررت وينتهي الى الحديثة فينعطف جنوبا وتبقى الحديثة في  
 شرقيه والزاب الكبير والصغير كذلك ويمر على ستمته جنوبا وفي غرب القادسية الى أن  
 ينتهي الى بغداد ويختلط بالفرات ثم يمر جنوبا على غرب جرجان الى أن يخرج من الجزء  
 الى الاقليم الثالث فتستشر هنالك شعوبه وجداوله ثم يجتمع ويصب هنالك في بحر فارس

عند عبادان وفيما بين نهر الدجلة والفرات قبل مجعها ببغداد هي بلاد الجزيرة  
 ويختلط بنهر دجلة بعد مفارقه ببغداد نهر آخر يأتي من الجهة الشرقية الشمالية منه  
 وينتهي الى بلاد النهر وان قبالة بغداد شرقا ثم ينعطف جنوبا ويختلط بدجلة قبل خروجه  
 الى الاقليم الثالث ويبقى ما بين هذا النهر وبين جبل العراق والاعاجم بلاد جلولا وفي  
 شرقها عند الجبل بلاد حلوان وصيرة \* وأما القطعة الغربية من الجزء فيعترضها جبل  
 يبدأ من جبل الاعاجم مشرقا الى آخر الجزء ويسمى جبل شهرزور ويقسمها بقطعتين  
 وفي الجنوب من هذه القطعة الصغرى بلاد خوجان في الغرب والشمال عن اصبهان  
 وتسمى هذه القطعة بلاد الهلوس وفي وسطها بلد نهاوند وفي شمالها بلد شهرزور وعربا عند  
 ملتقى الجبلين والدي نور شرقا عند آخر الجزء وفي القطعة الصغرى الثانية طرف من بلاد  
 ارمينية قاعدتها المراغة والذي يقابلها من جبل العراق يسمى باريا وهو مساكين  
 للذكرا والزاب الكبير والصغير الذي على دجلة من ورائه وفي آخر هذه القطعة من  
 جهة الشرق بلاد اذربيجان ومنها تبريز والسيلقان وفي الزاوية الشرقية الشمالية من  
 هذا الجزء قطعة من بحريطش وهو بحر الخزر \* وفي الجزء السابع من هذا الاقليم من  
 غربيه وجنوبه معظم بلاد الهلوس وفيها همذان وقزوين وبقيتها في الاقليم الثالث  
 وفيها هنالك اصبهان ويحيط بها من الجنوب جبل يخرج من غربها ويمر بالاقليم  
 الثالث ثم ينعطف من الجزء السادس الى الاقليم الرابع ويتصل بجبل العراق في شرقيه  
 الذي مر ذكره هنالك وأنه يحيط ببلاد الهلوس في القطعة الشرقية ويحيط  
 هذا الجبل المحيط باصبهان من الاقليم الثالث الى جهة الشمال ويخرج الى هذا الجزء  
 السابع فيحيط ببلاد الهلوس من شرقها وتحتها هنالك قاشان ثم قم وينعطف في قرب  
 النصف من طريقه مغربا بعض الشيء ثم يرجع مستديرا فيذهب مشرقا ومنحرفا  
 الى الشمال حتى يخرج الى الاقليم الخامس ويشتمل على منعطفه واستدارته على بلد  
 الري في شرقيه ويبدأ من منعطفه جبل آخر يمر غربا الى آخر الجزء ومن جنوبه من  
 هنالك قزوين ومن جانبه الشمالي وجانب جبل الري المتصل معه ذاهبا الى الشرق  
 والشمال الى وسط الجزء ثم الى الاقليم الخامس بلاد طبرستان فيما بين هذه الجبال  
 وبين قطعة من بحر طبرستان ويدخل من الاقليم الخامس في هذا الجزء في نحو النصف  
 من غربيه الى شرقيه ويعترض عند جبل الري وعند انعطافه الى الغرب جبل متصل  
 يمر على ستمته مشرقا ومنحرفا قليل الى الجنوب حتى يدخل في الجزء الثامن من غربيه  
 ويبقى بين جبل الري وهذا الجبل من عند مبدا بلاد جرجان فيما بين الجبلين ومنها  
 بسطام ووراء هذا الجبل قطعة من هذا الجزء فيها بقية المفازة التي بين فارس وخراسان



وهي في شرقي قاشان وفي آخرها عند هذا الجبل بلاد استراباذ وحفاني هذا الجبل من شرقيه الى آخر الجزء بلاد نيسابور من خراسان في جنوب الجبل وشرق المغارة بلاد نيسابور ثم مر والشاهجان آخر الجزء وفي شماله وشرقي تهرجان بلاد مهرجان وخازرون وطوس آخر الجزء شرقا وكل هذه تحت الجبل وفي الشمال عنها بلاد نسا ويحيط بها عند زاوية الجزأين الشمال والشرق مغاور زمعطة \* وفي الجزء الثامن من هذا الاقليم وفي غربيه نهر جيحون ذاهبا من الجنوب الى الشمال في عدوته الغربية ثم وآمل من بلاد خراسان والظاهرية والجرجانية من بلاد خوارزم ويحيط بالزاوية الغربية الجنوبية منه جبل استراباذ المعترض في الجزء السابع قبله ويخرج في هذا الجزء من غربيه ويحيط به هذه الزاوية وفيها بقية بلاد هراة ويمر الجبل في الاقليم الثالث بين هراة والجوزجان حتى يتصل بجبل البتم كما ذكرناه هنالك وفي شرقي نهر جيحون من هذا الجزء وفي الجنوب منه بلاد بخاري ثم بلاد الصغد وقاعدتها سمرقند ثم بلاد أسروسنة ومنها خجندة آخر الجزء شرقا وفي الشمال عن سمرقند وأسروسنة أرض يلاق ثم في الشمال عن يلاق أرض الشاش الى آخر الجزء شرقا ويأخذ قطعة من الجزء التاسع في جنوب تلك القطعة بقية أرض فرغانة ويخرج من تلك القطعة التي في الجزء التاسع نهر الشاش يمر معترضا في الجزء الثامن الى أن ينصب في نهر جيحون عند مخرجه من هذا الجزء الثامن في شماله الى الاقليم الخامس ويختلط معه في أرض يلاق نهر يأتي من الجزء التاسع من الاقليم الثالث من تخوم بلاد التبت ويختلط معه قبل مخرجه من الجزء التاسع نهر فرغانة وعلى سمت نهر الشاش جبل جبراغون يبدأ من الاقليم الخامس وينعطف شرقا ومنحرفا الى الجنوب حتى يخرج الى الجزء التاسع يحيط بأرض الشاش ثم ينعطف في الجزء التاسع فيحيط بالشاش وفرغانة هنالك الى جنوبه فدخل في الاقليم الثالث وبين نهر الشاش وطرف هذا الجبل في وسط الجزء بلاد فاراب وبينه وبين أرض بخاري وخوارزم مغاور زمعطة وفي زاوية هذا الجزء من الشمال والشرق أرض خجندة وفيها بلاد السجاب وطراز \* وفي الجزء التاسع من هذا الاقليم في غربيه بعد أرض فرغانة والشاش أرض الخليلجية في الجنوب وأرض الخليجية في الشمال وفي شرق الجزء كله أرض الكيماسكية ويتصل في الجزء العاشر كله الى جبل قوقين آخر الجزء شرقا وعلى قطعة من البحر المحيط هنالك وهو جبل يأجوج ومأجوج وهذه الامم كلها من شعوب التبت انتهى

\* (الاقليم الخامس) \* الجزء الاول منه أكثره مغاور بالماء الا قليلا من جنوبه وشرقه لان البحر المحيط بهذه الجهة الغربية دخل في الاقليم الخامس والسادس

في المستر الاقليم  
ايلاق متصل  
بالقليم الشاش  
لا فصل بينهما وهو  
بكسر الهمزة  
وسكون الباء  
بعدها اه

والسابع عن الدائرة المحيطة بالاقليم فأما المنكشف من جنوبه فقطعة على شكل مثلث متصلة من هنالك بالاندلس وعليها بقيتها ويحيط بها البحر من جهتين كما أنهما ضلعان محيطان بزاوية المثلث ففيها من بقية غرب الاندلس سعيور على البحر عند أول الجزء من الجنوب والغرب وسلمكة شرقا عنها وفي جنوبها هورة وفي الشرق عن سلمكة ايلة آخر الجنوب وأرض قسالية شرقا عنها وفيها مدينة شقونية وفي شمالها أرض ليون وبرغشت ثم وراءها في الشمال أرض جليقية الى زاوية القطعة وفيها على البحر المحيط في آخر الضلع الغربي بلاد شنتياقو ومعناه يعقوب وفيها من شرق بلاد الاندلس مدينة شطلمة عند آخر الجزء في الجنوب وشرقاً عن قسالية وفي شمالها وشرقها وشقة وينبلونة على سمتها شرقا وشمالا وفي غرب ينبلونة قسالة ثم ناحرة فيمابينها وبين برغشت ويعترض وسط هذه القطعة جبل عظيم محاذ للبحر والضلع الشمالي الشرقي منه وعلى قرب ويتصل به وبطرف البحر عند ينبلونة في جهة الشرق الذي ذكرنا من قبل أن يتصل في الجنوب بالبحر الرومي في الاقليم الرابع ويصير حجرا على بلاد الاندلس من جهة الشرق وشبابه أبواب لها تفضي الى بلاد غشكونية من اقم القربج فمنها من الاقليم الرابع برشلونة واربونة على ساحل البحر الرومي وخريذة وقرقشونة وراءهما في الشمال ومنهما من الاقليم الخامس طلوشة شمالا عن خريذة \* وأما المنكشف في هذا الجزء من جهة الشرق فقطعة على شكل مثلث مستطيل زاويته الحادة وراء البرنات شرقا وفيها على البحر المحيط على رأس القطعة التي يتصل بها جبل البرنات بلديونة وفي آخر هذه القطعة في الناحية الشرقية لشمالية من الجزء أرض بنطومن القربج الى آخر الجزء وفي الجزء الثاني في الناحية الغربية منه أرض غشكونية وفي شمالها أرض بنطو وبرغشت وقد ذكرناهما وفي شرق بلاد غشكونية في شمالها قطعة أرض من البحر الرومي دخلت في هذا الجزء كالضرس مائلة الى الشرق قليلا وصارت بلاد غشكونية في غربها داخله في جون من البحر وعلى رأس هذه القطعة شمالا بلاد جنوة وعلى سمتها في الشمال جبل نيت جون وفي شماله وعلى سمتها أرض برغونة وفي الشرق عن طرف جنوة الخارج من البحر الرومي طرف آخر خارج منه يقي بينهما جون داخل من البر في البحر في غربيه بيش وفي شرقيه مدينة رومة العظمى كرسى ملك الافرنجية ومسكن البابا بتركهم الاعظم وفيها من المباني الخنمة والهيكل المهيولة والكائس العادية ما هو معروف الاخبار ومن عجائبها النهر الجاري في وسطها من المشرق الى المغرب مفروش قاعه بسلط النحاس وفيها كنيسة بطرس وبولس من الحواريين وهما مدفونان بها وفي الشمال عن بلاد رومة بلاد افرنسية الى آخر الجزء



وعلى هذا الطرف من البحر الذي في جنوبه رومة بلاد نابل في الجانب الشرقي منه متصلة ببلد قلورية من بلاد الفرنج وفي شمالها طرف من خليج البنادقة دخل في هذا الجزء من الجزء الثالث مغربا ومحاذيا للشمال من هذا الجزء وانتهى الى نحو الثلث منه وعليه كثير من بلاد البنادقة دخل في هذا الجزء من جنوبه فيما بينه وبين البحر المحيط ومن شماله بلاد انكلانية في الاقليم السادس \* وفي الجزء الثالث من هذا الاقليم في غربيه بلاد قلورية بين خليج البنادقة والبحر الرومي يحيط بهما من شرقيه يوصل من برها في الاقليم الرابع في البحر الرومي في جون بين طرفين خرجا من البحر على سمت الشمال الى هذا الجزء وفي شرق بلاد قلورية بلاد انكيريده في جون بين خليج البنادقة والبحر الرومي ويدخل طرف من هذا الجزء في الجون في الاقليم الرابع وفي البحر الرومي ويحيط به من شرقيه خليج البنادقة من البحر الرومي ذاهبا الى سمت الشمال ثم ينعطف الى الغرب محاذيا لآخر الجزء الشمالي ويخرج على سمت من الاقليم الرابع جبل عظيم يوازيه ويذهب معه في الشمال ثم يغرب معه في الاقليم السادس الى أن ينتهي قبالة خليج في شماله في بلاد انكلانية من أم اللمايين كما ذكرنا وعلى هذا الخليج وبينه وبين هذا الجبل مادام اذاهيين الى الشمال بلاد البنادقة فاذا ذهب الى المغرب فينهما بلاد حروا يانم بلاد اللمايين عند طرف الخليج \* وفي الجزء الرابع من هذا الاقليم قطعة من البحر الرومي خرجت اليه من الاقليم الرابع مفرسة كلها بقطع من البحر ويخرج منها الى الشمال وبين كل ضرسين منها طرف من البحر في الجون بينهما وفي آخر الجزء شرقا قطع من البحر ويخرج منها الى الشمال خليج القسطنطينية يخرج من هذا الطرف الجنوبي ويذهب على سمت الشمال الى أن يدخل في الاقليم السادس وينعطف من هنالك عن قرب مشرقا الى بحر ينطش في الجزء الخامس وبعض الرابع قبله والسادس بعده من الاقليم السادس كما ذكرنا وبلد القسطنطينية في شرقي هذا الخليج عند آخر الجزء من الشمال وهي المدينة العظيمة التي كانت كرسى القياصرة وبها من آثار البناء والخيام ما كثرت عنه الاحاديث والقطعة التي ما بين البحر الرومي وخليج القسطنطينية من هذا الجزء وفيها بلاد مقدونية التي كانت لليونانيين ومنها ابتداء ملكهم وفي شرقي هذا الخليج الى آخر الجزء قطعة من أرض باطوس وأظن هذا العهد محالات للترك كان وبها ملك ابن عثمان وقاعدته بهارصة وكانت من قبلهم للروم وغلبهم عليها الامم الى أن صارت للترك \* وفي الجزء الخامس من هذا الاقليم من غربيه وجنوبه أرض باطوس وفي الشمال عنها الى آخر الجزء بلاد عمورية وفي شرقي عمورية نهر قبايق الذي يبدأ القرات يخرج من

جبل هنالك ويذهب في الجنوب حتى يحاط القرات قبل وصوله من هذا الجزء الى عموره في الاقليم الرابع وهنالك في غربيه آخر الجزء في صيدانهر سيجان ثم نهر جيجان غربيه الذاهيين على سمتهم وقدمرد كرها وفي شرقه هنالك مبدأ نهر الدجلة الذاهب على سمتهم وفي موازاته حتى يحاطه عند بغداد وفي الزاوية التي بين الجنوب والشرق من هذا الجزء وراء الجبل الذي يبدأ منه نهر دجلة ببلد ميفارقين ونهر قبايق الذي ذكرناه يقسم هذا الجزء بقطعتين احدهما غربية جنوبية وفيها أرض باطوس كما قلناه وأسافلها الى آخر الجزء شمالا ووراء الجبل الذي يبدأ منه نهر قبايق أرض عمورية كما قلناه والقطعة الثانية شرقية شمالية على الثلث في الجنوب منها مبدأ الدجلة والقرات وفي الشمال بلاد البيلقان متصلة بأرض عمورية من وراء جبل قبايق وهي عريضة وفي آخرها عند مبدأ القرات بلد خرشنة وفي الزاوية الشرقية الشمالية قطعة من بحر ينطش الذي يمتد خليج القسطنطينية \* وفي الجزء السادس من هذا الاقليم في جنوبه وغربه بلاد ارمينية متصلة الى أن يتجاوز وسط الجزء الى جانب الشرق وفيها بلاد أردن في الجنوب والغرب وفي شمالها تغليس وديبل وفي شرق أردن مدينة خلط ثم بردعة وفي جنوبها باخرا في الى الشرق مدينة ارمينية ومن هنالك يخرج بلاد ارمينية الى الاقليم الرابع وفيها هنالك بلد المراغة في شرقي جبل الاكراد المسمى بارمي وقدمرد كره في الجزء السادس منه ويتأخم بلاد ارمينية في هذا الجزء وفي الاقليم الرابع قبله من جهة الشرق فيها بلاد أذر بيجان وآخرها في هذا الجزء شرقا بلاد أرييل على قطعة من بحر طبرستان دخلت في الناحية الشرقية من الجزء السابع ويسمى بحر طبرستان وعليه من شماله في هذا الجزء قطعة من بلاد الخزر وهم التركمان ويبدأ من عند آخر هذه القطعة البحرية في الشمال جبال يتصل بعضها ببعض على سمت الغرب الى الجزء الخامس فتمت فيه منعطفة ومحطة ببلد ميفارقين ويخرج الى الاقليم الرابع عند آمد ويتصل بجبل السلسلة في أسافل الشام ومن هنالك يتصل بجبل اللكام كما مر وبين هذه الجبال الشمالية في هذا الجزء ثانيا كالأبواب تفضي من الجانبين في جنوبها بلاد الأبواب متصلة في الشرق الى بحر طبرستان وعليه من هذه البلاد مدينة باب الأبواب وتتصل بلاد الأبواب في الغرب من ناحية جنوبها ببلد ارمينية وبينهما في الشرق وبين بلاد أذر بيجان الجنوبية بلاد الزاب متصلة الى بحر طبرستان وفي شمال هذه الجبال قطعة من هذا الجزء في غربيها مملكة السمرق في الزاوية الغربية الشمالية منها وفي زاوية الجزء ككله قطعة أيضا من بحر ينطش الذي يمتد خليج القسطنطينية وقدمرد كره ويحفر هذه القطعة من ينطش بلاد



السريرو عليها منها بلد أطر ابريدة وتمتد بلاد السريرو بين جبل الابواب والجهة الشمالية من الجزء الى أن ينتهي شرقا الى جبل حاجز بينهما وبين أرض الخزر وعند آخرها مدينة صول ووراء هذا الجبل الحاجر قطعة من أرض الخزر تنتهي الى الزاوية الشرقية الشمالية من هذا الجزء من بحر طبرستان وآخر الجزء شمالا \* والجزء السابع من هذا الاقليم غربيه كله مغمور بحر طبرستان وخرج من جنوبه في الاقليم الرابع القطعة التي ذكرنا هنالك أن عليها بلاد طبرستان وجبال الديلم الى قزوين وفي غربي تلك القطعة متصلة بها القطعة التي في الجزء السادس من الاقليم الرابع ويتصل بها من شمالها القطعة التي في الجزء السادس من شرقه أيضا وينكشف من هذا الجزء قطعة عند زاوية الشمالية الغربية يصب فيها نهر اثل في هذا البحر ويبقى من هذا الجزء في ناحية الشرق قطعة منكشفة من البحر هي مجالات للغز من أمم الترك يحيط بها جبل من جهة الجنوب داخل في الجزء الثامن ويذهب في الغرب الى مادون وسطه فينعطف الى الشمال الى أن يلاقى بحر طبرستان فيحتمل به ذاهبا معه الى بقيته في الاقليم السادس ثم ينعطف مع طرفه وينفارقه ويسمى هنالك جبل سياد ويذهب مغربا الى الجزء السادس من الاقليم السادس ثم يرجع جنوبا الى الجزء السادس من الاقليم الخامس وهذا الطرف منه هو الذي اعترض في هذا الجزء بين أرض السريرو وأرض الخزر واتصلت أرض الخزر في الجزء السادس والسابع حقا في هذا الجبل المسمى جبل سياد كما سيأتي \* والجزء الثامن من هذا الاقليم الخامس كله مجالات للغز من أمم الترك وفي الجهة الجنوبية الغربية منه بحيرة خوارزم التي يصب فيها نهر جيحون دورها ثلثائة ميل ويصب فيها أنهار كثيرة من أرض هذه المجالات وفي الجهة الشمالية الشرقية منه بحيرة عرعون دورها أربع مائة ميل وماؤها حلو وفي الناحية الشمالية من هذا الجزء جبل مرغار ومعناه جبل الثلج لانه لا يذوب فيه وهو متصل بآخر الجزء وفي الجنوب عن بحيرة عرعون جبل من الحجر الصلد لا ينبت شيئا يسمى عرعون وبه سميت البحيرة وينجلب منه ومن جبل مرغار شمالا البحيرة أنها لا تنحصر عتتها فتصب فيها من الجانبين \* وفي الجزء التاسع من هذا الاقليم بلاد أركس من أمم الترك في غرب بلاد الغز وشرق بلاد الكيما كية ويحفر به من جهة الشرق آخر الجزء جبل قوقيا المحيط بأجوج ومأجوج يعترض هنالك من الجنوب الى الشمال حتى ينعطف أول دخوله من الجزء العاشر وقد كان دخل اليه من آخر الجزء العاشر من الاقليم الرابع قبله احتف هنالك بالبحر المحيط الى آخر الجزء في الشمال ثم انعطف مغربا في الجزء العاشر من الاقليم الرابع الى مادون نصفه وأحاط من أقوله الى هنا بلاد

الكيما كية ثم خرج الى الجزء العاشر من الاقليم الخامس فذهب فيه مغربا الى آخره وبقيت في جنوبه من هذا الجزء قطعة مستطيلة الى الغرب قبل آخر بلاد الكيما كية ثم خرج الى الجزء التاسع في شرقه وفي الاعلى منه وانعطف قريبا الى الشمال وذهب على سبته الى الجزء التاسع من الاقليم السادس وفيه السد هنالك كما ذكره وبقيت منه القطعة التي أحاط بها جبل قوقيا عند الزاوية الشرقية الشمالية من هذا الجزء مستطيلة الى الجنوب وهي من بلاد مأجوج ومأجوج وفي الجزء العاشر من هذا الاقليم أرض مأجوج متصلة فيه كله الا قطعة من البحر المحيط غمرت طرفا في شرقه من جنوبه الى شماله والا القطعة التي يفصلها الى جهة الجنوب والغرب جبل قوقيا حين مرت فيه وما سوى ذلك فأرض مأجوج ومأجوج والله سبحانه وتعالى أعلم

\* (الاقليم السادس) فالجزء الاول منه غمر البحر أكثر من نصفه واستدار شرقا مع الناحية الشمالية ثم ذهب مع الناحية الشرقية الى الجنوب وانتهى قريبا من الناحية الجنوبية فأنكشف قطعة من هذه الارض في هذا الجزء داخله بين طرفين وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من البحر المحيط كالبحون فيه وينفسح طولاً وعرضاً وهي كلها أرض بريطانية وفي بابها بين الطرفين وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من هذا الجزء بلاد صاقس متصلة ببلاد بنطو التي مر ذكرها في الجزء الاول والثاني من الاقليم الخامس \* والجزء الثاني من هذا الاقليم دخل البحر المحيط من غربه وشماله فن غربه قطعة مستطيلة أكبر من نصفه الشمالي من شرق أرض بريطانية في الجزء الاول واتصلت بها القطعة الاخرى في الشمال من غربه الى شرقه وانفسحت في النصف الغربي منه بعض الشيء وفيه هنالك قطعة من جزيرة انكاطرة وهي جزيرة عظيمة متسعة مشتملة على مدن وبها ملك ضخم وبقيتها في الاقليم السابع وفي جنوب هذه القطعة وجزيرتها في النصف الغربي من هذا الجزء بلاد ارمندية وبلاد افلاطش متصلين بها ثم بلاد افرسية جنوبا وغربا من هذا الجزء وبلاد برغونية شرقا عنها وكلها الامم الافرنجية وبلاد اللامانيين في النصف الشرقي من الجزء فجنوبه بلاد انكلاية ثم بلاد برغونية شمالا ثم أرض لهويكة وشطونية وعلى قطعة البحر المحيط في الزاوية الشمالية الشرقية أرض افريرة وكلها الامم اللامانيين \* وفي الجزء الثالث من هذا الاقليم في الناحية الغربية بلاد مراثيه في الجنوب وبلاد شطونية في الشمال وفي الناحية الشرقية بلاد انكوية في الجنوب وبلاد بلونية في الشمال يعترض بينهما جبل بلواط داخل من الجزء الرابع ويمر مغربا نحو اف الى الشمال الى أن يقف في بلاد شطونية آخر النصف الغربي \* وفي الجزء الرابع في ناحية الجنوب أرض جثولية وتحتها في الشمال بلاد الروسية



وفصل بينهما جبل بلواط من أول الجزء غربا إلى أن يقف في النصف الشرقي وفي شرق أرض جنولمة بلاد جرمانية وفي الزاوية الجنوبية الشرقية أرض القسطنطينية ومدينتها عند آخر الخليج الخارج من البحر الرومي وعند مدفعه في بحر نيطنس قبعة قطيعة من بحر نيطنس في أعلى الناحية الشرقية من هذا الجزء ويمتد بها الخليج وينتهي في الزاوية ببلد مسينا \* وفي الجزء الخامس من الأقاليم السادس ثم في الناحية الجنوبية عند بحر نيطنس يصل من الخليج في آخر الجزء الرابع ويخرج على سبعة مشرقا فيمتر في هذا الجزء كله وفي بعض السادس على طول ألف وثلاثمائة ميل من مبدئه في عرض ستمائة ميل ويبقى وراء هذا البحر في الناحية الجنوبية من هذا الجزء في غربها إلى شرقها بر مستطيل في غربه هرقلية على ساحل بحر نيطنس متصلة بأرض ليلقان من الأقاليم الخامس وفي شرقه بلاد اللاذقية وقاعدتها سوتلى على بحر نيطنس وفي شمال بحر نيطنس في هذا الجزء غربا أرض ترخان وشرقها بلاد الروسية وكلها على ساحل هذا البحر وبلاد الروسية محيطة ببلاد ترخان من شرقها في هذا الجزء من شمالها في الجزء الخامس من الأقاليم السابع ومن غربها في الجزء الرابع من هذا الأقاليم \* وفي الجزء السادس في غربيه بقية بحر نيطنس وينحرف قليلا إلى الشمال ويبقى بينه هنالك وبين آخر الجزء شمالا بلاد قانية وفي جنوبه ومنفسحا إلى الشمال بما انحرف هو كذلك بقية بلاد اللاذقية التي كانت آخر جنوبه في الجزء الخامس وفي الناحية الشرقية من هذا الجزء متصل أرض الخزر وفي شرقها أرض برطاس وفي الزاوية الشرقية الشمالية أرض بلغار وفي الزاوية الشرقية الجنوبية أرض بلجور بها هنالك قطعة من جبل سياه كوه المنعطف مع بحر الخزر في الجزء السابع بعده ويذهب بعد مفارقتة مغربا فيجوز في هذه القطعة ويدخل إلى الجزء السادس من الأقاليم الخامس فيتصل هنالك بجبل الأبواب وعليه من هنالك ناحية بلاد الخزر \* وفي الجزء السابع من هذا الأقاليم في الناحية الجنوبية ما جازه جبل سياه بعد مفارقتة بحر طبرستان وهو قطعة من أرض الخزر إلى آخر الجزء غربا وفي شرقها القطعة من بحر طبرستان التي يجوزها هذا الجبل من شرقها وشمالها ووراء جبل سياه في الناحية الغربية الشمالية أرض برطاس وفي الناحية الشرقية من الجزء أرض سحر وبمخالك وهم أم الترك \* وفي الجزء الثامن والناحية الجنوبية منه كلها أرض الجوخ من الترك في الناحية الشمالية غربا والأرض الممتدة وشرق الأرض التي يقال إن بأجوج ومأجوج خربوها قبل بناء السد وفي هذه الأرض الممتدة مبدأ نهر النيل من أعظم أنهار العالم وممره في بلاد الترك ومصبه في بحر طبرستان

في الأقاليم الخامس في الجزء السابع منه وهو صكثير الانعطاف يخرج من جبل في الأرض الممتدة من ثلاثة ينابيع تجتمع في نهر واحد ويمر على سمت الغرب إلى آخر السابع من هذا الأقاليم فينعطف شمالا إلى الجزء السابع من الأقاليم السابع فيمتر في طرفه بين الجنوب والمغرب فيخرج في الجزء السادس من السابع ويذهب مغربا غير بعيد ثم ينعطف ثانية إلى الجنوب ويرجع إلى الجزء السادس من الأقاليم السادس ويخرج منه جدول يذهب مغربا ويصب في بحر نيطنس في ذلك الجزء ويمر في قطعة بين الشمال والشرق في بلاد بلغار فيخرج في الجزء السابع من الأقاليم السادس ثم ينعطف ثالثة إلى الجنوب وينفذ في جبل سياه ويمر في بلاد الخزر ويخرج إلى الأقاليم الخامس في الجزء السابع منه فيصب هنالك في بحر طبرستان في القطعة التي انكشفت من الجزء عند الزاوية الغربية الجنوبية وفي الجزء التاسع من هذا الأقاليم في الجانب الغربي منه بلاد خفشاخ من الترك وهم قفقاق وبلاد التركس منهم أيضا وفي الشرق منه بلادياً جوج يفصل بينهما جبل قوقيا المحيط وقد مر ذكره يبدأ من البحر المحيط في شرق الأقاليم الرابع ويذهب معه إلى آخر الأقاليم في الشمال ويفارقه مغربا وبانحراف إلى الشمال حتى يدخل في الجزء التاسع من الأقاليم الخامس فيرجع إلى سمتة الأول حتى يدخل في هذا الجزء التاسع من الأقاليم من جنوبه إلى شماله بانحراف إلى المغرب وفي وسطه ههنا السد الذي بناه الاسكندر ثم يخرج على سمتة إلى الأقاليم السابع وفي الجزء التاسع منه فيمتر فيه إلى الجنوب إلى أن يلقى البحر المحيط في شماله ثم ينعطف معه من هنالك مغربا إلى الأقاليم السابع إلى الجزء الخامس منه فيتصل هنالك بقطعة من البحر المحيط في غربيه وفي وسط هذا الجزء التاسع هو السد الذي بناه الاسكندر كما قلناه والصحيح من خبره في القرآن وقد ذكر عبد الله بن خرداذبه في كتابه في الجغرافيا أن الواثق رأى في منامه كأن السد انفتح فأتته فرعا وبعث سلاما للترجمان فوقف عليه وجاء بحجره ووصفه في حكاية طويلة ليست من مقاصد كتابنا \* وفي الجزء العاشر من هذا الأقاليم بلاد مأجوج متصلة فيه إلى آخره على قطعة من هنالك من البحر المحيط أحاطت به من شرقه وشماله مستطيلة في الشمال وعريضة بعض الشيء في الشرق

(الأقاليم السابع) والبحر المحيط قد غمر عاصمته من جهة الشمال إلى وسط الجزء الخامس حيث يتصل بجبل قوقيا المحيط بأجوج ومأجوج \* فالجزء الأول والثاني مغموران بالماء إلا ما انكشف من جزيرة انكطره التي معظمها في الثاني وفي الأول منها طرف انعطاف بانحراف إلى الشمال وبقية مع قطعة من البحر مستديرة عليه في الجزء الثاني



من الاقليم السادس وهي مذكورة هناك والمجاز منها الى البر في هذه القطعة سعة اثني عشر ميلا ووراء هذه الجزيرة في شمال الجزء الثاني جزيرة رسلانده مستطيلة من الغرب الى الشرق \* والجزء الثالث من هذا الاقليم مغموراً كثرة بالبحر الاقطعة مستطيلة في جنوبه وتتسع في شرقها وفيها هنالك متصل أرض فلونية التي مر ذكرها في الثالث من الاقليم السادس وانها في شماله وفي القطعة من البحر التي تغمر هذا الجزء ثم في الجانب الغربي منها مستديرة فسيحة وتتصل بالبر من باب في جنوبها يقضي الى بلاد فلونية وفي شمالها جزيرة بوقاعة مستطيلة مع الشمال من المغرب الى المشرق \* والجزء الرابع من هذا الاقليم شماله كله مغمور بالبحر المحيط من المغرب الى المشرق وجنوبه منكشف وفي غربه أرض قيمانك من الترك وفي شرقها بلاد طست ثم أرض رسلانده الى آخر الجزء شرقا وهي دائرة التلوج وعمرانها قليل ويتصل ببلاد الروسية في الاقليم السادس وفي الجزء الرابع والخامس منه \* وفي الجزء الخامس من هذا الاقليم في الناحية الغربية منه بلاد الروسية وينتهي في الشمال الى قطعة من البحر المحيط التي يتصل بها جبل قوقيا كما ذكرناه من قبل وفي الناحية الشرقية منه متصل أرض القمانيه التي على قطعة بحري طس من الجزء السادس من الاقليم السادس وينتهي الى بحيرة طرمي من هذا الجزء وهي عذبة تنجلب اليها الانهار كثيرة من الجبال عن الجنوب والشمال وفي شمال الناحية الشرقية من هذا الجزء أرض التتارية من التركان الى آخره \* وفي الجزء السادس من الناحية الغربية الجنوبية متصل بلاد القمانيه وفي وسط الناحية بحيرة عمور عذبة تنجلب اليها الانهار من الجبال في النواحي الشرقية وهي جامدة دائماً الشدة البرد الا قليلا في زمن الصيف وفي شرق بلاد القمانيه بلاد الروسية التي كان مبدؤها في الاقليم السادس في الناحية الشرقية الشمالية من الجزء الخامس منه وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من هذا الجزء بقية أرض بلغار التي كان مبدؤها في الاقليم السادس وفي الناحية الشرقية الشمالية من الجزء السادس منه وفي وسط هذه القطعة من أرض بلغار منعطف نهر اثل القطعة الاولى الى الجنوب كما مر وفي آخر هذا الجزء السادس من شماله جبل قوقيا متصل من غربه الى شرقه \* وفي الجزء السابع من هذا الاقليم في غربه بقية أرض يحنالك من أم الترك وكان مبدؤها من الناحية الشمالية الشرقية من الجزء السادس قبله وفي الناحية الجنوبية الغربية من هذا الجزء ويخرج الى الاقليم السادس من فوقه وفي الناحية الشرقية بقية أرض سحر ب ثم بقية الأرض المنتنة الى آخر الجزء شرقا وفي آخر الجزء من جهة الشمال جبل قوقيا المحيط متصلا من غربه الى شرقه \* وفي الجزء

الثامن من هذا الاقليم في الجنوبية الغربية منه متصل الأرض المنتنة وفي شرقها الأرض المحفورة وهي من العجائب خرق عظيم في الأرض بعيد المهوى فسيج الاقطار تمتنع الوصول الى قعره يستدل على عمرانه بالدخان في النهار والنيران في الليل تضيء وتختفي وربما روى فيها نهر يشقها من الجنوب الى الشمال وفي الناحية الشرقية من هذا الجزء البلاد الخراب المتاخمة للسد وفي آخر الشمال منه جبل قوقيا متصلا من الشرق الى الغرب \* وفي الجزء التاسع من هذا الاقليم في الجانب الغربي منه بلاد خفشاخ وهم قفق قيقوزها جبل قوقيا حين ينعطف من شماله عند البحر المحيط ويذهب في وسطه الى الجنوب بانحراف الى الشرق فيخرج في الجزء التاسع من الاقليم السادس ويمر بمنعطفه وفي وسطه هنالك سد يأجوج ومأجوج وقد ذكرناه وفي الناحية الشرقية من هذا الجزء أرض يأجوج وراء جبل قوقيا على البحر قليلة العرض مستطيلة أحاطت به من شرقه وشماله \* والجزء العاشر غمر بالبحر جميعه \* هذا آخر الكلام على الجغرافيا وأقاليم السبعة وفي خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لايات للعالمين

### \*( المقدمة السابعة ) \*

( في المعتدل من الاقاليم والمنحرف وتأثير الهواء في ألوان البشر والتأثير من أحوالهم )

( قدينا ) أن المعمور من هذا المنكشف من الأرض انما هو وسطه لا فراط الحرق في الجنوب منه والبرد في الشمال \* ولما كان الجانبان من الشمال والجنوب متضادين في الحر والبرد وجب أن تتدرج الكيفية من كليهما الى الوسط فيكون معتدلا فالاقليم الرابع أعدل العمران والذي خفا فيه من الثالث والخامس أقرب الى الاعتدال والذي يليهما والثاني والسادس بعيدان من الاعتدال والاول والسابع أبعد بكثير فلهذا كانت العلوم والصنائع والمباني والملابس والاقوات والقواكل والحيوانات وجميع ما يتبعه في هذه الاقاليم الثلاثة المتوسطة مخصوصة بالاعتدال وسكانها من البشر أعدل أجساما وألوانا وأخلاقا وأديانا حتى النبوات فأنما وجد في الاكثر فيها ولم تنف على خبر بعثة في الاقاليم الجنوبية ولا الشمالية وذلك أن الانبياء والرسل انما يختص بهم أكل النوع في خلقهم وأخلاقهم قال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس وذلك لامتثالكم لما يأمرونهم به الانبياء من عند الله وأهل هذه الاقاليم أكل لوجود الاعتدال لهم فجددهم على غاية من التوسط في مساكنهم وملابسهم وأقواتهم ومنازلهم يتخذون البيوت



المتحدة بالحجارة المتينة بالصناعة ويتناغون في استجداء الآلات والمواعين ويذهبون في ذلك إلى الغاية وتوجد لديهم المعادن الطبيعية من الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والقصدير ويتصرفون في معاملاتهم بالنقد والعزيرين ويعبدون عن الانحراف في عامة أحوالهم وهؤلاء أهل المغرب والشام والحجاز واليمن والعراقين والهند والسند والصين وكذلك الاندلس ومن قرب منها من الفرنجة والجلالقة والروم واليونانيين ومن كان مع هؤلاء أو قرى بهم في هذه الأقاليم المعتدلة ولهذا كان العراق والشام أعذب هذه كلها لأنها وسط من جميع الجهات \* وأما الأقاليم البعيدة من الاعتدال مثل الأول والثاني والسادس والسابع فأهلها أبعد من الاعتدال في جميع أحوالهم فبنائهم بالطين والقصب وأقواتهم من الذرة والعشب وملابسهم من أوراق الشجر يخصصونها عليهم وأجلود وأكثرتهم عرايا من اللباس وفواكه بلادهم وأدمها غريبة التكوين مائلة إلى الانحراف ومعاملاتهم بغير الجرين الشريفيين من نحاس أو حديد أو جلود يقتدرونها للمعاملات وأخلاقهم مع ذلك قريبة من خلق الحيوانات العجم حتى ينقل عن الكثير من السودان أهل الأقاليم الأول أنهم يسكنون الكهوف والغياض ويأكلون العشب وأنهم متوحشون غير مستأنسين يأكل بعضهم بعضا وكذا الصقالب والسبب في ذلك أنهم لبعدهم عن الاعتدال يقرب عرض أمزجتهم وأخلاقهم من عرض الحيوانات العجم ويعبدون عن الانسانية بقدر ذلك وكذلك أحوالهم في الديانة أيضا فلا يعرفون نبوة ولا يدينون بشريعة إلا من قرب منهم من جوارب الاعتدال وهو في الأقل النادر مثل الحبشة المجاورين لليمن الدائنين بالنصرانية فيما قبل الإسلام وما بعده لهذا العهد ومثل أهل مالي وكوكو والتكرور والمجاورين لأرض المغرب الدائنين بالإسلام لهذا العهد يقال أنهم دانوا به في المائة السابعة ومثل من دان بالنصرانية من أمم الصقالبة والافرنجة والترس من الشمال ومن سوى هؤلاء من أهل تلك الأقاليم المنحرفة جنوبا وشمالا فالدين مجهول عندهم والعلم مفقود بينهم وجميع أحوالهم بعيدة من أحوال الاناسي قريبة من أحوال البهائم ويخلق ما لا تعلمون ولا يعترض على هذا القول بوجود اليمن وحضرموت والاحقاف وبلاد الحجاز واليمامة وما إليها من جزيرة العرب في الأقاليم الأول والثاني فإن جزيرة العرب كلها أحاطت بها البحار من الجهات الثلاث كما ذكرنا فكان لرطوبة أثر في رطوبة هوائها فنقص ذلك من اليبس والانحراف الذي يقتضيه الحس وصار فيها بعض الاعتدال بسبب رطوبة البحر \* وقد توهم بعض النسابين ممن لا علم لديه بطبائع

الكائنات أن السودان هم ولد حام بن نوح اختصوا بلون السواد لدعوة سكنت عليه من أبيه ظهر أثرها في لونه وفيما جعل الله من الرق في عقبه ونقلون في ذلك حكاية من خرافات القصص ودعا نوح على ابنه حام قد وقع في التوراة وليس فيه ذكر السواد وإنما دعا عليه بأن يكون ولده عبدا لولده أخوته لا غيره وفي القول بنسبة السواد إلى حام غفلة عن طبيعة الحر والبرد وأثرهما في الهواء وفيما يتكون فيهم من الحيوانات وذلك أن هذا اللون شمل أهل الأقاليم الأول والثاني من مزاج هوائهم للحرارة المتضاعفة بالجنوب فإن الشمس تسامت رؤسهم مرتين في كل سنة قريبة أحدهما من الأخرى فتطول المسامحة عامة الفصول فيكثر الضوء لاجلها وبلغ القبط الشديد عليهم وتسود جلودهم لاقراط الحر وتظير هذين الأقليمين عما يقابلها من الشمال الأقليم السابع والسادس شمل سكانها أيضا البياض من مزاج هوائهم للبرد المفرط بالشمال إذا الشمس لا تزال بأفقهم في دائرة مرق العيون أو ما قرب منها ولا ترتفع إلى المسامحة ولا ما قرب منها فيضعف الحر فيها ويستبدل البرد عامة الفصول فتبيض ألوان أهلها وتنتهي إلى الزعورة ويتبع ذلك ما يقتضيه مزاج البرد المفرط من زرقة العيون وبرش الجلود وصهوبة الشعور وتوسط بينهما الأقاليم الثلاثة الخامس والرابع والثالث فكان لهما في الاعتدال الذي هو مزاج المتوسط حظ وافر والرابع أبلغها في الاعتدال غاية لنهايته في المتوسط كما قدمناه فكان لأهله من الاعتدال في خلقهم وخلقهم ما اقتضاه مزاج أهويتهم وتبعه عن جانبه الثالث والخامس وإن لم يبلغا غاية المتوسط لميل هذا قليلا إلى الجنوب الحار وهذا قليلا إلى الشمال البارد إلا أنهم لم ينتهيا إلى الانحراف وكانت الأقاليم الأربعة منحرفة وأهلها كذلك في خلقهم وخلقهم فالأول والثاني للحر والسواد والسابع والسادس للبرد والبياض ويسمى سكان الجنوب من الأقليم الأول والثاني باسم الحبشة والزنج والسودان أسماء مترادفة على الأمم المتغيرة بالسواد وإن كان اسم الحبشة مختصا منهم عن تجاه مكة واليمن والزنج عن تجاه بحر الهند وليست هذه الأسماء لهم من أجل اتساعهم إلى آدمي أسود لا حام ولا غيره وقد نجد من السودان أهل الجنوب من يسكن الرابع المعتدل أو السابع المنحرف إلى البياض فتبيض ألوان أعقابهم على التدريج مع الأيام وبالعكس فيمن يسكن من أهل الشمال أو الرابع بالجنوب تسود ألوان أعقابهم وفي ذلك دليل على أن اللون تابع لمزاج الهواء قال ابن سينا في أوجزته في الطب

بالزنج حر غير الأجساد \* حتى كسا جلودها سوادا



والقلب اكتسب البياضا \* حتى غدت جلودها بياضا

وأما أهل الشمال فلم يسموا باعتبار ألوانهم لأن البياض كان لونا لأهل تلك اللغة الواضحة للأسماء فلم يكن فيه غرابة تحمل على اعتباره في التسمية لموافقته واعتياده وو جدنا سكانه من الترتل والصقالبة والطغرغ والخزرو واللان والكثير من الأفرنجية وبأجوج ومأجوج أسماء متفرقة وأجبالا متعددة مسمين بأسماء متنوعة وأما أهل الاقاليم الثلاثة المتوسطة أهل الاعتدال في خلقهم وخلقهم وسيرهم وكافة الاحوال الطبيعية لا اعتمار لديهم من المعاش والمساكن والصنائع والعلوم والرياسات والملك فكانت فيهم النبوات والملك والدول والشرائع والعلوم والبلدان والامصار والمباني والقراصة والصنائع الفاتكة وسائر الاحوال المعتدلة وأهل هذه الاقاليم التي وقفنا على اخبارهم مثل العرب والروم وفارس وبنو اسرائيل واليونان وأهل السند والهند والصين \* ولما رأى التسابون اختلاف هذه الامم بسماتها وشعارها حسبوا ذلك لاجل الانساب فجعلوا أهل الجنوب كلهم السودان من ولد حام وارتابوا في ألوانهم فتكفوا نقل تلك الحكاية الواهمة وجعلوا أهل الشمال كلهم أوا أكثرهم من ولد يافث وأكثر الامم المعتدلة وأهل الوسط المتحليين للعلوم والصنائع والملل والشرائع والسياسة والملك من ولد سام وهذا الزعم وان صادف الحق في انتساب هؤلاء فليس ذلك بقياس مطرد انما هو اخبار عن الواقع لأن تسمية أهل الجنوب بالسودان والحبشان من أجل اتساعهم الى حام الاسود وما آذاهم الى هذا الغلط الاعتقاد هم ان التمييز بين الامم انما يقع بالانساب فقط وليس كذلك فان التمييز للجبل أو الامة يكون بالنسب في بعضهم كاللعب وبنو اسرائيل والفرس ويكون بالجهة والسمة كاللزيخ والحبشة والصقالبة والسودان ويكون بالعوائد والشعار والنسب كالعرب ويكون بغير ذلك من احوال الامم وخواصهم ومميزاتهم فتعميم القول في أهل جهة معينة من جنوب أو شمال بأنهم من ولد فلان المعروف لما شملهم من نخلة أولون أو سمة وجدت لذلك الاب انما هو من الاغاليط التي أوقع فيها الغفلة عن طبائع الاكوان والجهات وأن هذه كلها تبدل في الاعقاب ولا يجب استمرارها سنة الله في عباده وان تجد لسنة الله تبديلا والله ورسوله أعلم بغيبه وأحكم وهو المولى المنعم الرؤوف الرحيم

﴿المقدمة الرابعة﴾

﴿في اثر الهواء في خلق البشر﴾

(قد رأينا) من خلق السودان على العموم الخفة والطيش وكثرة الطرب فتجددهم

مولعين بالرقص على كل توقيع موصوفين بالحق في كل قطر والسبب الصحيح في ذلك أنه تقرر في موضعه من الحكمة أن طبيعة الفرح والسرور هي انتشار الروح الحيوانية وتنشيه وطبيعة الحزن بالعكس وهو انقباضه وتكاثفه وتقرر أن الحرارة مفشية للهواء والبخار مخلفة له زائدة في كميته ولهذا يجد المنتشى من الفرح والسرور ما لا يعبر عنه وذلك بما يداخل بخار الروح في القلب من الحرارة الغريزية التي تبعثها سورة الخرقى الروح من مزاجه فيتشقى الروح وتجيء طبيعة الفرح وكذلك نجد المتنعمين بالجمامات اذا تنفسوا في هوائها واتصلت حرارة الهواء في ارواحهم فتسخت لذلك حدث لهم فرح وورع انبعث الكثير منهم بالغناء الناشئ عن السرور ولما كان السودان ساكنين في الاقليم الحار واستولى الحر على أهن جنتهم وفي أصل تكويتهم كان في ارواحهم من الحرارة على نسبة أبدانهم واقليةهم فتكون ارواحهم بالقياس الى ارواح أهل الاقليم الرابع أشد حرا فتكون أكثر تنشيفا فتكون أسرع فرحا و سرورا وأكثر انبساطا ويحيى الطيش على اثر هذه وكذلك يلحق بهم قليلا أهل البلاد البحرية لما كان هواؤها متضاعف الحرارة بما يعكس عليه من أضواء بسيط البحر وأشعته كانت حصتهم من توابع الحرارة في الفرح والخفة موجودة أكثر من بلاد التلول والجبال الباردة وقد نجد يسيرا من ذلك في أهل البلاد الجزيرية من الاقليم الثالث لتوفر الحرارة فيها وفي عوائدها لانها عريقة في الجنوب عن الارياف والتلول واعتبر ذلك أيضا بأهل مصر فانها في مثل عرض البلاد الجزيرية أو قريبا منها كيف غلب الفرح عليهم والخفة والغفلة عن العواقب حتى انهم لا يدخرون أقوات سنهم ولا شهرهم وعامة ما كلهم من أسواقهم \* ولما كانت فاس من بلاد المغرب بالعكس منها في التوغل في التلول الباردة كيف ترى أهلها مطرقين اطراق الحزن وكيف أفرطوا في نظر العواقب حتى ان الرجل منهم ليدخر قوت سنتين من حبوب الحنطة ويأكر الاسواق لشراء قوته ليومه مخافة أن يرزأ شيئا من مدخره وتتبع ذلك في الاقاليم والبلدان تجدي في الاخلاق اثر من كفيات الهواء والله الخلاق العليم \* وقد تعرض المسعودي للبحث عن السبب في خفة السودان وطيشهم وكثرة الطرب فيهم وحاول تعليقه فلم يأت بشي أكثر من أنه نقل عن جالينوس ويعقوب بن اسحق الكندي أن ذلك لضعف أدمغتهم وما نشأ عنه من ضعف عقولهم وهذا كلام لا محصل له ولا برهان فيه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

﴿المقدمة الخامسة﴾

في اختلاف احوال العمران في النصب والجوح وما نشأ عن ذلك من الآثار في ابدان البشر و اخلاقهم



(اعلم) أن هذه الاقاليم المعتدلة ليس كلها يوجد بها الخصب ولا كل سكانها في رغد من العيش بل فيها ما يوجد لاهله خصب العيش من الحبوب والادم والخنطة والفواكه لزكاء المنابت واعتدال الطينة ووفور العمران وفيها الارض الخرة التي لا تنبت زرعاً ولا عشباً بالجملة فسكانها في شطف من العيش مثل أهل الحجاز وجنوب اليمن ومثل المثلثين من صنهاجة الساكنين بصحراء المغرب وأطراف الرمال فيما بين البربر والسودان فإن هؤلاء يفقدون الحبوب والادم جملة وانما أغذيتهم وأقواتهم الالبان واللحوم ومثل العرب أيضاً الجائلين في القفار فانهم وان كانوا يأخذون الحبوب والادم من التلول الا أن ذلك في الاحياء وتحت ربة من حاميتها وعلى الاقلال لقله وجددهم فلا يتوصلون منه الى سد الخلة أو دونه فاضلا عن الرغد والخصب وتجدهم يقتصرون في غالب أحوالهم على الالبان وتعوضهم من الخنطة أحسن معاض وتجبد مع ذلك هؤلاء الفاقدين للحبوب والادم من أهل القفار أحسن حالاً في جسامهم وأخلاقهم من أهل التلول المنغمسين في العيش فألوانهم أصغر وأبدانهم أنقى وأشكالهم أتم وأحسن وأخلاقهم أبعد من الانحراف وأذهانهم أثق في المعارف والادراكات هذا أمر تشهد له التجربة في كل جيل منهم فكثير ما بين العرب والبربر فيما وصفناه وبين المثلثين وأهل التلول يعرف ذلك من خبره والسبب في ذلك والله أعلم أن كثرة الاغذية ورطوباتها تولد في الجسم فضلات رديئة ينشأ عنها بعد أقطار في غير نسبة وكثرة الاخلاط الفاسدة العفنة ويتبع ذلك انكساف الالوان وقبح الاشكال من كثرة اللحم كما قلناه وتغطي الرطوبات على الازدهان والافكار بما يصعد الى الدماغ من أنجرتها الرديئة فتجلب البلادة والغفلة والانحراف عن الاعتدال بالجملة واعتبر ذلك في حيوان القفر ومواطن الجذب من الغزال والنعام والمهي والزرافة والحمار الوحشية والبقر مع أمثالها من حيوان التلول والارياف والمراعي الخصبة كيف تجبد بينها بونا بعيداً في صفاء أديمها وحسن رونقها وأشكالها وتناسب أعضائها ووحدة مداركها فالغزال أخو المعز والزرافة أخو البعير والحمار والبقر أخو الحمار والبقر والبون بينهما ما رأيت وما ذاك الا لاجل أن الخصب في التلول فعل في أبدان هذه من الفضلات الرديئة والاخلاط الفاسدة ما ظهر عليها أثره والجوع حيوان القفر حسن في خلقها وأشكالها ما شاء واعتبر ذلك في الآدميين أيضاً فانما نجد أهل الاقاليم الخصبة العيش الكثرة الزرع والضرع والادم والفواكه يتصف أهلها غالباً بالبلادة في أذهانهم والخشونة في أجسامهم وهذا شأن البربر المنغمسين في الادم والخنطة مع المتقشفين في عيشهم المقتصرين على الشعير والذرة

مثل المصامدة منهم وأهل غمارة والسوس فتجده هؤلاء أحسن حالاً في عقولهم وجسامهم وكذا أهل بلاد المغرب على الجملة المنغمسون في الادم والبر مع أهل الاندلس المفقود بأرضهم السخنة جملة وغالب عيشهم الذرة فتجبد لأهل الاندلس من ذكاء العقول وخفة الاجسام وقبول التعليم ما لا يوجد لغيرهم وكذا أهل الضواحي من المغرب بالجملة مع أهل الحضرة والامصار فإن أهل الامصار وان كانوا أكثرين مثلهم من الادم ومخصيين في العيش الا أن استعمالهم اياها بعد العلاج بالطبخ والتلطيف بما يخلطون معها فيذهب لذلك غلظتها ويرق قوامها وعامة ما كلهم لحوم الضأن والدجاج ولا يغبطون السمن من بين الادم لتفاهته فنقل الرطوبات لذلك في أغذيتهم ويحقق ما تولد به الى أجسامهم من الفضلات الرديئة فلذلك تجبد جسامهم أهل الامصار أطف من جسام البادية المخشنين في العيش وكذلك تجبد المعودين بالجوع من أهل البادية لافضلات في جسامهم غليظة ولا لطيفة \* واعلم أن أثر هذا الخصب في البدن وأحواله يظهر حتى في حال الدين والعبادة فتجبد المتقشفين من أهل البادية أو الحاضرة ممن يأخذ نفسه بالجوع والتجافي عن الملاذ أحسن ديناً وأقبالاً على العبادة من أهل الترف والخصب بل نجد أهل الدين قليلين في المدن والامصار لما يعمها من القساوة والغفلة المتصلة بالانكسار من اللحمان والادم ولباب البر ويختص وجود العباد والزهاد لذلك بالمتقشفين في غذائهم من أهل البوادي وكذلك نجد حال أهل المدينة الواحدة في ذلك مختلفاً باختلاف حالها في الترف والخصب وكذلك نجد هؤلاء المخصيين في العيش المنغمسين في طبيعته من أهل البادية وأهل الحواضر والامصار اذا نزلت بهم السنون وأخذتهم الجماعات يسرع اليهم الهلاك أكثر من غيرهم مثل برابرة المغرب وأهل مدينة فاس ومصر فيما يغنوا مثل العرب أهل القفر والبحراء ولا مثل أهل بلاد النخل الذين غالب عيشهم التمر ولا مثل أهل افريقية لهذا العهد الذين غالب عيشهم الشعير والزيت وأهل الاندلس الذين غالب عيشهم الذرة والزيت فان هؤلاء وان أخذتهم السنون والجماعات فلا تنال منهم ما تنال من أولئك ولا يكثر فيهم الهلاك بالجوع بل ولا يندر والسبب في ذلك والله أعلم أن المنغمسين في الخصب المتعودين للادم والسمن خصوصاً تكتسب من ذلك أضرارهم رطوبة فوق رطوبتها الاصلية المزاجية حتى تتجاوز حدتها فاذا خولف بها العادة بقله الاقوات وفقدان الادم واستعمال الخشن غير المألوف من الغذاء أسرع الى المعى اليس والانكماش وهو عضو ضعيف في الغاية فيسرع اليه المرض ويهلك صاحبه دفعة لانه من المقاتل قاله الكون في الجماعات انما قتلهم الشبع المعتاد



السابق لا الجوع الحادث اللاحق \* وأما المتعودون لقلة الأدم والسمين فلا تزال وطوبيتهم الأصلية واقعة عند حدتها من غير زيادة وهي قابلية لجميع الأغذية الطبيعية فلا يقع في معاهم تبدل الأغذية ينس ولا انحراف فيسلمون في الغالب من الهلاك الذي يعرض لغيرهم بالخصب وكثرة الأدم في المأكول وأصل هذا كله أن تعلم أن الأغذية والتلافها أو تركها انما هو بالعادة فمن عود نفسه غذاء ولائمه تناولها كان له مألوفا وصار الخروج عنه والتبدل به داء ما لم يخرج عن غرض الغذاء بالجملة كالسوم واليتوع وما أفرط في الانحراف فأما ما وجد فيه التغذية والملاءمة فيصير غذاء مألوفا بالعادة فإذا أخذ الإنسان نفسه باستعمال اللبن والبقل عوضا عن الحنطة حتى صار له ديدنا فقد حصل له ذلك غذاء واستغنى به عن الحنطة والحبوب من غير شك وكذا من عود نفسه الصبر على الجوع والاستغناء عن الطعام كما يتقل عن أهل الرياضات فأناسم عنهم في ذلك أخبارا غريبة يكاد ينكرها من لا يعرفها والسبب في ذلك العادة فإن النفس إذا ألفت شيئا صار من جبلتها وطبيعتها انما كثيرة التلون فإذا حصل لها اعتياد الجوع بالتدريج والريضة فقد حصل ذلك عادة طبيعية لها وما يتوهمه الأطباء من أن الجوع مهلك فليس على ما يتوهمونه الا اذا جلت النفس عليه دفعة وقطع عنها الغذاء بالكلية فإنه حينئذ ينحسم المعنى ويناله المرض الذي يخشى معه الهلاك وأما اذا كان ذلك القدر تدريجيا وريضة باقلال الغذاء شيئا فشيئا كما يفعل المتصوفة فهو معزل عن الهلاك وهذا التدريج ضروري حتى في الرجوع عن هذه الرياضة فإنه اذا رجع به الى الغذاء الاول دفعة خيف عليه الهلاك وانما يرجع به كبدأ في الرياضة بالتدريج ولقد شاهدنا من يصبر على الجوع أربعين يوما وصلاوا أكثر \* وحضر أشياخنا بمجلس السلطان أبي الحسن وقد رفع اليه امرأتان من أهل الجزيرة الخضراء ورئدة حسنا أنفسهما عن الاكل جملة منسنتين وشاع أمرهما ووقع اختبارهما فما فصحا شأنهما واتصل على ذلك حالهما الى أن ماتتا ورأينا كثيرا من أصحابنا أيضا من يقتصر على حليب ثاة من المعز يلتقم ثديها في بعض النهار أو عند الافطار ويكون ذلك غذاء واستدام على ذلك خمس عشرة سنة وغيرهم كثير ولا يستنكر ذلك \* واعلم أن الجوع أصلح للبدن من اكثار الأغذية بكل وجه لمن قدر عليه أو على الاقلال منها وأن له أثرا في الاجسام والعقول في صفاتها وصلاحها كما قلناه واعتبر ذلك بآثار الأغذية التي تحصل عنها في الجسم فقد رأينا المتغذين بالحووم الحيوانات الفاخرة العظيمة الجسمان تنشأ أجيا لهم كذلك وهذا مشاهد في أهل البادية مع أهل الحاضرة وكذا

قال في القاموس  
اليتوع كصبور أو  
تنور كل نبات له لبن  
دار سهل محرق  
مقطع والمشهور  
منه سبعة الشبرم  
واللاعبيسة  
والعسرطينشا  
والمأهود انه  
والمازيون  
والفجلشت  
والعشر وكل  
اليتوعات اذا  
استعملت في غير  
وجهها أهلكت

المتغذون بألبان الابل وحوومها أيضا مع ما يؤثر في أخلاقهم من الصبر والاحتمال والقدرة على حمل الاثقال الموجود ذلك للابل وتنشأ أمعاؤهم أيضا على نسبة أمعاء الابل في الصحة والغلظ فلا يطررها الوهن ولا الضعف ولا ينالها من مضار الأغذية ما ينال غيرهم فيشربون البتوعات لاستطلاق بطونهم غير محجوبة كل لختل قبل طبعه والدياس والفريسون ولا ينال أمعاؤهم منها ضرر وهي لتناولها أهل الحضر الرقيقة أمعاؤهم بمناشأت عليه من لطيف الأغذية لكان الهلاك أسرع اليهم من طرفة العين لما فيها من السمية ومن تأثير الأغذية في الابدان ما ذكره أهل الفساحة وشاهده أهل التجربة أن الدجاج اذا غذيت بالحبوب المطبوخة في بعر الابل واتخذ يصحها ثم حضنت عليه جاء الدجاج منها أعظم ما يكون وقد يستغنون عن تغذيتها وطبخ الحبوب بطرح ذلك البعر مع البيض المحض فيجىء دجاجها في غاية العظم وأمثال ذلك كثير فاذا رأينا هذه الآثار من الأغذية في الابدان فلا شك أن الجوع أيضا آثارا في الابدان لأن الصديق على نسبة واحدة في التأثير وعدمه فيكون تأثير الجوع في نقاء الابدان من الزيادات الفاسدة والرطوبات المختلطة المخلة بالجسم والعقل كما كان الغذاء مؤثرا في وجود ذلك الجسم والله محيط بعلمه

### ﴿المقدمة السادسة﴾

﴿في أصناف المدرسين للغييب من البشر بالفطرة او بالرياضة وتقدم الكلام في الوحي والرؤيا﴾

(اعلم) أن الله سبحانه اصطفى من البشر أشخاصا فضلهم بخطابه وفطرهم على معرفته وجعلهم وسائل بينه وبين عبادته يعرفونهم بمصالحهم ويحترضونهم على هدايتهم ويأخذون بحجزاتهم عن السار ويدلونهم على طريق النجاة وكان فيما يلقى به اليهم من المعارف ويظهره على ألسنتهم من الخوارق والاخبار الكائنات المغيبة عن البشر التي لا سبيل الى معرفتها الا من الله بوساطتهم ولا يعلمونها الا بتعليم الله اياهم قال صلى الله عليه وسلم ألا واني لأعلم الاما على الله واعلم أن خبرهم في ذلك من خاصيته وضرورته الصديق لما يتبين لك عند بيان حقيقة النبوة وعلامة هذا الصنف من البشر أن توجد لهم في حال الوحي غيبة عن الحاضرين معهم مع غطيط كأنهم اغشى أو اغماء في رأى العين وليست منهم في شيء وانما هي في الحقيقة استغراق في لقاء الملك الروحاني بأدراكهم المناسب لهم الخارج عن مدارك البشر بالكلية ثم يتزل الى المدارك البشرية اما بسمع دوى من الكلام فينتهمه أو يتمثل له صورة شخص يخاطبه بما جاء به من عند الله ثم تعجلى عنه تلك الحال وقد وعى ما ألقى اليه قال صلى الله



عليه وسلم وقد سئل عن الوحي أحيانا يأتي مثل صلصلة الجرس وهو أشده على تيفصم  
عنى وقد وعيت ما قال وأحيانا يثقل لي الملك رجلا فيكلمني فأعني ما يقول ويدركه أثناء  
ذلك من الشدة والغطى ما لا يعبر عنه في الحديث كان مما يعالج من التنزيل شدة  
وقالت عائشة كان ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه  
ليتصدع رقبا وقال تعالى أنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً ولاجل هذه الحالة في تنزل الوحي  
كان المشركون يرمون الأنبياء بالجنون ويقولون له رقى أو تابع من الجن وإنما البسر  
عليهم بما شاهدوه من ظاهرتلك الأحوال ومن يضل الله فله من هاد \* ومن  
علاماتهم أيضاً أنه يوجب لهم قبل الوحي خلق الخير والركاء ومجانبة المذمومات  
والرجس أجمع وهذا هو معنى العصمة وكأنه منطور على التنزه عن المذمومات  
والمنافرة لها وكأنها منافية لجلبته وفي الصحيح أنه جل الجارة وهو غلام مع عمه العباس  
لبناء الكعبة فجعلها في آزاره فأنكشف فسقط مغشياً عليه حتى استتر بأزاره ودعى  
إلى مجتمع ولية فيها عرس ولعب فأصابه غشي النوم إلى أن طلعت الشمس ولم يحضر  
شيئاً من شأنهم بل نزهه الله عن ذلك كله حتى أنه بجلبته يتنزه عن المطعومات المستكرهه  
فقد كان صلى الله عليه وسلم لا يقرب البصل والثوم فقل له في ذلك فقال اني أنا جى  
من لا تاجون (وانظر) لما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم خديجة رضى الله عنها بأحوال  
الوحي أول ما لجأه وأرادت اختياره فقالت اجعلني بينك وبين ثوبك فلما فعل ذلك  
ذهب عنه فقالت انه ملك وليس بشيطان ومعناه أنه لا يقرب النساء وكذلك سأله عن  
أحب الثياب إليه أن يأتيه فيها فقال البياض والخضرة فقالت انه الملك يعنى أن  
البياض والخضرة من ألوان الخير والملائكة والسواد من ألوان الشر والشياطين  
وأمثال ذلك \* ومن علاماتهم أيضاً دعاؤهم إلى الدين والعبادة من الصلاة  
والصدقة والعفاف وقد استدلت خديجة على صدقه صلى الله عليه وسلم بذلك وكذلك  
أبو بكر ولم يحتاجا في أمره إلى دليل خارج عن حاله وخلقته وفي الصحيح أن هرقل حين  
جاءه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام أحضر من وجد يبلده من قريش  
وفيه أبو سفيان ليسألهم عن حاله فكان فيما سأل أن قال بم يأمركم فقال أبو سفيان  
بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف إلى آخر ما سأل فأجابه فقال ان يـمكن ما تقول  
حقاً فهو نبي وسيملك ما تحت قدمي هاتين والعفاف الذي أشار إليه هرقل هو العصمة  
فانظر كيف أخذ من العصمة والدعاء إلى الدين والعبادة دليلاً على صحة نبوته ولم يمتح  
إلى معجزة فدل على أن ذلك من علامات النبوة (ومن علاماتهم) أيضاً أن يكونوا  
ذوي حسب في قومهم وفي الصحيح ما بعث الله نبياً إلا في منعة من قومه وفي رواية أخرى

قوله الذي أشار  
إليه هرقل الظاهر  
أبو سفيان أم

في ثروة من قومه استدركه الحاكم على الصحيحين وفي مسأله هرقل لابي سفيان كما هو في  
الصحيح قال كيف هو فيكم فقال أبو سفيان هو فينا ذو وحسب فقال هرقل والرسل تبعث  
في أحساب قومها ومعناه أن تكون له عصبه وشوكة تمنعه عن أذى الكفار حتى  
يلغ رسالة ربه ويتم مراد الله من الكمال دينه وملته (ومن علاماتهم) أيضاً وقوع  
الخوارق لهم شاهدة بصدقهم وهي أفعال يعجز البشر عن مثلها فسميت بذلك معجزة  
وليست من جنس مقدور العباد وإنما تقع في غير محل قدرتهم وللناس في كيفية  
وقوعها ودلائلها على تصديق الأنبياء خلاف فالتكلمون بناء على القول بالفاعل  
المختار قائلون بأنهم واقعة بقدره الله لا بفعل النبي وإن كانت أفعال العباد عند المعتزلة  
صادرة عنهم إلا أن المعجزة لا تكون من جنس أفعالهم وليس للنبي فيها عند سائر  
المتكلمين إلا التحدى بها بأذن الله وهو أن يستدل بها النبي صلى الله عليه وسلم قبل  
وقوعها على صدقه في مدعاه فإذا وقعت تنزل منزلة القول الصريح من الله بأنه  
صادق وتكون دلائلها حينئذ على الصدق قطعية فالمعجزة الدالة بمجموع الخارق  
والتحدى ولذلك كان التحدى جزءاً منها (وعبارة المتكلمين) صفة نفسها وهو واحد لانه  
معنى الذاتى عندهم والتحدى هو الفارق بينها وبين الكرامة والسحر إذا لاجحة فيهما  
إلى التصديق فلا وجود للتحدى إلا أن وجد اتفاقاً وان وقع التحدى في الكرامة عند  
من يحيزها وكانت لها دلالة فانتما على الولاية وهي غير النبوة ومن هذا منع الاستاذ  
أبو المحق وغيره وقوع الخوارق كرامة فرار من الالتباس بالنبوة عند التحدى  
بالولاية وقد أرينا في المغيرة بينهما وأنه يتحدى بغير ما يتحدى به النبي فلا لبس على أن  
النقل عن الاستاذ في ذلك ليس صريحاً ورجحاً على انكار أن تقع خوارق الأنبياء  
لهم بناء على اختصاص كل من الفريقين بخوارقه \* وأما المعتزلة فالمانع من وقوع  
الكرامة عندهم أن الخوارق ليست من أفعال العباد وأفعالهم معتادة فلا فرق  
وأما وقوعها على يد الكاذب تلبساً فهو محال أما عند الأشعرية فلأن صفة نفس  
المعجزة التصديق والهداية فلو وقعت بخلاف ذلك انقلب الدليل شبهة والهداية ضلالة  
والتصديق كذب واستحالت الحقائق وانقلبت صفات النفس وما يلزم من فرض وقوعه  
المحال لا يكون ممكناً وأما عند المعتزلة فلأن وقوع الدليل شبهة والهداية ضلالة قبيح  
فلا يقع من الله \* وأما الحكماء فالخارق عندهم من فعل النبي ولو كان في غير محل  
القدرة بناء على مذهبهم في الإيجاب الذاتى ووقوع الحوادث بعضها عن بعض  
متوقف على الأسباب والشروط الحادثة مستندة أخيراً إلى الواجب الفاعل بالذات  
لألا اختيار وأن النفس النبوية عندهم لها خواص ذاتية منها صدور هذه الخوارق



بقدرته وطاعة العناصر له في التكوين والنبي عندهم مجبول على التصريف في  
الأكوان سهما توجه اليها واستجمع لها بما جعل الله له من ذلك والخارق عندهم يقع  
للنبي كان للتحدثي أو لم يكن وهو شاهد بصدقه من حيث دلالاته على تصرف النبي  
في الأكوان الذي هو من خواص النفس النبوية لا يانه يتنزل منزلة القول الصريح  
بالصدق فلذلك لا تكون دلالاتها عندهم قطعية كما هي عند المتكلمين ولا يكون  
التحدثي جراً من المعجزة ولم يصح فارقها عن السحر والكرامة وفارقها عندهم عن  
السحر أن النبي مجبول على أفعال الخير مصروف عن أفعال الشر فلا يلم الشر  
بجوارقه والساحر على الضد فأفعاله كلها شر وفي مقاصد الشر وفارقها عن الكرامة  
أن خوارق النبي مخصوصة كالصعود إلى السماء والنفوذ في الأجسام الكثيفة  
واحياء الموتى وتكليم الملائكة والطيران في الهواء وخوارق الولي دون ذلك كتكثير  
القليل والحديث عن بعض المستقبل وأمثاله مما هو قاصر عن تصرف الأنبياء وبأى  
النبي بجميع خوارقه ولا يقدر هو على مثل خوارق الأنبياء وقد قرر ذلك المتصوفة  
فيما كتبوه في طريقهم ولقنوه عن خبرهم وإذا تقرر ذلك فاعلم أن أعظم المعجزات  
وأشرفها وأوضحها دلالة القرآن الكريم المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فإن  
الخوارق في الغالب تقع مغايرة للوحي الذي يتلقاه النبي وبأى بالمعجزة شاهدة  
بصدقه والقرآن هو بنفسه الوحي المدعى وهو الخارق المعجز فشاهده في عينه  
ولا يقتصر إلى دليل مغاير له كسائر المعجزات مع الوحي فهو أوضح دلالة لاتحاد الدليل  
والمدلول فيه وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الأنبياء إلا وأوتي من  
الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحى إلى قأنا  
أرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة يشير إلى أن المعجزة متى كانت بهذه المثابة  
في الوضوح وقوة الدلالة وهو كونها نفس الوحي كان الصدق لها أكثر وضوحاً فكثر  
المصدق المؤمن وهو التابع والامة

والله كذا الآن تفهم حقيقة النبوة على ما شرحت كثير من المحققين ثم تذكر حقيقة  
الكهانة ثم الرؤيا ثم شأان العرافين وغير ذلك من مدارك الغيب فنقول

\* (اعلم) \* أرشدنا الله وإياك أنا شاهد هذا العالم بما فيه من الخلوقات كلها على  
هيئة من الترتيب والاحكام وربط الاسباب بالمسببات واتصال الأكوان بالأكوان  
وأسنخالة بعض الموجودات إلى بعض لا تنقضي عجائبه في ذلك ولا تنتهي غاياته وأبدأ  
من ذلك بالعالم المحسوس الجثمانى وأول عالم العناصر المشاهدة كيف تدرج صاعداً  
من الأرض إلى الماء ثم إلى الهواء ثم إلى النار متصل بعضها ببعض وكل واحد منها

مستعد إلى أن يستحيل إلى ما يليه صاعداً وهابطاً ويستحيل بعض الاوقات والصاعد  
منها أطف عما قبله إلى أن ينتهي إلى عالم الافلاك وهو أطف من الكل على طبقات  
اتصل بعضها ببعض على هيئة لا يدرك الحس منها الا الحركات فقط وبها يتدبى بعضهم  
إلى معرفة مقاديرها وأوضاعها وما بعد ذلك من وجود الذوات التي لها هذه الآثار  
فيها ثم انظر إلى عالم التكوين كيف ابتدأ من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على هيئة  
بديعة من التدرج آخر أفق المعادن متصل بأول أفق النبات مثل الحشائش وما لا بذر  
له وأخر أفق النبات مثل النخل والكرم متصل بأول أفق الحيوان مثل الخيل والحمير  
والصدق ولم يوجد لهما الاقوة للمس فقط ومعنى الاتصال في هذه المكنونات أن آخر  
أفق منها مستعد بالاسم استعداد الغريب لأن يصير أول أفق الذي بعده واتسع عالم  
الحيوان وتعددت أنواعه وانتهى في تدرج التكوين إلى الانسان صاحب الفكر  
والروية ترتفع اليه من عالم القدرة الذي اجتمع فيه الحس والادراك ولم ينته إلى الروية  
والفكر بالفعل وكان ذلك أول أفق من الانسان بعده وهذا غاية شهودنا ثم اننا نجد في  
العوالم على اختلافها آثاراً متنوعة في عالم الحس آثار من حركات الافلاك والعناصر  
وفي عالم التكوين آثار من حركة النجوم والادراك تشهد كلها بأن لها مؤثرات في الأجسام  
فهو حائى ويتصل بالمكنونات لوجود اتصال هذا العالم في وجودها وذلك هو النفس  
المدركة والحركة ولا بد فوقها من وجود آخر يعطيها قوى الادراك والحركة ويتصل بها  
أيضاً ويكون ذاته ادراكاً كصرفا وتعدت قلا محضاً وهو عالم الملائكة فوجب من ذلك  
أن يكون للنفس استعداد للانسلاخ من البشرية إلى الملكية ليصير بالفعل من جنس  
الملائكة وقما من الاوقات في لحظة من اللحظات وذلك بعد أن تكمل ذاتها الروحية  
بالفعل كما ندكر بعد ويكون لها اتصال بالأفق الذي بعدها شأن الموجودات المرتبة  
كما قدمناه فلها في الاتصال جهتا العلو والسفل هي متصلة بالسفل من أسفل منها  
ومكتسبة به المدارك الحسية التي تستعدها للحصول على التعقل بالفعل ومتصلة من  
جهة الاعلى منها بأفق الملائكة ومكتسبة به المدارك العلمية والغيبية فإن عالم الحوادث  
موجود في تعقلاتهم من غير زمان وهذا على ما قدمناه من الترتيب المحكم في الوجود  
باتصال ذواته وقوا بعضها ببعض ثم إن هذه النفس الانسانية غائبة عن العيان  
وأثارها ظاهرة في البدن فكأنه وجيع أجزاءه مجمعة ومفترقة آلات للنفس ولقواها  
أما الفاعلية فالبطش باليد والمشي بالرجل والكلام باللسان والحركة الكلية  
بالبدن متداقفاً وأما المدركة وإن كانت قوى الادراك مرتبة ومرتبعة إلى القوة  
العليا منها ومن المفكرة التي يعبر عنها بالناطققة فقوى الحس الظاهرة بالآلة من



السمع والبصر وسائر هارتي الى الباطن وأوله الحس المشترك وهو قوة تدرك  
المحسوسات مبصرة ومسموعة وملوسة وغيرها في حالة واحدة وبذلك فارتقت قوة  
الحس الظاهر لان المحسوسات لا تزدحم عليها في الوقت الواحد ثم يؤدى به الحس  
المشترك الى الخيال وهي قوة تشمل الشئ المحسوس في النفس كما هو مجرد عن المواد  
الخارجة فقط والآلهاتين القوتين في تصرفهما البطن الاول من الدماغ مقدمه  
للاولى ومؤخره لثانية ثم يرتقى الخيال الى الواهمة والحافظة فالواهمة لادراك  
المعاني المتعلقة بالخصائص كعداوة زيد وصداقة عمرو ورجعة الاب وافتراس الذئب  
والحافظة لا يداع المدركات كلها متخيلة وغير متخيلة وهي لها كخزانة تحفظها الوقت  
الحاجة اليها والآلهاتين القوتين في تصرفهما البطن المؤخر من الدماغ أوله للاولى  
ومؤخره للاحرى ثم ترتقى جميعها الى قوة الفكر وآله البطن الاوسط من الدماغ وهي  
القوة التي يقع بها حركة الروية والتوجه نحو العقل فتحرك النفس بهادئا للماركة  
فيها من النزوع لتخلص من درك القوة والاستعداد الذي للبشرية وتخرج الى الفعل  
في تعقلها تشبهة بالملا الاعلى الروحاني وتصير في أول مراتب الروحانيات في  
ادراكها بغير الآلات الجسمانية فهي متحركة دائماً وتوجه نحو ذلك وقد تنسلخ  
بالكلية من البشرية وروحانيتها الى الملكية من الافق الاعلى من غير اكتساب  
بل بما جعل الله فيها من الجبله والفطرة الاولى في ذلك (والنفوس البشرية) على ثلاثة  
أصناف صنف عاجز بالطبع عن الوصول الى الادراك الروحاني فينقطع بالحركة الى  
الجهة السفلى نحو المدارك الحسية والخيالية وتركب المعاني من الحافظة والواهمة  
على قوانين محصورة وترتيب خاص يستفيدون به العلوم التصورية والتصديقية التي  
للفكر في البدن وكلها خيالي منحصرون نطاقه اذ هو من جهة مبدئية ينتهي الى الاوليات  
ولا يتجاوزها وان فسد ما بعدها وهذا هو الغلب نطاق الادراك البشري  
الجسماني واليه تنتهي مدارك العلماء وفيه ترسخ أقدمهم وصنف متوجه بتلك  
الحركة الفكرية نحو العقل الروحاني والادراك الذي لا يقتصر الى الآلات البدنية  
بما جعل فيه من الاستعداد لذلك فيتسع نطاق ادراكه عن الاوليات التي هي نطاق  
الادراك الاول البشري ويسرح في فضاء المشاهدات الباطنية وهي وجدان كلها  
لانطاق لها من مبدئها ولا من منتهىها وهذه مدارك العلماء الاولياء أهل العلوم  
اللدنية والمعارف الربانية وهي الحاصلة بعد الموت لاهل السعادة في البرزخ وصنف  
مفطور على الانسلاخ من البشرية بجملة جسمانياتها وروحانياتها الى الملائكة من  
الافق الاعلى ليصير في لحظة من اللحظات ملكا بالفعل ويحصل له شهود الملا الاعلى

في أفقهم وسماع الكلام النفساني والخطاب الالهي في تلك اللحظة وهؤلاء الانبياء  
صلوات الله وسلامه عليهم جعل الله لهم الانسلاخ من البشرية في تلك اللحظة وهي  
حالة الوحي فطرة فطرهم الله عليها وجبله تصورهم فيها ونزهمهم عن موانع البدن  
وعوائقه ماداموا ملاسين لها بالبشرية بماركة في غرائزهم من القصد والاستقامة  
التي يحاذون بها تلك الوجهة وركز في طبائعهم رغبة في العبادة تكشف بتلك الوجهة  
وتسيغ نحوها فهم يتوجهون الى ذلك الافق بذلك النوع من الانسلاخ متى شاؤوا  
بتلك الفطرة التي فطرها عليها الابا كتساب ولا صناعة فلذا توجهوا وانسلخوا عن  
بشريةهم وتلقوا في ذلك الملا الاعلى ما يتلقونه عاجوا به على المدارك البشرية منزلا  
في قواها الحكمة التبليغ للعبادة فتارة يسمع دويًا كأنه رمن من الكلام بأخذه المعنى  
الذي ألقى اليه فلا ينقضى الدوي الا وقد وعاه وفهمه وتارة يتمثل له الملك الذي يلقي اليه  
رجلا فيكاهه ويعي ما يقوله والتالي من الملك والر جوع الى المدارك البشرية وفهمه  
ما ألقى عليه كانه في لحظة واحدة بل أقرب من لمح البصر لانه ليس في زمان بل كلها  
تقع جميعا فيظهر كأنها سريرة ولذلك سميت وحيالات الوحي في اللغة الاسراع (واعلم)  
أن الاولى وهي حالة الدوي هي رتبة الانبياء غير المرسلين على ما حققوه والثانية  
وهي حالة تشمل الملك رجلا يخاطب هي رتبة الانبياء المرسلين ولذلك كانت أكمل من  
الاولى وهذا معنى الحديث الذي فسره النبي صلى الله عليه وسلم الوحي لما سأله  
الحريث بن هشام وقال كيف يأتيك الوحي فقال أحيانا يأتيني مثل صاعقه الجرس وهو  
أشد على نفسي فمضيت عنه وقد وعيت ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي  
ما يقول وانما كانت الاولى أشد لانها مبدأ الخروج في ذلك الاتصال من القوة الى  
الفعل فيعسر بعض العسر ولذلك لما عاج فيها على المدارك البشرية اختصت بالسمع  
وصعب ما سواه وعند ما يتكرر الوحي ويكثر التلقي يسهل ذلك الاتصال فعند ما يعرج  
الى المدارك البشرية يأتي على جميعها وخصوصا الاوضح منها وهو ادراك البصر وفي  
العبارة عن الوعي في الاولى بصيغة الماضي وفي الثانية بصيغة المضارع لطبيعة من  
البلاغة وهي أن الكلام جاء مجيء التمثيل لحالتي الوحي فمثل الحالة الاولى بالدوي  
الذي هو في المعارف غير كلام وأخبر أن الفهم والوعي يتبعه غيب انقضائه فناسب عند  
تصور انقضائه وانقضاه العبارة عن الوعي بالماضي المطابق للانقضاء والانقطاع  
ومثل الملك في الحالة الثانية برجل يخاطب ويتكلم والكلام يساوقه الوعي فناسب  
العبارة بالمضارع المقتضى للتجدد واعلم أن في حالة الوحي كلها صعوبة على الجملة وشدة  
قد أشار إليها القرآن قال تعالى اناس لن يثقيلوا عليك قولا ثقيلا وقالت عائشة كان



مما يعانى من التنزيل شدة وقالت كان ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتصدع رقا ولذلك كان يحدث عنه في تلك الحالة من الغيبة والغطيط ما هو معروف وسبب ذلك أن الوحي كما قررناه مفارقة البشرية الى المدارك الملكية وتلقى كلام النفس فيحدث عنه شدة من مفارقة الذات ذاتها وانسلاخها عنها من ألقها الى ذلك الافق الآخر وهذا هو معنى الغط الذي عبر به في مبدء الوحي في قوله فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ وكذا ثانية وثالثة كما في الحديث وقد يفضى الاعتبار بالتدريج فيه شيئا فشيئا الى بعض السهولة بالقياس الى ما قبله ولذلك كان تنزل نجوم القرآن وسوره وآيه حين كان بمكة أقصر منها وهو بالمدينة وانظر الى ما نقل في نزول سورة براءة في غزوة تبوك وانما نزلت كلها أو أكثرها عليه وهو يسير على ناقته بعد أن كان بمكة ينزل عليه بعض السورة من قصار المفصل في وقت وينزل الباقي في حين آخر وكذلك كان آخر ما نزل بالمدينة آية الدين وهي ما هي في الطول بعد أن كانت الآية تنزل بمكة مثل آيات الرجن والذاريات والمدثر والنحي والعلق وأمثالها واعتبر من ذلك علامة تميزها بين المكي والمدني من السور والآيات والله المرشد للصواب هذا حصل أمر النبوة\* (وأما الكهانة) فهي أيضا من خواص النفس الانسانية وذلك أنه قد تقدم لنا في جميع ما مر أن للنفس الانسانية استعداد الانسلاخ من البشرية الى الروحانية التي فوقها وأنه يحصل من ذلك لمح للشر في صنف الانبياء بما فطر واعليه من ذلك وتقرر أنه يحصل لهم من غير اكتساب ولا استعانة بشيء من المدارك ولا من التصورات ولا من الافعال البدنية كلاما أو حركة ولا بأمر من الامور انما هو انسلاخ من البشرية الى الملكية بالفطرة في لحظة أقرب من لمح البصر واذا كان كذلك وكان ذلك الاستعداد موجودا في الطبيعة البشرية فيعطى التقسيم العقلي أن هنا صنفا آخر من البشر ناقصا عن رتبة الصنف الاول نقصان الضد عن ضده الكامل لان عدم الاستعانة في ذلك الادراك ضد الاستعانة فيه وشتان ما بينهما فاذا أعطى تقسيم الوجود أن هنا صنفا آخر من البشر مفطورا على أن تتحرك قوته العقلية حركتها الفكرية بالارادة عندما يعينها النزوع لذلك وهي ناقصة عنه بالجبله فيكون لها بالجبله عندما يعوقها العجز عن ذلك تشبث بأمور جزيئية محسوسة أو متخيلة كالاجسام الشفافة وعظام الحيوانات وسجع الكلام وما سخ من طير أو حيوان فيستديم ذلك الاحساس أو التخيل مستعين به في ذلك الانسلاخ الذي يقصده ويكون كالمشيعة له وهذه القوة التي فهم مبدء ذلك الادراك هي الكهانة ولكون هذه النفوس مفطورة على النقص والقصور عن الكمال كان

ادراكها في الجزئيات أكثر من الكليات ولذلك تكون الخيلة فيهم في غاية القوة لانها آلة الجزئيات فتنفذ فيها نفوذات ما في نوم أو يقظة وتكون عندها حاضرة عديدة تحضرها الخيلة وتكون لها كالمراة تنظر فيها دائما ولا يقوى الكاهن على الكمال في ادراك المعقولات لان وحيه من وحي الشيطان وأرفع أحوال هذا الصنف أن يستعين بالكلام الذي فيه السجع والموازنة ليستغل به عن الحواس ويقوى بعض الشيء على ذلك الاتصال الناقص فيجس في قلبه عن تلك الحركات والذي يشيعها من ذلك الاجنبى ما يقذفه على لسانه قريبا صدق ووافق الحق وربما كذب لانه يتم نقصه بأمر أجنبي عن ذاته المدركة ومباين لها غير ملامم فيعرض له الصدق والكذب جميعا ولا يكون موثوقا به وربما يفرع الى الظنون والتخمينات حرصا على الظفر بالادراك البرزخية وتمويهها على السائلين وأصحاب هذا السجع هم المخصوصون باسم الكهان لانهم أرفع سائر اصنافهم وقد قال صلى الله عليه وسلم في مثله هذا من سجع الكهان فجعل السجع مختصا بهم بمقتضى الاضافة وقد قال ابن صياد حين سأله كاشفا عن حاله بالاختبار كيف يأتيك هذا الامر قال يأتيني صادق وكاذب فتسال خلط عليك الامر يعني أن النبوة خاصتها الصدق فلا يعتريها الكذب بجمال لانها اتصال من ذات النبي بالمالا الاعلى من غير مشيعة ولا استعانة بأجنبي والكهانة لما احتاج صاحبها بسبب عجزه الى الاستعانة بالتصورات الاجنبية فكانت داخله في ادراكه والتبست بالادراك الذي توجه اليه فصارت مختلطا بها وطرقه الكذب من هذه الجهة فامنع أن تكون نبوة وانما قلنا ان أرفع مراتب الكهانة حالة السجع لان معنى السجع أخف من سائر الغيبات من المراتب والمسموعات وتدل خفة المعنى على قرب ذلك الاتصال والادراك والبعديه عن العجز بعض الشيء (وقد زعم) بعض الناس أن هذه الكهانة قد انقطعت منذ زمن النبوة بما وقع من شأن رجم الشياطين بالشهب بين يدي البعثة وأن ذلك كان لمنعه من خبر السماء كما وقع في القرآن والكهان انما يعرفون أخبار السماء من الشياطين فبطلت الكهانة من يومئذ ولا يقوم من ذلك دليل لان علوم الكهان كما تكون من الشياطين تكون من نفوسهم أيضا كما قررناه وأيضا فالآية انما دلت على منع الشياطين من نوع واحد من أخبار السماء وهو ما يتعلق بخبر البعثة ولم يمنعوا مما سوى ذلك وأيضا فانما كان ذلك الانقطاع بين يدي النبوة فقط ولعلها عادت بعد ذلك الى ما كانت عليه وهذا هو الظاهر لان هذه المدارك كلها تخمد في زمن النبوة كما تخمد الكواكب والسرير عند وجود الشمس لان النبوة هي النور الاعظم الذي يخفي معه كل نور ويذهب



وقد زعم بعض الحكماء أنها انما توجد بين يدي النبوة ثم تنقطع وهكذا مع كل نبوة وقعت لأن وجود النبوة لا بد له من وضع فلكي يقتضيه وفي تمام ذلك الوضع تمام تلك النبوة التي دل عليها ونقص ذلك الوضع عن التمام يقتضي وجود طبيعة من ذلك النوع الذي يقتضيه ناقصة وهو معنى الكاهن على ما قررناه فقبل أن يتم ذلك الوضع الكامل يقع الوضع الناقص ويقتضي وجود الكاهن اما واحدا أو متعددا فإذا تم ذلك الوضع تم وجود النبي بكامله وانقضت الاوضاع الدالة على مثل تلك الطبيعة فلا يوجد منها شيء بعد وهذا بناء على أن بعض الوضع الفلكي يقتضي بعض أثره وهو غير مسلم فلعل الوضع انما يقتضي ذلك الاثر بهيئته الخاصة ولو نقص بعض أجزائها فلا يقتضي شيئا لأنه يقتضي ذلك الاثر ناقصا كما قالوه ثم ان هؤلاء الكهان اذا عاصروا زمن النبوة فانهم عارفون بصدق النبي ودلالة معجزته لأن لهم بعض الوجود ان من أمر النبوة كالحال انما من أمر اليوم ومعقولية تلك النسبة موجودة للكاهن بأشد مما للنائم ولا يصدهم عن ذلك ويوقعهم في التكذيب الاقوة المطامع في أنها نبوة لهم فيقعون في العناد كما وقع لامية بن أبي الصلت فانه كان يطمع أن يتنبأ وكذا وقع لابن صباد ومسيلمة وغيرهم فاذا غلب الايمان وانقطعت تلك الاماني آمنوا أحسن ايمان كما وقع لطلحة الأسدي وسواد بن قارب وكان لهما في الفتوحات الاسلامية من الآثار الشاهدة بحسن الايمان \* (وأما الرؤيا) فحقيقة مطالعة النفس الناطقة في ذاتها الروحانية لحة من صور الواقعات فانها عندما تكون روحانية تكون صور الواقعات فيها موجودا بالفعل كما هو شأن الذوات الروحانية كلها وتصير روحانية بأن تجرد عن المواد الجسمانية والمدارك البدنية وقد يقع لها ذلك لحة بسبب النوم كما نذكره فتنسب بها علم ما تتشوف اليه من الامور المستقبلية وتعود به الى مداركها فان كان ذلك الاقباس ضعيفا وغير جلي بالمحاكاة والمثال في الخيال لتخلطه فيحتاج من أجل هذه المحاكاة الى التعبير وقد يكون الاقباس قويا يستغنى فيه عن المحاكاة فلا يحتاج الى تعبير لخالوصه من المثال والخيال والسبب في وقوع هذه اللصة للنفس أن ذات روحانية بالقوة مستكملة بالبدن ومداركه حتى تصير ذاتها متعلقة بالحمضا ويكمل وجودها بالفعل فتكون حينئذ ذاتا روحانية مدركة بغير شيء من الآلات البدنية إلا أن نوعها في الروحانيات دون نوع الملائكة أهل الافق الاعلى على الذين لم يستكملوا ذاتهم بشيء من مدارك البدن ولا غيره فهذا الاستعداد حاصل لهما مادامت في البدن ومنه خاص كالذي للاولياء ومنه عام للبشر على العموم وهو أمر الرؤيا \* وأما الذي للانبياء فهو استعداد بالانسلاخ من البشرية الى الملكية

المحنة التي هي أعلى الروحانيات ويخرج هذا الاستعداد فيهم متكررا في حالات الوحي وهو عند ما يرجع على المدارك البدنية ويقع فيها ما يقع من الادراكات شبهها بحال النوم شبهها بنماوان كان حال النوم أدون منه بكثير فلاجل هذا الشبه عبر الشارع عن الرؤيا بأنها جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة وفي رواية ثلثه وأربعين وفي رواية سبعين وليس العدد في جميعها مقصودا بالذات وانما المراد الكثرة في تفاوت هذه المراتب بدليل ذكر السبعين في بعض طرقه وهو للتكثير عند العرب وما ذهب اليه بعضهم في رواية ستة وأربعين من أن الوحي كان في مبتدئه بالرؤيا ستة أشهر وهي نصف سنة ومدة النبوة كلها سنة والمدينة ثلاثة وعشرون سنة فنصف السنة منها جزء من ستة وأربعين فكلام بعيد من التحقيق لانه انما وقع ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ومن أين لنا أن هذا المدة وقعت لغيره من الانبياء مع أن ذلك انما يعطى نسبة زمن الرؤيا من زمن النبوة ولا يعطى نسبة حقيقة من حقيقة النبوة واذن لا هذا مما ذكرناه أولا ولا علمت أن معنى هذا الجزء نسبة الاستعداد الاول الشامل للبشر الى الاستعداد القريب الخاص بصنف الانبياء الفطري لهم صلوات الله عليهم اذ هو الاستعداد البعيد وان كان عاميا في البشر ومعه عوائق وموانع كثيرة من حصوله بالفعل ومن أعظم تلك الموانع الخواص الظاهرة فقطر الله البشر على ارتفاع حجاب الخواص بالنوم الذي هو جلي لهم فتعرض النفس عند ارتفاعه الى معرفة ما تشوف اليه في عالم الحق فتدرك في بعض الاحيان منه لحة يكون فيها الظفر بالمطلوب ولذلك جعلها الشارع من المبشرات فقال لم يبق من النبوة إلا المبشرات قالوا وما المبشرات يا رسول الله قال الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له (وأما سبب ارتفاع حجاب الخواص) بالنوم فعلى ما أصفه لك وذلك أن النفس الناطقة انما ادراكها وأفعالها بالروح الحيواني الجسماني وهو بخار لطيف مركزه بالتجوير لا يسر من القلب على ما في كتب التشریح لجالينوس وغيره وينبعث مع الدم في الشريانات والعروق فيعطى الحس والحركة وسائر الافعال البدنية ويرتفع لطيفه الى الدماغ فيعدل من برده وتم أفعال القوى التي في بطونه فالنفس الناطقة انما تدرك وتعقل بهذا الروح البخاري وهي متعلقة به لما اقتضته حكمة التكوين في أن اللطيف لا يؤثر في الكثيف ولما لطف هذا الروح الحيواني من بين المواد البدنية صار محلا لآثار الذات المبينة له في جسمانيته وهي النفس الناطقة وصارت آثارها حاصلة في البدن بواسطة وقد كادنا أن ادراكها على نوعين ادراكا بالظاهر وهو بالخواص الخمس وادراكا بالباطن وهو بالقوى الدماغية وأن هذا الادراك كله صارف لها عن



ادراكها ما فوقها من ذواتها الروحانية التي هي مستعدة له بالفطرة ولما كانت  
الحواس الظاهرة جسمانية كانت معرضة للوسوس والفشل بما يدركها من التعب  
والكلال وتغشى الروح بكثرة التصرف فخلق الله لها طلب الاستجمام لتجرد الادراك  
على الصورة الكاملة وانما يكون ذلك بانحناس الروح الحيواني من الحواس الظاهرة  
كلها ورجوعه الى الحس الباطن ويعين على ذلك ما يغشى البدن من البرد بالليل  
قطب الحرارة الغريزية أعماق البدن وتذهب من ظاهره الى باطنه فتكون مشبعة  
مركبها وهو الروح الحيواني الى الباطن ولذلك كان النوم للبشر في الغالب انما هو بالليل  
فاذا انحنس الروح عن الحواس الظاهرة ورجع الى القوى الباطنة وخفت عن النفس  
شواغل الحس وموانعه ورجعت الى الصورة التي في الحافظة تمثل منها بالتركيب  
والتحليل صور خيالية وأكثر ما تكون معتادة لانها منتزعة من المدركات المتعاضدة  
قريباً ثم ينزلها الحس المشترك الذي هو جامع الحواس الظاهرة فيدر كها على أنحاء  
الحواس الخمس الظاهرة وربما التفتت النفس لثقة الى ذاتها الروحانية مع منازعتها  
القوى الباطنية فتدرك باذراكها الروحاني لانها مغطورة عليه وتهيئة من صور  
الاشياء التي صارت متعلقة في ذاتها حينئذ ثم يأخذ الخيال تلك الصور المدركة فيمثلها  
بالحقيقة أو المحاكاة في القوالب المعهودة والمحاكاة من هذه هي المحتاجة للتعبير  
وتصرفها بالتركيب والتحليل في صور الحافظة قبل أن تدرك من تلك اللحظة ما تدركه  
هي أضغاث أحلام (وفي الصحيح) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الرؤيا ثلاث رؤيا  
من الله ورؤيا من الملك ورؤيا من الشيطان وهذا التفصيل مطابق لما ذكرناه فالجلى  
من الله والمحاكاة الداعية الى التعبير من الملك وأضغاث الأحلام من الشيطان لانها  
كلها باطل والشيطان ينبوع الباطل هذه حقيقة الرؤيا وما يسيبها ويشيعها من النوم  
وهي خواص للنفس الانسانية موجودة في البشر على العموم لا يختص بها أحد منهم  
بل كل واحد من الانسائي رأى في نومه ما صدر له في يقظته مما راى غير واحد وحصل  
له على القطع أن النفس مدركة للغيب في النوم ولا بد واذا جاز ذلك في عالم النوم  
فلا يتعجب في غيره من الاحوال لان الذات المدركة واحدة وخواصها عامة في كل حال  
والله الهادي الى الحق بمنه وفضله

(فصل) ووقوع ما يقع للبشر من ذلك غالباً انما هو من غير قصد ولا قدرة عليه وانما  
تكون النفس متشوقة لذلك الشيء فيقع لها بتلك اللحظة في النوم لانها تقصد الى ذلك  
فتراه وقد وقع في كتاب الغاية وغيره من كتب أهل الرياضات ذكر أسماء تذكر عند  
النوم فتكون عنها الرؤيا فيما تشوف اليه ويسمونها الحالومية وذكر منها مسلمة في

كتاب الغاية حالومية سماها حالومة الطباع التام وهو أن يقال عند النوم بعد فراغ  
السر وصحة التوجه هذه الكلمات الانجمية وهي تمنع بعد ان يسود وغداً  
نوفنا غداً ويذكر حاجته فانه يرى الكشف عما يسأل عنه في النوم (وحكى)  
أن رجلاً فعل ذلك بعد رياضة ليل في مأكله وذكره فتأمل له شخص يقول له أنا طبايعك  
التام فسأله وأخبره عما كان يشوف اليه وقد وقع لي أنا بهذه الاسماء هراقي عجبية  
واطلعت بها على أمور كنت أتشوف اليها من أحوالي وليس ذلك بدليل على أن القصد  
للرؤيا يحدثها وانما هذه الحالومات تحدث استعداداً في النفس لوقوع الرؤيا فاذا قوى  
الاستعداد كان أقرب الى حصول ما يستعد له وللشخص أن يفعل من الاستعداد  
ما أحب ولا يكون دليلاً على ايقاع المستعد له فالقدرة على الاستعداد غير القدرة  
على الشيء فاعلم ذلك وتدبره فيما يجد من أمثاله والله الحكيم الخبير

(فصل) ثم انما نجد في النوع الانساني أشخاصاً يخبرون بالكائنات قبل وقوعها  
بطبيعة فيهم يتميز بها صنفهم عن سائر الناس ولا يرجعون في ذلك الى صناعة ولا  
يستدلون عليه بأثر من النجوم ولا غيرها انما نجد مداركهم في ذلك بمقتضى فطرتهم  
التي فطرها عليها وذلك مثل العرافين والناظرين في الاحسام الشفافة كالمرايا  
وطساس الماء والناظرين في قلوب الحيوانات وأبصارها وعظامها وأهل الزجر في  
الطيور والسباع وأهل الطرق بالحصى والحبوب من الحنطة والنوى وهذه كلها  
موجودة في عالم الانسان لا يسع أحد ايجدها ولا انكارها وكذلك المجانين يلقى على  
ألسنتهم كلمات من الغيب فيخبرون بها وكذلك النائم والميت لا قول موتة أو نومه  
يتكلم بالغيب وكذلك أهل الرياضات من المتصوفة لهم مدارك في الغيب على سبيل  
الكرامة معروفة \* ونحن الآن نتكلم على هذه الادراكات كلها ونبتدئ منها  
بالكهانة ثم نأتي عليها واحدة واحدة الى آخرها ونقدم على ذلك مقدمة في أن النفس  
الانسانية كيف تستعد للادراك الغيب في جميع الاصناف التي ذكرناها وذلك أنها  
ذات روحانية موجودة بالقوة من بين سائر الروحانيات كما ذكرناه قبل وانما يخرج من  
القوة الى الفعل بالبدن وأحواله وهذا أمر مدرك لكل أحد وكل ما بالقوة فله مادة  
وصورة وصورة هذه النفس التي بها يتم وجودها هو عين الادراك والتعقل فهي توجد  
أولاً بالقوة مستعدة للادراك وقبل الصور الكلية والجزئية ثم يتم نشوؤها ووجودها  
بالفعل بمصاحبة البدن وما يعود لها ويرود مدركاتها المحسوسة عليها وما تنزع من تلك  
الادراكات من المعاني الكلية فتتعقل الصور مرة بعد أخرى حتى يحصل لها الادراك  
والتعقل طوراً بالفعل فتتم ذاتها وتبقى النفس كالهيمولي والصورة متعاقبة عليها بالادراك



واحدة بعد واحدة ولذلك نجد الصبي في أول نشأته لا يقدر على الادراك الذي لها من ذاتها لا بنوم ولا بكشف ولا بغيرهما وذلك لان صورتها التي هي عين ذاتها وهي الادراك والتعقل لم يتم بعد بل لم يتم لها انتزاع الكليات ثم اذا تمت ذاتها بالفعل حصل لها ما دامت مع البدن نوعان من الادراك الادراك بالآلات الجسم توذيه اليها المداور البدنية وادراك بذاتها من غير واسطة وهي محجوبة عنه بالانغماس في البدن والحواس وبشواغلها لان الحواس أبدا جاذبة لها الى الظاهر بما فطرت عليه أولا من الادراك الجسماني وربما تنغمس من الظاهر الى الباطن فيرتفع حجاب البدن لحظة اما بالخاصية التي هي للانسان على الاطلاق مثل النوم أو بالخاصية الموجودة لبعض البشر مثل الكهانة والطرق أو بالرياضة مثل أهل الكشف من الصوفية فملتفت حينئذ الى الذات التي فوقها من الملا الاعلى لما بين أفعها وأفقههم من الاتصال في الوجود كما قررناه قبل وتلك الذات روحانية وهي ادراك محض وعقول بالفعل وفيها صور الموجودات وحقائقها كما تر في تجلي فيها شيء من تلك الصور وتقبس منها علوما وربما دفعت تلك الصور المدركة الى الخيال فيصرفه في القواب المعتادة ثم يراجع الحس بما أدركت اما مجزدا أو في قوالبه فتجربته \* هذا هو شرح استعداد النفس لهذا الادراك الغيبي \* ولترجع الى ما وعدنا به من بيان أصنافه (فاما) الناظرون في الاجسام الشفافة من المرياوطس المياها وقلوب الحيوان وأكبادهما وعظامها وأهل الطرق بالحصى والنوى فكلهم من قبيل الكهان الا أنهم أضعف رتبة فيه في أصل خلقهم لان الكهان لا يحتاج في رفع حجاب الحس الى كثير معاناة وهؤلاء يعانونه بانحصار المداور الحسية كلها في نوع واحد منها واشرفها البصر فيعكف على المرقى البسيط حتى يسدوله مدركه الذي يجربه عنه وربما ينظر أن مشاهدة هؤلاء المايرونه هو في سطح المرأة وليس كذلك بل لا يزالون ينظرون في سطح المرأة الى أن يغيب عن البصر ويدور فيها بينهم وبين سطح المرأة حجاب كأنه غمام تمثل فيه صور هي مداركهم فيشعرون اليهم بالمقصود لما يتوجهون الى معرفته من ثقب أو اثبات فيخبرون بذلك على نحو ما أدركوه وأما المرأة وما يدرك فيها من الصور فلا يدركونه في تلك الحال وانما ينشأ لهم بها هذا النوع الاخر من الادراك وهو نقصاني ليس من ادراك البصر بل يتشكل به المدرك النفساني للحس كما هو معروف ومثل ذلك ما يعرض للناظرين في قلوب الحيوانات وأكبادهما وللناظرين في الماء والطساس وأمثال ذلك \* وقد شاهدنا من هؤلاء من يشغل الحس بالجور فقط ثم بالعزائم للاستعداد ثم يخبر كما أدرك ويرعون أنهم يرون الصور متشخصة في الهواء تحكي لهم أحوال ما يتوجهون الى ادراكه بالمثال

والاشارة وغيبه هؤلاء عن الحس أخف من الاولين والعالم أبو الغرائب \* وأما الزجر وهو ما يحدث من بعض الناس من التكلم بالغيب عند سوح طائر أو حيوان والفكر فيه بعد مغيبه وهي قوة في النفس تبعث على الحرص والفكر فيما جرفه من مرقى أو مسموع وتكون قوته المخيلة كما قد مناه قوية فيبعثها في البحث مستعينا بما رآه أو سمعه فيؤديه ذلك الى ادراكه كما تفعله القوة المخيلة في النوم وعند وكود الحواس توسط بين المحسوس المرقى في يقظته وتجمعه مع ما عقلته فيه كون عنها الرؤيا \* وأما المجانين فنفسهم الناطقة ضعيفة التعلق بالبدن لفساد أفرجهم غالبا وضعف الروح الحيواني فيها فتكون نفسه غير مستغرقة في الحواس ولا منغمسة فيها بما شغلها في نفسها من ألم النقص ومرضه وربما زاحها على التعلق به روحانية أخرى شيطانية تتشبث به وتضعف هذه عن ممانعتها فيكون عنه التخييل فاذا أصابه ذلك التخييل أما لفساد مزاجه من فساد في ذاتها أو لمزاجه من النفوس الشيطانية في تعلقه غاب عن حسه جهله فادرك الحق من عالم نفسه وانطبع فيها بعض الصور وصر فيها الخيال وربما نطق على لسانه في تلك الحال من غير ارادة النطق وادراك هؤلاء كلهم مشوب فيه الحق بالباطل لانه لا يحصل لهم الاتصال وان فقدوا الحس الا بعد الاستعانة بالتصورات الاجنبية كما قررناه ومن ذلك يجيء الكذب في هذه المداور \* وأما العرافون فهم المتعلقون بهذا الادراك وليس لهم ذلك الاتصال فيسلطون الفكر على الامر الذي يتوجهون اليه ويأخذون فيه بالظن والتخمين بناء على ما يتوهمونه من مبادئ ذلك الاتصال والادراك ويدعون بذلك معرفة الغيب وليس منه على الحقيقة (هذا تحصيل هذه الامور) وقد تكلم عليها المسعودي في مروج الذهب فاصادف تحقيقا ولا اصابة ويظهر من كلام الرجل أنه كان بعيدا عن الرسوخ في المعارف فينقل ما سمع من أهله ومن غير أهله وهذه الادراكات التي ذكرناها موجودة كلها في نوع البشر فقد كان العرب يفرعون الى الكهان في تعرف الحوادث ويتنافرون اليهم في الخصومات ليغرفوهم بالحق فيها من ادراك غيبهم وفي كتب أهل الادب كثير من ذلك واشتهر منهم في الجاهلية شق من انمار بن نزار وسطيح بن مازن بن غسان وكان يدرج كما يدرج الثوب ولا عظم فيه الا الجمجمة ومن مشهور الحكايات عنهما تأويل رؤيا ربيعة ابن مضر وما أخبراه به من ملك الحبشة للين وملك مضر من بعدهم وظهور النبوة المحمدية في قريش ورؤيا الموبدان التي أولها سطيح لما بعث اليه بها كسرى عبد المسيح فأخبره بشأن النبوة وخراب ملك فارس وهذه كلها مشهورة وكذلك العرافون كان في العرب منهم كثير وذكروهم في أشعارهم قال



فقلت لعراف اليمامة داوود \* فأنك ان داوود تني لطيب

وقال الآخر

جعلت لعراف اليمامة حكمه \* وعراف نجدان هما شفيعاني

فقالا شفاك الله والله مالنا \* بما جلت منك الضلوع يدان

وعراف اليمامة هو رباح بن عجله وعراف نجد الابلق الاسدي (ومن هذه المدارك الغيبية) ما يصدر لبعض الناس عند مفارقة البقطة والنباسه بالنوم من الكلام على الشيء الذي يتشوف اليه بما يعطيه غيب ذلك الامر كما يريد ولا يقع ذلك الا في مبادى النوم عند مفارقة البقطة وذهاب الاختيار في الكلام فيستكلم ككائه مجبول على النطق وغايته ان يسمعه ويفهمه وكذلك يصدر عن المقولين عند مفارقة رؤسهم وأوساط أبدانهم كلام يمثل ذلك \* ولقد بلغنا عن بعض الجبابرة الظالمين أنهم قتلوا من سجونهم أشخاصا ليتعرفوا من كلامهم عند القتل عواقب أمورهم في أنفسهم فأعلموهم بما يستشع \* وذكر مسلمة في كتاب الغاية له في مثل ذلك أن آدميا اذا جعل في دتن مملوء بدهن السجسم ومكث فيه أربعين يوما يغذى بالتين والجوز حتى يذهب لحمه ولا يبقى منه الا العروق وشؤون رأسه فيخرج من ذلك الدهن فحين يحف عليه الهواء يجيب عن كل شيء يسئل عنه من عواقب الامور الخاصة والعامة وهذا فعل من من اكبر أفعال السحرة لكن يفهم منه عجائب العالم الانساني \* ومن الناس من يحاول حصول هذا المدرك الغيبي بالرياضة فيحاولون بالمجاهدة موتا صناعيا بامانة جميع القوى البدنية ثم محو آثارها التي تلونت بها النفس ثم تغذيتها بالذكور لتزداد قوة في نشأتها ويحصل ذلك بجمع الفكر وكثرة الجوع ومن المعلوم على القطع أنه اذا نزل الموت بالبدن ذهب الحس وحجابه واطلعت النفس على ذاتها وعالمها فيحاولون ذلك بالاكتساب ليقع لهم قبل الموت ما يقع لهم بعده وتطلع النفس على المغيبات ومن هؤلاء أهل الرياضة السحرية يرتاضون بذلك ليحصل لهم الاطلاع على المغيبات والتصرفات في العوالم وأكثر هؤلاء في الاقاليم المنحرفة جنوبا وشمالا خصوصا بلاد الهند ويسمون هنالك الحوكية ولهم كتب في كيفية هذه الرياضة كثيرة والاخبار عنهم في ذلك غريبة \* وأما المتصوفة فرياضتهم دينية وعربية عن هذه المقاصد المذمومة وانما يقصدون جمع الهمة والاقبال على الله بالكلية ليحصل لهم أدواق أهل العرفان والتوحيد وينيدون في رياضتهم الى الجمع والجوع التغذية بالذكور فبها تتم وجهتهم في هذه الرياضة لانه اذا نشأت النفس على الذكركانت أقرب الى العرفان بالله واذا عريت عن الذكركانت شيطانية وحصول ما يحصل من معرفة الغيب والتصرف

لهؤلاء المتصوفة انما هو بالعرض ولا يكون مقصودا من أول الامر لانه اذا قصد ذلك كانت الوجهة فيه لغير الله وانما هي لتقصده التصرف والاطلاع على الغيب وأخسرهم صفقة فانها في الحقيقة شرك قال بعضهم من أثر العرفان للعرفان فقد قال الثاني فهم يقصدون بوجهتهم المعبود لأشياء سواه واذا حصل أثناء ذلك ما يحصل فبالعرض وغير مقصود لهم وكثير منهم يقر منه اذا عرض له ولا يحفل به وانما يريد الله لذاته لا لغيره وحصول ذلك لهم معروف ويسمون ما يقع لهم من الغيب والحديث على الخواطر فراسه وكشفا وما يقع لهم من التصرف كرامة وليس شيء من ذلك بشكر في حقهم وقد ذهب الى انكاره الاستاذ أبو اسحق الاسفرايني وأبو محمد بن أبي زيد المالكي في آخرين فرار من التباس المعجزة بغيرها والمعول عليه عند المتكلمين حصول التفرقة بالتحدي فهو ككاف \* وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فيكم محدثين وان منهم عمرو وقد وقع للصحابه من ذلك وقائع معروفة تشهد بذلك في مثل قول عمر رضي الله عنه يا سارية الجبل وهو سارية بن زعيم كان قائدا على بعض جيوش المسلمين بالعراق أيام الفتوحات ولورط مع المشركين في معتزل وهم بالانهمزام وكان بقرية جبل يتجهز اليه فرفع له امر ذلك وهو يخطب على المنبر بالمدينة فنادا يا سارية الجبل وسمعه سارية وهو بمكانه ورأى شخصه هناك والقصة معروفة ووقع مثله أيضا لأبي بكر في وصيته عائشة ابنته رضي الله عنها في شأن ما نحلها من أوسق التمر من حديثه ثم نبهها على جذاده لتخوزه عن الورثة فقال في سياق كلامه وانما هما أخوال وأختان فقالت انما هي أسماء فمن الاخرى فقال ان ذا بطن بنت خارجة أراها جارية فكانت جارية وقع في الموطا في باب ما لا يجوز من النحل ومثل هذه الوقائع كثيرة لهم ولمن بعدهم من الصالحين وأهل الاقتداء الآن أهل التصوف يقولون انه يقل في زمن النبوة اذ لا يبقى للمريد حالة بحضرة النبي حتى انهم يقولون ان المريد اذا جاء للعدينة النجوية يسلب حاله مادام فيها حتى يفارقها والله يرزقنا الهداية ويرشدنا الى الحق

(فصل) ومن هؤلاء المردين من المتصوفة قومهم النسل معتمدون أشبه بالمجاهدين من العقلاء وهم مع ذلك قد صحت لهم مقامات الولاية وأحوال الصديقين وعلم ذلك من أحوالهم من يفهم عنهم من أهل الذوق مع أنهم غير مكافين ويقع لهم من الاخبار عن المغيبات عجائب لانهم لا يتقيدون بشيء فيطلقون كلامهم في ذلك ويأتون منه بالعجائب وربما ينكر الفقهاء أنهم على شيء من المقامات لما يرون من سقوط التكليف عنهم والولاية لا تحصل الا بالعبادة وهو غلط فان فضل الله بؤيته من



يشاء ولا يتوقف حصول الولاية على العبادة ولا غيرها وإذا كانت النفس الانسانية ثابتة الوجود فالتعالي يخصها بما شاء من مواهبه وهؤلاء القوم لم تعد نفوسهم الناطقة ولا فسدت كحال المجانين وانما فقد لهم العقل الذي ينال به التكليف وهي صفة خاصة للنفس وهي علوم ضرورية للانسان يشتملها فطرته ويعرف أحوال معاشه واستقامة منزله وكأنه اذا برأ حوال معاشه واستقامة منزله لم يبق له عذر في قبول التكليف لاصلاح معاده وليس من فقد هذه الصفة بقاقل لنفسه ولا ذاهل عن حقيقته فيكون موجود الحقيقة معدوم العقل التكليفي الذي هو معرفة المعاش ولا استحالة في ذلك ولا يتوقف اصطفاء الله عبادا للمعرفة على شيء من التكليف واذا صح ذلك فاعلم أنه ربما يلتبس حال هؤلاء بالمجانين الذين تفسد نفوسهم الناطقة ويلتصقون بالبهائم ولك في تمييزهم علامات منها أن هؤلاء البهائم تجدهم وجهة ما لا يحلون عنها أصلا من ذكر وعبادة لكن على غير الشروط الشرعية لما قلناه من عدم التكليف والمجانين لا يجد لهم وجهة أصلا ومنها أنهم يخلقون على البهائم من أول نشأتهم والمجانين يعرض لهم الجنون بعد مدة من العمر لعوارض بدنية طبيعية فاذا عرض لهم ذلك وفسدت نفوسهم الناطقة ذهبوا بالخبيثة ومنها كثرة تصرفهم في الناس بالخير والشر لانهم لا يتوقفون على اذن لعدم التكليف في حقهم والمجانين لا تصرف لهم وهذا فصل انتهى بنا الكلام اليه والله المرشد للصواب

(فصل) وقد يزعم بعض الناس أن هنامدار الغيب من دون غيبة عن الحس ففهم المنجمون القائلون بالدلالات النجومية ومقتضى أوضاعها في الفلك وآثارها في العناصر وما يحصل من الامتزاج بين طباعها بالتناظر ويتأدى من ذلك المزاج الى الهواء وهؤلاء المنجمون ليسوا من الغيب في شيء انما هي ظنون حدسية وتخمينات مبنية على التناظر النجومية وحصول المزاج منه للهواء مع مزيد حدث يقف به الناظر على تفصيله في الشخصيات في العالم كما قاله بطليموس ونحن نبين بطلان ذلك في محله ان شاء الله وهو لو ثبت فغايتة حدس وتخمين وليس مما ذكرنا في شيء \* ومن هؤلاء قوم من العامة استنبطوا الاستخراج الغيب وتعرف الكائنات صناعاتهم وها خط الرمل نسبة الى المادة التي يضعون فيها عملهم ومحصل هذه الصناعة أنهم صيروا من النقط أشكال ذات أربع مراتب تختلف باختلاف مراتبها في الزوجية والفردية واستوائها فيهم ما كانت ستة عشر شكلا لانها ان كانت أزواجا كلها أو أفرادا كلها فشكلا وان كان الفرد فيهما في مرتبة واحدة فقط فأربعة أشكال وان كان الفرد في مرتبتين فثمانة أشكال وان كان في ثلاثة مراتب فأربعة أشكال جاءت

سبعة عشر شكلا ميزوها كلها باسمائها وأنواعها الى سعود ونحوس شأن الكواكب وجعلوا لها ستة عشر بيتا طبيعية بزعمهم وكما أنها البروج الاثنا عشر التي للفلك والاثنا عشر الاربعة وجعلوا لكل شكل منها بيتا وحظوظا ودلالة على صنف من موجودات عالم العناصر يختص به واستنبطوا من ذلك فنا حاذوا به فن النجامة ونوع قضائه الآن أحكام النجامة مستندة الى أوضاع طبيعية كما زعم بطليموس وهذه انما مستندة الى أوضاع تخمينية وأهواء اتفاقية ولا دليل يقوم على شيء منها وزعمون أن أصل ذلك من النبوة القديمة في العالم وربما نسبوها الى دانيال أو الى ادريس صلوات الله عليهما شأن الصنائع كلها وربما يتبعون مشروعيتهما ويحبسون بقوله صلى الله عليه وسلم كان نبي يخطفن وافق خطه فذاك وليس في الحديث دليل على حشروعية خط الرمل كما يزعمه بعض من لا تحصيل لديه لان معنى الحديث كان نبي يخط فمأتمه الوحي عند ذلك الخط ولا استحالة في أن يكون ذلك عادة لبعض الانبياء فن وافق خطه ذلك النبي فهو ذلك أي فهو صحيح من بين الخط بما عضده من الوحي لذلك النبي الذي كانت عادته أن يأتيه الوحي عند الخط وأما اذا أخذ ذلك من الخط مجردا من غير موافقة وحي فلا وهذا معنى الحديث والله أعلم \* فاذا أرادوا استخراج مغيب بزعمهم عمدوا الى قرطاس أو رمل أو دقيق فوضعوا النقط سطورا على عدد المراتب الاربعة ثم كرروا ذلك أربع مرات فتبي ستة عشر سطرا ثم يطرحون النقط أزواجا ويضعون ما بقي من كل سطر زوجا كان أو فردا في مرتبة على الترتيب فتبي أربعة أشكال يضعونها في سطر متتالية ثم يولدون منها أربعة أشكال أخرى من جانب العرض باعتبار كل مرتبة وما قابلها من الشكل الذي بازائه وما يجمع منهما من زوج أو فرد فتكون ثمانية أشكال موضوعة في سطر ثم يولدون من كل شكلين شكلا تحتها باعتبار ما يجمع في كل مرتبة من مراتب الشكلين أيضا من زوج أو فرد فتكون أربعة أخرى تحتها ثم يولدون من الاربعة شكلين كذلك تحتها ثم من الشكلين شكلا كذلك تحتها ثم من هذا الشكل الخامس عشر مع الشكل الاول شكلا يكون آخر الستة عشر ثم يحكمون على الخط كله بما اقتضته أشكاله من السعادة والنحوسة بالذات والنظر والحلول والامتزاج والدلالة على أصناف الموجودات وسائر ذلك تحكما غيرينا وكثرت هذه الصناعة في العمران ووضعت فيها التآليف واشتهر فيها الاعلام من المتقدمين والمتأخرين وهي كما رأيت تحكم وهوى والتحقيق الذي ينبغي أن يكون نصب فكره أن الغيوب لا تدرك بصناعة البتة ولا سبيل الى تعرفها الا للخواص من البشر المقطوعين على الرجوع عن عالم الحس الى عالم الروح ولذلك يسمى المنجمون هذا



المصنف كلهم بالزهرين نسبة الى ما تقتضيه دلالة الزهرة بزعمهم في أصل موايدهم على ادراك الغيب فالخط وغيره من هذه ان كان الناظر فيه من أهل هذه الخاصية وقصد بهذه الامور التي ينظر فيها من النقط أو العظام أو غيرها اشغال الحس لترجع النفس الى عالم الروحانيات لحظة ما فهو من باب الطرق بالخصى والنظر في قلوب الحيوانات والمرابا الشفافة كما ذكرناه وان لم يكن كذلك وانما قصد معرفة الغيب بهذه الصناعة وأنما تفيد ذلك فهدى من القول والعمل والله يهدي من يشاء \* والعلامة لهذه القطرة التي فطر عليها أهل هذا الازدراك الغيبي أنهم عند توجههم الى تعرف الكائنات يعترفهم خروج عن حالتهم الطبيعية كالشأوب والتقطط ومبادئ الغيبة عن الحس ويختلف ذلك بالقوة والضعف على اختلاف وجودها فيهم فمن لم توجد له هذه العلامة فليس من ادراك الغيب في شيء وانما هو ساع في تنقيح كذبه

(فضل) ومنهم طوائف يضعون قوانين لاستخراج الغيب ليست من الطور الاول الذي هو من مدارك النفس الروحانية ولا من الحدس المبني على تأثيرات النجوم كما زعمه بطليموس ولا من الظن والتخمين الذي يحاول عليه العرافون وانما هي مغالط يجعلونها كالمصايد لاهل العقول المستضعفة ولست أدرك من ذلك الا ما ذكره المصنفون وولع به الخواص \* فمن تلك القوانين الحساب الذي يسمونه حساب النيم وهو مذكور في آخر كتاب السياسة المنسوب لارسطو يعرف به الغالب من المغلوب في المتخارين من المولود وهو أن تحسب الحروف التي في اسم أحدهما بحساب الجمل المضطوح عليه في حروف أبجد من الواحد الى الالف آحادا وعشرات ومئين وألوف فإذا حسبت الاسم وتحصل لك منه عدد فاحسب اسم الآخر كذلك ثم اطرح كل واحد منهما تسعة تسعة واحفظ بقية هذه ابقية هذا ثم انظر بين العددين الباقيين من حساب الاسمين فان كان العددين مختلفين في الكمية وكانا معاً زوجين أو فردين معاً فصاحب الأقل منهما هو الغالب وان كان أحدهما زوجاً والاخر فرداً فصاحب الاكثر هو الغالب وان كانا متساويين في الكمية وهما معاً زوجان فالمطلوب هو الغالب وان كانا معاً فردين فالمطلوب هو الغالب ويقال هنالك بيتان في هذا العمل اشترا بين الناس وهما

أرى الزوج والافراد يسموا قلها \* وأكثرها عند التخالف غالب

ويغلب مطلوب اذا الزوج يستوى \* وعند استواء الفرد يغلب طالب

ثم وضعوا معرفة ما بقي من الحروف بعد طرحها بتسعة قانوناً معروفاً عندهم في طرح تسعة وذلك أنهم جمعوا الحروف الدالة على الواحد في المراتب الاربع وهي ا

الدالة على الواحد و ي الدالة على العشرة وهي واحد في مرتبة العشرات و ق الدالة على المائة لانها واحد في مرتبة المئين و ش الدالة على الالف لانها واحد في مرتبة الآلاف وليس بعد الالف عدد يدل عليه بالحروف لان الشين هي آخر حروف أبجد ثم رتبوا هذه الاحرف الاربعة على نسق المراتب فكان منها كلمة رباعية وهي ايقش ثم فعلوا ذلك بالحروف الدالة على اثنين في المراتب الثلاث وأسقطوا مرتبة الآلاف منها لانها كانت آخر حروف أبجد فكان مجموع حروف الاثنين في المراتب الثلاث ثلاثة حروف وهي ب الدالة على اثنين في الآحاد و ل الدالة على اثنين في العشرات وهي عشرون و ر الدالة على اثنين في المئين وهي مائتان وصيروها كلمة واحدة ثلاثية على نسق المراتب وهي بكر ثم فعلوا ذلك بالحروف الدالة على ثلاثة فتشأت عنها كلمة جلس وكذلك الى آخر حروف أبجد وصارت تسع كلمات نهاية عدد الآحاد وهي ايقش بكر جلس دمت هنت وصح زعد حفظ طضع مرتبة على توالي الاعداد ولكل كلمة منها عدد الذي هي في مرتبته فالواحد لكلمة ايقش والاثنان لكلمة بكر والثلاثة لكلمة جلس وكذلك الى التاسعة التي هي طضع فتكون لها التسعة فاذا أرادوا طرح الاسم بتسعة نظروا كل حرف منه في أي كلمة هو من هذه الكلمات وأخذوا عدد ما كانه ثم جمعوا الاعداد التي يأخذونها بدلا من حروف الاسم فان كانت زائدة على التسعة أخذوا ما فضل عنها والاخذوه كما هو ثم يفعلون كذلك بالاسم الآخر وينظرون بين الخارجين بما قدمناه والسرفي هذا القانون بين وذلك أن الباقي من كل عقد من عقود الاعداد بطرح تسعة انما هو واحد فكأنه يجمع عدد العقود خاصة من كل مرتبة فصارت أعداد العقود كأنها آحاد فلا فرق بين الاثنين والعشرين والمائتين والالفين وكما اثنان وكذلك الثلاثة والثلثون والثلثمائة والثلاثة الالف كلها ثلاثة ثلاثة فوضعت الاعداد على التوالي دالة على اعداد العقود لا غير وجعلت الحروف الدالة على أصناف العقود في كل كلمة من الآحاد والعشرات والمئين والالوف وصار عدد الكلمة الموضوع عليها نائبا عن كل حرف فيها سواء دل على آحادا والعشرات أو المئين فيؤخذ عدد كل كلمة عوضا من الحروف التي فيها وتجمع كلها الى آخرها كما قلناه هذا هو العمل المتداول بين الناس منذ الامم القديمة وكان بعض من لقبناه من شيوخنا يرى أن الصحيح فيها كلمات أخرى تسعة مكان هذه ومتوالية كتواليها ويفعلون بها في الطرح بتسعة مثل ما يفعلونه بالآخرى سواء هي هذه أرب يسقك جزلط مدوص هف تحذن عش خغ تظظ تسع كلمات على توالي العدد

قوله والالوف فيه  
نظرا لان الحروف  
ليس فيها ما يزيد عن  
الالف كما سبق في  
كلامه اه



ولكل كلمة منها عدد الذي في مرتبة فيها الثلاثي والرابعي والثلاثي وليست  
جارية على أصل مطرد كما تراه لكن كان شيوخنا ينقلون عن شيخ المغرب  
في هذه المعارف من السيميا وأسرار الحروف والنجامة وهو أبو العباس بن البناء  
ويقولون عنه أن العمل بهذه الكلمات في طرح حساب النيم أصح من العمل  
بكلمات ايقش والله أعلم كيف ذلك وهذه كلها مدارك للغيب غير مستندة إلى برهان  
ولا تحقيق والكتاب الذي وجد فيه حساب النيم غير معزى إلى ارسطو وعند المحققين  
لما فيه من الآراء البعيدة عن التحقيق والبرهان يشهد بذلك تصفحه أن كنت  
من أهل الرسوخ اه ومن هذه القوانين الصناعية لاستخراج الغيوب فيما يزعمون  
الزائجة المسماة بزائجة العالم المعزوة إلى أبي العباس سيدي أحمد السبتي من  
أعلام المتصوفة بالمغرب كان في آخر المائة السادسة عمرا كش ولعهدي أبي يعقوب  
المنصور من ملوك الموحدين وهي غريبة العمل صناعة وكثير من الخواص يولعون  
بإفادة الغيب منها بعملها المعروف بالمغوز فيحرضون بذلك على حل رمزه وكشف  
غامضه وصورتها التي يقع العمل عندهم فيها دائرة عظيمة في داخلها دوائر متوازية  
للافلak والعناصر والمكونات والروحانيات وغير ذلك من أصناف الكائنات والعلوم  
وكل دائرة مقسومة بأقسام فلكها أما البروج وأما العناصر أو غيرهما وخطوط  
كل قسم مارة إلى المركز ويسمونها الاوتار وعلى كل وتر حروف متتابعة موضوعة  
فنها برشوم الزمام التي هي أشكال الأعداد عند أهل الدواوين والحساب بالمغرب  
لهذا العهد ومنها برشوم الغبار المتعارفة في داخل الزائجة وبين الدوائر أسماء  
العلوم ومواضع الاكوان وعلى ظاهر الدوائر جدول متكثير البيوت المتقاطعة  
طولا وعرضا شتمل على خمسة وخمسين بيتا في العرض ومائة واحد وثلاثين في الطول  
جوانب منه معمورة البيوت تارة بالاعداد وأخرى بالحروف وجوانب خالية  
البيوت ولا تعلم نسبة تلك الأعداد في أوضاعها ولا القسمة التي عينت البيوت العامة  
من الخالية وحفا في الزائجة أبيات من عروض الطويل على روى اللام المنصوبة  
تتضمن صورة العمل في استخراج المطلوب من تلك الزائجة إلا أنهم من قبيل  
الانغاز في عدم الوضوح والجلال وفي بعض جوانب الزائجة بيت من الشعر  
منسوب لبعض أكابر أهل الحدثان بالمغرب وهو مالك بن وهيب من علماء أشيلية  
كان في الدولة اللمونية ونص البيت

سؤال عظيم الخلق حزن فصن اذن \* غرائب شل ضبطه الخدم مثلا  
وهو البيت المتداول عندهم في العمل لاستخراج الجواب من السؤال في هذه

الزائجة وغيرها فإذا أرادوا استخراج الجواب عما يسئل عنه من المسائل كتبوا  
ذلك السؤال وقطعوه حروفا ثم أخذوا الطالع لذلك الوقت من بروج الفلك ودرجها  
وعمدوا إلى الزائجة ثم إلى الوتر المكتشف فيها بالبرج الطالع من أوله مارة إلى المركز  
ثم إلى محيط الدائرة الطالع فيأخذون جميع الحروف المكتوبة عليه من أوله إلى  
آخره والاعداد المرسومة بينهم ما يصيرونها حروفا بحساب الجمل وقد ينقلون أحاديثها  
إلى العشرات وعشرات إلى المئين وبالعكس فيهما كما يفتنهم قانون العمل عندهم  
ويضعونها مع حروف السؤال ويضيفون إلى ذلك جميع ما على الوتر المكتشف بالبرج  
الثالث من الطالع من الحروف والاعداد من أوله إلى المركز فقط لا يتجاوزونه إلى  
المحيط ويفعلون بالاعداد ما فعلوه بالأول ويضيفونها إلى الحروف الأخرى ثم  
يقطعون حروف البيت الذي هو أصل العمل وقانونه عندهم وهو بيت مالك بن وهيب  
المتقدم ويضعونها ناحية ثم يضربون عدد درج الطالع في أس البرج وأسسه عندهم  
هو بعد البرج عن آخر المراتب عكس ما عليه الأس عند أهل صناعة الحساب  
فانه عندهم البعد عن أول المراتب ثم يضربونه في عدد آخر يسمونه الأس الأكبر  
والدور الأصلي ويدخلون بما تتجمع لهم من ذلك في بيوت الجدول عن قوانين معروفة  
وأعمال مذكورة وأدوار معدودة ويستخرجون منها حروفا ويسقطون أخرى  
ويقالون بما معهم في حروف البيت وينقلون منه ما ينقلون إلى حروف السؤال  
وما معها ثم يطرحون تلك الحروف بأعداد معلومة يسمونها الادوار ويخرجون في  
كل دور الحرف الذي ينتهي عنده الدور يعاودون ذلك بعدد الادوار المعينة عندهم  
لذلك فيخرج آخر حروف متقطعة وتؤلف على التوالي فتصير كلمات منظومة في  
بيت واحد على وزن البيت الذي يقابل به العمل ورويه وهو بيت مالك بن وهيب  
المتقدم حسبما ذكر ذلك كله في فصل العلوم عند كيفية العمل بهذه الزائجة \*  
وقد رأينا كثيرا من الخواص يتهاقنون على استخراج الغيب منها تلك الأعمال  
ويحسبون أن ما وقع من مطابقة الجواب للسؤال في توافق الخطاب دليل على مطابقة  
الواقع وليس ذلك بصحيح لانه قد مر أن الغيب لا يدرك بأمر صناعي البتة وإنما  
المطابقة التي فيها بين الجواب والسؤال من حيث الافهام والتوافق في الخطاب حتى  
يكون الجواب مستقيما وموافقا للسؤال ووقوع ذلك بهذه الصناعة في تفسير  
الحروف المجمعة من السؤال والاوتار والدخول في الجدول بالاعداد المجمعة من  
ضرب الاعداد المفروضة واستخراج الحروف من الجدول بذلك وطرح أخرى  
ومعاودة ذلك في الادوار المعدودة ومقابلة ذلك كله بحروف البيت على التوالي وغير

قوله برشوم أي  
موضوعة برشوم بضم  
الراء جمع رشم بالشين  
المعجمة اه

ياض بالأصل







القوت واستجادة المطابخ واتقاء الملابس الفاخرة في أنواعها من الحرير والدياج وغير ذلك ومعالجة البيوت والصروح واحكام وضعها في تحييدها والانتفاء في الصنائع في الخروج من القوة الى الفعل الى غاياتها فيتخذون القصور والمنازل ويجرون فيها المياه ويعالون في صرحها ويبالغون في تحييدها ويختلفون في استجادة ما يتخذونه لمعاشهم من ملبوس أو فراش أو آنية أو ما عيون وهؤلاء هم الحضر ومعناه الحاضرون أهل الامصار والبلدان ومن هؤلاء من يتكفل في معاشه الصنائع ومنهم من يتكفل التجارة وتكون مكاسبهم أغني وأرفه من أهل البدو لأن أخوالهم زائدة على الضروري ومعاشهم على نسبة زجدهم فقد تبين أن أجيال البدو والحضر طبيعية لا بد منها كما قلناه

### ٢ (فصل في أن جيل العرب في الخلقة طبيعي)

قد قدّمنا في الفصل قبله أن أهل البدو هم المنتحلون للمعاش الطبيعي من الفلح والقيام على الأنعام وأنهم مقتصرون على الضروري من الاقوات والملابس والمسكن وسائر الاحوال والعوائد ومقصرون عما فوق ذلك من حاجي أو كالي يتخذون البيوت من الشعر والوبر أو الشجر أو من الطين والحجارة غير منجدة انما هو قصد الاستظلال والكن لا ما وراءه وقد يأتون الى الغيران والكهوف وأما أقواتهم فيتناولون بها يسيرا بعلاج أو بغير علاج البتة الامامسته التارفين كان معاشهم في الزراعة والقيام بالفلح كان المقام به أولى من الطعن وهؤلاء سكان المداشر والقرى والجبال وهم عامة البربر والاعاجم ومن كان معاشه في السائمة مثل الغنم والبقر فهم طعن في الاغلب لارتداد المسارح والمياه لحيو اناتهم فالتقلب في الارض أصلح بهم ويسمون شايبة ومعناه القمامون على الشاء والبقر ولا يبعدون في القفر لفقدها المسارح الطيبة وهؤلاء مثل البربر والترلو اخوانهم من التركمان والصقالبة وأما من كان معاشهم في الابل فهم أكثر طعننا وأبعد في القفر مجالا لان مسارح التلول ونباتها وشجرها لا يستغني بها الابل في قوام حياتها عن مراعي الشجر بالقفر وورود مياهه الملحقة والتقلب فصل الشتاء في نواحيه فرار من أذى البرد الى دفاءه وانه وطلبا لما خض الساج في رماله اذا الابل أصعب الحيوان فصلا ولا ومخاضا وأحوالها في ذلك الى الدفاء فاضطروا الى ابعاد النجعة وربما زادتهم الحامية عن التلول أيضا فأغلوا في القفار نفرة عن الضعة منهم فكانوا لذلك أشد الناس توحشا وينزلون من أهل الحواضر منزلة الوحش غير المقدور عليه والمقتدر من الحيوان العجم وهؤلاء هم

العرب وفي معناه هم ظعون البربر وبناتة بالمغرب والاكراد والتركمان والترك بالمشرق الآن العرب أبعد نجعة وأشد بداءة لانهم مختصون بالقيام على الابل فقط وهؤلاء يقومون عليها وعلى الشياه والبقر معها فقد تبين لك أن جيل العرب طبيعي لا بد منه في العمران والله سبحانه وتعالى أعلم

### ٣ (فصل في أن البدو أقدم من الحضرة سابق عليهم وان البادية أصل العمران والامصار ممدولهما)

قد ذكرنا أن البدو هم المقتصرون على الضروري في أحوالهم العاجزون عما فوقه وأن الحضرة المعتنون بحاجات الترف والكمال في أحوالهم وعوائدهم ولا شك أن الضروري أقدم من الحاجي والكمال وسابق عليه لأن الضروري أصل والكمال فرع ناشئ عنه فالبدو أصل للمدن والحضر وسابق عليه ما لان أول مطالب الانسان الضروري ولا ينتهي الى الكمال والترف الا اذا كان الضروري حاصلا فخشونة البداوة قبل رقة الحضارة ولهذا نجد المدن غاية للبدو ويجري اليها وينتهي بسعيه الى مقترحه منها ومتى حصل على الرياش الذي يحصل له به أحوال الترف وعوائده عاج الى الدعة وأمكن نفسه الى قياد المدينة وهكذا شأن القبائل المتبدية كلهم والحضر لا يتشوق الى أحوال البادية الا لضرورة تدعوه اليها أو لتقصير عن أحوال أهل مدنته ومما يشهد لنا أن البدو أصل للحضر ومتقدم عليه أنا اذا قنسنا أهل مصر من الامصار وجدنا أولية أكثرهم من أهل البدو والذين بناحية ذلك المصير وفي قراءه وأنهم أبسروا فسكنوا المصير وعدلوا الى الدعة والترف الذي في الحضرة وذلك يدل على أن أحوال الحضرة ناشئة عن أحوال البداوة وأنها أصل لها ففقههم ثم ان كل واحد من البدو والحضر متفاوت الاحوال من جنسه فرب حيا أعظم من حيا وقبيلة أعظم من قبيلة ومصر أوسع من مصر ومدينة أكثر عمرا من مدينة فقد تبين أن وجود البدو ومتقدم على وجود المدن والامصار وأصل لها بما أن وجود المدن والامصار من عوائد الترف والدعة التي هي متأخرة عن عوائد الضرورة المعاشية والله أعلم

### ٤ (فصل في أن أهل البدو أقرب الى الخير من أهل الحضرة)

وسببه ان النفس اذا كانت على الفطرة الاولى كانت متميئة لقبول ما يرد عليها وينطبع فيها من خيرا وشرقا صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فأواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه وبقدرا ما سبق اليها من أحد الخلقين تبعد عن الآخر ويصعب عليها اكتسابه فصاحب الخير اذا سبقت الى نفسه عوائد



الخير وحصلت لها ملكته بعد عن الشر وصعب عليه طريقه وكذا صاحب الشر  
إذا سبقت إليه أيضا عوائد أهل الحضرة لكثرة ما يعانون من فنون الملاذ وعوائد  
الترف والاقبال على الدنيا والعكوف على شهواتهم منها قد تلونت أنفسهم بكثير  
من مذمومات الخلق والشر وبعدت عليهم طرق الخير ومسالكه بقدر ما حصل لهم  
من ذلك حتى لقد ذهبت عنهم مذاهب الحشمة في أحوالهم فتجد الكثير منهم يقدعون  
في أقوال الفحشاء في مجالسهم وبين كبرائهم وأهل محارمهم لا يصدّهم عنه وازرع  
الحشمة لما أخذتهم به عوائد السوء في التظاهر بالفواحش قولاً وعملاً وأهل البدو  
وإن كانوا مقبلين على الدنيا مثلهم إلا أنه في المقدار الضروري لا في الترف ولا في شيء  
من أسباب الشهوات والذوات ودواعيها فعوائدهم في معاملاتهم على نسبتها  
وما يحصل فيهم من مذاهب السوء ومذمومات الخلق بالنسبة إلى أهل الحضرة أقل  
بكثير فهم أقرب إلى النظرة الأولى وأبعد عما ينطبع في النفس من سوء الملكات بكثرة  
العوائد المذمومة وقبحها فيسهل علاجهم عن علاج الحضرة وهو ظاهر وقد توضّح فيما  
بعد أن الحضرة هي نهاية العمران وخروجه إلى الفساد ونهاية الشر والبعد عن  
الخير فقتدين أن أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضرة والله يحب المتقين  
ولا يعترض على ذلك بما ورد في صحيح البخاري من قول الجراح لسلمة بن الأكوع وقد  
بلغه أنه خرج إلى سكنى البادية فقال له ارتددت على عقبيك تعربت فقال لا ولكن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لي في البدو فأعلم أن الهجرة افترضت أول الإسلام  
على أهل مكة ليكونوا مع النبي صلى الله عليه وسلم حيث حل من المواطن ينصرونه  
ويظاهرونه على أمره ويحرسونه ولم تكن واجبة على الأعراب أهل البادية لأن أهل  
مكة يمسهم من عصية النبي صلى الله عليه وسلم في المظاهرة والحراسة ما لا يمس غيرهم  
من بادية الأعراب وقد كان المهاجرون يستعيذون بالله من التعرب وهو سكنى البادية  
حيث لا يحب الهجرة وقال صلى الله عليه وسلم في حديث سعد بن أبي وقاص عند  
مرضه بمكة اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم ومعناه أن يوفقهم  
للملازمة المدينة وعدم التحول عنها فلا يرجعوا عن هجرتهم التي ابتدوا بها وهو من  
باب الرجوع عن العقب في السعي إلى وجهه من الوجه وقيل إن ذلك كان خاصاً  
بما قبل الفتح حين كانت الحاجة داعية إلى الهجرة لقله المسلمين وأما بعد الفتح وحين  
كثر المسلمون واعتزوا وتكفل الله لأمية بالعصمة من الناس فإن الهجرة ساقطة حينئذ  
لقوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح وقيل سقط انشأها عن يسلم بعد الفتح  
وقيل سقط وجوبها عن أسلم وهاجر قبل الفتح والكل مجمعون على أنها بعد الوفاة

ساقطة لأن الصحابة أفترقوا من يومئذ في الآفاق وانتشروا ولم يبق إلا فضل السكنى  
بالمدينة وهو هجرة فقول الجراح لسلمة حين سكن البادية ارتددت على عقبيك  
تعربت تعي عليه في ترك السكنى بالمدينة بالاشارة إلى الدعاء المأثور الذي قد مناه وهو  
قوله ولا تردهم على أعقابهم وقوله تعربت اشارة إلى أنه صار من الأعراب الذين  
لا يهاجرون وأجاب سلمة بأنكار ما أرمه من الأمرين وأن النبي صلى الله عليه وسلم  
أذن له في البدو ويكون ذلك خاصاً به كشهادة خزيمة وعناق أبي بردة أو يكون الجراح  
إنما تعي عليه ترك السكنى بالمدينة فقط لعله بسقوط الهجرة بعد الوفاة وأجابه سلمة بأن  
اعتناؤه لأذن النبي صلى الله عليه وسلم أولى وأفضل فخاثره به واختصه بالاعتناء  
عليه فيه وعلى كل تقدير فليس دليل على مذمة البدو الذي عبر عنه بالتعرب لأن  
مشروعية الهجرة إنما كانت كما عرفت لمظاهرة النبي صلى الله عليه وسلم وحراسته للمدينة  
البدو فليس في التعي على ترك هذا الواجب بالتعرب دليل على مذمة التعرب والله  
سبحانه أعلم وبه التوفيق

❦ (فصل في أن أهل البدو أقرب إلى الشجاعة من أهل الحضرة) ❦

والسبب في ذلك أن أهل الحضرة ألقوا جنوبهم على مهال الراحة والدعة وانغمسوا  
في النعيم والترف ووككوا أمرهم في المدافعة عن أموالهم وأنفسهم إلى واليهم  
والحاكم الذي يسوسهم والحامية التي تولت حراستهم واستناموا إلى الأسوار التي  
تحوطهم والحرز الذي يحول دونهم فلا تهيجهم هبة ولا ينفر لهم صيد فهم غارون  
آمنون قد ألقوا السلاح ونالت على ذلك منهم الأجيال وتنزلوا بمنزلة النساء والولدان  
الذين هم عيال على أبي منواهم حتى صار ذلك خلقاً يتنزل بمنزلة الطبيعية وأهل  
البدو لتفردهم عن المجتمع وتوحشهم في الضواحي وبعدهم عن الحامية وانتبذهم  
عن الأسوار والأبواب قائمون بالمدافعة عن أنفسهم لا يكلونهم إلى سواهم  
ولا يثقون فيها بغيرهم فهم دائماً يحملون السلاح ويتلفتون عن كل جانب في الطرق  
وينجفون عن المجموع الأعرا في المجالس وعلى الرجال وفوق الأقباب ويتوجسون  
للنبات والهجمات ويتفردون في القفر والبيداء مدينين بأسهم واثقين بأنفسهم قد صار  
لهم البأس خلقاً والشجاعة محبة يرجعون إليها متى دعاهم داع أو استنفرهم صارخ  
وأهل الحضرة مهما خالطوهم في البادية أو صاحبوهم في السفر عيال عليهم لا يعملون  
معهم شيئاً من أمر أنفسهم وذلك مشاهد بالعيان حتى في معرفة النواحي والجهات  
وموارد المياه ومشارع السبل وسبب ذلك ما شرحناه وأصله أن الإنسان ابن عوائد



ومألوفه لا ابن طبيعته ومن اجبه فالذي ألفه في الاحوال حتى صار خلقا وملاكة  
وعادة تنزل منزلة الطبيعة والجملة واعتبر ذلك في الآدميين تجده كثيرا صحيحا والله يخلق  
ما يشاء

٦ (فصل في ان معاناة اهل المحضر للاحكام مفسدة للبأس فيهم ذاهبة بالمنفعة منهم) \*

وذلك أنه ليس كل أحد مالك أمر نفسه اذ الرؤساء والامراء المالكون لامر الناس  
قليل بالنسبة الى غيرهم فن الغالب أن يكون الانسان في ملكة غيره ولا بد فان كانت  
الملكة رفيقة وعادلة لا يعانى منها حكم ولا منع وصدة كان من تحت يدها مدلين  
بما في أنفسهم من شجاعة أو جبن واثقين بعدم الوازع حتى صار لهم الادلال جلبة  
لا يعرفون سواها وأما اذا كانت الملكة وأحكامها بالقهر والسطوة والاختافة فتكسر  
حينئذ من سورة بأسهم وتذهب المنفعة عنهم لما يكون من التكاسل في النفوس  
المضطهدة كما بينه وقد نهى عمر سعد ارضى الله عنهما عن مثلها لما أخذ زهرة بن  
جوبة سلب الجالنوس وكانت قيمته خمسة وسبعين ألفا من الذهب وكان اتبع  
الجالنوس يوم القادسية فقتله وأخذ سلبه فانزعجه منه سعد وقال له هلا انتظرت في  
اتباعه اذنى وكتب الى عمر يستأذنه فكتب اليه عمر نعمد الى مثل زهرة وقد صلى بما  
صلى به وبقي عليك ما بقى من حربك وتكسر فوقه وتفسد قلبه وأمنى له عمر سلبه وأما  
اذا كانت الاحكام بالعقاب فذهبة للبأس بالكلية لان وقوع العقاب به ولم  
يدافع عن نفسه يكسبه المذلة التي تكسر من سورة بأسه بلا شك وأما اذا كانت  
الاحكام تأديبية وتعليمية وأخذت من عهد الصبا أثرت في ذلك بعض الشيء لم يره على  
الخافة والانقياد فلا يكون مدلا بأسه ولهذا نجد المتوحشين من العرب أهل البدو  
أشد بأسا ممن تأخذ الاحكام ونجد أيضا الذين يعاونون الاحكام وملكتهما من لدن  
مرابهم في التأديب والتعليم في الصنائع والعلوم والديانات ينقص ذلك من بأسهم  
كثيرا ولا يكادون يدفعون عن أنفسهم عادية بوجه من الوجوه وهذا شأن طلبة  
العلم المنتحلين للقراءة والاخذ عن المشايخ والأئمة الممارسين للتعليم والتأديب في  
مجالس الوقار والهيبة فيهم هذه الاحوال وذهاب بالمنفعة والبأس ولا تستنكر  
ذلك بما وقع في الصحابة من أخذهم بأحكام الدين والشرعية ولم ينقص ذلك من بأسهم  
بل كانوا أشد الناس بأسا لان الشارع صلوات الله عليه لما أخذ المسلمين عنه دينهم  
كان وازعهم فيه من أنفسهم لما تلى عليهم من الترغيب والترهيب ولم يكن بتعليم  
صناعي ولا تأديب تعليمي انما هي أحكام الدين وآداب المتلقاة نقلا بأخذون أنفسهم

بهم بما رسخ فيهم من عقائد الايمان والتصديق فلم تزل سورة بأسهم مستحكمة كما كانت  
ولم تخدشها أظفار التأديب والحكم قال عمر رضى الله عنه من لم يؤدبه الشرع لا أدبه  
الله حرصا على أن يكون الوازع لكل أحد من نفسه ويقينا بأن الشارع أعلم بمصالح  
العباد ولما تناقص الدين في الناس وأخذوا بالاحكام الوازعة ثم صار الشرع علما  
وصناعة يؤخذ بالتعليم والتأديب ورجع الناس الى الحضارة وخلق الانقياد الى  
الاحكام نقصت بذلك سورة البأس فيهم فقد تبين أن الاحكام السلطانية والتعليمية  
مفسدة للبأس لان الوازع فيها أجنبي وأما الشرعية فغير مفسدة لان الوازع فيها  
ذاتي ولهذا كانت هذه الاحكام السلطانية والتعليمية مما تؤثر في أهل الخواضر في  
ضعف نفوسهم وخضد الشوكه منهم بمعاناتهم في وليدهم وكهولهم والبدو بعزل عن  
هذه المنزلة لبعدهم عن أحكام السلطان والتعليم والآداب ولهذا قال محمد بن أبي زيد  
في كتابه في أحكام المعلمين والمتعلمين انه لا ينبغي للمؤدب أن يضرب أحدا من الصبيان  
في التعليم فوق ثلاثة أسواط نقله عن شرح القاضي واحتج له بعضهم بما وقع في حديث  
بدء الوحي من شأن الغط وأنه كان ثلاث مرات وهو ضعيف ولا يصلح شأن الغط  
أن يكون دليلا على ذلك لبعده عن التعليم المتعارف والله الحكيم الخبير

٧ (فصل في ان سكنى البدو لا يكون الا للقبائل اهل العصبية) \*

\*(اعلم) \* أن الله سبحانه ركب في طبائع البشر الخير والشر كما قال تعالى وهديناه  
النجدين وقال فآلهما فجورهما وتقواهما والشر أقرب الخلال اليه اذا أهمل في مربي  
عوائده ولم يهذب الاقضاء بالدين وعلى ذلك الجحيم الغفير الامن وفقه الله ومن أخلاق  
البشر فيهم الظلم والعدوان بعض على بعض فمن امتدت عينه الى متاع أخيه امتدت  
يده الى أخذه الا أن يصدّه وازع كما قال

والظلم من شيم النفوس فان تجدد \* ذاعفة فلعلة لا يظلم

فأما المدن والامصار فعدوان بعضهم على بعض تدفعه الاحكام والدولة بما قبضوا على  
أيدي من تحتهم من الكافة أن يمتد بعضهم على بعض أو يعدو عليه فهم مكبوحون  
بحكمة القهر والسلطان عن التظالم الا اذا كان من الحاكم بنفسه وأما العدوان  
الذي من خارج المدينة فمدفعه سياج الاسوار عند الغفلة أو الغفلة لبلا أو العجز عن  
المقاومة نهارا أو يمدفعه ذباد الحامية من أعوان الدولة عند الاستعداد والمقاومة  
وأما أحياء البدو فيخرج بعضهم عن بعض مشايخهم وكبرائهم بما وقع في نفوس الكافة  
لهم من الوقار والتجلة وأما حلالهم فاعما يذود عنها من خارج حامية الحى من انجنادهم

قوله بحكمة بهتج  
الحاء والكاف اهـ



وقتيانهم المعروفين بالشجاعة فيهم ولا يصدق دفاعهم وزيادهم الا اذا كانوا عصبية  
وأهل نسب واحد لانهم بذلك تشتد شوكتهم ويخشى جانبهم اذ نغرة كل أحد على  
نسبه وعصبية أهم وما جعل الله في قلوب عباده من الشفقة والنغرة على ذوى أرحامهم  
وقربائهم موجودة في طبائع البشرية وبها يكون التعاضد والتناصر وتعظم رغبة  
العدولهم واعتبر ذلك فيما حكاه القرآن عن اخوة يوسف عليه السلام حين قالوا  
لأبيه لنأكله الذئب ونحن عصبة انا اذ الخاسرون والمعنى أنه لا يتوهم العدوان  
على أحد مع وجود العصبية وأما المتفردون في انسابهم فقل أن نصيب أحد منهم  
نغرة على صاحبه فاذا أظلم الجوق بالشر يوم الحرب تسلك كل واحد منهم يبغي النجاة  
لنفسه خيفة واستيحاشا من التخاذل فلا يقدرين من أجل ذلك على سكوني القفر  
لما أنهم حينئذ طعمة لمن يلبسهم من الامم سواهم واذا تبين ذلك في السكنى التي  
محتاج للمدافعة والحماية فيتم له تبين لك في كل أمر يحمل الناس عليه من نبوة أو هامة  
ملك أو دعوة اذ بلوغ الغرض من ذلك كله انما يتم بالقتال عليه لما في طبائع البشر من  
الاستعصاء ولا بد في القتال من العصبية كما ذكرناه انفا فالتحذير اماما تقصدى به فيما  
نورده عليك بعد والله الموفق للصواب

#### ٨ (فصل في ان العصبية انما تكون من الالتحام بالنسب او ما في معناه)

وذلك أن صلة الرحم طبعية في البشر الا في الاقل ومن صلته النغرة على ذوى القربى  
وأهل الارحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة فان القريب يجذب في نفسه غضاظة  
من ظلم قريبه أو العدا عليه ويود لو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهالك نزع  
طبيعية في البشر من ذلك انما اذا كان النسب المتواصل بين المناصرين قريبا جدا  
بحيث حصل به الاتحاد والالتحام كانت الوصلة ظاهرة فاستدعت ذلك بجرحها  
ووضوحها واذا بعد النسب بعض الشيء فربما تنوحي بعضها ويبقى منها شهرة فتعمل  
على النصرة لذوى نسبه بالامر المشهور منه فرارا من الغضاظة التي يتوهمها في نفسه  
من ظلم من هو منسوب اليه بوجه ومن هذا الباب الولاء والخلف اذ نغرة كل أحد على  
أهل ولانه وحلفه للذلة التي تلحق النفس من اهتضام جارها أو قريبه أو نسبه بوجه  
من وجوه النسب وذلك لاجل اللحمة الحاصلة من الولاء مثل لحمة النسب أو قريبه  
منها ومن هذا تفهم معنى قوله صلى الله عليه وسلم تعلموا من أنسابكم ما تصلون به  
أرحامكم بمعنى أن النسب انما فائدة هذا الالتحام الذي يوجب صلة الارحام حتى تقع  
المناصرة والنغرة وما فوق ذلك مستغنى عنه اذ النسب أمر وهمي لا حقيقة له

ونفعه انما هو في هذه الوصلة والالتحام فاذا كان ظاهرا واضحا جل النفوس على  
طبيعتها من النغرة كما قلناه واذا كان انما يستفاد من الخبر البعيد ضعف فيه الوهم  
وذهبت فائدة وصار الشغل به مجانا ومن أعمال الله والمنهى عنه ومن هذا الاعتبار  
معنى قولهم النسب علم لا ينفع وجهه لا تنضر بمعنى أن النسب اذا خرج عن الوضوح  
وصار من قبيل العلوم ذهبت فائدة الوهم فيه عن النفس وانفتحت النغرة التي تحمل  
عليها العصبية فلا منفعة فيه حينئذ والله سبحانه وتعالى أعلم

#### ٩ فصل في ان الصريح من النسب انما يوجد للثنتين في القفر من العرب ومن في معناه

وذلك لما اختصوا به من كد العيش وشطف الاحوال وسوء المواطن جعلتهم عليها  
الضرورة التي عينت لهم تلك القسمة وهي لما كان معاشهم من القيام على الابل  
وتاجها ورعايتها والابل تدعوهم الى التوحش في القفر لرعيها من شجره وتاجها في  
رماله كما تقدم والقفر مكان الشطف والسغب فصار لهم القفا وعادة وريت فيه أجبالهم  
حتى تمكنت خلقا وجبله فلا ينزع اليهم أحد من الامم أن يساهمهم في حالهم ولا يأنس  
بهم أحد من الاجيال بل لو وجدوا أحد منهم السبيل الى القرار من حاله وأمكنه ذلك  
لماتركه فيؤمن عليهم لاجل ذلك من اختلاط انسابهم وفسادها ولا تزال بينهم  
محفوطة صريحة واعتبر ذلك في مضر من قريش وكثانة وثقيف وبنو أسد وهذيل ومن  
جاورهم من خزاعة لما كانوا أهل شطف ومواطن غيزات زرع ولا ضرع وبعدوا من  
أرياف الشام والعراق ومعادن الأدم والحبوب كيف كانت انسابهم صريحة  
محفوطة لم يدخلها اختلاط ولا عرف فيهم شوب \* وأما العرب الذين كانوا بالتلول  
وفي معادن الحصب المراعي والعيش من خير وكهلان مثل لحم وجذام وغسان وطبي  
وقضاة واياها فاختلطت انسابهم وتداخلت شعوبهم ففي كل واحد من بيوتهم من  
الخلاف عند الناس ما تعرف وانما جاءهم ذلك من قبل العجم ومخاطبتهم وهم لا يعتبرون  
المحافظة على النسب في بيوتهم وشعوبهم وانما هذا للعرب فقط \* قال عمر رضي الله  
تعالى عنه تعلموا النسب ولا تكونوا كنبط السواد اذ اسئل أحدكم عن أصله قال من  
قرية كذا هذا أي ما لحق هؤلاء العرب أهل الارياق من الازدحام مع الناس على البلد  
الطيب والمراعي الخصبة فكثرت الاختلاط وتداخلت الانساب وقد كان وقع في صدر  
الاسلام الانتماء الى المواطن فيقال جند قنسرين جند دمشق جند العواصم وانتقل  
ذلك الى الاندلس ولم يكن لا طراح العرب أمر النسب وانما كان لا اختصاصهم



بالمواطن بعد الفتح حتى عرفوا بها وصارت لهم علامة زائدة على النسب يتميزون بها عند أمرائهم ثم وقع الاختلاط في الحواضر مع العجم وغيرهم وفسدت الانساب بالجملة وفسدت ثمرتها من العصبية فاطرحت ثم تلاشت القبائل ودرثت فدرثت العصبية بدورها وبقي ذلك في البدو كما كان والله وارث الارض ومن عليها

### ١٠ (فصل في اختلاط الانساب كيف يقع)

\* (اعلم) أنه من البين أن بعضا من أهل الانساب يسقط إلى أهل نسب آخر بقراءة اليهم أو حلف أو ولاء أو لفرا من قومه بجمالية أصابها فبدع بنسب هؤلاء ويعتد منهم في ثمراته من النغرة والقود وجل الديات وسائر الاحوال واذا وجدت ثمرات النسب فكأنه وجدلانه لا معنى لكونه من هؤلاء ومن هؤلاء الاجريان أحكامهم وأحوالهم عليه وكأنه التحم بهم ثم انه قد يتناسى النسب الا قبل بطول الزمان ويذهب أهل العلم به فيخفى على الاكثروما زالت الانساب تسقط من شعب إلى شعب ويلتحم قوم بأخرين في الجاهلية والاسلام والعرب والعجم \* وانظر خلاف الناس في نسب آل المنذر وغيرهم يمين لك شي من ذلك ومنه شأن بجيلة في عرجة بن هرثة لما ولاه عمر عليهم فسألوه الاعفاء منه وقالوا هو فينا ريق أي دخيل واصبق وطلبوا أن يولي عليهم جريرا فسأله عمر عن ذلك فقال عرجة صدقوا يا أمير المؤمنين ان ارجل من الازد أصبت دما في قومي ولحقت بهم وانظر منه كيف اختلط عرجة ببجيلة ولبس جلدتهم ودعى بنسبهم حتى ترشح للرياسة عليهم لولا علم بعضهم بوشائعه ولو غفلوا عن ذلك وامتد الزمن لتنوسى بالجيلة وعد منهم بكل وجه ومذهب فافهمه واعتبر سر الله في خليقته ومثل هذا كثير لهذا العهد ولما قبله من اليهود والله الموفق للصواب بحسنه وفضله وكرمه

### ١١ (فصل في ان الرياسة لا تزال في نصابها المخصوص من أهل العصبية)

\* (اعلم) أن كل حي أو بطن من القبائل وان كانوا عصابة واحدة لنسبهم العام فقيهم أيضا عصبية أخرى لانساب خاصة هي أشد التحاما من النسب العام لهم مثل عشير واحد أو أهل بيت واحد أو اخوة بنى أب واحد لا مثل بنى العم الاقربين أو الابعدين فهؤلاء أقعد بنسبهم المخصوص ويشاركون من سواهم من العصابات في النسب العام والنغرة تقع من أهل نسبهم المخصوص ومن أهل النسب العام الا أنهم في النسب الخاص أشد تقرب للجمعة والرياسة فيهم انما تكون في نصاب واحد منهم ولا تكون في الكل ولما كانت الرياسة انما تكون بالغلب وجب أن تكون عصبية ذلك النصاب أقوى من سائر العصابات ليقع الغلب

(١١) هذا الفصل  
ساقط من النسخ  
القاسية وموجود  
في النسخة  
التونسية واثباته  
أولى لطابق كلامه  
أول الفصل ١٢  
٥١

بها وتم الرياسة لاهلها فاذا وجب ذلك تعين أن الرياسة عليهم لا تزال في ذلك النصاب المخصوص أهل الغلب عليهم اذ لو خرجت عنهم وصارت في العصابة الأخرى النازلة عن عصابهم في الغلب لما تمت لهم الرياسة فلا تزال في ذلك النصاب متناقلة من فرع منهم إلى فرع ولا تنتقل الا إلى الأقوى من فروعهم لما قلناه من سر الغلب لأن الاجتماع والعصبية بمثابة المزاج للمتكون والمزاج في المتكون لا يصلح اذا تكافأت العناصر فلا بد من غلبة أحدها والاليم التكوين فهذا هو سر اشتراط الغلب في العصبية ومنه تعين استقرار الرياسة في النصاب المخصوص بها كما قررناه

### ١٢ (فصل في ان الرياسة على أهل العصبية لا تكون في غير نسبهم)

وذلك أن الرياسة لا تكون الا بالغلب والغلب انما يكون بالعصبية كما قدمناه فلا بد في الرياسة على القوم أن تكون من عصبية غالبة لعصبياتهم واحدة واحدة لأن كل عصبية منهم اذا أحست بغلب عصبية الرئيس لهم أفر وأبالاذعان والاتباع والساقط في نسبهم بالجملة لا تكون له عصبية فيهم بالنسب انما هو ملصق لزيق وغاية التعصب له بالولاء والحلف وذلك لا يوجب له غلبا عليهم البتة واذا فرضنا أنه قد التحم بهم واختلط وتنوسى عهده الأول من الالتصاق ولبس جلدتهم ودعى بنسبهم فكيف له الرياسة قبل هذا الالتحام أو لاحد من سلفه والرياسة على القوم انما تكون متناقلة في منبت واحد تعين له الغلب بالعصبية فالأولية التي كانت لهذا المصطفى قد عرف فيها التصاقه من غير شك ومنعه ذلك الالتصاق من الرياسة حيث قد فكيف تنوقت عنه وهو على حال الالتصاق والرياسة لا بد وأن تكون موروثه عن مستحقها لما قلناه من التغلب بالعصبية وقد يشوف كثر من الرؤساء على القبائل والعصابات إلى انساب يلحقون بها انما لخصوصية فضيلة كانت في أهل ذلك النسب من شجاعة أو كرم أو ذكر كيف اتفق فيزعمون إلى ذلك النسب ويتورطون بالدعوى في شعوبه ولا يعلمون ما يوقعون فيه أنفسهم من القدر في رياستهم والطعن في شرفهم وهذا كثير في الناس لهذا العهد فمن ذلك ما يدعيه زناة بجيلة أنهم من العرب ومنه ادعاء أولاد رباب المعروفين بالحجازيين من بني عامر أحد شعوب زغبة أنهم من بنى سليم ثم من الشريد منهم لحق جدتهم بنى عامر فجاءوا يصنع الحرجان واختلط بهم والتحم بنسبهم حتى رأس عليهم ويسمونه الحجازي \* ومن ذلك ادعاء بنى عبد القوي بن العباس بن توحين أنهم من ولد العباس بن عبد المطلب رغبة في هذا النسب الشريف وغلط باسم العباس بن عطية أبي عبد القوي ولم يعلم دخول أحد من العباسيين إلى المغرب لأنه كان منذ أول دولتهم على دعوة العلويين أعدائهم من الادارسة والعبيد بن فكيف يسقط العباس إلى أحد من شيعة

قوله الحرجان  
بكسر الحاء جمع  
خرج بفتح حين  
دعس الموقى ٥١



العلويين \* وكذلك ما يدعيه أبناء زيان ملوك تلسان من بني عبد الواحد أنهم من ولد القاسم بن ادريس ذهابا الى ما اشتهر في نسبهم انهم من ولد القاسم فيقولون بلسانهم الزباني أنت القاسم أي بنو القاسم ثم يدعون أن القاسم هذا هو القاسم بن ادريس أو القاسم بن محمد بن ادريس ولو كان ذلك صحيحا فغاية القاسم هذا انه قرين مكان سلطانه مستجير بهم فكيف تتم له الرياسة عليهم في باديتهم وانما هو غلط من قبل اسم القاسم فانه كثيرا لوجود في الادارة فتوهموا أن قاسمهم من ذلك النسب وهم غير محتاجين لذلك فان منالهم للملك والعزة انما كان بعصيتهم ولم يكن بادعاء علوية ولا عباسية ولا شيء من الانساب وانما يحمل على هذا المتقربون الى الملوك بمنازعتهم ومذاهبتهم ويشترحتي بعد عن الرد \* ولقد بلغني عن يغمراسن بن زيان مؤثر سلطانهما أنه لما قيل له ذلك أنكره وقال بلغته الزبانية ما معناه أما الدنيا والملك فقلناه بسوقنا لا بهذا النسب وأما نفعه في الآخرة فردود الى الله وأعرض عن التقرب اليه بذلك \* ومن هذا الباب ما يدعيه بنو سعد شيوخ بني يزيد من زغبة أنهم من ولد أبي بكر الصديق رضي الله عنه وبنو سلامة شيوخ بني يذلل من توجين أنهم من سليم والزواودة شيوخ رباح أنهم من أعقاب البرامكة وكذا بنو مهني أمراء طي بالمشرق يدعون فيما بلغنا أنهم من أعقابهم وأمثال ذلك كثير ورياستهم في قومهم مانعة من ادعاء هذه الانساب كما ذكرناه بل تعين أن يكونوا من صريح ذلك النسب وأقوى عصبياته فاعتبره واجتنب المغالط فيه ولا تجعل من هذا الباب الحاق مهدي الموحدين بنسب العلوية فان المهدي لم يكن من منبب الرياسة في هرثة قومه وانما رأس عليهم بعد اشتار به بالاسلم والدين ودخول قبائل المصامدة في دعونه وكان مع ذلك من أهل المناصب المتوسطة فيهم والله عالم الغيب والشهادة

### ١٣ فصل في ان البيت والشرف بالاصالة والحقيقة لا بال

العصية ويكون لغيرهم بالمجاز والشبه

وذلك أن الشرف والحسب انما هو بالخلال ومعنى البيت أن يعد الرجل في آباءه أشرفا من ذكورين تكون له ولادتهم اياه والانتساب اليهم تجل في أهل جلدته لما وقر في نفوسهم من تجلته لاسمه وشرفهم بخلالهم والناس في نشأتهم وتناسلهم معادن قال صلى الله عليه وسلم الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا فجعلني الحسب راجع الى الانساب وقد بينا أن ثمرة الانساب وفائدتها انما هي العصية للثغرة والتناصر فثبت تكون العصية موهبة ومحشية والمنبت فيها ركني محي تكون فائدة النسب أو وضع وثمرتها أقوى وتعديد الاشراف من الآباء زائد في فائدتهم فيكون الحسب والشرف أصيلا في أهل العصية لوجود ثمرة النسب وتفاوت

البيوت في هذا الشرف بتفاوت العصية لانه سرها ولا يكون للمنفرد من أهل الامصار بيت الابا بمجاز وان توهموه فزخرف من الدعاوى واذا اعتبرت الحسب في أهل الامصار وجدت معناه أن الرجل منهم يعد سلفا في خلال الخير ومخالطة أهله مع الركون الى العافية ما استطاع وهذا مغاير لسر العصية التي هي ثمرة لنسب وتعديد الآباء لكنه يطلق عليه حسب وبيت بالمجاز لعلاقة ما فيه من تعديد الآباء المتعاقبين على طريقة واحدة من الخير وسالكه وليس حسبنا بالحقيقة وعلى الاطلاق وان ثبت أنه حقيقة فيها بالوضع اللغوي فيكون من المشكك الذي هو في بعض مواضعه أولى وقد يكون للبيت شرف أول بالعصية والخلال ثم ينسحبون منه لذهابها بالخضارة كما تقدم ويحتلطنون بالعمار ويبقى في نفوسهم وسواس ذلك الحسب يعدون به أنفسهم من أشراف البيوتات أهل العصائب وليسوا منها في شيء لذهاب العصية بجله وكثير من أهل الامصار الناشئين في بيوت العرب أو العجم لا أول عهدهم موسوسون بذلك وأكثر ما ربح الوسواس في ذلك لبني اسرائيل فانه كان لهم بيت من أعظم بيوت العالم بالانبت أولا لما تعدد في سلفهم من الانبياء والرسل من لدن ابراهيم عليه السلام الى موسى صاحب ملتهم وشريعهم ثم بالعصية ثانيا وما آتاهم الله من الملك الذي وعدهم به ثم انسلخوا من ذلك أجمع وضربت عليهم الذلة والمسكنة وكتب عليهم الجلاء في الارض وانفردوا بالاستعباد للكفر الآفا من السنين وما زال هذا الوسواس مصاحبا لهم فتجدد هم يقولون هذا هاروني هذا من نسل يوشع هذا من عقب كالب هذا من سبط يهوذا مع ذهاب العصية ورسوخ الذل فيهم منذ أقاب متطاولة وكثير من أهل الامصار وغيرهم المنقطعين في أنسابهم عن العصية يذهب الى هذا الهديان \* وقد غلط أبو الوليد بن رشد في هذا الماذكر الحسب في كتاب الخطابة من تلخيص كتاب المعلم الا قول والحسب هو أن يكون من قوم قديم نزلهم بالمدينة ولم يتعرض لما ذكرناه وليست شعري ما الذي يتقعه قدم نزلهم بالمدينة ان لم تكن له عصابة يرب بها جانبه وتحمل غيرهم على القبول منه فكأنه أطلق الحسب على تعديد الآباء فقط مع أن الخطابة انما هي اسمالة من توارس اسمالته وهم أهل الحل والعقد وأما من لا قدرة له البتة فلا يلتفت اليه ولا يقدر على اسمالة أحد ولا يستمال هو وأهل الامصار من الحضرة بهذه المناسبة الا أن ابن رشد ربي في جيل وبلد لم يمارسوا العصية ولا آثروا أحوالها فبقي في أمر البيت والحسب على الأمر المشهور من تعديد الآباء على الاطلاق ولم يراجع فيه حقيقة العصية وسرها في الخلافة والله بكل شيء عليم اه

١٤ فصل في ان البيت والشرف للموالي واهل الاصطناع انما هو بموالبهم لا بنسبهم



وذلك أنا قدّمنا أن الشرف بالاصالة والحقيقة انما هو لاهل العصية فاذا اصطنع  
 اهل العصية قوما من غير نسبهم أو استرقوا العبدان والموالي واتهموا به كما قلناه  
 ضرب معهم أولئك الموالي والمصطنعون بنسبهم في تلك العصية ولبسوا جلدتها كأنها  
 عصبتهم وحصل لهم من الانتظام في العصية مساهمة في نسبها كما قال صلى الله تعالى  
 عليه وسلم مولى القوم منهم وسواء كان مولى رق أو مولى اصطناع وحاف وليس  
 نسب ولادته ينفع له في تلك العصية اذ هي مباينة لذلك النسب وعصية ذلك النسب  
 مفقودة لذهاب سرها عند التحامه بهذا النسب الآخر وفقدانه اهل عصيته فيصير  
 من هؤلاء ويندرج فيهم فاذا تعددت له الآباء في هذه العصية كان له بينهم شرف وبيت  
 على نسبته في ولائهم واصطناعهم لا يميزه الى شرفهم بل يكون أدون منهم على كل  
 حال وهذا شأن الموالي في الدول والخدمة كلهم فانهم انما يشرفون بالرسوخ في ولاء  
 الدولة وخدمتها وتعدّد الآباء في ولايتها ألا ترى الى موالي الأتراك في دولة بني العباس  
 والى بني برمك من قبلهم وبني نوحجت كيف أدرى كوا البيت والشرف وبني المجد  
 والاصالة بالرسوخ في ولاء الدولة فكان جعفر بن يحيى بن خالد من أعظم الناس بيتا  
 وشرفا بالانتساب الى ولاء الرشيد وقومه لا بالانتساب في الفرس وكذا موالي كل دولة  
 وخدمتها انما يكون لهم البيت والحسب بالرسوخ في ولائها والاصالة في اصطناعها  
 ويضمحل نسبه الاقدم من غير نسبها ويبقى ملغى لا عبرة به في اصالته ومجده وانما المعتبر  
 نسبة ولائه واصطناعه اذ فيه سر العصية التي بها البيت والشرف فكان شرفه مشتقا  
 من شرف مواليه وبنائهم من بنائهم فلم تنفعه نسب ولادته وانما بنى مجده نسب الولاء  
 في الدولة ولجة الاصطناع فيها والتربية وقد يكون نسبه الاول في لجة عصيته ودولته  
 فاذا ذهب وصار ولاؤه واصطناعه في أخرى لم تنفعه الاولى لذهاب عصيتها وانقطع  
 بالثانية لوجودها وهذا حال بني برمك اذ المنقول أنهم كانوا اهل بيت في الفرس من  
 سدة بيوت النار عندهم ولما صاروا الى ولاء بني العباس لم يكن بالاول اعتبار وانما  
 كان شرفهم من حيث ولايتهم في الدولة واصطناعهم وما سوى هذا فوهم توسوس به  
 النفوس الجاحدة ولا حقيقة له والوجود شاهد بما قلناه وان أكرمكم عند الله أتقاكم  
 والله ورسوله أعلم

### ١٠ (فصل في ان نهاية الحسب في العقب الاحد اربعة آباء)

\* (اعلم) \* أن العالم العنصري بما فيه كائن فاسد لا من ذواته ولا من أحواله  
 فالمكونات من المعدن والنبات وجميع الحيوانات الانسان وغيره كائنه فاسدة

بالمعاني وكذلك ما يعرض لها من الاحوال وخصوصا الانسانية فالعلوم تنشأ  
 ثم تدرس وكذا الصنائع وأمثالها والحسب من العوارض التي تعرض للادميين  
 فهو كائن فاسد لا محالة وليس يوجد لاحد من اهل الخليفة شرف متصل في آباءه من لدن  
 آدم اليه الا ما كان من ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم كرامة به وحياطة على السرفيه  
 وأول سكل شرف خارجية كما قيل وهي الخروج عن الرياسة والشرف الى الضعة  
 والابتدال وعدم الحسب ومعناه أن كل شرف وحسب فعدمه سابق عليه شأن كل  
 محدث ثم ان نهايته في أربعة آباء وذلك ان باني المجد عالم بما عايناه في بنيائه ومحافظ على  
 الخلال التي هي أسباب كونه وبقيائه وابنه من بعده مباشر لآبائه قد سمع منه ذلك وأخذه  
 عنه الا أنه مقصر في ذلك تقصير السامع بالشيء عن المعين له ثم اذا جاء الثالث كان  
 خطه الاقتفاء والتقليد خاصة فقصر عن الثاني تقصير المقلد عن المجتهد ثم اذا جاء الرابع  
 قصر عن طريقته جملة وأضاع الخلال الحافظة لبناء مجدهم واحتقرها وتوهم أن  
 ذلك البنيان لم يكن بمعاناة ولا تكلف وانما هو أمر وجب لهم منذ أول النشأة بمجرد  
 انتسابهم وليس بعصاة ولا بخلال لما يرى من التجلة بين الناس ولا يعلم كيف كان  
 حدوثها ولا سيما يتوهم أنه النسب فقط فيربأ بنفسه عن اهل عصيته ويرى الفضل  
 له عليهم وثوقا بما يرى فيه من استباعتهم وجهلا بما أوجب ذلك الاستباعت من الخلال  
 التي منها التواضع لهم والاخذ بمجامع قلوبهم فيحتقرهم بذلك فينغصون عليه  
 ويحتقرونه ويدلون منه سواه من اهل ذلك المنبت ومن فروعه في غير ذلك العقب  
 للاذعان لعصيتهم كما قلناه بعد الوثوق بما يرضونه من خلاله فتمت فروع هذا وتذوي  
 فروع الاول وينهدم بناء بيته هذا في الملوك وههنا كذا في بيوت القبائل والامراء  
 وأهل العصية أجمع ثم في بيوت أهل الإمصار اذا انحطت بيوت نشأت بيوت أخرى  
 من ذلك النسب ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز واشترط  
 الاربعة في الاحساب انما هو في الغالب والافقدي ثل البيت من دون الاربعة وبملاشي  
 وينهدم وقد يتصل أمرها الى الخامس والسادس الا أنه في الخطاط وذهاب واعتبار  
 الاربعة من قبل الاجيال الاربعة بان ومباشر له ومقلد وهادم وهو أقل ما يمكن  
 وقد اعتبرت الاربعة في نهاية الحسب في باب المدح والثناء قال صلى الله عليه وسلم  
 انما الكرم ابن الكرم ابن الكرم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم  
 اشارة الى أنه بلغ الغاية من المجد وفي التوراة ما معناه أنا الله ربك طائق غير مطالب  
 بذنوب الآباء للبين على الثواب وعلى الروابع وهذا يدل على أن الاربعة الاعتقاد غاية  
 في الانساب والحسب \* ومن كتاب الاغانى في أخبار عزيف الغواني أن كسرى



قال للنعمان هل في العرب قبيلة تشرف على قبيلة قال نعم قال بأي شيء قال من كان له ثلاثة آباء متواليه رؤساء ثم اتصل ذلك بكل الرابع فالبيت من قبيلته وطلب ذلك فلم يجده الا في آل حذيفة بن بدر الفزاري وهم بيت قيس وآل ذي الجدين بيت شيبان وآل الاشعث بن قيس من كندة وآل حاجب بن زرارة وآل قيس بن عاصم الملقى من بني عقيم فجاء هؤلاء الرهط ومن تبعهم من عشائريهم وأقعد لهم الحكام والعدول فقام حذيفة بن بدر ثم الاشعث بن قيس لقرابته من النعمان ثم بسطام بن قيس بن شيبان ثم حاجب بن زرارة ثم قيس بن عاصم وخطبوا ونثروا فقال كسرى كلهم سيد يصلح لموضعه وكانت هذه البيوتات هي المذكورة في العرب بعد بني هاشم ومعهم بيت بني الذبيان من بني الحرث بن كعب بيت النبي وهذا كله يدل على أن الأربعة الآباء نهاية في الحسب والله أعلم

### ١٦ (فصل في ان الامم اسمية قدر على التغلب من سواها)

(اعلم) \* أنه لما كانت البداوة سببا في الشجاعة كما قلناه في المقدمة الثالثة لاجرم كان هذا الجيل الوحشي أشد شجاعة من الجيل الآخر فهم أقدر على التغلب وانتزاع ما في أيدي سواهم من الامم بل الجيل الواحد يختلف أحواله في ذلك باختلاف الاعصار فكلما نزلوا الأرياف وتفكوا النعيم وألقوا عوائد الخصب في المعاش والنعيم نقص من شجاعتهم بمقدار ما نقص من قوتهم وبدوتهم واعتبر ذلك في الحيوانات الحجم بدوان الجن الطباع والبقرة الوحشية والجراد إذا زال قوتها بمخالطة الأدميين وأخصب عيشها كيف يختلف حالها في الانتهاض والسدة حتى في مشيتها وحسن أدائها وكذلك الأدمي المتوحش إذا أنس وألف وسببه أن تكون السجاياء والطباع انما هو عن المألوفات والعوائد وإذا كان الغلب للامم انما يكون بالاقدام والبسالة فمن كان من هذه الاجيال أعرق في البداوة وأكثر قوتها وحشا كان أقرب إلى التغلب على سواها إذا تقارب في العدد وتكافأ في القوة والعصية وانظر في ذلك شأن مضر مع من قبلهم من حير و كهلان السابقين إلى الملك والنعيم ومع ربيعة المتوطنين بأرياف العراق و نعيمه لما بقي مضر في بداوتهم وتقدمهم الآخرون إلى خصب العيش وغضارة النعيم كيف أرهفت البداوة حدة في التغلب فغلبوهم على ما في أيديهم وانتزعوه منهم وهذا حال بني طي وبني عامر بن صعصعة وبني سليم بن منصور من بعدهم لما تأخروا في باديتهم عن سائر قبائل مضر واليمن ولم يلبسوا بشيء من دنياهم كيف أمسكت حال البداوة عليهم قوة عصيتهم ولم تخلفها مذهب الترف حتى صاروا أغلب على الأمر منهم وكذا

كل شيء من العرب بل نعيمًا وعيشًا خصبًا دون الحي الآخر فإن الحي المبدى يكون أغلب له وأقدر عليه إذا تكافأ في القوة والعدد سنة الله في خلقه

### ١٧ (فصل في ان الغاية التي تجرى اليها العصبية هي الملك)

وذلك لانا قد علمنا أن العصبية به تكون الحماية والمدافعة والمطالبة وكل أمر يجمع عليه وتقدمنا أن الأدميين بالطبيعة الإنسانية يحتاجون في كل اجتماع إلى وازع وحاكم ينزع بعضهم عن بعض فلا بد أن يكون متغلبا عليهم بتلك العصبية والالم تتم قدرته على ذلك وهذا التغلب هو الملك وهو أمر زائد على الرئاسة لأن الرئاسة انما هي سودد وصاحبها متبوع وليس له عليهم قهر في أحكامه وأما الملك فهو التغلب والحكم بالقهر وصاحب العصبية إذا بلغ إلى رتبة طلب ما فوقها فاذ بلغ رتبة السوود والاتباع ووجد السبيل إلى التغلب والقهر لا يتركه لانه مطلوب للنفس ولا يتم اقتدارها عليه الا بالعصبية التي يكون بها متبوعا فالتغلب الملكي غاية للعصبية كما رأيت ثم ان القبيل الواحد وان كانت فيه بيوتات متفرقة وعصيات متعددة فلا بد من عصبية تكون أقوى من جميعها تغلبها وتستهيبها وتلتهم جميع العصيات فيها وتصور كأنها عصبية واحدة كبرى والواقع الافتراق المنفصلي إلى الاختلاف والتنازع ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ثم اذا حصل التغلب بتلك العصبية على قومها طلبت بطبعها التغلب على أهل عصبية أخرى بعيدة عنها فان كافتها أو مانعتها كانوا اقربا لا وانظارا لكل واحدة منهما التغلب على حوزتها وقومها شأن القبائل والامم المتفرقة في العالم وان غلبتها واستتبعها التحمت بها أيضا وزادت قوتها في التغلب على قوتها وطلبت غاية من التغلب والتحكم أعلى من الغاية الاولى وأبعد وهكذا دائما حتى تكافئ بقوتها قوة الدولة فان أدركت الدولة في هرمها ولم يكن لها مانع من أولياء الدولة أهل العصيات استولت عليها وانتزعت الأمر من يدها وصار الملك أجمع لها وان انتهت إلى قوتها ولم يقارن ذلك هرم الدولة وانما قارن حاجتها إلى الاستظهار بأهل العصيات انظمتها الدولة في أوليائها تستظهر بها على ما يعين من مقاصدها وذلك ملك آخر دون الملك المستبد وهو كما وقع للترك في دولة بني العباس واصنهاجة وزناة مع كامة ولبني جردان مع ملوك الشيعة من العلوية والعباسية فقد ظهر أن الملك هو غاية العصبية وانما اذا بلغت إلى غايتها حصل للقبيلة الملك أما بالاستبداد أو بالمظاهرة على حسب ما يسعه الوقت المقارن لذلك وان عاقها عن بلوغ الغاية عوائق كما نبينه وقفت في مقامها إلى أن يقضى الله بأمره



## ١٨ فصل في ان من عوائق الملك حصول الترف وانغماس القليل في النعيم

وسبب ذلك ان القبيل اذا غلبت بعصبيتها بعض الغلب استولت على النعمة بمقدارها وشاركت أهل النعم والخصب في نعمتهم وخصبهم وضربت معهم في ذلك بسهم وحصصة بمقدار غلبها واستظهار الدولة بها فان كانت الدولة من القوة بحيث لا يطمع أحد في انتزاع أمرها ولا مشاركتها فيه أذعن ذلك القبيل لولايتها والقنوع بما يسوغون من نعمتها ويشركون فيه من جبايتها ولم تسم آمالهم الى شيء من منازع الملك ولا أسبابه انما همتهم النعيم والكسب وخصب العيش والسكون في ظل الدولة الى الدعة والراحة والاخذ بذهب الملك في المباني والملابس والاستكثار من ذلك والتأنيق فيه بمقدار ما حصل من الرياش والترف وما يدعو اليه من توابع ذلك فتمذهب خشونة البداوة وتضعف العصية والبسالة ويتنعمون فيما آتاهم الله من البسطة وتنشأ بنوهم وأعتابهم في مثل ذلك من الترف عن خدمة أنفسهم وولاية حاجاتهم ويستكفون عن سائر الامور الضرورية في العصية حتى يصير ذلك خلقا لهم وسجية فتنقص عصيتهم وبسالتهم في الاجيال بعدهم تعاقبها الى أن تنقرض العصية فيأذنون بالانقراض وعلى قدر ترفهم ونعمتهم يكون انشغالهم على الفناء فضلا عن الملك فان عوارض الترف والغرق في النعيم كاسر من سورة العصية التي بها التغلب واذا انقرضت العصية قصر التبيل عن المدافعة والحماية فضلا عن المطالبة والتهتمهم الامم سواهم فقد تبين أن الترف من عوائق الملك والله يؤتي ملكه من يشاء

## ١٩ (فصل في ان من عوائق الملك حصول المذلة للقبيل والانقياد الى سواهم)

وسبب ذلك أن المذلة والانقياد كاسر ان سورة العصية وشدة هاتها فان انقيادهم ومذلتهم دليل على فقدانها فخارها والمذلة حتى عجزوا عن المدافعة ومن عجز عن المدافعة فأولى أن يكون عاجزا عن المقاومة والمطالبة واعتبر ذلك في بني اسرائيل لما دعاهم موسى عليه السلام الى ملك الشام وأخبرهم بأن الله قد كتب لهم ملكها كيف عجزوا عن ذلك وقالوا ان فيها قوم جبارين وانال ندخلها حتى يخرجوا منها أي يخرجهم الله تعالى منها يضرب من قدرته غير عصيتنا تكون من معجزاتك يا موسى ولما عزم عليهم لحوا وارتكبوا العصيان وقالوا له اذهب أنت وربك فقاتلا وما ذلك الا لما أنسو من أنفسهم من العجز عن المقاومة والمطالبة كما تقتضيه الآية وما يؤثر في تفسيرها وذلك بما حصل فيهم من خلق الانقياد وما رعو من الذل للقبط أحقابا حتى ذهبت العصية منهم جملة مع أنهم لم يؤمنوا بحق الايمان بما أخبرهم به موسى من

أن الشام لهم وأن العمالقة الذين كانوا بأرضهم قريب منهم يحكمهم من الله قدر لهم فأقصروا عن ذلك وعجزوا عن بلأعلى ما علموا من أنفسهم من العجز عن المطالبة لما حصل لهم من خلق المذلة وطعنوا فيما أخبرهم به نبيهم من ذلك وما أمرهم به فعاقبهم الله بالشدة وهو أنهم تاهوا في قفر من الارض ما بين الشام ومصر أربعين سنة لم يأووا فيها العمران ولا نزلوا مصر او لا خالطوا بشرا كما قصه القرآن لغاظة العمالقة بالشام وانقطبت مصر عليهم لعجزهم عن مقاومتهم كازعموه ويظهر من مساق الآية ومنه هو أنها أن حكمه ذلك التهمة مقصودة وهي فناء الجيل الذين خرجوا من قبضة الذل والقهر والقوة وتخلقوا به وأفسدوا من عصيتهم حتى نشأ في ذلك التهمة جيل آخر عزيز لا يعرف الاحكام والقهر ولا يسام بالمذلة فتشأت لهم بذلك عصية أخرى اقتدروا بها على المطالبة والتغلب ويظهر لك من ذلك أن الاربعين سنة أقل مما يأتي فيها فناء جيل ونشأة جيل آخر سبحانه الحكيم العليم وفي هذا أوضح دليل على شأن العصية وأنها هي التي تكون بها المدافعة والمقاومة والحماية والمطالبة وأن من فقد هاهما عجز عن جميع ذلك كله ويلحق بهذا الفصل فيما يوجب المذلة للقبيل شأن المغارم والضرائب فان القبيل الغارمين ما أعطوا اليد من ذلك حتى رضوا بالمذلة فيه لان في المغارم والضرائب ضيما ومذلة لا تحتملها النفوس الاية الا اذا استوتتته عن القتل والتلف وان عصيتهم حينئذ ضعيفة عن المدافعة والحماية ومن كانت عصيته لا تدفع عنه الضيم فكيف له بالمقاومة والمطالبة وقد حصل له الانقياد للذل والمذلة عاتقة كما قدمناه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في شأن الحرث لما رأى سكة المحراث في بعض دور الانصار ما دخلت هذه دار قوم الا دخلهم الذل فهو دليل صريح على أن المغرم موجب للذلة هذا الى ما يصحب ذل المغارم من خلق المكر والخديعة بسبب ملكة القهر فاذا رأيت القبيل بالمغارم في ربة من الذل فلا تطمع لها بل لا تتركها الا بالآخر الدهر ومن هنا تبين لك غلط من يزعم أن زنانية بالمغرب كانوا شاة يؤدون المغارم لمن كان على عهدهم من الملوك وهو غلط فاحش كما رأيت اذ لو وقع ذلك لما استتب لهم ملك ولا تمت لهم دولة وانظر فيما قاله شهر برار ملك الباب لعبد الرحمن بن ربيعة لما أطل عليه وسأل شهر برار أمانه على أن يكون له فقال أنا اليوم منكم يدي في أيديكم وصعري معكم فرحبا بكم وبارك الله لنا ولكم وجزيتنا اليكم النصر اكم والقيام بما تحبون ولا تذلونا بالجزية فتوهنوا بالعدوكم فاعتبر هذا فيما قلناه فانه كاف

## ٢٠ (فصل في ان من علامات الملك التنافس في الخلال الحميدة وبالعكس)



لما كان الملك طبعيا للانسان لما فيه من طبيعة الاجتماع كما قلناه وكان الانسان اقرب الى الخلال الخير من خلال الشر بأصل فطرته وقوته الناطقة العاقلة لان الشر انما جاءه من قبل القوى الحيوانية التي فيه وأما من حيث هو انسان فهو الى الخير وخلاله اقرب والملك والسياسة انما كان له من حيث هو انسان لانها خاصة للانسان لا للحيوان فاذا كان خلال الخير فيه هي التي تناسب السياسة والملك اذا الخير هو المناسب للسياسة وقد ذكرنا أن المجد له أصل ينسب عليه ويتحقق به حقيقة وهو العصية والعشيرة ووقع يتم وجوده ويكملة وهو الخلال واذا كان الملك غاية للعصية فهو غاية لقرونها ومتماتها وهي الخلال لان وجوده دون متماته كوجود شخص مقطوع الاعضاء أو ظهوره عربا بين الناس واذا كان وجود العصية نقط من غير اتصال الخلال الحمدة نقصا في أهل البيوت والاحساب فما ظنك بأهل الملك الذي هو غاية لكل مجد ونهاية لكل حسب وأيضا فالسياسة والملك هي كفالة الخلق وخلافة لله في العباد لتنفيذ أحكامه فيهم وأحكام الله في خلقه وعباده انما هي بالخير ومراعاة المصالح كما تشهد به الشرائع وأحكام البشر انما هي من الجهل والشيطان بخلاف قدرة الله سبحانه وقدره فانه فاعل للخير والشر معا وقد رهما اذ لا فاعل سواه فمن حصلت له العصية الكفيلة بالقدرة وأرست منه خلال الخير المناسبة لتنفيذ أحكام الله في خلقه فقد تم بالخلافة في العباد وكفالة الخلق ووجدت فيه الصلاحية لذلك وهذا البرهان أثبت من الاول وأصح مبنى فقد بين أن خلال الخير شاهدة بوجود الملك لمن وجدت له العصية فاذا نظرنا في أهل العصية ومن حصل لهم الغلب على كثير من النواحي والامم فوجدناهم يتنافون في الخير وخلاله من الكرم والعفوع والزلات والاحتمال من غير القادر والقرى للضيوف وحمل الكل وكسب المعدم والصبر على المكاره والوفاء بالعهد وبذل الاموال في عون الاعراض وتعظيم الشريعة واجلال العلماء الحاملين لها والوقوف عند ما يحدونه لهم من فعل أو ترك وحسن الظن بهم واعتقاد أهل الدين والتبرك بهم ورغبة الدعاء منهم والحياء من الاكابر والمشايع وتوقيرهم واجلالهم والانقياد الى الحق مع الداعي اليه وانصاف المستضعفين من أنفسهم والتبذل في أحوالهم والانقياد للحق والتواضع للمسكين واستماع شكوى المستغيثين والتدين بالشرائع والعبادات والقيام عليها وعلى أسبابها والتجافي عن الغدر والمكر والخديعة ونقض العهد وأمثال ذلك علمنا أن هذه خلق السياسة قد حصلت لديهم واستحقوا بها أن يكونوا سياسة لمن تحت أيديهم أو على العموم وأنه خير ساقه الله تعالى اليهم مناسبا لعصيتهم وغلبهم وليس ذلك سدى فيهم

ولا وجد عبثا منهم والملك أنسب المراتب والخبرات لعصيتهم فعلمنا بذلك أن الله تأذن لهم بالملك وساقه اليهم وبالعلم كس من ذلك اذا تأذن الله بانقراض الملك من أمة جلهم على ارتكاب المذمومات واتعمال الرذائل وسلوك طرقها فتفقد الفضائل السياسية منهم جملة ولا تزال في انتقاص الى أن يخرج الملك من أيديهم ويتبدل به سواهم ليكون نعياع عليهم في سلب ما كان الله قد آتاهم من الملك وجعل في أيديهم من الخير واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترقيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا واستقر ذلك وتبعه في الامم السابقة تجد كثيرا مما قلناه ورسمناه والله يخلق ما يشاء ويختار (واعلم) أن من خلال الكمال التي يتنافس فيها القبائل أو لولا العصية وتكون شاهدة لهم بالملك اكرام العلماء والصالحين والاشراف وأهل الاحساب وأصناف التجار والغرباء وانزال الناس منازلهم وذلك أن اكرام القبائل وأهل العصيات والعشائر لمن بناهضهم في الشرف ويجاذبهم جبل العشيرة والعصية ويشاركهم في اتساع الجاه أمر طبيعي يحمل عليه في الاكثر الرغبة في الجاه أو المخافة من قوم المكرم أو التماس مثلها منه وأما أمثال هؤلاء من ليس لهم عصية تتق ولا جاء يرتجى فيندفع الشك في شأن كرامتهم ويتمحض القصد فيهم أنه للمجد واتعمال الكمال في الخلال والاقبال على السياسة بالكلية لان اكرام أقتاله وأمثاله ضروري في السياسة الخاصة بين قبيله ونظرائه واکرام الطارين من أهل الفضائل والخصوصيات كمال في السياسة العامة فالصالحون للدين والعلماء للجهل اليهم في اقامة مراسم الشريعة والتجارة للترغيب حتى تتم المنفعة بما في أيديهم والغرباء من مكارم الاخلاق وانزال الناس منازلهم من الانصاف وهو من العدل فيعلم بوجود ذلك من أهل عصيته انما وهم للسياسة العامة وهي الملك وأن الله قد تأذن بوجودها فيهم لوجود علاماتها ولهذا كان أول ما يذهب من القبيل اهل الملك اذا تأذن الله تعالى بسلب ملكهم وسلطانهم اكرام هذا الصنف من الخلق فاذا رأى يته قد ذهب من أمة من الامم فاعلم أن الفضائل قد أخذت في الذهاب عنهم وارتقب زوال الملك منهم واذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له والله تعالى أعلم

٢١ (فصل في انه اذا كانت الامم حشية كان ملكها اوسع)

وذلك لانهم أقدر على التغلب والاستبداد كما قلناه واستعباد الطوائف لقدرتهم على محاربة الامم سواهم ولانهم يتنزلون من الاهلين منزلة المقترس من الحيوانات العجم وهؤلاء مثل العرب وزناتة ومن في معنائهم من الاكراد والتركمان وأهل الشام من



صنهاجة وأيضاً فهو لا المتوحشون ليس لهم وطن يرتاقون منه ولا بلد ينجحون  
إليه فنسبة الاقطار والمواطن اليهم على السواء فلهمذا لا يقتصرون على ملكة قطره  
وما جاورهم من البلاد ولا يفتقون عند حدود أفقهم بل يطفرون الى الاقاليم البعيدة  
ويتغلبون على الامم النائية وانظر ما يحكي في ذلك عن عمر رضى الله عنه لما بويج  
وقام يحترض الناس على العراق فقال ان الحجاز ليس لكم بدار الا على النجعة ولا يقوى  
عليه اهله الا بذلك أين القراء المهاجرون عن موعد الله سيروا في الارض التي وعدكم  
الله في الكتاب أن يورثكموها فقال ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون واعتبر  
ذلك أيضاً بحال العرب السالفة من قبل مثل التبابعة وجير كيف كانوا يخطون من  
اليمين الى المغرب مرة وإلى العراق والهند أخرى ولم يكن ذلك لغير العرب من الامم  
وكذا حال الملمثين من المغرب لما نزعوا الى الملك طفروا من الاقليم الاول ومجالاتهم منه  
في جوار السودان الى الاقليم الرابع والخامس في ممالك الاندلس من غير واسطة  
وهذا شأن هذه الامم الوحشية فلذلك تكون دولتهم أوسع نطاقاً وأبعد من مراكرها  
نهاية والله يقدر الليل والنهار وهو الواحد القهار لا شريك له

٢٢ فصل في ان الملك اذا ذهب عن بعض الشعوب من امة فلا بد من  
عوده الى شعب آخر منها ما دامست لهم العصبية

والسبب في ذلك أن الملك انما حصل لهم بعد سورة الغلب والاذعان لهم من سائر الامم  
سواهم فيتعين منهم المباشرون للامر الحاملون لسير الملك ولا يكون ذلك لجميعهم  
لما هم عليه من الكثرة التي يضيق عنها نطاق المراحة والغيرة التي يجمع أنوف كثير  
من المتطاولين للرتبة فاذا تعين أولئك القائمون بالدولة انغمسوا في النعيم وغرقوا في  
بحر الترف والخصب واستعبدوا اخوانهم من ذلك الجيل وأنفقوهم في وجوه الدولة  
ومذاهبها وبقي الذين بعدوا عن الامر وكجوا عن المشاركة في ظل من عز الدولة التي  
شاركوها بنسبهم وبمنجاة من الهرم لبعدهم عن الترف وأسبابه فاذا استولت على  
الاولين الايام وأباد غرضاءهم الهرم فطجنتهم الدولة وأكل الدهر عليهم وشرب بما  
أرهم النعيم من حدهم واشتفت غريزة الترف من مائهم وبلغوا غايتهم من طبيعة  
التمتد الانساني والتغلب السياسي (شعر)

كدود القز ينسج ثم يقني \* بمركر نسجه في الانعكاس

كانت حينئذ عصبية الاخرين موفورة وسورة غلبهم من الكاسر محفوظه وشارهم  
في الغلب معلومة فتسبوا امالهم الى الملك الذي كانوا ممنوعين منه بالقوة الغالبة من

جنس عصبيتهم وترتفع المنازعة لما عرف من غلبهم فيستولون على الامر ويصير اليهم  
وكذا يتفق فيهم مع من بقي أيضاً منتبذاً عنه من عشائرتهم فلا يزال الملك ملجأ في  
الامة الا أن تنكسر سورة العصبية منها أو يقضي سائر عشائرها سنة الله في الحياة  
الدنيا والاخرة عن يد ربك للمؤمنين واعتبر هذا بما وقع في العرب لما انقرض ملك  
عاد قام به من بعدهم اخوانهم من ثمود ومن بعدهم اخوانهم العمالقة ومن بعدهم  
اخوانهم من جبر ومن بعدهم اخوانهم التبابعة من حمير أيضاً ومن بعدهم الاذواء  
كذلك ثم جاءت الدولة لمضر وكذا الفرس لما انقرض امر الكينية ملك من بعدهم  
الساسانية حتى تأذن الله بانقرضهم أجمع بالاسلام وكذا اليونانيون انقرض أمرهم  
وانتقل الى اخوانهم من الروم وكذا البربر بالمغرب لما انقرض أمر مغراوة وكثامة  
الملوك الاول منهم رجع الى صنهاجة ثم الملمثين من بعدهم ثم المصامدة ثم من بقي من  
شعوب زناتة وهكذا سنة الله في عبادته وخلقه وأصل هذا كله انما يكون بالعصبية  
وهي متفاوتة في الاجيال والملك يخلقه الترف ويذهب به كما سذكه بعد فاذا انقرضت  
دولة فانما يتناول الامر منهم من له عصبية مشاركة لعصبيتهم التي عرف لها التسليم  
والانقياد وأونس منها الغلب لجميع العصبيات وذلك انما يوجب جد في النسب القريب  
منهم لان تفاوت العصبية بحسب ما قرب من ذلك النسب التي هي فيه أو بعد حتى اذا  
وقع في العالم تبدل كبير من تحويل مله أو ذهاب عمران أو ماشاء الله من قدرته فيئذ  
يخرج عن ذلك الجيل الى الجيل الذي يأذن الله بقيامه بذلك التبدل كما وقع لمضر حين  
غلبوا على الامم والدول وأخذوا الامر من أيدي أهل العالم بعد أن كانوا مكبوحين  
عنه أحقاباً

٢٣ فصل في ان المغلوب مولع أبداً بالاقامة بالغالب في شعاره وزيه  
ونخلته وسائر احواله وعواذله

والسبب في ذلك أن النفس ابدت اعتقاد الكمال فيمن غلبها وانقادت اليه اما لنظرة  
بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي  
انما هو لكمال الغالب فاذا غالطت بذلك واتصل لها حصل اعتقاداً فانتقلت جميع  
مذاهب الغالب وتشبهت به وذلك هو الاقتداء ولما تراه والله أعلم من أن غلب الغالب  
له ليس بعصبية ولا قوة بأس وانما هو بما انتحلته من العوائد والمذاهب تغالط أيضاً  
بذلك عن الغلب وهذا راجع للاول ولذلك ترى المغلوب يتشبه بأبداً بالغالب في ملبسه  
ومركبه وسلاحه في اتخاذها وأشكالها بل وفي سائر احواله وانظر ذلك في



البناء مع آبائهم كيف تجدهم متشبهين بهم دائماً وما ذلك الا لاعتقادهم الكمال فيهم وانظر الى كل قطر من الاقطار كيف يغلب على أهله زى الحامية وجند السلطان في الاكثر لانهم الغالبون لهم حتى انه اذا كانت أمة تجاور أخرى ولها الغلب عليها فيسرى اليهم من هذا التشبه والاعتداء حظ كبير كما هو في الاندلس لهذا العهد مع أمة الخلافة فانك تجدهم يشبهون بهم في ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم وأحوالهم حتى في رسم التماثيل في الجدران والمصانع والبيوت حتى لقد يستشعر من ذلك الناظر بعين الحكمة انه من علامات الاستيلاء والامر لله \* وتأمل في هذا سر قولهم العامة على دين الملك فانه من بابيه اذا الملك غالب لمن تحت يده والريعية مقتدون به لاعتقاد الكمال فيه اعتقاد الابناء بابائهم والمتعلمين بعلماهم والله العليم الحكيم وبه سبحانه وتعالى التوفيق

٢٤ (فصل في ان الامة اذا غلبت وصارت في ملك غير بائع اليها الفناء)

والسبب في ذلك والله أعلم ما يحصل في النفوس من التكاسل اذا ملك أمرها عليها وصارت بالاستعباد آله لسواها وعالة عليهم فيقصرا الامل ويضعف التناسل والاعتماد انما هو عن جدة الامل وما يحدث عنه من النشاط في القوى الحيوانية فاذا ذهب الامل بالتكاسل وذهب ما يدعو اليه من الاحوال وكانت العصية ذاهبة بالغلب الحاصل عليهم تناقص عمرانهم وتلاشت مكاسبهم ومساعيمهم وعجزوا عن المدافعة عن أنفسهم بما خضع الغلب من شوكتهم فأصبحوا مغلبين اسكل متغلب طعمة اسكل آكل وسواء كانوا حاصلوا على غايتهم من الملك أو لم يحصلوا وفيه والله أعلم سر آخر وهو أن الانسان رئيس بطبعه بمقتضى الاستخلاف الذي خلق له والرئيس اذا غلب على رياسته وكبح عن غاية عزه تكاسل حتى عن شعب بطنه وري كبدته وهذا موجود في أخلاق الاناسي ولقد يقال مثله في الحيوانات المفترسة وانها لا تسافدا اذا كانت في ملكة الآدميين فلا يزال هذا القبيل المملوك عليه أمره في تناقص واضمحلال الى أن يأخذهم الفناء والبقاء لله وحده واعتبر ذلك في أمة الفرس كيف كانت قدملاآت العالم كثرة ولما فئت حاميتهم في أيام العرب بقي منهم كثيراً أكثر من الكثير يقال ان بعدا أحصى من وراء المدائن فكانوا مائة ألف وسبعة وثلاثين ألفاً منهم سبعة وثلاثون ألفاً قرب بيت ولما حصلوا في ملكة العرب وقبضة القهر لم يكن بقاؤهم الا قليلا ودثروا كأن لم يكونوا ولا تحسبن أن ذلك لظلم نزل بهم أو وعدوا ان شملهم فلكة الاسلام في العدل ما علمت وانما هي طبيعة في الانسان اذا غلب على أمره

وصار آله لغيره ولهذا انما تدعى للرق في الغالب أمة السودان لنقص الانسانية فيهم وقربهم من عرض الحيوانات العجم كما قلناه أو من رجوبية نظامه في ربة الرق حصول رتبة أو افادة مال أو عز كما يقع لممالك الترتل بالشرق والغلو ج من الخلافة والافرنجة بالاندلس فان العادة جارية باستخلاص الدولة لهم فلا يأنفون من الرق لما يأمرونه من الجاه والرتبة باصطفاء الدولة والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

٢٥ (فصل في ان العرب لا يتقبلون الا على البساط)

وذلك أنهم بطبيعة التوحش الذي فيهم أهل انتهاب وعيث ينتهبون ما قدر واعليه من غير مغالبة ولا ركوب خطر ويقرون الى متبعهم بالقفر ولا يذهبون الى المزاحفة والمخاربة الا اذا دفعوا بذلك عن أنفسهم فكل معقل أو مستصعب عليهم فهم تاركوه الى ما يسهل عنه ولا يعرضون له والقبائل المستعنة عليهم بأوعار الجبال بمنحاة من عيشهم وفيادهم لانهم لا يتسمنون اليهم الهضاب ولا يركبون الصعاب ولا يحاولون الخطر وأما البساط متى اقتدروا عليها بفقدان الحامية وضعف الدولة فهمي نهب لهم وطعمة لا كلهم يرددون عليها الغارة والنهب والزحف لسهولة عليهم الى أن يصبح أهلها مغلبين لهم ثم يتعاورونهم باختلاف الايدي وانحراف السياسة الى أن ينقرض عمرانهم والله قادر على خلقه وهو الواحد القهار لا رب غيره

٢٦ (فصل في ان العرب اذا تقبلوا على اوطان اسرع اليها العرب)

والسبب في ذلك أنهم أمة وحشية باستحكام عوائد التوحش وأسبابه فيهم فصار لهم خلقا وجيلة وكان عندهم منذ ذوالما فيه من الخروج عن ربة الحكم وعدم الانقياد للسياسة وهذه الطبيعة منافية للعمران ومناقضة له فغاية الاحوال العادية كلها عندهم الرحلة والتغلب وذلك مناقض للسكون الذي به العمران ومناف له فالجزم مثلا انما حاجتهم اليه لنصبه أثافي للقدر فينقلونه من المباني ويخربونها عليه ويعتونه لذلك والخشب أيضا انما حاجتهم اليه ليغمر وابه خيامهم ويتخذوا الاوتاد منه لبيوتهم فيخربون السقف عليه اذ ذلك فصارت طبيعة وجودهم منافية للبناء الذي هو أصل العمران هذا في حالهم على العموم وأيضاً فطبيعتهم انتهاب ما في أيدي الناس وان رزقهم في ظلال رماحهم وليس عندهم في أخذ أموال الناس حتى ينتهون اليه بل كلما تمتدت أعينهم الى مال أو متاع أو ماعون انتهبوه فاذا تم اقتدارهم على ذلك بالغلب والملك بطلت السياسة في حفظ أموال الناس وخرب العمران وأيضاً فلانهم



يتلفون على أهل الأعمال من الصنائع والحرف أعماهم لا يرون لها قيمة ولا قسطا من  
الاجر والثمن والأعمال كما سذكروه هي أصل المكاسب وحقيقتها وإذا فسد  
الأعمال وصارت مجانا ضعفت الآمال في المكاسب وانقبضت الأيدي عن العمل  
وابتذرت الساكن وفسد العمران وأيضا فانهم ليست لهم غناية بالأحكام وزجر الناس  
عن المناسد ودفاع بعضهم عن بعض انما هم بما يأخذونه من أموال الناس نهبا  
أو مغرما فاذا توصلوا إلى ذلك وحصلوا عليه أعرضوا عما بعده من تسديد أحوالهم  
والنظر في مصالحهم وقهر بعضهم عن أغراض المقاسد ورموا قروض العقوبات  
في الأموال حرصا على تحصيل الفائدة والجباية والاستكثار منها كما هو شأنهم وذلك  
ليس بمن في دفع المقاسد وزجر المتعرض لها بل يكون ذلك زائدا فيها لاستسهال الغرم  
فمن جانب حصول الغرض فتبقى الرعايا في ملكتهم كأنها فوضى دون حكم والفوضى  
مهلكة للبشر مفسدة للعمران بما ذكرناه من أن وجود الملك خاصة طبيعية للإنسان  
لا يستقيم وجودهم واجتماعهم إلا بها وتقدم ذلك أول الفصل وأيضا فهم متناقضون  
في الرئاسة وقل أن يسلم أحد منهم الأمر لغيره ولو كان أباه أو أخاه أو كبير عشيرته  
إلا في الأقل وعلى كره من أجل الحياة فيتعذر الأحكام منهم والأمراء وتختلف الأيدي  
على الرعية في الجباية والأحكام فيفسد العمران وينتقض قال الأعرابي الوافد على  
عبد الملك لما سأله عن الخجاج وأراد الثناء عليه عند مجلس السياسة والعمران فقال  
تركته يظلم وحده وانظر إلى ما ملكوه وتغلبوا عليه من الأوطان من لدن الخليفة  
كيف تقوض عمرانه وأقفر ساكنه وبدات الأرض فيه غير الأرض فالين قرارهم  
خراب الأقليم الامصار وعراق العرب كذلك قد خرب عمرانه الذي كان للفرس  
أجمع والشام لهذا العهد كذلك وأفريقية والمغرب لما جاز إليها بنو هلال وبنو سليم  
منذ أول المائة الخامسة وتمرسوا بها الثلاثمائة وخمسين من السنين قد لحق بها عادت  
بساتنها خرابا كلها بعد أن كان ما بين السودان والبحر الرومي كله عمرانا تشهد بذلك  
أثار العمران فيه من المعالم وقنايل البناء وشواهد القرى والمد اشروا الله يرث الأرض  
ومن عليها وهو خير الوارثين

٢٧ فصل في أن العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصيغة دينية من نبوة

أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة

والسبب في ذلك أنهم خلقوا لتوحش الذي فيهم أصعب الأمم انقياد بعضهم لبعض  
للغلظة والانفة وبعد الهمة والمنافسة في الرئاسة فقلما تجتمع أهواؤهم فاذا كان

الدين بالنبوة أو الولاية كان الوازع لهم من أنفسهم وذهب خلق الكبر والمنافسة  
منهم فسهل انقيادهم واجتماعهم وذلك بما يشتملهم من الدين المذهب للغلظة والانفة  
الوازع عن التماسد والتنافس فاذا كان فيهم النبي أو الولي الذي يبعثهم على القيام  
بأمر الله ويذهب عنهم مذمومات الأخلاق ويأخذهم بمحمودها ويؤلف كلمتهم  
لاظهار الحق تم اجتماعهم وحصل لهم التغلب والملك وهم مع ذلك أسرع الناس  
قبولا للحق والهدى للسلامة طباعهم من عوج الملكات وبراءتهم من ذم الأخلاق  
إلا ما كان من خلق التوحش القريب المعاناة المنتهي لقبول الخير يبقائه على الفطرة  
الأولى وبعده عما ينطبع في النفوس من قبيح العوائد وسوء الملكات فان كل مولود  
يولد على الفطرة كما ورد في الحديث وقد تقدم

٢٨ (فصل في أن العرب لا يبرأ لهم عن سياسة الملك)

والسبب في ذلك أنهم أكثر بداءة من سائر الأمم وأبعد مجالا في القفر وأغنى عن  
حاجات التول وجوبهم الاعتقادهم الشطف وخشونة العيش فاستغنوا عن غيرهم  
فصعب انقياد بعضهم لبعض لا يلافهم ذلك وللتوحش ورئيسهم محتاج إليهم غالبا  
للعصية التي بها المدافعة فكان مضطرا إلى احسان ملكتهم وتركهم لئلا يختل  
عليه شأن عصيته فيكون فيها هلاكا وهلا كههم وسياسة الملك والسلطان تقتضي  
أن يكون السائس أزعابا القهر والام تستقيم سياسته وأيضا فان من طبيعتهم كما  
قدمناه أخذ ما في أيدي الناس خاصة والتجافي عما سوى ذلك من الأحكام بينهم ودفاع  
بعضهم عن بعض فاذا ملكوا أمة من الأمم جعلوا غاية ملكهم الاتقاء بأخذ ما في  
أيديهم وتركوا ما سوى ذلك من الأحكام بينهم ورموا بالعقوبات على المفاصد في  
الأموال حرصا على تكثير الجبايات وتحصيل القوائد فلا يكون ذلك وازعابا يكون  
باعثا بحسب الأغراض الباعثة على المفاصد واستهانة ما يعطى من ماله في جانب غرضه  
فتنمو المفاصد بذلك ويقع تخريب العمران فتبقى تلك الأمة كأنها فوضى مستطيلة  
أيدي بعضها على بعض فلا يستقيم لها عمران وتخرب سريعاً شأن الفوضى كما قدمناه  
فبعثت طباع العرب لذلك كله عن سياسة الملك وانما يصيرون إليها بعد انقلاب  
طبائعهم وتبدلها بصيغة دينية تحوّل ذلك منهم وتجعل الوازع لهم من أنفسهم  
وتحمّلهم على دفاع الناس بعضهم عن بعض كما ذكرناه واعتبر ذلك بدولتهم في الملة لما  
شيد لهم الدين أمر السياسة بالسرعة وأحكامها المراعية لمصالح العمران ظاهرا  
وباطنا وتابع فيها الخلفاء عظم حينئذ ملكهم وقوى سلطانهم كان رسم إذا رأى



المساكين يجتمعون للصلاة يقول أكل عمر كبدي يعلم الكلاب الآداب ثم انهم بعد ذلك انقطعت منهم عن الدولة أجيال نبذوا الدين ففسدوا السياسة ورجعوا الى قفرهم وجهلوا شأن عصبيتهم مع أهل الدولة يبعدهم عن الانقياد واعطاء النصفه فتوحشوا كما كانوا ولم يبق لهم من اسم الملك الا أنهم من جنس الخلفاء ومن جيلهم ولما ذهب أمر الخلافة وانمحي رسمها انقطع الامر جلة من أيديهم وغلب عليهم العجم دونهم وأقاموا بادية في قفارهم لا يعرفون الملك ولا سياسته بل قديجهل الكثير منهم أنهم قد كان لهم ملك في القديم وما كان في القديم لاحد من الامم في الخليفة ما كان لاجيالهم من الملك ودول عاد وعود والعمالة وجير والتابعة شاهدة بذلك ثم دولة مضر في الاسلام بنى أمية وبنى العباس لكن بعد عهدهم بالسياسة لما نسوا الدين فرجعوا الى أصلهم من البداوة وقد يحصل لهم في بعض الاحيان غلب على الدول المستضعفة كما في المغرب لهذا العهد فلا يكون ما له وغايته الاتخريب ما يستولون عاياه من العمران كما قدمناه والله يؤتي ملكه من يشاء

٢٩ (فصل في ان البوادي من القبائل والعصائب مغلوبون لاهل الامصار)

قد تقدم لنا أن عمران البادية ناقص عن عمران الحواضر والامصار لان الامور الضرورية في العمران ليس كلها موجودة لاهل البدو وانما وجد لديهم في مواطنهم أمور الفلح وموادها معدومة ومعظمها الصنائع فلا توجد لديهم بالكيفية من نجار وخياط وحذاء وما ل ذلك مما يقيم لهم ضروريات معاشهم في الفلح وغيره وكذا الدنانير والدراهم مفقودة لديهم وانما بأيديهم أعواضها من مغل الزراعة وأعيان الحيوان أو فضلاته ألبانها وبارا وأشعارها وما يحتاج اليه أهل الامصار فيعوضونهم عنه بالدنانير والدراهم الا أن حاجتهم الى الامصار في الضرورى وحاجة أهل الامصار اليهم في الحاجتى والسكالى فهم محتاجون الى الامصار بطبيعة وجودهم فنادوا في البادية ولم يحصل لهم ملك ولا استيلاء على الامصار فهم محتاجون الى أهلها ويتصرفون في مصالحهم وطاعتهم متى دعواهم الى ذلك وطالبوهم به وان كان في المصر ملك كان خضوعهم وطاعتهم لغلب الملك وان لم يكن في المصر ملك فلا بد فيه من رئاسة ونوع استبداد من بعض أهل على الباقيين والاتقص عمرانه وذلك الرئيس يحملهم على طاعته والسعى في مصالحه اما طوعا وبذل المال لهم ثم يبدى لهم ما يحتاجون اليه من الضروريات في مصره فيستقيم عمرانهم واما كرها ان تمت قدرته على ذلك ولو بالتغريب بينهم حتى يحصل له جانب منهم يغالب به الباقيين

فيضطر الباقيين الى طاعته بما يتوقعون لذلك من فساد عمرانهم ورجعوا اليهم مفارقة تلك النواحي الى جهات أخرى لان كل الجهات معمور بالبدو والذين غلبوا عليها ومنعواهم من غيرهم فلا يجدون لاهل الجبل الا طاعة المصر فهم بالضرورة مغلوبون لاهل الامصار والله قاهر فوق عباده وهو الواحد الاحد القهار

الفصل الثالث من الكتاب الاول  
في الدول العامة والملك والخلافة والمرتبة السلطانية وما يعرض  
في ذلك كله من الاحوال وفيه قواعد ومتممات

١ (فصل في ان الملك والدولة العامة انما يحصل بالقبيل والعصبة)

وذلك أناقرنا في الفصل الاول أن المغالبة والممانعة انما تكون بالعصبة لما فيها من النغرة والتذامر واستمالة كل واحد منهم دون صاحبه ثم ان الملك منصب شريف ملذوذ يشتمل على جميع الخيرات الدنيوية والشهوات البدنية والملاذات النفسانية فيقع فيه التنافس غالباً وقل أن يسلمه أحد لصاحبه الا اذا غلب عليه فققع المنازعة وتفضى الى الحرب والقتال والمغالبة وشئ منها لا يقع الا بالعصبة كما ذكرناه انما وهذا الامر بعيد عن أفهام الجمهور بالجلة ومتناسون له لانهم نسوا عهد تهديد الدولة منذ أولها وطال أمدهم باهم في الحضارة ونهاتهم فيها جيلا بعد جيل فلا يعرفون ما فعل الله أول الدولة انما يدركون أصحاب الدولة وقد استحكمت صبغتهم ووقع التسليم لهم والاستغناء عن العصبة في تهديد امرهم ولا يعرفون كيف كان الامر من أوله وما لقي أولهم من المتاعب دونه وخصوصاً أهل الاندلس في نسيان هذه العصبة وأثرها الطول الامد واستغنائهم في الغالب عن قوة العصبة بما تلاشى وطنهم وخلل من العصاب والله قادر على ما يشاء وهو بكل شئ عليم وهو حسبنا ونعم الوكيل

٢ (فصل في انما اذا استقرت الدولة وتمهدت فقد تسكن عن العصبة)

والسبب في ذلك أن الدول العامة في أولها يصعب على النفوس الانقياد لها لابقوة قوية من الغلب للغلبة وان الناس لم يألفوا ملكها ولا اعتمادوه فاذا استقرت الرئاسة في أهل النصاب الخصوص بالملك في الدولة وتوارثوه واحدا بعد آخر في أعقاب كثيرين ودول متعاقبة نسبت النفوس شأن الاولوية واستحكمت لاهل ذلك النصاب صبغة الرئاسة ورسخ في العقائد دين الانقياد لهم والتسليم وقاتل الناس معهم على أمرهم قتالهم على العقائد الايمانية فلم يحتاجوا حينئذ في أمرهم الى كبير عصبة بل كان طاعتها



كتاب الله لا يستدل ولا يعلم خلافه ولا أمر ما يوضع الكلام في الامامة آخر الكلام على  
العقائد الايمانية كانه من جملة عقودها ويكون استظهارهم حينئذ على سلطانهم  
ودولتهم المخصوصة اما بالموالي والمصطنعين الذين نشؤا في ظل العصية وغيرها واما  
بالعصائب الخارجين عن نسبها الداخلين في ولايتها ومثل هذا وقع لبني العباس فان  
عصية العرب كانت فسدت لعهد دولة المعتصم وابنه الواثق واستظهارهم بعد ذلك  
انما كان بالموالي من العجم والترس والديلم والسلجوقية وغيرهم ثم تغلب العجم الاولياء  
على النواحي وتقاص ظل الدولة فلم تكن تعدوا أعمال بغداد حتى زحف اليها الديلم  
وملكوها وصار الخلائق في حكمهم ثم انقض أمرهم وملك السلجوقية من بعدهم  
فصاروا في حكمهم ثم انقض أمرهم وزحف آخر التتار فقتلوا الخليفة وجحور اسم  
الدولة وكذا صنهاجة بالمغرب فسدت عصيتهم منذ المائة الخامسة وأما قبلها واستمرت  
لهم الدولة متقلصة الظل بالمهدية وبجاية والقلعة وسائر تغورافريقية وربما اتت  
بذلك التغور من نازعهم الملك واعتصم فيها والسلطان والملك مع ذلك مسلم لهم حتى  
تأذن الله بانقراض الدولة وجاء الموحدون بقوة قوبة من العصية في المصامدة فحوا  
آثارهم وكذا دولة بني امية بالاندلس لما فسدت عصيتها من العرب استولى ملوك  
الطوائف على أمرها واقتسموا خطتها وتنافسوا بينهم وتوزعوا ممالك الدولة وانقرض  
كل واحد منهم على ما كان في ولايته وشمخ بأنفه وبلغهم شأن العجم مع الدولة  
العباسية فقتلوا بألقاب الملوك ولبسوا اشارة وأمنوا ممن ينقض ذلك عليهم أو يغيره  
لان الاندلس ليس بدار عصائب ولا قبائل كما سئذ كره واستمر لهم ذلك كما قال ابن شرف  
مما يزدني في أرض اندلس \* أسماء معتصم فيها ومعتصد  
ألقاب مملكة في غير موضعها \* كالتري يحيى اتفاقا صورة الاسد

فاستظهروا على أمرهم بالموالي والمصطنعين والطوائف على الاندلس من أهل العدو  
من قبائل البربر وزناتة وغيرهم اقتداء بالدولة في آخر أمرها في الاستظهار بهم حين  
ضعفت عصية العرب واستبد ابن أبي عامر على الدولة فكان لهم دول عظيمة استبد كل  
واحد منها بجانب من الاندلس وحظ كبير من الملك على نسبة الدولة التي اقتسموها ولم  
يزالوا في سلطانهم ذلك حتى جاز اليهم البحر المار بطون أهل العصية القوية من لمتونة  
فاستبدلوا بهم وأزالوهم عن مراكزهم ومحو آثارهم ولم يقدروا على مدافعهم لفقدان  
العصية لديهم فهذه العصية يكون تمهيد الدولة وجايتها من أولها وقد ظن  
الطوطوشي أن حامية الدول باطلاق هم الجند أهل العطاء المفروض مع الاهله ذكر  
ذلك في كتابه الذي سماه مرآة الملوك وكلامه لا يتناول تأسيس الدول العامة في أولها

وانما هو مخصوص بالدول الاخيرة بعد التمهيد واستقرار الملك في النصاب واستحكام  
الصيغة لاهله فالرجل انما أدرك الدولة عند هزمها وخلق جنتها ورجوعها الى  
الاستظهار بالموالي والصنائع ثم الى المستخدمين من ورائهم بالاجر على المدافعة  
فانه انما أدرك دول الطوائف وذلك عند اختلال دولة بني امية وانقراض عصيتها  
من العرب واستبدال كل أمير بقطره وكان في ايلة المستعين بن هود وابنه المظفر أهل  
سرقسطة ولم يكن بقي لهم من أمر العصية شيء لاستيلاء الترف على العرب منذ ثلثمائة  
من السنين وهلاكهم ولم ير الا سلطانا مستبدا بالملك عن عشائره قد استحكمت له  
صيغة الاستبداد منذ عهد الدولة وبقيت العصية فهو لذلك لا ينزع فيه ويستعين على  
أمره بالاجراء من المرتزقة فأطلق الطرطوشي القول في ذلك ولم يتفطن لكيفية الامر  
منذ أول الدولة وأنه لا يتم الا لاهل العصية فتفطن أنت له وافهم سر الله فيه والله يوتئ  
ملكه من يشاء

### ٣ \* (فصل في انه قد يحدث لبعض اهل النصاب الملكي دولة تستغنى عن العصية) \*

وذلك أنه اذا كان لعصية غلب كثير على الامم والاجيال وفي نفوس القاصدين بأمره  
من أهل القاصية اذعان لهم وانقياد فاذا نزع اليهم هذا الخارج واتبذ عن مقر ملكه  
ومنبت عزه اشتهوا عليه وقاموا بأمره وظاهره على شأنه وعنوا بتمهيد دولته يرجون  
استقراره في نصابه وتناوله الامر من يد أعياصه وجزاءه لهم على مظاهرتهم باصطفاهم  
لرغب الملك وخططه من وزارة أو قيادة أو ولاية تغر ولا يطمعون في مشاركته في شيء  
من سلطانه تسليم العصية وانقياد المما استحكم له ولقومه من صيغة الغلب في العالم  
وعقيدة ايمانية استقرت في الأذعان لهم فلوراموها معه أو دونه لزلزال الارض  
زلزالها وهذا كما وقع للادارسة بالمغرب الاقصى والعبيدين بافريقية ومصر لما اتبذ  
الطالبسون من المشرق الى القاصية وابتعدوا عن مقر الخلافة وسعوا الى طلبها من  
أيدي بني العباس بعد أن استحكمت الصيغة لبني عبد مناف لبني أمية أولا ثم لبني  
هاشم من بعدهم فخرجوا بالقاصية من المغرب ودعوا لانفسهم وقام بأمرهم البرابرة  
مرة بعد أخرى فأوربة ومغيلة للادارسة وكامة وصنهاجة وهوارية للعبيدين فشيروا  
دولتهم ومهدوا بعصائبهم أمرهم واقتطعوا من ممالك العباسيين المغرب كله ثم  
افريقية ولم يزل ظل الدولة يتقلص وظل العبيدين يمتد الى أن ملكوا مصر  
والشام والحجاز وقاسموهم في الممالك الاسلامية شق الابلية وهؤلاء البرابرة القاعون  
بالدولة مع ذلك كلهم مسلمون للعبيدين أمرهم مذعنون لملكهم وانما كانوا يتنافسون



في الرتبة عندهم خاصة تسليم الماحصل من صبغة الملك لبني هاشم ولما استحكم من الغلب لقريش ومضر على سائر الامم فلم يزل الملك في أعقابهم -م الى أن انقرضت دولة العرب بأسرها والله يحكم لامعقب لحكمه

٤ (فصل في ان الدول العامة الاستيلاء العظيمة الملك صلوات الله عليه من نبوة او دعوة حق)

وذلك لان الملك انما يحصل بالتغلب والتغلب انما يكون بالعصية واتفاق الاهواء على المطالبة وجمع القلوب وتآلفها انما يكون بمعونة من الله في اقامته دينه قال تعالى لو أنفق ما في الارض جميعا ما ألقت بين قلوبهم وسرته أن القلوب اذا تداعت الى أهواء الباطل والميل الى الدنيا حصل التنافس وفشا الخلاف واذا انصرفت الى الحق ورفضت الدنيا والباطل وأقبلت على الله اتحدت وجهتها فذهب التنافس وقل الخلاف وحسن التعاون والتعاقد واتسع نطاق الكلمة لذلك فعظمت الدولة كما بين لك بعد ان شاء الله سبحانه وتعالى وبه التوفيق لارب سواه

٥ (فصل في ان الدعوة الدينية تزيده الدولة في صلواتها)

قوة على قوة العصبية التي كانت لها من عدد

السبب في ذلك كما قدمناه أن الصبغة الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد الذي في أهل العصبية وتفرد الوجهة الى الحق فاذا حصل لهم الاستبصار في أمرهم لم يقف لهم شيء لان الوجهة واحدة والمطلوب متساو عندهم وهم مستيتون عليه وأهل الدولة التي هم طالبوها وان كانوا أضعافهم فأغراضهم متباينة بالباطل وتخاذلهم لتقيمة الموت حاصل فلا يبقوا وموتهم وان كانوا أكثر منهم بل يغلبون عليهم ويعاجلهم الفناء بما فيهم من الترف والنيل كما قدمناه وهذا كما وقع للعرب صدر الاسلام في الفتوحات فكانت جيوش المسلمين بالقادسية واليرموك بضعا وثلاثين ألفا في كل معسكر وجوع فارس مائة وعشرين ألفا بالقادسية وجوع هرقل على ما قاله الواقدي أربع مائة ألف فلم يقف للعرب أحد من الجانبين وهزمواهم وغلبوهم على ما بأيديهم واعتبر ذلك أيضا في دولة لمتونة ودولة الموحدين فقد كان بالمغرب من القبائل كثير ممن يقاومهم في العدد والعصية أو يشف عليهم الا أن الاجتماع الديني ضاعف قوة عصيتهم بالاستبصار والاستماتة كما قلناه فلم يقف لهم شيء واعتبر ذلك اذا حالت صبغة الدين وفسدت كيف يتقص الامر ويصير الغلب على نسبة العصبية وحدها دون زيادة الدين فتغلب الدولة من كان تحت يدها من العصابات المكافئة لها أو الزائدة القوة عليها الذين غلبتهم بضاعة الدين لقوتها ولو كانوا أكثر عصبية منها وأشد بداءة واعتبر هذا في الموحدين

مع زناة لما كانت زناة أبدى من المصامدة وأشد توحشا وكان للمصامدة الدعوة الدينية باتباع المهدي فلبسوا صبغتها وتضاعفت قوة عصيتهم بها فغلبوا على زناة أولا واستتبحوهم وان كانوا من حيث العصبية والبداءة أشد منهم فلما خلوا عن تلك الصبغة الدينية انتقضت عليهم زناة من كل جانب وغلبوهم على الامر وانتزعوه منهم والله غالب على أمره

٦ (فصل في ان الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم)

وهذا لما قدمناه من أن كل أمر تحمل عليه الكافة فلا بد له من العصبية وفي الحديث الصحيح كما مر ما بعث الله نبي الا في منعة من قومه واذا كان هذا في الانبياء وهم أولى الناس بخرق العوائد فطاعتك بغيرهم أن لا تخرق له العادة في الغلب بغير عصبية وقد وقع هذا لابن قسي شيخ الصوفية وصاحب كتاب خلع النعيلين في التصوف تار بالاندلس داعيا الى الحق وسمى أصحابه بالمرايطين قبيل دعوة المهدي فاستتب له الامر قليلا لشغل لمتونة بمادهمهم من أمر الموحدين ولم تكن هناك عصابات ولا قبائل يدفعونه عن شأنه فلم يابث حين استولى الموحدون على المغرب أن أذعن لهم ودخل في دعوتهم وتابعهم من معقله بمصر وكش وأمكنهم من ثغره وكان أول داعية لهم بالاندلس وكانت ثورته تسمى ثورة المرايطين ومن هذا الباب أحوال الثوار القائمين بتغيير المنكر من العامة والفقهاء فان كثيرا من المتحليين للعبادة وسلك طرق الدين يذهبون الى القيام على أهل الجور من الامر اذعين الى تغيير المنكر والنهي عنه والامر بالمعروف رجاء في الثواب عليه من الله فيكثر اتباعهم والمتشبهون بهم من الغوغاء والاهواء ويعرضون أنفسهم في ذلك للمهالك وأكثرهم يهلكون في تلك السبيل مأزورين غير مأجورين لان الله سبحانه لم يكتب ذلك عليهم وانما أمر به حيث تكون القدرة عليه قال صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فلينبهه فان لم يستطع فليقلبه وأحوال الملوك والدول راسخة قوية لا يزعزحها ويهدم بناءها الا المطالبة القوية التي من ورائها عصبية القبائل والعشائر كما قدمناه وهكذا كان حال الانبياء عليهم الصلاة والسلام في دعوتهم الى الله بالعشائر والعصابات وهم المؤيدون من الله بالكون كله لو شاء لكنه انما أجرى الامور على مستقر العادة والله حكيم عليم فاذا ذهب أحد من الناس هذا المذهب وكان فيه محققا قصر به الانفراد عن العصبية فطاح في هوة الهلاك وأما ان كان من المتلبسين بذلك في طلب الرياسة فأجدر أن تعوقه العوائق وتقطع به المهالك لانه أمر الله لا يتم الا برضاه واعاذه والا خلاص



له والنصيحة للمسلمين ولا يشك في ذلك مسلم ولا يرتاب فيه ذو بصيرة وأول ابتداء هذه  
الزعة في الملة ببغداد حين وقعت فتنة طاهر وقتل الامين وأباطأ المأمون بجراسان عن  
مقدم العراق ثم عهد لعل بن موسى الرضا من آل الحسين فكشف بنو العباس عن  
وجه النكير عليه وتداووا للقيام وخلع طاعة المأمون والاستبدال منه وبويع  
ابراهيم بن المهدي فوقع الهرج ببغداد وانطلقت أيدي الزعة بها من الشطار  
والخرية على أهل العافية والصون وقطعوا السبل وامتلأت أيديهم من نهاب  
الناس وباعوها علانية في الاسواق واستعدى أهلها الحكم فلم يعدوهم فتوافر أهل  
الدين والصلاح على منع الفساق وكف عاديتهم وقام ببغداد رجل يعرف بخالد  
الدريوس ودعا الناس الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فاجابه خلق وقتل أهل  
الزعة فغلهم وأطلق يده فيهم بالضرب والتسكيل ثم قام من بعده رجل آخر من سواد  
أهل بغداد يعرف بسهل بن سلامة الانصاري ويكنى أبا حاتم وعلق مصحفاني عنقه  
ودعا الناس الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى  
الله عليه وسلم فاتبعه كافة الناس من بين شريف ووضيع من بني هاشم فن دونهم  
ونزل قصر طاهر واتخذ الدوان وطاف ببغداد ومنع كل من أخاف المارة ومنع  
الخفارة لاولئك الشطار وقال له خالد الدريوس أنا لأعيب على السلطان فقال له سهل  
لكني اقاتل كل من خالف الكتاب والسنة كائن من كان وذلك سنة احدى ومائتين  
وجهازه ابراهيم بن المهدي العساكر فغلبه وأسره وانحل أمره سريرا وذهب ونجا  
بنفسه ثم اقتدى بهذا العمل بعد كثير من الموسوسين يأخذون أنفسهم باقامة الحق ولا  
يعرفون ما يحتاجون اليه في اقامته من العصية ولا يشعرون بعقبة أمرهم وما ل  
أحوالهم والذي يحتاج اليه في أمر هؤلاء اما المداواة ان كانوا من أهل الجنون واما  
التسكيل بالقتل أو الضرب ان أحدثوا هرجا واما اذاعة السخرية منهم وعدهم من جملة  
الصقاعين وقد يتسبب بعضهم الى الفاطمي المنتظر اما بأنه هو أو بأنه داع له وليس مع  
ذلك على علم من أمر الفاطمي ولا ما هو أو أكثر المتحايين مثل هذا تجددهم موسوس  
أو مجانين أو ملبسين يطلبون بمثل هذه الدعوة رياسة امتلات بها جوارحهم وعجزوا عن  
التوصل اليها بشئ من أسبابها العادية فيحسبون أن هذا من الأسباب البالغة بهم  
الى ما يؤملونه من ذلك ولا يحسبون ما ينالهم فيه من الهلكة فيسرع اليهم القتل بما  
يحدثونه من الفتنة وتسوء عاقبة مكرهم وقد كان لأول هذه المائة خرج بالبوس  
رجل من المتصوفة يدعى التوبذري عمدا الى مسجد ماسة بساحل البحر هنالك وزعم أنه  
الفاطمي المنتظر تلبس على العامة هنالك بما ملا قلوبهم من الحدنان بانتظاره

هنالك وان من ذلك المسجد يكون أصل دعوته فتهاقت عليه طوائف من عامة البربر  
تهافت القراش ثم خشي رؤسائهم اتساع نطاق الفتنة فسدس اليه كبار المصامدة  
يومئذ عمر السكسيوي من قتله في فراشه وكذلك خرج في غمارة أيضا لأول هذه  
المائة رجل يعرف بالعباس وادعى مثل هذه الدعوة واتبع نعيقه الاوذلون من سفهاء  
تلك القبائل وغمارهم وزحف الى بادس من أمصارهم ودخلها غنوة ثم قتل لاربعين يوما  
من ظهور دعوته ومضى في الهالكين الاولين وأمثال ذلك كثير والغلط فيه من  
الغفلة عن اعتبار العصية في مثلها وأما ان كان القليبيس فأحرى أن لا يتم له  
أمر وأن يوءبائه وذلك جزاء الظالمين والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق لأرب غيرة  
ولا معبود سواه

### ٧ \* (فصل في ان كل دولة لها حصّة من الممالك والادطان لا تنزله عليها) \*

والسبب في ذلك أن عصابة الدولة وقومها القائمين بها الممهدين لها لا بد من توزيعهم  
حصصا على الممالك والثغور التي تصير اليهم ويستولون عليها لحمايتهم من العدو وامضاء  
أحكام الدولة فيها من جباية وردع وغير ذلك فاذا توزعت العصابات كلهم على الثغور  
والممالك فلا بد من نفاد عددهم وقد بلغت الممالك حينئذ الى حد يكون ثغرا  
للدولة وتحمل لوطنها ونظاما لمركز مملكتها فان تكلفت الدولة بعد ذلك زيادة على  
ما يدها بقي دون حامية وكان موضع الانتهاز القرصة من العدو والمجاور  
ويعود وبال ذلك على الدولة بما يكون فيه من التجاسر وخرق سياج الهيبة  
وما كانت العصابة موفورة ولم تنفذ عددها في توزيع الحصص على الثغور والنواحي  
بقي في الدلة قوة على تناول ما وراء الغاية حتى ينفسح نطاقها الى غايته والعله الطبيعية  
في ذلك هي قوة العصبة من سائر اقوى الطبيعية وكل قوة يصدر عنها  
فعل من الافعال فشأنها ذلك في فعلها والدولة في مركزها أشد عما يكون في الطرف  
والنطاق واذا انتهت الى النطاق الذي هو الغاية عجزت وأقصرت عما وراءه شأن  
الاشعة والانوار اذا انبعثت من المراكز والدوائر المنفسحة على سطح الماء من  
النقر عليه ثم اذا أدركها الهرم والضعف فأنما تأخذ في التناقص من جهة الاطراف  
ولا يزال المركز محفوظا الى أن يتأذن الله بانقراض الامر جملة فينتد يكون انقراض  
المركز واذا غلب على الدولة من مركزها فلا ينفعها بقاء الاطراف والنطاق بل تضمحل  
لوقتها فان المركز كالقلب الذي تنبعث منه الروح فاذا غلب القلب ومالك انهمزم  
جميع الاطراف وانظر هذا في الدولة الفارسية كان مركزها المدائن فلما غلب المسلمون



على المدائن انقرض أمر فارس أجمع ولم يتفع يزجر دما بقي يسده من اطراف ممالكه وبالعكس من ذلك الدولة الرومية بالشام لما كان مركزها القسطنطينية وعلبهم المسلمون بالشام تحيزوا الى مركزهم بالقسطنطينية ولم يضرهم انتزاع الشام من أيديهم فلم يزل ملكهم متصلا بها الى أن تأذن الله بانقراضه وانظر أيضا شان العرب أقول الاسلام لما كانت عصائبهم موفورة كيف غلبوا على ما جاورهم من الشام والعراق ومصر لاسرع وقت ثم تجاوزوا ذلك الى ما وراءه من السند والحبشة وافريقية والمغرب ثم الى الاندلس فلما انقرضوا حصصا على الممالك والتغور ونزلوها حامية ونفذ عددهم في تلك التوزيعات أقصروا عن الفتوحات بعد وانهى أمر الاسلام ولم يتجاوز تلك الحدود ومنها تراجع الدولة حتى تأذن الله بانقراضها وكذا كان حال الدول من بعد ذلك كل دولة على نسبة القائمين بها في القلة والكثرة وعند نقاد عددهم بالتوزيع ينقطع لهم الفتح والاستيلاء سنة الله في خلقه

٨ (فصل في ان عظم الدولة واتساع نطاقها وطول امدها على نسبة القائمين بها في القلة والكثرة)

والسبب في ذلك أن الملك انما يكون بالعصية وأهل العصية هم الخامسة الذين ينزلون بممالك الدولة وأقطارها وينقسمون عليها فكان من الدولة العاتية قبيلها وأهل عصابتها أكثر كانت أقوى وأكثر ممالك وأوطانها وكان ملكها أوسع لذلك واعتبر ذلك بالدولة الاسلامية لما ألف الله كلمة العرب على الاسلام وكان عدد المسلمين في غزوة تبوك آخر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم مائة ألف وعشرة آلاف من مضروحي طعان ما بين فارس وراجل الى من أسلم منهم بعد ذلك الى الوفاة فلما توجهوا للطلب ما في أيدي الامم من الملك لم يكن دونه حتى ولا وزير فاستبجح فارس والروم أهل الدولتين العظيمتين في العالم لعهدهم والترك بالمشرق والافريقية والبربر بالمغرب والقوط بالاندلس وخطوا من الحجاز الى السوس الاقصى ومن اليمن الى الترك بأقصى الشمال واستولوا على الاقاليم السبعة ثم انظر بعد ذلك دولة صنهاجة والموحدين مع العبيديين قبلهم لما كان قبيل كرامة القائمين بدولة العبيديين أكثر من صنهاجة ومن المصامدة كانت دولتهم أعظم فلكوا افريقية والمغرب والشام ومصر والحجاز ثم انظر بعد ذلك دولة زفانة لما كان عددهم أقل من المصامدة قصر ملكهم عن ملك الموحدين لقصور عددهم عن عدد المصامدة منذ أول أمرهم ثم اعتبر بعد ذلك حال الدولتين لهذا العهد زفانة بنى ممرين وبني عبد الواد لما كان عدد بنى ممرين لا أول ملكهم أكثر من بنى عبد الواد كانت دولتهم أقوى منها وأوسع نطاقا وكان لهم عليهم الغلب مرة بعد أخرى \* يقال ان

عدد بنى ممرين لا أول ملكهم كان ثلاثة آلاف وان بنى عبد الواد كانوا ألفا الا أن الدولة بالرقة وكثرة التابع كثرت من أعدادهم وعلى هذه النسبة في أعداد المتغلبين لا أول الملك يكون اتساع الدولة وقوتها وأما طول أمدها أيضا فعلى تلك النسبة لأن عمر الحادث من قوة مزاجه ومزاج الدول انما هو بالعصية فاذا كانت العصية قوية كان المزاج تابع لها وكان أمد العمر طويلا والعصية انما هي بكثرة العدد وفوره كما قلناه والسبب الصحيح في ذلك أن النقص انما يبدو في الدولة من الاطراف فاذا كانت ممالكها كثيرة كانت أطرافها بعيدة عن مركزها وكثيرة وكل نقص يقع فلا بد له من زمن فتكثر أزمان النقص لكثرة الممالك واختصاص كل واحد منها بنقص وزمان فيكون أمدها طويلا وانظر ذلك في دولة العرب الاسلامية كيف كان أمدها أطول الدول لابنو العباس أهل المركز ولا بنو أمية المستبدون بالاندلس ولم ينقص أمر جميعهم الا بعد الاربع مائة من الهجرة ودولة العبيديين كان أمدها قريبا من مائتين وثمانين سنة ودولة صنهاجة دونهم من لدن تقلد معز الدولة أمر افريقية لبلكين بن زيري في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة الى حين استيلاء الموحد بن علي القلعة وبجاية سنة سبع وخمسين وخمسمائة ودولة الموحد بن لهذا العهد تناهز مائتين وسبعين سنة وهم كذا نسب الدول في أعمارها على نسبة القائمين بها سنة الله التي قد خلت في عبادته

٩ (فصل في ان الاوطان الكثيرة القبائل والعصائب قران تحكم فيها دولة)

والسبب في ذلك اختلاف الآراء والاهواء وان وراء كل رأي منها وهوى عصية تمنع دونها فيكثر الالتقاض على الدولة والخروج عليها في كل وقت وان كانت ذات عصية لأن كل عصية ممن تحت يدها تظن في نفسها منعة وقوة وانظر ما وقع من ذلك بافريقية والمغرب منذ أول الاسلام ولهذا العهد فأن ساكن هذه الاوطان من البربر أهل قبائل وعصبيات فلم يغن فيهم الغلب الا أول الذي كان لابن ابي سرح عليهم وعلى الافريقية شيئا وعادوا بعد ذلك الثورة والردة مرة بعد أخرى وعظم الاثنان من المسلمين فيهم ولما استقر الدين عندهم عادوا الى الثورة والخروج والاختداب من الخوارج مرات عديدة قال ابن أبي زيد ارتدت البرابرة بالمغرب اثنتي عشرة مرة ولم تستقر كلمة الاسلام فيهم الا لعهد ولاية موسى بن نصير فابعدوه وهذا معنى ما ينقل عن عمران افريقية مفارقة لقلوب أهلها إشارة الى ما فيها من كثرة العصائب والقبائل الحاملة لهم على عدم الاذعان والانقياد ولم يكن العراق لذلك العهد بتلك الصفة ولا الشام انما كانت حامية من فارس والروم والكافة دهما أهل مدن وأمصار



فما غلبهم المسلمون على الامر وانتزعوه من أيديهم لم يبق فيها ممانع ولا مشاق والبربر  
قبائلهم بالمغرب أكثر من أن تحصى وكاهم بادية وأهل عصاب وعشائر وكلها هلك  
قبيلة عادت الأخرى مكانها وإلى دينها من الخلاف والرمة فطال أمر العرب في تهديد  
الدولة بوطون أفر يقية والمغرب وكذلك كان الأمر بالشام لعهد بني إسرائيل كان  
فيه من قبائل فلسطين كنعان وبني عيصو وبني مدين وبني لوط والروم ويونان  
والعمالقة واكر بكش والنبط من جانب الجزيرة والموصل ما لا يحصى كثرة وتنوعا  
في العصبية فصعب على بني إسرائيل تهديد دولتهم ورسوخ أمرهم واضطرب عليهم  
الملك مرة بعد أخرى وسرى ذلك الخلاف إليهم فاختلفوا على سلطانهم وخرجوا عليه  
ولم يكن لهم ملك موطن سائر أيامهم إلى أن غلبهم الفرس ثم يونان ثم الروم آخر أمرهم  
عند الجلاء والله غالب على أمره وبعبكس هذا أيضا الاوطان الخالية من العصبية  
يسهل تهديد الدولة فيها ويكون سلطانها رازعا لقلعة الهرج والانتقاض ولا يحتاج  
لدولة فيها إلى كثير من العصبية كما هو الشأن في مصر والشام لهذا العهد أذهى خلوه  
من القبائل والعصبية كأن لم يكن الشام معدن لهم كقلنساه فلك مصر في غاية الدعة  
والرسوخ لقلعة الخوارج وأهل العصاب انما هو سلطان ورعية ودولتها قائمة بملوك  
الترك وعصائهم يغلبون على الامر واحدا بعد واحد ويتقل الامر فيهم من منبت  
إلى منبت والخلافة مسماة للعباسي من أعقاب الخلفاء يبعداد وكذا شأن الاندلس  
لهذا العهد فان عصبية ابن الأحمر سلطانهم تكن لا قول دولتهم بقوية ولا كانت كرات  
انما يكون أهل بيت من بيوت العرب أهل الدولة الاموية بقوا من ذلك القلة وذلك أن  
أهل الاندلس لما انقرضت الدولة العربية منه وملكهم البربر من لمتونة والموحدين  
سماؤا ملكتهم وثقلت وطأتهم عليهم فأشربت القلوب بغضاهم وأمكن الموحدون  
والسادة في آخر الدولة كثيرا من الحصون للطاغية في سبيل الاستظهار به على شأنهم  
من تملك الحضرة مرا كس فاجتمع من كان بقي بها من أهل العصبية القديمة معادن من  
بيوت العرب تجافي بهم المنبت عن الحضرة والامصار بعض الشيء ورسوخا في العصبية  
مثل ابن هود وابن الأحمر وابن مردئش وأمثالهم فقام ابن هود بالامر ودعا بدعوة  
الخلافة العباسية بالمشرق وحل الناس على الخروج على الموحدين فنبذوا إليهم  
العهد وأخرجوهم واستقل ابن هود بالامر بالاندلس ثم سما ابن الأحمر وخالف  
ابن هود في دعوته فدعا هؤلاء لابن أبي حفص صاحب أفر يقية من الموحدين وقام  
بالامر وتناوله بعصابه قليلة من قرابته كانوا يسمون الرؤساء ولم يحجج لا أكثر منهم لقلعة  
العصاب بالاندلس وأنها سلطان ورعية ثم استظهر بعد ذلك على الطاغية بمن يحجز

اليه البحر من أعياص زنانية قصار واعمه عصبية على المتاغرة والرباط ثم سما صاحب  
المغرب من ملوك زنانية أمل في الاستيلاء على الاندلس فصاروا وائل الا عياص عصابة  
ابن الأحمر على الامتناع منه إلى أن تأمل أمره ورسوخ وألفته النفوس وعجز الناس  
عن مطالبته وورثه أعقاب له هذا العهد فلا تظن أنه بغير عصابة فليس كذلك وقد كان  
مبدؤه بعصابه الا أنها قليلة وعلى قدر الحاجة فان قطر الاندلس لقلعة العصاب  
والقبائل فيه يغني عن كثرة العصبية في التغلب عليهم والله غني عن العالمين

### ١٠ فصل في ان من طبيعة الملك الانفراد بالمجد

وذلك أن الملك كما قد مناه انما هو بالعصبية والعصبية متألفة من عصابات كثيرة تكون  
واحدة منها أقوى من الأخرى كلها فتغلبها وتستولي عليها حتى تصيرها جميعا في ضمنها  
وبذلك يكون الاجتماع والغلب على الناس والدول وسرته أن العصبية العامة للقبيل  
هي مثل المزاج للمتكون والمزاج انما يكون عن العناصر وقد تبين في موضعه  
ان العناصر اذا اجتمعت متكافئة فلا يقع منها مزاج أصلا بل لا بد أن تكون واحدة  
منها هي الغالبة على الكل حتى تجمعها وتولفها وتصيرها عصبية واحدة شاملة لجميع  
العصاب وهي موجودة في ضمنها وتلك العصبية الكبرى انما تكون اقوم أهل بيت  
ورياسة فيهم ولا بد أن يكون واحد منهم رئيسا لهم غالب عليهم فيعين رئيسا للعصبيات  
كلها لغلب منبته لجمعها واذا تبين له ذلك من الطبيعة الحيوانية خلق الكبر والافتة  
فبأنف حينئذ من المساهمة والمشاركة في استبائهم والتحكم فيهم ويحجب خلق  
التأله الذي في طباع البشر مع ما تقتضيه السياسة من انفراد الحاكم لفساد الكل  
باختلاف الحكام لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فتجدع حينئذ أنوف العصبية  
ويقلج شكائهم عن أن يسموا إلى مشاركتهم في التحكم وتقرع عصبيتهم عن ذلك  
ويقرده ما استطاع حتى لا يترك لاحد منهم في الامر لاناقة ولا جلا فينفرد بذلك المجد  
بكلية ويدفعهم عن مساهمته وقد تبين ذلك للأول من ملوك الدولة وقد لا يتم الا الثاني  
والثالث على قدر ممانعة العصبية وقوتها الا أنه أمر لا بد منه في الدول سنة الله  
التي قد دخلت في عبادته والله تعالى أعلم

### ١١ فصل في ان من طبيعة الملك الترف

وذلك أن الأمة اذا تغلبت وملك ما بأيدي أهل الملك قبلها كثير ياشها ونعمتها  
فتكثر عواندهم ويتجاوزون ضرورات العيش وخشوتهم إلى نوافله ورقته وزينتته  
ويذهبون إلى اتباع من قبلهم في عواندهم وأحوالهم وتصير تلك النوافل عواند



ضرورية في تحصيلها وينزعون مع ذلك الى رقة الاحوال في المطاعم والملابس والفرش  
والآنية ويتفخرون في ذلك ويفخرون فيه غيرهم من الامم في كل الطب ولبس  
الانيق وركوب القاره وينبغي خلفهم في ذلك سلفهم الى آخر الدولة وعلى قدر ملكهم  
يكون حظهم من ذلك وترفعهم فيه الى أن يبلغوا من ذلك الغاية التي للدولة أن تبلغها  
بحسب قوتها وعوائدها من قبلها سنة الله في خلقه والله تعالى أعلم

### ١٢ فصل في ان من طبيعة الملك الدرعة والسلطان

وذلك أن الآفة لا يحصل لها الملك الا بالمطالبة والمطالبة غايتهما الغلب والملك واذا  
حصلت الغاية انقضى السعي اليها (قال الشاعر)

عجبت لسعي الدهري بيني وبينها \* فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر  
فاذا حصل الملك أقصر واعن المتاعب التي كانوا يتكلفونها في طلبه وآثروا الراحة  
والسكون والدعة ورجعوا الى تحصيل ثمرات الملك من المباني والمساكن والملابس  
فيبنون القصور ويجرون المياه ويغرسون الرياض ويستمتعون بأحوال الدنيا ويؤثرون  
الراحة على المتاعب ويتأنقون في أحوال الملابس والمطاعم والآنية والفرش  
ما استطاعوا ويألفون ذلك ويورثونه من بعدهم من أجيالهم ولا يزال ذلك يتزايد فيهم  
الى أن يتأذن الله بأمر وهو خير الحاكمين والله تعالى أعلم

### ١٣ فصل في انه اذا استحكمت طبيعة الملك من الافراد بالمجرد حصول الترف

والدرعة اقبلت الدولة على الهرم

وبيانه من وجوه \* الاول أنها تقتضي الافراد بالمجرد كما قلناه ومهما كان المجد  
مستركا بين العصابة وكان سعيهم له واحدا كانت همهم في التغلب على الغير والذب  
عن الحوزة اسوة في طموحها وقوة شكائهم وحرصهم الى العز جميع وهم يستطيون  
الموت في بناء مجدهم ويؤثرون الهلكة على فسادهم واذا انقرد الواحد منهم بالمجد قرع  
عصيتهم وكبح من أعتهم واستأثروا بالاموال دونهم فمكاسلوا عن الغزو وقيل ربحهم  
ورغوا المذلة والاستعباد ثم ربي الجيل الثاني منهم على ذلك يحسبون ما ينالهم من  
العطاء أجرا من السلطان لهم على الحماية والمعونة لا يجري في عقولهم سواء وقيل  
أن يستأجروا أحد نفسه على الموت فيصير ذلك وهنا في الدولة وخضد من الشوكة وتقبل  
به على مناحي الضعف والهرم لفساد العصبية بذهاب البأس من أهلها \* الوجه  
الثاني أن طبيعة الملك تقتضي الترف كما قدمناه فتكثر عوائدهم وتزيد نفقاتهم على  
اعطياتهم ولا يني دخلهم بخرجهم فالفقير منهم يهلك والترف يستغرق عطاءه بترقه ثم

يزداد ذلك في أجيالهم المتأخرة الى أن يقصر العطاء كله عن الترف وعوائده وتسمهم  
الحاجة وتطالبهم ملوكهم بحصر نفقاتهم في الغزو والحروب فلا يجردون وليجة عنها  
فيوقعون بهم العقوبات ويتزعون ما في أيدي الكثير منهم يستأثرون به عليهم  
أو يؤثرون به أبناءهم وصنائع دولتهم فيضعفونهم لذلك عن إقامة أحوالهم ويضعف  
صاحب الدولة بضعفهم وأيضا اذا كثرت الترف في الدولة وصار عطاؤهم مقتصر على  
حاجاتهم ونفقاتهم احتاج صاحب الدولة الذي هو السلطان الى الزيادة في اعطياتهم  
حتى يستدخلهم وينزع عنهم الجباية مقدارها معلوم ولا تزيد ولا تنقص وان زادت بما  
يستحدث من المكوس فيصير مقدارها بعد الزيادة محدودا فاذا وزعت الجباية على  
الاعطيات وقد حدثت فيها الزيادة لكل واحد بما حدث من ترفهم وكثرة نفقاتهم  
نقص عدد الحامية حيثما كان قبل زيادة الاعطيات ثم يعظم الترف وتكثر  
مقادير الاعطيات لذلك فينقص عدد الحامية وثالثا ورا بعا الى أن يعود العسكر الى  
أقل الاعداد فتضعف الحماية لذلك وتسقط قوة الدولة ويتجاسر عليها من يجاورها  
من الدول أو من هو تحت يديها من القبائل والعصائب ويأذن الله فيها بالفناء الذي  
كتبه على خليفته وأيضا فالترف مفسد للخلق بما يحصل في النفس من ألوان الشر  
والفسفة وعوائدها كما يأتي في فصل الحضارة فتذهب منهم خلال الخير التي كانت  
علامة على الملك ودليلا عليه ويتصفون بما يناقضها من خلال الشر فيكون علامة  
على الادبار والانقراض بما جعل الله من ذلك في خليفته وتأخذ الدولة مبادئ العطب  
وتتضعع أحوالها وتزل بها أمراض من منة من الهرم الى أن يقضى عليها \*  
الوجه الثالث أن طبيعة الملك تقتضي الدعة كما ذكرناه واذا اتخذوا الدعة والراحة  
مألفا وخلقاصا رلهم ذلك طبيعة وجبله شأن العوائد كلها وابلها فاقربى أجيالهم  
الحادثة في غضارة العيش ومهاد الترف والدعة وينقلب خلق التوحش وينسون  
عوائد البداوة التي كان بهم الملك من شدة البأس وتعود الاقتراس وركوب البيداء  
وهداية القفر فلا يفرق بينهم وبين السوق من الحضرة الا في الثقافة والشارة فتضعف  
حمايتهم ويذهب بأسهم وتخذشوكهم ويعودون الى ذلك على الدولة بما تلبس به من  
ثياب الهرم ثم لا يزالون يتلقون بعوائد الترف والحضارة والسكون والدعة ورقة  
الحاشية في جميع أحوالهم وينغمسون فيها وهم في ذلك يبعدون عن البداوة والخشونة  
وينسجون عنها شيئا فشيئا وينسون خلق البسالة التي كانت بها الحماية والمدافعة حتى  
يعودوا على الاعلى حامية أخرى ان كانت لهم واعتبر ذلك في الدول التي أخبارها  
في الصحف لديك تجد ما قلته لك من ذلك صحيحا من غيرية وربما يحدث في الدولة اذا



طرقها هذا الهرم بالترف والراحة أن يتخير صاحب الدولة أنصارا وشيعة من غير جلدتهم ممن تعودوا الخشونة فيتخذهم جندا يكون أصبر على الحرب وأقدر على معاناة الشدائد من الجوع والشظف ويكون ذلك دواء للدولة من الهرم الذي عساه أن يطرقها حتى يأذن الله فيها بأمره وهذا كما وقع في دولة الترك بالمشرق فإن غالب جندها الموالى من الترك فتخير ملوكهم من أولئك المماليك المجلوبين اليهم فرسانا وجندا فيكونون أجرأ على الحرب وأصبر على الشظف من أبناء المماليك الذين كانوا قبلهم وربوا في ماء النعيم والسلطان وظله وكذلك في دولة الموحدين بافر بقيقة فإن صاحبها كثيرا ما يتخذ أجناده من زناته والعرب ويستكثر منهم ويترك أهل الدولة المتعودين للترف فتستجد الدولة بذلك عمرا آخر سالما من الهرم والله وارث الارض ومن عليها

#### ١٤ فصل في ان الدولة اما اعمار طبيعية كالاشخاص

اعلم أن العمر الطبيعي للأشخاص على ما زعم الأطباء والمنجمون مائة وعشرون سنة وهي سنو القمر الكبرى عند المنجمين ويختلف العمر في كل جيل بحسب القرانات فيزيد عن هذا وينقص منه فتكون أعمار بعض أهل القرانات مائة تامة وبعضهم خمسين أو ثمانين أو سبعين على ما تقتضيه أدلة القرانات عند الناظرين فيها وأعمار هذه الملة ما بين الستين إلى السبعين كما في الحديث ولا يزيد على العمر الطبيعي الذي هو مائة وعشرون إلا في الصور النادرة وعلى الأوضاع الغريبة من الفلك كما وقع في شأن نوح عليه السلام وقليل من قوم عاد وثمود وأعمار الدول أيضا وإن كانت تختلف بحسب القرانات إلا أن الدولة في الغالب لا تعدو أعمار ثلاثة أجيال والجيل هو عمر شخص واحد من العمر الوسط فيكون أربعين الذي هو انتهاء النشوء والنشوء إلى غايته قال تعالى حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة ولهذا قلنا إن عمر الشخص الواحد هو عمر الجيل ويؤيده ما ذكرناه في حكمة الله الذي وقع في بني إسرائيل وأن المقصود بالاربعين فيه قضاء الجيل الأحياء ونشأة جيل آخر ليعهدوا الذل ولا عرفوه فدل على اعتبار الاربعين في عمر الجيل الذي هو عمر الشخص الواحد وإنما قلنا إن عمر الدولة لا يعدو في الغالب ثلاثة أجيال لأن الجيل الأول لم ير الواعلي خلق البداوة وخشونتها وتوحشها من شظف العيش والبسالة والاقتراس والاشتغال في المجد فلا تزال بذلك سورة العصبية محفوظة فيهم فحدهم مرهف وجانبهم مرهوب والناس لهم مغلوبون والجيل الثاني تحول حالهم بالملك والترف من البداوة إلى الحضارة ومن

الشظف إلى الترف والخصب ومن الاشتغال في المجد إلى انفراد الواحد به وكل الباقي عن السعي فيه ومن عز الاستطالة إلى ذل الاستكانة فتسكن سورة العصبية بعض الشيء وتؤنس منهم المهانة والخضوع ويبقى لهم الكثير من ذلك بما أدركوا الجيل الأول وباشروا أحوالهم وشاهدوا من اعتزازهم وسعيهم إلى المجد ومراهم في المدافعة والحماية فلا يسعهم ترك ذلك بالكلية وإن ذهب منه ما ذهب ويكونون على رجاء من مراجعة الأحوال التي كانت للجيل الأول أو على ظن من وجودها فيهم وأما الجيل الثالث فينسبون عهد البداوة والخشونة كأن لم تكن ويفقدون حلاوة العز والعصبية بما هم فيه من ملذات القهر ويبلغ فيهم الترف غاية بما تنكود من النعيم وغضارة العيش فيصرون عيال على الدولة ومن جملة النساء والولدان المحتاجين للمدافعة عنهم وتسقط العصبية بالجملة وينسون الحماية والمدافعة والمطالبة ويلبسون على الناس في الشارة والزى وركوب الخيل وحسن الثقافة يموهون بها وهم في الأكثر أجن من النسوان على ظهورها فإذا جاء المطالب لهم لم يقاوموا ومدافعتهم فيحتاج صاحب الدولة حينئذ إلى الاستظهار بسواهم من أهل النجدة ويستكثر بالموالى ويصطنع من يغني عن الدولة بعض الغناء حتى يتأذن الله بانقراضها فتذهب الدولة بما حلت فهذه كما تراها ثلاثة أجيال فيها يكون هرم الدولة وتخلقها ولهذا كان انقراض الحسب في الجيل الرابع كما مر في أن المجد والحسب انما هو في أربعة آباء وقد أتينا لقيه ببرهان طبيعي كاف ظاهر مبني على ما مهدنا قبل من المقدمات فتأمل هل قل تعدد وجه الحق أن كنت من أهل الانصاف وهذه الأجيال الثلاثة عمرها مائة وعشرون سنة على ما مر ولا تعدد الدول في الغالب هذا العمر بتقريب قبله أو بعده إلا أن عرض لها عارض آخر من فقدان المطالب فيكون الهرم حاصلا مستوليا والمطالب لم يحضرها ولو قد جاء الطالب لما وجد مدافعا فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فهذا العمر للدولة بمثابة عمر الشخص من التزايد إلى سن الوقوف ثم إلى سن الرجوع ولهذا يجري على السنة الناس في المشهور أن عمر الدولة مائة سنة وهذا معناه فاعتبره واتخذ منه قانونا يصح لك عدد الآباء في عمود النسب الذي تريده من قبل معرفة السنين الماضية إذا كنت قد استربت في عددهم وكانت السنين الماضية منذ أولهم محصلة لديك فعند كل مائة من السنين ثلاثة من الآباء فإن نفدت على هذا القياس مع نفود عددهم فهو صحيح وإن نقصت عنه بجيل فقد غلط عددهم بزيادة واحدة في عمود النسب وإن زادت عنه فقد سقط واحد وكذلك تأخذ عدد السنين من عددهم إذا كان محصلا لديك فتأمل تجده في الغالب صحيحا



والله يقدر الليل والنهار

## ١٥ (فصل في انتقال الدولة من البدو إلى الحضارة)

اعلم أن هذه الاطوار طبيعية للدول فإن الغلب الذي يكون به الملك انما هو بالعصية وبما يتبعها من شدة البأس وتعود الاقتراس ولا يكون ذلك غالبا الامع البدو فطور الدولة من أولها بدو ثم اذا حصل الملك تبعه الرفه واتساع الاحوال والحضارة انما هي تفنن في الترف واحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش والابنية وسائر عوائد المنزل وأحواله فلكل واحد منها صنائع في استجدائه والتأنق فيه تختص به ويتلو بعضها بعضها وتتكرر باختلاف ما تنزع اليه النفوس من الشهوات والملاذ والتنعيم بأحوال الترف وما تملكون به من العوائد فصار طور الحضارة في الملك يتبع طور البدو ضرورة لضرورة تبعية الرفه للملك وأهل الدول أبدا يقلدون في طور الحضارة وأحوالها للدولة السابقة قبلهم فأحوالهم يشاهدون ومنهم في الغالب يأخذون ومثل هذا وقع للعرب لما كان الفتح وملكوا فارس والروم واستخدموا بناتهم وأبناءهم ولم يكونوا ذلك العهد في شيء من الحضارة فقد حكى أنه قدم لهم المرقق فكانوا يحسبونه رقا عاو عثروا على الكافور في خزان كسرى فاستعملوه في عجينهم ملحا وأمثال ذلك فلما استعبدوا أهل الدول قبلهم واستعملوهم في مهنتهم وحاجات منازلهم واختاروا منهم المهرة في أمثال ذلك والقومة عليه أفادوهم علاج ذلك والقيام على عمله والتفنن فيه مع ما حصل لهم من اتساع العيش والتفنن في أحواله فبلغوا الغاية في ذلك وتطوروا بطور الحضارة والترف في الاحوال واستجداد المطاعم والمشارب والملابس والمباني والاسلحة والفرش والابنية وسائر الماعون والخرنثي وكذلك أحوالهم في أيام المباهاة والولائم وليا إلى الاعراس فانوا من ذلك وراء الغاية وانظر ما نقله المسعودي والطبري وغيرهم ما في اعراس المأمون بيوران بنت الحسن بن سهل وما بذل أبوها لحاشية المأمون حين وافاه في خطبتها إلى داره بفهم الصلح وركب اليها في السفين وما أنفق في أملاكها وما تحملها المأمون وأنفق في عرسها اتفق من ذلك على العجب فنه أن الحسن بن سهل نثر يوم الاملاك في الصنيع الذي حضره حاشية المأمون فنثر على الطبقة الاولى منهم بنادق المسك ملثونة على الرقاق بالضياع والعقار مسوغة لمن حصلت في يده يقع لكل واحد منهم ما أراه اليه الاتفاق واليخت وفرق على الطبقة الثانية بدر الدين في كل بدرة عشرة آلاف وفرق على الطبقة الثالثة بدر الدراهم

كذلك

كذلك بعد أن أنفق في مقامة المأمون بداره أضعاف ذلك ومنه أن المأمون أعطاها في مهرها ليلة زفافها ألف حصاة من الباقوت وأوقد شموع العنبر في كل واحدة مائة من وهو رطل وثلثان وبسط لها فرشاً كان الحصر منهن منسوجا بالذهب مكللا بالدر والياقوت وقال المأمون حين رآه قاتل الله أبانواس ككأنه أبصر هذا حيث يقول في عفة الخمر

كأن صغرى وكبرى من فواقعها \* حسباء در على أرض من الذهب

وأعد بدار الطبخ من الحطب ليلة الوليمة نقل مائة وأربعين بغلام مدة عام كامل ثلاث مرات في كل يوم وفي الحطب لليلتين وأوقدوا الجربديصبون عليه الزيت وأرسل إلى النواتية باحضار السفن لاجازة الخواص من الناس بدجلة من بغداد إلى قصور الملك بمدينة المأمون لحضور الوليمة فكانت الحراقات المعدة لذلك ثلاثين ألفاً أجازوا الناس فيها آخريات نهارهم وكثير من هذا وأمثاله وكذلك عرس المأمون بن ذي النون بطليطلة نقله ابن بسام في كتاب الذخيرة وابن حبان بعد أن كانوا كلهم في الطور الاول من البدو عاجزين عن ذلك بجله لفقدان أسبابه والقائمين على صنائعه في غضاضتهم وسداجتهم يذكر أن الحجاج أولم في اختتان بعض ولده فاستحضر بعض الدهاقين يسأله عن ولاتم الفرس وقال أخبرني بأعظم صنيع شهدته فقال له نعم أيها الأمير شهدت بعض مراربه كسرى وقد صنع لاهل فارس صنيعاً أحضر فيه صحاف الذهب على أخونة الفضة أربعاً على كل واحد وتحمله أربع وصائق ويجلس عليه أربعة من الناس فاذا طعموا اتبعوا أربعتهم المائدة بصحافها ووصائفها فقال الحجاج يا غلام انحر الخبز وأطعم الناس وعلم أنه لا يستقل بهذه الأبهة وكذلك كان \* ومن هذا الباب أعطية بني أمية وجوائزهم فانما كان أكثرها الابل أخذوا بذهب العرب وبدوهم ثم كانت الجوائز في دولة بني العباس والعبيدين من بعدهم ما علمت من أجمال المال وتخوت الثياب واعداد الخيل وما كبرها وهكذا كان شأن كامة مع الاغلبة بافريقية وكذا في طنج بمصر وشان لموتة مع ملوك الطوائف بالاندلس والموحدين كذلك شأن زنانة مع الموحدين وهلم جرا تنتقل الحضارة من الدول السالفة إلى الدول الخالفة فانقلت حضارة الفرس للعرب بنى أمية وبني العباس وانتقلت حضارة بني أمية بالاندلس إلى ملوك المغرب من الموحدين وزنانة لهذا العهد وانتقلت حضارة بني العباس إلى الديلم ثم إلى الترك ثم إلى السلجوقية ثم إلى الترك المماليك بمصر والتربالعراقيين وعلى قدر عظم الدولة يكون شأنها في الحضارة اذا مور الحضارة من توابع الترف والترف من توابع الثروة والنعمة والثروة والنعمة

قوله وثلثان الذي في كتب اللغة ان المتر رطل وقيل رطلان ولم يوجد في النسخة التونسية

الثلثان اهـ

الحراقات بالفتح جمع حراقه سفيينة فيها امرأى نار برى بها العدو واها مختار



من توابع الملك ومقدار ما يستولى عليه أهل الدولة فعلى نسبة الملك يكون ذلك كله فاعبره وتفهمه وتأمله تجده صحيحا في العمران والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

### ١٦ (فصل في ان الترف يزيد الدولة في اولها ساقية الى قوتها)

والسبب في ذلك ان القبيل اذا حصل لهم الملك والترف كثر النسل والولد والعمومية فكثرت العصابة واستكثروا ايضا من الموالى والصنائع وريت اجدالهم في جود ذلك النعيم والرفعة فازدادوا بهم عددا الى عددهم وقوة الى قوتهم بسبب كثرة العصابات حينئذ بكثرة العدد فاذهب الجمل الاول والثاني واخذت الدولة في الهرم لم تستقل اولئك الصنائع والموالى بأنفسهم في تأسيس الدولة وتجهيد ملكها لانهم ليس لهم من الامر شيء انما كانوا اعبالا على أهلها ومعونة لها فاذا ذهب الاصل لم يستقل الفرع بالرسوخ فيذهب ويتلاشى ولا تبقى الدولة على حالها من القوة واعتبر هذا بما وقع في الدولة العربية في الاسلام كان عدد العرب كما قلناه لعهد النبوة والخلافة مائة وخمسين ألفا وما يقاربهم من مضر وقحطان وما بلغ الترف مبالغته في الدولة وتوفر قوتهم بتوفر النعمة واستكثرت الخلفاء من الموالى والصنائع بلغ ذلك العدد الى اضعافه يقال ان المعتصم نازل عمورية لما افتتحها في تسعمائة ألف ولا يعد مثل هذا العدد ان يكون صحيحا اذا اعتبرت حاميته في الثغور الدانية والقاصية شرقا وغربا الى الجند الحاملين سرير الملك والموالى والمصطنعين وقال المسعودي احصى بنو العباس بن عبد المطلب خاصة ايام المأمون للاتفاق عليهم فكانوا ثلاثين ألفا بين ذكران واناث فانظر مبالغ هذا العدد لاقل من مائتي سنة واعلم ان سببه الرفعة والنعيم الذي حصل للدولة وربى فيه اجدالهم والاف عدد العرب لاقل الفتح لم يبلغ هذا ولا قريه امنه والله الخلاق العليم

### ١٧ (فصل في اطوار الدولة واختلاف احوالها خلقا لها باختلاف الاطوار)

(اعلم) ان الدولة تتقل في اطوار مختلفة وحالات متجددة ويكتسب القائمون بها في كل طور خلقا من احوال ذلك الطور لا يكون مثله في الطور الاخر لان الخلق تابع بالطبع لمزاج الحال الذي هو فيه وحالات الدولة واطوارها لا تعد وفي الغالب خمسة اطوار الطور الاول طور انظر بالبغية وغلب المدافع والممانع والاستيلاء على الملك وانتزاعه من أيدي الدولة السالفة قبلها فيكون صاحب الدولة في هذا الطور اسوة بقومه في اكتساب المجد وجباية المال والمدافعة عن الحوزة والحياة لا يتفردونهم

بشي لان ذلك هو مقتضى العصية التي وقع بها القلب وهي لم تزل بعد بجبالها الطور الثاني طور الاستبداد على قومه والانفراد دونهم بالملك وكبحهم عن التطاول للمساهمة والمشاركة ويكون صاحب الدولة في هذا الطور معنيا باصطناع الرجال واتخاذ الموالى والصنائع والاستكثار من ذلك ليدع أنوف أهل عصيته وعشيرته المقاسمين له في نسبة الضاربين في الملك بمثل سهمه فهو يدافعهم عن الامر ويصدتهم عن موارده ويرددهم على أعقابهم أن يخلصوا اليه حتى يتر الامر في نصابه ويفرد أهل بيته بما ينبغي من مجده فيعاني من مدافعهم ومغالبتهم مثل ما عاناه الاولون في طلب الامر أو أشد لان الاولين دافعوا لاجانب فكان ظهرا زهمهم على مدافعهم أهل العصية بأجمعهم وهذا يدفع الاقارب لا يظاهاهم على مدافعهم الا الاقل من الابعاد فيركب صعبا من الامر الطور الثالث طور الفراغ والدعة لتحصيل ثمرات الملك مما تنزع طباع البشر اليه من تحصيل المال وتخليد الآثار وبعد الصيد فيستفرغ وسعه في الجباية وضبط الدخل والخرج واحصاء النفقات والقصد فيها وتشديد المباني الحافلة والمصانع العظيمة والامصار المتسعة والهيكل المرتفعة واجازة الوفود من أشرف الامم ووجوه القبائل وبث المعروف في أهله هذا مع التوسعة على صنائعه وحاشيته في احوالهم بالمال والجاه واعتراض جنوده وادراؤهم وانصافهم في أعطياتهم لكل هلال حتى يظهر أثر ذلك عليهم في ملابسهم وشكيتهم وشاراتهم يوم الزينة فيباهي بهم الدول المسالمة ويرهب الدول المحاربة وهذا الطور آخر اطوار الاستبداد من أصحاب الدولة لانهم في هذه الاطوار كلها مستقلون بأرائهم بانون لعزهم موضحون الطرق لمن بعدهم الطور الرابع طور القنوع والمسالمية ويكون صاحب الدولة في هذا قانعا بما جرى أولوه سلما لا يتظاره من الملوك واقتله مقلدا للماضين من ساقه فيتبع آثارهم حذو النعل بالنعل ويقتفي طرقهم بأحسن مناهج الاقتداء ويرى أن في الخروج عن تقليدهم فساد أمره وأنهم أبصر بما بنوا من مجده الطور الخامس طور الاسراف والتبذير ويكون صاحب الدولة في هذا الطور متلفا لما جع أولوه في سبيل الشهوات والملاذ والكرم على بطائنه وفي مجالسه واصطناع أخذان السوء وخضراء الدمن وتقليدهم عظيمات الامور التي لا يستقلون بحملها ولا يعرفون ما بانون ويذرون منها مستفدين الكبار الاولياء من قومه وصنائع سلفه حتى يضطغنوا عليه ويتخذوا عن نصرته مضعا من جنده بما اتفق من أعطياتهم في شهواته ووجب عنهم وجه مباشرته وتفقدته فيكون محجرا بالما كان سلفه يؤسسون وهذا لما كانوا يبنون وفي هذا الطور تحصل في الدولة طبيعة الهرم ويستولى عليها المرض المزمن



الذي لا تكاد تخلص منه ولا يكون لها معبر الى أن تنقرض كما نبينه في الاحوال التي  
نسردها والله خير الوارثين

### ١٨ (فصل في ان آثار الدولة كلها على نسبة قوتها في اصلها)

والسبب في ذلك أن الآثار انما تحدث عن القوة التي بها كانت آقلا وعلى قدرها  
يكون الاثر في ذلك مباني الدولة وهما كلها العظيمة فانما تكون على نسبة قوة الدولة  
في أصلها لانها لا تتم الا بكثرة الفعل واجتماع الأيدي على العمل والتعاون فيه فاذا  
كانت الدولة عظيمة فسيحة الجوانب كثيرة الممالك والرياحا كان الفعل كثيرين جدا  
وحشروا من آفاق الدولة وأقطارها فتم العمل على أعظم هياكله الأثرى الى مصانع  
قوم عاد وثور وما قصه القرآن عنهم ما وانظر بالمشاهدة ايوان كسرى وما اقتدر  
فيه الفرس حتى انه عزم الرشيد على هدمه وتخريبه فتم كعادته وشرع فيه ثم أدركه  
الجزوقصة استشارته ليحيى بن خالد في شأنه معروفة فانظر كيف تقتدر دولة على بناء  
لا تستطيع أخرى على هدمه مع بون ما بين الهدم والبناء في السهولة تعرف من ذلك  
بون ما بين الدولتين وانظر الى بلاط الوليد بدمشق وجامع بني أمية بقرطبة والقنطرة  
التي على واديها وكذلك بناء اخنايا لجلب الماء الى قرطاجنة في القناة الرابكة  
عليها وآثار شرشال بالمغرب والاهرام بمصر وكثير من هذه الآثار الماثلة للعيان  
تعلم منه اختلاف الدول في القوة والضعف واعلم أن تلك الافعال للاقدمين انما كانت  
بالهندام واجتماع الفعل وكثرة الأيدي عليها فبذلك شيدت تلك الهياكل والمصانع  
ولا توههم ماتوهمه العامة ان ذلك لعظم أجسام الاقدمين عن أجسامنا في أطرافها  
وأقطارها فليس بين البشر في ذلك كبير بون كما تجد بين الهياكل والآثار ولقد ولع  
القصاص بذلك وتغالوا فيه وسطروا عن عاد وثور والعمالقة في ذلك أخبارا عريقة  
في الكذب من أغرب ما يحكون عن عوج بن عناق رجل من العمالقة الذين قاتلهم  
بنو اسرائيل في الشام زعموا أنه كان لطوله يتناول السمك من البحر ويشويه الى  
الشمس ويزيدون الى جهلهم بأحوال البشر الجهل بأحوال الكواكب لما اعتقدوا  
أن للشمس حرارة وأنها شديدة فيما قرب منها ولا يعلمون أن الحر هو الضوء وأن الضوء  
فيما قرب من الارض أكثر لانعكاس الاشعة من سطح الارض بمقابله الاضواء  
فتضعف الحرارة هنا لاجل ذلك واذا تجاوزت مطارج الاشعة المنعكسة فلا حر  
هناك بل يكون فيه البرد حيث مجاري السحاب وان الشمس في نفسها لا حارة ولا باردة  
وانما هو جسم بسيط مضيء لا مزاج له وكذلك عوج بن عناق هو فيما ذكره من  
العمالقة أو من الكنعانيين الذين كانوا قريسة بني اسرائيل عند فتحهم الشام

قوله ابن عناق  
الذي في القاموس  
في باب الجيم عوج  
ابن عوج بالواو  
والشهور على  
ألسنة الناس عنق  
بالواو

وطوال بني اسرائيل وجسمانهم لذلك العهد قريسة من هياكلنا يشهد لذلك أبواب  
بيت المقدس فانها وان خربت وجددت لم تزل المحافظة على اشكالها ومقادير أبوابها  
وكيف يكون التفاوت بين عوج وبين أهل عصره بهذا المقدار وانما شار غلطهم في  
هذا أنهم استعظموا آثار الامم ولم يفهموا حال الدول في الاجتماع والتعاون وما يحصل  
بذلك وبالهندام من الآثار العظيمة فصرفوه الى قوة الاجسام وشدتها بعظم هياكلها  
وليس الامر كذلك وقد زعم المسعودي ونقله عن الفلاسفة من عمالامستدله  
الا التحكم وهو أن الطبيعة التي هي جبلت للاجسام لما برأ الله الخلق كانت في تمام  
الكرة ونهاية القوة والكمال وكانت الاعمار أطول والاجسام أقوى لكمال تلك  
الطبيعة فان طرق الموت انما هو بانحلال القوى الطبيعية فاذا كانت قوية كانت  
الاعمار أزدي فكان العالم في أوايه نشأته تام الاعمار كامل الاجسام ثم لم يزل يتناقص  
لنقصان المادة الى أن بلغ الى هذه الحال التي هو عليها ثم لا يزال يتناقص الى وقت  
الانحلال وانقراض العالم وهذا رأى لا وجه له الا التحكم كما تراه وليس له علة طبيعية  
ولاسبب برهاني ونحن نشاهد مساكن الاولين وأبوابهم وطرقهم فيما أحدثوه  
من البنين والهياكل والديار والمساكن كديار غود المتحونة في الصلدمن الصخريوتنا  
صغارا وأبوابها ضيقة وقد أشار صلى الله عليه وسلم الى أنها ديارهم ونهى عن  
استعمال مباههم وطرح ما عجن به وأحرق وقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا  
أنفسهم الآن تكونوا باكين أن يصيبكم ما أصابهم وكذلك أرض عاد ومصر والشام  
وسائر بقاع الارض شرقا وغربا والحق ما قررناه ومن آثار الدول أيضا حال في الاعراس  
والولائم كذا ذكرناه في ولاية بوران وصنيع الخراج وابن ذى النون وقد مر ذلك كله ومن  
آثارها أيضا عطايا الدول وأنها تكون على نسبتها ويظهر ذلك فيها ولو أشرفت على الهرم  
فان الهرم التي لاهل الدولة تكون على نسبة قوة ملكهم وغايبهم للناس والهم لا تزال  
مصاحبة لهم الى انقراض الدولة واعتبر ذلك بجوار ابن ذى نزن لو قد قرئ كيف  
أعطاهم من أرطال الذهب والفضة والاعبد والوصائف عشرين من كرش  
العنبر واحدة وأضعف ذلك بعشرة أمثاله لعبد المطلب وانما ملكه يومئذ قرارة اليمن  
خاصة تحت استبداد فارس وانما حله على ذلك همة نفسه بما كان لقومه التابعة من  
الملك في الارض والغلب على الامم في العراقيين والهند والمغرب وكان الصنهاجيون  
بأفريقية أيضا اذا أجازوا الوفاء من أمراء زناتة الوافدين عليهم فانما يعطونهم المال  
أحبالا والمكساء تحوتا مملوءة والحملات جنائب عديدة وفي تاريخ ابن الرقيق من ذلك  
أخبار كثيرة وكذلك كان عطاء البرامكة وجوارهم ونفقاتهم وكانوا اذا كسبوا معدما



فانما هو الولاية والنعمة آخر الدهر لا العطاء الذي يستنفده يوم أو بعض يوم وأخبارهم  
في ذلك كثيرة مسطورة وهي كلها على نسبة الدول جارية هذا جوهر الصقلي  
الكاتب قائد جيش العبيدين لما ارتحل الى فتح مصر استعذ من القيروان بألف حمل  
من المال ولا تنتهي اليوم دولة الى مثل هذا وكذلك وجد بخط أحمد بن محمد بن عبد  
الحديد عمل بما يحمل الى بيت المال ببغداد أيام المأمون من جميع النواحي نقلته من  
جرباب الدولة \* (غلات السواد) \* سبع وعشرون ألف ألف درهم مرتين وثمانمائة  
ألف درهم ومن الحلال النجراية مائتا حلة ومن طين الختم مائتان وأربعون رطلا  
\* (كنكر) \* أحد عشر ألف ألف درهم مرتين وثمانمائة ألف درهم \* (كوردجلة) \*  
عشرون ألف ألف درهم وثمانية دراهم \* (حلوان) \* أربعة آلاف ألف درهم  
مرتين وثمانمائة ألف درهم \* (الاهواز) \* خمسة وعشرون ألف درهم مرة ومن  
السبك ثلاثون ألف رطل \* (فارس) \* سبعة وعشرون ألف ألف درهم ومن  
ماء الورد ثلاثون ألف قارورة ومن الزيت الاسود عشرون ألف رطل \* (كرمان) \*  
أربعة آلاف ألف درهم مرتين ومائتا ألف درهم ومن المتاع اليماني خمسمائة ثوب  
ومن القمر عشرون ألف رطل \* (مكران) \* أربع مائة ألف درهم مرة \* (السند  
وما يليه) \* أحد عشر ألف ألف درهم مرتين وخمسمائة ألف درهم ومن العود الهندي  
مائة وخمسون رطلا \* (سجستان) \* أربعة آلاف ألف درهم مرتين ومن الثياب  
المعينة ثلاثمائة ثوب ومن الفانيد عشرون رطلا \* (خراسان) \* ثمانية وعشرون  
ألف ألف درهم مرتين ومن نقر القضة ألفانقرة ومن البراذين أربعة آلاف ومن  
الريق ألف رأس ومن المتاع عشرون ألف ثوب ومن الالهليج ثلاثون ألف رطل  
\* (جرجان) \* اثنا عشر ألف ألف درهم مرتين ومن الابرسم ألف شقة \* (قومس) \*  
ألف ألف مرتين وخمسمائة ألف من نقر الفضة \* (طبرستان والروبان ونهاوند) \*  
ستمائة آلاف ألف مرتين وثلاثمائة ألف ومن الفرش الطبري ستمائة قطعة ومن  
الاكسية مائتان ومن الثياب خمسمائة ثوب ومن المناديل ثلثمائة ومن الحمامات  
ثلثمائة \* (الري) \* اثنا عشر ألف ألف درهم مرتين ومن العسل عشرون  
ألف رطل \* (همدان) \* أحد عشر ألف ألف درهم مرتين وثلثمائة ألف ومن  
رب الرمان ألف رطل ومن العسل اثنا عشر ألف رطل (ما بين البصرة والكوفة)  
عشرة آلاف ألف درهم مرتين وسبع مائة ألف درهم \* (ماسبدان والدينار) \* أربعة  
آلاف ألف درهم مرتين \* (شهرزور) \* ستة آلاف ألف درهم مرتين وسبع مائة  
ألف درهم \* (الموصل وما إليها) \* أربعة وعشرون ألف ألف درهم مرتين ومن

قوله والد دينار  
الظاهر انها الدينور  
وفي الترجمة التركية  
ماسبدان وربان اه

العسل الايض عشرون ألف ألف رطل \* (اذربيجان) \* أربعة آلاف ألف  
درهم مرتين \* (الجزيرة وما يليها من أعمال الفرات) \* أربعة وثلاثون ألف ألف  
درهم مرتين ومن الرقيق ألف رأس ومن العسل اثنا عشر ألف رطل ومن البراة عشرة  
ومن الاكسية عشرون \* (ارمينية) \* ثلاثة عشر ألف ألف درهم مرتين ومن  
القسط المحفور عشرون ومن الزقم خمسمائة وثلاثون رطلا ومن المسايح السورماهي  
عشرة آلاف رطل ومن الصونج عشرة آلاف رطل ومن البغال مائتان ومن المهيرة  
ثلاثون \* (قنسرين) \* أربع مائة ألف دينار ومن الزيت ألف حمل \* (دمشق) \*  
أربع مائة ألف دينار وعشرون ألف دينار \* (الاردن) \* سبعة وتسعون ألف  
دينار \* (فلسطين) \* ثلاثمائة ألف دينار وعشرة آلاف دينار ومن الزيت ثلثمائة  
ألف رطل \* (مصر) \* ألف ألف دينار وتسعمائة ألف دينار وعشرون ألف دينار  
\* (برقة) \* ألف ألف درهم مرتين \* (افريقية) \* ثلاثة عشر ألف ألف درهم  
مرتين ومن البسط مائة وعشرون \* (اليمن) \* ثلثمائة ألف دينار وسبعون ألف  
دينار سوى المتاع \* (الحجاز) \* ثلاثمائة ألف دينار انتهى \* وأما الاندلس فالذي  
ذكره الثقات من مؤرخيها أن عبد الرحمن الناصر خلف في بيوت أمواله خمسة  
آلاف ألف دينار مكررة ثلاث مرات يكون جملتها بالقنطرة خمسمائة ألف قنطار  
\* ورأيت في بعض تواريف الرشيد أن المحمول الى بيت المال في أيامه سبعة آلاف  
قنطار وخمسمائة قنطار في كل سنة فاعتبر ذلك في نسب الدول بعضها من بعض  
ولا تنكرن ما ليس بمعهود عندك ولا في عصرك شيء من أمثاله فتصديق حوصلتك عند  
ملء فمك فكم كثير من الخواص اذا سمعوا أمثال هذه الاخبار عن الدول السالفة  
بادربالانكار وليس ذلك من الصواب فان أحوال الوجود والعمران متفاوتة ومن  
أدرك منها رتبة سفلى أو وسطى فلا يحصر المدارك كلها في ما ونحن اذا اعتبرنا ما ينقل  
لنا عن دولة بني العباس وبني أمية والعبيدين وناسبنا الصحيح من ذلك والذي لا شك  
فيه بالذي نشاهد من هذه الدول التي هي أقل بالنسبة اليها وجدنا بينها وبيننا  
بينها من التفاوت في أصل قوتها وعمران ممالكها فالا تاركاها جارية على نسبة  
الأصل في القوة كما قدمناه ولا بد لنا انكار ذلك عنها اذ كثير من هذه الاحوال في غاية  
الشهرة والوضوح بل فيها ما يلحق بالمستفيض والمتواتر وفيها المعاني والمجاهد من آثار  
البناء وغيره فخذ من الاحوال المنقولة مراتب الدول في قوتها وضعفها وضخامتها  
أو صغرها واعتبر ذلك بما نقصه عليك من هذه الحكاية المستطرفة وذلك أنه ورد  
بالمغرب لعهد السلطان أبي عنان من ملوك بني مرين رجل من مشيخة طنجة يعرف

قوله ومن البراة  
المن في التركية ومن  
السك عشرة  
صناديق اه



باب بطوطة كان رحل منذ عشرين سنة قبلها الى المشرق وتقلب في بلاد العراق واليمن والهند ودخل مدينة دهلي حاضرة ملك الهند وهو السلطان محمد شاه واتصل بملكها لذلك العهد وهو فيروز جوهر وكان له منه مكان واستعمله في خطة القضاء بمذهب المالكية في عمله ثم انقلب الى المغرب واتصل بالسلطان أبي عنان وكان يحدث عن شأن رحلته وما رأى من العجائب بمالك الارض وأكثر ما كان يحدث عن دولة صاحب الهندو يأتي من أحواله بما يستغرب به السامعون مثل أن ملك الهند اذا خرج الى السفر أحصى أهل مدينته من الرجال والنساء والولدان وفرض لهم رزق ستة أشهر تدفع لهم من عطائه وأنه عند رجوعه من سفره يدخل في يوم مشهود يبرز فيه الناس كافة الى صحراء البلد ويطوفون به وينصب أمامه في ذلك الحفل منجنيقات على الظهر ترمى بها شكاثر الدراهم والدنانير على الناس الى أن يدخل ايوانه وأمثال هذه الحكايات فتساجي الناس بتكذيبه \* ولقيت أيامئذ وزير السلطان فارس بن وردار البعيد الصيت ففصاوضته في هذا الشأن وأريته انكارا خبار ذلك الرجل لما استفاض في الناس من تكذيبه فقال لي الوزير فارس اياك أن تستنكر مثل هذا من أحوال الدول بما انك لم تره فتسكون كابن الوزير الناشئ في السجن وذلك أن وزيرا اعتقله سلطانه ومكث في السجن سنين ربي فيها ابنه في ذلك الحبس فلما أدرك وعقل سأل عن اللحم الذي كان يتغذى به فقال له أبوه هذا لحم الغنم فقال وما الغنم فيصفها له أبوه بشياتها وزعوتها فيقول يا أبت تراها مثل الفار فينكر عليه ويقول أين الغنم من الفأر وكذا في لحم الابل والبقر اذ لم يعاين في محبسه من الحيوانات الا الفار فيحسبها كلها أبناء جنس الفار وهذا كثير ما يعتري الناس في الاخبار كما يعتريهم الوسواس في الزيادة عند قصد الاغراب كما قد مناه أول الكتاب فليرجع الانسان الى أصوله وليكن مهتما على نفسه ومميزا بين طبيعة الممكن والممتنع بصريح عقله ومستهقيم فطرته فما دخل في نطاق الامكان قبله وما خرج عنه رفضه وليس مرادنا الامكان العقلي المطلق فان نطاقه أوسع شئ فلا يفرض حدا بين الواقعات وانما مرادنا الامكان بحسب المادة التي للشيء فانا اذا نظرنا أصل الشئ وجنسه وصفه ومقدار عظمه وقوته أجرنا الحكم من نسبة ذلك على أحواله وحكمنا بالامتناع على ما خرج من نطاقه وقل رب زدني علما وأنت أرحم الراحمين والله سبحانه وتعالى أعلم

كان ابتداء رحلته  
ابن بطوطة سنة  
٧٢٥ وانتهى بها  
سنة ٧٥٤ وهي  
عجبة ومختصرة  
نحو ٧٠٠ كرايس

١٩ (فصل في استظهار صاحب الدولة على قومه وأهل عصبية بالموالي والمصطنعين)

(اعلم) أن صاحب الدولة انما يقيم أمره كما قلناه بقومه فهم عصبته وظهوره على شأنه

ويهم بقسار الخوارج على دولته ومنهم من يقدأ أعمال مملكته ووزارة دولته وجباية أموالهم لانه أعوانه على الغلب وشركاؤه في الامر ومساهموه في سائر مهماته هذا مادام الطور الاول للدولة كما قلناه فاداء الطور الثاني وظهور الاستبداد عنهم والانفراد بالمجدود افعلهم عنه بازراح صاروا في حقيقة الامر من بعض أعدائه واحتجاج في مدافعهم عن الامر وصدهم عن المشاركة الى أولياء آخرين من غير جلدتهم يستظهر بهم عليهم ويتولاهم دونهم فيكونون أقرب اليه من سائرهم وأخص به قربا واصطناعا وأولى ايثارا واجاهلما أنهم يستمتتون دونه في مدافعة قومه عن الامر الذي كان لهم والرتبة التي ألفوها في مشاركتهم فيستخلصهم صاحب الدولة حينئذ ويخصهم بزيادة التكرمة والايثار ويقسم لهم مثل ما للكثير من قومه ويقلدهم جليل الاعمال والولايات من الوزارة والقيادة والجباية وما يختص به انفسه وتكون خالصة له دون قومه من ألقاب المملكة لانهم حينئذ أولياؤه الاقربون ونصحاؤه المخلصون وذلك حينئذ مؤذن باهتضام الدولة وعلامة على المرض المزمن فيها الفساد العصبية التي كان بناء الغلب عليها ومرض قلوب أهل الدولة حينئذ من الامتهان وعداوة السلطان فيضطغنون عليه ويتربصون به الدوائر ويعودون بال ذلك على الدولة ولا يطمع في برئها من هذا الداء لانه ماضى يتأ كد في الاعقاب الى أن يذهب رسمها واعتبر ذلك في دولة بني أمية كيف كانوا انما يستظهرون في حروبهم وولاية أعمالهم برجال العرب مثل عمرو بن سعد بن أبي وقاص وعبيد الله بن زياد بن أبي سفيان والحجاج بن يوسف والمهلب بن أبي صفرة وخالد بن عبد الله القسري وابن هبيرة وموسى بن نصير وبلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ونصر بن سيار وأمثالهم من رجالات العرب وكذا صدر من دولة بني العباس كان الاستظهار فيها أيضا برجالات العرب فلما صارت الدولة للانفراد بالمجدود وكبح العرب عن التطاول للولايات صارت الوزارة للعجم والصنائع من البرامكة وبني سهل بن نوح وبني طاهر ثم بني بويه وموالي الترك مثل بغاوصيف ونامش وبالكاء وابن طولون وأبنائهم وغير هؤلاء من موالي العجم فتكون الدولة لغير من مهدها والعز لغير من اجتلبه سنة الله في عباده والله تعالى أعلم

٢٠ (فصل في احوال الموالي والمصطنعين في الدول)

اعلم أن المصطنعين في الدول يتفاوتون في الالتحام بصاحب الدولة بتفاوت قديمهم وحديثهم في الالتحام بصاحبها والسبب في ذلك أن المقصود في العصبية من المدافعة والمغالبة انما يقيم بالنسب لاجل التناصر في ذوي الارحام والقربى والتخاذل في



الاجانب والبعداء كما قدمناه والولاية والمخالطة بالرق أو بالحلف تنزل منزلة ذلك لان  
 أمر النسب وان كان طبيعيا فانما هو وهمي والمعنى الذي كان به الالتحام انما هو  
 العشرة والمدافعة وطول الممارسة والصحبة بالمربي والرضاع وسائر احوال الموت  
 والحياة واذا حصل الالتحام بذلك جاءت النعرة والتناصر وهذا ما شاهد بين الناس  
 واعتبر مثله في الاصطناع فانه يحدث بين المصطنع ومن اصطنعه نسبة خاصة من  
 الوصلة تنزل هذه المنزلة وتوصف كد اللحم وان لم يكن نسب فتمرات النسب موجودة  
 فاذا كانت هذه الولاية بين القبيل وبين اوليائهم قبل حصول الملك لهم كانت عروقها  
 أوشج وعقائدها أصح ونسبها أصرح لوجهين أحدهما أنهم قبل الملك اسوة في حالهم  
 فلا يتميز النسب عن الولاية الا عند الاقل منهم فيستزلون منهم منزلة ذوي قرابتهم وأهل  
 أرحامهم واذا اصطنعوه بعد الملك كانت مرتبة الملك مميزة للسيد عن المولى ولاهل  
 القرابة عن أهل الولاية والاصطناع لما تقتضيه احوال الرياسة والملك من تميز الرتب  
 وتفاوتها فتميز حالهم ويتزلون منزلة الاجانب ويكون الالتحام بينهم أضعف والتناصر  
 لذلك أبعد وذلك أنقص من الاصطناع قبل الملك \* الوجه الثاني أن الاصطناع  
 قبل الملك يعد عهده عن أهل الدولة بطول الزمان ويخفى شأن تلك اللحمه ويظن بهم في  
 الاكثر النسب فيقوى حال العصية وأما بعد الملك فيقرب العهد ويستوى في  
 معرفته الا كثر قتيبين اللحمه وتتميز عن النسب فتضعف العصية بالنسبة الى الولاية  
 التي كانت قبل الدولة واعتبر ذلك في الدول والرياسات تجده فكل من كان اصطناعه قبل  
 حصول الرياسة والملك اصطنعه تجده أشد التحامه وأقرب قرابة اليه ويتزل منه منزلة  
 أبنائه واخوانه وذوي رحمه ومن كان اصطناعه بعد حصول الملك والرياسة لمصطنعه  
 لا يكون له من القرابة واللحمه ما للاولين وهذا ما شاهد بالعيان حتى ان الدولة في آخر  
 عمرها ترجع الى استعمال الاجانب واصطناعهم ولا يبنى لهم مجد كما بناء المصطنعون قبل  
 الدولة لقرب العهد حينئذ باوليتهم ومشاركة الدولة على الانقراض فيكونون منخطين  
 في مهاوى الضعة وانما يحمل صاحب الدولة على اصطناعهم والعدول اليهم عن  
 اوليائهم الاقدمين وصنائعها الاولين ما يعتريهم في أنفسهم من العزة على صاحب الدولة  
 وقلة الخضوع له ونظرة بما ينظره به قبيله وأهل نسبه لتأكد اللحمه منذ العصور  
 المتطاولة بالمربي والاتصال بابائه وسلف قومه والانتظام مع كبراء أهل بيته فيحصل لهم  
 بذلك دالة عليه واعتزاز فينا فرهم بسيماها حب الدولة ويعدل عنهم الى استعمال  
 سواهم ويكون عهد استخلاصهم واصطناعهم قريبا فلا يبلغون رتب المجد ويقيمون  
 على حالهم من الخارجية وهكذا شأن الدول في أواخرها وأكثر ما يطلق اسم الصنائع

والاولياء على الاولين وأما هؤلاء المحدثون فخدم وأعوان والله ولي المؤمنين وهو على  
 كل شيء وكيل

### ٢١ (فصل فيما عرض في الدول من خبر السلطان والاستبداد عليه)

اذا استقر الملك في نصاب معين ومنتبت واحد من القبيل القاعين بالدولة وانفرد وابه  
 ودفعوا سائر القبيل عنه وتداوله بنوهم واحد بعد واحد بحسب الترشيع فربما حدث  
 التغلب على المنصب من وزراءهم وحاشيتهم وسببه في الاكثر ولاية صبي صغير أو  
 مضغف من أهل المنبت يترشح للولاية بعهد أبيه أو بترشيح ذويه وخوله ويؤنس منه  
 العجز عن القيام بالملك فيقوم به كافلة من وزراء أبيه وحاشيته ومواليه أو قبيله ويورى  
 بحفظ أمره عليه حتى يؤنس منه الاستبداد ويجعل ذلك ذريعة للملك فيجيب الصبي  
 عن الناس ويعوده اللذات التي يدعوه اليها ترف أحواله ويسميه في مرأعها متى أمكنه  
 وينسبه النظر في الامور السلطانية حتى يستبد عليه وهو بما عوده يعتقد أن حظ  
 السلطان من الملك انما هو جلوس السرير واعطاء الصفقة وخطاب التحويل والقعود  
 مع النساء خلف الحجاب وان الحل والربط والأمر والنهي ومباشرة الاحوال المملوكية  
 وتفقدتها من النظر في الجيش والمال والثغور وانما هو للوزير ويسلم له في ذلك الى أن  
 تستحكم له صيغة الرياسة والاستبداد ويتحول الملك اليه ويؤثر به عشيرته وأبناءه من  
 بعده كما وقع لبني بوبه والترك وكافور الاخشيدي وغيرهم بالمشرق والمنصور بن أبي  
 عامر بالاندلس وقد يتفطن ذلك المحجور المغلب لشأنه فيحاول على الخروج من ربة  
 الحجر والاستبداد ويرجع الملك الى نصابه ويضرب على أيدي المتغلبين عليه اما بقتل  
 أو برفع عن الرتبة فقط الا أن ذلك في النادر الاقل لان الدولة اذا أخذت في تغلب  
 الوزراء والاولياء استقر لها ذلك وقل أن تخرج عنه لان ذلك انما يوجد في الاكثر عن  
 أحوال الترف ونشأة أبناء الملك منغمسين في نعيمه قد نسوا عهد الرجولة وألفوا أخلاق  
 الدايات والأطيار وروبو اعليها فلا يترعون الى رياسة ولا يعرفون استبداد من تغلب انما  
 همهم في القنوع بالأبهة والتقن في اللذات وأنواع الترف وهذا التغلب يكون  
 للموالي والمصطنعين عند استبداد عشير الملك على قومهم وانفرادهم به دونهم وهو  
 عارض للدولة ضروري كما قدمناه وهذا من مرضان لبرء للدولة منهما الا في الاقل  
 النادر والله يوتئى ملكه من يشاء وهو على كل شيء قدير

### ٢٢ (فصل في ان التغلبين على السلطان لا يتركونه في القرب الخاص بالملك)

وذلك أن الملك والسلطان حصل لاؤله منذ أول الدولة بعصية قومه وعصيته التي



استبعتهم حتى استحكمت له واقومه صبغة الملك والغلب وهي لم تزل باقية وبها  
انحفظ رسم الدولة وبقاؤها وهذا المتغلب وان كان صاحب عصية من قبيل الملك أو  
الموالي والصنائع فعصيته مندرجة في عصية أهل الملك وتابعة لها وليس له صبغة في  
الملك وهو لا يحاول في استبداده انتزاع الملك ظاهرا وانما يحاول انتزاع ثمراته من  
الامر والنهي والحل والعقد والابرار والنقض يوهم فيها أهل الدولة أنه متصرف عن  
سلطانه منفذ في ذلك من وراء الحجاب لاحكامه فهو يتجافى عن سمات الملك وشاراته  
وألقابه جهده ويعد نفسه عن التهمة بذلك وان حصل له الاستبداد لانه مستتر في  
استبداده ذلك بالحجاب الذي ضربه السلطان وأولوه على أنفسهم عن القبيل منذ أول  
الدولة ومغالط عنه بالنيابة ولو تعرض لشيء من ذلك لنفسه عليه أهل العصية وقبيل  
الملك وحاولوا الاستثارة به دون ذلك لانه لم تستحكم له في ذلك صبغة تحملهم على التسليم له  
والانقياد في تلك الاقل وهله وقد وقع مثل هذا العبد الرحمن بن الناصر بن المنصور بن  
أبي عامر حين سما الى مشاركة هشام وأهل بيته في لقب الخلافة ولم يفتح بما فتح به أبوه  
وأخوه من الاستبداد بالحل والعقد والمراسم المتابعة فطلب من هشام خليفته أن  
يعهد له بالخلافة فنفس ذلك عليه بنو مروان وسائر قریش وبايعوا الابن عم الخلافة  
هشام محمد بن عبد الجبار بن الناصر وخرجوا عليهم وكان في ذلك خراب دولة العامين  
وهلاك المؤيد خليفته واستبدل منه سواه من أعيان الدولة الى آخرها واختلت  
مراسم ملكهم والله خير الوارثين

قوله لنفسه بفتح  
اللام والنون  
وكسر الفاء يقال  
نفس عليه الشيء  
كفرح لم يره أهلا  
له كما في القاموس

### ٢٣ (نصل في حقيقة الملك وامناذ)

الملك منصب طبيعي للانسان لا ناقد ينسأ أن البشر لا يمكن حياتهم ووجودهم  
الا باجتماعهم وتعاونهم على تحصيل قوتهم وضروراتهم واذا اجتمعوا دعت الضرورة  
الى المعاملة واقتضاء الحاجات ومد كل واحد منهم يده الى حاجته يأخذها من صاحبه  
لما في الطبيعة الحيوانية من الظلم والعدوان بعضهم على بعض ويمانعها الاخر عنها  
بمقتضى الغضب والانفة ومقتضى القوة البشرية في ذلك فيقع التنازع المفضي الى  
المقاتلة وهي تؤدي الى الهرج وسفك الدماء وازهاب النفوس المفضي ذلك الى انقطاع  
النوع وهو مما خصه الباري سبحانه بالحفاظة فاستحال بقاءهم فوضى دون حاكم يزع  
بعضهم عن بعض واحتاجوا من أجل ذلك الى الوازع وهو الحاكم عليهم وهو بمقتضى  
الطبيعة البشرية الملك القاهر المتحكم ولا بد في ذلك من العصية لما قدمناه من أن  
المطالبات كلها والمدافعات لا تتم الا بالعصية وهذا الملك كثره منصب شريف توجه

نحوه المطالبات ويحتاج الى المدافعات ولا يتم شيء من ذلك الا بالعصيات كما امر  
والعصيات متفاوتة وكل عصية قلها تحكم وتغلب على من يليها من قومها وعشيرها  
وليس الملك لكل عصية وانما الملك على الحقيقة لمن يستعبد الرعية ويحجب الاموال  
ويبعث البعوث ويحرم الثغور ولا تكون فوق يده يد فاهرة وهذا معنى الملك وحقيقته  
في المشهورين قصرت به عصيته عن بعضها مثل جباية الثغور أو جباية الاموال أو  
بعث البعوث فهو ملك ناقص لم تتم حقيقته كما وقع لكثير من ملوك البربر في دولة  
الغالبة بالقيروان وملوك العجم صدر الدولة العباسية ومن قصرت به عصيته أيضا عن  
الاستعلاء على جميع العصيات والضرب على سائر الايدي وكان فوقه حكم غيره فهو  
أيضا ملك ناقص لم تتم حقيقته وهو لا يمثل امراء النواحي ورؤساء الجهات الذين  
تجمعهم دولة واحدة وكثيرا ما يوجد هذا في الدولة المتسعة النطاق أعني توجد ملوك  
على قومهم في النواحي القاصية يدينون بطاعة الدولة التي جمعهم مثل مناجحة مع  
العبيدين وزناتة مع الامويين تارة والعبيدين تارة أخرى ومثل ملوك العجم في دولة  
بنو العباس ومثل امراء البربر وملوكهم مع القرقيصة قبل الاسلام ومثل ملوك  
الطوائف من الفرس مع الاسكندر وقومه اليونانيين وكثير من هؤلاء فاعتبره بتبعه  
والله القاهر فوق عباده

### ٢٤ (نصل في ان ارباب المدفعية بالملك ومفسده في الاكثر)

اعلم أن مصلحة الرعية في السلطان ليست في ذاته وجسمه من حسن شكله أو ملاحه  
وجهه أو عظم جسمه أو اتساع عمله أو جودة خطه أو ثقب ذهنه وانما مصلحة فيه  
من حيث اضافته اليهم فان الملك والسلطان من الامور الاضافية وهي نسبة بين  
منتسبين فحقيقة السلطان أنه المالك للرعية القائم في أمورهم عليهم فالسلطان من له  
رعية والرعية من لها سلطان والصفة التي له من حيث اضافته لهم هي التي تسمى الملكية  
وهي كونه يملكهم فاذا كانت هذه الملكية وتوابعها من الجودة يمكن حصل المقصود من  
السلطان على أتم الوجوه فانها ان كانت جميلة صالحة كان ذلك مصلحة لهم وان كانت  
سيئة متعسفة كان ذلك ضررا عليهم واهلا كآلهم ويعود حسن الملكية الى الرفق فان  
الملك اذا كان قاهرا باطشيا بالعقوبات منقبعا عن عورات الناس وتعديد ذنوبهم شملهم  
الخوف والذل ولاذوا منه بالكذب والمكر والخديعة فتخلقوا به وفسدت بصائرهم  
وأخلاقهم وورع اخذلوه في مواطن الحروب والمدافعات ففسدت الجباية بفساد النيات  
ورعاً أجعروا على قتله لذلك ففسد الدولة ويخرب السبيل وان دام أمره عليهم وقهره



فسدت العصية لما قلناه أو لا وفقد السياج من أصله بالعجز عن الحماية وإذا كان  
وفيقا بهم متجاوزا عن سببهم استناموا اليه ولاذوا به وأشربوا محبته واستماتوا ودونه  
في محاربة أعدائه فاستقام الأمر من كل جانب وأمانوا بحسن الملكة فهي النعمة  
عليهم والمدافعة عنهم فالمدافعة بها تتم حقيقة الملك وأما النعمة عليهم والاحسان لهم  
فنجله الرفق بهم والنظر لهم في معاشهم وهي أصل كبير في التجب إلى الرعية وأعلم  
أنه كلما تكون ملكة الرفق فيمن يكون يقطا شديد الذكاء من الناس وأكثر ما يوجد  
الرفق في الغفل والمتغفل وأقل ما يكون في اليقظ أنه يكلف الرعية فوق طاقتهم لنفوذ  
نظره فيما وراء مداركهم وإطلاعه على عواقب الأمور في مبادئها بالمعينة فيهلكون  
لذلك قال صلى الله عليه وسلم سيرا على سيرا تضعفكم ومن هذا الباب اشترط الشارع  
في الحاكم قلة الإفراط في الذكاء وما أخذه من قصة زياد بن أبي سفيان لما عزله عمر عن  
العراق وقال لم عزلتني يا أمير المؤمنين العجز أم الخيانة فقال عمر لم أعزلك لواحدة منهما  
ولكني كرهت أن أحل فضل عقلك على الناس فأخذ من هذا أن الحاكم لا يكون مفرطا  
الذكاء والكيس مثل زياد بن أبي سفيان وعمر بن العاصي لما يتبع ذلك من التعسف  
وسوء الملكة وحل الوجود على ما ليس في طبعه كما يأتي في آخر هذا الكتاب والله خير  
المالكين وتقرر من هذا أن الكيس والذكاء عيب في صاحب السياسة لأنه إفراط في  
الفكر كما أن البلادة إفراط في الجود والطرفان مذمومان من كل صفة انسانية  
والحمود هو التوسط كما في الكرم مع التبذير والبخل وكما في الشجاعة مع الهوج  
والجبن وغير ذلك من الصفات الانسانية ولهذا يوصف الشديد الكيس بصفات  
الشیطان فيقال شيطان ومتشيطان وأمثال ذلك والله يخلق ما يشاء وهو العليم القدير

### ٢٥ (فصل في معنى الخلافة والامامة)

لما كانت حقيقة الملك أنه الاجتماع الضروري للبشر ومقتضاه التغلب والقهر  
الذات هما من آثار القضب والحيوانية كانت أحكام صاحبه في الغالب جائرة عن  
الحق محقة بمن تحت يده من الخلق في أحوال دنياهم لجهلهم في الغالب على ما ليس في  
طوقهم من أغراضه وشهوته ويختلف ذلك باختلاف المقاصد من الخلف والسلف  
منهم فمعسر طاعته لذلك وتجب العصية المقتضية إلى الهرج والقتل فوجب أن يرجع  
في ذلك إلى قوانين سياسية مفروضة يسلمها الكافة وينقادون إلى أحكامها كما  
كان ذلك للفرس وغيرهم من الأمم وإذا دخلت الدولة من مثل هذه السياسة لم يستتب  
أمرها ولا يتم استيلاؤها سنة الله في الذين خلوا من قبل فإذا كانت هذه القوانين

مفروضة من العقلاء وكابر الدولة وبصرائها كانت سياسة عقلية وإذا كانت  
مفروضة من الله بشارع يقررها ويشرعها كانت سياسة دينية نافعة في الحياة الدنيا  
وفي الآخرة وذلك أن الخلق ليس المقصود بهم دنياهم فقط فإنها كلها عبث وباطل آذ  
غاية الموت والفناء والله يقول أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا فالمقصود بهم انما هو دينهم  
المقضى بهم إلى السعادة في آخرتهم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض  
فجاءت الشرائع بمحملهم على ذلك في جميع أحوالهم من عبادة ومعاملة حتى في الملك  
الذي هو طبيعي للاجتماع الانساني فأجرته على منهاج الدين ليكون الكل محوطة  
بنظر الشارع فما كان منه بمقتضى القهر والتغلب واهمال القوة الغضبية في مرعاها  
فجور وعدوان ومذموم عنده كما هو مقتضى الحكمة السياسية وما كان منه بمقتضى  
السياسة وأحكامها فمذموم أيضا لانه نظر بغير نور الله ومن لم يجعل الله له نورا فإنه من  
نور لأن الشارع أعلم بمصالح الكافة فيما هو غيب عنهم من أمور آخرتهم وأعمال البشر  
كلها عائدة عليهم في معادهم من ملك أو غيره قال صلى الله عليه وسلم انما هي أعمالكم ترد  
عليكم وأحكام السياسة انما تطلع على مصالح الدنيا فقط يعلمون ظاهرا من الحياة  
الدنيا ومقصود الشارع بالناس صلاح آخرتهم فوجب بمقتضى الشرائع حل الكافة  
على الأحكام الشرعية في أحوال دنياهم وآخرتهم وكان هذا الحكم لاهل الشريعة  
وهم الانبياء ومن قام فيه مقامهم وهم الخلفاء فقد تبين لك من ذلك معنى الخلافة وان  
الملك الطبيعي هو حل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة والسياسة هو حل  
الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدنيوية ودفع المضار والخلافة  
هي حل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الآخروية والدنيوية  
الراجعة اليها إذا حوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة  
فهو في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به فافهم  
ذلك واعتبره فيما نورد عليك من بعد والله الحكيم العليم

### ٢٦ (فصل في اختلاف الامم في حكم هذا المنصب وشروطه)

واذ قد بينا حقيقة هذا المنصب وأنه نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة  
الدنيا به تسمى خلافة و امامة والقائم به خليفة واما ما قاما تسميته اماما فتشبه بابا امام  
الصلاة في اتباعه والاقدا به ولهذا يقال الامامة الكبرى واما تسميته خليفة فلكونه  
يخلف النبي في أمته فيقال خليفة باطلاق وخليفة رسول الله واختلف في تسميته  
خليفة الله فأجاز بعضهم اقتباسا من الخلافة العامة التي لا دمين في قوله تعالى اني



جاء في الارض خليفة وقوله جعلكم خلافة الارض ومنع الجهور منه لان معنى الآية ليس عليه وقد نهى أبو بكر عنه لما دعي به وقال است خليفة الله ولكن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولان الاستخلاف انما هو في حق الغائب وأما الحاضر فلا ثم ان نصب الامام واجب قد عرف وجوبه في الشرع باجماع الصحابة والتابعين لان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وفاته بادروا الى بيعته أبي بكر رضي الله عنه وتسليم النظر اليه في امورهم وكذا في كل عصر من بعد ذلك ولم تترك الناس فوضى في عصر من الاعصار واستقر ذلك اجماعا عادلا على وجوب نصب الامام وقد ذهب بعض الناس الى أن مدرك وجوبه العقل وأن الاجماع الذي وقع انما هو قضاء بحكم العقل فيه قالوا وانما وجب بالعقل لضرورة الاجتماع للبشر واستحالة حياتهم ووجودهم منفردين ومن ضرورة الاجتماع التنازع لازدحام الأغراض فإلّا يمكن الحاكم الوازع أفضى ذلك الى الهرج المودن بهلاك البشر وانقطاعهم مع أن حفظ النوع من مقاصد الشرع الضرورية وهذا المعنى بعينه هو الذي لحظه الحكماء في وجوب النبوات في البشر وقد نهى عن فسادهم وان احدى مقدماته أن الوازع انما يكون بشر من الله تسلم له الكفاية تسليما ايمان واعة قاد وهو غير مسلم لان الوازع قد يكون بسطوة الملك وقهر أهل الشوكه ولو لم يكن شرع كما في أمم الجوس وغيرهم ممن ليس له كتاب أو لم تبلغه الدعوة أو نقول يكفي في رفع التنازع معرفة كل واحد بتحريم الظلم عليه بحكم العقل فادعاهم أن ارتفاع التنازع انما يكون بوجود الشرع هناك ونصب الامام هنا غير صحيح بل كما يكون بنصب الامام يكون بوجود الرؤساء أهل الشوكه أو بامتناع الناس عن التنازع والتظام فلا ينهض دليلهم العقلي المبني على هذه المقدمة فدل على أن مدرك وجوبه انما هو بالشرع وهو الاجماع الذي قدمناه وقد شد بعض الناس بعدم وجوب هذا النصب رأسا لا بالعقل ولا بالشرع منهم الاصح من المعتزلة وبعض الخوارج وغيرهم والواجب عندهم انما هو امضاء أحكام الشرع فاذا تواطأت الامة على العدل وتنفيذ أحكام الله تعالى لم يحتج الى امام ولا يجب نصبه وهؤلاء محجوجون بالاجماع والذي جعلهم على هذا المذهب انما هو الفرار عن الملك ومذاهبه من الاستطالة والتغلب والاستمتاع بالدين المار والشرعية متمثلة بدم ذلك والنهي على أهله وهرغبة في رفضه واعلم أن الشرع لم يذم الملك لذاته ولا حظر القيام به وانما ذم المفاصد الناشئة عنه من القهر والظلم والتمتع بالذات ولا شك أن في هذه مفاصد محظورة وهي من توابعه كما أن في العدل والصفة واقامة من اسم الدين والذب عنه وأوجب بازائها الثواب وهي كلها من توابع الملك فاذا انما وقع الذم للملك على صفة

وحال دون حال اخرى ولم يذمه لذاته ولا طلب تركه كما ذم الشهوة والغضب من المكلفين وليس مراده تركهما بالكلية لدعابة الضرورة اليها وانما المراد تصريفهما على مقتضى الحق وقد كان لداود وسليمان صلوات الله وسلامه عليهما الملك الذي لم يكن لغيرهما وهما من أنبياء الله تعالى وأكرم الخلق عنده ثم نقول لهم ان هذا الفرار عن الملك بعدم وجوب هذا النصب لا يغنيكم شيئا لانكم موافقون على وجوب اقامة أحكام الشريعة وذلك لا يحصل الا بالعصية والشوكه والعصية مقتضية بطبعها للملك فيحصل الملك وان لم ينصب امام وهو عين ما فررت عنه واذا تقررت أن هذا النصب واجب باجماع فهو من فروض الكفاية وراجع الى اختيار أهل العقد والحل فيتعين عليهم نصبه ويجب على الخلق جميعا طاعته لقوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم وأما شروط هذا المنصب فهي أربعة العلم والعدالة والكفاية وسلامة الخواص والاعضاء مما يؤثر في الرأي والعمل واختلاف في شرط خامس وهو النسب القرشي فأما اشتراط العلم فظاهر لانه انما يكون منفذا لأحكام الله تعالى اذا كان عالما بما وما لم يعلمها لا يصح تقديمه لها ولا يكتفي من العلم الآن يكون محتمدا الان التقليد نقص والامامة تستدعي الكمال في الاوصاف والاحوال وأما العدالة فلانه منصب ديني يتطرق في سائر المناصب التي هي شرط فيها فكان أولى باشتراطها فيه ولا خلاف في انتفاء العدالة فيه بفسق الجوارح من ارتكاب المحظورات وأمثالها وفي انتفاءها بل بدع الاعتقادية خلاف وأما الكفاية فهو أن يكون جريا على اقامة الحدود واقحام الحروب بصيرتها كقبيل يحمل الناس عليها عارفا بالعصية واحوال الدهاء قوي على معاناة السياسة ليصح له بذل ما جعل اليه من حماية الدين وجهاد العدو واقامة الاحكام وتدبير المصالح وأما سلامة الخواص والاعضاء من النقص والعطلة كالجنون والعمى والصمم والخرس وما يؤثر فائدة من الاعضاء في العمل ككفة اليد والرجلين والاثنيين فمستلزم السلامة منها كلها للتأثير ذلك في تمام عمله وقيامه بما جعل اليه وان كان انما يشين في النظر فقط كفقده احدى هذه الاعضاء فمستلزم السلامة منه شرط كمال ويلحق بفقده ان الاعضاء المنع من التصرف وهو ضربان ضرب يلحق بهذه في اشتراط السلامة منه شرط وجوب وهو القهر والعجز عن التصرف بجملة بالامر وشبهه وضرب لا يلحق به سده وهو الخبز باستيلاء بعض أعوانه عليه من غير عصيان ولا مشاققة فينتقل النظر في حال هذا المستولى فان جرى على حكم الدين والعدل وحيد السياسة جازا قراره والاستتصاف المسلمون عن بعض يده عن ذلك ويدفع عنه حتى يتفقد فعل الخليفة



وأما النسب القرشي فالاجماع الصحابة يوم السقيفة على ذلك واحتج قريش على  
الانصار لما هموا بايومئذ ببيعة سعد بن عباد وقلوا منكم أمير ومنكم أمير بقوله صلى الله  
عليه وسلم الأئمة من قريش وبأن النبي صلى الله عليه وسلم أوصانا بأن نحسن إلى  
محبتكم وتجاوز عن مبئكم ولو كانت الامارة فيكم لم تكن الوصية بكم فحجوا  
الانصار ورجعوا عن قولهم منكم أمير ومنكم أمير وعدلوا عما كانوا هموا به من بيعة  
سعد لذلك وثبت أيضا في الصحيح لا يزال هذا الامر في هذا الحى من قريش وأمثال  
هذه الأدلة كثيرة إلا أنه لما ضعف أمر قريش وتلاشت عصبيتهم بما نالهم من الترف  
والنعيم وبما أفقتهم الدولة في سائر أقطار الارض عجزوا بذلك عن حمل الخلافة  
وتغلبت عليهم الاعاجم وصاروا ليل والعقل لهم فاشتبه ذلك على كثير من المحققين حتى  
ذهبوا إلى أن اشتراط القرشية وعولوا على ظواهر في ذلك مثل قوله صلى الله عليه  
وسلم اسمعوا وأطيعوا وإن ولي عليكم عبد حبشي ذوزبينة وهذا لا تقوم به حجة في ذلك  
فانه خرج مخرج التمثيل والفرض للمبالغة في إيجاب السمع والطاعة ومثل قول عمر  
لو كان سالم مولى حذيفة حيا لوليت له ولما دخلتني فيه الظنة وهو أيضا لا يقيد ذلك لما  
علمت أن مذهب الصحابي ليس بحجة وأيضا فولى القوم منهم وعصية الولاء حاصلة لسالم  
في قريش وهي القائدة في اشتراط النسب ولما استعظم عمر أمر الخلافة ورأى شروطها  
كأنها مفقودة في ظنهم عدل إلى سالم لتوفر شروط الخلافة عنده فيه حتى من  
النسب المقيد للعصية كما ندكر ولم يبق الاصرحة النسب فرآه غير محتاج إليه اذا القائدة  
في النسب انما هي العصية وهي حاصلة من الولاء فكان ذلك حرصا من عمر رضي الله  
عنه على النظر للمسلمين وتقليد أمرهم لم لا تلحقه فيه لائمة ولا عليه فيه عهدة ومن  
القائلين بنى اشتراط القرشية القاضي أبو بكر الباقلاني لما أدرك عليه عصية قريش  
من التلاشي والاضمحلال واستبداد ملوك العجم على الخلفاء فأسقط شرط القرشية  
وان كان موافقا لرأي الخوارج لما رأى عليه حال الخلفاء لعهدده وبقى الجمهور على  
القول باشتراطها وصحة الامامة للقرشي ولو كان عاجزا عن القيام بامور المسلمين ورد  
عليهم سقوط شرط الكفاية التي يعقوب بها على أمره لانه اذا ذهبت الشوك بذهاب  
العصية فقد ذهبت الكفاية واذا وقع الاخلال بشرط الكفاية تطرق ذلك أيضا إلى  
العلم والدين وسقط اعتبار شروط هذا المنصب وهو خلاف الاجماع \* ولتسكلم الآن  
في حكمة اشتراط النسب ليتحقق به الصواب في هذه المذاهب فنقول ان الاحكام  
الشرعية كلها لا بد لها من مقاصد وحكم تشتمل عليها وتشرع لاجلها ونحن اذا  
بحثنا عن الحكمة في اشتراط النسب القرشي ومقصود الشارع منه لم يقتصر فيه على

التبرك بوصلة النبي صلى الله عليه وسلم كما هو في المشهور وان كانت تلك الوصلة  
موجودة والتبرك بها حاصل لكن التبرك ليس من المقاصد الشرعية كما علمت فلا بد  
اذن من المصلحة في اشتراط النسب وهي المقصودة من مشروعيها واذا سبرنا وقسمنا لم  
نجد لها الا اعتبار العصية التي تكون بها الحماية والمطالبة ويرتفع الخلاف والفرقة  
بوجودها صاحب المنصب فتسكن اليه الملة وأهلها وينتظم حيل الخلافة فيها وذلك  
أن قريشا كانوا عصبة مضر وأصلهم وأهل القلب منهم وكان لهم على سائر مضر العزة  
بالكثرة والعصية والشرف فكان سائر العرب يعترف لهم بذلك ويستكثرون انفسهم  
فلو جعل الامر في سواهم لتوقع افتراق الكلمة بجماعتهم وعدم اتقيادهم ولا يقدر  
غيرهم من قبائل مضر أن يردهم عن الخلاف ولا يجعلهم على الكثرة فتتفرق الجماعة  
وتختلف الكلمة والشارع يحذر من ذلك حرصا على اتفاقهم ورفع التنازع والشتات  
بينهم لتحصل اللحمة والعصية وتحسن الحماية بخلاف ما اذا كان الامر في قريش لانهم  
قادرون على سوق الناس بعصا الغلب إلى ما يرايد منهم فلا يخشى من أحد خلاف عليهم  
ولا فرقة لانهم كفيلون حينئذ بدفعها ومنع الناس منها فاشتراط نسبهم القرشي في هذا  
المنصب وهم أهل العصية القوية ليكون أبلغ في انتظام الملة واتفاق الكلمة واذا  
انتظمت كلمتهم انتظمت بانتظامها كلمة مضر أجمع فأذن عن لهم سائر العرب وانقادت  
الامم سواهم إلى أحكام الملة ووطئت جنودهم قاصية البلاد كما وقع في أيام الفتوحات  
واستقر بعدها في الدولتين إلى أن اضمحل أمر الخلافة وتلاشت عصية العرب ويعلم  
ما كان لقريش من الكثرة والتغلب على بطون مضر من مارس أخبار العرب  
وسيرهم وتفطن لذلك في أحوالهم \* وقد ذكر ذلك ابن اسحق في كتاب السيرة وغيره  
فاذا ثبت أن اشتراط القرشية انما هو لدفع التنازع عما كان لهم من العصية والغلب  
وعلمنا أن الشارع لا يخص الاحكام بحيل ولا عصر ولا أمة علمنا أن ذلك انما هو من  
الكفاية فردناه إليها وطردنا العلة المشتملة على المقصود من القرشية وهي وجود  
العصية فاشتراطنا في القائم بامور المسلمين أن يكون من قوم أولى بعصية قوية غالبية  
على من معها العصرها ليستبوعوا من سواهم وتجتمع الكلمة على حسن الحماية ولا يعلم  
ذلك في الاقطار والآفاق كما كان في القرشية اذا الدعوة الاسلامية التي كانت لهم كانت  
عامة وعصية العرب كانت واقية بها فغلبوا سائر الامم وانما يخص هذا العهد كل  
قطر عن تكون له فيه العصية الغالبة واذا نظرت سر الله في الخلافة لم تعد هذا  
لانه سبحانه انما جعل الخليفة ناسا عنه في القيام بامور عباده ليحملهم على مصالحهم  
ويردهم عن مضارهم وهو مخاطب بذلك ولا يخاطب بالامر الا من له قدرة عليه ألا ترى



قوله الامام الخطيب  
هو الفخر الرازي قاله  
نصره

ما ذكره الامام ابن الخطيب في شأن النساء وانهم في كثير من الاحكام الشرعية جعلوا  
تعالل الرجال ولم يدخلوا في الخطاب بالوضع وانما دخلوا عنده بالقياس وذلك لما لم يكن  
لهم من الامر شيء وكان الرجال قوامين عليهن اللهم الا في العبادات التي كل واحد فيها  
قام على نفسه فخطابهم فيها بالوضع لا بالقياس ثم ان الوجود شاهد بذلك فانه لا يقوم  
بامر امة او جميل الا من غلب عليهم وقل ان يكون الامر الشرعي مخالفا لادام  
الوجودي والله تعالى اعلم

### ٢٧ (فصل في مذاهب الشيعة في مكر الامامة)

(اعلم) ان الشيعة لغة هم الصحب والاتباع ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من  
الخلف والسلف على اتباع علي وبنيه رضي الله عنهم ومذهبهم جميعا متفقين  
عليه ان الامامة ليست من المصالح العامة التي تفوض الى نظر الامة ويتعين القائم بها  
بتعيينهم بل هي ركن الدين وقاعدة الاسلام ولا يجوز لنبي اغفاله ولا تفويضه الى  
الامة بل يجب عليه تعيين الامام لهم ويكون معصوما من الكبار والصغار  
وان عليا رضي الله عنه هو الذي عينه صلوات الله وسلامه عليه بنصوص ينقلونها  
ويؤثرونها على مقتضى مذهبهم لا يعرفها جهابذة السنة ولا نقله الشريعة بل أكثرها  
موضوع أو مطعون في طريقه أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة وتنقسم هذه النصوص  
عندهم الى جلي وخفي فالجلي مثل قوله من كنت مولاه فعلي مولاه قالوا ولم تطرده هذه  
الولاية الا في علي ولهذا قال له عمر اصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة ومنها قوله  
اقضاكم علي ولا معنى للامامة الا القضاء باحكام الله وهو المراد بأولي الامر الواجبة  
طاعتهم بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الامر منكم والمراد الحكم  
والقضاء ولهذا كان حكا في قضية الامامة يوم السقيفة دون غيره ومنها قوله من  
يباعني على روحه وهو وصي وولي هذا الامر من بعدى فلم يبايعه الا علي ومن الخفي  
عندهم بعث النبي صلى الله عليه وسلم عليا لقراءة سورة براءة في الموسم حين أنزلت  
فانه بعث بها أولا بابكر ثم أوحى اليه ليلقه رجل منك أو من قومك فبعث عليا ليكون  
القاري المبلغ قالوا وهذا يدل على تقديم علي وأيضا فلم يعرف أنه قدم أحد اعلى علي  
وأما أبو بكر وعمر فقدم عليهما في غزاتين أسامة بن زيد مرة وعمر بن العاصي أخرى  
وهذه كلها أدلة شاهدة بتعيين علي للخلافة دون غيره فمنها ما هو غير معروف ومنها ما هو  
بعيد عن تأويلهم ثم منهم من يرى أن هذه النصوص تدل على تعيين علي وتشخيصه  
وكذلك تنقل منه الى من بعده وهو لاهم الامامية ويتبرون عن الشيخين حيث لم

يقدموا

يقدموا عليا ويباعوه بمقتضى هذه النصوص ويغصون في امامتهم ولا يلتفت  
الى نقل القدح فيهم ما من غلاتهم فهو مردود عندنا وعندهم ومنهم من يقول ان هذه  
الدلة انما اقتضت تعيين علي بالوصف لا بالشخص والناس مقصرون حينئذ يضعوا  
الوصف موضعه وهو لاهم الزيدية ولا يتبرون من الشيخين ولا يغصون في امامتهم  
مع قولهم بأن عليا أفضل منهما لكنهم يجوزون امامة المفضل مع وجود الأفضل ثم  
اختلفت نقول هؤلاء الشيعة في مساق الخلافة بعد علي فمنهم من ساقها في ولد فاطمة  
بالنص عليهم واحد بعد واحد على ما يذكر بعد هؤلاء يسمون الامامية نسبة الى  
مقاتلهم باشرط معرفة الامام وتعيينه في الايمان وهي أصل عندهم ومنهم من ساقها في  
ولد فاطمة لكن بالاختيار من الشيوخ وبشرط أن يكون الامام منهم عالما زاهدا  
جوادا شجاعا ويخرج داعيا الى امامته وهو لاهم الزيدية نسبة الى صاحب المذهب  
وهو زيد بن علي بن الحسين السبط وقد كان يناظر أخاه محمدا الباقر على اشتراط  
الخروج في الامام فيلزمه الباقر أن لا يكون أبوهما زين العابدين اماما لانه لم يخرج ولا  
نعرض للخروج وكان مع ذلك ينعي عليه مذهب المعتزلة وأخذه اياه عن واصل بن  
عطاء ولما ناظر الامامية زيدا في امامة الشيخين ورأوه يقول بامامتهما ولا يتبرأ منهما  
رفضوه ولم يجعلوه من الائمة وبذلك سموا رافضة ومنهم من ساقها بعد علي وابنيه السبطين  
على اختلافهم في ذلك الى أخيهما محمد بن الحنفية ثم الى ولده وهم الكيسانية نسبة الى  
كيسان مولاه وبين هذه الطوائف اختلافات كثيرة تركاها اختصارا ومنهم طوائف  
يسمون الغلاة تجاوزوا حد العقل والايمان في القول بالوهمية هؤلاء الائمة اما على انهم  
بشر اتصفوا بصفات الالهية أو ان الاله حل في ذاته البشرية وهو قول بالحلول  
يوافق مذهب النصاري في عيسى صلوات الله عليه ولقد حرق علي رضي الله عنه بالنار  
من ذهب فيه الى ذلك منهم وسخط محمد بن الحنفية المختار بن أبي عبيد الله بلغته مثل ذلك  
عنه فصرح بلغته والبراءة منه وكذلك فعل جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه بمن  
بلغه مثل هذا عنه ومنهم من يقول ان كمال الامام لا يكون لغيره فاذامات انتقلت  
روحهم الى امام آخر ليكون فيه ذلك الكمال وهو قول بالتناسخ ومن هؤلاء الغلاة من  
يقف عند واحد من الائمة لا يتجاوزها الى غيره بحسب من يعين لذلك عندهم وهو لاهم  
الواقعية فبعضهم يقول هو حي لم يمت الا أنه غائب عن أعين الناس ويستشهدون لذلك  
بقصة الخضر قيل مثل ذلك في علي رضي الله عنه وانه في السحاب والرعذونه والبرق  
في سوطه وقالوا مثله في محمد بن الحنفية وانه في جبل رضوى من أرض الحجاز وقال  
شاعرهم



ألا ان الأئمة من قریش \* ولاية الحق أربعة سواء  
على والولاية من بني \* هم الأسباط ليس بهم خفاء  
فسيط سبط إيمان وبر \* وسيط غيبته كبر بلاء  
وسيط لا يدوق الموت حتى \* يقود الجيش يقدمه اللواء  
تغيب لا يرى فيهم زمانا \* برضوى عنده غسل وماء

وقال مثله غلاة الامامية وخصوصا الاثنى عشرية منهم يزعمون أن الثاني عشر من  
أئمتهم وهو محمد بن الحسن العسكري وياقبونه المهدي دخل في سرداب يدارهم بالجلية  
وتغيب حين اعتقل مع أمته وغاب هناك وهو يخرج آخر الزمان فيملأ الأرض عدلا  
يشيرون بذلك إلى الحديث الواقع في كتاب الترمذي في المهدي وهم إلى الآن ينتظرونه  
ويسمونه المنتظر لذلك ويقفون في كل ليلة بعد صلاة المغرب يباب هذا السرداب وقد  
قدموا امر ك بما فيه تفنن باسمه ويدعونه للخروج حتى تشتبك النجوم ثم ينقضون  
ويرجعون الأمر إلى الليلة الآتية وهم على ذلك لهذا العهد وبعض هؤلاء الواقعة  
يقول أن الامام الذي مات يرجع إلى حياته الدنيا ويستهديون لذلك ما وقع في القرآن  
الكريم من قصة أهل الكهف والذي مر على قرية وقيل بنى إسرائيل حين ضرب  
بعظام البقرة التي أمر وأبدحها وشمل ذلك من الخوارق التي وقعت على طريق  
المعجزة ولا يصح الاستشهاد بها في غير مواضعها وكان من هؤلاء السيد الحبري ومن  
شعره في ذلك

إذا ما المرء شاب له قد زال \* وعلمه المواصل بالخصاب  
فقد ذهب بشاشته وأودى \* فقم يا صاح نيك على الشباب  
إلى يوم تثوب الناس فيه \* إلى دنياهم وقيل الحساب  
فليس بعائد ما فات منه \* إلى أحمد إلى يوم الاياب  
أدين بأن ذلك دين حق \* وما أنا في التشور بذي ارتياب  
كذلك الله أخبر عن أناس \* حيوا من بعد درس في التراب

وقد كفنا باموتة هؤلاء الغلاة أئمة الشيعة فانهم لا يقولون بها ويطلون احتجاجاتهم  
عليها وأما الكيسانية فساووا الامامة من بعد محمد بن الحنفية إلى ابنه أبي هاشم  
وهؤلاء هم الهاشمية ثم افترقوا فافهم من ساقها بعده إلى أخيه علي ثم إلى ابنه الحسن بن  
علي وآخرون يزعمون أن أبا هاشم لما مات بأرض السراة منصرفا من الشام أوصى إلى  
محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وأوصى محمد إلى ابنه إبراهيم المعروف بالامام وأوصى  
إبراهيم إلى أخيه عبد الله ابن الحارثية الملقب بالسفاح وأوصى هو إلى أخيه عبد الله

أبي جعفر الملقب بالمنصور وانتقلت في ولده بالنص والعهد واحد بعد واحد إلى  
آخرهم وهذا مذهب الهاشمية القائلين بدولة بني العباس وكان منهم أبو مسلم وسليمان  
ابن كثير وأبو سلمة الخلال وغيرهم من شيعة العباسية ورجم بعضهم ذلك بأن حقهم  
في هذا الأمر يصل إليهم من العباس لانه كان حيا وقت الوفاة وهو أولى بالوراثة بعصية  
العمومة وأما الزيدية فساووا الامامة على مذاهبهم فيها وأنهم باختيار أهل الحل  
والعقد بالنص فقالوا بالامامة علي ثم ابنه الحسن ثم أخيه الحسين ثم ابنه علي زين  
العابد بن ثم ابنه زيد بن علي وهو صاحب هذا المذهب وخرج بالكوفة داعيا إلى  
الامامة فقتل وصاب بالكناسة وقال الزيدية بالامامة ابنه يحيى من بعده فضى إلى  
خراسان وقتل بالخويزجان بعد أن أوصى إلى محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن  
السيط ويقال له النفس الزكية فخرج بالحجاز وتلقب بالمهدي وجاءه عساكر المنصور  
فقتل وعهد إلى أخيه إبراهيم فقام بالبصرة ومعه عيسى بن زيد بن علي فوجه إليهم  
المنصور عساكره فهزم وقتل إبراهيم وعيسى وكان جعفر الصادق أخبرهم بذلك كله  
وهي معدودة في كراماته وذهب آخرون منهم إلى أن الامام بعد محمد بن عبد الله النفس  
الزكية هو محمد بن القاسم بن علي بن عمر وعمر هو أخو زيد بن علي فخرج محمد بن القاسم  
بالطالقان فقبض عليه وسبق إلى المعتصم فحبسه ومات في حبسه وقال آخرون من  
الزيدية أن الامام بعد يحيى بن زيد هو أخوه عيسى الذي حضر مع إبراهيم بن عبد الله  
في قتاله مع المنصور ونقلوا الامامة في عقبه وإليه اتسب دعي الزنج كما نذكره في  
أخبارهم وقال آخرون من الزيدية أن الامام بعد محمد بن عبد الله أخوه إدريس  
الذي فر إلى المغرب ومات هناك وقام بأمره ابنه إدريس واختط مدينة فاس وكان من  
بعده عقبه ملوك بالمغرب إلى أن انقرضوا كما نذكره في أخبارهم وبقي أمر الزيدية بعد  
ذلك غير منظم وكان منهم الداعي الذي ملك طبرستان وهو الحسن بن زيد بن محمد بن  
اسماعيل بن الحسن بن زيد بن علي بن الحسين السبط وأخوه محمد بن زيد ثم قام بهذه الدعوة  
في الديلم الناصر الأتروش منهم وأسلموا على يده وهو الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن  
عمر وعمر أخو زيد بن علي فكانت لبنه بطبرستان دولة وتوسل الديلم من نسبهم إلى الملك  
والاستبداد على الخلفاء بغداد كما نذكر في أخبارهم وأما الامامية فساووا الامامة  
من علي الرضا إلى ابنه الحسن بالوصية ثم إلى أخيه الحسين ثم إلى ابنه علي زين العابد بن ثم  
إلى ابنه محمد الباقر ثم إلى ابنه جعفر الصادق ومن هذا افترقوا ففرقة ساقوها إلى  
ولده اسمعيل ويعرفونه بينهم بالامام وهم الاسماعيلية وفرقة ساقوها إلى ابنه موسى  
الكاظم وهم الاثنا عشرية لوقوفهم عند الثاني عشر من الأئمة وقولهم بغيبته إلى آخر



الزمان كما مرنا أما الاسماعيلية فقالوا بامامة اسمعيل الامام بالنص من آية جعفر وفائدة النص عليه عندهم وان كان قد مات قبل آية انما هو بقاء الامامة في عقبه كقصة هرون مع موسى صلوات الله عليهما قالوا ثم انتقلت الامامة من اسمعيل الى ابنه محمد المكتوم وهو أول الأئمة المستورين لأن الامام عندهم قد لا يكون له شوكة فيستتر وتكون دعائه ظاهرين اقامة للعبادة على الخلق واذا كانت له شوكة ظهر وأظهر دعوته قالوا وبعد محمد المكتوم ابنه جعفر الصادق وبعد ابنه محمد الحبيب وهو آخر المستورين وبعد ابنه عبد الله المهدي الذي أظهر دعوته أبو عبد الله الشيعي في كرامة وتتابع الناس على دعوته ثم أخرجه من معتقله بسجلماسة وملك القيروان والمغرب وملك بنوه من بعده مصر كما هو معروف في أخبارهم ويسمى هؤلاء الاسماعيلية نسبة الى القول بامامة اسمعيل ويسمون أيضا بالباطنية نسبة الى قولهم بالامام الباطن أي المستور ويسمون أيضا الملقاة لما في ضمن مقالاتهم من الاتحاد ولهم مقالات قديمة ومقالات جديدة دعا اليها الحسن بن محمد الصباح في آخر المائة الخامسة وملك حصونا بالشام والعراق ولم تزل دعوته فيها الى أن توزعها الهلاك بين ملوك الترك مصر وبلوك التتر بالعراق فانقرضت ومقالة هذا الصباح في دعوته مذكورة في كتاب الملل والنحل للشهرستاني \* وأما الاثنا عشرية فربما خصوا باسم الامامية عند المتأخرين منهم فقالوا بامامة موسى الكاظم ابن جعفر الصادق لوفاء أخيه الاكبر اسمعيل الامام في حياة أبيهما جعفر فنص على امامة موسى هذا ثم ابنه علي الرضا الذي عهد اليه المأمون ومات قبله فلم يتم له امر ثم ابنه محمد التقي ثم ابنه علي الهادي ثم ابنه محمد الحسن العسكري ثم ابنه محمد المهدي المنتظر الذي قد مناه قبل وفي كل واحدة من هذه المقالات للشبهة اختلاف كثير الا أن هذه أشهر مذاهبهم ومن أراد استيعابها ومطالعها فعليه بكتاب الملل والنحل لابن حزم والشهرستاني وغيرهما فسيبان ذلك والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو العلي الكبير

### ❖ (فصل في انقلاب الخلافة الى الملك) ❖

اعلم أن الملك غاية طبيعية للعصية ليس وقوه عنها اختيار انما هو بضرورة الوجود وترتيبه كما قلناه من قبل وأن الشرائع والديانات وكل أمر يحمل عليه الجمهور فلا بد فيه من العصية اذ المطالبة لاتم الا بها كما قد مناه فالعصية ضرورة للملك وبوجودها يتم أمر الله منها وفي الصحيح ما بعث الله نبيا الا في منعة من قومه ثم وجدنا الشارع قد ذم العصية ونادى الى اطراحها وتركها فقال ان الله أذهب عنكم عبية الجاهلية

قوله عبية الجاهلية قال المجد والعبية وبالكسر الكبير والنحر والنخوة اه

ونحوها

ونحوها لا بآء أنتم بنو آدم وآدم من تراب وقال تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم ووجدناه أيضا قد ذم الملك وأهله ونهى على أهله أحوالهم من الاستمتاع بالخلق والاسراف في غير القصد والتسكب عن صراط الله وانما حض على الالفة في الدين وحذر من الخلاف والفرقة \* واعلم أن الدنيا كلها وأحوالها عند الشارع مطية للآخرة ومن فقد المطية فقد الوصول وليس مراده فيما ينهى عنه أو يذمه من أفعال البشر أو يندب الى تركها مهاله بالكلية أو اقتلاعه من أصله وتعطيل القوى التي ينشأ عليها بالكلية انما قصده تصريفها في أغراض الحق جهد الاستطاعة حتى تصير المقاصد كلها حقا وتجدد الوجهة كما قال صلى الله عليه وسلم من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فلم يذم الغضب وهو يقصد نزعه من الانسان فانه لو زالت منه قوة الغضب لفقد منه الاتصا بالحق وبطل الجهاد واعلاء كلمة الله وانما يذم الغضب للشيطان وللأغراض الذميمة فاذا كان الغضب لذلك كان مذموما واذا كان الغضب في الله ولله كان محمودا وهو من شمائله صلى الله عليه وسلم وكذا ذم الشهوات أيضا ليس المراد ابطالها بالكلية فان من بطلت شهوته كان نقصا في حقه وانما المراد تصريفها فيما أبيع له باشماله على المصالح ليكون الانسان عبدا متصرفا طوع الاوامر الالهية وكذا العصية حيث ذمها الشارع وقال لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم فانما مراده حيث تكون العصية على الباطل وأحواله كما كانت في الجاهلية وأن يكون لاحد خفيها أو حق على أحد لان ذلك مجان من أفعال العقلاء وغير نافع في الآخرة التي هي دار القرار فاما اذا كانت العصية في الحق واقامة أمر الله فأمر مطلوب ولو بطل لبطلت الشرائع اذ لا يتم قوامها الا بالعصية كما قلناه من قبل وكذا الملك لما ذمه الشارع لم يذم منه الغلب بالحق وقهر الكافة على الدين ومراعاة المصالح وانما ذمته لما فيه من التغلب بالباطل وتصريف الآدميين طوع الاغراض والشهوات كما قلناه فلو كان الملك مخلصا في غلبه للناس أنه لله وللهم على عبادة الله وجهاد عدوه لم يكن ذلك مذموما وقد قال سليمان صلوات الله عليه رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لما علم من نفسه أنه بمنعزل عن الباطل في النبوة والملك \* ولما تقي معاوية عمر بن الخطاب رضي الله عنهما عند قدومه الى الشام في أبيه الملك وزيه من العديد والعدة استنكر ذلك وقال اكسرو به يا معاوية فقال يا أمير المؤمنين انافي نغرتجاه العدو وبننا الى مباهايتهم بزينة الحرب والجهاد حاجة فسكت ولم يخطئه لما احتج عليه بقصد من مقاصد الحق والدين فلو كان القصد رفض الملك من أصله لم يقنع به هذا الجواب في تلك



الكسروية واتحاليها بل كان يحترض على خروجه عنها بالجملة وانما أراد عسر  
بالكسروية ما كان عليه أهل فارس في ملكهم من ارتكاب الباطل والظلم والبغى  
وسلوك سبله والغفلة عن الله واجابه معاوية بأن القصد بذلك ليس كسروية فارس  
وباطلهم وانما قصدهم اوجه الله فسكت وهكذا كان شأن الصحابة في رفض الملك  
وأحواله ونسيان عوائده حذر من التباسه بالباطل فلما استحضر رسول الله صلى الله  
عليه وسلم استخلف أبابكر عن الصلاة اذ هي أهم أمور الدين وارتضاه الناس للخلافة  
وهي حل الكافة على أحكام الشريعة ولم يجز للملك ذكر لما أنه مظنة للباطل  
ونحلة يومئذ لاهل الكفر وأعداء الدين فقام بذلك أبو بكر ما شاء الله متبعاً سنن صاحبه  
وقاتل أهل الردة حتى اجتمع العرب على الاسلام ثم عهد الى عمر فاقضى أثره وقاتل الامم  
فغلبهم وأذن للعرب في انتزاع ما بأيديهم من الدنيا والملك فغلبوهم عليه واثرت عودهم  
ثم ضارت الى عثمان بن عفان ثم الى علي رضي الله عنهما والكل متبرؤن من الملك  
منهم كيون عن طريقه وكذلك لديهم ما كانوا عليه من غضاضة الاسلام وبدعوة  
العرب فقد كانوا بعد الامم عن أحوال الدنيا وترفعها لامن حيث دينهم الذي يدعونه  
الى الزهد في النعيم ولا من حيث بداوتهم ومواطنهم وما كانوا عليه من خشونة العيش  
وشظفه الذي ألفوه فلم تكن أمة من الامم أسغب عيشاً من مضرب ما كانوا بالجحاز في  
أرض غير ذات زرع ولا ضرع وكانوا ممنوعين من الارياق وجيوبها بالبعدها  
واختصاصها بمن وليها من ربيعة واليمن فلم يكونوا يطاولون الى خصبها ولقد كانوا  
كثيراً ما يأكلون العقارب والخناسق ويفخرون بأكل العلحز وهو وبر الابل يمهونه  
بالجحارة في الدم ويطنخونه وقرى يامن هذا كانت حال قرى شري مطاعهم ومساكنهم  
حتى اذا اجتمعت عصية العرب على الدين بما أكرمهم الله من نبوة محمد صلى الله عليه  
وسلم زحفوا الى أم فارس والروم وطلبوا ما كتب الله لهم من الارض بوعده الصديق  
فابتزوا ملكهم واستباحوا دنياهم فزحرت بحمار الرفه لديهم حتى كان الفارس  
الواحد يقسم له في بعض الغزوات ثلاثون ألفاً من الذهب وأنحوها فاستولوا من ذلك  
على ما لا يأخذه الحصر وهم مع ذلك على خشونة عيشهم فكان عمر يرقع ثوبه بالجلد  
وكان علي يقول يا صفراء ويا بيضاء غزى غيرى وكان أبو موسى يتجافى عن أكل  
الدجاج لانه لم يعهد لها للعرب لقلتها ومئذ وكانت المناخل مفقودة عندهم بالجملة وانما  
كانوا يأكلون الحنطة بنخالها ومكاسهم مع هذا أتم ما كانت لاحد من أهل العالم قال  
المعويدي في أيام عثمان اقتنى الصحابة الضياع والمال فكان له يوم قتل عند خزنة  
خسون ومائة ألف دينار وألف ألف درهم وقيمة ضياعه بوادي القرى وخيبر

وغيرهما مائة ألف دينار وخلف ابلا وخيلا كثيرة وبلغ الثمن الواحد من متروك الزبير  
بعد وفاته خمسين ألف دينار وخلف ألف فارس وألف امة وصككت غلة طلحة  
من العراق ألف دينار كل يوم ومن ناحية السراة أكثر من ذلك وكان علي مرتبط  
عبد الرحمن بن عوف ألف فارس وله ألف بعير وعشرة آلاف من الغنم وبلغ الربع من  
متروكه بعد وفاته أربعة وثلاثين ألفاً وخلف زيد بن ثابت من الفضة والذهب ما كان  
يكسر بالفوس غير ما خلف من الاموال والضياع بمائة ألف دينار وبني الزبير داره  
بالبصرة وكذلك بني بصير والكوفة والاسكندرية وكذلك بني طلحة داره بالكوفة وشيد  
داره بالمدينة وبناها بالحص والاحجر والساج وبني سعد بن أبي وقاص داره بالعقيق  
ورفع سمكها وأوسع فضاءها وجعل على أعلاها شرافات وبني المقداد داره بالمدينة  
وجعلها بمحصة الظاهر والباطن وخلف يعلى بن منبه خمسين ألف دينار وعقار وغير  
ذلك ما قيمته ثلثمائة ألف درهم احكام الميسودي فكانت مكاسب القوم كما تراه ولم  
يكن ذلك منعياً عليهم في دينهم اذ هي أموال حلال لانها غنائم وفيه ولم يكن تصرفهم  
فيها باسراف انما كانوا على قصد في أحوالهم كما قلنا فلم يكن ذلك بقادح فيهم وان  
كان الاستكثار من الدنيا مذموماً فاعاد ما يرجع الى ما أشرنا اليه من الاسراف والخروج  
به عن القصد واذا كان حالهم قصداً ونفاقاً بهم في سبل الحق ومذاهبه كان ذلك  
الاستكثار عوناً لهم على طرق الحق واكتساب الدار الآخرة فلما تدرجت البداوة  
والغضاضة الى نهايتها وجاءت طبيعة الملك التي هي مقتضى العصية كما قلنا وحصل  
التغلب والقهر كان حكم ذلك الملك عندهم حكم ذلك الرنه والاستكثار من الاموال  
فلم يصرفوا ذلك التغلب في باطل ولا خرجوا به عن مقاصد الديانة ومذاهب الحق \*  
ولما وقعت الفتنة بين علي ومعاوية وهي مقتضى العصية كن طريقهم فيها الحق  
والاجتهاد ولم يكونوا في محاربتهم لغرض ديني أو لا يثار باطل أو لا تستشعار حقد كما قد  
يتوهمه متوهم وينزع اليه ملحد وانما اختلف اجتهادهم في الحق وسفه كل واحد  
نظر صاحبه باجتهاده في الحق فاقتتلوا عليه وان كان المصيب علياً فلم يكن معاوية قائماً  
فيها بقصد الباطل انما قصد الحق وأخطأ والكل كانوا في مقاصدهم على حق ثم اقتضت  
طبيعة الملك الانفراد بالمجد واستئثار الواحد به ولم يكن لمعاوية أن يدفع ذلك عن نفسه  
وقرمة فهو أمر طبيعي ساقته العصية بطبيعتها واستشعرته بنو أمية ومن لم يكن على  
طريقة معاربه في اقتناء الحق من أتباعهم فاعصوا وصوا عليه واستماتوا دونة ولو  
خلفهم معاوية على غير تلك الطريقة وخالفهم في الانفراد بالامر لوقع في افتراق الكلمة  
التي كان جمعها وتآليفها أهم عليه من أمر ليس وراءه كبير مخالفة وقد كان عمر بن



عبد العزيز رضي الله عنه يقول اذا رأى القاسم بن محمد بن أبي بكر لو كان لي من الامر شيء  
لوليت الخلافة ولو اراد أن يعهد اليه لفعل ولكنه كان يخشى من بني أمية أهل الحل  
والعقد لما ذكرناه فلا يقدر أن يحول الامر عنهم لئلا تقع الفرقة وهذا كله انما جعل عليه  
منازع الملك التي هي مقتضى العصية فالملك اذا حصل وفرضنا أن الواحد انفراد به  
وضرقة في مذاهب الحق ووجوهه لم يكن في ذلك نكير عليه ولقد انفرد سليمان وأبوه  
داود صلوات الله عليهما بملك بني اسرائيل لما اقتضته طبيعة الملك فيهم من الانفراد به  
وكانوا ما علمت من النبوة والحق وكذلك عهد معاوية الى يزيد خوفا من افتراق الكلمة  
بما كانت بنو أمية لم يرضوا تسليم الامر الى من سواهم فلو قد عهد الى غيره اختلفوا  
عليه مع أن ظنهم كان به صالحا ولا يرتاب أحد في ذلك ولا يظن بمعاوية غيره فلم يكن  
لعهده اليه وهو يعتقد ما كان عليه من الفسق حاشا لله لمعاوية من ذلك وكذلك كان  
مروان بن الحكم وابنه وان كانوا ملوكا فلم يكن مذهبهم في الملك مذهب أهل البطالة  
والبغي انما كانوا متحيزين لمقاصد الحق جهدهم الا في ضرورة تحملهم على بعضها مثل  
خشية افتراق الكلمة الذي هو أهم لديهم من كل مقصد يشهد لذلك ما كانوا عليه من  
الاتباع والاقداء وما علم السلف من أحوالهم فقد احتج مالك في الموطأ بعمل عبد الملك  
وأما مروان فكان من الطبقة الاولى من التابعين وعد التهم معروفة ثم تدرج الامر  
في ولد عبد الملك وكانوا من الدين بالمكان الذي كانوا عليه وتوسطهم عمر بن عبد العزيز  
ففرغ الى طريقة الخلفاء الاربعة والصحابة جهده ولم يميل ثم جاء خلفهم واستعملوا  
طبيعة الملك في أغراضهم الدنيوية ومقاصدهم ونسوا ما كان عليه سلفهم من تحرر  
القدرة فيها واعتماد الحق في مذاهبها فكان ذلك مما دعا الناس الى أن نعوا عليهم  
افعالهم وأدالوا بالدعوة العباسية منهم وولى رجالها الامر فكانوا من العدالة بمكان  
وصرفوا الملك في وجوه الحق ومذاهبه ما استطاعوا حتى جاء بنو الرشيد من بعده فكان  
منهم الصالح والطالح ثم افضى الامر الى بنيهم فأعطوا الملك والترفع حقه وانغمسوا  
في الدنيا وباطلها ونبتوا الدين وراءهم ظهر باقتناذ الله بحجربهم وانتزاع الامر من  
أيدي العرب جملة وأمكن سواهم منه والله لا يظلم مثقال ذرة ومن تأمل سير هؤلاء  
الخلفاء والملوك واختلافهم في تحرر الحق من الباطل علم صحة ما قلناه وقد حكى  
المسعودي مثله في أحوال بني أمية عن أبي جعفر المنصور وقد حضر عومته وذكروا  
بني أمية فقال أما عبد الملك فكان جبارا لا يبالى بما صنع وأما سليمان فكان همه بطنه  
وفرجه وأما عرفة كان أعور بين عيمان وكان رجل القوم هشام قال ولم يزل بنو أمية  
ضابطين لما عهد لهم من السلطان يحوطونه ويصونون ما وهب الله لهم منه مع تسخيمهم

معالي الامور ورقتهم دنيا سها حتى افضى الامر الى ابنائهم المترفين فكانت همهم  
قصد الشهوات وركوب اللذات من معاصي الله جهلا باستدراجهم وأما ما كره مع  
اطراحهم صيانة الخلافة واستخفافهم بحق الرياسة وضعفهم عن السياسة فسلهم  
الله العز وألبسهم الذل ونفى عنهم النعمة ثم استخضر عبد الله بن مروان فقص عليه  
خبره مع ملك النوبة لما دخل أرضه فأرأى أيام السفاح قال أقت ملء اثم أثنى ملككم  
فقد على الارض وقد بسطت له فرش ذات قيمة فقلت له ما منعك من القعود على  
ثيابنا فقال اني ملك وحق لكل ملك أن يتواضع لعظمة الله اذ رفعه الله ثم قال لم  
تشر بون الخروهي محترمة عليكم في كتابكم فقلت اجترأ على ذلك عبيدنا وأبناءنا قال  
للم تظنون الزرع بدوا بكم والفساد محترم عليكم قلت فعل ذلك عبيدنا وأبناءنا يجهلهم  
قال فلم تلبسون الديباج والذهب والخير وهو محترم عليكم في كتابكم قلت ذهب منا  
الملك واتصروا بقوم من العجم دخلوا في ديننا فلبسوا ذلك على الكره منا فأطرق ينكت  
يده في الارض ويقول عبيدنا وأبناءنا أعاجم دخلوا في ديننا ثم رفع رأسه الى وقال  
أيس كما ذكرتم بل أنتم قوم استحلتم ما حرم الله عليكم وأنتم ما عنه نهيتهم وظلمتم  
فيما ملكتهم فسلبكم الله العز وألبسكم الذل بذنوبكم ولله نقمة لم تبأخ غايتها فيكم وأنا  
خائف أن يحل بكم العذاب وأنتم يلبس فينا التي معكم وانما الضيافة ثلاث فقرؤا  
ما احتجت اليه وارتحل عن أرضي فتعجب المنصور وأطرق فقد سئل كيف انقلبت  
الخلافة الى الملك وأن الامر كان في أوله خلافة ووازع كل أحد فيها من نفسه وهو  
الدين وكانوا يؤثرونه على أمور دنياهم وان أفضت الى هلاكهم وحدثهم دون الكافة  
فهذا عثمان لما حصر في الدار جاءه الحسن والحسين وعبد الله بن عمرو ابن جعفر  
وأمثالهم يريدون المدافعة عنه فأبى ومنع من سب السيوف بين المسلمين مخافة الفرقة  
وحفظا للالفة التي بها حفظ الكلمة ولو أدى الى هلاكه وهذا على اشار عليه المغيرة  
لاول ولايته باستبقاء الزبير ومعاوية وطلمحة على أعمالهم حتى يجتمع الناس على بيعته  
وتتفق الكلمة وله بعد ذلك ما شاء من أمره وكان ذلك من سياسة الملك فأبى فرار من  
الغش الذي ينافيه الاسلام وغدا عليه المغيرة من الغداة فقال لقد أشرت عليك بالامس  
بما أشرت ثم عدت الى نظري ففعلت أنه ليس من الحق والنصيحة وأن الحق فيما رأيته  
أنت فقال على لا والله بل أعلم أنك نصحتني بالامس وغششتني اليوم ولكن منعني مما  
أشرت به ذائد الحق وهكذا كانت أحوالهم في اصلاح دينهم بفساد دنياهم ونحن  
نرفع دنيانا بمزيق ديننا \* فلا ديننا بقي ولا ما نرفع  
فقد رأيت كيف صار الامر الى الملك وبقيت معاني الخلافة من تحرر الدين

قوله عبد الله  
كذا في النسخة  
التونسية وبعض  
القاسية وفي بعضها  
عبد الملك وأظنه  
تصحيفا قاله نصر



ومذاهبه والجرى على منهاج الحق ولم يظهر التغير الا في الوازع الذي كان ديناً ثم انقلب  
عصية وسيفاً وهذا كان الامر لعهد معاوية ومروان وابنه عبد الملك والصدر  
الاول من خلفاء بني العباس الى الرشيد وبعض ولده ثم ذهبت معاني الخلافة ولم يبق  
الا اسمها وصار الامر ملكاً مجتاً وجرت طبيعة التغلب الى غايتها واستعملت في  
أغراضها من القهر والتغلب في الشهوات والملاذ وههنا كذا كان الامر لولد عبد  
الملك وبنى جاء بعد الرشيد من بني العباس واسم الخلافة باقياً فيهم لبقاء عصية العرب  
والخلافة والملك في الطورين ملتبس بعضهما ببعض ثم ذهب رسم الخلافة وأثرها  
بذهاب عصية العرب وفناء جيلهم وتلاشي أحوالهم وبقي الامر ملكاً مجتاً كما كان  
الشأن في ملوك العجم بالمشرك يدينون بطاعة الخليفة تبركا والملك بجميع ألقابه  
ومناحيه لهم وليس للخليفة منه شيء وكذلك فعل ملوك زناة بالمغرب مثل صنهاجة مع  
العبيدين ومغراوة وبني يفرن أيضاً مع خلفاء بني أمية بالاندلس والعبيدين بالقيروان  
فقد تبين أن الخلافة قد وجدت بدون الملك أو لا ثم التبت معانيهما واختلطت ثم انفرد  
الملك حيث افتقرت عصيته من عصية الخلافة والله مقدر الليل والنهار وهو الواحد  
القهار

### ٢٩ (فصل في معنى البيعة)

اعلم أن البيعة هي العهد على الطاعة كأن المبايع يعاهد أميره على أنه يسلم له  
النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين لا يئازره في شيء من ذلك ويطيعه فيما يكلفه به من  
الامر على المنشط والمنكره وكانوا اذا بايعوا الامير وعقدوا عهده جعلوا أيديهم في يده  
تأكيداً للعهد فأشبه ذلك فعل البائع والمشتري فسمى بيعة مصدر باع وصارت البيعة  
مصاحفة بالأيدي هذا مدلولها في عرف اللغة ومعهود الشرع وهو المراد في الحديث  
في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وعند الشجرة وحيثما ورد هذا اللفظ ومنه  
بيعة الخلفاء ومنه أيمان البيعة كان الخلفاء يستخلفون على العهد ويستوعبون  
الايمان كلها لذلك نسمى هذا الاستيعاب أيمان البيعة وكان الأكرام فيها أكثر وأغلب  
ولهذا لما أفتى مالك رضي الله عنه بسقوط عيم الأكرام أنكرها الولاة عليه ورأوها  
فأدخلة في أيمان البيعة ووقع ما وقع من محنة الامام رضي الله عنه وأما البيعة  
المشهورة لهذا العهد فهي تحية الملوك كسروية من تقبل الارض أو اليد  
أو الرجل أو الذيل أطلق عليها اسم البيعة التي هي العهد على الطاعة مجازاً لما كان  
هذا الخضوع في التحية والتزام الآداب من لوازم الطاعة وتوابعها وغلب فيه حتى

البيعة بفتح الموحدة  
أما بكسر هاء على  
وزن شبيعة يكون  
الباء فيهما فهي  
معبد النصراري اهـ

صارت حقيقة عرفية واستغنى بها عن مصاحفة أيدي الناس التي هي الحقيقة في  
الاصل لما في المصاحفة لكل أحد من التنزل والابتدال المنافين للرياسة وضون  
المنصب الملوكي الا في الاقل من يقصد التواضع من المولفياً خذبه نفسه مع خواصه  
ومشاهير أهل الدين من رعيته فافهم معنى البيعة في العرف فانه أكيد على الانسان  
معرفة ما يلزمه من حق سلطانته وامامه ولا تكون أفعاله عبثاً ومجاناً واعتبر ذلك من  
أفعالك مع الملوك والله القوي العزيز

### ٣٠ (فصل في ولاية العهد)

اعلم اننا قد تناولنا الكلام في الامامة ومشروعيتها بما فيها من المصلحة وأن حقيقة النظر في  
مصالح الامة لدينهم وديناهم فهو وليهم والامير عليهم ينظر لهم ذلك في حياته وتبع  
ذلك أن ينظر لهم بعد مماته ويقوم لهم من يتولى أمورهم كما كان هو يتولاها ويتقون  
بنظره لهم في ذلك كما وثقوا به فيما قبل وقد عرف ذلك من الشرع باجماع الامة على  
جوازها وانعقادها اذ وقع بعهد أبي بكر رضي الله عنه لعمر بن الخطاب وأجازوه  
وأوجبوا على أنفسهم به طاعة عمر رضي الله عنه وعنهم وكذلك عهد عمر في الشورى  
الى الستة بقية العشرة وجعل لهم أن يختاروا للمسلمين فقوض بعضهم الى بعض  
حتى أفضى ذلك الى عبد الرحمن بن عوف فاجتهد وناظر المسلمين فوجدهم متفقين على  
عثمان وعلى علي فآثر عثمان بالبيعة على ذلك لما وافقه اياه على لزوم الاقتداء بالشخين  
في كل ما يعين دون اجتهاده فانه قد أمر عثمان لذلك وأوجبوا طاعته والملا من  
الصحابه حاضرون للاولى والثانية ولم ينكروا أحد منهم ندل على أنهم متفقون على  
صحة هذا العهد عارفون بمشروعيتها والاجماع حجة كما عرف ولايتهم الامام في هذا الامر  
وان عهد الى ابيه أو ابنه لانه مأمون على النظر لهم في حياته فأولى أن لا يحتمل فيها تبعه  
بعد مماته خلافاً لمن قال باتهامه في الولد والوالد أولن خصص التهمة بالولد دون الوالد  
فانه بعيد عن الظنة في ذلك كله لاسيما اذا كانت هناك داعية تدعو اليه من اشارة مصلحة  
أو توقع مفسدة فتنتفي الظنة عند ذلك رأياً كما وقع في عهد معاوية لابنه يزيد وان كان  
فعل معاوية مع وفاق الناس له حجة في الباب والذي دعا معاوية لا يشار ابنه يزيد بالعهد  
دون من سواه انما هو مراعاة المصلحة في اجتماع الناس واتفاق أهوائهم باتفاق أهل  
الحل والعقد عليه حينئذ من بني أمية اذ بنو أمية لم يمدوا ليرضون سواهم وهم عصابة  
قريش وأهل الملة أجمع وأهل الغلب منهم فآثره بذلك دون غيره ممن يظن أنه أولى بها  
وعدل عن القاضل الى المفضل حرصاً على الاتفاق واجتماع الأهواء الذي شأنه أهم



عند الشارع وان كان لا يظن بمعاوية غير هذا فعد الله وصحبته مانعة من سوى ذلك وحضوراً كابر الصحابة لذلك وسكوتهم عنه دلائل على انتفاء الريب فيه فليسوا ممن يأخذهم في الحق هوادة وليس معاوية ممن تأخذ العزة في قبول الحق فانهم كلهم أجل من ذلك وعد الله لهم مانعة منه وفرار عبد الله بن عمر من ذلك انما هو محمول على تورعته من الدخول في شيء من الامور مباحا كان أو محظورا كما هو معروف عنه ولم يبق في المخالفة لهذا العهد الذي اتفق عليه الجمهور الا ابن الزبير وندور المخالف معروف ثم انه وقع مثل ذلك من بعد معاوية من الخلفاء الذين كانوا يتحرون الحق ويعملون به مثل عبد الملك وسليمان بن أمية والسقاح والمنصور والمهدي والرشد من بني العباس وأمثالهم ممن عرفت عدالتهم وحسن رأيهم للمسلمين والنظر لهم ولا يعاب عليهم ايشاراً بنائهم واخوانهم وخروجهم عن سنن الخلفاء الاربعة في ذلك فشانهم غير شأن اولئك الخلفاء فانهم كانوا على حين لم تحدث طبيعة الملك وكان الوازع دينياً فعند كل أحد وازع من نفسه فعهدوا الى من يرتضيه الدين فقط وآثروه على غيره ووكلوا كل من يسهو الى ذلك الى وازعه وأمان بعدهم من لدن معاوية فكانت العصية قد أشرفت على غايتها من الملك والوازع الذي قد ضعف واحتج الى الوازع السلطاني والعصاني فلو عهد الى غير من يرتضيه العصية لردت ذلك العهد وانتقض أمره سريعاً وصارت الجماعة الى الفرقة والاختلاف \* سأل رجل علياً رضي الله عنه ما بال المسلمين اختلفوا عليك ولم يختلفوا على أبي بكر وعمر فقال لان أبا بكر وعمر كانوا البين على مثلي وأنا اليوم والى على مثلك بشير الى وازع الدين أفلا ترى الى المأمون لما عهد الى علي بن موسى بن جعفر الصادق وسماه الرضا كيف أنكرت العباسية ذلك ونقضوا بيعته وبايعوا العثم ابراهيم بن المهدي وظهر من الهرج والخلاف وانقطاع السبل وتعدد الثوار والخوارج ما كاد أن يصطلم الامر حتى بادر المأمون من خراسان الى بغداد وردد أمرهم لمعا هذه فلا بد من اعتبار ذلك في العهد فالتصور يختلف باختلاف ما يحدث فيها من الامور والقبائل والعصيات ويختلف باختلاف المصالح ولكل واحد منها حكم يخصه لطفاً من الله لعباده وأما أن يكون القصد بالعهد حفظ التراث على الانباء فليس من المقاصد الدينية اذ هو أمر من الله يخص به من يشاء من عباده ينبغي أن تحسن فيه النية ما أمكن خوفاً من العيب بالمنصب الدينية والملك لله يؤتيه من يشاء \* وعرض هنا أمور تدعو الضرورة الى بيان الحق فيها \* فالاول منها ما حدث في يزيد من الفسق أيام خلافته فإياه أن تظن بمعاوية رضي الله عنه أنه علم ذلك من يزيد فانه أعذل من ذلك وأفضل بل — ان يعدله أيام حياته في سماع

الغناء وينها عنه وهو أقل من ذلك وكانت مذاهبتهم فيه مختلفة ولما حدث في يزيد ما حدث من الفسق اختلف الصحابة حينئذ في شأنه فمنهم من رأى الخروج عليه ونقض بيعته من أجل ذلك كما فعل الحسين وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ومن اتبعهما في ذلك ومنهم من أباه لما فيه من اثار الفتن وكثرة القتل مع العجز عن الوفاء به لان شوكة يزيد يومئذ هي عصابة بني أمية وجهور أهل الحل والعقد من قريش وتستبع عصية مضر أجمع وهي أعظم من كل شوكة ولا تطاق مقارنتهم فأقصر واعن يزيد بسبب ذلك وأقاموا على الدعاء بهدايته والراحة منه وهذا كان شأن جمهور المسلمين والكل مجتهدون ولا ينكر على أحد من الفريقين فقا صدهم في البر وتجرى الحق معروفه وفقنا الله للاقتداء بهم \* والامر الثاني هو شأن العهد من النبي صلى الله عليه وسلم وما تدينه الشيعة من وصيته لعلي رضي الله عنه وهو أمر لم يصح ولا نقله أحد من أئمة النقل والذي وقع في الصحيح من طلب الدواة والقرطاس لكتب الوصية وأن عمر منع من ذلك فدليل واضح على أنه لم يقع وكذا قول عمر رضي الله عنه حين طعن وسئل في العهد فقال ان أعهد فقد عهد من هو خير مني يعني أبا بكر وان أترك فقد ترك من هو خير مني يعني النبي صلى الله عليه وسلم لم يعهد وكذلك قول علي للعباس رضي الله عنهما حين دعاه للدخول الى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن شأنهما في العهد فأبى علي من ذلك وقال انه ان منعنا منها فلا نطمع فيها آخر الدهر وهذا دليل على أن علياً علم أنه لم يوص ولا عهد الى أحد وشبهة الامامية في ذلك انما هي كون الامامة من أركان الدين كما يزعمون وليس كذلك وانما هي من المصالح العامة المفوضة الى نظر الخلق ولو كانت من أركان الدين لكان شأن الصلاة ولما كان يستخلف فيها كما استخلف أبا بكر في الصلاة ولما كان يشتر كما اشترأ أمر الصلاة واحتجاج الصحابة على خلافة أبي بكر بقياسها على الصلاة في قواهم ارتضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا أفلا نرضاه لديننا ناديل على أن الوصية لم تقع ويدل ذلك أيضاً على أن أمر الامامة والعهد بهما لم يكن مهما كما هو اليوم وشأن العصية المراجعة في الاجتماع والافتراق في مجاري العادة لم يكن يومئذ بذلك الاعتبار لان أمر الدين والاسلام كان كله بخوارق العادة من تأليف القلوب عليه واستماتة الناس دونه وذلك من أجل الاحوال التي كانوا يشاهدونها في حضور الملائكة لتصرهم وتردد خبر السماء بينهم وتجدد خطاب الله في كل حادثة تتلى عليهم فلم يحتج الى مراعاة العصية لما شغل الناس من صبغة الانقياد والاذعان وما يستقرهم من تنابيع المعجزات الخارقة والاحوال الالهية الواقعة والملائكة المترددة التي وجوا منها ودهشوا من تابعها فكان أمر الخلافة والملك والعهد والعصية وسائر هذه



الأنواع مندرجاً في ذلك القبيل كما وقع فلما انحسر ذلك المدد بذهاب تلك المعجزات  
ثم بقضاء القرون الذين شاهدوها فاستحالت تلك الصبغة قليلاً قليلاً وذهبت الخوارق  
وصار الحكم للعادة كما كان فاعتبر أمر العصية ومجاري العوائد فيما ينشأ عنها من  
المصالح والمفاسد وأصبح الملك والخلافة والعهد بينهم مأمهما من المهمات الأكيدة كما  
زعموا ولم يكن ذلك من قبل فأنظر كيف كانت الخلافة لعهد النبي صلى الله عليه وسلم  
غير مهمة فلم يعهد فيها ثم تدرجت الأهمية زمان الخلافة بعض الشيء بما دعت  
الضرورة إليه في الحماية والجهاد وشأن الردة والفتوح فكانوا بالخيار في الفعل  
والترك كما ذكرنا عن عمر رضي الله عنه ثم صارت اليوم من أهم الأمور للأمة على الحماية  
والقيام بالمصالح فاعتبرت فيها العصية التي هي سر الوازع عن الفرقة والتخاذل ومنشأ  
الاجتماع والتوافق الكفيل بمقاصد الشريعة وأحكامها \* والأمر الثالث شأن  
الحروب الواقعة في الإسلام بين الصحابة والتابعين فاعلم أن اختلافهم إنما يقع في  
الأمور الدينية وينشأ عن الاجتهاد في الأدلة الصحيحة والمدارك المتعبرة والمجتهدون  
إذا اختلفوا فإن قلنا إن الحق في المسائل الاجتهادية واحد من الطرفين ومن لم  
يصادفه فهو مخطئ فإن جهته لا تتعين باجماع فيبقى الكل على احتمال الإصابة  
ولا يتعين المخطئ منها والتأثم مدفوع عن الكل اجماعاً وإن قلنا إن الكل حق وإن كل  
مجتهد مصيب فأحرى بنفي الخطأ والتأثم وغاية الخلاف الذي بين الصحابة والتابعين  
أنه خلاف اجتهادي في مسائل دينية ظنية وهذا حكمه والذي وقع من ذلك في  
الإسلام إنما هو واقعة على مع معاوية ومع الزبير وعائشة وطلحة وواقعة الحسين مع  
زيد وواقعة ابن الزبير مع عبد الملك فأما واقعة على فإن الناس كانوا عند مقتل عثمان  
مفترقين في الأمصار فلم يشهدوا بيعة على والذين شهدوا فمنهم من بايع ومنهم من توقف  
حتى يجتمع الناس ويتفقوا على إمام كسعد وسعيد وابن عمر وأسامة بن زيد والمغيرة بن  
شعبة وعبد الله بن سلام وقدامة بن مظعون وأبي سعيد الخدري وكعب بن عجرة  
وكعب بن مالك والنعمان بن بشير وحسان بن ثابت ومسلمة بن مخنف وفضالة بن عبيد  
وأمثالهم من أكابر الصحابة والذين كانوا في الأمصار عدلوا عن بيعته أيضاً إلى الطلب  
بدم عثمان وتركوا الأمر فوضي حتى يكون شوري بين المسلمين لمن يولونه وظنوا به على  
هوادة في السكوت عن نصر عثمان من قائله لا في الممالأة عليه فخاش الله من ذلك  
ولقد كان معاوية إذا صرح بجماعته إنما يوجب جهها عليه في سكوتة فقط ثم اختلفوا بعد  
ذلك فرأى على أن بيعته قد انعقدت ولزمت من تأخر عنها باجماع من اجتمع عليها  
بالمدينة دار النبي صلى الله عليه وسلم وموطن الصحابة وأرجأ الأمر في المطالبة بدم

عثمان إلى اجتماع الناس واتفاق الكلمة فيمكن حينئذ من ذلك ورأى الآخرون  
أن بيعته لم تنعقد لا فتراق الصحابة أهل الحل والعقد بالآفاق ولم يحضر الا قليل  
ولا تكون البيعة بالاتفاق أهل الحل والعقد ولا تلزم بيعة من تولاها من غيرهم أو من  
القليل منهم وأن المسلمين حينئذ فوضي فيطالبون أو لا بدم عثمان ثم يجتمعون على إمام  
وذهب إلى هذا معاوية وعمر بن العاصي وأم المؤمنين عائشة والزبير وابنه عبد الله  
وطحمة وابنه محمد وسعد وسعيد والنعمان بن بشير ومعاوية بن خديج ومن كان على  
رأيهم من الصحابة الذين تخلقوا عن بيعة على بالمدينة كما ذكرنا الآن أهل العصر  
الثاني من بعدهم اتفقوا على انعقاد بيعة على ولزومها للمسلمين أجمعين وتصويب رأيهم  
فيما ذهب إليه وتعين الخطأ من جهة معاوية ومن كان على رأيهم وخصوصاً طلحة  
والزبير لا تتقاضاهما على بيعة البيعة له فيما نقل مع دفع التأثم عن كل من الفريقين  
كالشأن في المجتهدين وصار ذلك اجماعاً من أهل العصر الثاني على أحد قولي أهل  
العصر الأول كما هو معروف وأقدسئل على رضي الله عنه عن قتلى الجمل وصفين فقال  
والذي نفسي بيده لا يموتن أحد من هؤلاء وقلبه نقي لا دخل الجنة يشيرا إلى الفريقين  
نقله الطبري وغيره فلا يقعن عندك ريب في عدالة أحد منهم ولا قدح في شيء من ذلك  
فهم من علمت وأقوالهم وأفعالهم إنما هي عن المستندات وعدالتهم مفروغ منها عند  
أهل السنة الاقوال للمعتزلة فيمن قاتل علياً لم يلتفت إليه أحد من أهل الحق ولا عرج  
عليه وإذا نظرت بعين الانصاف عذرت الناس أجمعين في شأن الاختلاف في عثمان  
واختلاف الصحابة من بعده وعلت أنها كانت فتنة ابتلى الله بها الأمة بينما المسلمون  
قد أذهب الله عدوهم وملكتهم أرضهم وديارهم ونزلوا الأمصار على حدودهم  
بالبصرة والكوفة والشام ومصر وكن أكثر العرب الذين نزلوا هذه الأمصار جفاة لم  
يستكثروا من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم ولا هذبتهم سيرته وآدابه ولا ارتاضوا  
بخلقه مع ما كان فيهم من الجاهلية من الجفاء والعصية والتفاخر والبعد عن سكينه  
الايمن وإذا بهم عند استئصال الدولة قد أصبحوا في ملكة المهاجرين والانصار من  
قريش وكثانة وثقيف وهذيل وأهل الحجاز ويثرب السابقين الاقارب إلى الايمان  
فاستكفوا من ذلك وغصوا به لما يرون لانفسهم من التقدم بأنسابهم وكثرة همهم  
ومصادمة فارس والروم مثل قبائل بكر بن وائل وعبد القيس بن ربيعة وقبائل كندة  
والازد من اليمن وقيم وقيس من مضر فصاروا إلى الغرض من قريش والانفة عليهم  
والقريش في طاعتهم والتعلل في ذلك بالتظلم منهم والاستعداد عليهم والطعن فيهم  
بالعجز عن السرية والعدل في القسم عن السوية وفشت القالة بذلك وانتهت إلى



المدينة وهم من علمت فأعظموه وأبلغوه عثمان فبعث الى الامصار من يكشف له الخبر  
بعث ابن عمرو ومحمد بن مسلمة وأسامة بن زيد وأمثالهم فلم ينكروا على الامراء شيئا  
ولارأوا عليهم طعنوا وأدوا ذلك كما علموه فلم ينقطع الطعن من أهل الامصار وما زالت  
الشاعات تنوور في الوليد بن عتبة وهو على الكوفة يشرب الخمر وشهد عليه جماعة  
منهم وحدثه عثمان وعزله ثم جاء الى المدينة من أهل الامصار يسألون عزل العمال وشكوا  
الى عائشة وعلى والزبير وطهعة وعزل لهم عثمان بعض العمال فلم تنقطع بذلك ألسنتهم  
بل وقد سعيده بن العاصي وهو على الكوفة فلما رجع اعترضوه بالطريق وردوه معزولا ثم  
انقل الخلفاء بين عثمان ومن معه من الصحابة بالمدينة ونقموا عليه امتناعه عن العزل  
فأبى إلا أن يكون على جرحه ثم نقلوا النكير الى غير ذلك من أفعاله وهو متمسك  
بالاجتهاد وهم أيضا كذلك ثم تجمع قوم من الغوغاء وجاءوا الى المدينة يظهرن  
طلب النصفة من عثمان وهم يضمرون خلاف ذلك من قتله وفيهم من البصرة والكوفة  
ومصر وقام معهم في ذلك على وعائشة والزبير وطهعة وغيرهم يحاولون تسكين  
الامور ورجوع عثمان الى رأيهم وعزل لهم عامل مصر فأنصرفوا قليلا ثم رجعوا وقد  
لبسوا بكتاب مدلس يزعمون أنهم لقوه في يد حامله الى عامل مصر بأن يقتلهم  
وحلف عثمان على ذلك فقالوا مكان من مروان فانه كاتبك خلف مروان فقال عثمان  
ليس في الحكم أكثر من هذا فحاصروه بدانه ثم يتوعد على حين غفلة من الناس  
وقتلوه وانفتح باب الفتنة فلكل من هؤلاء عذر فيما وقع وكاهم كانوا مهتمين بأمر الدين  
ولا يضيعون شيئا من تعلقاته ثم نظروا بعد هذا الواقع واجتهدوا والله مطلع على  
أحوالهم وعالم بهم ونحن لا نظن بهم الا خيرا لما شهدنا به أحوالهم ومقالات الصادق  
فيهم \* وأما الحسين فانه لما ظهر فسق يزيد عند الكافة من أهل عصره بعثت شيعة  
أهل البيت بالكوفة للحسين أن يأتيهم فيقوموا بأمره فرأى الحسين أن الخروج على  
يزيد متعين من أجل فسقه لاسيما من له القدرة على ذلك وظنهم من نفسه بأهليته  
وشوكته فأما الاهلية فكانت كما ظن وزبادة وأما الشوكة فغلط يرجع الله فيها  
لأن عصية مضر كانت في قريش وعصية قريش في عبيد مناف وعصية عبيد مناف انما  
كانت في بني أمية تعرف ذلك لهم قريش وسائر الناس ولا ينكرونها وانما نسي ذلك أول  
الاسلام لما شغل الناس من الذهول بالخوارق وأمر الوحي وتردد الملائكة لنصرة  
المسلمين فأغفلوا أمور عوائدهم وذهبت عصية الجاهلية ومنازعتها ونسيت ولم يبق الا  
العصية الطبيعية في الحماية والدفاع ينتفع بها في اقامة الدين وجهاد المشركين والدين  
فيها محكم والعادة معزولة حتى اذا انقطع أمر النبوة والخوارق المهولة تراجع الحكم

بعض الشيء للعوائد فعادت العصية كما كانت ولمن كانت وأصبحت مضر أطوع لبني  
أمية من سواهم بما كان لهم من ذلك قبل (فقد) تين لك غلط الحسين الا أنه في أمر  
دينوي لا يضره الغلط فيه وأما الحكم الشرعي فلم يغلط فيه لانه منوط بظنه وكان  
ظنه القدرة على ذلك ولقد عدله ابن العباس وابن الزبير وابن عمر وابن الحنفية أخوه  
وغيره في مسيره الى الكوفة وعلموا غلظه في ذلك ولم يرجع عما هو بسبيله لما أراه الله  
وأما غير الحسين من الصحابة الذين كانوا بالجواز ومع يزيد بالشأم والعراق ومن  
التابعين لهم قرأوا أن الخروج على يزيد وان كان فاسقا لا يجوز لما ينشأ عنه من الهرج  
والدماء فاقصروا عن ذلك ولم يتابعوا الحسين ولا أنكروا عليه ولا أنموه لانه مجتهد وهو  
أسوة المجتهدين ولا يذهب بك الغلط أن تقول بتأثير هؤلاء بمخالفة الحسين وقعودهم  
عن نصره فانهم أكثر الصحابة وكانوا مع يزيد ولم يروا الخروج عليه وكان الحسين  
يستشهد بهم وهو يقاتل بكر بلا على فضله وحقه ويقول سألوا جابر بن عبد الله  
وأبا سعيد الخدري وأنس بن مالك وسهل بن سعيد وزيد بن أرقم وأمثالهم ولم ينكروا  
عليهم قعودهم عن نصره ولا تعرض لذلك لعلمه أنه عن اجتهاد منهم كما كان فعله عن  
اجتهاد منه وكذلك لا يذهب بك الغلط أن تقول بتصويب قتله لما كان عن اجتهاد وان  
كان هو على اجتهاد ويكون ذلك كما يحمد الشافعي والمالكي الحنفي على شرب  
النبيذ واعلم أن الامراء كذلك وقتاله لم يكن عن اجتهاد هؤلاء وان كان خلافه عن  
اجتهادهم وانما انفرد بقتاله يزيد وأصحابه ولا تقول ان يزيد وان كان فاسقا ولم يجز  
هؤلاء الخروج عليه فأفعاله عندهم صحيحة واعلم أنه انما يتقدم من أعمال الفاسق ما كان  
مشروعا وقتال البغاة عندهم من شرطه أن يكون مع الامام العادل وهو مفقود  
في مسئلتنا فلا يجوز قتال الحسين مع يزيد ولا ليزيد بل هي من فعلاته المؤكدة لفسقه  
والحسين فيها شهيد مثاب وهو على حق واجتهادوا الصحابة الذين كانوا مع يزيد على  
حق أيضا واجتهاد وقد غلط القاضي أبو بكر بن العربي المالكي في هذا فقال في  
كتابه الذي سماه بالعواصم والقواصم ما معناه ان الحسين قتل بشرع جده وهو غلط  
جلته عليه الغفلة عن اشتراط الامام العادل ومن أعدل من الحسين في زمانه في امامته  
وعدالته في قتال أهل الآراء \* وأما ابن الزبير فانه رأى في منامه ما رآه الحسين وظن  
كما ظن وغلطه في أمر الشوكة أعظم لأن بني أسد لا يقاتلون بني أمية في جاهلية  
ولا اسلام والقول بتعين الخطا في جهة مخالفة كما كان في جهة معاوية مع علي لا سبيل  
اليه لأن الاجماع هنالك قضى لنا به ولم نجد ههنا \* وأما يزيد فعين خطاه فسقه  
وعبد الملك صاحب ابن الزبير أعظم الناس عدالة وناهيك بعد الله احتياج مالك



بفعله وعدول ابن عباس وابن عمر الى بيعته عن ابن الزبير وهم معه بالجواز مع أن الكثير من الصحابة كانوا يرون أن بيعه ابن الزبير لم ينعقد لانه لم يحضرها أهل العقد والحل كبيعة مروان وابن الزبير على خلاف ذلك والكل مجتهدون مجبولون على الحق في الظاهر وان لم يتعين في جهة منهم ما والقتل الذي نزل به بعد تقرير ما قررناه يوجب على قواعد الفقه وقوانينه مع أنه شهيد مثاب باعتبار قصده وتحريمه الحق وهذا هو الذي ينبغي أن تعمل عليه أفعال السلف من الصحابة والتابعين فهم خيار الأمة وإذا جعلناهم عرضة للقدح فن الذي يختص بالعدالة والنبي صلى الله عليه وسلم لم يقول خيرا للناس قرني ثم الذين يلونهم مرتين أو ثلاثا ثم يفسدوا الكذب فجعل الخيرة وهي العدالة مختصة بالقرن الأول والذي يليه فإياها أن تعود نفسك أو لسانك التعرض لاحد منهم ولا يشوش قلبك بالريب في شئ مما وقع منهم والتس لهم مذهب الحق وطرقه ما استطعت فهم أولى الناس بذلك وما اختلفوا الا عن بينة وما قاتلوا أو قتلوا الا في سبيل جهاد أو اظهار حق واعتقد مع ذلك أن اختلافهم رجة لمن بعدهم من الامة ليقتدى كل واحد من يختاره منهم ويجعله امامه وهاديه ودليله فافهم ذلك وتبين حكمة الله في خلقه وأكوانه واعلم أنه على كل شئ قدير واليه المرجع والمصير والله تعالى أعلم

### ٣٢ (فصل في الخطط الدينية المختلفة)

لما تبين أن حقيقة الخلافة نيابة عن صاحب الشرع في حفظ الدين وسياسة الدنيا فصاحب الشرع متصرف في الأمرين أما في الدين فيقتضي التكليف الشرعية الذي هو أمور بتبليغها وحل الناس عليها وأما سياسة الدنيا فيقتضي رعايته لمصالحهم في العمران البشري وقد قدّمنا أن هذا العمران ضروري للبشر وأن رعايته مصالحه كذلك لا يفسدان أهملت وقدّمنا أن الملك وسطوته كاف في حصول هذه المصالح ثم انما تكون أكمل إذا كانت بالاحكام الشرعية لانه أعلم بهذه المصالح فقد صار الملك يندرج تحت الخلافة إذا كان اسلاميا ويكون من توابعها وقد يتفرد إذا كان في غير الملة وله على كل حال مراتب خادمة ووظائف تابعة بتعين خططا وتوزيع على رجال الدولة ووظائف فيقوم كل واحد بوظيفته حسبما يعينه الملك الذي تكون يده عالية عليهم فيتم بذلك أمره ويحسن قيامه بسلطانه وأما المنصب الخلافي وإن كان الملك يندرج تحتها بهذا الاعتبار الذي ذكرناه فتصرفه الديني يختص بخطط ومراقب لا تعرف الا للخلفاء الاسلاميين فان ذكرنا الآن الخطط الدينية المختصة بالخلافة ونرجع

الى الخطط الملوكية السلطانية فاعلم ان الخطط الدينية الشرعية من الصلاة والقتيا والقضاء والجهاد والحسبة كلها مندرجة تحت الامامة الكبرى التي هي الخلافة فكانها الامام الكبير والاصل الجامع وهذه كلها متفرعة عنها وادخله فيها العموم نظر الخلافة وتصرّفها في سائر أحوال الملة الدينية والدينية وتنفيذ أحكام الشرع فيها على العموم فاما امامة الصلاة فهي أرفع هذه الخطط كلها وأرفع من الملك بخصوصه المندرج معها تحت الخلافة ولقد يشهد لذلك استدلال الصحابة في شأن أبي بكر رضي الله عنه باستخلافه في الصلاة على استخلافه في السياسة في قولهم ارتضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لدينا فلا نرضاه لدينا فلو لا أن الصلاة أرفع من السياسة لم يصح القياس وإذا ثبت ذلك فاعلم أن المساجد في المدينة صنفان مساجد عظيمة كثيرة الغاشية معتدة للصلوات المشهودة وأخرى دونها مختصة بقوم أو محلة وليست للصلوات العامة فأما المساجد العظيمة فأمرها راجع الى الخليفة أو من يفوض اليه من سلطان أو وزير أو قاض فينصب لها الامام في الصلوات الخمس والجمعة والعيدين والخسوفين والاستسقاء وتعين ذلك انما هو من طريق الاولى والاستحسان ولثلايقات الرعايا عليه في شئ من النظر في المصالح العامة وقد يقول بالوجوب في ذلك من يقول بوجوب إقامة الجمعة فيكون نصب الامام لها عنده واجبا \* وأما المساجد المختصة بقوم أو محلة فأمرها راجع الى الجيران ولا تحتاج الى نظر خليفة ولا سلطان وأحكام هذه الولاية وشروطها والمولى فيها معروفة في كتب الفقه وبسبوطه في كتب الاحكام السلطانية للمأوردى وغيره فلا نطول بذكرها ولقد كان الخلفاء الاولون لا يقلدونهم لغيرهم من الناس وانظر من طعن من الخلفاء في المسجد عند الاذان بالصلاة وترصدهم لذلك في أوقاتها يشهد لك ذلك بما شرتهم لها وأنهم لم يكونوا يستخلفون فيها وكذا كان رجال الدولة الاموية من بعدهم استثنوا رايها واستعظام رتبته \* يحكى عن عبد الملك أنه قال لحاجبه قد جعلت لك حجابة بابي الاعن ثلاثة صاحب الطعام فانه يفسد بالتأخير والاذن بالصلاة فانه داع الى الله والبريد فان في تأخير فساد القاصية فلما جاءت طبيعة الملك وعوارضه من الغلظة والترفع عن مساواة الناس في دينهم وديارهم استنابوا في الصلاة فكانوا يستأثرون بها في الاحيان وفي الصلوات العامة كالعيدين والجمعة اشادة وتنويهها فعل ذلك كثير من خلفاء بني العباس والعبيديين صدر دولتهم \* وأما الفسيفساء للخليفة فتعصم أهل العلم والتدريس ورد القيا الى من هو أهل لها واعانتة على ذلك ومنع من ليس أهلا لها وزجره لانها من مصالح المسلمين في أديانهم فتجب عليه مراعاتها الثلاث تعرض لذلك من ليس له بأهل فيفضل الناس وللمدرس



الانتصاب لتعليم العلم وبثه والجلوس لذلك في المساجد فان كانت من المساجد العظام التي للسلطان الولاية عليهم والنظر في أعمتها كما مر فلا بد من استئذانه في ذلك وان كانت من مساجد العامة فلا يتوقف ذلك على اذن على أنه ينبغي أن يكون لكل أحد من المفتين والمدرسين زاجر من نفسه يمنع عن التصدي لما ليس له بأهل فيضل به المستهدى ويضل به المسترشد وفي الاثر أجروكم على القضاة أجروكم على جرائم جهنم قل للسلطان فيهم لذلك من النظر ما توحيه المصلحة من اجازة أو رد \* وأما قضاء فهو من الوظائف الداخلة تحت الخلافة لانه منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسم التداوى وقطع التنازع الا أنه بالاحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة فكان لذلك من وظائف الخلافة ومندرجا في عمومها وكان الخلفاء في صدر الاسلام يباشرونه بأنفسهم ولا يجعلون القضاء الى من سواهم وأول من دفعه الى غيره وقوضه فيه عمر رضي الله عنه فولى أبا الدرداء معه بالمدينة وولى شريحا بالبصرة وولى أبا موسى الأشعري بالكوفة وكتب له في ذلك الكتاب المشهور الذي تدور عليه أحكام القضاة وهي مستوفاة فيه يقول أما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا أدى اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لانفاذه وأس بين الناس في وجهك ومجلسك وعدلك حتى لا يطمع شريف في خيفك ولا يئأس ضعيف من عدلك البينة على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا ولا يمنعك قضاء قضيته أمس فراجعته اليوم فيه عقلك وهديت فيه لرشدك أن ترجع الى الحق فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التماهي في الباطل الفهم الفهم فيما تلجج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة ثم اعرف الامثال والاشباه وقس الامور بنظائرها واجعل ان ادعى حقا غائبا أو بينة أمدا ينتهي اليه فان أحضر بينته أخذت له بحقه والا استعملت القضية عليه فان ذلك أنفي للشك وأجلى للعلماء المسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجلودا في حد أو محجرا عليه شهادة زورا وظنييا في نسب أو ولاء فان الله سبحانه عفا عن الايمان ودرا بالبينات واياك والقلق والخبر والتأفف بالخصوم فان استقرار الحق في مواطن الحق يعظم الله به الاجر ويحسن به الذكروا السلام انتهى كتاب عمر وانما كانوا يقلدون القضاء لغيرهم وان كان مما يتعلق بهم لقيامهم بالسياسة العامة وكثرة أشغالهم من الجهاد والفتوح وسد الثغور وحماية البيضة ولم يكن ذلك مما يقوم به غيرهم اعظم العناية فاستحقوا القضاء في الواقعات بين الناس واستخلفوا فيه من يقوم به تحقيقا على أنفسهم وكانوا مع ذلك انما يقلدونه أهل عصبيتهم بالنسب او الولا ولا يقلدونه لمن بعدهم في ذلك \* وأما أحكام هذا المنصب وشروطه فعمروفة

في كتب الفقه وخصوصا كتب الاحكام السلطانية الا أن القاضي انما كان له في عصر الخلفاء الفصل بين الخصوم فقط ثم دفع اهتم بعد ذلك امورا أخرى الى التدريج بحسب اشتغال الخلفاء والملوك بالسياسة الكبرى واستقر منصب القضاء آخر الامر على أنه يجمع مع الفصل بين الخصوم استيفاء بعض الحقوق العامة للمسلمين بالنظر في أموال المحجور عليهم من المجانين واليتامى والمفلسين وأهل السفه وفي وصايا المسلمين وأوقافهم وتزويج الايامى عند فقد الاولياء على رأى من رآه والنظر في مصالح الطرقات والابنية وتصحيح الشهود والامناء والنواب واستيفاء العلم والخبرة منهم بالعدالة والجرح ليحصل له الوثوق بهم وصارت هذه كلها من تعلقات وظيفته وتوابع ولايته وقد كان الخلفاء من قبل يجعلون للقاضي النظر في المظالم وهي وظيفة ممتزجة من سطوة السلطنة ونصفة القضاء وتحتاج الى علو يد وعظيم رهبة تقمع الظالم من الخصمين وتزجر المتعدي وكأنه يعضى ما يحجز القضاة وغيرهم عن امضاءه ويكون نظره في البيئات والتقارير واعتماد الامارات والغرائن وتأخير الخيكم الى استجلاء الحق وحمل الخصمين على الصلح واستحلاف الشهود وذلك أوسع من نظر القاضي \* وكان الخلفاء الاولون يباشرونهم بأنفسهم الى أيام المهدي من بنى العباس وربما كانوا يجعلونها لقضاة هم كما فعل عمر رضي الله عنه مع قاضيه أبي ادريس الخولاني وكما فعله المأمون لمحي بن ألكم والمعتمد لاحد بن أبي داود وربما كانوا يجعلون للقاضي قيادة الجهاد في عساكر الطوائف وكان يحيى بن ألكم يخرج أيام المأمون بالطائفة الى أرض الروم وكذا منذ بن سعيد قاضي عبدالرحمن الناصر من بنى امية بالاندلس فكانت تولية هذه الوظائف انما تكون للخلفاء أو من يجعلون ذلك له من وزير مفوض أو سلطان متغلب وكان أيضا النظر في الجرائم واقامة الحدود في الدولة العباسية والاموية بالاندلس والعبيدين بمصر والمغرب راجعا الى صاحب الشرطة وهي وظيفة اخرى دينية كانت من الوظائف الشرعية في تلك الدول توسع النظر فيها عن أحكام القضاء قليلا فيجعل للثمة في الحكم مجالا ويفرض العقوبات الزاجرة قبل ثبوت الجرائم ويقيم الحدود النابتة في محالها ويحكم في القود والقصاص ويقيم التعزير والتأديب في حق من لم ينته عن الجريمة ثم تنوبى شأن هاتين الوظيفتين في الدول التي تنوبى فيها امر الخلافة فصار أمر المظالم راجعا الى السلطان كن له تفويض من الخليفة أو لم يكن وانقسمت وظيفة الشرطة قسمين منها وظيفة التهمة على الجرائم واقامة حدودها وباشرة القطع والقصاص حيث يتعين ونصب لذلك في هذه الدول كما يحكم فيها بموجب السياسة دون مراجعة الاحكام الشرعية ويسمى تارة باسم الوالى وتارة



باسم الشرطة وبني قسم التعازير واقامة الحدود في الجرائم الثابتة شرعا فجمع ذلك للقاضي مع ما تقدم وصار ذلك من توابع وظيفته وولايته واستقر الامر لهذا العهد على ذلك وخرجت هذه الوظيفة عن أهل عصية الدولة لان الامر لما كان خلافة دينية وهذه الخطة من مراسم الدين فكانوا لا يولون فيها الامن أهل عصيتهم من العرب ومواليهم بالخلف أو بالرق أو بالاصطناع ممن يوثق بكفائته أو غنائه فيما يدفع اليه \* ولما انقرض شأن الخلافة وطورها وصار الامر كله ملكا أو سلطانا صارت هذه الخطط الدينية بعيدة عنه بعض الشيء لانها ليست من ألقاب الملك ولا من مراسمه ثم خرج الامر جملة من العرب وصار الملك لسواهم من أمم الترك والبربر فازدادت هذه الخطط الخلافية بعد انهم بنحائها وعصيتهم وذلك أن العرب كانوا يرون أن الشريعة دينهم وأن النبي صلى الله عليه وسلم منهم وأحكامه وشرائعه نحلهم بين الامم وطريقهم وغيرهم لا يرون ذلك انما يولونها جانباً من التعظيم لما كانوا بالملّة فقط فصاروا يقلدونها من غير عصابتهم ممن كان تأهل لها في دول الخلفاء السالفة وكان أولئك المتأهلون لما أخذهم ترف الدول منذ اثنين من السنين قد نسوا عهد البداوة وخشونتها والتبسوا بالحضارة في عوائد ترفهم ودعتهم وقلة الممانعة عن أنفسهم وصارت هذه الخطط في الدول الملوكية من بعد الخلفاء مختصة بهذا الصنف من المستضعفين في أهل الامصار ونزل أهلها عن مراتب العز لفقد الاهلية بأنسابهم وما هم عليه من الحضارة فلحقهم من الاحتقار ما لحق الخضر المنغمسين في الترف والدعة البعداء عن عصية الملك الذين هم عيال على الحماية وصار اعتبارهم في الدولة من أجل قيامها بالملّة وأخذها بأحكام الشريعة لما أنهم الحاملون للأحكام المقتدون بها ولم يكن ايشارهم في الدولة حيثذا كراما لذواتهم وانما هو لما يتلج من التجميل بكانهم في مجالس الملك لتعظيم الرتب الشرعية ولم يكن لهم فيها من الحل والعقد شيء وان حضروه فحضور رسمي لاحقية وراءه اذ حقيقة الحل والعقد انما هي لأهل القدرة عليه من لا قدرة له عليه فلا حل له ولا عقد لديه اللهم الا اخذ الأحكام الشرعية عنهم وتلقى الفتاوى منهم فزعم والله الموفق وربما يظن بعض الناس أن الحق فيما وراء ذلك وأن فعل الملوك فيما فعلوه من اخراج الفقهاء والقضاة من الشورى مرجوح وقد قال صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء فاعلم أن ذلك ليس كما ظنه وحكم الملك والسلطان انما يجري على ما تقتضيه طبيعة العمران والا كان بعيدا عن السياسة فطبيعة العمران في هؤلاء لا تقضي لهم شيئا من ذلك لان الشورى والحل والعقد لا تكون الا لصاحب عصية يقتدر بها على حل أو عقد أو فعل أو ترك وأما من لا عصية له ولا يملك من أمر نفسه شيئا

ولا من حمايتها وانما هو عيال على غيره فأى مدخل له في الشورى أو أى معنى يدعو الى اعتبارها فيها اللهم الا شورا فيما يعلم من الاحكام الشرعية فوجوده في الاستفتاء خاصة وأما شورا في السياسة فهو بعيد عنها فقد انه العصية والقيام على معرفة أحوالها وأحكامها وانما أكرامهم من تبرعات الملوك والامراء الشاهدة لهم بمجمل الاعتقاد في الدين وتعظيم من يتسبب اليه بأى جهة اتسبب وأما قوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء فاعلم أن الفقهاء في الغلب لهذا العهد وما احتف به انما جلاوا الشريعة أقوالا في كيفية الاعمال في العبادات وكيفية القضاء في المعاملات ينصونها على من يحتاج الى العمل بها هذه غاية أكابرهم ولا يتصفون الا بالاكل منها وفي بعض الاحوال والسلف رضوان الله عليهم وأهل الدين والورع من المسلمين جلاوا الشريعة اتصافا بها وتحققا بعبادتها في جملة اتصافا وتحققا دون نقل فهو من الوارثين مثل أهل رسالة القشيري ومن اجتمع له الامر ان فهو العالم وهو الوارث على الحقيقة مثل فقهاء التابعين والسلف والأئمة الاربعة ومن اقتفى طريقهم وجاء على اثرهم واذا انفرد واحد من الأئمة بأحد الامرين فالعابد أحق بالورثة من الفقيه الذي ليس بعابد لان العابد ورث صفة والفقيه الذي ليس بعابد لم يرث شيئا انما هو صاحب أقوال ينصها علينا في كفايات العمل وهؤلاء أكثر فقهاء عصرنا الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم \* (العدالة) وهي وظيفة دينية تابعة للقضاء ومن مواد تصريفه وحقيقة هذه الوظيفة القيام عن اذن القاضي بالشهادة بين الناس فيما لهم وعيهم تحملها عند الأشهاد وأداء عند النزاع وكتبا في السجلات تحفظ به حقوق الناس واملا كههم وديونهم وسائر معاملاتهم وشروط هذه الوظيفة الاتصاف بالعدالة الشرعية والبراءة من الجرح ثم القيام بكتب السجلات والعقود من جهة عباراتها وانتظام فصولها ومن جهة احكام شروطها الشرعية وعقودها فيحتاج حينئذ الى ما يتعلق بذلك من الفقه ولاجل هذه الشروط وما يحتاج اليه من المران على ذلك والممارسة له اختص ذلك ببعض العدول وصار الصنف القاعون به كأنهم محتصون بالعدالة وليس كذلك وانما العدالة من شروط اختصاصهم بالوظيفة ويجب على القاضي تصفح أحوالهم والكشف عن سيرهم رعاية لشرط العدالة فيهم وأن لا يهمل ذلك لما يتعين عليه من حفظ حقوق الناس فالعهد عليه في ذلك كله وهو ضامن دركه واذا تعين هؤلاء لهذه الوظيفة عمت الفائدة في تعيين من تتخفى عدالة على القضاة بسبب انساع الامصار واشتباه الاحوال واضطرار القضاة الى الفصل بين المتنازعين بالبينات الموثوقة فيعولون غالباً في الوثوق بها على هذا الصنف ولهم في سائر الامصار دكاكين ومصابط يختصون بالجلوس

المران بكسر الميم  
التمر والاعتقاد  
على الشيء اهـ



عليها في تعاهد هم أصحاب الملامات للشهاد وتقييده بالكتاب وصار مدلول هذه اللفظة مشتركا بين هذه الوظيفة التي تبين مدلولها وبين العدالة الشرعية التي هي اخت الجرح وقديتواردان ويفترقان والله تعالى أعلم \* (الحسبة والسكة) \* أما الحسبة فهي وظيفة دينية من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بامور المسلمين يعين لذلك من يراه اهلا له فيتعين فرضه عليه ويتخذ الاعوان على ذلك ويبحث عن المنكرات ويعزروا يؤدب على قدرها ويحمل الناس على المصالح العامة في المدينة مثل المنع من المضايقة في الطرقات ومنع الخالين وأهل السفن من الاكثار في الحل والحكم على أهل المباني المتداخلة للسقوط بدمها وازالة ما يتوقع من ضررها على السابلة والضرب على أيدي المعلمين في المكاتب وغيرها في الابلاغ في نشرهم للصبيان المتعلمين ولا يتوقف حكمه على تنازع أو استعداد بل له النظر والحكم فيما يصل الى علمه من ذلك ويرفع اليه وليس له امضاء الحكم في الدعاوى مطلقا بل فيما يتعلق بالغش والتدليس في المعايير وغيرها وفي المكاييل والموازين وله أيضا حل الماطلين على الانصاف وامثال ذلك مما ليس فيه سماع بينة ولا انفاذ حكم وكأنها أحكام ينزه القاضي عنها لعمومها وسهولة اغراضها فتدفع الى صاحب هذه الوظيفة ليقوم بها فوضعها على ذلك أن تكون خادمة لمنصب القضاء وقد كانت في كثير من الدول الاسلامية مثل العبيدين بمصر والمغرب والامويين بالاندلس داخله في عموم ولاية القاضي يولي فيها باختياره ثم لما انفردت وظيفة السلطان عن الخلافة وصار نظره عاما في امور السياسة اندرجت في وظائف الملك وافردت بالولاية

\* (وأما السكة) \* فهي النظر في النقود المتعامل بها بين الناس وحفظها مما يداخلها من الغش أو النقص ان كان يتعامل بها عددا أو ما يتعلق بذلك ويوصل اليه من جميع الاعتبارات ثم في وضع علامة السلطان على تلك النقود بالاستجادة والخلوص برسم تلك العلامة فيها من خاتم حديد اتخذ لذلك ونقش فيه نقوش خاصة به فيوضع على الديار بعد أن يقدر ويضرب عليه بالمطرقة حتى ترسم فيه تلك النقوش وتكون علامة على جودته بحسب الغاية التي وقف عندها السبك والتخليص في متعارف أهل القطر ومذاهب الدولة الحاكمة فان السبك والتخليص في النقود لا يقف عند غاية وانما ترجع غايته الى الاجتهاد فاذا وقف أهل أفق أو قطر على غاية من التخليص وقفوا عندها وسموها اماما وعبارة يعتبرون به نقودهم وينتقدونها بماثلته فان نقص عن ذلك كان زيفا والنظر في ذلك كله لصاحب هذه الوظيفة وهي دينية بهذا الاعتبار فتندرج تحت الخلافة وقد كانت تندرج في عموم ولاية القاضي ثم افردت لهذا

العهد كما وقع في الحسبة هذا آخر الكلام في الوظائف الخلافية وبقيت منها وظائف ذهبت بذهاب ما ينظر فيه واخرى صارت سلطانية ووظيفة الامارة والوزارة والحرب والخراج صارت سلطانية تتكلم عليها في أماكنها بعد وظيفة الجهاد ووظيفة الجهاد بطلت بطلانه الا في قليل من الدول يمارسونه ويدرجون أحكامه غالبيا في السلطانيات وكذلك انقابه الانساب التي توصل بها الى الخلافة أو الحق في بيت المال قد بطلت لدور الخلافة ورسموها وبالجمله قد اندرجت رسوم الخلافة ووظائفها في رسوم الملك والسياسة في سائر الدول لهذا العهد والله مصرف الامور كيف يشاء

### ٣٣ فصل في اللقب باسم المؤمنين وانه من سمات الخلافة وهو محدث منذ عهد الخلفاء

وذلك أنه لما بويع أبو بكر رضي الله عنه كان الصحابة رضي الله عنهم وسائر المسلمين يسمونه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يرل الامر على ذلك الى أن هلك فلما بويع عمر بعهد اليه كانوا يدعونه خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانهم استنقلوا هذا اللقب بكثرة وطول اضافته وانه يتزايد فيما بعد دائما الى أن ينتهي الى الهجنة ويذهب منه التميز بتعدد الاضافات وكثرها فلا يعرف فكانوا يعدلون عن هذا اللقب الى ما سواه مما يناسبه ويدعي به مثله وكانوا يسمون قواد البعوث باسم الامير وهو فاعيل من الامارة وقد كان الجاهلية يدعون النبي صلى الله عليه وسلم أمير مكة وأمير الحجاز وكان الصحابة أيضا يدعون سعد بن أبي وقاص أمير المؤمنين لامارته على جيش القادسية وهم معظم المسلمين يؤيدون اتفاق أن دعا بعض الصحابة عمر رضي الله عنه بأمر المؤمنين فاستحسنه الناس واستصوبوه ودعوه به يقال ان أول من دعاه بذلك عبد الله بن جحش وقيل عمرو بن العاصي والمغيرة بن شعبة وقيل يزيد جاء بالفتح من بعض البعوث ودخل المدينة وهو يسأل عن عمر يقول أين أمير المؤمنين وسموها أصحابه فاستحسنوه وقالوا أصبت والله اسمه انه والله أمير المؤمنين حقا فدعوه بذلك وذهب لقبه في الناس وتوارثه الخلفاء من بعده سمة لا يشاركونهم فيها أحد سواهم سائر دولة بني أمية ثم ان الشيعة خصوا عليا باسم الامام فعماله بالامانة التي هي أخت الخلافة وتعرضا بمذهبهم في أنه أحق بالامانة الصلاة من أبي بكر لما هو مذهبهم وبدعتهم فخصوه بهذا اللقب ولم يسوقوا اليه منصب الخلافة من بعده فكانوا كما هم يسمون بالامام ماداموا يدعون لهم في الخفاء حتى اذا يستولون على الدولة يحولون اللقب فيمن بعده الى أمير المؤمنين كما فعلت الشيعة بنى العباس فانهم ما زالوا يدعون أئمتهم بالامام الى ابراهيم الذي جهروا بالدعاء له وعقدوا الرايات للحرب على



أمره فلما هلك دعى أخوه السفاح بأمر المؤمنين وكذا الرافضة بافريقية فأنهم ما زالوا يدعون أئمتهم من ولد اسمعيل بالامام حتى انتهى الامر الى عبيد الله المهدي وكانوا أيضا يدعونه بالامام ولا ينسبونه الى القاسم من بعده فلما استوسق لهم الامر دعوا من بعدهما بأمر المؤمنين وكذلك هذا شأنهم وتوارث الخلفاء هذا اللقب بأمر المؤمنين ادريس الأصغر كذلك وهكذا شأنهم وتوارث الخلفاء هذا اللقب بأمر المؤمنين وجعلوه معة لمن ملك الحجاز والشام والعراق الموطن التي هي ديار العرب ومراكز الدولة وأهل الملة والفتح وازداد ذلك في عنفوان الدولة وبذخها لقب آخر للخلفاء يتميز به بعضهم عن بعض لما في أمير من الاشراف بينهم فاستحدث ذلك بنو العباس حجابا لاسمائهم الاعلام عن امتنانها في السنة السوكة وصون الهاء عن الابتذال فلقبوا بالسفاح والمنصور والمهدي والهادي والشيد الى آخر الدولة واقفي أثرهم في ذلك العبيديون بافريقية ومصر وتجا في بنو أمية عن ذلك بالمشرق قبلهم من الغضاضة والسداجة لان العروبة ومنارهم تفارقهم حينئذ ولم يتحول عنهم شعار البداوة الى شعار الحضارة وأما بالاندلس فلقبوا كسلفهم مع ما علموه من أنفسهم من القصور عن ذلك بالقصور عن ملك الحجاز أصل العرب والملة والبعده عن دار الخلافة التي هي مركز العصية وأنهم انما منعوا بامارة القاصية أنفسهم من مهالك بنو العباس حتى اذا جاء عبد الرحمن الداخل الاخر منهم وهو الناصر بن محمد بن الامير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الاوسط لا قبل المائة الرابعة واشتهر ما نال الخلافة بالمشرق من الحجر واستبداد الموالي وعينهم في الخلفاء بالعزل والاستبدال والقتل والسمل ذهب عبد الرحمن هذا الى مثل مذاهب الخلفاء بالمشرق وافريقية وتسمى بأمر المؤمنين وتلقب بالناصر لدين الله واخذت من بعده عادة ومذهب لقن عنه ولم يكن لا بانه وسلف قومه واستمر الحال على ذلك الى أن انقرضت عصية العرب أجمع وذهب رسم الخلافة وتغلب الموالي من العجم على بنو العباس والصنائع على العبيديين بالقاهرة وصننهاجة على امرء افريقية وزنانة على المغرب وملوك الطوائف بالاندلس على امر بنو أمية واقتسموه واقترق أمر الاسلام فاختلفت مذاهب الملوك بالمغرب والشرق في الاختصاص باللقاب بعد أن تسموا جميعا باسم السلطان \* فأما ملوك المشرق من العجم فكان الخلفاء يخصوصونهم باللقاب تشريفا حتى يستشعر منها انقيادهم وطاعتهم وحسن ولايتهم مثل شرف الدولة وعبد الدولة وركن الدولة ومعز الدولة ونصير الدولة ونظام الملك وبيها الدولة وذخيرة الملك وأمثال هذه وكان العبيديون أيضا يخصوصون بها أمراء صننهاجة فلما استبدت وعلت الخلافة قنعوا بهذه الالقاب

وتجافوا عن ألقاب الخلافة أدبامعها وعدولا عن سماتها المختصة بها شأن المتغلبين المستبدن كما قلناه قبل ونزع المتأخرون أعاجم المشرق حين قوى استبدادهم على الملك وعلا كعبهم في الدولة والسلطان وتلاشت عصية الخلافة واضمحلت بالجملة الى اتحال الالقاب الخاصة بالملك مثل الناصر والمنصور زيادة على ألقاب يحتصون بها قبل هذا الاتحال مشعرة بالخروج عن رتبة الولاء والاصطناع بما أضافوها الى الدين فقط فيقولون صلاح الدين أسد الدين نور الدين \* وأما ملوك الطوائف بالاندلس فاقسموا ألقاب الخلافة وتوزعوا القوة استبدادهم عليها كما كانوا من قبيلها وعصيتها فلقبوا بالناصر والمنصور والمعتمد والمظفر وأمثالها كما قال ابن أبي شرف ينبغي عليهم مما يرهني في أرض اندلس \* أسماء معتد فيها ومعتد

ألقاب مملكة في غير موضعها \* كالمهري يحكي اتقا صورة الاسد

وأما صننهاجة فاقصر وعلت الالقاب التي كان الخلفاء العبيديون يلقبون بها للتسوية مثل نصير الدولة ومعز الدولة واتصل لهم ذلك لما أدوا من دعوة العبيديين بدعوة العباسيين ثم بعدت الشقة بينهم وبين الخلافة ونسوا عهدا فنسوا هذه الالقاب واقتصر وعلت اسم السلطان وكذلك شأن ملوك مغراوة بالمغرب لم يتخلوا شيئا من هذه الالقاب الا اسم السلطان جريا على مذاهب البداوة والغضاضة ولما حكي رسم الخلافة وتعطل دستها وقام بالمغرب من قبائل البربر يوسف بن تاشفين ملك المتونة فلك العدو تين وكان من أهل الخير والافتداء نزعته به همة الى الدخول في طاعة الخليفة تكميل المراسم دينه فخاطب المستظهر العباسي وأوفد عليه ببيعته عبد الله ابن العربي وابنه القاضي أبابكر من مشيخة اشيلية يطلبان توليته اياه على المغرب وتقلده ذلك فانقلبوا اليه بعهد الخلافة له على المغرب واستشعار زيهم في ابوسه ورتبته وخاطبه فيه بأمر المؤمنين تشرى فباله واختصاصا فأتخذها لقباً ويقال انه كان دعى له بأمر المؤمنين من قبل أدبامع رتبة الخلافة لما كان عليه هو وقومه المرابطون من اتحال الدين واتباع السنة وجاء المهدي على أثرهم داعيا الى الحق أخذوا مذاهب الاشعرية تابعيا على أهل المغرب عدولهم عنها الى تقليد السلف في ترك التأويل لظواهر الشريعة وما يؤول اليه ذلك من التجسيم كما هو معروف من مذهب الاشعرية وسمي اتباعه الموحدين تعريضا بذلك النكرو وكان يرى رأى أهل البيت في الامام المعصوم وانه لا بد منه في كل زمان يحفظ بوجوده نظام هذا العالم فسمى بالامام أولا لما قلناه من مذهب الشيعة في ألقاب خلفائهم وأردف بالمعصوم إشارة الى مذهبه في عصمة الامام وتنزه عند اتباعه عن أمير المؤمنين أخذوا مذاهب المتقدمين



من الشيعة ولما فيها من مشاورة الانصار والفرسان من أعقاب أهل الخلافة يؤمنون  
بالمشرق ثم اتحل عبد المؤمن ولي عهد القبط بأمر المؤمنين وجرى عليه من بعده  
خلفاء بني عبد المؤمن وآل أبي حفص من بعدهم استشاراه عن سواهم لما دعا اليه  
شيخهم المهدي من ذلك وأنه صاحب الامر وأولاه من بعده كذلك دون كل  
أحد لا تنفاه عصية قريش ولا شيهاف كان ذلك دأبهم ولما انتقض الامر بالمغرب  
وانتزع زبانة ذهب أولهم مذاهب البداوة والسداجة واتباع لمثونة في اتحال  
اللقب بامير المؤمنين أدبامع رتبة الخلافة التي كانوا على طاعتها لبني عبد المؤمن أولا  
ولبني أبي حفص من بعدهم ثم نزع المتأخرون منهم الى اللقب بأمر المؤمنين واتحلوه  
لهذا العهد تبلاغا في منازع الملك وتتميم المذاهب وسماحة والله غالب على أمره

٣٤ (فصل في شرح اسم البابا والبطرك في الملة النصرانية واسم اللواتين عند اليهود)

(اعلم) أن الملة لا بد لها من قائم عند غيبة النبي يحملهم على أحكامها وشرائعها ويكون  
كالخليفة فيهم للنبي فيما جاء به من التكليف والنوع الانساني أيضا بما تقدم من  
ضرورة السياسة فيهم للاجتماع البشري لا بد لهم من شخص يحملهم على مصالحهم  
ويزعهم عن مفاسدهم بالقهر وهو المسمى بالملك والملة الاسلامية لما كان الجهاد فيها  
مشروعا وعموم الدعوة وحل الكافة على دين الاسلام طوعا وأكرها اتخذت فيها  
الخلافة والملك اتوجه الشوكة من القائمين بها اليهم معا وأما ما سوى الملة الاسلامية  
فلم تكن دعوتهم عامة ولا الجهاد عندهم مشروعا الا في المدافعة فقط فصار القائم بأمر  
الدين فيها لا يعنيه شيء من سياسة الملك وانما وقع الملك لمن وقع منهم بالعرض ولا امر غير  
ديني وهو ما اقتضته لهم العصبية لما فيها من الطلب للملك بالطبع لما قدمناه لانهم غير  
مكافئين بالتغلب على الامم كافي الملة الاسلامية وانما هم مطلوبون بأقامة دينهم في خاصتهم  
ولذلك بقي بنو اسرائيل من بعد موسى ويوشع صلوات الله عليهما نحو أربعة مائة سنة  
لا يعتنون بشيء من أمر الملك انما هم اقامة دينهم فقط وكان لقائهم بينهم يسمى  
الكوهن كائنه خليفة موسى صلوات الله عليه يقيم لهم أمر الصلاة والقربان  
ويشترطون فيه أن يكون من ذرية هرون صلوات الله عليه لان موسى لم يعقب ثم  
اختاروا لاقامة السياسة التي هي للبشر بالطبع سبعين شيخا كانوا يتلون أحكامهم  
العامة والكوهن أعظم منهم رتبة في الدين وأبعد عن شغب الاحكام واتصل ذلك  
فيهم الى أن استحكمت طبيعة العصبية وتمحضت الشوكة لاهل تلك فغلبوا الكنعانيين على  
الارض التي أورشليم الله بيت المقدس وما جاورها كما بين لهم على لسان موسى صلوات

الله عليه فخاربتهم أمم الفلسطينيين والكنعانيين والارمن وأردن وعمان ومأرب ورياستهم  
في ذلك راجعة الى شيوخهم وأقاموا على ذلك نحو من أربعة مائة سنة ولم تكن لهم  
صولة الملك وخبر بنو اسرائيل من مطالبة الامم فطلبوا على لسان شمويل من أنبيائهم  
أن يأذن الله لهم في عليك رجل عليهم طالوت وغلب الامم وقتل جالوت ملك الفلسطينيين ثم  
ملك بعده داود ثم سليمان صلوات الله عليهم ما واستفعل ملكه وامتد الى الحجاز ثم أطراف  
اليمن ثم الى أطراف بلاد الروم ثم افترق الاسباط من بعد سليمان صلوات الله عليه  
بمقتضى العصبية في الدول كما قدمناه الى دولتين كانت احداهما بالجزيرة والموصل  
للاسباط العشرة والاخرى بالقدس والشام لبني يهوذا وبنيامين ثم غلبهم بختنصر ملك  
بابل على ما كان بأيديهم من الملك أولا الاسباط العشرة ثم ثانيا لبني يهوذا وبيت  
المقدس بعد اتصال ملكهم نحو ألف سنة وخرب مسجدهم وأحرق توراتهم وأمان  
دينهم ونقلهم الى اصبهان وبلاد العراق الى أن ردهم بعض ملوك الكيانية من افرس  
الى بيت المقدس من بعد سبعين سنة من خروجهم فبنوا المسجد وأقاموا أمر دينهم  
على الرسم الاول للكهننة فقط والملك لافرس ثم غلب الاسكندر وبنو يونان على القرس  
وصار اليهود في ملكهم ثم فشل أمر اليونانيين فاعتز اليهود عليهم بالعصبية الطبيعية  
ودفعوهم عن الاستيلاء عليهم وقام ملكهم الكهننة الذين كانوا فيهم من بني حشمتاي  
وقاتلوا يونان حتى انقرض أمرهم وغلبهم الروم فصاروا تحت أمرهم ثم رجعوا الى  
بيت المقدس وفيها بنو هيردوس اصهار بني حشمتاي وبقيت دولتهم فحاصروهم مدة  
ثم افتتحوها عنوة وأخشوا في القتل والهدم والتحريق وخربوا بيت المقدس  
وأجلوهم عنها الى رومة وماوراءها وهو الخراب الثاني للمسجد ويسميه اليهود  
بالجلوة الكبرى فلم يبق لهم بعدها ملك لفقدان العصبية منهم وبقوا بعد ذلك في ملكة  
الروم ومن بعدهم يقيم لهم أمر دينهم الرئيس عليهم المسمى بالكوهن \* ثم جاء المسيح  
صلوات الله وسلامه عليه بما جاء به من الدين والنسخ لبعض أحكام التوراة  
وظهرت على يديه الخوارق العجيبة من ابراء الالكه والابرص واحياء الموتى واجتمع  
عليه كثير من الناس وأمنوا به وأكثرهم الخواريون من أصحابه وكانوا اثني عشر  
وبعث منهم رسلا الى الآفاق داعين الى ملته وذلك أيام أوغسطس أول ملوك  
القيصرية وفي مدة هيردوس ملك اليهود الذي انتزع الملك من بني حشمتاي اصهاره  
فسد اليهود وكذبوه وكاتب هيردوس ملكهم ملك القيصرية أوغسطس يغريه به  
فأذن لهم في قتله ووقع ما تلاه القرآن من أمره وافترق الخواريون شيعة وادخل  
أكثرهم بلاد الروم داعين الى دين النصرانية وكان بطرس كبيرهم قنزل برومة دار



ملك القياصرة ثم كتبوا الانجيل الذي أنزل على عيسى صلوات الله عليه في نسخ أربع على اختلاف رواياتهم فكتب متى انجيله في بيت المقدس بالعبرانية ونقله يوحنا بن زبدي منهم الى اللسان اللطيني وكتب لوقا منهم انجيله باللطيني الى بعض أكابر الروم وكتب يوحنا بن زبدي منهم انجيله برومة وكتب بطرس انجيله باللطيني ونسبه الى مرقاس تلميذه واختلفت هذه النسخ الاربع من الانجيل مع أنها ليست كلها وحيا صر قابل مشوبة بكلام عيسى عليه السلام وبكلام الحواريين وكلها مواعظ وقصص والاحكام فيها قليلة جدا واجتمع الحواريون الرسل لذلك العهد برومة ووضعوا قوانين الملة النصرانية وصيروها يسدا قليمطس تلميذ بطرس وكتبوا فيها عدد الكتب التي يجب قبولها والعمل بها من شريعة اليهود القديمة التوراة وهي خمسة أسفار وكتاب يوشع وكتاب القضاة وكتاب راعوث وكتاب يهوذا وأسفار الملوك أربعة وسفر بنيامين وكتب المقاييس لابن كربون ثلاثة وكتاب عزرا الامام وكتاب اوشير وقصة هامان وكتاب أيوب الصديق ومن اميرداود عليه السلام وكتب ابنه سليمان عليه السلام خمسة ونبوات الانبياء الكبار والصغار ستة عشر وكتاب يشوع بن شارخ وزير سليمان ومن شريعة عيسى صلوات الله عليه المتلقة من الحواريين نسخ الانجيل الاربع وكتب القتاليقون سبع رسائل وثانها الايريكسيس في قصص الرسل وكتاب بولس أربع عشرة رسالة وكتاب اقليمطس وفيه الاحكام وكتاب أبوغالمسيس وفيه رؤيا يوحنا ابن زبدي واختلف شأن القياصرة في الاخذ بهذه الشريعة تارة وتعظيم أهلها ثم تركها أخرى والتسلط عليهم بالقتل والبغى الى أن جاء قسطنطين وأخذها واستمر عليها وكان صاحب هذا الدين والمقيم لمراسمه يسمونه البطريرك وهو رئيس الملة عندهم وخليفة المسيح فيهم يعث نوابه وخلفاءه الى ما بعد عنه من أمم النصرانية ويسمونه الاسقف أي نائب البطريرك ويسمون الامام الذي يقيم الصلوات ويقيهم في الدين بالقسيس ويسمون المنقطع الذي حبس نفسه في الخلوة للعبادة بالراهب وأكثر خلواتهم في الصوامع وكان بطرس الرسول رأس الحواريين وكبير التلاميذ برومة يقيم بهادين النصرانية الى أن قتله نيروز خامس القياصرة فيمن قتل من البطارقي والاساقفة ثم قام بجحلافة في كرسي رومة اريوس وكان مرقاس الانجيلي بالاسكندرية ومضر والمغرب دأب سبع سنين فقام بعده حنانيا وتسمى بالبطريرك وهو أول البطاركة فيها وجعل معه اثني عشر قساعلى أنه اذا مات البطريرك يكون واحدا من اثني عشر مكانه ويختار من المؤمنين واحدا مكان ذلك الثاني عشر فكان أمر البطاركة الى القسوس ثم لما وقع الاختلاف بينهم في قواعد دينهم وعقائده واجتمعوا ببنقية أيام قسطنطين

لتحرير الحق في الدين واتفق ثلثمائة وثمانية عشر من أساقفتهم على رأي واحد في الدين فكتبوه وسماه الامام وصيره أصلا يرجعون اليه وكان فيما كتبوه أن البطريرك القائم بالدين لا يرجع في تعيينه الى اجتهاد الاساقفة كما قرره حنانيا تلميذ مرقاس وأبطلوا ذلك الرأي وانما بقا قدم عن ملا واختيار من أئمة المؤمنين ورؤسائهم فبقي الامر كذلك ثم اختلفوا بعد ذلك في تقرير قواعد الدين وكانت لهم مجتمعات في تقريره ولم يختلفوا في هذه القاعدة فبقي الامر فيها على ذلك واتصل فيهم نيابة الاساقفة عن البطاركة وكان الاساقفة يدعون البطريرك بالاب أيضا تعظيما له فأتته الاسم في أعصار متطاولة يقال آخرها بطريرك كية هرقل بالاسكندرية فأرادوا أن يميزوا البطريرك عن الاسقف في التعظيم فدعوه البابا ومعناه أبو الآباء وظهر هذا الاسم أول ظهوره بمصر على ما زعم جر جيس ابن العميد في تاريخه ثم نقلوه الى صاحب الكرسي الاعظم عندهم وهو كرسي رومة لانه كرسي بطرس الرسول كما قدمنا فلم يزل سمة عليه الى الآن ثم اختلفت النصارى في دينهم بعد ذلك وفيما يعتقدونه في المسيح وصاروا طوائف وفرقا واستظهروا بملوك النصرانية كل على صاحبه فاختلف الحال في العصور في ظهور فرقة دون فرقة الى أن استقرت لهم ثلاثة طوائف هي فرقةهم ولا يلتفتون الى غيرها وهم الملكية واليعقوبية والنسطورية ولم نرأنا نسخهم أوراق الكتاب بذكر مذاهب كفرهم فهي على الجلالة معروفة وكلها كفر كما صرح به القرآن الكريم ولم يبق بيننا وبينهم في ذلك جدال ولا استدلال انما هو الاسلام أو الجزية أو القتل ثم اختلفت كل فرقة منهم ببطريرك في بطريرك رومة اليوم المسمى بالبابا على رأى الملكية ورومة للانرجية وملكهم قائم تلك الناحية وبطريرك المعاهد بن بمصر على رأى اليعقوبية وهو ساكن بين طهرانيهم والحبيشة يدينون دينهم ولبطريرك مصر فيهم أساقفة ينوبون عنه في اقامة دينهم هنالك واختص اسم البابا ببطريرك رومة لهذا العهد ولا تسمى المعاقبة بطريركهم بهذا الاسم وضبط هذه اللفظة بياعين موحدين من أسفل والنطق بها منغمة والثانية مشددة ومن مذاهب البابا عند الانرجية أنه يحضهم على الانقياد للملك واحد يرجعون اليه في اختلافهم واجتماعهم تحترج من افتراق الكلمة ويحري به العصبية التي لافوقها منهم لتكون يده عالية على جميعهم ويسمونه الانبرذور وحرفه الوسط بين الذال والطاء المعجمتين ومباشرة يضع التاج على رأسه للتبرك فيسمى المتوج ولعله معنى لفظة الانبرذور وهذا ملخص ما وردناه من شرح هذين الاسمين اللذين هما البابا والكوهن والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء



اعلم أن السلطان في نفسه ضعيف يحمل أمراً ثقيلاً فلا بد له من الاستعانة بأبناء جنسه  
وإذا كان يستعين بهم في ضرورة معاشه وسائر مهنة فحافظك بسياسة نوعه ومن  
استرعاه الله من خلقه وعباده وهو محتاج إلى حيازة الكفاية من عدوهم بالمدافعة عنهم  
والى كف عداوان بعضهم على بعض في أنفسهم بأعضاء الاحكام الموازنة بينهم وكف  
العدوان عليهم في أموالهم بأصلاح سبلتهم والى حملهم على مصالحهم ومناصرتهم به  
البلوى في معاشهم ومعاملاتهم من تفقد المعايير والمكاييل والموازين حذراً من  
التطعيف والى النظر في السكة بحفظ النقود التي يتعاملون بها من الغش والى سياستهم  
بما يريد منهم من الانقياد له والرضا بمقتضاه منهم وانفرادهم بالجدد منهم فيتحمل من  
ذلك فوق الغاية من معاناة القلوب قال بعض الاشراف من الحكماء المعاناة تقل  
الجمال من أمانتها أهون على من معاناة قلوب الرجال ثم ان الاستعانة إذا كانت بأولى  
القربى من أهل النسب أو التربية أو الاصطناع القديم للدولة كانت أكمل لما يقع في  
ذلك من مجانسة خلقهم لخلقهم فتتم المشاكلة في الاستعانة قال تعالى واجعل لي وزيراً  
من أهلي هرون أخى أشد به أزرى وأشركه في أمري وهو أمان أن يستعين في ذلك  
بسيفه أو قلمه أو رأيه أو معارفه أو بحجابه عن الناس أن يزدجوا عليه فيشغلوه عن  
النظر في مهماتهم أو يدفع النظر في الملك كله ويعول على كفايته في ذلك واضطلاعه  
فلذلك قد توجد في رجل واحد وقد تفرق في أشخاص وقد تفرع كل واحد منها إلى  
فروع كثيرة كالقلم يتفرع إلى قلم الرسائل والمحاطبات وقلم الصكوك والاقطاعات والى  
قلم المحاسبات وهو صاحب الجباية والعطاء وديوان الجيش وكالسيف يتفرع إلى  
صاحب الحرب وصاحب الشرطة وصاحب البريد وولاية الثغور \* ثم اعلم أن الوظائف  
السلطانية في هذه الملة الإسلامية مندرجة تحت الخلافة لاشتغال منصب الخلافة على  
الدين والدنيا كما قدمناه فالاحكام الشرعية المتعلقة بجميعها وموجوداتها كل واحدة  
منها في سائر وجوه العموم تعاق الحكم الشرعي بجميع أفعال العباد والفقهاء  
ينظر في مرتبة الملك والسلطان وشروط تقاليدها استبداداً على الخلافة وهو معنى  
السلطان أو تعويضاً عنها وهو معنى الوزارة عندهم كما يأتي وفي نظره في الاحكام  
والاموال وسائر السياسات مطلقاً ومقيداً أو في موجبات العزل ان عرضت وغير ذلك  
من معاني الملك والسلطان وكذا في سائر الوظائف التي تحت الملك والسلطان من وزارة  
أوجباية أو ولاية لا بد لافقيه من النظر في جميع ذلك كما قدمناه من انسحاب حكم  
الخلافة الشرعية في الملة الإسلامية على رتبة الملك والسلطان الآن كلامنا في وظائف  
الملك والسلطان ورتبته انما هو بمقتضى طبيعة العمران ووجود البشر لا بما يخصها

من احكام الشرع فليس من غرض كتابنا كما علمت فلا نحتاج الى تفصيل احكامها  
الشرعية مع أنها مستوفاة في كتب الاحكام السلطانية مثل كتاب القاضي أبي الحسن  
الماوردي وغيره من أعلام الفقهاء فان أردت استيفاء ما نعلمك بطالعها هناك وانما  
تكلمنا في الوظائف الخلافية وأفردها بالتميز بينها وبين الوظائف السلطانية فقط  
للتحقيق احكامها الشرعية فليس من غرض كتابنا وانما تكلمنا في ذلك بما تقتضيه  
طبيعة العمران في الوجود الانساني والله الموفق

\* (الوزارة) \* وهي أم الخطط السلطانية والرتب الملوكية لأن اسمها يدل على مطلق  
الاعانة فان الوزارة مأخوذة من الموازنة وهي المعاونة أو من الوزر وهو الثقل  
كأنه يحمل مع مفاعله أوزاره وأثقاله وهو راجع إلى المعاونة المطلقة وقد كما قدمنا  
في أول الفصل أن أحوال السلطان وتصرفاته لا تعدو أربعة لانها أمان أن تكون في  
أمر حيازة الكفاية وأسبابها من النظر في الجند والسلاح والحروب وسائر أمور  
الحماية والمظالم وصاحب هذا هو الوزير المتعارف في الدول القديمة بالمشرق ولهذا  
العهد بالمغرب وأمان أن تكون في أمور مخاطبته لمن بعده عنه في المكان أو في الزمان  
وتنفيذه الاوامر فمن هو محبوب عنه وصاحب هذا هو الكاتب وأمان أن تكون في  
أمر حيازة المال وانفاقه وضبط ذلك من جميع وجوهه أن يكون بمضيعة وصاحب  
هذا هو صاحب المناجاة والجباية وهو المسمى بالوزير لهذا العهد بالمشرق وأمان أن يكون  
في مدافعة الناس ذوي الحاجات عنه أن يزدجوا عليه فيشغلوه عن فهمه وهذا راجع  
لصاحب الباب الذي يحجبه فلا تعدو أحواله هذه الأربعة بوجه وكل خطوة أو رتبة  
من رتب الملك والسلطان فالهاير جمع الآن الرفع منها ما كانت الاعانة فيه عامة  
فيما تحت يد السلطان من ذلك الصنف اذ هو يقتضي مباشرة السلطان دائماً ومشاركته  
في كل صنف من أحوال ملكه وأقلما كان خاص ببعض الناس أو ببعض الجهات  
فيكون دون الرتبة الأخرى كقيادة ثغراً أو ولاية جباية خاصة أو النظر في أمر خاص  
كحسبة الطعام أو النظر في السكة فان هذه كلها انظر في أحوال خاصة فيكون صاحبها  
تعالى له في النظر العام وتكون رتبته من رتبة لا واثق وما زال الاخر في الدول قبل  
الاسلام هكذا حتى جاء الاسلام وصار الامر خلافة فذهبت تلك الخطط كلها بذهاب  
رسم الملك الى ما هو طبيعي من المعاونة بالرأى والمفاوضة فيه فلم يمكن زواله اذ هو أمر  
لا بد منه فكان صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه ويفاوضهم في مهماته العامة والخاصة  
ويختص مع ذلك بأبواب كبريى خصوصيات أخرى حتى كان العرب الذين عرفوا الدول  
وأحوالها في كسرى وقبصر والنجاشي يسمون أبابكر وزيره ولم يكن لفظ الوزير يعرف بين



المسلمين لذهاب رتبة الملك بسفاحه الاسلام وكذا عمر مع أبي بكر وعلي وعثمان مع عمر  
وأما حال الجباية والانفاق والحسبان فلم يكن عندهم رتبة لأن القوم كانوا عرايا قمين  
لا يحسنون الكتاب والحساب فكانوا يستعملون في الحساب أهل الكتاب أو أفرادا  
من موالى العجم عن مجيده وكان قايلا فيهم وأما أشرافهم فلم يكونوا يجيدونه لأن الاتمية  
كانت صفتهم التي امتازوا بها وكذا حال المخاطبات وتنفيذ الامور لم تكن عندهم رتبة  
خاصة للاتمية التي كانت فيهم والامانة العامة في كتمان القول وتأديته ولم يخرج  
السياسة الى اختباره لأن الخلافة انما هي دين ليست من السياسة الملكية في شيء  
وأضاف لم تكن الكتابة صناعة فيستجد للخليفة أحسنها لأن الكل كانوا يعبرون عن  
مقاصدهم بأبلغ العبارات ولم يبق الا الخط فكان الخليفة يستنوب في كتابته متى عن له  
من يحسنه \* وأما مدافعة ذوى الحاجات عن أبوابهم فكان محظورا بالشريعة فلم  
يفعلوه فلما انقلبت الخلافة الى الملك وجاءت رسوم السلطان والقباه كان أول شيء بدئ  
به في الدولة شأن الباب وسدّه دون الجمهور بما كانوا يخشون على أنفسهم من اغتيال  
الخوارج وغيرهم كما وقع بعمر وعلي ومعاوية وعمر بن العاص وغيرهم مع ما في فتحه من  
ازدحام الناس عليهم وشغلهم بهم عن المهمات فاتخذوا من يقوم لهم بذلك وسموه الحاجب  
وقد جاء أن عبد الملك لما ولي حاجبه قال له قد وليتك حجابة بابي الاعن ثلاثة المؤذن  
للصلاة فانه داعي الله وصاحب البريد فأمر ما جاء به وصاحب الطعام لئلا يفسد ثم  
استفحل الملك بعد ذلك فظهر المشاور والمعين في أمور القبائل والعصائب واستلأفهم  
وأطلق عليه اسم الوزير وبقى أمر الحسبان في الموالى والذمتين واتخذ للسجلات كاتب  
مخصوص حوطة على أسرار السلطان أن تشتهر بفساد سياسته مع قومه ولم يكن بمشابة  
الوزير لانه انما احتج له من حيث الخط والكتاب لا من حيث اللسان الذي هو الكلام  
اذ اللسان لذلك العهد على حاله لم يفسد فكانت الوزارة لذلك أرفع رتبهم يومئذ هذا  
في سائر دولته بنى أتمية فكان النظر للوزير عام في أحوال التدبير والمفاوضات وسائر  
أمور الجبايات والمطالبات وما يتبعها من النظر في ديوان الجند وفرض العطاء بالاهلة  
وعبر ذلك فلما جاءت دولة بني العباس واستفحل الملك وعظمت مراتبه وارتفعت عظم  
شأن الوزير وصارت اليه النيابة في انفاذ الحل والعقد وتعينت مرتبته في الدولة وعنت  
لها الوجوه وخضعت لها الرقاب وجعل لها النظر في ديوان الحسبان لما احتاج اليه  
خطمه من قسم الاعطيات في الجند فاحتاج الى النظر في جمعه وتقريره وأخفيف اليه  
النظر فيه ثم جعل له النظر في القلم والترسيل لصون أسرار السلطان ولحفظ البلاغة لما  
كان اللسان قد فسد عند الجمهور وجعل الخاتم لسجلات السلطان ليحفظها من النفاق

والشباع ودفع اليه قصار اسم الوزير بجامع الخطى السيف والقلم وسائر مدعاني الوزارة  
والمعاونة حتى لقد دعى جعفر بن يحيى بالسلطان أيام الرشيد اشارة الى عموم نظره  
وقيامه بالدولة ولم يخرج عنه من الرتب السلطانية كلها الا الجباية التي هي القيام على  
الباب فلم تكن له لاستكانه عن مثل ذلك ثم جاء في الدولة العباسية شأن الاستبداد على  
السلطان وتعاور فيها استبداد الوزارة مرة والسلطان أخرى وصار الوزير اذا استبد  
محتاجا الى استنابة الخليفة اياه لذلك لتصح الاحكام الشرعية وشي على حالها كما تقدم  
فانقسمت الوزارة حينئذ الى وزارة تنفيذ وهي حال ما يكون السلطان طامعا على نفسه  
والى وزارة تفويض وهي حال ما يكون الوزير مستبدا عليه ثم استمر الاستبداد وصار  
الامر للملك العجم وتعطل رسم الخلافة ولم يكن لأولئك المتغلبين أن يتحلوا القاب  
الخلافة واستنكفوا من مشاركة الوزراء في القاب لانهم خول لهم قسموا بالامانة  
والسلطان وكان المستبد على الدولة يسمى أمير الامراء وبالسلطان الى ما يحل به به  
الخليفة من القاب كما تراه في القابهم وتركوا اسم الوزارة الى من يتولاها للخليفة في  
خاصته ولم يزل هذا الشأن عندهم الى آخر دولتهم وفسد اللسان خلال ذلك كله وصارت  
صناعة يتحلها بعض الناس فامتنعت وترفع الوزراء عنها لذلك ولانهم عجم وليست تلك  
البلاغة هي المقصودة من لسانهم فتخير لها من سائر الطبقات واختصت به وصارت  
خادمة للوزير واختص اسم الأمير بصاحب الحروب والجند وما يرجع اليها ويده مع  
ذلك عالمة على أهل الرتب وأمره نافذ في الكل امانا به أو استبداد واستمر الامر على  
هذا ثم جاءت دولة الترك آخر ما صر فقرأوا أن الوزارة قد استبدت بترفع أولئك عنها  
ودفعها لمن يقوم بها للخليفة المحجور ونظره مع ذلك متعقب بنظر الأمير فصارت مرؤسة  
ناقصة فاستنكف أهل هذه الرتبة العالية في الدولة عن اسم الوزارة وصار  
صاحب الاحكام والنظر في الجند يسمى عندهم بالنائب لهذا العهد وبقى اسم  
الحاجب في مدلوله واختص اسم الوزير عندهم بالنظر في الجباية \* وأما دولته بنى  
أتمية بالاندلس فأنفوا اسم الوزير في مدلوله أول الدولة ثم قسموا خطته أصنافا  
وأفردوا لكل صنف وزيرا فجعلوا الحسبان المال وزيرا ولترسيل وزيرا والنظر في  
حوائج المتظلمين وزيرا والنظر في أحوال أهل الثغور وزيرا وجعل لهم بيت يجلسون  
فيه على فرش منضدة لهم وينفذون أمر السلطان هناك كل فيما جعل له وأفرد للتردد  
بينهم وبين الخليفة واحد منهم ارتفع عنهم مباشرة السلطان في كل وقت فارتفع  
مجلسه عن مجالسهم وخصوه باسم الحاجب ولم يزل الشأن هذا الى آخر دولتهم فارتفعت  
خطة الحاجب ومرتبته على سائر الرتب حتى صار ملوك الطوائف يتحلون لقبها



فأكثرهم يومئذ يسمى الحاجب كما ذكره ثم جاءت دولة الشيعة بقرية والقيروان  
وكان للقبائين بهار سوخ في البداوة فاعقلوا أمر هذه الخطط أولاً وتنقيح أسمائها حتى  
أدركت دولتهم الحضارة فصاروا إلى تقليد الدولتين قبلهم في وضع أسمائها كما تراه في  
أخبار دولتهم \* وذا جاءت دولة الموحدين من بعد ذلك أغفلت الأمر أولاً للبداوة  
ثم صارت إلى احتمال الأسماء والألقاب وكان اسم الوزير في مدلوله ثم اتبعوا دولة  
الأمويين وقد وهبوا في مذاهب السلطان واختاروا اسم الوزير لمن يحجب السلطان  
في مجلسه ويقف بالوفود والداخلين على السلطان عند الحدود في تحييتهم وخطابهم  
والآداب التي تلزم في الدكون بين يديه ورفعوا خطة الحجابة عنه ماشاءوا ولم يرل الشأن  
ذلك إلى هذا العهد وأما في دولة الترك بالمشرق فيسعون هذا الذي يقف بالناس على  
حدود الآداب في اللقاء والتحية في مجالس السلطان والتقدم بالوفود بين يديه  
الدوידار ويضيغون إليه استتباع كاتب السر وأصحاب البريد المتصرفين في حاجات  
السلطان بالقاصية وبالخاضرة وحالهم على ذلك لهذا العهد والله مولى الأمور لمن يشاء  
\* (الحجابة) قد قدمنا أن هذا اللقب كان مخصوصاً في الدولة الأموية والعباسية بمن  
يحجب السلطان عن العامة ويغلق باب دولتهم أو يفتح لهم على قدره في مواقفه  
وكانت هذه منزلة يومئذ عن الخطط مرسلة لها إذا الوزير متصرف فيها بما يراه وهكذا  
كانت سائر أيام بني العباس وإلى هذا العهد فهي بمصر مرسلة لصاحب الخطة العليا  
المسمى بالنائب \* وأما في الدولة الأموية بالاندلس فكانت الحجابة لمن يحجب السلطان  
عن الخاصة والعامة ويكون واسطة بينه وبين الوزراء فمن دولتهم فكانت في دولتهم  
رفيعة غاية كما تراه في أخبارهم كابن حديد وغيره من حجابهم ثم لما جاء الاستبداد على  
الدولة اختص المستبد باسم الحجابة لشرفها فكان المنصور بن أبي عامر وأبناءؤه كذلك  
ولما بدؤوا في مظاهر الملك وأطواره جاء من بعدهم من ملوك الطوائف فلم يتركوا لقبها  
وكانوا يعدونها شرفاً لهم وكان أعظمهم ملكاً بعد انتحال الألقاب الملك وأسمائه لا بد له  
من ذكر الحاجب وذو الوزارتين يعنون به السيف والقلم ويدلون بالحجابة على حجابة  
السلطان عن العامة والخاصة وبذو الوزارتين على جمعه لخطي السيف والقلم ثم لم يكن  
في دول المغرب وافر يقية ذكر لهذا الاسم للبداوة التي كانت فيهم وزعماء جدي في دولة  
العبيدين بمصر عند استعظامها وحضارتها إلا أنه قليل \* ولما جاءت دولة الموحدين  
لم تستمكن فيها الحضارة الداعية إلى انتحال الألقاب وتميز الخطط وتعيينها بالأسماء  
الآخر فلم يكن عندهم من الرتب إلا الوزير فكانوا أولاً يخصون بهذا الاسم الكاتب  
المتصرف في مشارك السلطان في خاص أمره كابن عطية وعبد السلام الكومي وكان له

مع ذلك النظر في الحساب والاشغال المالية ثم صار بعد ذلك اسم الوزير لاهل نسب  
الدولة من الموحدين كابن جامع وغيره ولم يكن اسم الحاجب معروفاً في دولتهم يومئذ  
(وأما بنو أبي حفص باقر يقية) فكانت الرياسة في دولتهم أولاً والتقديم لوزير الرأي  
والمشورة وكان يخص باسم شيخ الموحدين وكان له النظر في الولايات والعزل وقود  
العساكر والحروب واختص الحساب والديوان برتبة أخرى ويسمى متولياً بصاحب  
الاشغال ينظر فيها النظر المطلق في الدخل والخرج ويحاسب ويستخلص الأموال  
ويعاقب على التفريط وكان من شرطه أن يكون من الموحدين واختص عندهم القلم  
أيضاً بمن يجيد الترسيل ويؤمن على الأسرار لأن الكتابة لم تكن من متعلات القوم ولا  
الترسيل بلسانهم فلم يشترط فيه النسب واحتاج السلطان لاتساع ملكه وكثرة المرتزقين  
بداره إلى قهر مان خاص بداره في أحواله يجري بها على قدرها وترتيبها من رزق وعطاء  
وكسوة ونفقة في المطابخ والاصطبلات وغيرهما وحصر الذخيرة وتنفيذ ما يحتاج إليه  
في ذلك على أهل الجباية فخصوه باسم الحاجب وربما أضافوا إليه كتابة العلامة على  
السجلات إذا اتفق أنه يحسن صناعة الكتابة وربما جعلوه لغيره واستقر الأمر على  
ذلك وجب السلطان نفسه عن الناس فصار هذا الحاجب واسطة بين الناس وبين  
أهل الرتب كلهم ثم جمع له آخر الدلالة السيف والحرب ثم الرأي والمشورة فصارت  
الخطة أرفع الرتب وأوعى الخطط ثم جاء الاستبداد والجور مدة من بعد السلطان الثاني  
عشر منهم ثم استبد بعد ذلك حفيده السلطان أبو العباس على نفسه وأذهب آثار الجور  
والاستبداد باذهاب خطة الحجابة التي كانت سماً إليه وبأشرف أموره كلها بنفسه من  
غير استعانة بأحد والأمر على ذلك لهذا العهد

\* (وأما دولة زناتة بالمغرب) \* وأعظمها دولة بني مرين فلا أثر لاسم الحاجب عندهم  
وأما رياسة الحرب والعساكر فهي للوزير ورتبة القلم في الحساب والرسائل راجعة إلى  
من يحسنها من أهلها وان اختصت ببعض البيوت المصطنعين في دولتهم وقد تجمع  
عندهم وقد تفرق وأما باب السلطان وجبته عن العامة فهي رتبة عندهم يسمى  
صاحبها بالمزوار ومعناه المتقدم على الجنادة المتصرفين باب السلطان في تنفيذ أوامره  
وتصرف عقوباته وإنزال سطواته وحفظ المعتقلين في سجونه والعريف عليهم في ذلك  
فالباب له وأخذ الناس بالوقوف عند الحدود في دار العامة راجع إليه فكانت أوزارته  
صغرى

\* (وأما دولة بني عبد الواد) \* فلا أثر عندهم لشيء من هذه الألقاب ولا تميز الخطط  
لبداوة دولتهم وقصورها وانما يخصون باسم الحاجب في بعض الأحوال منفذ



الخاص بالسلطان في داره كما كان في دولة بني أبي حفص وقد يجمعون له الحسابان والسجل كما كان فيها حلهم على ذلك تقليد الدولة بما كانوا في تبعها وقائمين بدعوتها منذ أول أمرهم

\* (وأما أهل الاندلس لهذا العهد) فالخصوص عندهم بالحسابان وتنفيذ حال السلطان وسائر الامور المالية يسمونه بالوكيل وأما الوزير فكان الوزير الأتية قد يجمع له الترسل والسلطان عندهم يضع خطه على السجلات كلها فليس هناك خطه العلامة كما غيرهم من الدول

\* (وأما دولة الترك بمصر) فاسم الحاجب عندهم موضوع لحاكم من أهل الشوكة وهم الترك ينفذ الاحكام بين الناس في المدينة وهم متعددون وهذه الوظيفة عندهم تحت وظيفة النيابة التي لها الحكم في أهل الدولة وفي العائمة على الاطلاق وللنائب التولية والعزل في بعض الوظائف على الاحيان ويقطع القليل من الارزاق ويثبتها وتنفيذ وأمره كما تنفذ المراسم السلطانية وكان له النيابة المطلقة عن السلطان وللحجاب الحكم فقط في طبقات العائمة والجند عند الترافع اليهم واجبار من أبي الانقياد للحكم وطورهم تحت طور النيابة والوزير في دولة الترك هو صاحب جباية الاموال في الدولة على اختلاف أصنافها من خراج أو مكس أو جزية ثم في تصرفها في الانقادات السلطانية أو الجرايات المقطرة وله مع ذلك التولية والعزل في سائر الاعمال المباشرة لهذه الجباية والتنفيذ على اختلاف مراتبهم وتباين أصنافهم ومن عوائدهم أن يكون هذا الوزير من صنف القبط القائمين على ديوان الحساب والجباية لاختصاصهم بذلك في مصر منذ عصور قديمة وقد يوليها السلطان بعض الاحيان لاهل الشوكة من رجالات الترك أو أبناءهم على حسب الداعية لذلك والله مدبر الامور ومصرفها بحكمته لا اله الا هو رب الاولين والآخرين

### ﴿ديوان الاعمال والجبايات﴾

اعلم أن هذه الوظيفة من الوظائف الضرورية للملك وهي القيام على أعمال الجبايات وحفظ حقوق الدولة في الدخل والخرج واحصاء العساكر بأسمائهم وتقدير أرزاقهم وصرف أعطياتهم في ابائهم والرجوع في ذلك الى القوانين التي يرتبها قومة تلك الاعمال وقهارة الدولة وهي كلها مسطورة في كتاب شاهد بتفاصيل ذلك في الدخل والخرج سبني على جزء كبير من الحساب لا يقوم به الا المهرة من أهل تلك الاعمال ويسمى ذلك الكتاب بالديوان وكذلك مكان جلوس العمال المباشرين لها \* ويقال ان

أصل هذه التسمية أن كسرى نظروا الى كتاب ديوانه وهم يحسبون على أنفسهم كأنهم يحادثون فقال ديوانه أي مجانين بلغة الفرس فسمى موضعهم بذلك وحذفت الهاء لكثرة الاستعمال تخفيفا فقل ديوان ثم نقل هذا الاسم الى كتاب هذه الاعمال المتضمن للقوانين والحسابات وقيل انه اسم للشياطين بالفارسية سمي الكتاب بذلك لسرعة نفوذهم في فهم الامور ووقوفهم على الجلي منها والخفي وجمعهم لما شذو وتفرق ثم نقل الى مكان جلوسهم لتلك الاعمال وعلى هذا فبتناول اسم الديوان كتاب الرسائل ومكان جلوسهم بباب السلطان على ما يأتي بعد وقد تفرده هذه الوظيفة بناظر واحد ينظر في سائر هذه الاعمال وقد يفر كل صنف منها بناظر كما يفر في بعض الدول النظر في العساكر واقطاعاتهم وحسابان أعطياتهم أو غير ذلك على حسب مصطلح الدولة وما قرره أولوها \* واعلم أن هذه الوظيفة انما تحدث في الدول عند تمكن الغلب والاستيلاء والنظر في أعطاف الملك وفنون التمهيد وأقول من وضع الديوان في الدولة الاسلامية عمر رضي الله عنه يقال لسبب مال أتى به أبوهريرة رضي الله عنه من البحرين فاستكثره وتعبوا في قسمه فسموا الى احصاء الاموال وضبط العطاء والحقوق فأشار خالد بن الوليد بالديوان وقال رأيت ملوك الشام يدقون فقبل منه عمر وقيل بل أشار عليه به الهرمزان لما رآه يبعث البعث بغير ديوان فقبل له ومن يعلم بعبية من يغيب منهم فان من تخلف أخل بمكانه وانما يضبط ذلك الكتاب فأثبت لهم ديوانا وسأل عمر عن اسم الديوان فعبه ولمما اجتمع ذلك أمر عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا من كتاب قريش فكتبوا ديوان العساكر الاسلامية على ترتيب الانساب مبتدأ من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بعدها الاقرب فالاقرب هكذا كان ابتداء ديوان الجيش وروى الزهري عن سعيد بن المسيب ان ذلك كان في المحرم سنة عشرين \* وأما ديوان الخراج والجبايات فبقي بعد الاسلام على ما كان عليه من قبل ديوان العراق بالفارسية وديوان الشام بالرومية وكتاب الدواوين من أهل العهد من الفريقيين ولما جاء عبد الملك بن مروان واستحال الامر ملكا وانتقل القوم من غضاضة البداوة الى رونق الحضارة ومن سدا جنة الاتية الى حديق الكتابة وظهر في العرب ومواليهم مهرة في الكتاب والحسابان فأمر عبد الملك سليمان بن سعد والى الاردن لعهد ه أن ينقل ديوان الشام الى العربية فأكله لسنة من يوم ابتدائه ووقف عليه سرحدون كاتب عبد الملك فقال لكتاب الروم اطلبوا العيش في غير هذه الضنائة فقد قطعها الله عنكم \* وأما ديوان العراق فأمر الحاجب كاتبه صالح ابن عبد الرحمن وكان يكتب بالعربية والفارسية ولحق ذلك عن زاذان فروح كاتب



الحجاج قبله ولما قتل زاذان في حرب عبد الرحمن بن الأشعث استخلف الحجاج صالحا  
هذا مكانه وأمره أن ينقل الديوان من الفارسية إلى العربية ففعل ورغم ذلك كتاب  
الفرس وكان عبد الحميد بن يحيى يقول لله در صالح ما أعظم منته على الكتاب ثم جعلت  
هذه الوظيفة في دولة بني العباس مضافة إلى من كان له النظر فيه كما كان شأن بني برمك  
وبني سهل بن فوخج وغيرهم من وزراء الدولة \* وأما ما يتعلق بهذه الوظيفة من  
الأحكام الشرعية مما يختص بالجيش أو بيت المال في الدخل والخرج وتغيير النواحي  
بالصلح والعنوة وفي تقليد هذه الوظيفة لمن يكون وشروط الناظر فيها والكتاب  
وقوانين الحسابات فأمر راجع إلى كتب الأحكام السلطانية وهي مسطورة هنالك  
وليست من غرض كتابنا وإنما تكلم فيها من حيث طبيعة الملك الذي نحن بصدده الكلام  
فيه وهذه الوظيفة جزء عظيم من الملك بل هي ثلثة أركان لأن الملك لا يتدبر من الجند  
والمال والمخاطبة لمن غاب عنه فاحتاج صاحب الملك إلى الأعوان في أمر السيف وأمر  
القلم وأمر المال فينقرد صاحبها بذلك بجزء من رياسة الملك وكذلك كان الأمر في دولة  
بني أمية بالاندلس والطوائف بعدهم \* وأما في دولة الموحدين فكان صاحبها إنما  
يكون من الموحدين يستقل بالنظر في استخراج الأموال وجمعها وضبطها وتعبق نظر  
الولاية والعمال فيها ثم تنفذها على قدرها وفي مواقيتها وكان يعرف بصاحب الأشغال  
وكان رعايلها في الجهات غير الموحدين ممن يحسنها \* ولما استبدت بنو أبي حفص  
بأفريقية وكان شأن الجالية من الاندلس فقدم عليهم أهل البيوتات وفيهم من كان  
يستعمل ذلك في الاندلس مثل بنى سعيد أصحاب القلعة جوار غرناطة المعروفين بنى  
أبي الحسن فاستكفوا بهم في ذلك وجعلوا لهم النظر في الأشغال كما كان لهم بالاندلس  
ودالوا فيهم وبين الموحدين ثم استقل بها أهل الحساب والكتاب وخرجت عن  
الموحدين ثم لما استغلظ أمر الحاجب ونفذ أمره في كل شأن من شؤون الدولة تعطل  
هذا الرسم وصار صاحبها مرؤسا للحاجب وأصبح من جملة الجباة وذهبت تلك الرياسة  
التي كانت له في الدولة \* وأما دولة بني مرين لهذا العهد فحسبان العطاء والخراج مجموع  
لواحد وصاحب هذه الرتبة هو الذي يصحح الحسابات كلها ويرجع إلى ديوانه ونظره  
معقب بنظر السلطان أو الوزير وخطه معتبر في صحة الحسابان في الخراج والعطاء هذه  
أصول الرتب والخطط السلطانية وهي الرتب العالية التي هي عامة النظر ومباشرة  
للسلطان \* وأما هذه الرتبة في دولة الترتيقشوة وصاحب ديوان العطاء يعرف بناظر  
الجيش وصاحب المال مخصوص باسم الوزير وهو الناظر في ديوان الجباية العامة  
للدولة وهو أعلى رتب الناظرين في الأموال لأن النظر في الأموال عندهم يتنوع

إلى رتب كثيرة لانفساح دولتهم وعظمة سلطانهم واتساع الأموال والجبايات عن  
أن يستقل بضبطها الواحد من الرجال ولو بلغ في الكفاية مبالغه فتعين للنظر  
العام منها هذا الخصوص باسم الوزير وهو مع ذلك رديف لمولى من موالى السلطان  
وأهل عصيته وأرباب السيوف في الدولة يرجع نظر الوزير إلى نظره ويجهده في  
في متابعتها ويسعى عندهم استاذ الدولة وهو أحد الأمراء الكبار في الدولة من الجند  
وأرباب السيوف ويتبع هذه الخطة خطط عندهم أخرى كلها راجعة إلى الأموال  
والحسبان مقصورة النظر على أمور خاصة مثل ناظر الخاص وهو المباشر لأموال  
السلطان الخاصة به من إقطاعه أو سهمانه من أموال الخراج وبلاد الجباية مما ليس  
من أموال المسلمين العامة وهو تحت يد الأمير استاذ الداروان كان الوزير من الجند  
فلا يكون لاستاذ الدار نظر عليه ونظر الخاص تحت يد الخازن لأموال السلطان من  
مما يسمي خازن الدار لاختصاص وظيفته بمعامل السلطان الخاص \* هذا  
بيان هذه الخطة بدولة الترتيقشوة بالمشرق بعدما قدمناه من أمرها بالمغرب والله مصرف  
الأمور لأرب غير

### ❖ ديوان الرسائل والكتابة ❖

هذه الوظيفة غير ضرورية في الملك لاستغناء كثير من الدول عنها رأسا كما في الدول  
العريقة في البداوة التي لم يأخذها تهذيب الحضارة ولا استحكام الصنائع وإنما أكد  
الحاجة إليها في الدولة الإسلامية شأن اللسان العربي والبلاغة في العبارة عن المقاصد  
فصار الكتاب يؤدي كنه الحاجة بأبلغ من العبارة اللسانية في الأكثر وكان الكاتب  
للأمير يكون من أهل نسبه ومن عظماء قبيله كما كان للخلفاء وأمراء الصحابة بالشام  
والعراق اعظم أمانتهم وخلوص أسرارهم لما قسد اللسان وصار صناعة اختص به  
يحسنه وكانت عند بني العباس رفيعه وكان الكاتب يصدر السجلات مطلقه ويكتب في  
آخرها اسمه ويختتم عليها بخاتم السلطان وهو طابع منقوش فيه اسم السلطان أو شأريه  
يغمس في طين أحمر مذاب بالماء ويسمى طين الختم ويطبع به على طرفي السجل عند  
طيه والصاقه ثم صارت السجلات من بعدهم تصدق باسم السلطان ويضع الكاتب فيها  
علامته أولا أو آخره على حسب الاختيار في محله أو في لفظها ثم قد تنزل هذه الخطة  
بارتفاع المكان عند السلطان لغير صاحبها من أهل المراتب في الدولة أو استبداد  
وزير عليه فتصير علامة هذا الكتاب ملغاة الحكم بعلامة الرئيس عليه يستدل بها  
فيكتب صورة علامته المعهودة والحكم بعلامة ذلك الرئيس كما وقع آخر الدولة



الخصمية لما ارتفع شأن الحجابة وصار أمرها إلى التفويض ثم الاستبداد صار حكم العلامة التي للكاتب ملغى وصورته ثابتة اتباعا لما سلف من أمرها فصار الحاجب يرسم للكاتب امضاء كتابه ذلك بخط يصنعه ويختاره من صيغ الانفاذ ما شاء فيما أمر الكاتب له ويضع العلامة المعتادة وقد يختص السلطان بنفسه بوضع ذلك إذا كان مستبدا بأمره فأعاعلى نفسه فبرسم الامر للكاتب ليضع علامته \* ومن خطط الكتابة التوقيع وهو أن يجلس الكاتب بين يدي السلطان في مجالس حكمه وفصله و يوقع على القصص المرفوعة اليه أحكامها والفصل فيها متلقاة من السلطان بأو جز لفظ وأبلغه فاما أن تصدر كذلك واما أن يحذو الكاتب على مثالها في سجل يكون بيد صاحب القصة ويحتاج الموقع الى عارضة من البلاغة يستقيم بها توقيعه وقد كان جعفر بن يحيى يوقع في القصص بين يدي الرشيد ويرمي بالقصة الى صاحبها فكانت توقيعه تنافس البلاغة في تحصيلها للوقوف فيها على أساليب البلاغة وفنونها حتى قيل انها كانت تباع كل قصة منها بدينار وهكذا كان شأن الدول \* واعلم أن صاحب هذه الخطة لا بد أن يتخير من أرفع طبقات الناس وأهل المرواة والحسنة منهم وزيادة العلم وعارضة البلاغة فانه معرض للنظر في أصول العلم لما يعرض في مجالس الملوك ومقاصد أحكامهم من أمثال ذلك مع ما تدعو اليه عشرة الملوك من القيام على الآداب والتخلق بالفضائل مع ما يضطر اليه في الترسيل وتطبيق مقاصد الكلام من البلاغة وأسرارها وقد تكون الرتبة في بعض الدول مستندة الى أرباب السيف لما يقتضيه طبع الدولة من البعد عن معاناة العلوم لاجل سداجة العصبية فيختص السلطان أهل عصبية بخط دولته وسائر رتبة فيقلد المال والسيف والكتابة منهم فأما رتبة السيف فتستغنى عن معاناة العلم واما المال والكتابة فيضطر الى ذلك للبلاغة في هذه والحسبان في الاخرى فيختارون لها من هذه الطبقة ما دعت اليه الضرورة ويقلدونه الا أنه لا تكون يد آخر من أهل العصبية غالبية على يده ويكون نظره متصرفا عن نظره كما هو في دولة التركة لهذا العهد بالمشرق فان الكتابة عندهم وان كانت لصاحب الانشاء الا أنه تحت يد أمير من أهل عصبية السلطان يعرف بالدو يدار وتعويل السلطان ووثوقه به واستنائه في غالب أحواله اليه وتغويله على الاخر في أحوال البلاغة وتطبيق المقاصد وكمثال الاسرار وغير ذلك من فوائدها \* واما الشروط المعيرة في صاحب هذه الرتبة التي يلاحظها السلطان في اختياره وانتقائه من أصناف الناس فهي كثيرة وأحسن من استوعبها عبد الحميد الكاتب في رسالته الى الكتاب وهي أما بعد حفظكم الله بأهل صناعة الكتابة وحاطكم ووفقكم وأرشدكم فان

الله عز وجل جعل الناس بعد الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن بعد الملوك المكرمين أصنافا وان كانوا في الحقيقة سواء وصرّفهم في صنوف الصناعات وضروب المحاولات الى أسباب معاشهم وأبواب أرزاقهم فجعلكم معشر الكتاب في أشرف الجهات أهل الادب والمرواة والعلم والزينة بكم ينظم للخلافة محاسنها وتستقيم أمورها وينصحاؤكم يصلح الله للخلق سلطانهم وتعمر بلدانهم لا يستغنى الملك عنكم ولا يوجد كاف الامنكم فوقكم من الملوك موقع أسمعهم التي بها يسمعون وأبصارهم التي بها يصرون وألسنتهم التي بها ينطقون وأيديهم التي بها يبطشون فأمتعكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ولا نزاع عنكم ما أضافه من النعمة عليكم وليس أحد من أهل الصناعات كلها أحوج الى اجتماع خلال الخير المحموده وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم أيها الكتاب اذا كنتم على ما يأتي في هذا الكتاب من صفتكم فان الكتاب يحتاج من نفسه ويحتاج منه صاحبه الذي ينشئ به في مهمات أموره أن يكون حليما في موضع الحلم فهميا في موضع الحكم مقداما في موضع الاقدام محجما في موضع الاجسام مؤثرا للعفاف والعدل والانصاف كتوما للاسرار وفيما عند الشدائد عابيا يأتي من النوازل يضع الامور مواضعها والطوارق في أماكنها قد نظرت في كل فن من فنون العلم فأحكمه وان لم يحكمه أخذ منه بمقدار ما يكفي به يعرف بغريزة عقله وحسن أدبه وفضل تجربته ما يرد عليه قبل وروده وعاقبة ما يصد عنه قبل صدوره فيعدل لكل أمر عده وعما دونه يهيئ لكل وجه هيبته وعادته قنفا سوايا معشر الكتاب في صنوف الآداب وتفقهوا في الدين وأبدوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ثم العربية فانها ثقاف ألسنتكم ثم أجيدوا الخط فانه حلية كتبكم وارووا الاشعار واعرفوا غريبها ومعانيها وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها فان ذلك معين لكم على ما تسمعون اليه هممكم ولا تضيعوا النظر في الحساب فانه قوام كتاب الخراج وارغبوا بانفسكم عن المطامع سنيها ودينها وسفاسف الامور ومحارها فانها مدلة للرقاب مفسدة للكتاب ونزهة واصنافكم عن الدناءة وآربوا بانفسكم عن السعاية والنجمة وما فيه أهل الجهالات واياكم والكبر والسخف والعظمة فانها عداوة مجتلبة من غير اخنة وتحابوا في الله عز وجل في صناعتكم وتواصوا عليها بالذي هو أليق لاهل الفضل والعدل والنبل من سلفكم وان بنا الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه وواسوه حتى يرجع اليه حاله ويثوب اليه أمره وان أقعد أحد منكم الكبر عن مكسبه ولقاء اخوانه فزوروه وعظموه وشاوروه واستظهروا بفضل تجربته وقديم معرفته وليكن الرجل منكم على من



اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته اليه أحوط منه على ولده وأخيه فان عرضت في  
الشغل محمدا فلا يصرفها الا الى صاحبه وان عرضت مذمة فليحملها هو من دونه  
وليحذر السقطة والزلة والملل عند تغير الحال فان العيب اليكم معشر الكتاب  
أسرع منه الى الفراء وهو ليكم أفد منه لها فقد علمت أن الرجل منكم اذا صاحبه من  
يذل له من نفسه ما يجب له عليه من حقه فواجب عليه أن يعقد له من وقائه وشكره  
واحتماله وخيره ونصيحته وكتمان سره وتدبير أمره ما هو جزاء لحقه ويصدق ذلك تبعاً  
له عند الحاجة اليه والاضطرار الى ماله فاستشعروا ذلك وفقكم الله من أنفسكم  
في حالة الرخاء والشدّة والحرمان والمواساة والاحسان والسراء والضراء فنعمت  
الشيمة هذه من وسم به من أهل هذه الصناعة الشريفة واذا ولي الرجل منكم أو صير  
اليه من أمر خلق الله وعياله أمر فليراقب الله عز وجل وليؤثر طاعته وليكن على  
الضعيف رقية واللمظلوم منصفاً فان الخلق عيال الله وأحبهم اليه أرفقهم بعيله ثم ليكن  
بالعدل حاكماً ولا يشرف مكرماً وللقى موفراً وللبلاء عامراً وللعمة متلفاً وعن  
أذا هم متخلفاً وليكن في مجلسه متواضعاً حليماً وفي سجلات خراجيه واستقضاء حقوقه  
رفيقاً واذا صاحب أحدكم رجلاً فليختبر خلّقه فاذا عرف حسناتها وقيسها أعانته على  
ما يوافق من الحسن واحتال على صرفه عما يهواه من القبح بألطف حيلة وأجل  
وسيلة وقد علمت أن سائس البهيمة اذا كان بصيراً بسياستها التمس معرفة أخلاقها  
فان كانت رموحاً لم يهجمها اذا ركبها وان كانت شجوباً اتقاها من بين يديها وان خاف  
منها شروداً توقاها من ناحية وأسها وان كانت حروناً قم برفق هوها في طرقها فان  
امتدت عطفها يسيراً فيسأس له قيادها وفي هذا الوصف من السياسة دلائل لمن  
سأس الناس وعاملهم وجربهم وداخلهم والكتاب لفضل أدبه وشريف  
صنعتة ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاوله من الناس وينظره ويفهم عنه  
أو يخاف سطوته أولى بالرفق لصاحبه ومبذراته وتقويم أوده من سائس  
البهيمة التي لا تحير جواباً ولا تعرف صواباً ولا تفهم خطاباً الا بقدر ما يصيرها اليه  
صاحبها الرأكب عليها الا فارقوا رحمتكم الله في النظر واعلموا ما أمكنكم فيه من  
الروية والفكر تأمنوا بآذن الله من صميمه النبوة والاستئصال والجفوة ويصير منكم  
الى الموافقة وتصيروا منه الى المواخاة والشفقة ان شاء الله ولا يجاوزن الرجل منكم في  
هيئة مجلسه وملبسه ومركبه ومطعمه ومشربه ونسبه وخدسه وغير ذلك من فنون  
أمره قدر حقه فانكم مع ما فضلكم الله به من شرف صنعتكم خدمة لا يحملون في  
خدمتكم على التقصير وحفظه لا تحتمل منكم أفعال التضييع والتبذير واستعينوا

على عفافكم بالقصد في كل ما ذكرته لكم وقصصته عليكم واحذروا متالف السرف  
وسوء عاقبة الترف فانهم ما يعقبان الفقر ويذلان الرقاب ويفضخان أهلها ولا سيما  
الكتاب وأرباب الآداب وللأموار أشباه وبعضها دال على بعض فاستدلوا على  
مؤتلف أعمالكم بما سبقت اليه تجربتكم ثم اسلكوا من مسالك التدبير وأضحها بحجة  
وأصدقها بحجة وأجدها عاقبة واعلموا أن للتدبير آفة متلفة وهو الوصف الشاغل  
لصاحبه عن انفاذ عمله ورويته فليقصده الرجل منكم في مجلسه قصد الكافي من منطقته  
وليؤجر في ابتدائه وجوابه وليأخذ بجماع حججه فان ذلك مصلحة لفعله ومدفوعة  
للساغل عن اكثاره وليضرع الى الله في صلة توفيقه وامداده بتسديده مخافته وقوعه  
في الغلط المضرب يده وعقله وآدابه فانه ان ظن منكم ظاناً أو قال قائل ان الذي برز من  
جبل صنعتة وقوة حركته انما هو بفضل حيلته وحسن تدبيره فقد تعرض بحسن ظنه  
أو مقالته الى أن يكله الله عز وجل الى نفسه فيصير منها الى غير كاف وذلك على من تأمله  
غير خاف ولا يقول أحد منكم انه أبصر بالأمور وأجل لعب التدبير من مرافقه في  
صنعتة ومصاحبه في خدمته فان أعقل الرجلين عند ذوى الالباب من رعى بالعجب  
وراء ظهره ورأى أن أصحابه أعقل منه وأجل في طريقته وعلى كل واحد من الفريقين  
أن يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه من غير اغترار برأيه ولا تركية لنفسه ولا يكثر على  
أخيه أو نظيره وصاحبه وعشيرته وحمد الله واجب على الجميع وذلك بالتواضع لعظمته  
والتدلل لعزته والتحدث بنعمته (وأنا أقول) في كتابي هذا ما سبق به المثل من تلزمه  
النصيحة يلزمه العمل وهو جوهر هذا الكتاب وغزة كلامه بعد الذي فيه من ذكر  
الله عز وجل فلذلك جعلته آخره ونعمته به تولاها الله واياكم يا معشر الطلبة والكتبة بما  
يتولى به من سبق علمه بإسعاده وإرشاده فان ذلك اليه ويده والسلام عليكم ورحمة  
الله وبركاته اهـ \* (الشرطة) \* ويسمى صاحبها بهذا العهد بأمر بقيمة الحاكم وفي  
دولة أهل الاندلس صاحب المدينة وفي دولة الترك الزالى وهى وظيفة مرؤسة لصاحب  
السيوف في الدولة وحكمه نافذ في صاحبها في بعض الاحيان وكان أصل وضعها في  
الدولة العباسية لمن يقيم أحكام الجرائم في حال استبدادها أو لانهم الحدود بعد استيفائها  
فان التهم التي تعرض في الجرائم لا تنظر للشرع الا في استيفاء حدودها وللسياسة النظر  
في استيفاء موجباتها اقرار بكرهه عليه الحاكم اذا احتفت به القرائن لما توجبه  
المصلحة العامة في ذلك فكان الذي يقوم به هذا الاستبداد وباستيفاء الحدود بعده اذا  
تزم عنه القاضي يسمى صاحب الشرطة وربما جعلوا اليه النظر في الحدود والدماء  
بإطلاق وأفردوها من نظر القاضي ونزهاها هذه المرتبة وقلدها كبار القواد وعظماء



الخاصة من مواليسهم ولم تكن عامة التنفيد في طبقات الناس انما كان حكمهم على  
الدهماء وأهل الريب والضرب على أيدي الرعاء والفجرة ثم عظمت بناهتها في دولة  
بني أمية بالاندلس وتوعدت الى شرطة كبرى وشرطة صغيرة وجعل حكم الكبرى  
على الخاصة والدهماء وجعل له الحكم على أهل المراتب السلطانية والضرب على  
أيديهم في الظلمات وعلى أيدي أقاربهم ومن اليهم من أهل الجاه وجعل صاحب  
الصغرى مخصوصا بالعامة ونصب لصاحب الكبرى كرسي ياب دار السلطان ورجال  
يتبوئون المقاعد بين يديه فلا يبرحون عنها الا في نصريفه وكانت ولايتها لكبار من  
رجال الدولة حتى كانت ترشيحا للوزارة والحجابة \* وأما في دولة الموحدين بالمغرب  
فكان لها حظ من التنويه وان لم يجعلوها عامة وكان لا يليها الا رجال الدولة الموحدين  
وكباراؤهم ولم يكن له التحكم على أهل المراتب السلطانية ثم فسد اليوم منصبها  
وخرجت عن رجال الموحدين وصارت ولايتها لمن قام بها من المصطنعين \* وأما  
في دولة بني مرين لهذا العهد بالمشرق فولايتها في بيوت من مواليسهم وأهل اصطناعهم  
وفي دولة الترك بالمشرق في رجال الترك أو أعقاب أهل الدولة قبلهم من الكرد  
يتغيرونهم لها في النظر بما يظهر منهم من الصلابة والمضاء في الاحكام لقطع مواد  
الفساد وحسم أبواب الذعارة وتخريب مواطن الفسوق وتفريق مجامعهم مع اقامة  
الحدود الشرعية والسياسية كما تقتضيه رعاية المصالح العامة في المدينة والله مقلب  
الليل والنهار وهو العزيز الجبار والله تعالى أعلم

\* (قيادة الاساطيل) وهي من مراتب الدولة وخططها في ملك المغرب وافريقية  
ومروسة لصاحب السيف وتحت حكمه في كثير من الاحوال ويسمى صاحبها في  
عرفهم الملقب بتفخيم اللام منقولاً من لغة الافرنجية فانه اسمها في اصطلاح لغتهم وانما  
اختصت هذه المرتبة بملك افريقية والمغرب لانهم جميعا على ضفة البحر الرومي من  
جهة الجنوب وعلى عدوته الجنوبية بلاد البربر كلهم من سبتة الى الاسكندرية الى  
الشام وعلى عدوته الشمالية بلاد الاندلس والافرنجية والصقالبة والروم الى بلاد  
الشام أيضا ويسمى البحر الرومي والبحر الشامي نسبة الى أهل عدوته والساكنون  
بسيف هذا البحر وسواحلهم من عدوته يعانون من أحوالهم لا تعاناهم من أمم  
البحار فقد كانت الروم والافرنجية والقوط بالعدوة الشمالية من هذا البحر الرومي  
وكانت أكثر حروبهم ومناجرهم في السفن فكانوا مهرة في ركوبه والحرب في أساطيله  
ولما أسف من أسف منهم الى ملك العدو الجنوبية مثل الروم الى افريقية والقوط الى  
المغرب أجازوا في الاساطيل وملكوها وتغلبوا على البربر بها وانتزعوا من أيديهم

أمرها وكان لهم بها المدن الحافلة مثل قرطاجنة وسيطلة وجبلون ومرناق وشرشال  
وطنجة وكان صاحب قرطاجنة من قبلهم يحارب صاحب رومة ويبيع الاساطيل  
لحربه مشحونة بالعساكر والعدد فكانت هذه عادة لاهل هذا البحر الساكنين حفافيه  
معروفة في القديم والحديث ولما ملك المسلمون مصر كتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن  
العاصي رضي الله عنهما أن صف لي البحر فكتب اليه ان البحر خلق عظيم يركبه خلق  
ضعيف ودود على عود فأوعز حينئذ بجمع المسلمين من ركوبه ولم يركبه أحد من العرب  
الامن افتات على عمر في ركوبه ونال من عقابه كما فعل بعرجة بن هرثة الأزدي سيد  
بجيلة لما غزاها عمار فبلغه غزوه في البحر فأكره عليه وعنفه أنه ركب البحر لغزو ولم  
زل الشأن ذلك حتى اذا كان لعهد معاوية أذن للمسلمين في ركوبه والجهاد على  
أعدائه والسبب في ذلك أن العرب كانوا البداءة بهم لم يكونوا أول الامر مهرة في ثقافته  
وركوبه والروم والافرنجية لممارستهم أحوالهم ومر باهم في التقلب على أعدائه مر نوا  
عليه وأحكموا الدربة بثقافته فلما استقر الملك للعرب وشيخ سلطانهم وصارت أمم العجم  
خولا لهم وتحت أيديهم وتقرب كل ذي صنعة اليهم بمبلغ صناعته واستخدموا من  
النوايسة في حاجاتهم البحرية أمما وتكررت ممارستهم للبحر وثقافته استحدثوا  
بصراهم فاشروهوا الى الجهاد فيه وأنشؤا السفن فيه والشواني وشحنوا الاساطيل  
بالرجال والسلاح وأمطوها العساكر والمقاتلة لمن وراء البحر من أمم الكفر واختصوا  
بذلك من ممالكهم وتغورهم ما كان أقرب لهذا البحر وعلى حافته مثل الشام وافريقية  
والمغرب والاندلس وأوعز الخليفة عبد الملك الى حسان بن النعمان عامل افريقية  
بالتخاذل للصناعة بتونس لانشاء آلات البحرية حرصا على مراسم الجهاد ومنها كان  
فتح صقلية أيام زيادة الله الاول ابن ابراهيم بن الأغلب على يد أسد بن الفرات شيخ  
الفتيا وفتح قوصرة أيضا في أيامه بعد أن كان معاوية بن حديج أغزى صقلية أيام معاوية  
ابن أبي سفيان فلم يفتح الله على يديه وفتح على يد ابن الأغلب وقائده أسد بن الفرات  
وكانت من بعد ذلك أساطيل افريقية والاندلس في دولة العبيديين والامويين  
تتعاقب الى بلادهم ما في سبيل الفتنة فتجوس خلال السواحل بالافساد والتخريب  
وانتهى أسطول الاندلس أيام عبد الرحمن الناصر الى مائتي مركب أو نحوها  
وأسطول افريقية كذلك مثلها أو قريبا منه وكان قائد الاساطيل بالاندلس ابن رماح  
ومر فوها للخط والاقلاع بجاية والمريه وكانت أساطيلها مجمعة من سائر الممالك من كل  
بلد اتخذ فيه السفن أسطول يرجع نظره الى قائد من النوايسة يدبر أمر حربه وسلاحه  
ومقاتلته ورئيس يدبر أمر جريته بالريح أو بالمجاديف وأمر إرساله في مرفئه فاذا



اجتمعت الاساطيل لغزو محتفل أو غرض سلطان مهم عسكريت بمرقتها المعلومات  
وشحنها السلطان برجاله وانجاد عساكره ومواليه وجعلهم لنظر أمير واحد من أعلى  
طبقات أهل مملكته يرجعون كلهم اليه ثم يسرحهم لوجههم وينتظر بابهم بالفتح  
والغنية وكان المسلمون لعهد الدولة الاسلامية قد غلبوا على هذا البحر من جميع  
جوانبه وعظمت صولتهم وسلطانهم فيه فلم يكن للامم النصرانية قبل أساطيلهم بشئ  
من جوانبه وامتطوا ظهره للفتح سائر أيامهم فكانت لهم المقامات المألوفة من الفتح  
والغنائم وملكوا سائر الجزائر المنقطعة عن السواحل فيه مثل ميورقة ومنورقة  
ويابسة وسردانية وصقلية وقوصرة ومالطة واقريطش وقبرص وسائر ممالك الروم  
والافرنج وكان أبو القاسم الشيعي وأبناءؤه يغزون أساطيلهم من المهديّة جزيرة  
جنوة فتقلب بالظفر والغنية واقتح مجاهد العامري صاحب دانية من ملوك  
الطوائف جزيرة سردانية في أساطيلهم سنة خمس وأربع مائة وارتجعها النصارى لوقتها  
والمسلمون خلال ذلك كله قد غلبوا على كثير من لجة هذا البحر وسارت أساطيلهم فيهم  
جائية وذاهبة والعساكر الاسلامية تبحر في الاساطيل من صقلية الى البر الكبير  
المقابل لها من العدو الشمالية فتوقع بملوك الافرنج وتحنن في ممالكهم كما وقع في  
أيام بني الحسين ملوك صقلية القائلين فيها بدعوة العبيدين وانحازت امم النصرانية  
بأساطيلهم الى الجانب الشمالي الشرقي منه من سواحل الافرنجة والصقلية وجزائر  
الرومانية لابعدها. وأساطيل المسلمين قد ضربت عليهم ضراء الاسد على فريسته وقد  
ملأت الاكثر من بسط هذا البحر عدة وعددا واختلفت في طرقه سلما وحر باقلم تسبح  
لنصرانية فيه ألواح حتى اذا أدركت الدولة العبيدية والاموية الفشل والوهن وطرقها  
الاعتلال مدد النصارى أيديهم الى جزائر البحر الشرقية مثل صقلية واقريطش ومالطة  
فملكوها ثم ألحوا على سواحل الشام في تلك الفترة وما كوا اطرابلس وعسقلان وصور  
وعكا واستولوا على جميع الثغور بسواحل الشام وغلبوا على بيت المقدس وبنوا عليه  
كنيسة لاظهار دينهم وعبادتهم وغلبوا بني خزنون على طرابلس ثم على قابس وصفاقس  
ووضعوا عليهم الجزية ثم حاكموا المهديّة مقرر ملوك العبيدين من يد أعقاب بلكين بن  
زيري وكانت لهم في المائة الخامسة الكثرة بهذا البحر وضعف شأن الاساطيل في دولة  
مصر والشام الى أن انقطع ولم يعتنوا بشئ من أمره لهذا العهد بعد ان كان لهم  
به في الدولة العبيدية عناية تجاوزت الحد كما هو معروف في أخبارهم فبطل رسم هذه  
الوظيفة هناك وبقيت باقريقة والمغرب قصارت مختصة بها وكان الجانب الغربي  
من هذا البحر لهذا العهد موفورا بالاساطيل ثابت القوة لم يحيفه عدو ولا كانت لهم به

كرة فكان قائد الاسطول به لعهد متونة بن ميمون رؤساء جزيرة قادس ومن أيديهم  
أخذها عبد المؤمن بتسليمهم وطاعتهم وانتهى عدد أساطيلهم الى المائة من بلاد  
العدوتين جميعا \* ولما استعجلت دولة الموحدين في المائة السادسة وملكوا  
العدوتين أقاموا خطة هذا الاسطول على أتم ما عرف وأعظم ما عهد وكان قائد  
أسطولهم أحمد الصقلي أصله من صندغيرا الموطنين بجزيرة جربة من سرويكنش  
أسره النصارى من سواحلها وربي عندهم واستخلصه صاحب صقلية واستكفاه ثم  
هلك وولي ابنه فأخطه ببعض النزعات وخشى على نفسه ولحق بنونس ونزل على  
السيد بهامن بن عبد المؤمن وأجاز الى مراكش فتلقيه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن  
بالبرّة والكرامة وأجرل الصلة وقلده أمر أساطيلهم في جهاد أمم النصرانية  
وكانت له آثار وأخبار ومقامات مذكورة في دولة الموحدين \* وانتهت أساطيل  
المسلمين على عهده في الكثرة والاستجادة الى ما لم تبلغه من قبل ولا بعد فيما عهدناه ولما قام  
صلاح الدين يوسف بن أيوب ملك مصر والشام لعهدده باسترجاع ثغور الشام من يدا  
النصرانية وتطهير بيت المقدس من رجس الكفر وبناؤه تتابع أساطيلهم الكفرية  
بالمدة لتلك الثغور من كل ناحية قريّة لبيت المقدس الذي كانوا قد استولوا عليه  
فأمدهم بالعدد والاقوات ولم تقاومهم أساطيل الاسكندرية لاستمرار الغلب لهم في  
ذلك الجانب الشرقي من البحر وتعدّد أساطيلهم فيه وضعف المسلمين منذ زمان طويل  
عن معانعتهم هناك كما أشرنا اليه قبل فأوفد صلاح الدين على أبي يعقوب المنصور  
سلطان المغرب لعهدده من الموحدين رسول عبد الكريم بن منقذ من بيت بني منقذ ملوك  
شيزر وكان ملكها من أيديهم وأبقى عليهم في دولته فبعث عبد الكريم منهم هذا الى  
ملك المغرب طالبامد الاساطيل لتجول في البحر بين أساطيل الكفرة وبين مرهم  
من أمداد النصرانية بثغور الشام وأصحبه كتابه اليه في ذلك من انشاء الفاضل  
البيساني يقول في افتتاحه فتح الله سيدنا أبواب المناج والميامن حسما نقله العماد  
الاصفهاني في كتاب الفتح القدس فنقم عليهم المنصور تحقيقاتهم عن خطابه بأمر المؤمنين  
وأمرها في نفسه وحلهم على مناهج البر والكرامة وورقهم الى مرسلهم ولم يجبه الى  
حاجته من ذلك \* وفي هذا دليل على اختصاص ملك المغرب بالاساطيل وما حصل  
لنصرانية في الجانب الشرقي من هذا البحر من الاستطالة وعدم عناية الدول بمصر  
والشام لذلك العهد وما بعده لشأن الاساطيل البحرية والاستعداد منها للدولة ولما  
هلك أبو يعقوب المنصور واعتلت دولة الموحدين واستولت امم الخلافة على الاكثر  
من بلاد الاندلس وألحوا المسلمين الى سيف البحر وملكوا الجزائر التي بالجانب



الغربي من البحر الرومي قويت ريجهم في بسط هذا البحر واشتدت شوكتهم وكثرت فيه أساطيلهم وتراجعت قوة المسلمين فيه الى المساواة معهم كما وقع لعهد السلطان أبي الحسن ملك زنادة بالمغرب فان أساطيله كانت عند مرأته الجهاد مثل عدة النصرانية وعديدهم ثم تراجعت عن ذلك قوة المسلمين في الاساطيل لضعف الدولة ونسيان عوائد البحر بكثرة العوائد البدوية بالمغرب وانقطاع العوائد الاندلسية ورجع النصراني في دينهم المعروف من الدربة فيه والمران عليه والبصر بأحواله وغلب الامم في لجته وعلى أعواده وصار المسلمون فيه كالاجانب الاقليين من أهل البلاد الساحلية لهم المران عليه لوجودوا وكثرة من الانصار والاعوان أو قوة من الدولة تستحيش لهم أعوانا وتوضح لهم في هذا الغرض مسلكا وبقيت الرتبة لهذا العهد في الدولة الغربية محفوظة والرسم في معاناة الاساطيل بالانشاء والركوب معهودا لمعاشه تدعو اليه الحاجة من الاغراض السلطانية في البلاد البحرية والمسلمون يستهينون الربح على الكفر وأهلهم من المشتهرين أهل المغرب عن كتب الحدثان أنه لا بد للمسلمين من الذكوة على النصرانية واقتتاح ما وراء البحر من بلاد الافريقية وان ذلك يكون في الاساطيل والله ولي المؤمنين وهو حسبنا ونعم الوكيل

### ٣٦ (فصل في التقادس من مراتب السيف والقلم في الدول)

(اعلم) أن السيف والقلم كلاهما آلة لصاحب الدولة يستعين بهما على أمره الآن الحاجة في أقول الدولة الى السيف مادام أهلها في تهديد أمرهم أشد من الحاجة الى القلم لأن القلم في تلك الحال خادم فقط منفذ للحكم السلطاني والسيف شريك في المعونة وكذلك في آخر الدولة حيث تضعف عصيتها كما ذكرناه ويقل أهلها بما ينالهم من الهرم الذي قدمناه فتحتمل الدولة الى الاستظهار بأرباب السيوف وتقوى الحاجة اليهم في جاية الدولة والمدافعة عنها كما كان الشأن أقول الامر في تهديد ما فيكون للسيف منزلة على القلم في الحالتين ويكون أرباب السيف حينئذ أوسع جاهها وأكثر نعمة وأسنى اقطاعا واما في وسط الدولة فيستغنى صاحبها ببعض الشيء عن السيف لانه قد تهده أمره ولم يبق همه الا في تحصيل ثمرات الملك من الجباية والضبط ومباهاة الدول وتنفيذ الاحكام والقلم هو المعين له في ذلك فتعظم الحاجة الى تصريفه وتكون السيوف مهملة في مضاجع اغمارها الا اذا نابت نائبة أو دعت الى سد فرجة وما سوى ذلك فلا حاجة اليها فتكون أرباب الاقلام في هذه الحاجة أوسع جاهها وأعلى رتبة وأعظم نعمة وثروة وأقرب من السلطان مجلسا وأكثر اليه ترددا وفي خلواته نجيا لانه حينئذ آله التي بهما يستظهر على تحصيل ثمرات ملكه والنظر في اعطافه وتنقيف أطرافه والمباهاة

بأحواله ويكون الوزراء حينئذ وأهل السيوف مستغنى عنهم مبعدين عن باطن السلطان حذرين على أنفسهم من بؤاده \* وفي معنى ذلك ما كتب به أبو مسلم المنصور حين أمره بالقدوم أما بعد فانه مما حفظناه من وصايا الفرس أخوف ما يكون للوزراء اذا سكنت الدهماء سنة الله في عبادته والله سبحانه وتعالى أعلم

### ٣٧ (فصل في اشارات الملك والسلطان الخ)

(اعلم) أن للسلطان اشارات وأحوالا تقتضيها الأبهة والبذخ فيختص بها وتبينها تحالها عن الرعية والبطانة وسائر الرؤساء في دولته فلنذكر ما هو مشتهر منها بمبلغ المعرفة وفوق كل ذي علم عليم \* (الآلة) فن اشارات الملك اتخاذ الآلة من نشر الألوية والرايات وقرع الطبول والتفخ في الأبواق والقرون وقد ذكرنا في الكتاب المنسوب اليه في السياسة أن السر في ذلك ارباب العدو في الحرب فان الاصوات الهائلة لها تأثير في النفوس بالروعة ولعمري انه أمر وجداني في مواطن الحرب يجده كل أحد من نفسه وهذا السبب الذي ذكره ارسطو ان كان ذكره فهو صحيح ببعض الاعتبارات \* وأما الحق في ذلك فهو أن النفس عند سماع النغم والاصوات يدر كها الفرح والطرب بلا شك فيصيب مزاج الروح نشوة يستسهل بها الصعب ويستمت في ذلك الوجه الذي هو فيه وهذا موجود حتى في الحيوانات العجم بانفعال الابل بالحداء والخيل بالصفير والصريح كما علمت ويريد ذلك تأثيرا اذا كانت الاصوات مناسبة كما في الغناء وأنت تعلم ما يحدث لسامعه من مثل هذا المعنى ولاجل ذلك تتخذ العجم في مواطن حروبهم الآلات الموسيقية لاطبلا ولا يوقا فيحرق المغنون بالسلطان في موكبه بالآلة هم ويغنون فيحرقون نفوس الشجعان بضربهم الى الاستماتة ولقد رأينا في حروب العرب من يتغنى أمام الموكب بالشعور ويطرب فتحيش هم الابطال بما فيها ويسارعون الى مجال الحرب وينبعث كل قرن الى قرنه وكذلك زنادة من أمم المغرب يتقدم الشاعر عندهم أمام الصفوف ويتغنى فيحرق بغناؤه الجبال الرواسي ويبعث على الاستماتة من لا يظن بها ويسمون ذلك الغناء ناصوكايت وأصله كله فرح يحدث في النفس فتنبعث عنه الشجاعة كما تنبعث عن نشوة الخمر يحدث عنها من الفرح والله أعلم \* (وأما) \* تكثير الرايات وتلوينها واطاقتها فالقصد به التحويل لأبـ ثروها يحدث في النفوس من التحويل زيادة في الاقدام وأحوال النفوس وتلوينها غريزية والله الخلاق العليم \* ثم ان الملوك والدول يختلفون في اتخاذ هذه الشارات فمنهم مكثر ومنهم مقلل بحسب اتساع الدولة وعظمتها أما الرايات فانها شعار الحروب من عهد

قوله الموسيقى وفي نسخة الموسيقى وهي صحيحة لأن الموسيقى بكسر القاف بين التحتين اسم للنغم والالخان وتوقيعها ويقال فيها موسيقى ويقال لضارب الآلة موسيقار انظر أول سفينة الشيخ محمد شهاب



الخليقة ولم تزل الامم تعقد هافي مواطن الحروب والغزوات ولعهده النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده من الخلفاء \* وأما قراع الطبول والنفخ في الابواق فكان المسلمون لأول الملة متجانين عنه تنزها عن غلظة الملك ورفضا لحواله واحتقارا لابهته التي ليست من الحق في شيء حتى اذا انقلبت الخلافة ملكا وتيجوا زهرة الدنيا ونعيمها ولا بسهم الموالي من الترس والروم أهل الدول السالفة وأروهم ما كان أو لثلك يتحلون به من مذاهب البذخ والترف فكان مما استحسنوه اتخاذ الاكلة فأخذوها وأذنوا العمالهم في اتخاذها تنويعا بالملك وأهله فكثيرا ما كان العامل صاحب الثغر أو قائد الجيش يعقده الخليفة من العباسيين أو العبيديين لواءه ويخرج الى بعثه أو عمله من دار الخليفة أو دياره في مواكب من أصحاب الرايات والآلات فلا يميز بين موكب العامل والخليفة الا بكثرة الالوية وقلتها أو بما اختص به الخليفة من الالوان لرايته كما سواد في رايات بني العباس فان راياتهم كانت سودا حزناء على شهدائهم من بني هاشم ونعيا على بني أمية في قتلهم ولذلك سمو المسودة \* ولما افرق أمر الهاشميين وخرج الطالبيون على العباسيين في كل جهة وعصر ذهبوا الى مخالفتهم في ذلك فاتخذوا الرايات بيضاء وسموا البيضة لذلك سائر أيام العبيديين ومن خرج من الطالبيين في ذلك العهد بالشرق كالداغى بطبرستان وداغى صعدة أو من دعا الى بدعة الرافضة من غيرهم كالقرامطة \* ولما نزع المأمون عن لبس السواد وشعاره في دولته عدل الى لون الخضرة فجعل رايته خضراء وأما الاستكثار منها فلا ينتهي الى حد وقد كانت آلة العبيديين لما خرج العزيز الى فتح الشام خمسمائة من البنود وخمسمائة من الابواق وأما ملوك البربر بالمغرب من صنهاجة وغيرها فلم يقتصروا بلون واحد بل وشوها بالذهب واتخذوها من الحرير الخالص ملونة واستمروا على الاذن فيها العمالهم حتى اذا جاءت دولة الموحدين ومن بعدهم من زناة قصر والالة من الطبول والبنود على السلطان وحظروها على من سواه من عماله وجعلوا الهاموكا خاصا يتبع أثر السلطان في مسيره يسمى الساقه وهم فيه بين مكثروا مقل باختلاف مذاهب الدول في ذلك فنهم من يقتصر على سبع من العدد تبركا بالسبعة كما هو في دولة الموحدين وبني الاجر بالاندلس ومنهم من يبلغ العشرة والعشرين كما هو عند زناة وقد بلغت في أيام السلطان أبي الحسن فيما أذكر كاه مائة من الطبول ومائة من البنود ملونة بالحرير منسوجة بالذهب ما بين كبير وصغير وياذنون للولادة والعمال والقواد في اتخاذ راية واحدة صغيرة من الكتان بيضاء وطويل صغير أيام الحرب لا يتجاوزون ذلك \* وأما دولة الترك لهذا العهد بالشرق فيتخذون أقولا راية واحدة عظيمة وفي رأسها خصلة كبيرة

من الشعر يسمونها الشالش والجتر وهي شعار السلطان عندهم ثم تتعدد الرايات ويسمونها السناجق واحدها سنجق وهي الراية بلسانهم وأما الطبول فيبالغون في الاستكثار منها ويسمونها الكوسات ويبحون لكل أمير أو قائد عسكري أن يتخذ من ذلك ما يشاء الا الجتر فانه خاص بالسلطان \* وأما الخلافة لهذا العهد من أهم الافرنجة بالاندلس فأكثر شأنهم اتخاذ الالوية القليلة ذاهبة في الجور صعودا ومعها قراع الاوتار من الطنابير ونفخ الغيطات يذهبون فيها مذهب الغناء وطريقتهم في مواطن حروبهم هكذا يلغنا عنهم وعن وراءهم من ملوك العجم ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين

\* (السري) \* وأما السري والمنبر والتخت والكرسي وهو أعواد منصوبة أو أرائك منصدة لجلوس السلطان عليها من ترفع عن أهل مجلسه أن يساوهم في الصعيد ولم يزل ذلك من سنن الملوك قبل الاسلام وفي دول العجم وقد كانوا يجلسون على اسرة الذهب وكان لسليمان بن داود صلوات الله عليه ما وسلامه كرسي وسري من عاج مغشى بالذهب الا أنه لا تأخذه الدول الا بعد الاستفحال والترف شأن الأبهة كلها كما قلناه وأما في أول الدولة عند البداوة فلا يشوقون اليه \* وأول من اتخذ في الاسلام معاوية واستأذن الناس فيه وقال لهم اني قد بدت فأذنوا له فاتخذوه واتبعه الملوك الاسلاميون فيه وصار من منازع الأبهة ولقد كان عمرو بن العاصي يصير مجلس في قصره على الارض مع العرب ويأتيه المقوقس الى قصره ومعه سري من الذهب محمول على الايدي لجلوسه شأن الملوك فيجلس عليه وهو أمامه ولا يغيرون عليه وفاء له بما اعتقد معهم من الذمة واطرا حالا بجهة الملك ثم كان بعد ذلك لبني العباس والعبيديين وسائر ملوك الاسلام شرقا وغربا من الاسرة والمنابر والتخوت ما عفا عن الاكسرة والقياصرة والله مقلب الليل والنهار

\* (السكة) \* وهي الختم على الدينار والدراهم المتعامل بهما بين الناس بطابع حديد ينقش فيه صورة أو كلمات مقنونة ويضرب بها على الدينار والدراهم فخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة بعد أن يعتبر عيار النقود من ذلك الجنس في خلوصه بالسبك مرة بعد أخرى وبعد تقدير أشخاص الدراهم والدينار بوزن معين صحيح يصطلح عليه فيكون التعامل به اعددا وان لم تقدر أشخاصها يكون التعامل بها وزنا ولقط السكة كان اسمها للطابع وهي الحديد المتخذة لذلك ثم نقل الى أثرها وهي النقوش الماثلة على الدينار والدراهم ثم نقل الى القيام على ذلك والنظر في استيفاء حاجاته وشروطه وهي الوظيفة فصار علما عليها في عرف الدول وهي وظيفة ضرورية للملك اذ بها يتميز الخالص



من المغشوش بين الناس في النقود عند المعاملات ويتقون في سلامتها الغش بخبر  
السلطان عليها تلك النقوش المعروفة وكان ملوك العجم يتخذونها وينقشون فيها  
تمائيل تكون مخصوصة بها مثل غزال السلطان لعهدا أو تمثيل حصن أو حيوان  
أو مصنوع أو غير ذلك ولم يزل هذا الشأن عند العجم إلى آخر أمرهم \* ولما جاء  
الاسلام اغفل ذلك لسداجة الدين وبداوة العرب وكانوا يتعاملون بالذهب والفضة  
وزننا وكانت دنانير الفرس ودراهمهم بين أيديهم يردونها في معاملتهم إلى الوزن  
ويتصارفون بها بينهم إلى أن تفاش الغش في الدنانير والدراهم اغفلة الدولة عن ذلك  
وأمر عبد الملك الخجاج على ما نقل سعيد بن المسيب وأبو الزناد بضرب الدراهم وتغيير  
المغشوش من الخالص وذلك سنة أربع وسبعين وقال المدايني سنة خمس وسبعين ثم  
أمر بصرفها في سائر النواحي سنة ست وسبعين وكتب عليه الله أحد الله الصمد ثم ولى  
ابن هبيرة العراق أيام يزيد بن عبد الملك فجود السكة ثم باع خالد القسري في تجويدها  
ثم يوسف بن عمر بعده وقبل أول من ضرب الدنانير والدراهم صعب بن الزبير بالعراق  
سنة سبعين بأمر أخيه عبد الله لما ولى الخجاز وكتب عليه الله في أحد الوجهين بركة الله  
وفي الآخر اسم الله ثم غيرها الخجاج بعد ذلك بسنة وكتب عليها اسم الخجاج وقد رزنها  
على ما كانت استقرت أيام عمر وذلك أن الدرهم كان وزنه أول الاسلام ستة دنانق  
والمقال وزنه درهم وثلاثة أسباع درهم فتكون عشرة دراهم بسبعة مثاقيل وكان  
السبب في ذلك أن أوزان الدرهم أيام الفرس كانت مختلفة وكان منها على وزن المثقال  
عشرون قيراطا ومنها اثنا عشر ومنها عشرة فلما احتجج إلى تقديره في الزكاة أخذ الوسط  
وذلك اثنا عشر قيراطا فكان المثقال درهما وثلاثة أسباع درهم وقبل كان منها  
البغلي ثمانية دنانق والطبري أربعة دنانق والمغربي ثمانية دنانق والبغلي ستة  
دنانق فأمر عمر أن ينظر الأغلب في التعامل فكان البغلي والطبري وهما اثنا عشر  
دنانقا وكان الدرهم ستة دنانق وإن وددت ثلاثة أسباعه كان مثقالا وإذا نقصت ثلاثة  
أعشار المثقال كان درهما فلما رأى عبد الملك اتخاذ السكة لصيانة التقدين الجارين  
في معاملته المسلمين من الغش فعين مقداره على هذا الذي استقر لعهد عمر رضي الله عنه  
واتخذ طابع الحديد واتخذ فيه كلمات لا صور إلا أن العرب كان الكلام والبلاغة أقرب  
من الحبر وأظهر هاجع أن الشرع ينهي عن الصور فلما فعل ذلك استقر بين الناس في  
أيام المهدي كلها وكان الدينار والدرهم على شكلين مدورين والكتابة عليهما في دوائر  
متوازنة يكتب فيها من أحد الوجهين أسماء الله تبارك وتعالى وتحميد أو صلاة على النبي  
وآله وفي الوجه الثاني التاريخ واسم الخليفة وهكذا أيام العباسيين والعباسيين

والامويين وأما صنفا فلم يتخذوا سكة إلا آخر الأمر اتخذها منصور صاحب بجاية  
ذكر ذلك ابن جناد في تاريخه ولما جاءت دولة الموحدين كان مما سن لهم المهدي اتخاذ  
سكة الدرهم مربع الشكل وأن يرسم في دائرة الدينار شكل مربع في وسطه وعلا  
من أحد الجانبين تيملا وتحميدا ومن الجانب الآخر كتاب في السطور باسمه واسم  
الخلفاء من بعده ففعل ذلك الموحدون وكانت سكتهم على هذا الشكل لهذا العهد  
واقدر كان المهدي فيما ينقل نعت قبل ظهوره بصاحب الدرهم المربع نعتة بذلك  
المسكون بالحدثان من قبله المخبرون في ملاحظتهم عن دولته وأما أهل المشرق لهذا  
العهد فسكتهم غير مرة ونامت معاملون بالدنانير والدراهم وزنا بالصنجات المقدرة  
بعده منها ولا يطبعون عليها بالسكة نقوش الكلمات بالتهليل والصلاة واسم السلطان  
كما يفعل أهل المغرب ذلك تقدير العزيز العليم (ولتختم الكلام) في السكة بذكر حقيقة  
الدرهم والدينار الشرعيين وبيان حقيقة مقدارهما

وذلك أن الدينار والدرهم مختلفا السكة في المقدار والموازين بالآفاق والامصار  
وسائر الاعمال والشرع قد تعرض لذكرهما وعلق كثيرا من الاحكام بهما في الزكاة  
والانكحة والحدود وغيرهما فلا بد لهما عنده من حقيقة ومقدار معين في تقدير  
تجري عليهما أحكامه دون غير الشرعي منهما فاعلم أن الاجماع منعقد منذ صدر  
الاسلام وعهد الصحابة والتابعين أن الدرهم الشرعي هو الذي تزن العشرة منه سبعة  
مثاقيل من الذهب والاقية منه أربعين درهما وهو على هذا سبعة اعشار الدينار  
ووزن المثقال من الذهب ثنتان وسبعون حبة من الشعير فالدرهم الذي هو سبعة  
اعشاره خمسون حبة وخمسة وخمسة هذه المقادير كلها ثابتة بالاجماع فإن الدرهم  
الجاهلي كان بينهم على أنواع أجودها الطبري وهو ثمانية دنانق والبغلي وهو أربعة  
دنانق فجعلوا الشرعي بينهما وهو ستة دنانق فكانوا يوجبون الزكاة في مائة درهم بغلية  
ومائة طبرية خمسة دراهم وسطا وقد اختلف الناس هل كان ذلك من وضع عبد الملك  
أو اجماع الناس بعده عليه كما ذكرناه ذلك الخطام في كتاب معالم السنن والماوردي  
في الاحكام السلطانية وأنكره المحققون من المتأخرين لما يلزم عليه أن يكون الدينار  
والدرهم الشرعيان مجهولين في عهد الصحابة ومن بعدهم مع تعلق الحقوق الشرعية  
بهما في الزكاة والانكحة والحدود وغيرها كما ذكرناه والحق أنهم ما كانوا يعلمون  
المقدار في ذلك العصر لجريان الاحكام يومئذ بما يتعلق بهما من الحقوق وكان  
مقدارهما غير مشخص في الخارج وإنما كان متعارفا بينهم بالحكم الشرعي على المقدار  
في مقدارهما ووزنهما حتى استعمل الاسلام وعظمت الدولة ودعت الحال إلى



تشخصهما في المقدار والوزن كما هو عند الشرع ليستريحوا من كلفة التقدير وقارن ذلك أيام عبد الملك فشخص مقدارهما ما عيّنهما في الخارج كما هو في الذهن ونقش عليهما السكة باسمه وتاريخه اثر الشهادتين الايمانيتين وطرح النقود الجاهلية رأسا حتى خلصت ونقش عليها سكة وتلاشي وجودها فهذا هو الحق الذي لا محيد عنه ومن بعد ذلك وقع اختيار أهل السكة في الدول على مخالفة المقدار الشرعي في الدينار والدرهم واختلفت في كل الاقطار والافاق ورجع الناس الى تصور مقاديرهما الشرعية ذهنا كما كان في الصدر الاول وصار أهل كل أفق يستخرجون الحقوق الشرعية من سكتهم بمعرفة النسبة التي بينها وبين مقاديرها الشرعية وأما وزن الدينار باثنين وسبعين حبة من الشعير الوسط فهو الذي نقله المحققون وعليه الاجماع الا ان حزم خالف ذلك وزعم أن وزنه أربعة وثمانون حبة نقل ذلك عنه القاضي عبد الحق وردّه المحققون وعدوه وهم غلط وهو الصحيح والله يحق الحق بكلماته وكذلك تعلم أن الاوقية الشرعية ليست هي المتعارفة بين الناس لأن المتعارفة مختلفة باختلاف الاقطار والشرعية متحدة ذهنا لاختلاف فيها والله خلق كل شيء فقدره تقديرا

\* (الخاتم) \* وأما الخاتم فهو من الخطط السلطانية والوظائف الملوكية والختم على الرسائل والصكوك والمعروف للملوك قبل الاسلام وبعده وقد ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يكتب الى قيصر فقبل له ان العجم لا يقبلون كتابا الا أن يكون محتوما فاختار خاتما من فضة ونقش فيه \* محمد رسول الله \* قال البخاري جعل الثلاث كلمات في ثلاثة أسطر وختم به وقال لا ينقش أحد مثله قال ويختم به أبو بكر وعمر وعثمان ثم سقط من يد عثمان في بئر أريس وكانت قلبه الماء فلم يدرك قعرها بعد وانغم عثمان وتطير منه وصنع آخر على مثله وفي كيفية نقش الخاتم والختم به وجوه وذلك أن الخاتم يطلق على الالة التي تجعل في الاصبع ومنه تختم اذا لبسه ويطلق على النهاية والتمام ومنه ختمت الامر اذا بلغت آخره وختمت القرآن كذلك ومنه خاتم النبيين وخاتم الامر ويطلق على السداد الذي يستدبه الاواني والدنان ويقال فيه ختام ومنه قوله تعالى ختامه مسك وقد غلط من فسر هذا بالنهاية والتمام قال لأن آخر ما يجدونه في شراهم ريج المسك وليس المعنى عليه وانما هو من الختام الذي هو السداد لأن الخمر يجعل لها في الدن سداد الطين أو القار يحفظها ويطيب عرفها وذوقها فيبلغ في وصف خمر الجنة بأن سدادها من المسك وهو أطيب عرفا وذوقا من القار والطين المعهودين في الدنيا فاذا صح إطلاق الخاتم على هذه كلها صح

الاطلاقه على أثرها الناشئ عنها وذلك أن الخاتم اذا انقشت به كلمات أو أشكال ثم غمس في مداف من الطين أو مداد ووضع على صفح القرطاس بقي أكثر الكلمات في ذلك الصفح وكذلك اذا طبع به على جسم لين كالشمع فانه يبقى نقش ذلك المكتوب مر تسما فيه واذا كانت كلمات وارتمت فقد يقرأ من الجهة اليسرى اذا كان النقش على الاستقامة من اليمنى وقد يقرأ من الجهة اليمنى اذا كان النقش من الجهة اليسرى لأن الختم يقرب جهة الخط في الصفح عما كان في النقش من يمن أو يسار فيحتمل أن يكون الختم بهذا الخاتم بغمسه في المداد أو الطين ووضع على الصفح فتمت نقش الكلمات فيه ويكون هذا من معنى النهاية والتمام بمعنى صحة ذلك المكتوب ونفوذه كأن الكتاب انما يتم العمل به بهذه العلامات وهو من دون ما لم يلبس بتمام وقد يكون هذا الختم بالخط آخر الكتاب أو أوله بكلمات منتظمة من تحميد أو تسبيح أو باسم السلطان أو الامير أو صاحب الكتاب من كان أو شيء من نعوته يكون ذلك الخط علامة على صحة الكتاب ونفوذه ويسمى ذلك في المتعارف علامة ويسمى ختما تشبيها له بأثر الخاتم الا تصفى في النقش ومن هذا خاتم القاضي الذي يبعث به للخصوم أي علامته وخطه الذي يتقدمه أحكامه ومنه خاتم السلطان أو الخليفة أي علامته قال الرشيد ليحيى ابن خاليس أراد أن يستوزر جعفر أو يستبدل به من الفضل أخيه فقال لا يهمل ما يحيى يا أبت اني أردت أن أحول الخاتم من يميني الى شمالي فكفى له بالخاتم عن الوزارة لما كانت العلامة على الرسائل والصكوك من وظائف الوزارة لعهدهم وبشهادة صحة هذا الاطلاق ما نقله الطبري أن معاوية أرسل الى الحسن عند مرأوده اياه في الصلح صحيفة بضاء ختم على أسفلها وكتب اليه أن اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت أسفلها ما شئت فهو لك ومعنى الختم هنا علامة في آخر الصحيفة بخطه أو غيره ويحتمل أن يختم به في جسم لين فتمت نقش فيه حروفه ويجعل على موضع الحزم من الكتاب اذا حزم وعلى المودوعات وهو من السداد كما مر وهو في الوجهين آثار الخاتم فيطابق عليه خاتم وأول من أطلق الختم على الكتاب أي العلامة معاوية لأنه أمر لعمر بن الزبير عند زياد بالكوفة بمائة ألف ففتح الكتاب وصير المائة مائة وربع زياد حسابه فأنكرها معاوية وطلب به عمر وجبسه حتى قضاه عنه أخوه عبد الله واتخذ معاوية عند ذلك ديوان الخاتم ذكره الطبري وقال آخره وحزم الكتب ولم تكن تحزم أي جعل لها السداد وديوان الختم عبارة عن الكتاب القائم على انفاذ كتب السلطان والختم عليها ما بالعلامة أو بالحزم وقد يطلق الديوان على مكان جلوس هؤلاء الكتاب كما ذكرناه في ديوان الاعمال والحزم للكتب يكون اما بدس الورق كما في عرف كتاب



المغرب وأما بلقي رأس الصميفة على ما تنطوي عليه من الكتاب كما في عرف أهل  
المشرق وقد يجعل على مكان الدس أو الاصاق علامة يؤمن معها من فتحه والاطلاع  
على ما فيه فأهل المغرب يجعلون على مكان الدس قطعة من الشمع ويحتمون عليها بخاتم  
نقشت فيه علامة لذلك فيرتسم النقش في الشمع وكان في المشرق في الدول القديمة يختم  
على مكان اللصق بخاتم منقوش أيضا قد غمس في مداف من الطين معد لذلك صبغه  
أحمر فيرتسم ذلك النقش عليه وكان هذا الطين في الدولة العباسية يعرف بطين الختم  
وكان يجلب من سيرا فيظهر أنه مخصوص به في هذا الخاتم الذي هو العلامة المكتوبة  
أو النقش للسداد والختم للكتب خاص بديوان الرسائل وكان ذلك للوزير في الدولة  
العباسية ثم اختلف العرف وصار لمن إليه الترسيل وديوان الكتاب في الدولة ثم صاروا  
في دول المغرب يعدون من علامات الملك وشاراته الخاتم لا يصعب فيستجيدون صوغه  
من الذهب ويرصونه بالنصوص من الباقوت والفيروزج والزمر ذو يلبسه السلطان  
شارة في عرفهم كما كانت البردة والقضيب في الدولة العباسية والمظلة في الدولة العبيدية  
والله مصرف الأمور بحكمه

\* (الطراز) من أبهة الملك والسلطان ومذاهب الدول أن ترسم أسماؤهم أو علامات  
تختص بهم في طراز أو أوابهم المعدة لباسهم من الحرير أو الديبا أو الأبريسم تعتبر كناية  
خطها في نسج الثوب الحاموسدى بخيط الذهب أو ما يخالف لون الثوب من الخيوط  
الملونة من غير الذهب على ما يحكمه الصانع في تقدير ذلك ووضعه في صناعة نسجهم  
فتمير الثياب الملوكة معلة بذلك الطراز قصد التنويه بلباسهم من السلطان فمن دونه  
أو التنويه بمن يختصه السلطان بلبوسه إذا قصد تشريفه بذلك أو ولايته لوظيفة من  
وظائف دولته وكان ملوك العجم من قبل الاسلام يجعلون ذلك الطراز بصور الملوك  
وأشكالهم أو أشكال وصور معينة لذلك ثم اعتاض ملوك الاسلام عن ذلك بكتب  
أسمائهم مع كلمات أخرى تجرى مجرى القال أو السجلات وكان ذلك في الدولتين من أبهة  
الأمور وأنعم الأحوال وكانت الدور المعدة لنسج أو أوابهم في قصورهم تسمى دور الطراز  
لذلك وكان القائم على النظر فيها يسمى صاحب الطراز ينظر في أمور الصباغ والآلة  
والحكاك فيأمر أجراء أوزاقهم وتسهيل آلاتهم ومشارفة أعمالهم وكانوا يقلدون ذلك  
لخواص دولتهم وثقات مواليهم وكذلك كان الحال في دولة بني أمية بالاندلس  
والطوائف من بعدهم وفي دولة العبيديين بمصر ومن كان على عهدهم من ملوك العجم  
بالمشرق ثم لما ضاق نطاق الدول عن الترف والتفنن فيه اضيق نطاقها في الاستيلاء  
وتعددت الدول تعطلت هذه الوظيفة والولاية عليها من أكثر الدول بالجملة \* ولما

جاءت دولة الموحدين بالمغرب بعد بني أمية أول المائة السادسة ولم يأخذوا بذلك أول  
دولتهم لما كانوا عليه من منازع الديانة والسذاجة التي لقنوها عن أبا مهم محمد بن  
تومرت المهدى وكانوا يتورعون عن لباس الحرير والذهب فسقطت هذه الوظيفة من  
دولتهم واستدرك منهم أعتابهم آخر الدولة طرفا لم يكن بتلك النباهة وأما هذا العهد  
فأدركنا بالمغرب في الدولة المرينية لعنفوانهم وشمس وخهار ما جلت لالقنوه من دولة ابن  
الاجر معاصرهم بالاندلس واتبع هو في ذلك ملوك الطوائف فاقى منه بلمعة شاهدة  
بالآثر \* وأما دولة الترك بمصر والشام لهذا العهد ففيه من الطرز تحرير آخر على مقدار  
ملكهم وعمران بلادهم الآن ذلك لا يصنع في دورهم وقصورهم وليست من وظائف  
دولتهم وإنما ينسج ما تطلبه الدولة من ذلك في صناعه من الحرير ومن الذهب الخالص  
ويسمونه المزركش لفظة أعجمية ويرسم اسم السلطان أو الأمير عليه ويعتد الصانع  
لهم فيما يعدونه للدولة من طرف الصناعة اللائقة بها والله مقدر الليل والنهار والله  
خير الوارئين

### (الفساطيط والصباج)

اعلم أن من شارات الملك وترفه اتخاذ الاخبية والفساطيط والفاضات من ثياب  
السكران والصوف والقطن يجدل السكران والقطن فيصاها في الاسفار وتتوع  
منها الألوان ما بين كبير وصغير على نسبة الدولة في الثروة واليسار وانما يكون الامر  
في أول الدولة في بيوتهم التي جرت عاداتهم باتخاذها قبل الملك وكان العرب لعهد  
الخلفاء الاوائل من بني أمية انما يسكنون بيوتهم التي كانت لهم خياما من الوبر  
والصوف ولم تزل العرب لذلك العهد بادين الا الاقل منهم فكانت أسفارهم لغزواتهم  
وحروبهم يطلعونهم وسائر حالهم واحيايتهم من الأهل والولد كما هو شأن العرب لهذا  
العهد وكانت عساكرهم لذلك كثيرة الحلل بعيدة ما بين المنازل متفرقة الاحياء يغيب كل  
واحد منها عن نظر صاحبه من الأخرى كشأن العرب ولذلك ما كان عبد الملك يحتاج  
الى ساقه تحشد الناس على أثره أن يقيموا إذا طعن ونقل أنه استعمل في ذلك الحجاج  
حين أشار به روح ابن زباع وقصتها في احراق فساطيط روح وخيامه لا قول ولايته  
حين وجدهم مقيمين في يوم رحيل عبد الملك قصة مشهورة ومن هذه الولايات تعرف رتبة  
الحجاج بين العرب فانه لا يتولى إرادتهم على الطعن الأمن يأمن بوادر السفهاء من  
احيايتهم بحاله من العصية الحائلة دون ذلك ولذلك اختصه عبد الملك بهذه الرتبة ثقة  
بغناته فيما بعصيته وصراوته فلما تفننت الدولة العربية في مذاهب الحضارة والبدخ



ونزلوا المدين والامصار واتقلوا من سكنى الخيام الى سكنى القصور ومن ظهر الخلف الى ظهر الخافر اتخذوا للسكنى في أسفارهم ثياب الكنان يستعملون منها بيوتاً ممتلئة الاشكال مقدرة الامثال من القوراء والمستطيلة والمربعة ويحتفلون فيها بأبلغ مذاهب الاحتفال والزينة وينير الامير والقائد للعساكر على فساطيطه وفازاته من بينهم سياجاً من الكنان يسمى في المغرب بلسان البربر الذي هو لسان أهله أقر البالكاف التي بين الكفاف والقاف ويحتص به السلطان بذلك المقطر لا يكون لغيره \* وأما في المشرق فيتخذ كل أمير وان كان دون السلطان ثم جنحت الدعة بالنساء والولدان الى المقام بقصورهم ومنازلهم فخف لذلك ظهرهم وتقارب السواح بين منازل العسكر واجتمع الجيش والسلطان في معسكر واحد يحصره البصر في بسطة زهواً أنيقاً لا اختلاف ألوانه واستمر الحال على ذلك في مذاهب الدول في بذخها وترفها وكذا كانت دولة الموحدين وزينة التي أطلتنا كان سفرهم أول أمرهم في بيوت سكناهم قبل الملك من الخيام والقياطن حتى اذا أخذت الدولة في مذاهب الترف وسكنى القصور عادوا الى سكنى الاخبية والفساطيط وبلغوا من ذلك فوق ما أرادوه وهو من الترف بمكان الا أن العساكر به تصير عرضة للبيات لاجتماعهم في مكان واحد تشملهم فيه الصيحة ولخفتهم من الاهل والولد الذين تكون الاستمالة دونهم فيحتاج في ذلك الى تحفظ آخر والله القوى العزيز

### (المقصود للصلاة والهداية في الخطبة)

وهما من الامور الخلافية ومن شارات الملك الاسلامي ولم يعرف في غير دول الاسلام \* فأما البيت المقصورة من المسجد لصلاة السلطان فيتخذ سياجاً على المحراب فيحوزه وما يليه فأول من اتخذها معاوية بن أبي سفيان حين طعنه الخارجي والقصة معروفة وقيل أول من اتخذها مروان بن الحكم حين طعنه اليماني ثم اتخذها الخلفاء من بعدهم وصارت سنة في تمييز السلطان عن الناس في الصلاة وهي انما تحدث عند حصول الترف في الدول والاستفحال شأن أحوال الأبهة كلها وما زال الشأن ذلك في الدول الاسلامية كلها وعند اقتراق الدولة العباسية وتعدد الدول بالمشرق وكذا بالاندلس عند انقراض الدولة الاموية وتعدد ملوك الطوائف وأما المغرب فكان بنو الاغلب يتخذونها بالغير وان ثم الخلفاء العبيديون ثم ولاتهم على المغرب من صنهاجة بنو باديس بقماس وبنو حاد بالقلعة ثم ملك الموحدون سائر المغرب والاندلس ومحو ذلك الرسم على طريقة البداوة التي كانت شعارهم ولما استقبلت الدولة وأجندت بحظها من

الترف وجاء أبو يعقوب المصور ثالث ملوكهم فاتخذ هذه المقصورة وبقيت من بعده سنة لملوك المغرب والاندلس وهكذا كان الشأن في سائر الدول سنة الله في عباده \* (وأما الدعاء على المنابر) في الخطبة فكان الشأن أولاً عند الخلفاء ولاية الصلاة بأنفسهم فكانوا يدعون لذلك بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والرضاعن أصحابه وأول من اتخذ المنبر عمرو بن العاصي لما بنى جامع بصصر وأول من دعا للخليفة على المنبر ابن عباس دعا على رضى الله عنه ما في خطبته وهو بالبصرة عامل له عليها فقال اللهم انصر علياً على الحق واتصل العمل على ذلك فيما بعد وبعد أخذ عمرو بن العاصي المنبر بلغ عمر بن الخطاب ذلك فكتب اليه عمر بن الخطاب أما بعد فقد بلغني أنك اتخذت منبراً ترقى به على رقاب المسلمين أو ما يذكرك أن تكون قائماً والمسلمون تحت عقبك فعزمت عليك الاما كسرته فلما حدثت الأبهة وحدث في الخلفاء المانع من الخطبة والصلاة استنابوا فمما فكان الخطيب يشهد بذكر الخليفة على المنبر تنويهاً باسمه ودعاء له بما جعل الله مصلحة العالم فيه ولأن تلك الساعة مظنة للاجابة ولما ثبت عن السلف في قولهم من كانت له دعوة صالحة فليضعها في السلطان وكان الخليفة يفرد بذلك فلما جاء الحجاز والاستبداد صار المتغلبون على الدول كثيراً ما يشاركون الخليفة في ذلك ويشاد باسمهم عقب اسمه وذهب ذلك بذهاب تلك الدول وصار الامر الى اختصاص السلطان بالدعاء له على المنبر دون من سواه وحظر أن يشاركه فيه أحد او يسموا اليه وكثيراً ما يغفل الماهدون من أهل الدول هذا الرسم عندما تكون الدولة في أسلوب الغضاضة ومناحي البداوة في التغافل والخشونة ويقنعون بالدعاء على الابهام والاجال لمن ولي امور المسلمين ويسعون مثل هذه الخطبة اذا كانت على هذا المنحى عباسية يعنون بذلك أن الدعاء على الاجال انما يتناول العباسي تقليداً في ذلك لما سلف من الامر ولا يحتفلون بما وراء ذلك من تعيينه والتعصير بحج باسمه \* يحكى أن يغمراسن بن زيان ماهد دولة بني عبد الواد لما غلبه الامير أبو بكر يحيى بن أبي حفص على تلمسان ثم بداه في إعادة الامر اليه على شروط شرطها كان فيها ذكر اسمه على منابر عمله فقال يغمراسن تلك أعوادهم يذكرون عليهم من شأوا وكذلك يعقوب بن عبد الحق ماهد دولة بني مرين حضره رسول المستنصر الخليفة بتونس من بني أبي حفص وثالث ملوكهم وتختلف بعض أيامه عن شهود الجمعة فقبل له لم يحضر هذا الرسول كراهية خلوا الخطبة من ذكر سلطانه فأذن في الدعاء له وكان ذلك سبباً لاخذهم بدعونه وهكذا شأن الدول في بدايتها وتعمقها في الغضاضة والبداهة فاذا انتهت عمون سياستهم ونظروا في اعطاف ملكهم واستولشيات الحضارة ومعاني البذخ والابهة



اتحلوا جميع هذه السمات وتغنوا فيها وتجاروا الى غايتها وأنفوا من المشاركة فيها  
وجزعو امن افتقادها وخلود ولتهم من آثارها والعالم بستان والله على كل شيء رقيب

### ٢٨ (فصل في الحروب ومذاهب الامم في ترتيبها)

اعلم أن الحروب وأنواع المقاتلة لم تزل واقعة في الخليقة منذ برأها الله وأصلها ارادة  
انتقام بعض البشر من بعض ويتعصب لكل منها أهل عصيته فاذا تذا مروا لذلك  
وتواقفت الطائفتان احدهما تطلب الانتقام والاخرى تدافع كانت الحرب  
وهو أمر طبيعي في البشر لا تخلو عنه امة ولا جيل وسبب هذا الانتقام في الاكثر ائما  
غيرة ومنافسة واما عدوان واما غضب لله ولدينه واما غضب للملك وسعي في تهديده  
فالأول أكثر ما يجري بين القبائل المتجاورة والعشائر المتناظرة والثاني وهو  
العدوان أكثر ما يكون من الامم الوحشية الساكنة بالفقر كالعرب والترك والتركان  
والاكراد وأشباهم لانهم جعلوا أرزاقهم في رماحهم ومعاشهم فيما بأيدي غيرهم ومن  
دافعهم عن متاعه آذونهم بالحرب ولا بغية لهم فيما وراء ذلك من رتبة ولا ملك وانما همهم  
ونصب أعينهم غلب الناس على ما في أيديهم والثالث هو المسمى في الشريعة بالجهاد  
والرابع هو حروب الدول مع الخارجين عليها والممانعين لطاعتها فهذه أربعة أصناف  
من الحروب الصنفان الاولان منها حروب بني وقتة والصنفان الاخيران حروب جهاد  
وعادل وصفة الحروب الواقعة بين الخليقة منذ أقول وجودهم على نوعين نوع  
بالزحف صفوف ونوع بالسكر والفر أما الذي بالزحف فهو قتال العجم كلهم على  
تعاقب أجيالهم وأما الذي بالسكر والفر فهو قتال العرب والبربر من أهل المغرب  
وقتل الزحف أو ثق وأشد من قتال السكر والفر وذلك لأن قتال الزحف ترتب فيه  
الصفوف وتسوى كما تسوى القداح أو صفوف الصلاة ويمشون بصفوفهم الى العدو  
قدما فلذلك تكون أثبت عند المصارعة وأصدق في القتال وأرهب للعدو لانه كالخائط  
الامتد والقصر المشيد لا يطعم في انزالته وفي التزليل ان الله يحب الذين يقاتلون في  
سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص أي يشد بعضهم بعضا بالثبات وفي الحديث الكريم  
المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ومن هنا يظهر لك حكمة ايجاب الثبات  
وتحريم التولي في الزحف فان المقصود من الصف في القتال حفظ النظام كما قلناه فمن  
ولى العدو وظهره فقد أدخل بالمصاف وبأيمان الهزيمة ان وقعت وصار كأنه جرحا على  
المسلمين وأمكن منهم عدوهم فعظم الذنب لعموم المفسد قوت عدتها الى الدين بخرق  
سياحه فعظم المكابر ويظهر من هذه الادلة أن قتال الزحف أشد عند الشارع وأما

قتال السكر والفر فليس فيه من الشدة والامن من الهزيمة ما في قتال الزحف الا أنهم  
قد يتخذون وراءهم في القتال مصافا ثابتا يلجئون اليه في السكر والفر ويقوم لهم مقام  
قتال الزحف كما ذكره بعد ثم ان الدول القديمة الكثيرة الجنود المتسعة الممالك كانوا  
يقسمون الجيوش والعساكر أقساما يسمونها كراديس ويسوون في كل كرادوس  
صفوفه وسبب ذلك أنه لما كثرت جنودهم الكثيرة البالغة وحشدوا من قاصية  
النواحي استدعى ذلك أن يجهل بعضهم بعضا اذا اختلطوا في مجال الحرب واعتدوا  
مع عدوهم الطعن والضرب فيخشى من تدافعهم فيما بينهم لاجل السكر وجهل  
بعضهم ببعض فلذلك كانوا يقسمون العساكر جوعا ويضمون المتعارفين بعضهم لبعض  
ويرتبونها قريبا من الترتيب الطبيعي في الجهات الاربع ورئيس العساكر كاهان سلطان  
أو قائد في القلب ويسمون هذا الترتيب التعبية وهو مذكور في أخبار فارس والروم  
والدولتين صدر الاسلام فيجعلون بين يدي الملك عسكريا منفردا بصفوفه متميزا بقائده  
ورايته وشعاره ويسمون هذه المقدمة ثم عسكريا آخر من ناحية اليمين عن موقف الملك وعلى  
سمته يسمونه المينة ثم عسكريا آخر من ناحية الشمال كذلك يسمونه الميسرة ثم عسكريا  
آخر من وراء العسكري يسمونه الساقة ويقف الملك وأصحابه في الوسط بين هذه الاربع  
ويسمون موقفه القلب فاذا تم لهم هذا الترتيب المحكم اما في مدى واحد للبصر أو على  
مسافة بعيدة أكثرها اليوم واليومان بين كل عسكريين منها أو كيفما أعطاه حال  
العساكر في القلة والكثرة فينبغي أن يكون الزحف من بعده هذه التعبية وانظر ذلك في  
أخبار الفتوحات وأخبار الدولتين بالمشرق وكيف كانت العساكر لعهد عبد الملك  
تختلف عن رحيله بعد المدى في التعبية فاحتجج بان يسوقها من خلفه وعين لذلك  
الحجاج بن يوسف كما أشرنا اليه وكما هو معروف في أخباره وكان في الدولة الاموية  
بالاندلس أيضا كثير منه وهو مجهول فيما لا بنا لاننا أدركنا دولا قليلة العساكر لا تنتهي  
في مجال الحرب الى التناكر بل أكثر الجيوش من الطائفتين معا يجتمعهم ليدنا حلة أو  
مدينة ويعرف كل واحد منهم قرنه ويناديه في حومة الحرب باسمه ولقبه فاستغنى عن  
نلك التعبية

(فصل) ومن مذاهب أهل السكر والفر في الحروب ضرب المصاف وراء عسكريهم من  
الحجادات والحيوانات العجم فيتحذونهم ملجأ للخيالة في كرتهم وفرهم يطلبون به  
ثبات المقاتلة ليكون أدوم للعرب وأقرب الى الغلب وقد يفعل أهل الزحف أيضا  
ليزيدهم ثباتا وشدة فقد كان الفرس وهم أهل الزحف يتخذون القبلة في الحروب  
ويحملون عليها أبراجا من الخشب أمثال الصروح مشحونة بالمقاتلة والسلاح



والرايات ويصفونها وراهم في حومة الحرب كأنهم حصون فتقوى بذلك نفوسهم  
ويردادونوقهم وانظر ما وقع من ذلك في القادسية وأن فارس في اليوم الثالث اشتدوا  
بهم على المسلمين حتى اشتدت رجالات من العرب في الطوهم ويحجوها بالسيوف على  
خراطيمها فنغرت ونصبت على أعقابها إلى مرابطها بالمداين فخفامعسكر فارس  
لذلك وانهمزوا في اليوم الرابع \* وأما الروم وملوك القوط بالاندلس وأكثر العجم  
فكانوا يتخذون لذلك الاسرة ينصبون للملك سريره في حومة الحرب ويحفظ به من  
خدمه وحاشيته وجنوده من هو زعيم بالاستماتة دونه وترفع الرايات في اركان السير  
ويحذو به سياج آخر من الرماة والرجال في عظم هيكل السير ويصير فئة للمقاتلة وملجأ  
للكر والفر وجعل ذلك القوس أيام القادسية وكان رستم جالس فيها على سريره  
لجلوسه حتى اختلقت صفوف فارس وخالطه العرب في سريره ذلك فحقول عنه إلى  
القرات وقتل \* وأما أهل الكر والفر من العرب وأكثر الامم البدوية الرحالة  
فيمضون لذلك ابلهم والظهر الذي يحمل طعائهم فيكون فئة لهم ويسمونهم الجيوزة  
وليس أمة من الامم الا وهي تفعل ذلك في حروبها وتراه أوثق في الحولة وآمن من الغرة  
والهزيمة وهو أمر مشاهد وقد أغفلته الدول لعهدنا بالجليلة واعتاضوا عنه بالظهر  
الحامل للثقال والفساطيط يجعلونها اساقفة من خلفهم ولا تغني غناء القبيلة والابل  
فصارت العساكر بذلك عرضة للهزائم ومستشعرة للفرار في المواقف \* وكان  
الحرب أول الاسلام كله زحفا وكان العرب انما يعرفون الكر والفر لكن جعلهم على  
ذلك أول الاسلام أمران أحدهما أن عدوهم كانوا يقاتلون زحفا فيضطرون إلى  
مقاتلتهم مثل قتالهم الثاني أنهم كانوا مستميتين في جهادهم لما رغبوا فيه من الصبر ولما  
رسم فيهم من الايمان والزحف إلى الاستماتة أقرب \* وأول من أبطل الصف في  
الحروب وصار إلى التعبئة كراديس مروان بن الحارث في قتال الضحالك الخارجي  
والجبيرى بعده قال الطبرى لما ذكر قتال الجبيرى فولى الخوارج عليهم شيان بن عبد  
العزير البشكري ويلقب أبا الدقاء وقتلهم مروان بعد ذلك بالكراديس وأبطل  
الصف من يومئذ انتهى فتسوى قتال الزحف بابطال الصف ثم تنوى الصف وراء  
المقاتلة بما داخل الدول من الترف وذلك أنها حينما كانت بدوية وسكانهم الخيام كانوا  
يستكثرون من الابل وسكنى النساء والولدان معهم في الاحياء فلما حصلوا على ترف  
الملك وألفوا سكنى القصور والحواسر وتركوا شأن البادية والقفر نسوا ذلك عهد  
الابل والظعان وصعب عليهم اتخاذها فخلفوا النساء في الاسفار وجعلهم الملك والترف  
على اتخاذ الفساطيط والახبية فاقتصر على الظهر الحامل للثقال والابنية وكان

قنوله للثقال  
والابنية مراده  
بالابنية الخيام كما  
يدل له قوله في  
فصل الخندق  
الآتى قريبا اذا  
نزلوا وضربوا  
أبنتهم اه

ذلك

ذلك صفتهم في الحرب ولا يغني كل الغناء لانه لا يدعو إلى الاستماتة كما يدعو اليها الابل  
والمال فيصف الصبر من أجل ذلك وذكروا عنهم الهيعات وتخزم صفوفهم  
(فصل) ولما ذكرناه من ضرب المصاف وراء العساكر وتأكد في قتال الكر  
والفر صار ملوك المغرب يتخذون طائفة من الافرنج في جندهم واختصوا بذلك لأن  
قتال أهل وطنهم كله بالكر والفر والسلطان تأكد في حقه ضرب المصاف ليكون رداً  
للمقاتلة أمامه فلا بد وأن يكون أهل ذلك الصف من قوم متعودين للثبات في الزحف  
والأجفلاو على طريقة أهل الكر والفر فانهم زعم السلطان والعساكر باجفلاهم  
فاحتاج الملوك بالمغرب أن يتخذوا جنداً من هذه الامة المتعوده للثبات في الزحف وهم  
الافرنج ويرتبون مضافهم المحقق بهم منتهاد على ما فيه من الاستعانة بأهل الكفر  
وانما استخفوا ذلك للضرورة التي أرىنا كهان من تخوف الأجفال على مصاف السلطان  
والافرنج لا يعرفون غير الثبات في ذلك لأن عادتهم في القتال الزحف فكانوا أقوم بذلك  
من غيرهم مع أن الملوك في المغرب انما يفعلون ذلك عند الحرب مع أمم العرب والبربر  
وقتالهم على الطاعة وأما في الجهاد فلا يستعينون بهم حذراً من عمالاتهم على المسلمين  
هذا هو الواقع بالمغرب لهذا العهد وقد أبدى ناسيبه والله بكل شئ عليم  
(فصل) وبغنا أن أهم الترتل لهذا العهد قتالهم مناضلة بالسهم وأن تعبئة الحرب  
عندهم بالمصاف وأنهم يقسمون بثلاثة صفوف يضربون صفوا وراء صف ويتربحون  
عن خيولهم ويفترغون سهامهم بين أيديهم ثم يتناضلون جلوساً وكل صف رده للذي  
أمامه أن يكسبهم العدو إلى أن يتم النصر لأحدى الطائفتين على الاخرى وهي  
تعبئة محكمة غريبة

(فصل) وكان من مذاهب الاول في حروبهم حفر الخنادق على معسكرهم عند  
ما يتقاربون للزحف حذراً من معرفة البينات والمهجوم على العسكر بالليل لما في ظلمته  
ووحشته من مضاعفة الخوف فيلوذ الجيش بالفرار ويوجد النفوس في الظلمة ستر من  
عاره فاذا اتساوا في ذلك أرحف العساكر ووقعت الهزيمة فكانوا لذلك يمتنعون  
الخنادق على معسكرهم اذا نزلوا وضربوا أبنتهم ويديرون الحفائر نطافاً عليهم من  
جميع جهاتهم حرصاً أن يخاطبهم العدو بالبنات فيمخا ذلوا وكانت للدول في أمثال  
هذا قوة وعليه اقتدار باحتشاد الرجال وجمع الأيدي عليه في كل منزل من منازلهم بما  
كانوا عليه من وفور العمران وخصامة الملك فلما خرب العمران وتبعه ضعف الدول  
وقلة الجنود وعدم الفعله نسي هذا الشأن فجاءه كانه لم يكن والله خير القادرين وانظر  
وصية على رضى الله عنه وتخر بضة لاصحابه يوم صفين تجد كثيراً من علم الحرب ولم يكن



أحد أبصر به سانه قال في كلامه فسووا صغوفكم بالبنيان المرصوص وقدموا  
الدارع وأخروا الحاسر وعضوا على الاضراس فانه أنى للسوف عن الهام والتوا  
على اطراف الرماح فانه أصون للاسنة وعضوا الا بصار فانه أربط للجاش وأسكن  
للقلوب واخفوا الاصوات فانه أطرده للفشل وأولى بالوقار وأقيموا أياتكم فلا  
تبلوها ولا تجعلوها الأيدي شجعانكم واستعينوا بالصدق والصبر فانه بقدر الصبر  
ينزل النصر وقال الاشتري يومئذ يحترض الازدعضوا على النواجد من الاضراس  
واستقبلوا القوم بهامكم وشدوا شدة قوم سوتورين ينأرون بأبائهم واخوانهم حناقا  
على عدوهم وقد وطنوا على الموت أنفسهم لا يسبقوا بوتر ولا يلحقهم في الدنيا عار  
وقد أشار إلى كثير من ذلك أبو بكر الصيرفي شاعر لثونة وأهل الاندلس في كلمة يمدح بها  
ناشفين بن علي بن يوسف ويصف ثباته في حرب شهداها ويذكره بأموال الحرب في  
وصايا وتحذيرات تنبهك على معرفة كثير من سياسة الحرب يقول فيها

يا أيها المبلأ الذي يتقنع \* من منكم الملك الهمام الاروع  
ومن الذي غدر العدو به دجى \* فانقض كل وهو لا يترزعزع  
تمضى الفوارس والطعان بصتها \* عنه ويدمرها الوفاء فترجع  
والليل من وضع الترائك انه \* صبح على هام الجيوش يلح  
أتى فرعتم يابى صنهاجة \* واليكم في الروع كان المفرع  
انسان عين لم يصبه منهكم \* حزن وقلب أسلمته الاضلع  
وصددتم عن ناشفين وانه \* لعقابه لو شاء فيكم موضع  
ما أنتموا الا أسود خفية \* كل لكل كرهية مستطلع  
يا ناشفين أقم جيشك عذره \* بالليل والغدر الذي لا يدفع  
(ومنها في سياسة الحرب)

أهديك من أدب السياسة ما به \* كانت ملوك الفرس قبلك تلوح  
لا أننى أدري بها لكنا \* ذكرى تحض المؤمنين وتنفذ  
والبس من الخلق المضاعفة التي \* وصى بها صنع الصنائع تبع  
والهند واني الرقيق فانه \* أمضى على حد الدلاص وأقطع  
واركب من الخيل السوابق عتة \* حصنا حصينا ليس فيه مدفع  
خندق عليك اذا ضربت محلة \* سبان تتبع ظافرا أو تتبع  
والواد لا تعب به وانزل عنده \* بين العدو قوين جيشك يقطع  
واجعل مناجرة الجيوش عسمة \* ووراءك الصدق الذي هو أمتع

وإذا تضابقت الجيوش بمعرك \* ضحك فأطراف الرماح توسع  
واصدمه أول وهلة لا تكترث \* شيا فاطهار النكول يضعضع  
واجعل من الطلاع أهل شهامة \* للصدق فيهم شيمة لا تخدع  
لا تسمع الكذاب جاءك مرجفا \* لا رأى للكذاب فيما يصنع  
قوله واصدمه أول وهلة لا تكترث البيت مخالف لما عليه الناس في أمر الحرب فقد  
قال عمر لابي عبيد بن مسعود الثقفي لما ولاه حرب فارس والعراق فقال له اسمع وأطع  
من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واشركهم في الامر ولا تجمين مسرعا حتى  
تبين فانه الحرب ولا يصلح لها الا الرجل المكث الذي يعرف الفرصة والكف وقال له  
في أخرى انه ان يمنعني أن أوامر سليطا الاسرعة في الحرب وفي التسرع في الحرب الا  
عن بيان ضياع والله لولا ذلك لآثرته لكن الحرب لا يصلحها الا الرجل المكث هذا  
كلام عمرو وهو شاهد بأن التناقل في الحرب أولى من الخفوف حتى يتبين حال تلك الحرب  
وذلك عكس ما قاله الصيرفي الآن يريد أن الصدم بعد البيان فله وجه والله تعالى أعلم  
(فصل) ولا وثوق في الحرب بالظفر وان حصلت أسبابه من العدة والعديد وانما  
الظفر فيها والغلب من قبيل البخت والاتفاق وبيان ذلك أن أسباب الغلب في الاكثر  
مجموعة من أمور ظاهرة وهي الجيوش ووفورها وكال الاسلحة واستجابتها وكثرة  
الشجعان وترتيب المصاف ومنه صدق القتال وما جرى مجرى ذلك ومن أمور خفية  
وهي اتمان خدع البشر وحيلهم في الارجاف والتشايخ التي يقع بها الخدع وفي  
التقدم الى الامام كن المرتفعة ليكون الحرب من أعلى فيتوهم المنخفض لذلك وفي  
الكمون في الغياض ومطمئن الارض والتواري بالكدي عن العدو حتى يتداهم  
العسكر دفعة وقد تورطوا فيسلمون الى النجاة وأمثال ذلك واما أن تكون تلك  
الاسباب الخفية امورا سماوية لا قدرة للبشر على اكتسابها تلي في القلوب فيستولى  
الرهب عليهم لاجلها فتختل امرأهم فتقع الهزيمة واستمر ما تقع الهزائم عن  
هذه الاسباب الخفية لكثرة ما يعقل امك واحد من الفريقين فيها حرصا على الغلب  
فلا بد من وقوع التأثير في ذلك لاحدهما ضرورة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الحرب  
خدعة ومن أمثال العرب رب حيلة أنفع من قبيلة فقد تبين أن وقوع الغلب في  
الحروب غالباً عن أسباب خفية غير ظاهرة ووقوع الاشياء عن الاسباب الخفية هو  
معنى البخت كما تقرر في موضعه فاعتبره وتفهم من وقوع الغلب عن الامور السماوية  
كما شرحناه معنى قوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر وما وقع من غلبه  
للمشركين في حياته بالعدد القليل وغلب المسلمين من بعده كذلك في الفتوحات



فإن الله سبحانه وتعالى تكفل لنبينا بالقاء الرعب في قلوب الكافرين حتى يستولى على قلوبهم فينهزموا معجزاً لرسوله صلى الله عليه وسلم فكان الرعب في قلوبهم سبباً للهزائم في الفتوحات الإسلامية كلها لأنه خفي عن العيون \* وقد ذكر الطرطوشي أن من أسباب الغلب في الحروب أن تفضل عدة الفرسان المشاهير من الشجعان في أحد الجانبين على عدتهم في الجانب الآخر مثل أن يكون أحد الجانبين فيه عشرة أو عشرون من الشجعان المشاهير وفي الجانب الآخر ثمانية أو ستة عشر فالجانب الزائد ولو بواحد يكون له الغلب وأعاد في ذلك وأبدى وهو راجع إلى الأسباب الظاهرة التي قد تناولها ليس بصحيح وإنما الصحيح المعتمد في الغلب حال العصية أن يكون في أحد الجانبين عصية واحدة جامعة لكلهم وفي الجانب الآخر عصائب متعددة لأن العصائب إذا كانت متعددة يقع بينها من التخاذل ما يقع في الوجدان المتفرقين المتباكين للعصية إذ تنزل كل عصاة منهم منزلة الواحد ويكون الجانب الذي عصيته متعددة لا يقاوم الجانب الذي عصيته واحدة لأجل ذلك ففهمه واعلم أنه أوضح في الاعتبار مما ذهب إليه الطرطوشي ولم يحمله على ذلك إلا نسيان شأن العصية في حلة وبلدة وانهم انما يرون ذلك الدفاع والحماية والمطالبة إلى الوجدان والجماعة الناشئة عنهم لا يعتبرون في ذلك عصية ولا نسباً وقد بينا ذلك أول الكتاب مع أن هذا أولاً مثاله على تقدير صحتها انما هو من الأسباب الظاهرة مثل اتفاق الجيش في العدة وصدق القتال وكثرة الأسلحة وما أشبهها فكيف يجعل ذلك كفيلاً بالغلب ونحن قد قررنا ذلك الآن أن شيئاً منها لا يعارض الأسباب الخفية من الحيل والخداع ولا الأمور السماوية من الرعب والخذلان الإلهي ففهمه وتفهّم أحوال الكون والله مقدّر الليل والنهار

(فصل) ويلحق بمعنى الغلب في الحروب وأن أسبابه خفية وغير طبيعية حال الشهرة والصيت فقل أن تصادف موضعها في أحد من طبقات الناس من الملوك والعلماء والصالحين والمنتهلين للفضائل على العموم وكثير من اشتهر بالشرف وهو بخلافه وكثير من تجاوزت عنه الشهرة وهو أحق بها وأهلها وقد تصادف موضعها وتكون طبقاً على صاحبها والسبب في ذلك أن الشهرة والصيت انما هما بالأخبار والأخبار يدخلها الذهول عن المقاصد عند المناقل ويدخلها التعصب والتشيع ويدخلها الأوهام ويدخلها الجهل بمطابقة الحكايات للأحوال خلفتها بالتلبيس والتصنع أو بجهل المناقل ويدخلها التقرب لأصحاب التجارة والمراتب الدنيوية بالثناء والمدح وتحسين الأحوال وإشاعة الذكر بذلك والنفوس مولعة بحب الثناء والناس متطاولون إلى الدنيا وأسبابها من جاه أو ثروة أو بسواها في أكثر براغيث في الفضائل ولا منافسين في

أهلها وأين مطابقة الحق مع هذه كلها فتمتل الشهرة عن أسباب خفية من هذه وتكون غير مطابقة وكل ما حصل بسبب خفي فهو الذي يعبر عنه بالبحث كما تقرروا الله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

### ٢٩ (فصل في الجباية وسبب قلتها وكثرتها)

اعلم أن الجباية أول الدولة تكون قليلة الوزائع كثيرة الجملة وآخر الدولة تكون كثيرة الوزائع قليلة الجملة والسبب في ذلك أن الدولة ان كانت على سنن الدين فليست إلا المغارم الشرعية من الصدقات والخراج والجزية وهي قليلة الوزائع لأن مقدار الزكاة من المال قليل كما علمت وكذا زكاة الحبوب والماشية وكذا الجزية والخراج وجميع المغارم الشرعية وهي حدود ولا تتعدى وإن كانت على سنن التغلب والعصية فلا بد من البدأة في أولها كما تقدم والبدأة تقتضي المسامحة والمكارمة وخفض الجناح والتجافي عن أموال الناس والغفلة عن تحصيل ذلك إلا في النادر فيقل ذلك مقدار الوظيفة الواحدة والوزيعة التي تجمع الأموال من مجموعها وإذا قلت الوزائع والوظائف على الرعايا نشطوا للعمل ورغبوا فيه فيكثر الاعتماد ويتزايد محصول الاعتباط بقلة المغرم وإذا كثرت الاعتماد كثرت أعداد تلك الوظائف والوزائع فكثرت الجباية التي هي جملتها فإذا استمرت الدولة واتصلت وتعاقب ملوكها واحد بعد واحد واتصفوا بالكيس وذهب شر البدأة والسذاجة وخابها من الأغصاء والتجافي وجاء الملك العضوض والحضارة الداعية إلى الكيس وتخلق أهل الدولة حينئذ بتخلق التمدن وتكثر عوائدهم وحوائجهم بسبب ما انعموا فيه من النعيم والترفع فيكثرون الوظائف والوزائع حينئذ على الرعايا والأكره والفلاحين وسائر أهل المغارم ويزيدون في كل وظيفة ووزيعة مقداراً عظيماً لتكثر لهم الجباية ويضعون المكوس على المبيعات وفي الأبواب كما ذكر بعد ثم تدرج الزيادات فيها بقدر بعد مقدار لتدرج عوائد الدولة في الترف وكثرة الحاجات والاتفاق بسببه حتى تثقل المغارم على الرعايا وتنهم وتصبح عادة مفروضة لأن تلك الزيادة تدرجت قليلاً قليلاً ولم يشعر أحد بمن زادها على التعيين ولا من هو واضعها انما ثبتت على الرعايا في الاعتماد لذهاب الأمل من نفوسهم بقلة النفع إذا قابل بين نفعه ومغارمه وبين ثمرته وفائدته فتستقبض كثير من الأيدي عن الاعتماد بجهة فتستقص جلة الجباية حينئذ بنقصان تلك الوزائع منها ويزيدون في مقدار الوظائف إذا رأوا ذلك النقص في الجباية ويحسبونه جبراً لما نقص حتى تنتهي كل وظيفة ووزيعة إلى غاية ليس وراءها نفع ولا فائدة لكثرة الاتفاق حينئذ



في الاعتماد وكثرة المغارم وعدم وفاء الفائدة المرجوة به فلا تزال الجملة في نقص  
ومقدار الوزائع والوظائف في زيادة لما يعتقده من جبر الجملة بها الى أن ينتقص  
العمران بذهاب الآمال من الاعتماد ويعود وبالذلك على الدولة لان فائدة الاعتماد  
عائدة اليها واذا فهمت ذلك علمت أن أقوى الاسباب في الاعتماد تقليل مقدار الوظائف  
على المعتمرين ما أمكن فبذلك تنبسط النفوس اليه لثقتها بادرال المنفعة فيه والله  
سبحانه وتعالى مالك الامور كلها ويسده ملكوت كل شيء

#### ٤٠ (فصل في ضرب المكوس واخر الدولة)

اعلم أن الدولة تكون في أولها بدوية كما قلنا فتكون لذلك قليلة الحاجات لعدم  
الترف وعوائده فيكون خرجها وانفاقها قليلا فيكون في الجباية حينئذ وفاء بأزيد منها  
بل يفضل منها كثير عن حاجتهم ثم لا تلبث أن تأخذ من الحضارة في الترف وعوائدها  
وتجري على نهج الدول السابقة قبلها فيكثر لذلك خراج أهل الدولة ويكثر خراج  
السلطان خصوصا كثرة بلغة بنقته في خاصته وكثرة عطائه ولا تفي بذلك الجباية  
فتحتاج الدولة الى الزيادة في الجباية لما تحتاج اليه الحامية من العطاء والسلطان من  
النفقة فيزيد في مقدار الوظائف والوزائع أولا كما قلناه ثم يزيد الخراج والحاجات  
والتدريج في عوائد الترف وفي العطاء للحامية ويدرك الدولة الهرم وتضعف عصابتها  
عن جباية الاموال من الاعمال والقاصية فتقل الجباية وتكثر العوائد ويكثر بكثرتها  
أرزاق الجند وعطاؤهم فيستحدث صاحب الدولة أنواعا من الجباية يضربها على  
البياعات ويفرض لها قدر معلوما على الأثمان في الاسواق وعلى أعيان السلع  
في أموال المدينة وهو مع هذا مضطر لذلك بما دعا اليه ترف الناس من كثرة العطاء  
مع زيادة الجيوش والحامية ويرى بذلك في أواخر الدولة زيادة بالغة فتكسد  
الاسواق لفساد الآمال ويؤذن ذلك باختلال العمران ويعود على الدولة ولا يزال  
ذلك يتزايد الى أن تضجعل وقد كان وقع منه بأمصاار المشرق في أخريات الدولة  
العباسية والعبيدية كثير وفرضت المغارم حتى على الحاج في الموسم وأسقط صلاح  
الدين أيوب تلك الرسوم جملة وأعاضها بآثار الخبز وكذلك وقع بالاندلس لعهد  
الطوائف حتى محارمه يوسف بن تاشفين أمير المرابطين وكذلك وقع بأمصاار الجريد  
بأفريقية لهذا العهد حين استبد بها رؤساؤها والله تعالى أعلم

#### ٤١ (فصل في ان التجارة من السلطان مفرة بالرعايا مفسدة للجباية)

اعلم أن الدولة اذا ضاقت جبايتها بما قد مناه من الترف وكثرة العوائد والنفقات وقصر

الحاصل من جبايتها على الوفاء بحاجاتهم وانفقاتها واحتاجت الى مزيد المال والجباية  
فتارة توضع المكوس على بيعات الرعايا وأسواقهم كما قدمنا ذلك في الفصل قبله وتارة  
بالزيادة في ألقاب المكوس ان كان قد استحدث من قبل وتارة بمقاسمة العمال والجباية  
وامتلاك عظامهم لما يرون أنهم قد حصلوا على شيء طائل من أموال الجباية لا يظهره  
الحسبان وتارة باستحداث التجارة والفلاحة للسلطان على تسمية الجباية لما يرون  
التجار والفلاحين يحصلون على القوائد والغلات مع يسارة أموالهم وأن الأرباح  
تكون على نسبة رؤس الاموال فيأخذون في اكتساب الحيوان والنبات لاستغلاله  
في شراء البضائع والتعرض بها لحالة الاسواق وبحسبون ذلك من ادراار الجباية  
وتكثير القوائد وهو غلط عظيم وادخال الضرر على الرعايا من وجوه متعددة فأولا  
مضايقه الفلاحين والتجار في شراء الحيوان والبضائع وتيسير أسباب ذلك فان الرعايا  
متكاثرون في اليسار متقاربون ومنزاحة بعضهم بعضا تنتهي الى غاية موجودهم  
أو تقرب واذارافقهم السلطان في ذلك وماله أعظم كثير منهم فلا يكاد أحد منهم  
يحصل على غرضه في شيء من حاجاته ويدخل على النفوس من ذلك غم ونكد ثم  
ان السلطان قد يتزعج الكثير من ذلك اذا تعرض له غضا أو بأيسر عن أولي الجند من  
يناقشه في شرائه فيجس منه على بآئعه ثم اذا حصل قوائد الفلاحة ومغلها كله من  
زرع أو حرير أو غسل أو سكر أو غير ذلك من أنواع الغلات وحصلت بضائع التجارة  
من سائر الانواع فلا ينتظرون به حواله الاسواق ولا اتفاق البياعات لما يدعوههم اليه  
تكاليف الدولة فيكفون أهل تلك الاصناف من تاجر أو فلاح بشراء تلك البضائع  
ولا يرضون في أثمانها الا القيم وأزيد فيستوعبون في ذلك ناض أموالهم وتبقى تلك  
البضائع بأيديهم عروضا جامدة ويكثرون عطالا من الادارة التي فيها كسبهم ومعاشهم  
وربما تدعوههم الضرورة الى شيء من المال فيبيعون تلك السلع على كساد من الاسواق  
بأبخس ثمن وربما يتكرر ذلك على التاجر والفلاح منهم بما يذهب رأس ماله فيقع  
عن سوقه ويتعد ذلك ويتكرر ويدخل به على الرعايا من العنت والمضايقه وفساد  
الأرباح ما يقبض آمالهم عن السعي في ذلك جملة ويؤدى الى فساد الجباية فان معظم  
الجباية انما هي من الفلاحين والتجار لا سيما بعد وضع المكوس وغو الجباية بها فاذا  
انقبض الفلاحون عن الفلاحة وقعد التجار عن التجارة ذهبت الجباية جملة أو دخلها  
النقص المتفاحش واذا قايس السلطان بين ما يحصل له من الجباية وبين هذه الأرباح  
القليلة وجدها بالنسبة الى الجباية أقل من القليل ثم انه ولو كان مفيدا فذهب له  
محظ عظيم من الجباية فيما يعاينه من شراء أو بيع فانه من البعيد أن يوجد فيه من



المكس ولو كان غيره في تلك الصفقات لكان تكسبها كلها حاصلا من جهة الجباية ثم فيه التعرض لأهل عمرانه واختلال الدولة بفسادهم ونقصه فان الرعايا اذا قعدوا عن تمييز أموالهم بالصلاح والتجارة نقصت وتلاشت بالنفقات وكان فيها تلاف أحوالهم فافهم ذلك وكان الفرس لا يعلمون عايمهم الا من أهل بيت المملكة ثم يحتارونه من أهل النضل والدين والادب والسجاء والشجاعة والكرم ثم يشترطون عليه مع ذلك العدل وأن لا يتخذ صنعة فيضرب بجيرانه ولا يتاجر فيجب غلاء الاسعار في البضائع وأن لا يستخدم العبيد فانهم لا يشيرون بخير ولا مصلحة \* واعلم أن السلطان لا ينبغي ماله ولا يدر موجوده الا الجباية وادارها انما يكون بالعدل في أهل الاموال والنظر لهم بذلك فبذلك تنبسط أموالهم وتشرح صدورهم للاخذ في تمييز الاموال وتمييزها فتعظم منها جباية السلطان وأما غير ذلك من تجارة أو فليح فأنما هو مضرة عاجلة للرعايا وفساد للجباية ونقص للعمارة وقد ينتهي الحال بهؤلاء المنسلخين للتجارة والفلاحة من الاحرار والمتغلبين في البلدان انهم يتعرضون لشراء الغلات والسلع من أربابها الواردين على بلدهم ويفرضون لذلك من الثمن ما يشاؤون ويبيعونها في وقتها من تحت أيديهم من الرعايا بما يفرضون من الثمن وهذه أشد من الاولى وأقرب الى فساد الرعية واختلال أحوالهم وربما يحمل السلطان على ذلك من يداخله من هذه الاصناف أعنى التجار والفلاحين ما هي صناعته التي نشأ عليها فيحمل السلطان على ذلك ويضرب معه بسهم لنفسه ليحصل على غرضه من جمع المال سريعا سيما مع ما يحصل له من التجارة بلا مغرم ولا مكس فانها أجد ربحا من الاموال وأسرع في تمييزه ولا يفهم ما يدخل على السلطان من الضرر بنقص جبايته فيذبحي للسلطان أن يحذر من هؤلاء ويعرض عن سعياتهم المضرة بجبايته وسلطانته والله يلهيهم نار شدا أنفسنا ويتقنعنا بصلاح الاعمال والله تعالى أعلم

#### ٤٢ (فصل في ان ثروة السلطان وحاشيته انما تكون في وسط الدولة)

والسبب في ذلك أن الجباية في أول الدولة تتوزع على أهل القبيل والعصية بمقدار غنائمهم وعصبيتهم ولأن الحاجة اليهم في تهديد الدولة كما قلناه من قبل فريستهم في ذلك متجاف لهم عما يسمون اليه من الجباية معترض عن ذلك بما هو يروم من الاستعداد عليهم فله عليهم عزه وله اليهم حاجة فلا يطير في سببانه من الجباية الا الاقل من حاجته فتجد حاشيته لذلك وأذياله من الوزراء والكتاب والموالي مملكين في الغالب وجاههم متقلص لانه من جاء مخدومهم ونطاقه قد ضاق بمن يراجه فيه من أهل عصيته فاذا

استفعلت طبيعة الملك وحصل لصاحب الدولة الاستعداد على قومه قبض أيديهم عن الجبايات الا ما يطير لهم بين الناس في سببهم وتقل حظوظهم اذ ذلك لظلة غنائمهم في الدولة بما انكبح من أعنتهم وصار الموال والصنائع مساهمين لهم في القيام بالدولة وتهديد الامر فينفرد صاحب الدولة حينئذ بالجباية أو معظمها ويحتوى على الاموال ويحتجها بالنفقات في مهمات الاحوال فتكثر ثروته وتغنى خزائنه ويتسع نطاق جباهه ويعتز على سائر قومه فيعظم حال حاشيته وذويه من وزير وكتاب وحاجب ومولى وشرطي ويتسع جاههم ويقنون الاموال ويتألفونهم اثم اذا أخذت الدولة في الهرم بتلاشي العصية وفناء القبيل الماعدين للدولة احتاج صاحب الامر حينئذ الى الاعوان والانصار لكثرة الخوارج والمنازعين والثوار وتوهم الانتقاض فصار خراجهم لظهوره وأعوانه وهم أرباب السيوف وأهل العصيات وأنفق خزائنه وحاصله في مهمات الدولة وقلت مع ذلك الجباية تلاقه من كثرة العطاء والاتفاق فيقل الخراج وتشتد حاجة الدولة الى المال فيتقلص ظل النعمة والترفع عن الخواص والحجاب والكتاب يتقلص الجاه عنهم وضيق نطاقه على صاحب الدولة ثم تشتد حاجة صاحب الدولة الى المال وتنفق أبناء البطانة والحاشية ما تأثله آباؤهم من الاموال في غير سيدها من اعانة صاحب الدولة ويقبلون على غير ما كان عليه آباؤهم وسلفهم من المناصحة ويرى صاحب الدولة أنه أحق بتلك الاموال التي اكتسبت في دولة سلفه وجباههم فيصطلحها ويتزعمها منهم لنفسه شيئا فشيئا وواحد بعد واحد على نسبة رتبهم وتكسر الدولة لهم ويعودون بال ذلك على الدولة بفناء حاشيتها ورجالها وأهل الثروة والنعمة من بطانتها ويتقوض بذلك كثير من مباني المجد بعد أن يدعه أهله ويرفعوه \* وانظر ما وقع من ذلك لوزراء الدولة العباسية في بني حنظلة وبني سهل وبني طاهر وأمثالهم ثم في الدولة الاموية بالاندلس عند انحلالها أيام الطوائف في بني شهيد وبني أبي عبدة وبني حدير وبني برد وأمثالهم وكذا في الدولة التي أدركاها العهد ناسنة الله التي قد خلت في عبادته

(فصل) ولما وقع أهل الدولة من أمثال هذه المعاطب صار الكثير منهم ينزعون الى الفرار عن الرتب والتخلص من رتبة السلطان بما حصل في أيديهم من مال الدولة الى قطر آخر ويرون أنه أهنا لهم وأسلم في انفاقه وحصول ثمرته وهو من الاغلاط الفاحشة والاولهات المفسدة لاجوالهم وديارهم واعلم أن الخلاص من ذلك بعد الحصول فيه عسير عمنع فان صاحب هذا الغرض اذا كان هو الملك نفسه فلا يمكنه الرعية من ذلك طريقة عين ولا أهل العصية المزاجون له بل في ظهور ذلك منه هدم



للملك والاتلاف لنفسه بجاري العادة بذلك لأن رتبة الملك يعسر الخلاص منها سيما عند  
استفحال الدولة وضيق نطاقها وما يعرض فيها من البعد عن المجد والخلال والتخلق  
بالشر وأما إذا كان صاحب هذا الغرض من بطانة السلطان وحاشيته وأهل الرتب  
في دولته فقل أن يخلى بينه وبين ذلك أما أولا فلما يراه الملوكة أن ذويهم وحاشيتهم بل  
وسائر عاباهم مما يليك لهم مطالعون على ذات صدورهم فلا يسمحون بحل ربقته من  
الخدمة ضنا بأسرارهم وأحوالهم أن يطلع عليها أحد وغيره من خدمته لسواهم ولقد  
كان ثبوت أمانة بالاندلس يمنعون أهل دولتهم من السفر لفرصة الحج لما يتوهمونه من  
وقوعهم بأيدي بني العباس فلم يحج سائر أيامهم أحد من أهل دولتهم وما أبيع الحج  
لأهل الدول من الاندلس إلا بعد فراغ شأن الاموية وجوعها إلى الطوائف وأما  
ثانيا فلأنهم وإن سمحوا بحل ربقته هو فلا يسمحون بالتجاني عن ذلك المال لما يرون  
أنه جزء من مالهم كما يرون أنه جزء من دولتهم إذ لم يكتسب إلا بما في ظل جباهها فتقوم  
نفوسهم على انتزاع ذلك المال والتقامه كما هو جزء من الدولة ينتفعون به ثم إذا  
توهمنا أنه خلص بذلك المال إلى قطر آخر وهو في النادر الأقل فتمتد إليه أعين الملوكة  
بذلك القطر ويتزعونه بالارهاب والتخويف تعرضا وبالقهظ ظاهر المايرون أنه مال  
الجباية والدول وأنه مستحق للانفاق في المصالح وإذا كانت أعينهم تمتد إلى أهل الثروة  
واليسار المتكسبين من وجوه المعاش فأحرى بها أن تمتد إلى أموال الجباية والدول  
التي تجد السبيل إليه بالشرع والعادة ولقد حاول السلطان أبو يحيى زكريا بن أحمد  
الليثاني تاسع أو عاشر ملوك الحفصيين بأفريقية الخروج عن عهدته الملك والحقاق  
بمصر فإرمان طلب صاحب الثغور الغربية لما استجمع لغزو تونس فاستعمل الليثاني  
الرحلة إلى غرطربلس يوري بتهديه وركب السفين من هنالك وخلص إلى  
الاسكندرية بعد أن حمل جميع ما وجدته بيت المال من الصامت والذخيرة وباع كل  
ما كان بخزائنها من المتاع والعقار والجوهر حتى الكتب واحتل ذلك كله إلى مصر  
ونزل على الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة سبع عشرة من المائة اثامنة فأكرم نزله  
ورفع مجلسه ولم يزل يستخلص ذخيره شيئا فشيئا بالتعريض إلى أن حصل عليها ولم يبق  
معاش ابن الليثاني إلا في جرابه التي فرض له إلى أن هلك سنة ثمان وعشرين حسبا  
تذكره في أخباره فهذا وأمثاله من جملة الوسواس الذي يعتري أهل الدول لما  
يتوقعونه من ملوكهم من المعاطب وانما يخاضون ان اتفق لهم الخلاص بأنفسهم  
وما يتوهمونه من الحاجة فغلط ووههم والذي حصل لهم من الشهرة بخدمة الدول كاف  
في وجدان المعاش لهم بالجرابات السلطانية أو بالجاه في انتمال طرق الكسب من

التجارة والفلاحة والدول أنساب لكن  
النفس راغبة إذا رغبتها \* وإذا ترد إلى قليل تقنع  
والله سبحانه هو الرزاق وهو الموفق عنه وفضله والله أعلم

### ٤٣ (فصل في ان نقص العطاء من السلطان نقص في الجباية)

والسبب في ذلك أن الدولة والسلطان هي السوق الأعظم للعالم ومنه مادة العمران  
فاذا احتجج السلطان الاموال أو الجبايات أو فقدت فلم يصرفها في مصارفها قل حينئذ  
ما بأيدي الحاشية والحامية وانقطع أيضا ما كان يصل منهم لحاشيتهم وذويهم وقلت  
نفقاتهم جملة وهم معظم السواد ونفقاتهم أكثر مادة الاسواق ممن سواهم فيقع  
الكساد حينئذ في الاسواق وتضعف الارباح في المتاجر فيقل الخراج لذلك لأن الخراج  
والجباية انما تكون من الاعمار والمعاملات ونفاق الاسواق وطلب الناس للقوائد  
والارباح ووبال ذلك عائد على الدولة بالنقص لقله أموال السلطان حينئذ بقله الخراج  
فإن الدولة كما قلناه هي السوق الأعظم أم الاسواق كلها وأصلها ومادتها في الدخل  
والخرج فان كسدت وقلت مصارفها فأجدر بما بعده من الاسواق أن يلحقها مثل  
ذلك وأشد منه وأيضاً فالمال انما هو متردد بين الرعية والسلطان منهم إليه ومنه  
إليهم فاذا حبسه السلطان عنده فقدته الرعية سمة الله في عبادته

### ٤٤ (فصل في ان الظلم مؤذن بحراب العمران)

اعلم أن العدوان على الناس في أموالهم ذاهب بأمالهم في تحصيلها واكتسابها لما  
يرونه حينئذ من أن غايتها ومصيرها انتهابها من أيديهم واذا ذهبت أموالهم في اكتسابها  
وتحصيلها انقبضت أيديهم عن السعي في ذلك وعلى قدر الاعتداء ونسبته يكون  
انقباض الرعايا عن السعي في الاكتساب فاذا كان الاعتداء كثيراً عاماً في جميع أبواب  
المعاش كان القعود عن الكسب كذلك لذهابه بالأمال جملة بدخوله من جميع  
أبوابها وان كان الاعتداء يسيراً كان الانقباض عن الكسب على نسبته والعمران  
ووفوره ونفاق أسواقه انما هو بالاعمال وسعي الناس في المصالح والمكاسب ذاهبين  
وجائين فاذا قعد الناس عن المعاش وانقبضت أيديهم عن المكاسب كسدت أسواق  
العمران وانتقضت الاحوال وابتعد الناس في الاتقاق من غير تلك الابالة في طلب  
الرزق فيما خرج عن نطاقها فحفسا كن القطر وخت دياره وخربت أمصاره واختل  
باختلاله حال الدولة والسلطان لما أنهما صورة للعمران تفسد بفساد مادتهما ضرورة  
وانظر في ذلك ما حكمه المسعودي في أخبار الفرس عن الموبدان صاحب الدين



عندهم أيام بهرام بن بهرام وما عرض به للملك في انتكار ما كان عليه من الظلم والعقله عن  
عائته على الدولة بضرب المثال في ذلك على لسان اليوم حين سمع الملك أصواتهم واسأله  
عن فهم كلامها فقال له ان يومًا ذكر ايروم نكاح يوم أني رأيتها شرطت عليه عشرين قرية  
من الخراب في أيام بهرام فقبل شرطها وقال لها ان دامت أيام الملك أقطعتك ألف قرية  
وهذا أسهل مما قنته الملك من غفاته وخلا بالموبدان وسأله عن مراده فقال له  
أيها الملك ان الملك لا يتم عزه الا بالشرعية والقيام لله بطاعته والتصرف تحت أمره  
ونهيته ولا قوام للشرعية الا بالملك ولا عز للملك الا بالرجال ولا قوام للرجال الا بالمال  
ولا سبيل الى المال الا بالعمارة ولا سبيل للعمارة الا بالعدل والعدل الميزان المنصوب  
بين الخليفة نصبه الرب وجعله قيعا وهو الملك وأنت أيها الملك عمدت الى الضياع  
فانتزعتهم من أربابها وعمارها وهم أرباب الخراج ومن تؤخذ منهم الاموال وأقطعتها  
الحاشية والخدم وأهل البطالة فتركوا العمارة والنظر في العواقب وما يصلح الضياع  
وسمحوها في الخراج لقر بهم من الملك ووقع الخيف على من بقي من أرباب الخراج  
وعمار الضياع فأنجلوا عن ضياعهم وخلوا ديارهم وآووا الى ما تعذر من الضياع  
فكنوها فقلت العمارة وخربت الضياع وقلت الاموال وهلكت الجنود والرعية  
وطمع في ملك فارس من جاورهم من الملوك لعلهم بانقطاع المواد التي لا تستقيم دعائم  
الملك الا بها فلما سمع الملك ذلك أقبل على النظر في ملكه وانتزعت الضياع من ايدي  
الخاصة وردت على أربابها وجلوا على رسومهم السالفة وأخذوا في العمارة وقوى  
من ضعف منهم فعمرت الارض وأخصبت البلاد وكثرت الاموال عند جباة الخراج  
وقويت الجنود وقطعت مواد الاعداة وشحنت الثغور وأقبل الملك على مباشرة  
أموره بنفسه فحسنت أيامه وانتظم ملكه فتفهم من هذه الحكاية أن الظلم مخرب  
للعمران وأن عائدة الخراب في العمران على الدولة بالفساد والانتقاض ولا تنظر في ذلك  
الى أن الاعتماد قد يوجد بالمصار العظيمة من الدول التي بها ولم يقع فيها خراب واعلم  
أن ذلك انما جاء من قبل المناسبة بين الاعتماد وأحوال أهل المصر فلما كان المصر  
كبيراً وعمرانه كثيراً وأحواله متسعة بما لا ينحصر كان وقوع النقص فيه بالاعتماد  
والظلم يسيراً لان النقص انما يقع بالتدريج فاذا خفي بكثرة الاحوال واتساع الاعمال  
في المصر لم يظهر أثره الا بعد حين وقد تذهب تلك الدولة المعتدية من أصلها قبل  
خراب المصر ونجى الدولة الاخرى فترفع بجدها وتجيبر النقص الذي كان خفياً فيه  
فلا يكاد يشعر به الا أن ذلك في الاقل النادر والمراد من هذا أن حصول النقص في  
العمران عن الظلم والعدوان أمر واقع لا بد منه لما قدمناه وبالله عائدة على الدول

ولا تحب الظلم انما هو أخذ المال أو الملك من يد مالكه من غير عوض ولا سبب كما هو  
المشهور بل الظلم أعم من ذلك وكل من أخذ ملكاً أحداً وغصبه في عمله أو طالبه بغير  
حق أو فرض عليه حقاً لم يفرضه الشرع فقد ظلم فحياة الاموال بغير حقها ظلمة  
والاعتدون عليها ظلمة والمنتهبون لها ظلمة والمبايعون لحقوق الناس ظلمة وغصباب  
الاملاك على العموم ظلمة ووبال ذلك كله عائدة على الدولة بخراب العمران الذي هو  
مادتها الاذهاب الى المال من أهله واعلم أن هذه هي الحكمة المقصودة للشارع  
في تحريم الظلم وهو ما ينشأ عنه من فساد العمران وخرابه وذلك مؤذن بانقطاع النوع  
البشري وهي الحكمة العامة المراعاة للشرع في جميع مقاصده الضرورية الخمسة  
من حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال فلما كان الظلم كما رأيت مؤذناً بانقطاع  
النوع لما أدى اليه من تحريب العمران كانت حكمة الخليفة موجودة فكان  
يحرمه مهمما وأدلت من القرآن والسنة كثيراً كثر من أن يأخذها قانون الضبط  
والحصص ولو كان كل واحد قادراً عليه لوضع يازانه من العقوبات الزاجرة ما وضع  
بازا غيره من المفسدات للنوع التي يقدر كل أحد على اقترافها من الزنا والقتل  
والسكر الا أن الظلم لا يقدر عليه الا من يقدر عليه لانه انما يقع من أهل القدرة  
والسلطان قبوله في ذمته وتكرير الوعيد فيه عسى أن يكون الوازع فيه للقدرة عليه  
في نفسه وما ربك بظلام للعبيد \* ولا تقول ان العقوبة قد وضعت بازاء الخراب  
في الشرع وهي من ظلم القادر لان المحارب زمن حراسته قادر فان في الجواب عن  
ذلك طريقين احدهما أن تقول العقوبة على ما يقتضيه من الجنايات في نفس أو مال  
على ما ذهب اليه كثير وذلك انما يكون بعد القدرة عليه والمطالبة بجنايته وأما  
نفس الخرابية فهي خلو من العقوبة \* الطريق الثاني أن تقول المحارب لا يوصف  
بالقدرة لانا انما نعني بقدرة الظالم اليد المبسوطة التي لا تعارضها قدرة فهي المؤذنة  
بالخراب وأما قدرة المحارب فانما هي أخافة يجعلها ذريعة لاخذ الاموال والمدافعة  
عنها بيد الكل موجودة شرعاً وسياسة فليست من القدر المؤذن بالخراب والله قادر  
على ما يشاء

(فصل) ومن أشد الظلمات وأعظمها في افساد العمران تكليف الاعمال وتسخير  
الرعايا بغير حق وذلك أن الاعمال من قبيل المتقولات كما سنين في باب الرزق لان الرزق  
والكسب انما هو قيم أعمال أهل العمران فاذا مساعيتهم وأعمالهم كلها مقولات  
ومكاسب لهم بل لا مكاسب لهم سواها فان الرعية المعتمدين في العمارة انما معاشهم  
ومكاسبهم من اعتمادهم ذلك فاذا اكفوا العمل في غير شأنهم واتخذوا سخرى في



معاشهم بطل كسبهم واغتصبوا قيمة عملهم ذلك وهو ممتول لهم قد دخل عليهم الضرر  
 وذهب لهم حظ كثير من معاشهم بل هو معاشهم بالجملة وان تذكر ذلك عليهم أفسد  
 آمالهم في العماره وقعدوا عن السعي فيها جملته فأدى ذلك الى انتقاض العمران  
 وتخريبه والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

(فصل) وأعظم من ذلك في الظلم وافساد العمران والدولة التسلط على أموال الناس  
 بشراء ما بين أيديهم بأجنس الاثمان ثم فرض البضائع عليهم بأرفع الاثمان على وجه  
 الغصب والاكراد في الشراء والبيع وربما تفرض عليهم تلك الاثمان على النواحي  
 والتأجيل فيتم للون في تلك الخسارة التي تلحقهم بما تحددتهم المطامع من جبر ذلك بحواله  
 الاسواق في تلك البضائع التي فرضت عليهم بالغلاء الى بيعها بأجنس الاثمان وتعود  
 خسارة ما بين الصفتين على رؤس أموالهم وقد يعم ذلك أصناف التجار المقيمين بالمدينة  
 والواردين من الآفاق في البضائع وسائر السوق وأهل الدكاكين في الماكمل  
 والقواكه وأهل الصنائع فيما يتخذ من الآلات والمواعين فتشمل الخسارة سائر  
 الاصناف والطبقات وتتوالى على الساعات وتجحف برؤس الاموال ولا يجدون عنها  
 وليجة الا القعود عن الاسواق لذهاب رؤس الاموال في جبرها بالارباح ويتماقل  
 الواردون من الآفاق لشراء البضائع وبيعها من أجل ذلك فتكسد الاسواق ويبطل  
 معاش الرعايا لان عاتته من البيع والشراء واذا كانت الاسواق عطلا منها بطل  
 معاشهم وتنقص جباية السلطان أو تفقد لان معظمها من أوسط الدولة وما بعدها انما  
 هو من المكوس على البياعات كما قدمناه ويؤثر ذلك الى تلاشي الدولة وفساد عمران  
 المدينة ويتطرق هذا الخلل على التدريج ولا يشعر به هذا ما كان بأمثال هذه الذرائع  
 والاسباب الى أخذ الاموال وأما أخذها مجانا والعدوان على الناس في أموالهم  
 وحرمانهم ودمائهم وأسرارهم وأعراضهم فهو يفضي الى الخلل والفساد دفعه  
 وتنقض الدولة سرعيا بما ينشأ عنه من الهرج المنفضي الى الانتقاض ومن أجل هذه  
 المفاسد حذر الشرع ذلك كله وشرع المكايسة في البيع والشراء وحظر أكل  
 أموال الناس بالباطل سدا لآبواب المفاسد المفضية الى انتقاض العمران بالهرج  
 أو بطلان المعاش واعلم أن الداعي لذلك كله انما هو حاجة الدولة والسلطان الى  
 الاكثار من المال بما يعرض لهم من الترف في الاحوال فتكثر نفقاتهم ويعظم الخرج  
 ولا يفي به الدخل على القوانين المعتادة يستحدثون أتعابا ووجوها يوسعون بها الجباية  
 لينفي لهم الدخل بالخرج ثم لا يزال الترف يزيد والخرج بسببه يكثر والحاجة الى أموال  
 الناس تشتد ونطاق الدولة بذلك يزيد الى أن تمنع ديارهم ويذهب برسمها ويغلبها

طالبها والله أعلم

٤٥ (فصل في الحجاب كيف يقع في الدول وان يعظم عند السمر)

اعلم أن الدولة في أول أمرها تكون بعيدة عن منازع الملك كما قدمناه لانه  
 لا بد لها من العصبية التي بها يتم أمرها ويحصل استيلائها والبداهة هي شعار العصبية  
 والدولة ان كان قيامها بالدين فانه بعيد عن منازع الملك وان كان قيامها بعز الغلب  
 فقط فالبداهة التي بها يحصل الغلب بعيدة أيضا عن منازع الملك ومذاهبه فاذا كانت  
 الدولة في أول أمرها بدوية كان صاحبها على حال الغضاضة والبداهة والقرب من  
 الناس وسهولة الاذن فاذا رسخ عزه وصار الى الانفراد بالمجد واحتاج الى الانفراد  
 بنفسه عن الناس للعديد مع أوليائه في خواص شؤنه لما يكثر حينئذ من بحاشيته  
 فيطلب الانفراد من العامة ما استطاع ويتخذ الاذن بيابه على من لا يأمنه من أوليائه  
 وأهل دولته ويتخذ حاجب له عن الناس يقيه بيابه لهذه الوظيفة ثم اذا استغفل الملك  
 وجاءت مذاهبه ومنازعه استحالت خلق صاحب الدولة الى خلق الملك وهي خلق  
 غريبة مخصوصة يحتاج مباشرها الى مداراة ما ومعاملتها بما يجب لها ويرى عاجل تلك  
 الخلق منهم بعض من يباشرهم فوقع فيما لا يرضيهم فخطوه وصاروا الى حالة الانتقام  
 منه فانقرضت معرفة هذه الآداب الخواص من أوليائهم وجبوا غير أولئك الخاصة  
 عن لقائهم في كل وقت حفظا على أنفسهم من معاينة ما يخطئهم وعلى الناس من  
 التعرض لعقابهم فصار لهم حجاب آخر أخص من الحجاب الاول يفضي اليهم منه  
 خواصهم من الاولياء ويحجب دونه من سواهم من العامة والحجاب الثاني يفضي الى  
 مجالس الاولياء ويحجب دونه من سواهم من العامة والحجاب الاول يكون في أول  
 الدولة كما ذكرنا كما حدث لايام معاوية وعبد الملك وخلفاء بني أمية وكان القائم على  
 ذلك الحجاب يسمى عندهم الحاجب جريا على مذهب الاشتقاق الصحيح ثم لما جاءت  
 دولة بني العباس وجدت الدولة من الترف والعز ما هو معروف وكملت خلق الملك على  
 ما يجب فيها فدعا ذلك الى الحجاب الثاني وصار اسم الحاجب أخص به وصار يباين  
 الخلفاء داران للعباسة دار الخاصة ودار العامة كما هو مسطور في أخبارهم ثم حدث  
 في الدول حجاب ثالث أخص من الاولين وهو عند محاولة الخرج على صاحب الدولة وذلك  
 أن أهل الدولة وخواص الملك اذا نصبوا الابناء من الاعقاب وحاولوا الاستبداد عليهم  
 فأول ما يسدأ به ذلك المستبد أن يحجب عنه بطانة ابنه وخواص أوليائه يوهمه أن في  
 مباشرتهم اياه خرق حجاب الهيبة وفساد قانون الادب ليقطع بذلك لقاء الغير ويعوده



ملا بسة أخلاقه هو حتى لا يتبدل به سواء إلى أن يستحكم الاستيلاء عليه فيكون هذا الخراب من دواعيه وهذا الخراب لا يقع في الغالب إلا وأخر الدولة كما قد مناه في الحجر ويكون دليلا على هرم الدولة ونفاذ قوتها وهو مما يحسنه أهل الدول على أنفسهم لأن القلائع بالدولة يحاولون على ذلك بطباعهم عند هرم الدولة وذهاب الاستعداد من أعقاب ملوكهم لما ركب في النفوس من محبة الاستعداد بالملك وخصوصا مع الترشع لذلك وحصول دواعيه ومبادئه.

#### ٤٦ (فصل في انقسام الدولة الواحدة بدولتين)

اعلم أن أول ما يقع من آثار الهرم في الدولة انقسامها وذلك أن الملك عند ما يستفحل ويبلغ أحوال الترف والنعم إلى غايته ويستبد صاحب الدولة بالحد ويغترده بأفئد حينئذ عن المشاركة ويصير إلى قطع أسبابها ما استطاع بإهلاله من استراب به من ذوي قرابته المرشحين لمنصبه فرما ارتاب المساهمون له في ذلك بأنفسهم وزرعوا إلى القاصية اليهم من يلحق بهم مثل حالهم من الاغترار والاسترابة ويكون نطاق الدولة قد أخذ في التضيق ورجع عن القاصية فيستبد ذلك النازع من القرابة فيها ولا يزال أمره يعظم بتراجع نطاق الدولة حتى يقاسم الدولة أو يكاد وانظر ذلك في الدولة الإسلامية العربية حين كان أمرها حرجا راجحة ما ونطاقها تمتد في الاتساع بعصية بني عبد مناف واحدة غالبية على سائر مضر فلم ينبض عرق من الخلاف سائر أيامه إلا ما كان من بدعة الخوارج المستمين في شأن بدعتهم لم يكن ذلك لثمة ملك ولا رياسة ولم يتم أمرهم لمزاجتهم العصبية القوية ثم لما خرج الأمر من بني أمية واستقل بنو العباس بالامر وكانت الدولة العربية قد بلغت الغاية من الغلب والترف وأدنت بالتقلص عن القاصية نزاع عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس قاصية دولة الإسلام فاستحدث بها ملكا واقطعها عن دولتهم وصنير الدولة دولتين ثم نزاع ادريس إلى المغرب وخرج به وقام بأمره وأمر ابنه من بعده البربرية من أوربه ومغيلة وزانة واستولى على ناحية المغربين ثم ازدادت الدولة تقلصا فاضطرب الأغلبية في الامتناع عليهم ثم خرج الشيعة وقام بأمرهم كامة وصنهاجة واستولوا على إفريقية والمغرب ثم مصر والشام والحجاز وغلبوا على الإدارة وقسموا الدولة دولتين خريين وصارت الدولة العربية ثلاث دول دولة بني العباس بمركز العرب وأصلهم ومادتهم الإسلام ودولة بني أمية المجتدين بالأندلس ملكهم القديم وخلافتهم بالشرق ودولة العبيديين بإفريقية ومصر والشام والحجاز ولم تزل هذه الدولة إلى أن كان انقراضها مقاربا أو جيعا

وكذلك

وكذلك انقسمت دولة بني العباس بدول أخرى وكان بالقاصية بنو سنان قبا وراة النهر وخراسان والعلوية في الديلم وطبرستان وآل ذلك إلى استيلاء الديلم على العراقيين وعلى بغداد وانطلاقهم ثم جاء الحووية فلكوا جميع ذلك ثم انقسمت دولتهم أيضا بعد الاستقلال كما هو معروف في أخبارهم وكذلك اعتبره في دولة صنهاجة بالمغرب وأفر يقية لما بلغت إلى غايته أيام باديس بن المنصور وخرج عليه عمه حاد واقطع ممالك العرب لنفسه ما بين جبل أوراس إلى تلسان وملوية واختط القاعة بجبل كامة جبال المسيلة ونزلها واستولى على مركزهم أشير بجبل تيطري واستحدث ملكا آخر قسما لملك آل باديس وبقي آل باديس بالقيروان وما إليها ولم يزل ذلك إلى أن انقرض أمرهما جميعا وكذلك دولة الموحدين لما تقلص ظلها ثار بافر يقية بنو أبي حفص فاستقلوا بها واستحدثوا ملكا لأعقابهم بنو أحيا ثم لما استفحل أمرهم واستولى على الغاية خرج على الممالك الغربية من أعقابهم الأمير أبو بكر يحيى ابن السلطان أبي اسحق إبراهيم رابع خلفائهم واستحدث ملكا بجاية وقسنطينة وما إليها ورثه بنوه وقسموا به الدولة قسمين ثم استولى على كرسى الحضرة بتونس ثم انقسم الملك ما بين أعقابهم ثم عاد الاستيلاء فيهم وقد انتهى الانقسام إلى أكثر من دولتين وثلاثة وفي غير أعيان الملك من قومه كما وقع في ملوك الطوائف بالأندلس وملوك العم بالشرق وفي ملك صنهاجة بإفريقية فقد كان لا آخر دولتهم في كل حصن من حصون إفريقية ثار مستقل بأمره كما تقدم ذكره وكذا حال الجريد والزاب من إفريقية قبيل هذا العهد كما ذكره وهكذا شأن كل دولة لا بد وأن يعرض فيها عوارض الهرم بالتلف والدعة وتقلص ظل الغلب فيقتسم أعيانها أو من يغلب من رجال دولتها الأمر ويتعد فيها الدولة والله وارث الأرض ومن عليها

#### ٤٧ (فصل في ان انقسام الدولة الواحدة بدولتين)

قد قد منادى العوارض المؤذنة بالهرم وأسبابه واحدا بعد واحد وبنائها تحت الدولة بالطبع وأنها كلها أمور طبيعية لها وإذا كان الهرم طبيعيا في الدولة كان حدوثه بمثابة حدوث الأمور الطبيعية كما يحدث الهرم في المزاج الحيواني والهرم من الأمراض المزمنة التي لا يمكن دواؤها ولا ارتفاعها لما أنه طبيعي والأمور الطبيعية لا تبدل وقد يتنبه كثير من أهل الدول عن له يقظة في السياسة فيرى ما نزل بدولتهم من عوارض الهرم ويظن أنه يمكن الارتفاع فيما أخذت نفسه به في الدولة وإصلاح مزاجها عن ذلك الهرم ويحسبه أنه لمحتها بتقصير من قبله من أهل الدولة وغفلتهم



وليس كذلك فانهم أموطبيعية للدولة والعوائد هي المانعة لهم من تلافيا والعوائد منزلة طبيعية أخرى فان من أدرك مشلا أباه وأكثرا أهل بيته يلبسون الحرير والدياج ويتحلون بالذهب في السلاح والمراكب ويحتجبون عن الناس في المجالس والصلوات فلا يمكنه مخالفة سلفه في ذلك الى الخشونة في اللباس والري والاختلاط بالناس اذ العوائد حينئذ تنعمه وتقع عليه مرتكبه ولو فقه له لرمي بالجنون والوسواس في الخروج عن العوائد دفعة وخشي عليه عائدة ذلك وعاقبته في سلطانه وانظر شأن الانبياء في انكار العوائد ومخالفتها لولا التأيد الالهى والنصر السماوى وربما تكون العصبية قد ذهبت فتكون الابهة تعوض عن موقعها من النفوس فاذا أزيلت تلك الابهة مع ضعف العصبية تجاسرت الرعايا على الدولة بذهاب أهوام الابهة فتتدفع الدولة بتلك الابهة ما أمكنها حتى ينقضى الامر وربما يحدث عند آخر الدولة قوة توهم أن الهرم قد ارتفع عنها وبومض ذبا لها ايماضه الخلود كما يقع في الذبال المشتعل فانه عند مقاربه انطفائه يومض ايماضه توهم أنها اشتعال وهى انطفاء فاعتبر ذلك ولا تغفل سر الله تعالى وحكمته في اطراد وجوده على ما قدر فيه ولا كل أجل كتاب

#### ٤٨ (فصل في كيفية طرق الخلل للدولة)

اعلم أن مبنى الملك على أساسين لا بد منهما فالاول الشوكة والعصبية وهو المنعبر عنه بالجند والثانى المال الذى هو قوام أولئك الجند واقامة ما يحتاج اليه الملك من الاحوال والخلل اذا طرق الدولة طرقها في هذين الاساسين فلنذكر أولا طرق الخلل في الشوكة والعصبية ثم نرجع الى طرقه في المال والجبابة واعلم أن تعهد الدولة وتأسيسها كما قلناه انما يكون بالعصبية وأنه لا بد من عصبية كبرى جامعة للعصائب مستتبعة لها وهى عصبية صاحب الدولة الخاصة من عشيرة وقبيلة فاذا جاءت الدولة بطبيعة الملك من الترف وجدع أنوف أهل العصبية كان أول ما يجدع أنوف عشيرته وذوى قرابه المقاسمين له في اسم الملك فيستبد في جدع أنوفهم بما بلغ من سوادهم ويأخذهم الترف أيضا أكثر من سوادهم لمكانهم من الملك والعز والغلب فيحيط بهم هادمان وهما الترف والقهر ثم يصير القهر آخر الى القتل لما يحصل من مرض قلوبهم عند سوخ الملك لصاحب الامر فيقلب غيرته منهم الى الخوف على ملكه فيأخذهم بالقتل والاهانة وسلب النعمة والترف الذى تعودوا الكثير منه فيهلكون وتفسد عصبية صاحب الدولة منهم وهى العصبية الكبرى التى كانت تجمع بها العصائب وتستتبعها فتتخل عروتها وتضعف شكيبتها وتستبدل عنها بالبطالة من موالى النعمة وصنائع الاحسان

وتتخذ منهم عصبية الا أنها ليست مثل تلك الشدة الشكسية لفقدان الرحم والقربة منها وقد كفا قد من أن شأن العصبية وقوتها انما هى بالقربة والرحم لما جعل الله في ذلك فينفرد صاحب الدولة عن العشيرة والانصار الطبيعية ويحس بذلك أهل العصائب الأخرى فيتجاسرون عليه وعلى بطائنه تجاسرا طبيعيا فيهلكهم صاحب الدولة ويتبعهم بالقتل واحدا بعد واحد ويقتل الآخر من أهل الدولة في ذلك الاول مع ما يكون قد نزل بهم من مهلكة الترف الذى قد منافستولى عليهم الهلاك بالترف والقتل حتى يخرجوا عن صبغة تلك العصبية وينشوا بعزتها وشورتها ويصيروا أوجز على الحماية ويقولون لذلك فتقل الحامية التى تنزل بالاطراف والتغور فيتجاسر الرعايا على بعض الدعوة فى الاطراف ويبادر الخوارج على الدولة من الاعاص وغيرهم الى تلك الاطراف لما يرجون حينئذ من حصول غرضهم بمبايعة أهل القاصية لهم وأنهم من وصول الحامية اليهم ولا يزال ذلك يتدرج ونطاق الدولة يتضاق حتى تصير الخوارج فى أقرب الاماكن الى مركز الدولة وربما انقسمت الدولة عند ذلك بدو اثنين أو ثلاثة على قدر قوتها فى الاصل كما قلناه ويقوم بأمرها غير أهل عصبيتها المكن ادعانا لاهل عصبيتها واغلبهم المعهود واعتبر هذا فى دولة العرب فى الاسلام انتهت أولا الى الاندلس والهند والصين وكان أمر بنى أمية نافذا فى جميع العرب بعصبية بنى عبد مناف حتى لقد أمر سليمان بن عبد الملك من دمشق بقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير بقرطبة فقتل ولم يرد أمره ثم تلاشت عصبية بنى أمية بما أصابهم من الترف فانقرضوا وجاء بنو العباس فغضوا من أعنة بنى هاشم وقتلوا الطالبيين وشرعوا بهم فانحلت عصبية عبد مناف وتلاشت وتجاسر العرب عليهم فاستبد عليهم أهل القاصية مثل بنى الأغلب بأفريقية وأهل الاندلس وغيرهم وانقسمت الدولة ثم خرج بنو ادريس بالمغرب وقام البربر بأمرهم ادعانا للعصبية التى لهم وأما أن تصلهم مقاتلة أو حامية للدولة فاذا خرج الدعاة آخر افيتمغلبون على الاطراف والقاصية وتحصل لهم هنالك دعوة وملك تنقسم به الدولة وربما يزيد ذلك متى زادت الدولة تقلصا الى أن ينتهى الى المركز وتضعف البطانة بعد ذلك بما أخذ منها الترف فتلك وتضعف الدولة المنقسمة كلها وربما طال أمدها بعد ذلك فتستغنى عن العصبية بما حصل لها من الصبغة فى نفوس أهل ايلاتها وهى صبغة الانقياد والتسليم منذ السنين الطويلة التى لا يعقل أحد من الاجيال مبدأها ولا أوليتها فلا يدعولون الا التسليم لصاحب الدولة فيستغنى بذلك عن قوة العصائب ويكنى صاحبها بما حصل لها فى عهد أمرها الاجراء على الحامية من جندى ومرزق وبعض ذلك ما وقع فى النفوس عامة من التسليم فلا يكاد أحد أن



تصور عصياناً أو خروجاً أو الجمهور منكرين علمه مخالفون له فلا يقدر على التصدي  
لذلك ولو جهد جهده وربما كانت الدولة في هذا الحال أسلم من الخوارج والمنازعة  
لاستحكام صبغة التسليم والانقياد لهم فلا تكاد النفوس تحدث سرها بخالفة  
ولا يحتلج في ضميرها انحراف عن الطاعة فيكون أسلم من الهرج والانتقاض الذي  
يحدث من العصاب والعشائر ثم لا يزال أمر الدولة كذلك وهي تتلاشى في ذاتها  
شأن الحرارة الغريزية في البدن العادم للغذاء إلى أن تنتهي إلى وقتها المقدور ولكل  
أجل كتاب ولكل دولة أمد والله يقدر الليل والنهار وهو الواحد القهار \*  
وأما الخلل الذي يتطرق من جهة المال فاعلم أن الدولة في أولها تكون بدوية كما مر  
فمكون خلق الرفق بالرعايا والقصد في النفقات والتعفف عن الأموال فتجافي عن  
الأمعان في الجباية والتخلف والنكيس في جمع الأموال وحسبان العمال ولاداعية  
حينئذ إلى الاسراف في النفقة فلا تحتاج الدولة إلى كثرة المال ثم يحصل الاستيلاء  
ويعظم ويستعمل الملك فيدعو إلى الترف ويكثر الانفاق بسببه فتعظم نفقات السلطان  
وأهل الدولة على العموم بل يتعدى ذلك إلى أهل المصر ويدعو ذلك إلى الزيادة في  
أعطيات الجند وأرزاق أهل الدولة ثم يعظم الترف فيكثر الاسراف في النفقات  
ويتشرد ذلك في الرعية لأن الناس على دين ملوكهم عوائدهم واحتياج السلطان  
إلى ضرب المكوس على أثمان البضائع في الأسواق لا إدراة الجباية لما يرام من ترف  
المدنية الشاهد عليهم بالرقة ولما يحتاج هو إليه من نفقات سلطانه وأرزاق جنده ثم تزيد  
عوائد الترف فلا تنفي بها المكوس وتكون الدولة قد استفحلت في الاستطالة والقهر لمن  
تحت يدها من الرعايا فتمتد أيديهم إلى جمع المال من أموال الرعايا من مكس أو تجارة  
أو نقد في بعض الأحوال بشبهة أو بغير شبهة ويكون الجند في ذلك الطور قد تجاسروا على  
الدولة بما لحقها من الفشل والهرم في العصية فتوقع ذلك منهم وتداوى بسكينة  
العطايا وكثرة الاتفاق فيهم ولا تجد عن ذلك وليجة وتكون جباة الأموال في الدولة قد  
عظمت ثروتهم في هذا الطور بكثرة الجباية وكونها بأيديهم وبما اتسع لذلك من  
جاههم فيتوجه إليهم باحتياج الأموال من الجباية ونفوس السعاية فيهم بعضهم من  
بعض للمناقسة والحقد فتعهم النكبات والمصادرات واحداً واحداً إلى أن تذهب  
ثروتهم وتتلاشى أحوالهم ويفقد ما كان للدولة من الأبهة والجلال بهم وإذا اصطفت  
نعمتهم تجاوزتهم الدولة إلى أهل الثروة من الرعايا سواهم ويكون الوهن في هذا  
الطور قد لحق الشوك وضعفت عن الاستطالة والقهر فتصرف سياسة صاحب الدولة  
حينئذ إلى إدارة الأمور بيد المال ويراه أرفع من السيف لقلته غمائه فتعظم حاجته

إلى الأموال زيادة على النفقات وأرزاق الجند ولا يغني فيما يريد ويعظم الهرم بالدولة  
وتجاسر عليها أهل النواحي والدولة تتحل عراها في كل طور من هذه إلى أن تفضي  
إلى الهلاك وتتعرض من الاستيلاء الكل فان قصدها طالب انتزعها من أيدي  
القائمين بها والابقيت وهي تتلاشى إلى أن تضمحل كالذبال في السراج اذا فنى زيتها  
وطفى والله مالك الأمور ومديرها لا كوان لا اله الا هو

#### ٤٩ (فصل في حدوث الدولة وتجدد ما كيف يقع)

اعلم أن نشأة الدول وبدايتها اذا أخذت الدولة المستقرة في الهرم والانتقاض يكون  
على نوعين أما بأن يستبد ولاية الاعمال في الدولة بالقاصية عندما يتقلص ظلها عنهم  
فيكون لكل واحد منهم دولة يستبد بها لقومه وما يستقر في نصابه يرثه عنه  
أبناءؤه أو مواليه ويستعمل لهم الملك بالتدريج وربما يزدجون على ذلك الملك  
ويتقارعون عليه ويتنازعون في الاستئثار به ويغلب منهم من يكون له فضل قوة على  
صاحبه ويستترع ما في يده كما وقع في دولة بني العباس حين أخذت دولتهم في الهرم وتقلص  
ظلها عن القاصية واستبد بنو سامان بنو زاهر والنهر بنو حمدان بالموصل والشام وبنو  
طولون بمصر وكما وقع بالدولة الاموية بالاندلس واقترب ملكها في الطوائف الذين كانوا  
ولايتها في الاعمال وانقسمت دولاً وملوكاً ورثوها من بعدهم من قرابتهم أو مواليتهم  
وهذا النوع لا يكون بينهم وبين الدولة المستقرة حرب لانهم مستقرون في رياستهم  
ولا يطمعون في الاستيلاء على الدولة المستقرة بحرب وانما الدولة أدركها الهرم  
وتقلص ظلها عن القاصية وعجزت عن الوصول إليها والنوع الثاني بأن يخرج على  
الدولة خارج ممن يجاورها من الامم والقبائل اما بدعوة يحصل التماس عليها كما أشرنا  
إليه أو يكون صاحب شوكة وعصية كبيراً في قومه قد استعمل أمره فيسحبهم إلى  
الملك وقد حدثوا به أنفسهم بما حصل لهم من الاعتزاز على الدولة المستقرة وما نزل بها  
من الهرم فيستعين له ولقومه الاستيلاء عليها ويمارسونها بالمطالبة إلى أن يظفروا بها  
ويزنون أمرها كما تبين والله سبحانه وتعالى أعلم

#### ٥٠ (فصل في أن الدولة المستقرة انما تنمو على الدولة المستقرة لا بالانحطاط)

قد ذكرنا أن الدول الحادثة المتحددة نوعان نوع من ولاية الاطراف اذا تقلص ظل  
الدولة عنهم وانحسر تيارها وهؤلاء لا يقع منهم مظالم للدولة في الاكثر كما قدمناه لان  
قصاراهم القنوع بما في أيديهم وهونهاية قوتهم والنوع الثاني نوع الدعاة  
والخوارج على الدولة وهؤلاء لا بد لهم من المطالبة لان قوتهم وافية بها فان ذلك انما

قوله ويزنون في  
نسخة ويرفون من  
الرفق بالراء والنماء  
هـ



يكون في نصاب يكون له من العصبية والاعتزاز ما هو كفاء ذلك وواف به فيقع بينهم وبين الدولة المستقرة حروب سجال تتكرر وتتصل الى أن يقع لهم الاستيلاء والظفر بالمطلوب ولا يحصل لهم في الغالب ظفر بالمناجزة والسبب في ذلك أن الظفر في الحروب انما يقع كما قدمناه بأموور نفسانية وهمية وان كان العدد والسلاح وصدق القتال كفيلا به لكنه قاصر مع تلك الامور الوهمية كما مر ولذلك كان الخداع من أنفع ما يستعمل في الحرب وأكثر ما يقع الظفر به وفي الحديث الحرب خدعة والدولة المستقرة قد صيرت العوائد المألوفة طاعة ضرورية واجبة كما تقدم في غير موضع فتكثر بذلك العوائق لصاحب الدولة المستجدة ويكثر من هم أتباعه وأهل شوكة وان كان الاقربون من بطائنه على بصيرة في طاعته وموازينه الا أن الآخرين أكثر وقد دخلهم الفشل بتلك العقائد في التسليم للدولة المستقرة فيحصل بعض القصور منهم ولا يكاد صاحب الدولة المستجدة يقاوم صاحب الدولة المستقرة فيرجع الى الصبر والمطاولة حتى يتضح هرم الدولة المستقرة فيضعف عقائد التسليم لها من قومه وتنبعث منهم الهمم اصدق المطالبة معه فيقع الظفر والاستيلاء وأيضا فالدولة المستقرة كثيرة الرزق بما استحكم لهم من الملك وتوسع من النعيم والذات واختصوا به دون غيرهم من أموال الجباية فيعجزون عن دفع ما يربط الخيول واستجادة الاسلحة وتعظم فيهم الآية الملكية ويفيض العطاء بينهم من ملوكهم اختيارا واضطرا رافضين بذلك كله عدوهم وأهل الدولة المستجدة يعجزون عن ذلك لما هم فيه من البداوة وأحوال الفقر والخصاصة فيسبق الى قلوبهم أو هام الرعب بما يبلغهم من أحوال الدولة المستقرة ويحرمون عن قتالهم من أجل ذلك فيصبر أمرهم الى المطاولة حتى تأخذ المستقرة ما أخذها من الهرم ويستحكم الخلل فيها في العصبية والجباية فينتهز حينئذ صاحب الدولة المستجدة فرصته في الاستيلاء عليها بعد حين منذ المطالبة سنة الله في عباده وأيضا فأهل الدولة المستجدة كلهم مباليون للدولة المستقرة بانسابهم وعوائدهم وفي ما تمنحهم ثم هم مفاخرون لهم ومنابدون بما وقع من هذه المطالبة وبطبعهم في الاستيلاء عليه فتمكن المباعدة بين أهل الدولتين سسترا وجهرا ولا يصل الى أهل الدولة المستجدة خبر عن أهل الدولة المستقرة يصيبون منه غرة باطنا وظاهرا لانقطاع المداخل بين الدولتين فيقيمون على المطالبة وهم في اجسام وينكفون عن المناجزة حتى يأذن الله بزوال الدولة المستقرة وفناء عمرها وفور الخلل في جميع جهاتها وانضح لأهل الدولة المستجدة مع الايام ما كان يخفى منهم من هرمها وتلاشيها وقد عظمت قوتهم بما اقتطعوه من أعمالها ونقصوه من أطرافها فتنبعث همهم يدا

قر له غرة بكسر  
العين أى غفلة اهـ

واحدة للمناجزة ويذهب ما كان بث في عزائمهم من التوهّمات وتنتهي المطاولة الى حدها ويقع الاستيلاء آخرها بالمعاجلة واعتبر ذلك في دولة بني العباس حين ظهورها حين قام الشيعة بخراسان بعد انعقاد الدعوة واجتماعهم على المطالبة عشرينين أو تزيد وحينئذ تم لهم الظفر واستولوا على الدولة الاموية وكذا العلوية بطبرستان عند ظهور دعوتهم في الديلم كيف كانت مطاولتهم حتى استولوا على تلك الناحية ثم لما انقضى أمر العلوية وسمي الديلم الى ملك فارس والعراقيين فكثروا سنين كثيرة يطاولون حتى اقتطعوا اصهبان ثم استولوا على الخليفة ببغداد وكذا العبيديون أقام داعيتهم بالمغرب أبو عبد الله الشيعي تبنى كرامة من قبائل البربر عشرينين ويزيد تطاول بني الاغلب بأفريقية حتى ظفروا بهم واستولوا على المغرب كله وسموا الى ملك مصر فكثروا ثلاثين سنة أو نحوها في طلبها يجهزون اليها العساكر والاساطيل في كل وقت ومحج المدد لما فقتهم برأوا بخراسان ببغداد والشام وملكوا الاسكندرية والقيوم والصعيد وتخطت دعوتهم من هنالك الى الحجاز وأقيمت بالحرمين ثم نازل قائدهم جوهر الكاتب بعسكره مدينة مصر واستولى عليها واقتلع دولة بني طنج من أصولها واختط القاهرة فجاء الخليفة بعد المعز لدين الله ففر لها الستين سنة أو نحوها منذ استيلائهم على الاسكندرية وكذا السلجوقية من أول الترتلما استولوا على بني سامان وأجازوا من وراء النهر مكثوا نحو من ثلاثين سنة يطاولون بني سبكتكين بخراسان حتى استولوا على دولته ثم زحفوا الى بغداد فاستولوا عليها وعلى الخليفة بها بعد أيام من الدهر وكذا التتر من بعدهم خرجوا من المفازة أعوام سبع عشرة وسبعمائة فلم يتم لهم الاستيلاء الا بعد أربعين سنة وكذا أهل المغرب خرج به المرابطون من لمتونة على ملوكهم من مغراوة فطاولوهم سنين ثم استولوا عليه ثم خرج الموحدون بدعوتهم على لمتونة فكثروا نحو من ثلاثين سنة يحاربونهم حتى استولوا على كرسيم بمر اكش وكذا بنو مرين من زناتة خرجوا على الموحدين فكثروا يطاولونهم نحو من ثلاثين سنة واستولوا على فاس واقتطعوها وأعمالها من ملكهم ثم أقاموا في محاربهم ثلاثين سنة أخرى حتى استولوا على كرسيم بمر اكش حسبما ذكر ذلك كله في تواريخ هذه الدول فهكذا حال الدول المستجدة مع المستقرة في المطالبة والمطاولة سنة الله في عباده ولن تعجز السنة الله تدبلا ولا يعارض ذلك بما وقع في الفتوحات الاسلامية وكيف كان استيلائهم على فارس والروم ثلاث أو أربع من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم واعلم أن ذلك انما كان معجزة من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم سرتها استماتة المسلمين في جهاد عدوهم استبعادا بالايمن وما أوقع الله في قلوب عدوهم من الرعب والتخاذل فكان ذلك كله خارقا



للعادة المقررة في مطاولة الدول المستجدة للمستقرة وإذا كان ذلك خارقا فهو من معجزات نبينا صلوات الله عليه المتعارف ظهورها في الملة الإسلامية والمعجزات لا يساس عليها الأمور العادية ولا يعترض بها والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

٥١ (فصل في وفور العمران آخر الدولة وما يقع فيها من كثرة الموتان والمجاعات)

اعلم أنه قد تقررت لك فيما سلف أن الدولة في أول أمرها لا بد لها من الرفق في ملكتها والاعتدال في أياها ما من الدين أن كانت الدعوة دينية أو من المكارمة والمحاسنة التي تقتضيها البداوة الطبيعية للدول وإذا كانت الملكة رفيعة محسنة انبسطت آمال الرعايا وانتشطوا للعمران وأسبابه فتوفروا بكثرة التناسل وإذا كان ذلك كله بالتدريج فاعلم أن أثره بعد جيل أو جيلين في الأقل وفي انقضاء الجيلين تشرف الدولة على نهاية عمرها الطبيعي فيكون حينئذ العمران في غاية الوفور والنماء ولا تقولن أنه قد مر ذلك أن آخر الدولة يكون فيها الإجحاف بالرعايا وسوء الملكة فذلك صحيح ولا يعارض ما قلناه لأن الإجحاف وإن حدث حينئذ وقلت الجبايات فاعلم أن أثره في تناقص العمران بعد حين من أجل التدريج في الأمور الطبيعية ثم إن المجاعات والموتان تكثر عند ذلك في آخر الدول والسبب فيه أما المجاعات فلقبض الناس أيديهم عن الفلح في الأرض كثير بسبب ما يقع في آخر الدولة من العدوان في الأموال والجبايات أو الفتن الواقعة في انتقاص الرعايا وكثرة الخوارج لهرم الدولة فيقل احتكاك الزرع غالباً وليس صلاح الزرع وغثرته بمستمرة الوجود ولا على وتيرة واحدة فطبيعة العالم في كثرة الأمطار وقلتها مختلفة والمطر يقوى ويضعف ويقل ويكثر والزرع والثمار والضرع على نسبه إلا أن الناس واثقون في أقواتهم بالاحتكار فإذا فقد الاحتكار عظم توقع الناس للمجاعات فغلا الزرع وعجز عنه أو لو انحصار فهل كواو وكان بعض السنوات والاحتكار مفقود فشب الناس الجوع وأما كثرة الموتان فلها أسباب من كثرة المجاعات كما ذكرناه أو كثرة الفتن لاختلال الدولة فتكثر الهرج والقتل أو وقوع الوباء وسببه في الغالب فساد الهواء بكثرة العمران لكثرة ما يتخلطه من العفن والرطوبة الفاسدة وإذا فسد الهواء وهو غذاء الروح الحيوانية وملا به دائماً فيفسد الفساد إلى مزاجه فإن كان الفساد قويًا وقع المرض في الرئة وهذه هي الطواعين وأما أمراضها مخصوصة بالرئة وإن كان الفساد دون القوى والكثير في كثير العفن ويتضاعف فتكثر المجاعات في الأمزجة وتعرض الأبدان وتهلك بسبب كثرة العفن والرطوبة الفاسدة في هذا كله كثرة العمران وفوره آخر الدولة

لما كان في أوائلها من حسن الملكة ورفقها رقلة المعمر وهو ظاهر ولهذاتين في موضعه من الحكمة أن تحلل الخلاء والفقر بين العمران ضروري ليكون تنويع الهواء يذهب بما يحصل في الهواء من الفساد والعفن بمخالطة الحيوانات ويأتي بالهواء الصحيح ولهذا أيضاً فإن الموتان يكون في المدن الوفيرة العمران أكثر من غيرها بكثير كصر بالمشرق وفاس بالمغرب والله بقدر ما يشاء

٥٢ (فصل في أن العمران البشري لا بد له من سياسة ينظم بها أمره)

اعلم أنه قد تقدم لنا في غير موضع أن الاجتماع للبشر ضروري وهو معنى العمران الذي تتكلم فيه وأنه لا بد لهم في الاجتماع من وازع حاكم يرجعون إليه وحكمه فيهم تارة يكون مستند إلى شرع منزل من عند الله يوجب انقيادهم إليه إيمانهم بالثواب والعقاب عليه الذي جاء به مبلغه وتارة إلى سياسة عقلية يوجب انقيادهم إليها ما يتوقعونه من ثواب ذلك الحاكم بعدم معرفته بمصالحهم فالأولى يحصل نفعها في الدنيا والآخرة لعدم الشارح بالمصالح في العاقبة ولمراعاة فحاجة العباد في الآخرة وللثانية إنما يحصل نفعها في الدنيا فقط وما تستلزمه من السياسة المدنية فليس من هذا الباب وإنما معناه عند الحكماء ما يجب أن يكون عليه كل واحد من أهل ذلك المجتمع في نفسه وخلقه حتى يستغنوا عن الحكام وأما ما يشتمون المجتمع الذي يحصل فيه ما يسمى من ذلك بالمدنية الفاضلة والقوانين المراعاة في ذلك بالسياسة المدنية وليس مرادهم السياسة التي يحمل عليها أهل الاجتماع بالمصالح العامة فإن هذه غير تلك وهذه المدينة الفاضلة عندهم نادرة أو بعيدة الوقوع وإنما يتكاهن عليها على جهة القرض والتقدير ثم إن السياسة العقلية التي قد منها تحكمون على وجهين أحدهما يراعى فيها المصالح على العموم ومصالح السلطان في استقامة ملكه على الخصوص وهذه كانت سياسة الفرس وهي على جهة الحكمة وقد أغناها الله تعالى عنها في الملة ولعهد الخلافة لأن الأحكام الشرعية مغنية عنها في المصالح العامة والخاصة والآفات وأحكام الملك مندرجة فيها \* الوجه الثاني أن يراعى فيها مصلحة السلطان وكيف يستقيم له الملك مع القهر والاستطالة وتكون المصالح العامة في هذه تارة وهذه السياسة التي يحمل عليها أهل الاجتماع التي لا شأن للمولك في العالم من مسلم وكافر إلا أن ملوك المسلمين يجرون منها على ما تقتضيه الشريعة الإسلامية بحسب جهدهم وقواينهم إذا جمعة من أحكام شرعية وآداب خلقية وقوانين في الاجتماع الطبيعية وأشياء من مراعاة الشوكة والعصية ضرورية والإقضاء فيها بالشرع أولاً ثم الحكماء في آدابهم



والمولى في سيرهم ومن أحسن ما كتب في ذلك وأودع كتاب طاهر من الحين لانه  
عبد الله بن طاهر لما ولاه المأمون الرقة ومصر وما بينهما فكتب اليه أبوه طاهر كتابه  
المشهور وعهد اليه فيه ووصاه بجميع ما يحتاج اليه في دولته وسلطانه من الآداب  
الدينية والخلقية والسياسة الشرعية والمלוكية وحثه على مكارم الاخلاق ومحاسن  
الشيم بما لا يستغنى عنه ملك ولا سوقة \* ونص الكتاب (بسم الله الرحمن الرحيم)  
أما بعد فعليك بتقوى الله وحده لا شريك له وخشيته ومراقبته عز وجل ومزايده  
حظته واحفظ رعيته في الليل والنهار والزم ما ألبسك الله من العافية بالذکر لمعادك  
وما أنت صائر اليه وموقوف عليه ومسؤول عنه والعمل في ذلك كله بما يعصمك  
الله عز وجل وينجيك يوم القيامة من عقابه وأليم عذابه فان الله سبحانه قد أحسن  
اليك وأوجب الرأفة عليك بمن استرعاك أمرهم من عبادته وأزمتك العدل فيهم والقيام  
بحقوقه وحدوده عليهم والذب عنهم والدفع عن حريمهم ومنصبهم والحقن لدمائهم والأمن  
لسرهم وادخال الراحة عليهم ومواخذك بما فرض عليك وموقفك عليه وسائر ذلك  
عنه ومنيبك عليه بما قدمت وأخرت ففرغ لذلك فهمك وعقلك وبصرك ولا يشغلك  
عنه شاغل وانه رأس أمرك وملاك شأنك وأول ما يوقفك الله عليه وليكن أول ما تلزم  
به نفسك وتنسب اليه ففعلك المواظبة على ما فرض الله عز وجل عليك من الصلوات  
الخمس والجماعة عليها بالناس قبلك وتوابعها على سننها من اسباغ الوضوء لها واقتراح  
ذكر الله عز وجل فيها ورتل في قراءتك وتمكن في ركوعك وسجودك وتشهدك  
وتصرف فيه رأيك ونيتك واحضض عليه جماعة ممن معك وتحت يدك وادأب عليها  
فانها كما قال الله عز وجل تنهى عن الفحشاء والمنكر ثم أتبع ذلك بالآخذ بسنن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم والامارة على خلائقه وافتقار أثر السلف الصالح من بعده  
واذا ورد عليك أمر فاستعن عليه باستخارة الله عز وجل وتقواه وبلزوم ما أنزل الله  
عز وجل في كتابه من أمره ونهييه وحلاله وحرامه وانتهام ما جاءت به الآثار عن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم ثم قم فيه بالحق لله عز وجل ولا تميلن عن العدل فيما أحببت أو  
كرهت لقريب من الناس أو بعيد وأثر الفقه وأهله والدين وجملة وكتاب الله عز  
وجل والعاملين به فان أفضل ما يترين به المرء الفقه في الدين والطلب له والحث عليه  
والمعرفة بما يقرب به الى الله عز وجل فانه الدليل على الخير كله والقائد اليه والآمر  
به والناهي عن المعاصي والموبات كلها ومع توفيق الله عز وجل يزداد المرء معرفة  
واجلاله ودرجاته العلى في المعاد مع ما في ظهوره للناس من التوفيق  
لأمره والهبة لسلطانه والانسبة بك والثقة بعدك وعليك بالاقتصاد في الامور كلها

فليس شيء أبين نفعاً ولا أخص أمناً ولا أجمع فضلاً منه والقصد داعية الى الرشد والرشد  
دليل على التوفيق والتوفيق قائد الى السعادة وقوام الدين والسنن الهادية بالاقتصاد  
وكذا في دنياك كلها ولا تقصر في طلب الآخرة والاجروا اعمال الصالحة والسنن  
المعروفة ومعالم الرشد والاعانة والاستكثار من البر والسعي له اذا كان يطالب  
به وجه الله تعالى ومرضاه وموافقة أولياء الله في دار كرامته أما تعلم أن القصد في  
شأن الدنيا يورث العز ويخلص من الذنوب وأنت ان تحوط نفسك من قاتل ولا تصلح  
أمرك بأفضل منه فانه واهتد به تتم أمورك وترزق مقدرتك ويصلح عاقبتك وخاصيتك  
وأحسن ظنك بالله عز وجل تستقيم لك رعيته والتمس الوسيلة اليه في الامور كلها  
تستدبر به النعمة عليك ولا تهتم أحد من الناس فيما توليه من عملك قبل أن تكشف  
أمره فان ايقاع التهم بالبراء والظنون السيئة بهم آثم فاجعل من شأنك حسن الظن  
بأصحابك واطرد عنك سوء الظن بهم وارفضه فيهم بعينك ذلك على استطاعتهم ورياضتهم  
ولا تتخذن عدو الله الشيطان في أمرك معمد افانه انما يكتفى بالقليل من وهنك ويدخل  
عليك من الغم بسوء الظن بهم ما ينقص لذاته عيشك واعلم أنك تجد بحسن الظن قوة  
وراحة وتكفي به ما أحببت كفايته من أمورك وتدعو به الناس الى محبتك  
والاستقامة في الامور كلها ولا يمنعك حسن الظن بأصحابك والرأفة برعيته أن  
تستعمل المسئلة والبحث عن أمورك والمباشرة لامور الاولياء وحياطة الرعية  
والنظر في حوائجهم وحمل مؤناتهم أيسر عندك مما سوى ذلك فانه أقوم للدين وأحيى  
للسنة واخلص نيتك في جميع هذا وتفرغ بتقويم نفسك تفرغ من يعلم أنه مسؤول عما  
صنع ومجزي بما أحسن ومواخذ بما أساء فان الله عز وجل جعل الدنيا حرواً وعزاً  
ورفع من اتبعه وعززه واسلك بمن تسوسه وترعاه نهج الدين وطريقه الاهدى وأقم  
حدود الله تعالى في أصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه ولا تعطل ذلك ولا  
تهاون به ولا تؤخر عقوبة أهل العقوبة فان في تفریطك في ذلك ما يفسد عليك حسن  
ظنك واعتزم على أمرك في ذلك بالسنن المعروفة وجانب البدع والشبهات بسلم لك  
دينك وتملك أمر وأنت اذا عاهدت عهداً فأوف به واذا وعدت الخير فأجزم واقبل  
الحسنة وادفع بها واغض عن عيب كل ذي عيب من رعيته واشدد لسانك عن قول  
الكذب والزور وابغض أهل النجاسة فان أول فساد أمورك في عاجلها وآجلها تقرب  
الكذب والجراءة على الكذب لان الكذب رأس المآثم والزور والنجاسة خاتم الان  
النجاسة لا يسلم صاحبها وقائلها لا يسلم له صاحب ولا يستقيم له أمر واحب أهل الصلاح  
والصدق وأعن الاشراف بالحق وأعن الضعفاء وصل الرحم وابتغ بذلك وجه الله تعالى



واعزاز آخره والتمس فيه ثوابه والدار الآخرة واجتنب سوء الاهواء والجور واصرف  
عنهما رأيك وأظهر براءتك من ذلك لرعييتك وأنعم بالعدل سياستهم وقم بالحقوق فيهم  
وبالمعرفة التي تنتهي بك الى سبيل الهدى واملك نفسك عند الغضب وأثر الحلم والوقار  
وايالك والخدمة والطيش والغرور فيما أنت بسبيله وايالك أن تقول أنا مسلم أفعل ما أشاء  
فان ذلك سر يع الى نقص الرأي وقلة اليقين لله عز وجل وأخلص لله وحده النية فيه  
واليقين واعلم أن الملك لله سبحانه وتعالى يؤتيه من يشاء وينزع من يشاء ولن تجد تغير  
النعمة وحلول النعمة الى احد أسرع منه الى جهلة النعمة من أصحاب السلطان  
والمسوط لهم في الدولة اذا كفر وانعم الله واحسانه واستطالوا بما أعطاهم الله عز  
وجل من فضله ودع عنك شره نفسك ولتكن ذخرك وكنوزك التي تدخروا بذكر البر  
والتقوى واستصلاح الرعية وعمارة بلادهم والتفقد لأمورهم والحفظ لدمائهم  
والإغانة للمهوفهم واعلم أن الأموال اذا اكتنزت وادخرت في الخزائن لا تنمو واذا  
كانت في صلاح الرعية واعطاء حقوقهم وكف الأذى عنهم تمت وزكت وصححت به  
العمامة وترتبت به الولاية وطاب به الزمان واعتمد فيه العز والمنفعة فليكن كنز خزائنك  
تفريق الأموال في عمارة الاسلام وأهله ووفر منه على أولياء أسير المؤمنين قبلك  
حقوقهم وأوف من ذلك حصصهم وتعهد ما يصلح أمورهم ومعاشهم فانك اذا فعلت  
قربت النعمة لك واستوجبت المزيد من الله تعالى وكنت بذلك على جباية أموال رعييتك  
وخارجك أقدر وكن الجمع لما شملهم من عدلك واحسانك أساس لطاعتك وطب نفسا  
بكل ما أردت واجهد نفسك فيما حددت لك في هذا الباب وليعظم حقدك فيه وانما يبقى  
من المال ما أنفق في سبيل الله وفي سبيل حقه واعرف للشاكرين حقهم وأثبهم عليه  
وايالك أن تنسبك الدنيا وغرورها حول الآخرة فتهاون بما يحق عليك فان التهاون  
يورث التفريط والتفريط يورث البوار وليكن عملك لله عز وجل وفيه وارح الثواب  
فان الله سبحانه قدير أسبغ عليك فضله واعتمص بالشكر وعليه فاعتمد بذكر الله خيرا  
واحسانا فان الله عز وجل يكتب بقدر شكر الشاكرين واحسان المحسنين ولا تحقرن  
ذنباً ولا تعاملن حاسدا ولا ترجن فاجرا ولا تصلن كفورا ولا تداهن عداوا ولا تصدقن  
غما ولا تأمنن عدا ولا توالين فاسقا ولا تتبعن غاويا ولا تحمدن مرثيا ولا تحقرن  
انسانا ولا تردن سائلا فقيرا ولا تحسنن باطلا ولا تلاخطن مضحكا ولا تتخلفن وعدا ولا  
تذهبن فخرا ولا تطهرن غضبا ولا تبزين رجاء ولا تعشين مرحا ولا تزكين سقيا ولا  
تفرطن في طلب الآخرة ولا ترفع للتمام عينا ولا تغمص عن ظالم رهبة منه أو محاجة  
ولا تطلبن ثواب الآخرة في الدنيا وأكبر مشاورة الفقهاء واستعمل نفسك بالحلم

وخذ عن أهل التجارب وذوى العقل والرأى والحكمة ولا تدخلن في مشورتك أهل  
الرفه والجل ولا تسمعن لهم قولا فان ضررهم أكثر من نفعهم وليس شئ أسرع فسادا  
لما استقبلت فيه أمر رعييتك من الشخ واعلم أنك اذا كنت حريصا كنت كثير  
الاخذ قليل العطية واذا كنت كذلك لم يستقم أمرك الا قليلا فان رعييتك انما تعتقد  
على محبتك بالكف عن أموالهم وترك الجور عليهم ووال من صفالك من أوليائك  
بالاتصال اليهم وحسن العطية لهم واجتنب الشخ واعلم أنه أول ما عصى به الانسان ربه  
وأن العاصي بمنزلة الحرى وهو قول الله عز وجل ومن يوق شخ نفسه فأولئك هم  
المفلحون فسهل طريق الجود بالحق واجعل للمسلمين كلهم في بيتك حظا ونصيبا وابقن  
أن الجود أفضل أعمال العباد فأعده لنفسك خلقا وارض به عملا ومذهبا وتفقد الخند  
في دواوينهم ومكاتبهم وأدر عليهم أرزاقهم ووسع عليهم في معاشهم يذهب الله عز  
وجل بذلك فاقتهم فيقوى لك أمرهم وتريد قلوبهم في طاعتك وأمرك خلوصا وانسراحا  
وحسب ذى السلطان من السعادة أن يكون على جنده ورعيته رحمة في عدله  
وعطيته وانصافه وعنايته وشفقته وبره وتوسعته فذلك مكروه أحد البابين باستشعار  
فضله الباب الآخر لزوم العمل به تلقا ان شاء الله تعالى به نجاحا وصلاحا وفلاحا  
واعلم أن القضاء من الله تعالى بالمكان الذي ليس له به شئ من الأمور لانه ميزان الله الذي  
يعدل عليه أحوال الناس في الارض وباقامة العدل في القضاء والعمل تصلح أحوال  
الرعية وتأمين السبل ويتصف المظلوم وتأخذ الناس حقوقهم وتحسن المعيشة  
ويؤدى حق الطاعة ويرزق من الله العافية والسلامة ويقم الدين ويجرى السنن  
والشرائع في مجاريها واشتد في أمر الله عز وجل وتورع عن النطق وامض لا قامة  
الحدود وأقل العجلة وابعد عن الضجر والقلق واقنع بالقسم واتق بجزيتك واتب به  
في صحتك واسدد في منطقتك وانصف الخصم وقف عند الشبهة وابلغ في الحجة ولا  
ياخذك في أحد من رعييتك محاباة ولا محاملة ولا لومة لائم وثبت وتأن وراقب وانظر  
وتفكر وتدبر واعتبر وتواضع لربك وارفق بجميع الرعية وسلط الحق على نفسك ولا  
تسرعن الى سفك الدماء فان الدماء من الله عز وجل بمكان عظيم انتها كالهيا بغير حقها  
وانظر هذا الخراج الذي استقامت عليه الرعية وجعله الله للاسلام عزا ورفعة ولا اله  
توسعة ومنعة ولعدوه كبتا وغيظا ولا اله الا الله فمن معاديهم ذلا وصغارا فوزعه  
بين أصحابه بالحق والعدل والتسوية والعموم ولا تدفعن شيئا منه عن شريف لشرفه  
ولا عن غنى لغناه ولا عن كآب لك ولا لاحد من خاصتك ولا حاشيتك ولا تأخذن منه  
فوق الاحتمال له ولا تكلف أمر افيه شطط واحمل الناس كلهم على أمر الحق فان ذلك



أجمع لافتهم والزم ارضاء العامة واعلم أنك جعلت بولايتك خازنا وحافظا وراعيا وانما  
سعى أهل عملك رعيته لأنك راعيتهم وقيمهم فخذ منهم ما أعطوك من عفوهم ونقدته في  
قوام أمرهم وصلاتهم وتقويم أودهم واستعمل عليهم أولى الرأي والتدبير والتجربة  
والخبرة بالعلم والعدل بالسياسة والعفاف ووسع عليهم في الرزق فان ذلك من الحقوق  
اللازمة لك فيما تقلدت واستند اليك فلا يشغلك عنه شاغل ولا يصرفك عنه صارف  
فانك متى آثرته وقت فيه بالواجب استدعيت به زيادة النعمة من ربك وحسن  
الاحدونه في عملك واستجرت به المحبة من رعيته وأعنت على الصلاح فدرت الخيرات  
بيلدك وفشت العمارة بناحتك وظهر الخصب في سكورك وكثر خراجك وتوفرت  
أموالك وقويت بذلك على ارتباط جنك وارضاء العامة بإفاضة العطاء فيهم من  
نفسك وكنت محمود السياسة مرضى العدل في ذلك عند عدوك وكنت في أمورك كلها  
ذا عدل وآلة وقوة وعدة فتناقص فيها ولا تقدم عليها شيئا بحمد عاقبة أمرك ان شاء الله  
تعالى واجعل في كل كورة من عملك أمينا يخبرك خبر عمالك ويكتب اليك بسيرهم  
وأعمالهم حتى كأنك مع كل عامل في عمله معاينا لا موره كلها واذا أردت أن تأمرهم  
بأمر فانظر في عواقب ما أردت من ذلك فان رأيت السلامة فيه والعافية ورجوت  
فيه حسن الدفاع والصنع فأمنه والافتوق عنه وراجع أهل البصر والعلم به ثم خذ  
فيه عدته فانه ربما نظر الرجل في أمره وقد آناه على ما يهوى فأغواه ذلك وأعجبه فان لم  
ينظر في عواقبه أهلكه ونقض عليه أمره فاستعمل الحزم في كل ما أردت وباشره بعد  
عون الله عز وجل بالقوة وأكثر من استخارة ربك في جميع أمورك وافرح من عمل يومك  
ولا تؤخره وأكثر مباشرة بنفسك فان لغد أمور وأحوادث تلهمك عن عمل يومك  
الذي آخرت واعلم ان اليوم اذا مضى ذهب بما فيه فاذا آخرت عمله اجتمع عليك عمل  
يومين فيشغل ذلك حتى ترضى منه واذا أمضيت لكل يوم عمله أرحت بدلك ونفسك  
وجعت أمر سلطانك وانظر أحرار الناس وذوى الفضل منهم ممن يلوث صفاء طوبيتهم  
وشهدت موتهم لك ومظاهرتهم بالنصح والمحافظة على أمرك فاستخلصهم وأحسن  
اليهم وتعاهد أهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة واحتل مؤنتهم وأصلح حالهم  
حتى لا يجحدوا خلعتهم منافرا وأفرد نفسك بالنظر في أموال الفقراء والمساكين ومن  
لا يقدر على رفع مظلمته اليك والمحقق الذي لا علم له بطلب حقه فسل عنه أخفى مسئلة  
وكل بأمانه أهل الصلاح في رعيته ومرهم برفع حوائجهم وخالهم لتنظر فيما يصلح  
الله به أمرهم وتعاهد ذوى البأساء ويتأملهم وأراملهم واجعل لهم أروا قاضي بيت  
المال اقتداء بأمر المؤمنين أعزه الله تعالى في العطف عليهم والصلة لهم ليصلح الله بذلك

عيشهم ويرزقك به بركة وزيادة وأجر لا مراعى من بيت المال وقدم حله القرآن منهم  
والحافظين لا كره في الجرائد على غيرهم وانصب لمرضى المسلمين دورا وأوبهم وقواما  
يرفقون بهم وأطباء يعالجون أسقامهم وأسعفهم بشهواتهم طام بؤذ ذلك إلى سرف  
في بيت المال واعلم أن الناس اذا أعطوا حقوقهم وفضل أمانتهم لم يبرمهم ورجعنا بهم  
المتصفح لأمور الناس لكثرة ما يرد عليه ويشغل ذكره وفكره منها ما يناله به مؤنة  
ومشقة وليس من يرغب في العدل ويعرف محاسن أموره في العاجل وفضل ثواب  
الآجل كالذي يستفز بما يقربه إلى الله تعالى وتلقس به رجته وأكثر الأذن للناس  
عليك وأرهم وجهك وسكن حراسك واخفض لهم جناحك وأظهر لهم بشرتك ولن لهم  
في المسئلة والنطق واعطف عليهم بيجودك وفضلك واذا أعطيت فأعط بسماحة وطيب  
نفس والتماس للصناعة والاجر من غير تكدير ولا امتنان فان العطية على ذلك تجارة  
مرحبة ان شاء الله تعالى واعتبر بما ترى من أمور الدنيا ومن مضى من قبلك من أهل  
السلطين والرياسة في القرون الخالية والامم البائدة ثم اعتصم في أحوالك كلها بالله  
سبحانه وتعالى والوقوف عند محبته والعمل بشريعته وسنته وبإقامة دينه وكتابه  
واجتنب ما فارق ذلك وخالفه ودعا إلى سخط الله عز وجل واعرف ما تجمع عمالك من  
الاموال وما ينفقون منها ولا تجمع حراما ولا تنفق اسرافا وأكثر بحالة العلماء  
ودشاورتهم ومخاطبتهم وليكن هو الاتباع السنن واقامتها واثار مكارم الاخلاق  
ومقاتلتها وليكن أكرم دخلائك وخاصتك عليك من اذارأى عيالك تمنعه هيبتك من انهاء  
ذلك اليك في ستره وعلامك بما فيه من النقص فان أولئك أنصح أوليائك ومظاهريك  
لك وانظر عمالك الذين يحضرونك وكما لك فوقك لكل رجل منهم في كل يوم وقتا يدخل فيه  
بكتبه وموآمرته وما عنده من حوائج عمالك وامور الدولة ورعيته ثم فرغ لما يورد  
عليك من ذلك سمعك وبصرك وفهمك وعقلك وكررا لنظرفيه والتدبير له فما كان  
موافقا للحق والحزم فأمنه واستخر الله عز وجل فيه وما كان مخالفا لذلك فأصرفه إلى  
المسئلة عنه والتثبت ولا تمن على رعيته ولا غيرهم بمعروف تؤتيه اليهم ولا تقبل من  
أحد الا الوفاء والاستقامة والعون في أمور المسلمين ولا تضع المعروف الاعلى ذلك  
وتفهم كتابي اليك وأمعن النظر فيه والعمل به واستعن بالله على جميع أمورك واستخره  
فان الله عز وجل مع الصلاح وأهله وليكن أعظم سيرتك وأفضل رعيته ما كان لله عز  
وجل رضا ولا دينه نظاما ولا هله عز او عكينا وللملة والذمة عدلا وصلاحا وأنا أسأل  
الله عز وجل أن يحسن عونك وتوفيقك ورشدك وكلائك والسلام \* وحدث  
الاخباريون أن هذا الكتاب لما ظهر وشاع أمره أعجب به الناس واتصل بالمؤمن فلما



قرئ عليه قال ما أتى أبو الطيب يعني طاهر أشيا من أمور الدنيا والدين والتدبير  
والرأي والسياسة وصلاح الملك والرعية وحفظ السلطان وطاعة الخلفاء وتقويم  
الخلافة الا وقد أحكمه وأوصى به ثم أمر المأمون فكتب به الى جميع العمال في  
النواحي ليقصدوا به ويعملوا بما فيه هذا أحسن ما وقفت عليه في هذه السياسة  
والله أعلم

٥٣ (فصل في أمر القاطم وما ينسب اليه الناس في شأنه وكشف الظاهر عن ذلك)

(اعلم) أن المشهور بين الكافة من أهل الاسلام على عتر الا عصار أنه لا بد في آخر الزمان  
من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون ويستولون  
على الممالك الاسلامية ويسمى بالمهدي ويكون خروج الدجال وما بعده من أشرار  
الساعة الثابتة في الصحيح على اثره وأن عيسى ينزل من بعده فيقتل الدجال أو ينزل  
معه فيساعده على قتله ويأتي بالمهدي في صلواته ويحتجون في الباب بأحاديث خرجها  
الائمة وتكلم فيها المنكرون لذلك وربما عارضوها ببعض الاخبار وللمتصوفة المتأخرين  
في أمر هذا القاطم طريقة أخرى ونوع من الاستدلال وربما يعتدون في ذلك على  
المكشف الذي هو أصل طرائقهم \* ونحن الآن نذكر هنا الاحاديث الواردة في  
هذا الشأن وما للمتكلمين فيها من المطاعن ومالهم في انكارهم من المستند ثم تتبعه  
بذكر كلام المتصوفة ورأيهم ليتبين لك الصحيح من ذلك ان شاء الله تعالى فنقول ان جماعة  
من الائمة خرجوا أحاديث المهدي منهم الترمذي وأبو داود والبخاري وابن ماجه والحاكم  
والطبراني وأبو يعلى الموصلي وأسندوها الى جماعة من العصابة مثل علي وابن عباس  
وابن عمرو وطحمة وابن مسعود وأبي هريرة وأنس وأبي سعيد الخدري وأبو حنيفة وأبو سلمة  
وثوبان وقرعة بن اياس وعلي الهلالي وعبد الله بن الحرث بن جزة بأسانيد ربما يعرض لها  
المنكرون كما نذكره الآن المعروف عند أهل الحديث أن الجرح مقدم على التعديل  
فاذا وجدنا طعننا في بعض رجال الاسانيد بغفلة أو بسوء حفظ أو ضعف أو سوء رأي  
نطرق ذلك الى صحة الحديث وأوهن منها ولا نقول مثل ذلك ربما يتطرق الى رجال  
الصحيحين فان الاجماع قد اتصل في الامة على تلقيها ما بالقبول والعمل بما فيها ما في  
الاجماع أعظم حجة وأحسن دفع وليس غير الصحيحين بمثابة ما في ذلك فقد نجد مجالا  
للكلام في أسانيد هامة نقل عن أئمة الحديث في ذلك \* ولقد توغل أبو بكر بن أبي  
خزيمة على ما نقل السهيلي عنه في جمعه للاحاديث الواردة في المهدي فقال ومن  
أعرب السناد ما ذكره أبو بكر الاسكافي في فوائد الاخبار مسندا الى مالك بن أنس

عن محمد بن المنكدر عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كذب بالمهدي  
فقد كفر ومن كذب بالدجال فقد كذب وقال في طلوع الشمس من مغربها مثل ذلك فيما  
احسب وحسبك هذا علواً والله أعلم بصحة طريقته الى مالك بن أنس على أن أبا بكر  
الاسكافي عندهم منهم وضاع \* وأما الترمذي فخرج هو وأبو داود بسندهم الى  
ابن عباس من طريق عاصم بن أبي النجود أحد القراء السبعة الى زر بن حبیش عن  
عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم لولم يبق من الدنيا الا يوم لطول الله  
ذلك اليوم حتى يعث الله فيه رجلا مني أو من أهل بيتي يواطى اسمه اسمي واسم أبيه  
اسم أبي هذا لفظ أبي داود وسكت عليه وقال في رسالته المشهورة ان ما سكت  
عليه في كتابه فهو صالح وافظ الترمذي لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل  
بيت يواطى اسمه اسمي وفي لفظ آخر حتى يلي رجل من أهل بيتي وكلاهما حديث حسن  
صحيح ورواه أيضا من طريق موقوفا على أبي هريرة وقال الحاكم رواه الثوري وشعبة  
وزائدة وغيرهم من أئمة المسلمين عن عاصم قال وطرق عاصم عن زر عن عبد الله كلها  
صحيحة على ما أصلته من الاحتجاج بأخبار عاصم اذ هو امام من أئمة المسلمين انتهى  
الآن عاصم قال فيه أحمد بن حنبل كان رجلا صالحا قارئا للقرآن خيرا ثقة والاعمش  
أحفظ منه وكان شعبة يختار الاعمش عليه في تثبيت الحديث وقال العجلي كان يختلف  
عليه في زر وأبي وائل يشير بذلك الى ضعف روايته عنهما وقال محمد بن سعد كان  
ثقة الا أنه كثير الخطأ في حديثه وقال يعقوب بن سفيان في حديثه اضطراب وقال عبد  
الرحمن بن أبي حاتم قلت لابي ان أبا زرعة يقول عاصم ثقة فقال ليس محله هذا وقد تكلم  
فيه ابن علية فقال كل من اسمه عاصم سي الحفظ وقال أبو حاتم محله عندى محل الصدق  
صالح الحديث ولم يكن بذلك الحافظ واختلف فيه قول النسائي وقال ابن حراش  
في حديثه نكرة وقال أبو جعفر العقيلي لم يكن فيه الا سوء الحفظ وقال الدارقطني  
في حفظه شيء وقال يحيى القطان ما وجدت رجلا اسمه عاصم الا وجدته ردى الحفظ  
وقال أيضا سمعت شعبة يقول حدثنا عاصم بن أبي النجود وفي الناس ما فيه ما وقال  
الذهبي ثبت في القراءة وهو في الحديث دون الثبت صدوق فهمم وهو حسن الحديث  
وان احتج أحد بان الشيخين أخرجاه فقل قول أخرجاه مقرونا بغيره لا أصلا والله أعلم  
وخرج أبو داود في الباب عن علي رضي الله عنه من رواية قطن بن خليفة عن القاسم  
ابن أبي مرة عن أبي الطفيل عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لولم يبق من الدهر  
الا يوم لبعث الله رجلا من أهل بيتي يملأها عدلا كما ملئت جورا وقطن بن خليفة وان  
وثقه أحمد ويحيى بن القطان وابن معين والنسائي وغيرهم الا أن العجلي قال حسن



الحديث وفيه شيع قليل وقال ابن معين مرة ثقة شيعي وقال أحمد بن عبد الله بن  
يونس كان غزلي قطن وهو مطروح لا يكتب عنه وقال مرة كنت أمرته وأدعه  
مثل الكلب وقال الدارقطني لا يحتج به وقال أبو بكر بن عياش ما تركت الرواية عنه  
الأسوء مذهبه وقال الجرجاني زائع غير ثقة انتهى وخرج أبو داود أيضا بسنده إلى  
علي رضي الله عنه عن مروان بن المغيرة عن عمر بن أبي قيس عن شعيب بن أبي خالد عن  
أبي إسحق النسفي قال قال علي ونظر إلى ابنه الحسن ان ابني هذا سيد كما سماه رسول الله  
صلى الله عليه وسلم سيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه في الخلق ولا يشبهه في  
الخلق يملأ الأرض عدلا وقال هرون حدثنا عمر بن أبي قيس عن مطرف بن طريف  
عن أبي الحسن عن هلال بن عمر سمعت عليا يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم يخرج  
رجل من وراء النهر يقال له الحرث على مقدمته رجل يقال له منصور يوطئ أو يمكن  
لآل محمد كما مكنت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجب على كل مؤمن نصره أو  
قال اجابته سكت أبو داود وعليه وقال في موضع آخر في هرون هو من ولد الشيعة وقال  
السيستاني فيه نظر وقال أبو داود في عمر بن أبي قيس لا بأس به في حديثه خطأ وقال  
الذهبي صدوق له أو همام وأما أبو إسحق الشيعي وان خرج عنه في الصحيحين فقد ثبت أنه  
اختلط آخر عمره وروايته عن علي منقطعة وكذلك رواية أبي داود عن هرون بن المغيرة  
وأما السند الثاني فأبو الحسن فيه وهلال بن عمر مجهولان ولم يعرف أبو الحسن  
الامن رواية مطرف بن طريف عنه انتهى وخرج أبو داود أيضا عن أم سلمة وكذا  
ابن ماجه والحاكم في المستدرل من طريق علي بن فضال عن سعيد بن المسيب عن أم  
سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المهدى من ولد فاطمة ولفظ الحاكم  
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر المهدى فقال نعم هو حق وهو من بني فاطمة  
ولم يتكلم عليه بتصحيح ولا غيره وقد ضعفه أبو جعفر العقيلي وقال لا يتابع علي بن فضال  
عليه ولا يعرف الابن وخرج أبو داود أيضا عن أم سلمة من رواية صالح بن الخليل عن  
صاحب له عن أم سلمة قال يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من أهل  
المدينة هاربا إلى مكة فبأبيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين  
الركن والمقام فيبعث إليه بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة  
فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبا ذر أهل الشام وعصائب أهل العراق فيبايعونه ثم يش  
رجل من قريش أخواله كلب فيبعث إليهم به فيأفظهرون عليهم وذلك بعث كلب والحلبة  
لمن لم يشهد غنجة كلب فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة بينهم صلى الله عليه وسلم  
ويبقى الإسلام يجرانه على الأرض فيلبث سبع سنين وقال بعضهم تسع سنين ثم رواه أبو

داود من رواية ابن الخليل عن عبد الله بن الحرث عن أم سلمة فتبين بذلك المبهم في الاسناد  
الاول ورجال رجال الصحيحين لا مطعن فيهم ولا مغمز وقد يقال انه من رواية قتادة عن  
أبي الخليل وقاتدة مدلس وقد عنعنه والمدلس لا يقبل من حديثه الا ما صرح فيه  
بالسماع مع أن الحديث ليس فيه تصريح بذلك المهدى نعم ذكره أبو داود في أبوابه  
وخرج أبو داود أيضا وتابعه الحاكم عن أبي سعيد الخدري من طريق عمران القطان  
عن قتادة عن أبي بصرة عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
المهدى مني أجلى الجبهة أقرنى الأنف يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا  
ملك سبع سنين هذا لفظ أبي داود وسكت عليه ولفظ الحاكم المهدى من أهل  
البيت أشم الأنف أقرنى أجلى يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما يعيش  
هكذا وبسط بساره واصبعين من عينه السبابة والابهام وعقد ثلاثة قال الحاكم هذا  
حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه اه وعمران القطان مختلف في الاحتجاج  
به انما أخرج له البخاري استشهادا لأصلا وكان يحيى القطان لا يحتج عنه وقال  
يحيى بن معين ليس بالقوى وقال مرة ليس بشيء وقال أحمد بن حنبل أرجو أن يكون  
صالح الحديث وقال يزيد بن زريع كان حروريا وكان يرى السيف على أهل القبلة وقال  
النسائي ضعيف وقال أبو عبيد الله جرى سألت أبا داود عنه فقال من أصحاب الحسن  
وما سمعت الا خيرا وسمعت مرة أخرى ذكره فقال ضعيف أقرنى أيام ابراهيم بن عبد الله  
ابن حسن بقوى شديدة فيها سفك الدماء وخرج الترمذي وابن ماجه والحاكم عن  
أبي سعيد الخدري من طريق زيد العمي عن أبي صديق التاجي عن أبي سعيد الخدري  
قال خشيئنا أن يكون بعض مني حدث فسالنا نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال ان في  
أمتي المهدى يخرج بعيش خسا أو سبعا أو تسعا زيد الشاذلي قال قلنا وما ذاك قال سنين  
قال فيحيى إليه الرجل فيقول يا مهدي أعطني قال فيحيى له في نوبه ما استطاع أن يحمله  
لفظ الترمذي وقال هذا حديث حسن وقد روى من غير وجه عن أبي سعيد عن النبي  
صلى الله عليه وسلم ولفظ ابن ماجه والحاكم يكون في أمتي المهدى ان قصر فبسع والا  
فتسع فبسع أمتي فيه نعمة لم يسمعوا عملها قط تؤتى الأرض كلها ولا يدخر منه شيء  
والمال يومئذ كدوس فيقوم الرجل فيقول يا مهدي اعطني فيقول خذانته وزيدي  
العمي وان قال فيه الدارقطني وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين انه صالح وزاد أحمد انه  
فوق يزيد الرقاشي وفضل بن عيسى الآية قال فيه أبو حاتم ضعيف يكتب حديثه  
ولا يحتج به وقال يحيى بن معين في رواية أخرى لا شيء وقال مرة يكتب حديثه وهو  
ضعيف وقال الجرجاني مقاسك وقال أبو زرعة ليس بقوى واهى الحديث ضعيف



وقال أبو حاتم ليس بذالوقد حدث عنه شعبة وقال النسائي ضعيف وقال ابن عدى  
عامة ما يرويه ومن يروى عنهم ضعفاء على أن شعبة قد روى عنه ولعل شعبة لم يرو عن  
أضعف منه وقد يقال إن حديث الترمذي وقع تفسير المارواه مسلم في صحيحه من  
حديث جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون في آخر أمتي خليفة يحثي  
المال حبساً لا يبعده عدا ومن حديث أبي سعيد قال من خلفائكم خليفة يحثي المال  
حبساً ومن طريق أخرى عنهما قال يكون في آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يبعده  
انتهى وأحاديث مسلم لم يقع فيها ذكر المهدي ولا دليل يقوم على أنه المراد منها ورواه  
الحاكم أيضاً من طريق عوف الأعرابي عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري  
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض جوراً وظلماً  
وعداً وانما يخرج من أهل بيتي رجل يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً وقال  
فيه الحاكم هذا صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ورواه الحاكم أيضاً من طريق  
سليمان بن عبيد عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه  
عليه وسلم قال يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه الله الغيث ويخرج الأرض نباتها  
ويعطي المال صحاحاً وتكثر الماشية وتعظم الأمة يعيش سبعمائة وثمانين عاماً وقال  
فيه حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه مع أن سليمان بن عبيد لم يخرج له أحد من الستة  
لكن ذكره ابن حبان في الثقات ولم يرد أن أحداً تكلم فيه ثم رواه الحاكم أيضاً من  
طريق أسد بن موسى عن حماد بن سلمة عن مطر الوراق وأبي هريرة العبدى عن أبي  
الصديق الناجي عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تملأ الأرض جوراً  
وظلماً فيخرج رجل من عترتي فيملأ سبعاً وتسعين عاماً الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت  
جوراً وظلماً وقال الحاكم فيه هذا حديث صحيح على شرط مسلم وانما جعله على شرط  
مسلم لأنه أخرجه عن حماد بن سلمة وعن شيخه مطر الوراق وأما شيخه الآخر وهو أبو  
هريرة العبدى فلم يخرج له وهو ضعيف جداً منهم بالكذب ولا حاجة إلى بسط أقوال  
الأئمة في تضعيفه \* وأما الراوى له عن حماد بن سلمة وهو أسد بن موسى ويلقب بأسد  
السنة وإن قال البخاري مشهور الحديث واستشهد به في صحيحه واحتج به أبو داود  
والنسائي إلا أنه قال مرة أخرى ثقة لولم يصنف كان خيراً له وقال فيه محمد بن حزم منكر  
الحديث ورواه الطبراني في معجمه الأوسط من رواية أبي الواصل عبد الحميد بن واصل  
عن أبي الصديق الناجي عن الحسن بن يزيد السعدي أحد بني مهدي عن أبي سعيد  
الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج رجل من أمتي يقول  
يسئني ينزل الله عز وجل له القطر من السماء ويخرج الأرض بركتها وغللاً الأرض منه

قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً يعمل على هذه الأئمة سبع سنين وينزل بيت  
المقدس وقال الطبراني فيه ورواه جماعة عن أبي الصديق ولم يدخل أحد منهم بينه  
وبين أبي سعيد أحداً إلا أبو الواصل فإنه رواه عن الحسن بن يزيد عن أبي سعيد انتهى  
وهذا الحسن بن يزيد ذكره ابن أبي حاتم ولم يعرفه بأكثر مما في هذا الإسناد من  
روايته عن أبي سعيد ورواية أبي الصديق عنه وقال الذهبي في الميزان أنه مجهول  
لكن ذكره ابن حبان في الثقات وأما أبو الواصل الذي رواه عن أبي الصديق فلم  
يخرج له أحد من الستة وذكره ابن حبان في الثقات في الطبقة الثانية وقال فيه يروى عن  
أنس وروى عنه شعبة وعتب بن بشر وخرج ابن ماجه في كتاب السنن عن عبد الله بن  
مسعود من طريق يزيد بن أبي زياد عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال بينما نحن  
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قبل فتية من بني هاشم فلما رآهم رسول الله صلى  
الله عليه وسلم ذرفت عيناه وتغير لونه قال فقلت ما نزال نرى في وجهك شيئاً نكره فقال  
أنا أهل البيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا وإن أهل بيتي سيملقون بعدى بلاء  
وتشريد وتطريد احتج بأبي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود فيسألون الخيرة فلا  
يعطونه فيقاتلون وينصرون فيعطون ما سألوها فلا يقبلونه حتى يدفعونها إلى رجل من  
أهل بيتي فيملؤها قسطاً كما ملؤها جوراً فن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو جبا على  
الثلج انتهى \* وهذا الحديث يعرف عند المحدثين بمحدث الرايات ويزيد بن أبي  
زياد راويه قال فيه شعبة كان رفاعاً يعني يرفع الأحاديث التي لا تعرف من فوعة وقال  
محمد بن الفضل كان من كبار أئمة الشيعة وقال أحمد بن حنبل لم يكن بالحافظ وقال  
مرة حديثه ليس بذلك وقال يحيى بن معين ضعيف وقال العجلي جائر الحديث وكان  
بآخره يلقي وقال أبو زرعة لن يكتب حديثه ولا يحتج به وقال أبو حاتم ليس بالقوى  
وقال الجرجاني سمعته يضعفون حديثه وقال أبو داود لا أعلم أحداً ترك حديثه وغيره  
أحب إلى منه وقال ابن عدى هو من شيعته أهل الكوفة ومع ضعفه يكتب حديثه  
وروى له مسلم لكن مقرراً وبغيره وبالجملة قالوا كثيرون على ضعفه وقد صرح الأئمة  
بتضعيف هذا الحديث الذي رواه عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله وهو حديث  
الرايات وقال وكيع بن الجراح فيه ليس بشيء وكذلك قال أحمد بن حنبل وقال أبو  
قدامة سمعت أبا أسامة يقول في حديث يزيد عن إبراهيم في الرايات لو حلف عندى  
خمسين عينا قسامة ما صدقته أهذا مذهب إبراهيم أهذا مذهب علقمة أهذا مذهب  
عبد الله وأورد العقيلي هذا الحديث في الضعفاء وقال الذهبي ليس بصحيح وخرج ابن  
ماجه عن علي رضي الله عنه من رواية ياسين العجلي عن إبراهيم بن محمد ابن الحنفية عن



أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهدي من أهل البيت يصلح الله به في ليلة ويأسين العجلى وان قال فيه ابن معين ليس به بأس فقد قال البخاري فيه نظر وهذه اللفظة من اصطلاحه قوية في التضعيف جدا وأورد له ابن عدي في الكامل والذهبي في الميزان هذا الحديث على وجه الاستنكار له وقال هو معروف به وخرج الطبراني في معجمه الاوسط عن علي رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم أمنا المهدي أم من غيرنا يا رسول الله فقال بل منا بنايختم الله كتابنا فتح وبننا يستنقذون من الشرك وبننا يؤلف الله بين قلوبهم بعد عداوة بينة كما بنألف بين قلوبهم بعد عداوة الشرك قال علي آمنون أم كافرون قال مقنون وكافر انتهى وفيه عبد الله بن لهيعة وهو ضعيف معروف الحال وفيه عمر بن جابر الحضرمي وهو أضعف منه قال أحمد بن حنبل روى عن جابر مننا كبرو بلغني أنه كان يكذب وقال النسائي ليس بثقة وقال كان ابن لهيعة شيخا أحق ضعيف العقل وكان يقول علي في السحاب وكان يجلس معنا فيبصر صحابة فيقول هذا علي قد مر في السحاب وخرج الطبراني عن علي رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يكون في آخر الزمان فتنة يحصل الناس فيها كما يحصل الذهب في المعدن فلا تسبوا أهل الشام ولكن سبوا أشراهم فان قيمهم الابدال يوشك أن يرسل على أهل الشام صيب من السماء فيفرق جاعتهم حتى لو قاتلتهم الثعالب غلبتهم فعند ذلك يخرج خارج من أهل بيتي في ثلاث رايات المكثرون يقول بهم خمسة عشر ألفا والمقلل يقول بهم اثنا عشر ألفا وأما رتهم امت امت يلقون سبع رايات تحت كل راية منها رجل يطلب الملائكة فيقتلهم الله جميعا ويرد الله إلى المسلمين ألفتهم ونعمتهم وقاصيتهم ورأيهم اه وفيه عبد الله بن لهيعة وهو ضعيف معروف الحال ورواه الحاكم في المستدرک وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه في روايته ثم يظهر الهاشمي فيرد الله الناس إلى ألفتهم الخ وليس في طريقه ابن لهيعة وهو اسناد صحيح كما ذكر وخرج الحاكم في المستدرک عن علي رضي الله عنه من رواية أبي الطفيل عن محمد بن الحنفية قال كان عند علي رضي الله عنه فدا له رجل عن المهدي فقال علي هيات ثم عقد يده سبعاً فقال ذلك يخرج في آخر الزمان اذا قال الرجل الله الله قتل ويجمع الله له قوما قزع كقزع السحاب يؤلف الله بين قلوبهم فلا يستوحشون إلى أحد ولا يفرحون بأحد دخل فيهم عدتهم على عدة أهل بدر لم يسبقهم الا قولون ولا يدركهم الا آخرون وعلى عدد أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر قال أبو الطفيل قال ابن الحنفية أتر يده قلت نعم قال فانه يخرج من بين هذين الاخشين قلت لا جرم والله ولا أدعها حتى أموت ومات بها يعني مكة قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين انتهى وانما

قزع بنهم أوله وفتح  
الراي ممنوع من  
الصرف كآخر اه

هو على شرط مسلم فقط فان فيه عمارا الذهبي ويونس بن أبي اسحق ولم يخرج له ما البخاري وفيه عمرو بن محمد العبقرى ولم يخرج له البخاري احتجا جابل استشهدا مع ما ينضم الى ذلك من تبيين عمار الذهبي وهو وان وثقه أحمد وابن معين وأبو حاتم النسائي وغيرهم فقد قال علي بن المدني عن سفيان ابن ابراهيم بن مروان قطع عرقويه قالت في أي شيء قال في التبيين وخرج ابن ماجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه في رواية سعد بن عبد الحميد بن جعفر عن علي بن زياد اليمامي عن عكرمة بن عمار عن اسحق بن عبد الله عن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نحن ولد عبد المطلب سادات أهل الجنة أنا وحزرة وعلي وجهه قر والحسن والحسين والمهدي انتهى وعكرمة بن عمار وان أخرجه له مسلم فانما أخرجه له متابعة وقد ضعفه بعض ووثقه آخرون وقال أبو حاتم الرازي هو مداس فلا يقبل الا أن يصرح بالسماع وعلي ابن زياد قال الذهبي في الميزان لا ندري من هو ثم قال الصواب فيه عبد الله بن زياد وسعد ابن عبد الحميد وان وثقه يعقوب بن أبي شيبة وقال فيه يحيى بن معين ليس به بأس فقد تكلم فيه الثوري قالوا لانه رآه يفتي في مسائل ويخطئ فيها وقال ابن حبان كان ممن فحش عطاؤه فلا يحججه وقال أحمد بن حنبل سعد بن عبد الحميد يدعي أنه سمع عرض كتب مالك والناس ينكرون عليه ذلك وهو ههنا يغدأ لم يحجج فكيف سمعها وجعله الذهبي ممن لم يقدح فيه كلام من تكلم فيه وخرج الحاكم في مستدركه من رواية مجاهد عن ابن عباس موقوفا عليه قال مجاهد قال لي ابن عباس لو لم أسمع أنك مثل أهل البيت ما حدثتكم بهذا الحديث قال فقال مجاهد فانه في ستر لا أذكره ان يكره قال فقال ابن عباس من أهل البيت أربعة منا السقاج ومنا المنذرونا المنصور ومنا المهدي قال فقال مجاهد بين لي هؤلاء الاربعة فقال ابن عباس أما السقاج فربما قتل أنصاره وعفا عن عدوه وأما المنذرونا رآه قال فانه يعطى المال الكثير ولا يتعاطم في نفسه ويمسك القليل من حقه وأما المنصور فانه يعطى النصر على عدوه الشطر مما كان يعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرهب منه عدوه على مسيرة شهرين والمنصور يرهب منه عدوه على مسيرة شهر وأما المهدي الذي علا الأرض عدلا كما ملئت جورا وتأم من البهائم السباع وتلقى الأرض أفلاذ كبدها قال قلت وما أفلاذ كبدها قال أمثال الاسطوانة من الذهب والفضة اه وقال الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه وهو من رواية اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر عن أبيه واسمعيل ضعيف وابراهيم أبوه وان أخرجه له مسلم فالأكثر على تضعيفه اه وخرج ابن ماجه عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقتل عند كبرك ثلاثة كلهم ابن خليفة ثم لا يصير إلى



واحد منهم حتى تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلوه قتلهم قتلهم قتلهم ثم ذكر  
شيئا لا أخفطه قال فاذا رأيتوه فبادعوه ولوحبوا على النبل فانه خليفة الله المهدي اه  
ورجله رجال الصالحين الا ان فيه ابا قلابة الجرمي وذكر الذهبي وغيره انه مدلس وفيه  
سفيان الثوري وهو مشهور بالتدليس وكل واحد منهم ما عنعن ولم يصرح بالسماع  
فلا يقبل وفيه عبد الرزاق بن همام وكان مشهورا بالتشيع وعمي في آخر وقته فحفظ  
قال ابن عدي حدثنا حدث في الفضائل لم يوافق عليه أحد ونسبوه الى التشيع  
انتهى \* وخرج ابن ماجه عن عبد الله بن الحرث بن جرة الزبيدي من طريق ابن  
لهيعة عن أبي زرعة عن عمر بن جابر الحضرمي عن عبد الله بن الحرث بن جرة قال قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج ناس من المشرق فيوطئون للمهدي يعني سلطانه  
قال الطبراني تفرد به ابن لهيعة وقد تقدم لنا في حديث علي الذي خرج الطبراني  
في معجمه الاوسط أن ابن لهيعة ضعيف وأن شيخه عمر بن جابر أضعف منه وخرج البرار  
في مسنده والطبراني في معجمه الاوسط واللفظ للطبراني عن أبي هريرة عن النبي صلى  
الله عليه وسلم قال يكون في أمتي المهدي ان قصر فسبع والافثمان والاقسع تنعم فيها  
أمتي نعمة لم ينعموا بعثلها ترسل السماء عليهم مدرارا ولا تدخر الارض شيئا من النبات  
والمال كدوس يقوم الرجل يقول يا مهدي أعطني فيقول خذ قال الطبراني والبرار  
تفرد به محمد بن مروان العجلي زاد البرار ولا نعلم أنه تابعه عليه أحد وهو وان وثقه أبو  
داود وابن حبان أيضا ما ذكره في الثقات وقال فيه يحيى بن معين صالح وقال مرة ليس  
به بأس فقد اختلفوا فيه وقال أبو زرعة ليس عندي بذلك وقال عبد الله بن أحمد بن  
حنبل رأيت محمد بن مروان العجلي حدثنا بأحاديث وأنا شاهد لم نكتبها تركتها على عمد  
وكتب بعض أصحابنا عنه كانه ضعفه وخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده عن أبي  
هريرة وقال حدثني خليلي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى  
يخرج عليهم رجل من أهل بيتي فيضربهم حتى يرجعوا الى الحق قال قلت وكم عليك قال  
خمسوا وثنتين قال قلت وما خمس واثنتين قال لا أدري اه وهذا السند وان كان  
فيه بشير بن نهيك وقال فيه أبو حاتم لا يحتج به فقد احتج به الشيخان ووثقه الناس ولم  
يلفتوا الى قول أبي حاتم لا يحتج به الا أن فيه رجاء بن أبي رجاء البشكري وهو مختلف  
فيه قال أبو زرعة ثقة وقال يحيى بن معين ضعيف وقال أبو داود وضعيف وقال مرة صالح  
وعلق له البخاري في صحيحه حديثا واحدا وخرج أبو بكر البرار في مسنده والطبراني  
في معجمه الكبير والاوسط عن قرعة بن اياس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
لعل أن الارض جورا وظلما فاذم لثب جورا وظلما بعث الله رجلا من أمتي اسمه اسمي

واسم أبيه اسم أبي يملؤها عدلا وقسطا كملت جورا وظلما فلا تمنع السماء من قطرها  
شيئا ولا الارض شيئا من نباتها يلبث فيكم سبعا وأثمانا وتسعين سنين اه وفيه  
داود بن المحي بن مجرم عن أبيه وهما ضعيفان جدا وخرج الطبراني في معجمه الاوسط عن  
ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من المهاجرين والانصار وعلى  
ابن أبي طالب عن يساره والعباس عن يمينه اذ تلاحي العباس ورجل من الانصار  
فأغلظ الانصاري للعباس فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيد العباس وبيد علي وقال  
سيخرج من صلب هذا حتى يملأ الارض جورا وظلما وسيخرج من صلب هذا حتى يملأ  
الارض قسطا وعدلا فاذا رأيت ذلك فعليكم بالفتي التميمي فانه يقبل من قبل المشرق  
وهو صاحب راية المهدي اه وفيه عبد الله بن عمر العمي وعبد الله بن لهيعة وهما  
ضعيفان اه وخرج الطبراني في معجمه الاوسط عن طلحة بن عبد الله عن النبي صلى  
الله عليه وسلم قال ستكون قسنة لا يسكن منها جانب الا تشاجر جانب حتى ينادي  
مناد من السماء ان أميركم فلان اه وفيه المثنى بن الصباح وهو ضعيف جدا وليس  
في الحديث تصريح بذكر المهدي وانما ذكره في أبوابه وترجمته استئناسا (فهذه) جملة  
الاحاديث التي خرجهما الاثمة في شأن المهدي وخرجه آخر الزمان وهي كما رأيت لم  
يخلص منها من النقد الا القليل والاقول منه ور بما تمسك المنكرون لشأنه بما رواه محمد  
ابن خالد الجندی عن أبان بن صالح بن أبي عياش عن حسن البصري عن أنس بن مالك  
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا مهدي الا عيسى ابن مريم وقال يحيى بن معين في  
محمد بن خالد الجندی انه ثقة وقال البيهقي تفرد به محمد بن خالد وقال الحاكم فيه انه رجل  
مجهول واختلف عليه في اسناده فمرة يروى كما تقدم وينسب ذلك لمحمد بن ادريس  
الشافعي ومرة يروى عن محمد بن خالد عن أبان عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم  
مرسلا قال البيهقي فرجع الى رواية محمد بن خالد وهو مجهول عن أبان بن أبي عياش وهو  
متروك عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو منقطع وبالجملة فالحديث ضعيف  
مضطرب وقد قيل في أن لا مهدي الا عيسى أي لا يتكلم في المهدي الا عيسى بمحاولون  
بهذا التأويل رد الاحتجاج به أو الجمع بينه وبين الاحاديث وهو مدفوع بحديث  
جريح ومثله من الخوارق \* وأما المتصوفة فلم يكن المتقدمون منهم ينجحون  
في شيء من هذا وانما كان كلامهم في المجاهدة بالاعمال وما يحصل عنهما من نتائج المواجد  
والاحوال وكان كلام الامامية والرافضة من الشيعة في تفضيل علي رضي الله تعالى  
عنه والقول بامامته وادعاء الوصية له بذلك من النبي صلى الله عليه وسلم والتبري  
من الشيعين كما ذكرناه في مذاهبهم ثم حدث فيهم بعد ذلك القول بالامام المعصوم وكثرت



التأليف في مذاهبهم وجاء الاسماعيلية منهم بدعون الوهية الامام شوع من الحلول  
 وآخرون بدعون رجعة من مات من الائمة بنوع التنازع وآخرون منتظرون هجي من  
 يقطع عونه منهم وآخرون منتظرون عود الامر في أهل البيت مستدلين على ذلك بما  
 قدمناه من الاحاديث في المهدي وغيرها ثم حدث ايضا عند المتأخرين من الصوفية  
 الكلام في الكشف وفيما وراء الحس وظهر من كثير منهم القول على الاطلاق بالحلول  
 والوحدة فشاركوا فيها الامامية والرافضة لقولهم بآلوهية الائمة وحلول الاله فيهم  
 وظهر منهم ايضا القول بالقطب والابدال وكأنه يحاكي مذهب الرافضة في الامام  
 والقباء وأشربوا أقوال الشيعة وتوغلوا في الديانة بمذاهبهم حتى لقد جعلوا مستند  
 طريقهم في ايس الخرقه أن عليا رضى الله عنه ألبس الحسن البصري وأخذ عليه  
 العهد بالترام الطريقة واتصل ذلك عنهم بالخليفة من شيوخهم ولا يعلم هذا عن علي من  
 وجه صحيح ولم تكن هذه الطريقة خاصة بعلي كرم الله وجهه بل الصحابة كلهم أسوة في  
 طرق الهدى وفي تخصيص هذا بعلي دونهم راحة من التشيع قوية يفهم منها ومن غيرها  
 مما تقدم دخولهم في التشيع وانخراطهم في سلكه وظهر منهم ايضا القول بالقطب  
 وامتلأت كتب الاسماعيلية من الرافضة وكتب المتأخرين من المتصوفة بمثل ذلك في  
 القاطمي المنتظرون وكان بعضهم عليه على بعض وياقنه بعضهم من بعض وكأنه مبنى على  
 أصول واهية من الفريقين وربما يستدل بعضهم بكلام المتجيمين في القرانات وهو من  
 نوع الكلام في الملاحم ويأتي الكلام عليها في الباب الذي يلي هذا وأكثر من تكلم من  
 هؤلاء المتصوفة المتأخرين في شأن القاطمي ابن العربي الحاتمي في كتاب عنقاء مغرب  
 وابن قسي في كتاب خلع النعلين وعبدا الحق بن سبعين وابن أبي واطيل تليذه في شرحه  
 لكتاب خلع النعلين وأكثر كلماتهم في شأنه ألفاظ وأمثال وربما يصرحون في الاقل  
 أو يصرح مفسر وكلامهم وحاصل مذاهبهم فيه على ما ذكر ابن أبي واطيل أن النبوة  
 بها ظهر الحق والهدى بعد الضلال والعمى وانها تعقبها الخلافة ثم يعقب الخلافة  
 الملك ثم يعود تكبرا وباطلا قالوا ولما كان في المعهود من سنة الله رجوع  
 الامور الى ما كانت وجب أن يحيا أمر النبوة والحق بالولاية ثم بخلافته ثم يعقبها  
 الدجل مكان الملك والتسلط ثم يعود الكفر بحاله يشيرون بهذا الما وقع من شأن  
 النبوة والخلافة بعدها والملك بعد الخلافة هذه ثلاث مراتب وكذلك الولاية التي هي  
 لهذا القاطمي والدجل بعدها كناية عن خروج الدجال على أثره والكفر من بعد  
 ذلك فهي ثلاث مراتب على نسبة الثلاث مراتب الاولى ثم يعود الكفر كما كان قبل  
 النبوة قالوا ولما كان أمر الخلافة لقريش حكما شرعيا بالاجماع الذي لا يوهنه انكار

من لم يزاو له وجه وجب أن تكون الامامة فمن هو أخص من قريش بالنبي صلى الله  
 عليه وسلم أما ظاهره كبنى عبد المطلب وأما باطنه من كان من حقيقة الآل والآل  
 من اذا حضر لم يغيب من هو آله وابن العربي الحاتمي سماه في كتابه عنقاء مغرب من تأليفه  
 خاتم الاولياء وكنى عنه بلبنة الفضة اشارة الى حديث البخاري في باب خاتم النبيين قال  
 صلى الله عليه وسلم مثل فيمن قبلي من الانبياء كمثل رجل ابنتي يتناوأ كمله حتى اذا لم يبق  
 منه الاموضع لبننة فأناتك اللبننة فيفسخون خاتم النبيين باللبننة حتى أكلت البنيان  
 ومعناه النبي الذي حصلت له النبوة الكاملة ويمثلون الولاية في تفاوت مراتبها بالنبوة  
 ويجعلون صاحب الكمال فيها خاتم الاولياء أي حائزا لمرتبة النبي هي خاتمة الولاية كما كان  
 خاتم الانبياء حائزا للمرتبة التي هي خاتمة النبوة فكأن الشارح عن تلك المرتبة  
 الخاتمة بلبنة البيت في الحديث المذكور وهما على نسبة واحدة فيها فهي لبنة واحدة  
 في التمثيل ففي النبوة لبنة ذهب وفي الولاية لبنة فضة للتفاوت بين الرتبين كما بين الذهب  
 والفضة فيجعلون لبنة الذهب كناية عن النبي صلى الله عليه وسلم ولبنة الفضة كناية عن  
 هذا الولي القاطمي المنتظر وذلك خاتم الانبياء وهذا خاتم الاولياء وقال ابن العربي فيما  
 نقل ابن أبي واطيل عنه وهذا الامام المنتظر هو من أهل البيت من ولد فاطمة وظهره  
 يكون من بعد مني خ فبح من الهجرة ورسم حروف ثلاثة يريد عددها بحساب الجمل  
 وهو الخاء المعجمة بواحدة من فوق ستمائة والفاء أخت القاف بثمانين والجيم المعجمة  
 بواحدة من أسفل ثلاثة وذلك ستمائة وثلاث وثمانون سنة وهي في آخر القرن السابع ولما  
 انصرم هذا العصر ولم يظهر حل ذلك بعض المقلدين لهم على أن المراد بتلك المدة مولده  
 وعبر بظهوره عن مولده وأن خروجه يكون بعد العشر والسبع مائة فانه الامام الناجم  
 من ناحية المغرب قال واذا كان مولده كما زعم ابن العربي سنة ثلاث وثمانين وستمائة  
 فيكون عمره عند خروجه ستا وعشرين سنة قال وزعموا أن خروج الدجال يكون سنة  
 ثلاث وأربعين وسبع مائة من اليوم الحمدي وابتداء اليوم الحمدي عندهم من يوم  
 وفاة النبي صلى الله عليه وسلم الى تمام ألف سنة قال ابن أبي واطيل في شرحه كتاب خلع  
 النعلين الولي المنتظر القائم بأمر الله المشار اليه بمحمد المهدي وخاتم الاولياء وليس  
 هو بنبي وإنما هو ولي ابتعنه روحه وحبيبه قال صلى الله عليه وسلم العالم في قومه  
 كالنبي في أمته وقال علماء أمتي كآنياء بني اسرائيل ولم تزل البشرية تتابع به من أول  
 اليوم الحمدي الى قبيل الخمسمائة نصف اليوم وتأكدت وتضاعفت بتباشير المشايخ  
 يتقرب وقته وازداد لاف زمانه منذ انقضت الى هلم جزا قال وذكر الكندي أن هذا  
 الولي هو الذي يصلي بالناس صلاة الظهر ويجدد الاسلام ويظهر العدل ويقع جزيرة



الاندلس ويصل الى رومية فيفتحها ويسير الى المشرق فيفتحه ويفتح القسطنطينية  
ويصير له ملك الارض فيتقوى المسلمون ويعلموا الاسلام ويظهر دين الخليفة فان من  
صلاة الظهر الى صلاة العصر وقت صلاة قال عليه الصلاة والسلام ما بين هذين وقت  
وقال الكندي ايضا الحروف العربية غير المعجمة يعني المفتوح بها سور القرآن جملة  
عددها سبع مائة وثلاثة واربعون وسبعة دجالية ثم ينزل عيسى في وقت صلاة العصر  
فيصلح الدنيا وتنتهي الشاة مع الذئب ثم يبقى ملك المعجم بعد اسلامهم مع عيسى مائة  
وستين عاما عدد حروف المعجم وهي ق ي ن دولة العدل منها اربعون عاما قال ابن  
ابي واظيل وما ورد من قوله لامهدي الاعيسى فغناه لاهدي تساوي هدايته ولايته  
وقيل لا يتكلم في المهدي الاعيسى وهذا مدفوع بحديث جريح وغيره وقد جاء في الصحيح  
انه قال لا يزال هذا الامر قائما حتى تقوم الساعة او يكون عليهم اثنا عشر خليفة  
يعني قرشيا وقد اعطى الوجود ان منهم من كان في اول الاسلام ومنهم من سيكون  
في آخره وقال الخلافة بعدى ثلاثون واحدى وثلاثون أو ستة وثلاثون وانقضاؤها  
في خلافة الحسن وأول أمر معاوية فيكون أول أمر معاوية خلافة أخذ بأوائل  
الاسماء فهو سادس الخلفاء وأما سابع الخلفاء فعمربن عبدالعزيز والباقيون خمسة من  
أهل البيت من ذرية علي يؤيده قوله انك لذوق نهاريدي الامّة أي انك خليفة في أولها  
وذريتك في آخرها وربما استدلل بهذا الحديث القائلون بالرجعة فالاول هو  
المشار اليه عندهم بطلوع الشمس من مغربها وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا هلك  
كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفسي بيده لتنفق  
كنوزهم ما في سبيل الله وقد أنفق عمر بن الخطاب كنوز كسرى في سبيل الله والذي  
بيده لقيصر وينفق كنوزهم في سبيل الله هو هذا المنتظر حين يفتح القسطنطينية  
فتم الامير أميرها ونعم الجيش ذلك الجيش كذا قال صلى الله عليه وسلم ومدة  
حكمه بضع والبضع من ثلاث الى تسع وقيل الى عشر وجاء ذكره في بعض  
الروايات سبعين وأما الاربعون فانهم بامتدته ومدة الخلفاء الاربعة الباقيين من أهله  
القائمين بأمره من بعده على جميعهم السلام قال وذكر أصحاب النجوم والقرانات أن  
مدة بقاء أمره وأهل بيته من بعده مائة وتسعة وخمسون عاما فيكون الامر على هذا  
جاري على الخلافة والعدل اربعين أو سبعين ثم تختلف الاحوال فتكون ملكا انتهى  
كلام ابن أبي واظيل وقال في موضع آخر نزول عيسى يكون في وقت صلاة العصر  
من اليوم انمهدى حين تضي ثلاثة ارباعه قال وذكر الكندي يعقوب بن اسحق  
في كتاب الجفر الذي ذكر فيه القرانات أنه اذا وصل القران الى الثور على رأس حضخ

بحرفين الصاد المعجمة والحاء المهملة يريد ثمانية وتسعين وستة مائة من الهجرة ينزل المسيح  
فيحكم في الارض ما شاء الله تعالى قال وقد ورد في الحديث أن عيسى ينزل عند المنارة  
البيضاء شرقي دمشق ينزل بين مهرودتين يعني حلتين من عفرتين صفراوين مصريتين  
واضعهما كفيه على أجنحة الملكين لهلة كائنما خرج من ديماس اذا طأ طأ رأسه قطر  
واذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ كثير خيلان الوجه وفي حديث آخر من بوع الخلق  
والى البياض والحرة وفي آخره يتزوج في الغرب والغرب دلوا لبادية يريد أنه يتزوج  
منها وتلد ذواته وذكر وفاته بعد اربعين عاما وجاءت عيسى يموت بالمدينة ويدفن الى  
جانب عمر بن الخطاب وجاء أن أبابكر وعمر يحضران بين يمين قال ابن أبي واظيل  
والشبهة تقول انه هو المسيح مسيح المسيح من آل محمد قلت وعليه حمل بعض المتصوفة  
حديث لامهدي الاعيسى أي لا يكون مهدي الا المهدي الذي نسبته الى الشريعة  
المحمدية نسبة عيسى الى الشريعة الموصوبة في الاتباع وعدم النسخ الى كلام من  
أمثال هذا يعينون فيه الوقت والرجل والمكان بأدلة واضحة ومجربات مختلفة  
فينقضي الزمان ولا أثر لشي من ذلك فيرجعون الى تجديد رأي آخر منتحل كما راه من  
منه ومات لغوية وأشياء تخيلية وأحكام نجومية في هذا انقضت أعمار الاول منهم  
والآخر \* وأما المتصوفة الذين عاصروهم فأكثرهم يشيرون الى ظهور رجل مجدد  
لاحكام الله وحراسه الحق ويتحينون ظهوره لما قرب من عصرنا فبعضهم يقول من  
ولد فاطمة وبعضهم يطلق القول فيه سمعناه من جماعة أكبرهم أبو يعقوب البادي  
كبير الاولياء بالمغرب كان في أول هذه المائة الثامنة وأخبرني عنه حافده صاحبنا  
أبو يحيى زكريا عن أبيه أبي محمد عبد الله عن أبيه الولي أبي يعقوب المذكور هذا آخر  
ما اطلعنا عليه أو بلغنا من كلام هؤلاء المتصوفة وما أورده أهل الحديث من أخبار  
المهدي قد استوفينا جميعه ببلغ طاقتنا والحق الذي ينبغي أن يتقرر لديك أنه لا تتم  
دعوة من الدين والملك الا بوجود شوكه عصية تظهره وتدفع عنه من يدفعه حتى يتم  
أمر الله فيه وقد قررنا ذلك من قبل بالبراهين القطعية التي أرى نالك هنا وعصية  
الفاطمين بل وقرينش أجمع قد تلاشت من جميع الآفاق ووجدتهم آخرون قد  
استعلت عصيتهم على عصية قرينش الاماني بالحجاز في مكة وينبع بالمدينة من الطالبيين  
من بني حسن وبني حسين وبني جعفر منتشرون في تلك البلاد وغالبون عليها وهم  
عصائب بدوية متفرقون في مواطنهم ومارتهم وآرائهم يلقون ألاف من الكثرة فان صح  
ظهور هذا المهدي فلا وجه لظهور دعوته الا بان يكون منهم ويؤلف الله بين قلوبهم في  
اتباعه حتى تتم لشوكه وعصية واقية باظهار كلمته وحل الناس عليها وأما على غير هذا

الصاد عند المغاربة  
تسعين والصاد  
بستين قاله نصير  
اه



الوجه مثل أن يدعو فاطمي منهم إلى مثل هذا الأمر في أفق من الأفاق من غير عصبية ولا شوكة لا مجرد نسبة في أهل البيت فلا يتم ذلك ولا يمكن لما أسلفناه من البراهين الصحيحة وأما ما تدعيه العامة والأغمار من الدهماء ممن لا يرجع في ذلك إلى عقل يهديه ولا علم يفيد فيجيبون ذلك على غير نسبة وفي غير مكان تقلد الماشهور من ظهور فاطمي ولا يعلمون حقيقة الأمر كما بيناه وأكثر ما يجيبون في ذلك القاصية من الممالك وأطراف العمران مثل الزاب بأفريقية والسوس من المغرب ونجد الكثير من ضعفاء البصائر يقصدون رباطا بحاسة لما كان ذلك الرباط بالمغرب من المؤمنين من كدالة واعتقادهم أنه منهم أو فاعنون بدعوتهم زعماء لا مستند لهم إلا غرابه تلك الأمم وبعدهم على يقين المعرفة بأحوالهم من كثرة أوقله أو ضعف أوقوه ولبعد القاصية عن منال الدولة وخروجها عن نطاقها فتقوى عندهم الأوهام في ظهوره هناك بخروج وجهه عن رتبة الدولة ومنال الأحكام والقهر ولا محصول لديهم في ذلك إلا هذا وقد قصد ذلك الموضع كثير من ضعفاء العقول للتلبس بدعوة عيية تمامها وسواسا وحقا وقتل كثير منهم أخبرني شيخنا محمد بن إبراهيم الأبل قال خرج برباط ماسة لآل المائة الثامنة وعصر السلطان يوسف بن يعقوب رجل من متخلى التصوف يعرف بالتقوي يري نسبة إلى توزير مصغرا وادعى أنه الفاطمي المنتظر واتبعه الكثير من أهل السوس من ضالة وكثرة وعظم أمره وخافه رؤساء المصامدة على أمرهم فهدس عليه السكسوي من قتله بآبائنا ونحل أمره وكذلك ظهر في غمارة في آخر المائة السابعة وعشر التسعين منها رجل يعرف بالعباس وادعى أنه الفاطمي واتبعه الدهماء من غمارة ودخل مدينة فاس عنوة وحرقت أسواقها وارتمل إلى بلد المزمرة فقتل بها غيلة ولم يتم أمره وكثير من هذا النمط وأخبرني شيخنا المذكور بغريبة في مثل هذا وهو أنه صاحب في حجة في رباط العباد وهو مدفن الشيخ أبي مدين في جبل تلمسان المطل عليها رجلا من أهل البيت من سكان كربلاء كان متبوعا معظما كثير التلمذ والخدم قال وكان الرجال من موطنه يتلقونه بالنققات فها أكثر البلدان قال وتأكدت الصحة بيننا في ذلك الطريق فأنكشف لي أمرهم وأنهم انما جاؤا من موطنهم بكر بلاء لطلب هذا الأمر واتحال دعوة الفاطمي بالمغرب فلما عين دولة بني مرين ويوسف بن يعقوب يومئذ منازل تلمسان قال لأصحابه ارجعوا فقد أزرى بنا الغلط وليس هذا الوقت وقتنا وبذل هذا القول من هذا الرجل على أنه مستبصر في أن الأمر لا يتم إلا بالعصبية المكانية لأهل الوقت فلما علم أنه غريب في ذلك الوطن ولا شوكة له وأن عصبية بني مرين لذلك العهد لا يقاومها أحد من أهل المغرب استمكن ورجع إلى الحق وأقصر عن مطامعه وبقى عليه أن يستيقن أن عصبية

الفواطم وقرينش أجمع قد ذهبت لاسيما في المغرب الآن التعصب لشأنه لم يترك له هذا القول والله يعلم وأنتم لا تعلمون وقد كانت بالمغرب لهذه العصور القرية نزعة من الدعاء إلى الحق والقيام بالسنة لا يتحلون فيها دعوة فاطمي ولا غيره وانما ينزع منهم في بعض الأحيان الواحد فالواحد إلى إقامة السنة وتغيير المنكر ويعتني بذلك ويكثر تابعه وأكثر ما يعنون باصلاح السابلة لما أن أكثر فساد الأعراب فيها ما قدمناه من طبيعة معاشهم في أخذون في تغيير المنكر بما استطاعوا الآن الصبغة الدينية فيهم لم تستحكم لما أن توبة العرب ورجوعهم إلى الدين انما يقصدون بها الاقصار عن الغارة والنهب لا يعقلون في توبتهم واقبالهم إلى مناحي الديانة غير ذلك لانها المعصية التي كانوا عليها قبل القرية ومنها توبتهم فتجد ذلك المتحل للدعوة والقيام بزعمه بالسنة غير متعمقين في فروع الاعتقاد والاتباع انما دينهم الاعراض عن النهب والبعث وافساد السابلة ثم الاقبال على طلب الدنيا والمعاش بأقصى جهدهم وشتان بين هذا الأجر من اصلاح الخلق ومن طلب الدنيا فاتفقا قهما تمنع لا تستحكم الصبغة في الدين ولا يكمل له نزوع عن الباطل على الجحالة ولا يكثر ويحذف حال صاحب الدعوة معهم في استحكام دينه ولا يته في نفسه دون تابعه فاذا هلك انحل أمرهم وتلاشت عصبيتهم وقد وقع ذلك بأفريقية لرجل من كهوب من سليم يسمى قاسم بن مرة بن أحمد في المائة السابعة ثم من بعده لرجل آخر من بادية رياح من بطن منهم يعرفون بمسلم وكان يسمى سعادة وكان أشد دينيا من الأول وأقوم طريقة في نفسه ومع ذلك فلم يستتب أمر تابعه كما ذكرناه حسبا يأتي ذكر ذلك في موضعه عند ذكر قبائل سليم ورياح وبعد ذلك ظهر ناس بهذه الدعوة يتشبهون بمثل ذلك ويلبسون فيها ويتحلون اسم السنة وليسوا عليها إلا الأقل فلا يتم لهم ولا يني بعدهم شيء من أمرهم انتهى

٥٤ (فصل في ابتدء الدول والامم وفيه الكلام على الملاحم والكشف عن معنى البحر)

اعلم أن من خواص النفوس البشرية التشوف إلى عواقب أمورهم وعلم ما يحدث لهم من حياة وموت وخير وشر سيما الحوادث العامة كعرفة ما بقي من الدنيا ومعرفة مدد الدول وتفارستها والتطلع إلى هذا طبيعة البشر مجبولون عليها ولذلك نجد الكثير من الناس يتشوفون إلى الوقوف على ذلك في المنام والاعخبار من الكهان لمن قصدهم بمثل ذلك من الملوك والسوقة معروف ولقد نجد في المدن صنف من الناس يتحلون المعاش من ذلك اعلمهم بحرص الناس عليه فينتصبون لهم في الطرقات والدكاكين يهرصون لمن يسألهم عنه فتغدو عليهم وتروح نسوان المدينة وصبيانها وكثير من ضعفاء العقول



يستكشفون عواقب أمرهم في الكسب والجاه والمعاش والمعايشة والعداوة وأمثال ذلك ما بين خط في الرمل ويسمونه المنجم وطرق بالحصى والحبوب ويسمونه الحساب وتطرق في المرايا والمياه ويسمونه ضارب المندل وهو من المنكرات الفاشية في الأمصار لا تقر في الشريعة من ذم ذلك وأن البشر محجوبون عن الغيب الأمن أطلعهم الله عليه من عنده في نوم أو ولاية أو أكثر ما يعنى بذلك ويطلع اليه الأمراء والملوك في آماد دولتهم ولذلك انصرفت العناية من أهل العلم اليه وكل أمة من الأمم يوجد لهم كلام من كاهن أو منجم أو ولي في مثل ذلك من ملك يرتقبونه أو دولة يحدثون أنفسهم بها وما يحدث لهم من الحرب والملاحم ومدة بقاء الدولة وعدد الملوك فيها والتعرض لاسمائهم ويسمى مثل ذلك الحدثان وكان في العرب الكهان والعرفون يرجعون اليهم في ذلك وقد أخبروا بحاسب يكون للعرب من الملك والدولة كما وقع لاسحق وسطح في تاويل رؤيا ربيعة بن نصر من ملوك اليمن أخبرهم بملك الحسنة بلادهم ثم رجوعها اليهم ثم ظهور الملك والدولة للعرب من بعد ذلك وكذا تاويل وسطح لرؤيا الموبدان حين بعث اليه كسرى بهامع عبد المسيح وأخبرهم بظهور دولة العرب وكذا كان في جبل البربر كهان من أشهرهم موسى ابن صالح من بني يفرن ويقال من غمرة وله كلمات جديدة ثانية على طريقة الشعر برطانهم وفيها حديثان كثير ومغظمه فيما يكون لزنا من الملك والدولة بالمغرب وهي متداولة بين أهل الجليل وهم يزعمون تارة أنه ولي وتارة أنه كاهن وقديز عم بعض من اعلمهم أنه كان نبيا لأن تاريخه عندهم قبل الهجرة بكثير والله أعلم وقد يستند الجليل الى خبر الانبياء ان كان لعهدهم كما وقع لبني اسرائيل فان أنبياءهم المتعاقبين فيهم كانوا يخبرونهم بمثل ما يعنونهم في السؤال عنه \* وأما في الدولة الاسلامية فوقع منه كثير فيما يرجع الى بقاء الدنيا ومدتها على العموم وفيما يرجع الى الدولة وأعمارها على الخصوص وكان المعتقد في ذلك في صدر الاسلام آثارا متولة عن الصحابة وخصوصا مسلمة بن اسرائيل مثل كعب الاحبار وروهب بن منبه وأمثالهما وربما اقتبسوا بعض ذلك من ظواهر ما تورة وتأويلات محتملة ووقع لبعضهم وأمثالهم من أهل البيت كثير من ذلك مستندهم فيه والله أعلم الكشف بما كانوا عليه من الولاية وإذا كان مثله لا ينكر من غيرهم من الاولياء في ذويهم وأعقابهم وقد قال صلى الله عليه وسلم ان فيكم محدثين فهم أرى الناس بهذه الرتبة الشريفة والكرامات الموهوبة وأما بعد صدر الملة وحين علق الناس على العلوم والاصطلاحات وترجت كتب الحكماء الى اللسان العربي فأكثر معتمدهم في ذلك كلام المنجمين في الملك والدول وسائر الامور العامة من القرانات وفي الموالي والمساكن وسائر الامور الخاصة من الطوالع لها

وهي شكل الفلك عند حدونها فلندكر الآن ما وقع لأهل الاثر في ذلك ثم نرجع لكلام المنجمين \* أما أهل الاثر فلهم في مدة الملل وبقاء الدنيا على ما وقع في كتاب السهيلي فانه نقل عن الطبري ما يقتضي أن مدة بقاء الدنيا منذ الملة خمسمائة سنة وتقض ذلك بظهور كذبه ومستند الطبري في ذلك أنه نقل عن ابن عباس أن الدنيا جمعة من جمع الآخرة ولم يذكرك لذلك دليلا وسره والله أعلم تقدير الدنيا بأيام خلق السموات والارض وهي سبعة ثم اليوم بألف سنة لقوله وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون قال وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أجلكم في أجل من كان قبلكم من صلاة العصر الى غروب الشمس وقال بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى وقد رما بين صلاة العصر وغروب الشمس حين صيرورة ظل كل شيء مثليه يكون على التقريب نصف سبع وكذلك وصل الوسطى على السبابة فتكون هذه المدة نصف سبع الجمعة كلها هو خمسمائة سنة ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم لن يعجز الله أن يؤخر هذه الامة نصف يوم فدل ذلك على أن مدة الدنيا قبل الملة خمسة آلاف وخمسمائة سنة وعن وهب بن منبه أنها خمسة آلاف وستمائة سنة أعني الماضي وعن كعب أن مدة الدنيا كلها ستة آلاف سنة قال السهيلي وليس في الحديثين ما يشهد لنبي مما ذكره مع وقوع الوجود بخلافه فأما قوله لن يعجز الله أن يؤخر هذه الامة نصف يوم فلا يقتضي نفي الزيادة على النصف وأما قوله بعثت أنا والساعة كهاتين فانما فيه الإشارة الى القرب وأنه ليس بينه وبين الساعة نبي غيره ولا شرع غير شرعه ثم رجع السهيلي الى تعيين مدة الملة من مدرك آخر لوساعده التحيق وهو أنه جمع الحروف المقطعة في أوائل السور بعد حذف المكر قال وهي أربعة عشر حرفا يجمعها قولك (ألم يسطع نص حق كره) فأخذ عددها بحساب الجمل فكان سبعمائة وثلاثة (١) أضافه الى المتقضى من الالف الآخرة قبل بعثته فهذه هي مدة الملة قال ولا يعد ذلك أن يكون من مقتضيات هذه الحروف وفوائدها قلت وكونه لا يعد لا يقتضي ظهوره ولا التعويل عليه والذي حمل السهيلي على ذلك انما هو ما وقع في كتاب السير لابن اسحق في حديث ابني أخطب من أحبار اليهود وهما أبو ياسر وأخوه حيي حين سمعا من الاحرف المقطعة الم وتأولاهما على بيان المدة بهذا الحساب فبلغت احدى وسبعين فاستقلا المدة وجاء حيي الى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله هل مع هذا غيره فقال المص ثم استزاد المر فكانت احدى وسبعين ومائتين فاستطال المدة وقال قد أبس علينا أمرنا يا محمد حتى لا ندري أقلبلا أعطيت أم كنيت ثم ذهبوا عنه وقال لهم أبو ياسر ما يدرككم لعله أعطى عددها كلها تسعمائة وأربع سنين قال ابن اسحق فبزل

(١) هذا العدد غير مطابق كما ان المترجم التركي لم يطابق في قوله ٩٣٠ وانما المطابق للعروف المذكورة ٦٩٣ وهو الموافق لما سمي ذكره عن يعقوب الكندي قاله نصر الله



قوله تعالى منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات اه ولا يقوم من القصة دليل على تقدير الملة بهذا العدد لان دلالة هذه الحروف على تلك الاعداد ليست طبيعية ولا عقلية وانما هي بالتواضع والاصطلاح الذي يسمونه حساب الجمل نعم انه قديم مشهور وقدم الاصطلاح لا بصيرجة واما أبو ياسر وأخوه حيي ممن يؤخذ رأيهم في ذلك دليلا ولا من علماء اليهود لانهم كانوا ياديه بالجواز غفلا عن الصنائع والعلوم حتى عن علم شريعتهم وفقه كتابهم وملتهم وانما يتلقفون مثل هذا الحساب كما تتلقفه العوام في كل ملة فلا ينهض للسهلي دليل على ما ادعاهم من ذلك ووقع في الملة في حدثان دولتها على الخصوص مسند من الآثار جال في حديث خرجه أبو داود عن حذيفة بن اليمان من طريق شيخه محمد بن يحيى الذهبي عن سعيد بن أبي هريرة عن عبد الله بن فروخ عن أسامة بن زيد اللبني عن أبي قبيصة بن ذؤيب عن أبيه قال قال حذيفة بن اليمان والله ما أدري أنسى أصحابي أم مناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من فائدة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة فصاعدا الا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه وقبيلته وسكت عليه أبو داود وقد تقدم أنه قال في رسالته ما سكت عليه في كتابه فهو صالح وهذا الحديث اذا كان صحيحا فهو محمل ويفتقر في بيان اجماله وتعيين مسمياته إلى آثار أخرى بجود أسانيدها وقد وقع اسناد هذا الحديث في غير كتاب السنن على غير هذا الوجه فوقع في الصحيحين من حديث حذيفة أيضا قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيبا فترك شيئا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة الا حدث عنه حفظه من حفظه ونسبه من نسبه قد علمه أصحابه هؤلاء اه ولفظ البخاري ما ترك شيئا إلى قيام الساعة الا ذكره في كتاب الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما صلاة العصر بنهار ثم قام خطيبا فلم يدع شيئا يكون إلى قيام الساعة الا أخبرنا به حفظه من حفظه ونسبه من نسبه اه وهذه الاحاديث كلها محمولة على ما ثبت في الصحيحين من احاديث الفتن والاشراط لا غير لانه المعهود من الشارح صلوات الله وسلامه عليه في أمثال هذه العمومات وهذه الزيادة التي تفرد بها أبو داود في هذا الطريق شاذة منكرة مع أن الأئمة اختلفوا في رجاله فقال ابن أبي هريرة في ابن فروخ أحاديثه منا كبر وقال البخاري يعرف منه وينكر وقال ابن عدي أحاديثه غير محفوظة وأسماء بن زيد وان خرج له في الصحيحين ووثقه ابن معين فانما خرج له البخاري استنساها ادا وضعفه يحيى بن سعيد واحد بن حنبل وقال ابن طاتم يكتب حديثه ولا يخرج به وأبو قبيصة بن ذؤيب مجهول فتضعف هذه الزيادة التي وقعت لابي داود في هذا الحديث من هذه الجهات مع شذوذها كما مر \* وقد يستندون في حدثان

الدول على الخصوص إلى كتاب الجفر ويزعمون أن فيه علم ذلك كله من طريق الآثار والنجوم لا يزعمون على ذلك ولا يعرفون أصل ذلك ولا مستنده واعلم أن كتاب الجفر كان أصله أن هرون بن سعيد النجلى وهو رأس الزيدية كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق وفيه علم ما سبق لاهل البيت على العموم ولبعض الأشخاص منهم على الخصوص ووقع ذلك الجعفر ونظائره من رجالهم على طريق الكرامة والكشف الذي يقع لاهلهم من الاولياء وكان مكتوبا عند جعفر في جلد ثور صغير فرواه عنه هرون النجلى وكتبه وسماه الجفر باسم الجلد الذي كتب منه لان الجفر في اللغة هو الصغير وصار هذا الاسم علماء على هذا الكتاب عندهم وكان فيه تفسير القرآن وما في باطنه من غرائب المعاني مروية عن جعفر الصادق وهذا الكتاب لم يتصل روايته ولا عرف عنه وانما يظهر منه شواهد من الكلمات لا يصحها دليل ولو صح التسند إلى جعفر الصادق لكان فيه نعم المستند من نفسه أو من رجال قومه فهم أهل الكرامات وقد صح عنه أنه كان يحذر بعض قرابته بوقائع تكون لهم فتصح كما يقول وقد حذر يحيى ابن عمه زيد من مصرعه وعصاه فخرج وقتل بالجور جان كما هو معروف واذا كانت الكرامة تقع لغيرهم فاطنك بهم علماء ودينا وآثارا من النبوة وعناية من الله بالأصل الكريم تشهد لقروعه الطيبة وقد ينقل بين أهل البيت كثير من هذا الكلام غير منسوب إلى أحد وفي أخبار دولة العبيدين كثير منه وانظر ما حكاه ابن الرقي في لقاء أبي عبد الله الشيعي لعبيد الله المهدي مع ابنه محمد الحبيب وما حدثنا به وكيف بعثاه إلى ابن حوشب داعيته ثم بالين فأمره بالخروج إلى المغرب وبحث الدعوة فيه على علم لقنه أن دعوته تتم هناك وان عبيد الله لما بنى المهدي بعد استئصال دولتهم بأمر يمية قال بنيتها ليقتسم بها القواطع ساعة من نهار وأراههم موقف صاحب الجمار أي يزيد المهدي وكان يسأل عن منتهى موقفه حتى جاء الخبر يلوغنه إلى المكان الذي عينه جده عبيد الله فأيقن بالظفر وبرز من البلد فهرمه واتبعه إلى ناحية الزاب فظفر به وقتله ومثل هذه الاخبار عندهم كثيرة وأما المنجمون فيستندون في حدثان الدول إلى الاحكام النجومية أما في الامور العامة ممثلا الملك والدول فمن القرانات وخصوصا بين العلويين وذلك أن العلويين رجل والمشتري يقتربان في كل عشرين سنة مرة ثم يعود القرآن إلى برج آخر في تلك المثلثة من التمثيل الايمن ثم بعده إلى آخر كذلك إلى أن يتكرر في المثلثة الواحدة ثلثي عشرة مرة تستوي بوجه الثلاثة في ستين سنة ثم يعود فيستوي بها في ستين سنة ثم يعود ثالثة ثم رابعة فيستوي في المثلثة بثلثي عشرة مرة وأربع عودات في مائتين وأربعين سنة ويكون انتقاله في كل برج على التمثيل الايمن وينتقل من المثلثة إلى



المثلثة التي تليها أعنى البرج الذي يلي البرج الاخير من القران الذي قبله في المثلثة وهذا القران الذي هو قران العلويين ينقسم الى كبير وصغير ووسط فالصغير هو اجتماع العلويين في درجة واحدة من الفلك الى أن يعود اليها بعد تسعمائة وستين سنة مرة واحدة والوسط هو اقتران العلويين في كل مثلثة اثنتي عشرة مرة وبعدهما اثنين وأربعين سنة فتقل الى مثلثة أخرى والصغير هو اقتران العلويين في درجة برج وبعد عشرين سنة يفتقران في برج آخر على تثلثه الايمن في مثل درجة أو دقايقه مثال ذلك وقع القرن أول دقيقة من الحمل وبعد عشرين يكون في أول دقيقة من القوس وبعد عشرين يكون في أول دقيقة من الاسد وهذه كلها نارية وهذا كله قران صغير ثم يعود الى أول الحمل بعد ستين سنة ويسمى دور القران وعودا القران وبعدهما اثنين وأربعين ينتقل من النارية الى الترابية لانها بعد ها وهذا قران وسط ثم ينتقل الى الهوائية ثم المائية ثم يرجع الى أول الحمل في تسعمائة وستين سنة وهو الكبير والقران الكبير يدل على عظام الامور مثل تغيير الملك والدولة وانتقال الملك من قوم الى قوم والوسط على ظهور المنغليين والطالبين للملك والصغير على ظهور الخوارج والمداغة وخراب المدن أو عمرانها ويقع أثناء هذه القراءات قران النخسين في برج السرطان في كل ثلاثين سنة مرة ويسمى الرابع و برج السرطان هو طالع العالم وفيه وبال زحل وهبوط المريج فتعظم دلالة هذا القران في الفتن والحروب وسفك الدماء وظهور الخوارج وحركة العساكر وعصيان الهند والوباء والقحط ويدوم ذلك أو ينهي على قدر العادة والنحو في وقت قرائنها على قدر تيسير الدليل فيه قال جراس بن أحمد الحاسب في الكتاب الذي ألفه لنظام الملك ورجوع المريخ الى العقرب له أثر عظيم في الملة الاسلامية لانه كان دليلها فالمولد النبوي كان عند قران العلويين ببرج العقرب فلما رجع هناك حدث التشويش على الخلفاء وكثر المرض في أهل العلم والدين ونقصت أحوالهم وورع انهم بعض بيوت العبادة وقد يقال انه كان عند قتل علي رضي الله عنه ومروان من بني أمية والمتوكل من بني العباس فاذا روعت هذه الاحكام مع أحكام القراءات كانت في غاية الاحكام وذكرنا ان البليغ أن الملة تنتهي الى ثمانمائة وعشرين وقد ظهر كذب هذا القول وقال أبو معشر بظهر بعد المائة والخمسين منها اختلاف كثير ولم يصح ذلك وقال جراس رأيت في كتب القدماء أن النجيين أخبروا كسرى عن ملك العرب وظهور النبوة فيهم وأن دالمهم الزهرة وكانت في شرفها قسبي الملك فيهم أربعين سنة وقال أبو معشر في كتاب القراءات القسمة اذا انتهت الى السابعة والعشرين من الحوت في شرف الزهرة ووقع القران

مع ذلك ببرج العقرب وهو دليل العرب ظهرت حينئذ دولة العرب وكان منهم نبي ويكون قوة ملكه ومدته على ما بقي من درجات شرف الزهرة وهي إحدى عشرة درجة بقرب من برج الحوت ومدة ذلك ستائة وعشرين سنة وكان ظهور رأي مسلم عند انتقال الزهرة ووقع القسمة أول الحمل وصاحب الجدا المشتري وقال يعقوب بن اسحق الكندي ان مدة الملة تنتهي الى ستائة وثلاث وتسعين سنة قال لان الزهرة كانت عند قران الملة في ثمان وعشرين درجة وثلاثين دقيقة من الحوت فالباقي إحدى عشرة درجة وثمان عشرة دقيقة ودقايقها ستون فيكون ستائة وثلاث وتسعين سنة قال وهذه مدة الملة باتفاق الحكماء وبعض هذه الحروف الواقعة في أول السور ي حذف المكرر واعتباره بحساب الجمل قلت وهذا هو الذي ذكره السهيلي والغالب أن الاول هو مستند السهيلي فيما نقلناه عنه قال جراس سأل هرمز افريد الحكيم عن مدة أردشير وولده وملوك الساسانية فقال دليل ملكه المشتري وكان في شرفه فيعطى أطول السنين وأجودها أربعمائة وسبعاً وعشرين سنة ثم تزيد الزهرة وتكون في شرفها وهي دليل العرب فيملكون لان طالع القران الميزان وصاحبه الزهرة وكانت عند القران في شرفها فدل أنهم يملكون ألف سنة وستين سنة وسأل كسرى أنوشروان وزيره بزر جهر الحكيم عن خروج الملك من فارس الى العرب فأخبره أن القائم منهم يولد لخمس وأربعين من دولته ويملك المشرق والمغرب والمشتري يغوص الى الزهرة وينتقل القران من الهوائية الى العقرب وهو ماني وهو دليل العرب فهذه الادلة تقضي للملة بمدة دور الزهرة وهي ألف وستون سنة وسأل كسرى ابرويز اليوس الحكيم عن ذلك فقال مثل قول بزر جهر وقال نوفيل الرومي المنجم في أيام بني أمية ان ملة الاسلام تبقى مدة القران الكبير تسعمائة وستين سنة فاذا عاد القران الى برج العقرب كما كان في ابتداء الملة وتغير وضع الكواكب عن حيثها في قران الملة فحينئذ ما أن يفترا العمل به أو يتجدد من الاحكام ما يوجب خلاف الظن قال جراس واتفقوا على أن خراب العالم يكون باستيلاء الماء والنار حتى تهلك سائر المكنونات وذلك عندما يقطع قلب الاسد أربعاً وعشرين درجة التي هي حد المريج وذلك بعد مضي تسعمائة وستين سنة وذكر جراس أن ملك زابلستان بعث الى المأمون بحكيمه ذوبان أن تحفه به في هدية وأنه تصرف للمأمون في الاختبارات بحروب أخيه وبعدها اللواء الطاهر وأن المأمون أعظم حكمته فسأله عن مدة ملكهم فأخبره بانقطاع الملك من عقبه واتصاله في ولداً أخيه وأن النجيين يغلبون على الخلافة من الديلم في دولة سنة خمسين ويكون ما يريده الله ثم يسوء حالهم ثم تظهر التركة من شمال المشرق فيملكونه الى الشام والفرات وسيجيئون وسيملكون بلاد الروم ويكون



ما يريد الله فقال له المأمون من أين لك هذا فقال من كتب الحكماء ومن أحكام صصه بن  
 داهر الهندي الذي وضع الشطرنج قلت والترنم الذين أشاروا إلى ظهورهم بعد الديلم هم  
 السلجوقية وقد انتقضت دوائهم أول القرن السابع قال جراس وانتقال القران الى  
 المثلثة المائية من برج الحوت يكون سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ليزجر د وبعدها  
 الى برج العقرب حيث كان قران الملة سنة ثلاث وخمسين قال والذي في الحوت هو  
 أول الانتقال والذي في العقرب يستخرج منه دلائل الملة قال وتحويل السنة  
 الاولى من القران الاول في المثلثات المائية في ثاني رجب سنة ثمان وستين وثمانمائة  
 ولم يستوف الكلام على ذلك \* وأما مستند المنجمين في دولة على الخصوص فن انقران  
 الاوسط وهيئة الفلك عند وقوعه لأن له دلالة عندهم على حدوث الدولة وجهاتهم امن  
 العمران والقائمين بها من الامم وعدد ملوكهم وأسمائهم وأعمارهم ونحلهم وأديانهم  
 وعوائدهم وحروبهم كما ذكر أبو عمر في كتابه في القرانات وقد توجد هذه الدلالة من  
 القران الاصغر اذا كان الاوسط دال عليه فن هذا يوجد الكلام في الدول \* وقد كان  
 يعقوب بن اسحق الكندي منجم الرشيد والمأمون وضع في القرانات الكائنة في الملة  
 كتابا سماه الشيعة بالجفر باسم كتابهم المنسوب الى جعفر الصادق وذكر فيه فيما يقال  
 حدثان دولة بنى العباس وأنها نهايته وأشار الى انقراضها والحادثة على بغداد أنها تقع  
 في انتصاف المائة السابعة وأن بانقراضها يكون انقراض الملة ولم تقف على شيء من خبر  
 هذا الكتاب ولا رأينا من وقف عليه وله غرق في كتبهم التي طرحها هلا كمالك التتر  
 في دجلة عند استيلائهم على بغداد وقتل المستعصم آخر الخلفاء وقد وقع بالمغرب جزء  
 منسوب الى هذا الكتاب يسمونه الجفر الصغير والظاهر أنه وضع لبنى عبد المؤمن لذكر  
 الاولين من ملوك الموحدين فيه على التفصيل ومطابقة من تقدم عن ذلك من حدثانه  
 وكذب ما بعده وكان في دولة بنى العباس من بعد الكندي منجمون وكتب في الحدثان  
 وانظر ما نقله الطبري في أخبار المهدى عن أبي بديل من أصحاب صنائع الدولة قال بعث  
 الى الربيع والحسن في غزاهم مامع الرشيد أيام أبيه فجتهم اجوف الليل فاذا عندهما  
 كتاب من كتب الدولة يعني الحدثان واذا مدة المهدى فيه عشرين سنين فقلت هذا الكتاب  
 لا يخفى على المهدى وقد مضى من دولته ماضى فاذا وقف عليه كنتم قد نعيم اليه نفسه  
 قالوا الخليفة فاستدعت غيبة الوراق مولى آل بديل وقالت له انسخ هذه الورقة  
 واكتب ~~م~~ كان عشر أربعين ففعل فوالله لولا أنى رأيت العشرة في تلك الورقة  
 والاربعين في هذه ما كنت أشك أنها هي ثم كتب الناس من بعد ذلك في حدثان الدول  
 منظوما ومنثورا ورجحنا ما شاء الله أن يكتبوه وبأيدى الناس متفرقة كثير منها وتسمى

الملاحم وبعضها في حدثان الملة على العموم وبعضها في دولة على الخصوص وكلها  
 منسوبة الى مشاهير من أهل الخليفة وليس منها أصل يعتمد على روايته عن واضعه  
 المنسوب اليه فن هذه الملاحم بالمغرب قصيدة ابن مرانة من بحر الطويل على روى  
 الراى وهي متداولة بين الناس وتحتب العائنة أنها من الحدثان العام فيطلقون الكثير  
 منها على الحاضر والمستقبل والذي سمعناه من شيوخنا أنهم اخبروه بصفة بدولة لم توفى لأن  
 الرجل كان قبيل دولتهم وذكر فيها استيلاءهم على سبته من يد موالى بنى حمود  
 وملوكهم لعدوة الاندلس ومن الملاحم يد أهل المغرب أيضا قصيدة تسمى التبعية  
 أولها

طربت وماذا لى طرب \* وقد يطرب الطائر المقتضب

وما ذاك منى للهو أراه \* ولكن لتذكر بعض السبب

فريامن خمسمائة بيت أو ألف فيما يقال ذكر فيها كثيرا من دولة الموحدين وأشار  
 فيها الى القاطمى وغيره والظاهر أنها مصنوعة ومن الملاحم بالمغرب أيضا ملحبة  
 من الشعر الزجل منسوبة لبعض اليهود ذكر فيها أحكام القرانات لعصره العلويين  
 والتحسين وغيرهم وذكر ميمته قتيلا بفاس وكان كذلك فيما زعموه وأوله

في صبغ ذا الازرق لشرفه خمارا \* فافهموا يا قوم هذا الاشارا

نجم زحل أخبر بذي العلاما \* وبذل الشكلا وهي سلاما

شاشية زرقا بدل العماما \* وشاش أزرق بدل الغرارا

يقول في آخره

قد تم ذا التجنيس لانسان يهودى \* يصلب بيلدة فاس في يوم عيد

حتى يجيئه الناس من البوادي \* وقتله يا قوم على الفراد

وأبياته نحو الخمسمائة وهي في القرانات التي دلت على دولة الموحدين ومن ملاحم  
 المغرب أيضا قصيدة من عروض المتقارب على روى الباء في حدثان دولة بنى أبي  
 حفص تونس من الموحدين منسوبة لابن الباروقال الى قاضي قسنطينة الخطيب  
 الكبير أبو علي بن باديس وكان بصيرا بما يؤوله وله قدم في التنجيم فقال لي ان هذا ابن  
 الباريس هو الحافظ الاندلسي الكاتب مقتول المستنصر وانما هو رجل خياط من  
 أهل تونس توأمت شهرته مع شهرة الحافظ وكان والذي رحمه الله تعالى ينشد هذه  
 الايات من هذه الملحمة وبقي بعضها في حفظي مطلعها

عذيري من زمن قلب \* يغري بارقه الاشنب

ومنها



ويبعث من جيشه قائدا \* ويبقى هنالك على مرقب  
فتمأني إلى الشيخ أخباره \* فيقبل كالجمل الجرب  
ويظهر من عدله سيرة \* وتلك سياسة مستجلب  
ومنها ذكر أحوال تونس على العموم

فأما رأيت الرسوم انمعت \* ولم يرع حق لذي منصب  
نخذي الترحل عن تونس \* وودع معاملها وذهب  
فسوف تكون بها قننة \* تضيف البرى إلى المذنب  
ووقفت بالمغرب على ملحمة أخرى في دولة بنى أبي حنص هؤلاء بتونس فيها بعد  
السلطان أبي يحيى الشهر عاشر ملوكهم ذكر محمد أخيه من بعده يقول فيها  
وبعد أبي عبد الله شقيقه \* ويعرف بالوئاب في نسخة الأصل  
الآن هذا الرجل لم يملكه أبعد أخيه وكان يعني بذلك نفسه إلى أن هلك ومن الملاحم في  
المغرب أيضا الملحمة المنسوبة إلى الهوشي على لغة العامة في عروض البلاد التي أولها  
دعنى بدعنى الهتان \* فترت الأمطار ولم تقتر  
واسمقت كلها الويدان \* وأنى تلى وتغدر  
البلاد كلها تروى \* قاوى ماميل ماتدرى  
ما بين الصيف والشتوى \* وانعام والربيع تجرى  
قال حين صحت الدعوى \* دعنى نبكى ومن عذر  
انادى من ذى الأزمان \* ذا القرن اشتد وتري

وهي طويلة ومحفوظة بين عامة المغرب الأقصى والغالب عليها الواضع لأنه لم يصح منها  
قول الأعلى تأويل تحرفه العامة أو الحارث فيه من يتعلمها من الخاصة ووقفت  
بالشرق على ملحمة منسوبة لابن العربي الحاتمي في كلام طويل شبه الغازل لا يعلم تأويله  
إلا الله لنخله أوفاق عديدة ورموز مغرزة وأشكال حيوانات تامة ورؤس مقطعة  
وتماثيل من حيوانات غريبة وفي آخرها قصيدة على روى اللام والغالب أنها كلها غير  
صحيحة لأنها لم تنشأ عن أصل على من نجامة ولا غيرها وسمعت أيضا أن هناك ملاحم  
أخرى منسوبة لابن سينا وابن عقب وليس في شيء منها دليل على الصحة لأن ذلك إنما  
يؤخذ من القرائن ووقفت بالشرق أيضا على ملحمة من حدان دولة الترك منسوبة  
إلى رجل من الصوفية يسمى الباجري وكلاهما ألغاز بالحروف أولها

ان شئت تكشف سر الجفر ياسائل \* من علم جفرو صي والد الحسن  
فافهم وكن واعيا حفا وجلته \* والوصف فافهم كفعل الحاذق الفطن

قوله فاما رأيت  
أصله فان رأيت  
قيدت ما وادعت  
في ان الشرطية  
المحذوف نونها  
خطا وفي نسخة  
فاما رأيت والاولى  
هي الموجودة في  
النسخة التونسية  
قاله نصر الله مصححه

أما الذى قبل عصرى لست أذكره \* لكننى أذكر الآتى من الزمن  
بشهر يبرس يبقى بجاء بعد خستها \* وحاء ميم بطيش نام فى الككن  
شين له أثر من تحت سـرته \* له القضاء قضى أى ذلك المكن  
فصرو الشام مع أرض العراق له \* وأذر بيجان فى ملك إلى اليمن  
ومنها

وآل بوران لما نال طاهرهم \* القاتك الباتك المعنى باليمن  
خلع سبن ضعيف السن سبن أنى \* لالو فاق ونون ذى قرن  
قرم شجاع له عقل ومشورة \* يبقى بجاء وابن بعد ذوسن  
ومنها

من بعدباء من الأعوام قتله \* بلى المشورة ميم الملك ذوالسن  
ومنها

هذا هو الأعرج الكلبى فاعن به \* فى عصره قن ناهيك من فتن  
يأتى من الشرق فى جيش يقدمهم \* عار عن القاف قاف جد بالقتن  
بقتل دال ومثل الشام أجعها \* أبدت بشجوع على الأهلين والوطن  
إذا أتى زلزلت يا ويح مصر من الزلزال ما زال حاء غـير مقتن  
طاء وطاء وعين كلهم حبسوا \* هــكاوي يثق أموالا بلائن  
يسير القاف قافا عند جمعهم \* هون به ان ذاك الحصن فى سكن  
وينصبون أخاه وهو صالحهم \* لاسلم الالف سبن لئال بنى  
تمت ولايتهم بالحاء لا أحد \* من السنين يدانى الملك فى الزمن  
يقال انه أشار إلى الملك الظاهر وقدم أبيه عليه بمصر

يأتى إليه أبوه بعد هجرته \* وطول غيبته والشظف والزرن

وأبياتها كثيرة والغالب أنها موضوعة ومثل صنعها كان فى القديم كثيرا ومعروف  
الاتصال (حكى) المورخون لاخبار بغداد أنه كان بها أيام مقتدر وراق ذكرى يعرف  
بالدانية إلى اليل الأوراق ويكتب فيها بخط عتيق يرز فيه بحروف من أسماء أهل الدولة  
ويشير بها إلى ما يعرف ميلهم إليه من أحوال الرفعة والجاه كأنها ملاحم ويحصل  
على ما يريد منهم من الدنيا وأنه وضع فى بعض دفاترهم مكررة ثلاث مرات وجاء به  
إلى منسلح مولى المقتدر فقال له هذا كتابة عنك وهو منسلح مولى المقتدر وذكر عنه ما رجاه  
ويناله من الدولة ونصب لذلك علامات يومها عليه فبذل لها أغنامه ثم وضعه للوزير  
ابن القاسم بن وهب على منسلح هذا وكان معزولا لاجلاء بأوراق مثلها وذكر اسم الوزير



بمثل هذه الحروف وبعلامات ذكرها وأنه يلي الوزارة للثاني عشر من الخلقاء وتستقيم  
الأمور على يديه وبقهر الأعداء وتعمر الدنيا في أيامه وأوقف مفلحاً هذا على الأوراق  
وذكر فيها كوائن أخرى وملاحم من هذا النوع مما وقع ومما لم يقع ونسب جميعه  
إلى دانيال فأعجب به مفلح ووقف عليه المقتدروا هتدي من تلك الأمور والعلامات  
إلى ابن وهب وكان ذلك سبباً لوزارته بمثل هذه الحيلة العريضة في الكذب والجهل بمثل  
هذه الألفاظ والظاهر أن هذه المحمة التي ينسبونهم إلى الباجري من هذا النوع \*  
ولقد سألت أكل الدين ابن شيخ الخنفة من العجم بالديار المصرية عن هذه المحمة وعن  
هذا الرجل الذي تنسب إليه من الصوفية وهو الباجري وكان عارفاً بطرائقهم فقال  
كان من القلندرية المبتدعة في خلق اللحية وكان يتحدث عما يكون بطريق الكشف  
ويؤمى إلى رجال معينين عنده ويلغز عليهم بحروف يعينها في ضمنها لمن يراه منهم وربما  
يظهر نظم ذلك في أبيات قليلة كان يتعاهدها فنوقت عنه رواع الناس بها وجعلوها  
محمة من موضة وزاد فيها الخراصون من ذلك الجنس في كل عصر وشغل العامة بفك  
رموزها وهو أمر ممنوع إذا الرمز انما يهدي إلى كشفه قانون يعرف قبله ويوضع له وأما  
مثل هذه الحروف فدلالتها على المراد منها مخصوصة بهذا النظم لا يتجاوزها فقرأت من  
كلام هذا الرجل الفاضل شفاء لما كان في النفس من أمر هذه المحمة وما كانته تهدي  
لولا أن هدانا الله والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

### (الفصل الرابع من الكتاب الأول)

في البلدان والامصار وسائر العمران وما يعم من ذلك من الأحوال وفيه سوابق والواقع

(فصل) في أن الدول أقدم من المدن والامصار وأنها انما توجد ثانية عن الملك \*  
وبيانه أن البناء واختطاط المنازل انما هو من منازع الحضارة التي يدعو إليها الترف  
والدعة كما قدمناه وذلك متأخر عن البداوة ومنازعها وأيضاً فالمدن والامصار ذات  
هياكل وأجرام عظيمة وبناء كبير وهي موضوعة للعموم لا للخصوص فتحتاج إلى  
اجتماع الأيدي وكثرة التعاون وليست من الأمور الضرورية للناس التي تعم بها  
البلى حتى يكون نزوعهم إليها اضطراراً بل لابد من إكراههم على ذلك وسوقهم إليه  
مضطهدين بعض الملك أو مرغبين في الثواب والأجر الذي لا يفي بكثرة الملك والدولة  
فلا بد في تصير الامصار واختطاط المدن من الدولة والملك ثم إذا بنيت المدينة وكل  
تشيدها بحسب نظر من شيدها وبما اقتضته الأحوال السماوية والأرضية فيها فعمر  
الدولة حينئذ عمر لها فان كان عمر الدولة قصيراً وقف الحال فيها عند انتهاء الدولة

وتراجع عمرانها خربت وان كان أمد الدولة طويلاً ومدتها متصحة فلا تزال المصانع  
فيها نشاد والمنازل الرحبة تكثر وتهدد ونظام الأسواق يتبعها وينقسم إلى أن تتسع  
المنطقة وتبعد المسافة وينقسم ذرع المساحة كما وقع ببغداد وأمثالها \* ذكر  
الخطيب في تاريخه أن الحمامات بلغت عددها بعد العهد المأمون خمسة وستين ألف  
حمام وكانت مشحنة على مدن وأمصار متلاصقة ومتقاربة تجاوزت الأربعين ولم تكن  
مدينة وحدها يجمعها سور واحد لا فراط العمران وكذا حال القيروان وقرطبة  
والمهدية في الملة الإسلامية وحال مصر القاهرة بعد هاجمها ليلغنها هذا العهد وأما بعد  
انقراض الدولة المشيدة للمدينة فاما أن يكون لضواحي تلك المدينة وما قاربها  
من الجبال والبساتين بادية يتدها العمران دائماً فيكون ذلك حافظاً لوجودها ويستمر  
عمرها بعد الدولة كما تراه بفاس وبجاية من المغرب وبعراق العجم من المشرق الموجود  
لها العمران من الجبال لأن أهل البداوة إذا انتهت أحوالهم إلى غاياتهم من الرفعة  
والكسب تدعو إلى الدعة والسكون الذي في طبيعة البشر فيزلون المدن والامصار  
ويتأهلون وأما إذا لم يكن لتلك المدينة المؤسسة مادة تفيدها العمران بتراكم  
السكان من بدوها فيكون انقراض الدولة خرقاً لسياجها فيزول حفظها ويتناقص  
عمرانها شيئاً فشيئاً إلى أن يذعر ساكنها وتخرب كما وقع بمصر وبغداد والكوفة بالشرق  
والقيروان والمهدية وقلعة بني حماد بالمغرب وأمثالها فتفهمه وربما ينزل المدينة بعد  
انقراض مخططيها الأولين ملك آخر ودولة ثانية يتخذها قراراً وسياسة تغني بها عن  
اختطاط مدينة ينزلها فتحفظ تلك الدولة سياجها وتزايدياً بمبانيها ومصانعها بتزايد  
أحوال الدولة الثانية وترفعها وتستجد بعمرانها عمراً آخر كما وقع بفاس والقاهرة ولهذا  
العهد والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

### ٢ (فصل في أن الملك يدعو إلى نزول الامصار)

وذلك أن القبائل والعصائب إذا حصل لهم الملك اضطروا للاستيلاء على الامصار  
لأمرين أحدهما ما يدعو إليه الملك من الدعة والراحة وحط الانتقال واستكمال  
ما كان ناقصاً من أمور العمران في البدو والثاني دفع ما يتوقع على الملك من أمور  
المنازعين والمشاعين لأن المصر الذي يكون في نواحيهم ربما يكون ملجأ لمن يروم  
منازعتهم والخروج عليهم وانتزاع ذلك الملك الذي سمو إليه من أيديهم فيعصم بذلك  
المصر ويغالبهم مغالبة المصر على نهاية من الصعوبة والمشقة والمصر يقوم مقام  
العساكر المتعددة لما فيه من الامتناع ونكابة الحرب من وراء الجدران من غير حاجة



الى كثير عدد ولا عظيم شوكة لان الشوكة والعصا بما احتج اليها في الحرب للثبات لما يقع من بعد كسرة القوم بعضهم على بعض عند الجولة وثبات هؤلاء بالجدان فلا يضطرون الى كبير عصابة ولا عدد فيكون حال هذا الحصن ومن يعتصم به من المزارعين مما يفت في عضد الامة التي تروم الاستيلاء ويحصد شوكة استيلائها فاذا كانت بين اجنابهم اصارا تنظموها في استيلائهم للامن من مثل هذا الانحراف وان لم يكن هناك مصر استحدثوه ضرورة لتكميل عمرانهم اوة وحط انقاعهم وليكون شجاف خلق من يروم العزة والامتناع عليهم من طوائفهم وعصائهم فتعين ان الملك يدعو الى نزول الامصار والاستيلاء عليها والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق لارب سواه

### ٣ (فصل في ان المدن العظيمة والاساكن المرتفعة انما يشيدها الملك الكثير)

قد قدمنا ذلك في آثار الدولة من المباني وغيرها وانما تكون على نسبتها وذلك ان تشييد المدن انما يحصل باجتماع الفعلة وكثرتهم وتعاونهم فاذا كانت الدولة عظيمة متسعة الممالك حشرت الفعلة من اقطارها ووجعت ايديهم على عملها وورع المستعين في ذلك في اكثر الامر بالهندام الذي يضاعف القوى والقدر في حمل اثقال البناء العجز القوة البشرية وضعه عنها عن ذلك كالمحال وغيره ورع ما يورعهم كثير من الناس اذا نظروا الى آثار الاقدمين ومصادمهم العظيمة مثل ايوان كسرى واهرام مصر وخنايا المعلقة وشرشال بالمغرب انما كانت بقدرهم متفرقين او مجتمعين فيتحيل لهم اجساما تناسب ذلك اعظم من هذه بكثير في طولها وقدرها تناسب بينها وبين القدر التي صدرت تلك المباني عنها ويغفل عن شأن الهندام والمحال وما اقتضته في ذلك الصناعة الهندسية وكثير من المتغلبين في البلاد يعاين في شأن البناء واستعمال الحيل في نقل الاجرام عند اهل الدولة المعتمنين بذلك من العجم ما يشهد له بما قلناه عيانا اكثر آثار الاقدمين لهذا العهد تسميها العاقمة عادية نسبة الى قوم عاد واهلهم انما عظم اعظم اجسامهم وتضاعف قدرهم وراس كذلك فقد نجد آثارا كثيرة من آثار الذين تعرف مقادير اجسامهم من الامم وهي في مثل ذلك العظم او اعظم كانوا كسرى ومباني العبيدين من الشيعة باقر بنية والصنهاجين واهلهم ياد الى اليوم في صومعة قلعة بني حماد وكذلك بناء الاغالبة في جامع القيروان وبناء الموحدين في رباط الفتح ورباط الساطان ابي سعيد لعهد اربعين سنة في المنصورة بازاء تلسان وكذلك الخنايا التي جلب اليها اهل قرطاجنة الماء في القناة الزاكية عليهم امان الله ايضا لهذا

العهد وغير ذلك من المباني والهياكل التي نقلت اليها اخبار اهلها قريبا وبعيدا وتيقنا انهم لم يكونوا بافراط في مقادير اجسامهم وانما هذا رأي واقع به القاص عن قوم عاد وحمود والعمالقة ونجد بيوت حمود في الحجر منحوتة الى هذا العهد وقد ثبت في الحديث الصحيح انها بيوتهم يمر بها الركب المجازي اكثر السنين ويشاهدونهم الا ترى في جوفها ومساحتها وممكنها على المتعاهد وانهم ليسوا لغون فيما يعتقدون من ذلك حتى انهم يزعمون ان عوج بن عناق من جيل العمالقة كان يتناول السمك من البحر طريا فيشويه في الشمس يزعمون بذلك ان الشمس حارة فيما قرب منها ولا يعلمون ان الحر فيما لدينا هو الضوء لانعكاس الشعاع بمقابله سطح الارض والهواء واما الشمس في نفسها فقبر حارة ولا باردة وانما هي كوكب مضى لامرأج له وقد تقدم شي من هذا في الفصل الثاني حيث ذكرنا ان آثار الدولة على نسبة قوتها في اصلها والله يخلق ما يشاء ويحكم ما يريد

### ٤ (فصل في ان المباني العظيمة جدا لا تستقل بناؤها الدولة الواحدة)

والسبب في ذلك ما ذكرناه من حاجة البناء الى التعاون ومضاعفة القدر البشرية قد تكون المباني في عظمها اكثر من القدر مفردة او مضاعفة بالهندام كما قلناه فيحتاج الى عارضة تدبر اخرى مثلها في ازمة متعاقبة الى ان تتم فيتمدد الاقل منهم بالبناء ويعقبه الثاني والثالث وكل واحد منهم قد استكمل شأنه في حشر الفعلة وجمع الايدي حتى يتم القصد من ذلك ويكمل ويكون ماثل للعيان بظنه من براه من الآخرين انه بناء دولة واحدة وانظر في ذلك ما نقله المؤرخون في بناء سد مأرب وأن الذي بناه سبأ بن يشجب وساق اليه سبعين وادبا وعاقه الموت عن اتمامه فاعلمه ملوك حمير بعده ومثل هذا ما نقل في بناء قرطاجنة وقناتها الزاكية على الخنايا العادية واكثر المباني العظيمة في الغالب هذا شأنها وبشهادة ذلك ان المباني العظيمة لعهدنا نجد الملك الواحد بشرع في اختطاطها وتأسيسها فاذا لم يتبع أثره من بعده من الملوك في اتمامها بقيت بحالها ولم يكمل القصد فيها وبشهادة ذلك ايضا ان نجد آثارا كثيرة من المباني العظيمة تعجز الدول عن هدمها وتخريبها مع ان الهدم ايسر من البناء بكثير لان الهدم رجوع الى الاصل الذي هو العدم والبناء على خلاف الاصل فاذا وجدنا بناء تضعف قوتنا البشرية عن هدمه مع سهولة الهدم علمنا ان القدرة التي أسستهم مفرطة القوة وانها ليست اتر دولة واحدة وهذا مثل ما وقع للعرب في ايوان كسرى لما اعترم الرشيد على هدمه وبعث الى يحيى بن خالد وهو في محبته يستشيره في ذلك فقال يا امير المؤمنين لا تفعل واتركه ما تلا يستدل به على عظم ملك آبائك الذين سلبوا المالك لاهل ذلك الهيكلي



فاتهمه في انصيحة وقال اخذته لعرة للعجم والله لا صر عنه وشرع في هدمه وجمع  
الايدي عليه واتخذ له الفوس وحماه بالنار وصب عليه الخل حتى اذا أدركه العجز بعد  
ذلك كله وخاف الفضيحة بعث الى يحيى يستشيره ثانيا في التجاني عن الهدم فقال يا أمير  
المؤمنين لا تفعل واستمر على ذلك لئلا يقال عجز أمير المؤمنين وملك العرب عن هدم  
مصنع من مضان العجم فعرفها الرشيد وأقصر عن هدمه وكذلك اتفق للمأمون  
في هدم الاهرام التي بمصر وجمع القعلة لهدمها فلم يحل بطائل وشرعوا في نقبه فانتهاوا  
الى جوبين الحائط الظاهر وما بعده من الحيطان وهناك كان منتهى هدمهم وهو الى  
اليوم فيما يقال منفذ ظاهر وزعم الزاعمون أنه وجد ركازا بين تلك الحيطان والله أعلم  
وكذلك حنانيا المعلقة الى هذا العهد تحتاج أهل مدينة تونس الى انتخاب الحجارة لبنائهم  
وتشجيد الصنائع حجارة تلك الحنانيا فيجاءون على هدمها الايام العديدة ولا يسقط  
الصغير من جدرانها الا بعد عصب الريق وتجتمع له المحافل المشهورة شهدت منها في  
أيام صباى كثيرا والله خلقكم وما تعملون

### ٥ فصل فيما يجب مراعاة في اوضاع المدن وما يحدث اذا غفل عن تلك المرافاة

(اعلم) أن المدن قرار يتخذ الامم عند حصول الغاية المطلوبة من الترف ودواعيه فتؤثر  
الدعة والسكون وتتوجه الى اتخاذ المنازل للقرار ولما كان ذلك للقرار والمأوى  
وجب أن يراعى فيه دفع المضار بالحماية من طوارقها وجلب المنافع وتسهيل المرافق  
لها فأما الحماية من المضار فيراعى لها ان يدار على منازلها جميعا سياج الاسوار وأن  
يكون وضع ذلك في مفتح من الامكنة اما على هضبة متوعدة من الجبل واما باستدارة بحجر  
أو نهر بها حتى لا يوصل اليها الا بعد العبور على جسر أو قنطرة فصعب منالها على  
العدو ويتضاعف امتناعها وحصنها ومما يراعى في ذلك للحماية من الآفات السماوية  
طيب الهواء للسلامة من الامراض فان الهواء اذا كان راكدا خبيثا أو مجاورا  
للمياه الفاسدة أو منافع متعفنة أو مروج خبيثة أسرع اليها العفن من مجاورتها  
فأسرع المرض للحيوان السكائن فيه لا محالة وهذا ما شاهد والمدن التي لم يراع فيها طيب  
الهواء كثيرة الامراض في الغالب وقد اشتهر بذلك في قطر المغرب ببلد قابس من بلاد  
الجريد بافر بقة فلا يكاد ساكنها أو طارقها يخلص من حمى العفن بوجه ولقد يقال  
ان ذلك حادث فيها ولم تكن كذلك من قبل ونقل البكري في سبب حدوثه أنه وقع فيها  
حذر ظهر فيه اناء من نحاس مختموم بالرصاص فلما فاض ختامه صعد منه دخان الى  
الجو وانقطع وكان ذلك مبدءا أمراض الحيات فيه وأراد بذلك أن الاناء كان مشتملا

على بعض أعمال الطلسمات لوبانه وأنه ذهب سره بذهابه فرجع اليها العفن والوباء  
وهذه الحكاية من مذاهب العامة ومباحثهم الركيكة والبكري لم يكن من نباهة العلم  
واستنارة البصيرة بحيث يدفع مثل هذا أو يبين خرفه فنقله كما سمعته والذي يكشف لك  
الحق في ذلك أن هذه الالهوية العفنة أكثر ما يهيم بها المتعفن الاجسام وأمراض  
الحيات ركودها فاذا تخللتها الرياح وتفتت وذهبت بها عينا رثما لا خف شأن العفن  
والمرض المبادئ منها للحيوانات والبلد اذا كان كثيرا ساكن وكثرت حركات أهله  
فيتموج الهواء ضرورة وتحدث الرياح المتخللة للهواء الراكد ويكون ذلك معينا على  
الحركة والتموج واذا خف الساكن لم يجد الهواء معينا على حركته وتوجهه وبقى  
ساكنا كداه عظم عفته وكثر ضرره وبلد قابس هذه كانت عندما كانت افر بقة  
مستحبة العمران كثيرة الساكن تموج بأهلها موجافا كان ذلك معينا على تموج  
الهواء واضطرابه وتخفيف الاذى منه فلم يكن فيها كثير عفن ولا مرض وعندما خف  
ساكنها ركدها وها المتعفن بفساد مياهها فكثر لعفن والمرض فهذا وجهه لا غير  
وقد رأينا عكس ذلك في بلاد وضعت ولم يراع فيها طيب الهواء وكانت أولا قليلة  
الساكن في كانت أمراضها كثيرة فلما كثرت ساكنها اتقل حالها عن ذلك وهذا مثل  
دار الملك بفاس لهذا العهد المسمى بالبلد الجديد وكثير من ذلك في العالم فتفهمه تجد  
ما قلته لك وأما جلب المنافع والمرافق للبلد فيراعى فيه امور منها الماء بأن يكون البلد  
على نهر أو بياضها عيون عذبة تروى فان وجود الماء قريبا من البلد يسهل على الساكن  
حاجة الماء وهي ضرورة فيكون لهم في وجوده مرفقة عظيمة عامة ومما يراعى من  
المرافق في المدن طيب المراعى لساعتهم اذا صاحب كل قرار لا بد له من دواجن الحيوان  
للتناسل والضرع والركوب ولا بد لها من المراعى فاذا كان قريبا طيبا كان ذلك أرفق  
بجألهم لما يعانون من المشقة في بعده ومما يراعى أيضا المزارع فان الزروع هي الاقوات  
فاذا كانت مزارع البلد بالقرب منها كان ذلك أسهل في اتخاذه وأقرب في تحصيله  
ومن ذلك الشجر للعطب والبناء فان الحطب مما تهم البلوى في اتخاذه لوقود النيران  
للاصطلاء والطبخ والخشب أيضا ضروري لسقفتهم وكثير مما يستعمل فيه الخشب  
من ضرورياتهم وقد يراعى أيضا قربها من الجبل لتسهيل الحاجات القاصية من البلاد  
النائية الا أن ذلك ليس بمثابة الاول وهذه كلها متفاوتة بتفاوت الحاجات وما تدعو  
اليه ضرورة الساكن وقد يكون الواضع غافلا عن حسن الاختيار الطبيعي أو انما  
يراعى ما هو أهم على نفسه وقومه ولا يذكّر حاجة غيرهم كما فعله العرب لاول الاسلام في  
المدن التي اختطوها بالعراق وافر بقة فانهم لم يراعوا فيها الا اهم عندهم من مراعى



الابل وما يصلح لهما من الشجر والماء الملح ولم يراعوا الماء ولا المزارع ولا الحطب ولا مراعى الساعة من ذوات الظلف ولا غير ذلك كالقيروان والكوفة والبصرة وأمثالها ولهذا كانت أقرب الى الخراب لما لم تراع فيها الامور الطبيعية

(فصل) وعما يراعى في البلاد الساحلية التي على البحر أن تكون في جبل أو تكون بين اثنى من الامم موفرة العدد تكون صريحاً للمدينة متى طرقتها طارق من العدو والسبب في ذلك أن المدينة اذا كانت حاضرة البحر ولم يكن بساحتها عمران للقبائل أهل العصبية ولا موضعها متوعر من الجبل كانت في غرة للبيات وسهل طرقها في الاساطيل البحرية على عدوها وتحيفه لهما بما من من وجود الصريح لهما وان الحضر المتعودين للدعة قد صاروا عيالاً وخرجوا عن حكم المقاتلة وهذه كلاسكندرية من المشرق وطرابلس من المغرب وبونة وسلاومتي كانت القبائل والعصائب موطنين بقرىها بحيث يلغهم الصريح والنعير وكانت متوعدة المسالك على من يرومها باختطاطها في هضاب الجبال وعلى استنهاكها بذلك منعة من العدو ويثسوا من طرقها لما يكادونه من وعرها وما توقعونه من اجابة صريحها كما في سبتة ومجاية وبلد القل على صفرها فافهم ذلك واعتبره في اختصاص الاسكندرية باسم الثغر من لدن الدولة العباسية مع أن الدعوة من ورائها بركة وافر بركة وانما اعتبر في ذلك الحاجة المتوقعة فيها من البحر لسهولة وضعها ولذلك والله أعلم كان طروق العدو للاسكندرية وطرابلس في الملامرات متعددة والله تعالى أعلم

### (فصل في المساجد والبيوت العظيمة في الاسلام)

(اعلم) أن الله سبحانه وتعالى فضل من الارض بقاعاً اختصها بتسريفة وجعلها مواطن لعبادته يضاعف فيها الثواب وينمو بها الاجور وأخبرنا بذلك على السن رسله وأنبيائه لطفاً بعباده وتسهيلاً لطرق السعادة لهم \* وكانت المساجد الثلاثة هي أفضل بقاع الارض حسبا ثبت في الصحيحين وهي مكة والمدينة وبيت المقدس أما البيت الحرام الذي بمكة فهو بيت ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه أمره الله ببنائه وأن يؤذن في الناس بالحج اليه فبناه هو وابنه اسمعيل كما نصه القرآن وقام بجاء أمره الله فيه وسكن اسمعيل به مع هاجر ومن نزل معه هم من جرهم الى أن قبضهم الله ودفنا بالبحر من بيت المقدس بناه داود وسليمان عليهما السلام أمرهما الله ببنائه مسجده ونصب هياكله ودفن كثير من الانبياء من ولد اسحق عليه السلام حوالمه \* والمدينة مهاجر نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه أمره الله تعالى بالهجرة اليها واقامة دين

الاسلام بها فبنى مسجده الحرام بها وكان لهذه الشريف في تربتها فنهذه المساجد الثلاثة قرعة عين المسلمين ومهوى أفئدتهم وعظمة دينهم وفي الآثار من فضلها وضاعفة الثواب في مجاورتها والصلاة فيها كثير معروف فلنشر الى شئ من الخبر عن أولية هذه المساجد الثلاثة وكيف تدرجت أحوالها الى أن كمل ظهورها في العالم \* (فأما مكة) \* فأوليتها فيما يقال أن آدم صلوات الله عليه بناها قبل البيت المعمور ثم هدمها الطوفان بعد ذلك وليس فيه خبر صحيح يعول عليه وانما اقتبسوه من محل الآية في قوله واذ رفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ثم بعث الله ابراهيم وكان من شأنه وشأن زوجته سارة وغيرهما من هاجر ما هو معروف وأوحى الله اليه أن يترك ابنه اسمعيل وأمه هاجر بالقلاة فوضعهما في مكان البيت وسار عنهما ما وكيف جعل الله لهما من اللطف في سبع ما زمرم وهو ووالرفقة من جرهم بهما حتى احتلواهما وسكنوا اليهما ونزلوا معهما حوالى زمزم كما عرف في موضعه فاختار اسمعيل بموضع الكعبة يتأوى اليه وأدار عليه سياجاً من الردم وجعله زراً بالغنم وجاء ابراهيم صلوات الله عليه مراراً لزيارته من الشام أمر في آخرها ببناء الكعبة مكان ذلك الرزب فبناه واستعان فيه بابنه اسمعيل ودعا الناس الى حجه وبنى اسمعيل ساكنه ولما قبضت أمه هاجر وقام بنوه من بعده بأمر البيت مع أخوالهم من جرهم ثم العماليق من بعدهم واستمر الحال على ذلك والناس يهرعون اليها من كل أفق من جميع أهل الخليقة لامن بنى اسمعيل ولا من غيرهم من ذنأ ونأى فقد نقل أن التبايع كانت تعج البيت وتعظمه وأن عاصكها الملاء والوصائل وأمر بتطهيرها وجعل لها مفتاحاً ونقل أيضاً أن الفرس كانت تحجه وتقرب اليه وأن غزالي الذهب للذين وجدوا معابد المطلب حين احتقر زمزم كانوا من قرابينهم ولم يزل بطرهم الولاية عليه من بعد واد اسمعيل من قبل خولتهم حتى اذا خرجت خراعة وأقاموا بها بعدهم ماشاء الله ثم كنز ولد اسمعيل وانتشروا وتبعوا الى كانه ثم كانه الى قريش وغيرهم وساءت ولاية خراعة فغلبتهم قريش على أمره وأخرجوهم من البيت وملكوا عليهم يومئذ قصي بن كلاب فبنى البيت وسقفه بخشب الدوم وجريد النخل وقال الاعشى

خلفت بثوبي راغب الدور والقي \* بناها قصي والمضاض بن جرهم

ثم أصاب البيت سيل ويقال حريق وتهتم وأعادوا بناءه وجعلوا النفقة لذلك من أموالهم وانكسرت سقفة بساحل جذة فاشترىوا خشب اللبنة فكانت جذرانه فوق القامة فجعلوها عناية عشر ذراعاً وكان الباب لأصقبا الارض فجعلوه فوق القامة لتلا تدخله السبول وقصرت بهم النفقة عن اتمامه فقصر واعن قواعده وتركوا منه ستة



أذرع وشبرا أداروها بجدار قصير بطاف من وراءه وهو الحجر وبقي البيت على هذا البناء  
 إلى أن تحصن ابن الزبير بمكة حين دعا لنفسه وزحف إليه جيوش يزيد بن معاوية مع  
 الحصين بن غير السكوني ورمى البيت سنة أربع وستين فأصابه حريق يقال من النفط  
 الذي رموا به على ابن الزبير فأعاد بناءه أحسن ما كان بعد أن اختلفت عليه الصحابة في  
 بنائه واحتج عليهم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها لو لا قومك  
 حديثي عهد بكفر لرددت البيت على قواعد إبراهيم ولجعلت له بابين شرقيا وغربيا  
 فهدمه وكشف عن أساس إبراهيم عليه السلام وجعل الوجوه والأكابر حتى عاينوه  
 وأشار عليه ابن عباس بالتحري في حفظ القبلة على الناس فأدار على الأساس الخشب  
 ونصب من فوقها الاستار حفظا للقبلة وبعث إلى صتماء في النضفة والكلس فحماها  
 وسأل عن متاع الجارية الأول فجمع منها ما احتاج إليه ثم شرع في البناء على أساس  
 إبراهيم عليه السلام ورفع جدرانها سبعا وعشرين ذراعا وجعل لها بابين لاصتين  
 بالأرض كما روى في حديثه وجعل فرشها وأزرها بالرخام وصاغ لها المنافع وصفائح  
 الأبواب من الذهب \* ثم جاء الحجاج لحصاره أيام عبد الملك ورمى على المسجد  
 بالمنجنيقات إلى أن تصدعت حيطانها ثم لما نظروا بن الزبير شاور عبد الملك فيما بناء  
 وزاده في البيت فأمر به هدمه ورد البيت على قواعد قريش كما هي اليوم ويقال أنه  
 ندم على ذلك حين علم صحة رواية ابن الزبير لحديث عائشة وقال وددت أني كنت جلت  
 أبا خبيب في أمر البيت وبنائه ما تحمل فهدم الحجاج منها ستة أذرع وشبرا مكان الحجر  
 وبناه على أساس قريش وسد الباب الغربي وما تحت عتبة بابها اليوم من الباب  
 الشرقي وترك سائر هالما بغير منه شيئا فكل البناء الذي فيه اليوم بناء ابن الزبير وبناء  
 الحجاج في الحائط صلة ظاهرة للعيان لجهة ظاهرة بين البنائين والبناء متميز عن البناء  
 بقدر اصبع شبه الصدع وقد لحم \* ويعرض ههنا أشكال قوى لما فاته لما يقوله  
 الفقهاء في أمر الطواف ويحذر الطائف أن يميل على الشاذروان الدائر على أساس  
 الجدران أسفلها فيقع طوافه داخل البيت بناء على أن الجدران إنما قامت على بعض  
 الأساس وترك بعضه وهو مكان الشاذروان وكذا قالوا في تقبيل الحجر الأسود لا بد  
 من رجوع الطائف من التقبيل حتى يستوي قائما لا يقع بعض طوافه داخل البيت  
 وإذا كان الجدران كليهما من بناء ابن الزبير وهو أنما بنى على أساس إبراهيم فكيف  
 يقع هذا الذي قالوه ولا يخص من هذا إلا بأحد أمرين أما أن يكون الحجاج  
 هدم جميعه وأعاده وقد نقل ذلك جماعة الآن العيان في شواهد البناء بالتمام ما بين  
 البنائين وتبين أحد الشقين من أعلاء عن الآخر في الصماعة يرد ذلك وأما أن يكون

ابن الزبير لم يرد البيت على أساس إبراهيم من جميع جهاته وإنما فعل ذلك في الحجر فقط  
 ليدخله فهي الآن مع كونها من بناء ابن الزبير ليست على قواعد إبراهيم وهذا بعيد  
 ولا محيص من هذين والله تعالى أعلم ثم إن مساحة البيت وهو المسجد كان فضاء  
 للطائفين ولم يكن عليه جدران أيام النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر من بعده ثم كثر  
 الناس فاشترى عمر رضي الله عنه دورا هدمها وزادها في المسجد وأدار عليها جدارا  
 دون القمامة وفعل مثل ذلك عثمان ثم ابن الزبير ثم الوليد بن عبد الملك وبناء بعد  
 الرخام ثم زاد فيه المنصور وابنه المهدي من بعده ووقفت الزيادة واستقرت على ذلك  
 لعهدنا \* وتشريف الله لهذا البيت وعنايته به أكثر من أن يحاط به وكفى من ذلك  
 أن جعله مهبط اللوح والملائكة ومكانا لآبادة وفرض شعائر الحج ومناسكه وأوجب  
 الحرمه من سائر نواحيه من حقوق التعظيم والحق ما لم يوجب لغيره فنع كل من خالف  
 دين الاسلام من دخول ذلك الحرم وأوجب على داخله أن يتجرد من الخيط الأزارا  
 يستتره وحى العائذ به والرائع في مسارحه من مواقع الآفات فلا يرام فيه خائف  
 ولا يصاد له وحش ولا يحتطب له شجر وحد الحرم الذي يختص بهذه الحرمه من طريق  
 المدينة ثلاثة أميال إلى التنعيم ومن طريق العراق سبعة أميال إلى الثانية من جبل  
 المنة طبع ومن طريق الطائف سبعة أميال إلى بطن غمرة ومن طريق جدة سبعة أميال  
 إلى منقطع العنابر \* هذا شأن مكة وخبرها وتسمى أم القرى وتسمى الكعبة لعلوها  
 من اسم الكعب ويقال لها أيضا بكة قال الأصمعي لأن الناس يذك بعضهم بعضا  
 إليها أي يدفع وقال مجاهد بكة أبدلوا مما كما قالوا لا زب ولازم اقرب المخرجين  
 وقال النخعي بالباء البيت وبالميم البلد وقال الزهري بالباء للمجد كاه وبالميم للمكرم  
 وقد كانت الامم منذ عهد الجاهلية تعظمه والملوك تبعث اليه بالاموال والبخاير  
 كسرى وقيصر وقصة الاسياف وغزى إلى الذهب اللذين وجدتهما عبد المطلب حين احتضر  
 زمزم معروفة وقد وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم حين افتتح مكة في الحب الذي  
 كان فيه سبعين ألف أوقية من الذهب مما كان الملوك يهدون للبيت فيها ألف ألف  
 دينار مكررة مرتين بمائتي قنطار وزنا وقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه يا رسول  
 الله لو استعنت بهذا المال على حربك فلم يفعل ثم ذكر لابي بكر فلم يحركه هكذا قال  
 الأزرق وفي البخاري بسنده إلى أبي وائل قال جلست إلى شيبة بن عثمان وقال جلست  
 إلى عمر بن الخطاب فقال هممت أن لأدع فيه اصفرأ ولا يضاء الا قسمتها بين المسلمين  
 قلت ما أنت بقا على قال ولم قلت فلم يفعل صاحبك فقال هما اللذان يقتدي بهما وخرجه  
 أبو داود وابن ماجه وأقام ذلك المال إلى أن كانت فتنة الافطس وهو الحسن بن



الحسين بن علي بن علي زين العابدين سنة تسع وتسعين ومائة حين غلب على مكة عمده  
الى الكعبة فأخذ ما في خزانها وقال ما تصنع الكعبة بهذا المال موضوعا فيها لا ينفع  
به نحن أحق به نستعين به على حربنا وأخرجناه وتصرف فيه وبطلت الذخيرة من الكعبة  
من يومئذ \* (وأما بيت المقدس) وهو المسجد الاقصى فكان أول أمره أيام  
الصابئة موضع الزهرة وكانوا يقربون اليه الزيت فيما يقربونه يصبونه على الصخرة التي  
هناك ثم دثر ذلك الهيكل واتخذها بنو اسرائيل حين ملكوها قبله لصلاتهم \* وذلك  
أن موسى صلوات الله عليه لما خرج بني اسرائيل من مصر لئلا يكفهم بيت المقدس كما  
وعده الله أباهم اسرائيل وأباه اسحق من قبله وأقاموا بأرض التيه أمره الله بالتخاذ  
قبة من خشب السنت عين بالوحى مقدارها وصفتها وهياكلها ونماثلها وأن يكون  
فيها تابوت ومائدة يصحافها ومناارة يقناديلها وأن يصنع مذبحا للقربان وصف ذلك  
كله في التوراة أكمل وصف صنع القبة ووضع فيها تابوت العهد وهو التابوت الذى  
فيه الألواح المصنوعة عوضا عن الألواح المنزلة بالكلمات العشر لما تكسرت ووضع  
المذبح عندها وعهد الله الى موسى بأن يكون هرون صاحب القربان ونصبوا  
تلك القبة بين خيامهم فى التيه يصلون اليها ويقربون فى المذبح أمامها ويتعرضون  
للوحى عندها ولما ملكوا الشام وبقيت تلك القبة قبلتهم ووضعوها على الصخرة  
بيت المقدس وأراد داود عليه السلام بناء مسجد على الصخرة مكانها فلم يتم له ذلك  
وعهد به الى ابنه سليمان فبناه لاربعة سنين من ملكه وخمس مائة سنة من وفاة موسى  
عليه السلام واتخذ عمده من الصخر وجعل به صرح الزجاج وغشى أبوابه وحيطانه  
بالذهب وصاغها كلها ونماثيله وأوعيته ومنازله ومفتاحه من الذهب وجعل فى ظهره  
قبر البضع فيه تابوت العهد وهو التابوت الذى فيه الألواح وجاء به من صهيون بلدأبيه  
داود تحمله الاسياد والكهوية حتى وضعه فى القبر ووضعته القبة والوعية والمذبح  
كل واحد حيث أعد له من المسجد وأقام كذلك ما شاء الله ثم خربه بختنصر بعد  
ثمان مائة سنة من بنائه وأحرق النوراة والعصا وصاغ الهيكل ونزل الاجار ثم لما  
أعادهم ملوك الفرس بناءه عزير بنى اسرائيل لعهد باعانه بهم من ملك الفرس الذى  
كانت الولادة لبني اسرائيل عليه من سبي بختنصر وحدث لهم فى بانه حدودا دون بناء  
سليمان بن داود عليه ما السلام فلم يتجاوزوها ثم تداوتهم ملوك يونان والفرس والروم  
واستعمل الملك ابني اسرائيل فى هذه المدة ثم لبى خسمان من كهنتهم ثم لصمهم  
هيردوس ولبيته من بعده وبنى هيردوس بيت المقدس على بناء سليمان عليه السلام  
وتأني فيه حتى أكمله فى ست سنين فلما جاء طيطس من ملوك الروم وغلبهم وملك أمرهم

حرب بيت المقدس ومسجدها وأمر أن يزرع مكانه ثم أخذ الروم يدين المسيح عليه  
السلام ودانوا بتعظيمه ثم اختلف حال ملوك الروم فى الاخذ بدين النصرارى تارة وتركه  
أخرى الى أن جاء قسطنطين وتنصرت أمته هيكلانه وارتملت الى المقدس فى طلب  
الخشب التى صلب عليها المسيح بزعمهم فأخبرها القساسة بأنه رعى بخشبه على الارض  
وألقى عليها القمامات والقاذورات فاستخرجت الخشبة وبنت مكان تلك القمامات  
كنيسة القمامة كأنهم على قبره بزعمهم وخربت ما وجدت من عمارة البيت وأمرت  
بترح الزبل والقمامات على الصخرة حتى غطاها حتى مكانها اجزاء بزعمهم المافعلوه بقبر  
المسيح ثم بنوا بازاء القمامة بيت لحم وهو البيت الذى ولد فيه عيسى عليه السلام وبقي  
الامر كذلك الى أن جاء الاسلام وحضر عمر لفتح بيت المقدس وسأل عن الصخرة فأرى  
مكانها وقد علاها الزبل والتراب فكشف عنها وبنى عليها مسجدا على طريق البداوة  
وعظم من شأنه ما أذن الله من تعظيمه وما سبق من أم الكتاب فى فضل حسمائيت ثم  
احتفل الوليد بن عبد الملك فى تشييد مسجده على سنين مساجد الاسلام بمائة سنة من  
الاحتفال كما فعل فى المسجد الحرام وفى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة  
وفى مسجد دمشق وكانت العرب تعظمه بل لا ط الوليد وألزم ملك الروم أن يعث الفعلة  
والمال لبناء هذه المساجد وأن يخفوها بالنساء فأنطاع لذلك وتم بنائها على  
ما اقترحه ثم لما ضعف أمر الخلافة أعوام الخسمائة من الهجرة فى آخرها وكانت  
فى ملكة العبيدين خلفاء القاهرة من الشيعة واختل أمرهم زحف الفرنجية الى بيت  
المقدس فملكوه وملكوا معه عاتة تغور الشام وبنوا على الصخرة المقدسة منه كنيسة  
كانوا يعظمونها ويفتخرون بنائها حتى اذا استقل صلاح الدين بن أيوب الكردي  
بملك مصر والشام ومحاربا العبيدين وبدعهم زحف الى الشام وجاهد من كان به من  
الفرنجية حتى غلبهم على بيت المقدس وعلى ما كانوا ملكوه من تغور الشام وذلك نحو  
ثمانين وخمسمائة من الهجرة وهدم تلك الكنيسة وأظهر الصخرة وبنى المسجد على  
النحو الذى هو عليه اليوم لهذا العهد ولا يعرض لك الاشكال المعروف فى الحديث  
الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن أول بيت وضع فقال مكة قيل ثم أى قال  
بيت المقدس قيل فكيف بينهما قال أربعون سنة فان المدية بين بناء مكة وبين بناء بيت  
المقدس بمقدار ما بين ابراهيم وسليمان لأن سليمان بانيه وهو ينفذ على الالف بكثير \*  
واعلم أن المراد بالوضع فى الحديث ليس البناء وإنما المراد أول بيت عين للعبادة ولا يعد  
أن يكون بيت المقدس عين للعبادة قبل بناء سليمان بمثل هذه المدة وقد نقل أن الصابئة  
بنوا على الصخرة هيكل الزهرة فلعل ذلك أنها كانت مكانا للعبادة كما كانت الجاهلية



تضع الاصنام والتماثيل حوالى الكعبة وفي جوفها وانسابه الذين ينو اهيكل الزهرة  
كانوا على عهد ابراهيم عليه السلام فلا تعد مدة الاربعين سنة بين وضع مكة للعبادة  
ووضع بيت المقدس وان لم يكن هناك بناء كما هو المعروف وأن أول من بنى بيت المقدس  
سليمان عليه السلام فتقهمه فقيه حل هذا الاشكال \* (وأما المدينة) \* وهى  
المسماة بيثرب فهى من بناء يثرب بن مهسل من العمالة وملكها بنو اسرائيل من  
أيديهم فيما ملكوه من أرض الحجاز ثم جاؤهم بنو قيلة من غسان وغلبوهم عليها وعلى  
حصونها \* ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة اليها لما سبق من عناية الله بها  
فهاجر اليها ومعه أبو بكر وبعثه أصحابه ونزل بها وبنى مسجده وبيوته في الموضع الذى  
كان الله قد أعد له لذلك وشرفه في سابق أزله وآواه أبناء قيلة ونصروه فلذلك سمو  
الانصار وسمت كلمة الاسلام من المدينة حتى علت على الكلمات وغلب على قومه وفتح  
مكة وملكها ووطن الانصار أنه يتحول عنهم الى بلده فأهمهم ذلك فخطبهم رسول الله  
صلى الله عليه وسلم وأخبرهم أنه غير متحول حتى اذا قبض صلى الله عليه وسلم كان ملجده  
الشريف بها وجاء في فضلها من الاحاديث الصحيحة ما لا يخفى ووقع الخلاف بين  
العلماء في تفضيلها على مكة وبه قال مالك رحمه الله لما ثبت عنده في ذلك من النص  
الصريح عن رافع بن خديج أن النبي صلى الله عليه وسلم قال المدينة خير من مكة نقل  
ذلك عبد الوهاب في المعونة الى احاديث أخرى تدل بظاهرها على ذلك وخالف أبو  
حنيفة والشافعي \* وأصبحت على كل حال نائية المسجد الحرام وجمع اليها الامم  
باعتدالهم من كل أوب فانظر كيف تدرجت الفضيلة في هذه المساجد المعظمة لما سبق  
من عناية الله لها وتفهم سر الله في الكون وتدرجه على ترتيب محكم في أمم ورايين  
والدينا \* وأما غير هذه المساجد الثلاثة فلا نعلم في الارض الا ما يقال من شأن مسجد  
آدم عليه السلام بسريديب من جزائر الهند لكنه لم يثبت فيه شئ يعول عليه وقد كانت  
للامم في القديم مساجد يعظمونها على جهة الديانة بزعمهم منها بيوت النار للفرس  
وهياكل يونان وبيوت العرب بالحجاز التى أمر النبي صلى الله عليه وسلم بهدمها  
في غزواته وقد ذكر المسعودى منها بيوت النسمان ذكرها في شئ اذهى غير مشروعة ولا  
هى على طريق ديني ولا ينافى اليها ولا الى الخبر عنها ويكتفى في ذلك ما وقع في التواريخ  
فن أراد معرفة الاخبار فعليه بها والله يهدي من يشاء سبحانه

(فصل في ان المدن والامصار بأفريقية والمغرب قليلة)

والسبب في ذلك أن هذه الاقطار كانت للبربر منذ آلاف من السنين قبل الاسلام وكان

عمرانها كله بدو ولم تستقر فيهم الحضارة حتى تستكمل أحوالها والدول التي ملكتهم  
من الافرنجة والعرب لم يطل أمدهم ~~كهم~~ فيهم حتى ترسخ الحضارة منها فلم تزل عوائد  
البدو وشؤونها فكانوا اليها أقرب فلم تكثر مبانيهم وأيضاً فالصنائع بعيدة عن البربر  
لأنهم أعرق في البدو والصنائع من نواحي الحضارة وانما تبنى المباني بها فلا بد من الحذق  
في تعلمها فلم يكن للبربر احتمال لها لم يكن لهم تشوق الى المباني فضلاً عن المدن وأيضاً  
فهم أهل عصيات وانساب لا يخلو عن ذلك جمع منهم والانساب والعصية أجح الى  
البدو وانما يدعوا الى المدن الدعة والسكون ويصبروا كمناعها لا على حاميها فتجد  
أهل البدو لذلك يستكفون عن سكنى المدينة أو الإقامة بها ولا يدعوا الى ذلك الا  
الترف والغنى وقليل ما هو في الناس فلذلك كان عمران افريقية والمغرب كله أو أكثره  
بدوياً أهل خيام وظوا عن وقياطن وكنز في الجبال وكان عمران بلاد العجم كله أو أكثره  
قرى وأمصاراً ورساتيق من بلاد الاندلس والشام ومصر وعراق العجم وأمثالها لان  
العجم في الغالب ليسوا بأهل انساب يحافظون عليها ويتناغون في صراحتهم والتحامها  
الافى الاقل وأكثر ما يكون سكنى البدو لأهل الانساب لان لجة النسب أقرب وأشد  
فتمكون عصيته كذلك وتزع بصاحبها الى سكنى البدو والتجافى عن المصر الذى  
يذهب بالبسالة ويصير عبداً لا على غيره فافهمه وقس عليه والله سبحانه وتعالى أعلم وبه  
التوفيق

٨ فصل في ان المباني والمصانع في الملة الاسلامية قليلة بالنسبة الى قدرتها

والى من كان قبلها من الدول

والسبب في ذلك ما ذكرنا مثله في البربر بعينه اذ العرب أيضاً أعرق في البدو وأبعد عن  
الصنائع وأيضاً فكانوا أجنب من الممالك التي استولوا عليها قبل الاسلام وما تملكوها  
لم ينقص الامد حتى تستوفى رسوم الحضارة مع انهم استغنوا بما وجدوا من مباني  
غيرهم وأيضاً فكان الدين أول الامر مانعاً من المغالاة في البناء والامراف فيه  
في غير القصد كما عهد لهم عمر حين استأذنه في بناء الكوفة بالحجارة وقد وقع الحريق  
في القصب الذى كانوا بنوا به من قبل فقال افعلوا ولا يزيدن أحد على ثلاثة أليات ولا  
تطاولوا في البناء والزمو السنة تلزمكم الدولة وعهد الى الوفد وتقدم الى الناس  
أن لا يرفعوا شيئاً فوق القدر قالوا وما القدر قال ما لا يقر بكم من السرف ولا يخرجكم  
عن القصد فلما بعد العهد بالدين والتخرج في أمثال هذه المقاصد وغلبت طبيعة الملك  
والترف واستخدم العرب أمة الفرس وأخذوا عنهم الصنائع والمباني ودعيتهم اليها



أحوال الدعة والترف حينئذ يشدو المباني والمصانع وكان عهد ذلك قريبا بقراض  
الدولة ولم ينفسح الامد لكثرة البناء واختطاط المدن والامصار الا قليلا وليس كذلك  
غيرهم من الامم فالفرس طالت مدتهم آلافا من السنين وكذلك القبط والنبط والروم  
وكذلك العرب الاولى من عاد وعود والعمالة والتابعة طالت آمادهم ورسخت  
الصنائع فيهم فكانت مبانيهم وهياكلهم أكثر عددا وأبقى على الأيام أثرا واستبصر  
في هذا تجده كما قلت لك والله وارث الارض ومن عليها

٩ (فصل في ان المباني التي كانت تختص بالعرب يسرع اليها الخراب الان الاقل)

والسبب في ذلك شأن البداوة والبعد عن الصنائع كما قدمناه فلا تكون المباني وثيقة  
في تشييدها وله والله أعلم وجه آخر وهو أمر به وذلك قلة مراعاتهم لحسن الاختيار  
في اختطاط المدن كما قلناه في المصانع وطيب الهواء والمياه والمزارع والمرعى فإنه  
بالنشاوت في هذه تتفاوت جودة المصنوعات من حيث العمران الطبيعي والعرب  
بمعزل عن هذا وانما يراعون مراعى ابلهم خاصة لا يبالون بالماء طاب أو خبت ولا قل أو  
كثروا يسألون عن زكاة المزارع والمنابت والاهوية لا تنقاهم في الارض ونقلهم  
الجوب من البلد البعيد وأما الرياح فالقفر مختلف للمهاب كاهوا والظعن كليل لهم  
بطبيها لان الرياح انما تنحبث مع القرار والسكنى وكثرة الفضلات وانظر لما اختطوا  
الكوفة والبصرة والقيروان كيف لم يراعوا في اختطاطها الامراعى ابلهم وما يقرب  
من القفر ومسالك الظعن فكانت بعيدة عن الوضع الطبيعي للمدن ولم تكن لها مادة  
تمد عمرانهم بعددهم كما قدمنا أنه يحتاج اليه في حفظ العمران فقد كانت مواطنهم غير  
طبيعية للقرار ولم تكن في وسط الامم في عمرها الناس فلا قول وهدية من انحلال أمرهم  
وذهاب عصبيتهم التي كانت سياجها التي عليها الخراب والانحلال كان لم تكن والله  
يحكمهم لامعقب لحكمه

١٠ (فصل في مبادئ الخراب في الامصار)

اعلم ان الامصار اذا اختطت أو لا تكون قليلة المساكن وقليلة آلات البناء من الحجر  
والجير وغيرهما مما يعالى على الحيطان عند التأنق كالزجاج والرخام والبرج والزجاج  
والفسيفساء والصدف فيه يكون بناؤها يومئذ يوابوا آلتها فاسدة فاذا عظم عمران  
المدينة وكثرت مساكنها كثرت آلات بكثرة الاعمال حينئذ وكثرة الصنائع الى أن تبلغ  
غايته من ذلك كما سبق شأنه فاذا تراجع عمرانها وخف ساكنها قلت الصنائع لاجل  
ذلك ففقدت الاجادة في البناء والاحكام والمعالة عليه بالتتميق ثم تقل الاعمال لعدم

الساكن فيقل جلب الآلات من الحجر والرخام وغيرهما فتنقص ويصير بناؤهم  
وتشييدهم من الآلات التي في مبانيهم فينقلونها من مصنع الى مصنع لاجل خلاء  
أكثر المصانع والقصور والمنازل بقله العمران وقصوره عما كان أولا ثم لا تزال تنقل  
من قصر الى قصر ومن دار الى دار الى أن يفقد الكثير منها جلة فيعودون الى البداوة  
في البناء واتخاذ الطوب عوضا عن الحجارة والقصور عن التتميق بالكلمة فيعود بناء  
المدينة مثل بناء القرى والمدن ويظهر عليها سيما البداوة ثم تمر في التناقص الى غايتها  
من الخراب ان قدر لها به سنة الله في خلقه

١١ (فصل في ان تفاضل الامصار والمدن في كثرة الرخا لا يلزم اتفاق  
الاسواق انما هو في تفاضل عمرانها في الكثرة والقلّة)

والسبب في ذلك أنه قد عرف وثبت أن الواحد من البشر غير مستقل بتحصيل حاجاته  
في معاشه وأنهم متعاونون جميعا في عمرانهم على ذلك والحاجة التي تحصل بتعاون  
طائفة منهم تشتد ضرورة الاكثر من عددهم أضعافا بالقوت من الخطة مثلا لا يستقل  
الواحد بتحصيل حصته منه واذا انتدب لتحصيله الستة أو العشرة من حداد ونجار  
للآلات وقائم على البقر واثارة الارض وحصاد السنبل وسائر مؤن الفلح وتوزعوا  
على تلك الاعمال أو اجتمعوا وحصل بعملهم ذلك مقدار من القوت فإنه حينئذ قوت  
لاضعافهم مرات فالاعمال بعد الاجتماع زائدة على حاجات العاملين وضرورتهم  
فأهل مدينة أو مصر اذا وزعت أعمالهم كلها على مقدار ضرورتهم وحاجاتهم اكتفى  
فيها بالآل من تلك الاعمال وبقية الاعمال كلها زائدة على الضرورات فتصرف  
في حالات الترف وعوائده وما يحتاج اليه غيرهم من أهل الامصار ويستجلبونه منهم  
بأعواضه وقيمة فيكون لهم بذلك حظ من الغنى وقد تبين لك في الفصل الخامس في باب  
الكسب والرزق أن المكاسب انما هي قيم الاعمال فاذا كثرت الاعمال كثرت قيمها بينهم  
فكثرت مكاسبهم ضرورة ودعتهم أحوال الرفه والغنى الى الترف وحاجاته من التأنق  
في المساكن والملابس واستجادة الآتية والمعاون واتخاذ الخدم والمراكب وهذه  
كلها أعمال تستدعى بقيمتها ويختار المهرة في صناعتها والقيام عليها فتتفق أسواق  
الاعمال والصنائع ويكثر دخل المصروم وخرجه ويحصل اليسار للمتحملي ذلك من قبل  
أعمالهم ومتى زاد العمران زادت الاعمال ثانياً ثم زاد الترف تابع الكسب وزادت  
عوائده وحاجاته واستتبطت الصنائع لتحصيلها فزادت قيمها وتضاعف الكسب  
في المدينة لذلك ثانياً ونفقت سوق الاعمال بها أكثر من الأول وكذا في الزيادة الثانية



والثالثة لان الاعمال الزائدة كلها تختص بالترف والغنى بخلاف الاعمال الاصلية التي تختص بالمعاش فالمصر اذا فضل بعمران واحد فضله بزيادة كسب ورفه وبعواند من الترف لا توجد في الاخر فاما كان عمرانه من الامصارا كثر وأوفر كان حال أهله في الترف أبلغ من حال المصر الذي دونه على وتيرة واحدة في الاصناف القاضى مع القاضى والتاجر مع التاجر والصانع مع الصانع والسوق مع السوق والامير مع الامير والشرطى مع الشرطى \* واعتبر ذلك في المغرب مثلاً بحال فاس مع غيرها من أمصاره الاخرى مثل بجاية وتلمسان وسبتة تجدينهما ابونا كثيراً على الجملة ثم على الخصوصيات فحال القاضى بفاس أوسع من حال القاضى بتلمسان وهكذا كل صنف مع صنف أهله وكذا أيضاً حال تلمسان مع وهران أو الجزائر ورواح وهران والجزائر مع مادونهم ما الى أن تنتهى الى المداشر الذين اعتمد عليهم في ضروريات معاشهم فقط ويقصرون عنها وما ذلك الالتفات الاعمال فيها فكأنها كلها أسواق للاعمال والخرج في كل سوق على نسبه فالقاضى بفاس دخله كفاء خرجيه وكذا القاضى بتلمسان وحيث الدخل والخرج أكثر تكون الاحوال أعظم وهم بفاس أكثر لئلا سوق الاعمال بما يدعوا اليه الترف فالاحوال أضخم ثم كذا حال وهران وقسنطينة والجزائر وبكرة حتى تنتهى كما قلناه الى الامصار التي لا توفى أعمالها بضرورتها ولا تعد في الامصار اذهى من قبيل القرى والمداشر فلذلك تجد أهل هذه الامصار الصغيرة ضعفاء الاحوال متقاربين في الفقر والخصاصة لما أن أعمالهم لا تفي بضرورتهم ولا يفضل ما يتأكلونه كسباً فلا يتم مكاسبهم وهم لذلك مساكين محاييج الا في الاقل النادر واعتبر ذلك حتى في احوال الفقراء والسؤال فان السائل بفاس أحسن حالاً من السائل بتلمسان أو وهران ولقد شاهدت بفاس السؤال بسألون أيام الاضاحي أثمان ضحاياهم ورأيتهم يسألون كثيراً من احوال الترف واقتراح المأكول مثل سؤال اللحم والسمن وعلاج الطبخ والملابس والماعون كالغريبال والآنية ولوسأل سائل مثل هذا بتلمسان أو وهران لاستنكر وعنف وزجروا بيلغنا هذا العهد عن احوال القاهرة ومصر من الترف والغنى في عواندهم ما يقضى منه العجب حتى ان كثيراً من الفقراء بالمغرب ينزعون من النقلة الى مصر لذلك ولما بلغهم من أن شأن الرفه بمصر أعظم من غيرها ويعتقد العامة من الناس أن ذلك لزيادة ايثار في أهل تلك الآفاق على غيرهم أو أموال مختزنة لديهم وأنهم أكثروا صدقة وايناراً من جميع أهل الامصار وليس كذلك وانما هو لما تهرقه من أن عمران مصر والقاهرة أكثر من عمران هذه الامصار التي لديك فعظمت لذلك احوالهم \* وأما حال الدخل والخرج

فتسكافى في جميع الامصار ومضى عظم الدخل عظم الخرج وبالعكس ومضى عظم الدخل والخرج اندعت احوال الساكن ووسع المصر كل شئ يبلغك من مثل هذا فلا تنكره واعتبره بكثرة العمران وما يكون عنده من كثرة المكاسب التي يسهل بسببها البذل والايثار على مبتغيه ومثله بشأن الحيوانات العجم مع بيوت المدينة الواحدة وكيف يختلف احوالها في هجرانها أو غشيانها فان بيوت أهل النعم والثروة والموائد الخصبه منها أكثر بساحتها وأقنيتها بنثر الجيوب وسواقط الفتات فيزدحم عليها غواشي النمل والخشاش ويخلق فوقها عصائب الطيور حتى تروح بطاناً وتغلى شهبها ورياب بيوت أهل الخصاصة والفقراء انكاسدة أرزاقهم لا يسرى بساحتها ديب ولا يخلق بجوها طائر ولا تأوى الى زوايا بيوتهم قارة ولا هرة كما قال الشاعر

تسقط الطير حيث تلتقط الحب وتغشى منازل الكرماء

فتأمل سر الله تعالى في ذلك واعتبر غاشية الاناس بغاشية العجم من الحيوانات وفتات الموائد بفضلات الرزق والترف وسهولتها على من يسهلها الاستغنائهم عنها في الاكثر لوجود أمثالها لديهم واعلم أن اتساع الاحوال وكثرة النعم في العمران تابع لكثرة والله سبحانه وتعالى أعلم وهو غنى عن العالمين

(نمل في اسرار المدن)

١٢

اعلم أن الاسواق كلها تشغل على حاجات الناس فيها الضرورى وعلى الاقوات من الخطة وما في معناها كالباقلا والبصل والثوم وأشباهه ومنها الحاجى والكلى مثل الادم والفواكه والملابس والماعون والمراكب وسائر المصانع والمباني فاذا استبحر المصر وكثر ساكنه رخصت أسعار الضرورى من القوت وما في معناه وغلت أسعار الكلى من الادم والفواكه وما يتبعها واذا قل ساكن المصر وضعف عمرانه كان الامر بالعكس \* والسبب في ذلك أن الجيوب من ضرورات القوت فتتوفر الدواعى على اتخاذها اذ كل احد لا يهمل قوت نفسه ولا قوت منزله لشهره أو سنته فيهم اتخاذها أهل المصر أجمع أو الاكثر منهم في ذلك المصر أو فيما قرب منه لا بد من ذلك وكل متخذ لقوته فتفضل عنده وعن أهل بيته فضله كبيرة تستدخلة كثيراً من أهل ذلك المصر فتفضل الاقوات عن أهل المصر من غير شك فتخص أسعارها في الغالب الا ما يصيبها في بعض السنين من الآفات السماوية ولولا احتكار الناس لها لما يتوقع من تلك الآفات لبدات دون ثمن ولا عوض لكثرة ما يكثره العمران \* وأما سائر المرافق من الادم والفواكه وما اليها فانها لا تنعم بها البلوى ولا يهتفرق اتخاذها



أعمال أهل مصر أجمعين ولا الكثير منهم ثم إن المصر إذا كان مستجرا موفور العمران كثير حاجات الترف توفرت حينئذ الدواعي على طلب تلك المرافق والاستمتاع بها كل بحسب حاله فيصير الموجود منها على الحاجات قصورا بالغوا ويكثر المستامون لها حتى قليلة في نفسها فتزدحم أهل الأغراض ويبدل أهل الرفة والترف أثمانها بأسراف في الغلاء لحاجتهم إليها أكثر من غيرهم فيقع فيها الغلاء كما تراه \* وأما الصنائع والأعمال أيضا في الامصار الموفرة العمران فسبب الغلاء فيها أمور ثلاثة الأول كثرة الحاجة لما كان الترف في المصر بكثرة عمرانها والثاني اعتبار أهل الأعمال خدومتهم وإمتنان أنفسهم بسهولة المعاش في المدينة بكثرة أقواتها والثالث كثرة المترفين وكثرة حاجاتهم إلى إمتنان غيرهم وإلى استعمال الصنائع في منافعهم فيبدلون في ذلك لأهل الأعمال أكثر من قيمة أعمالهم مزاجية ومنافسة في الاستئثار بها فيعتبر العمال والصنائع وأهل الحرف وتغلبوا أعمالهم وتكثر نفقات أهل المصر في ذلك \* وأما الامصار الصغيرة والقليلة الساكن فاقواتهم قليلة لقلية العمل فيها وما يتوقعونه أصغر مصرهم من عدم القوت فيتمسكون بما يحصل منه في أيديهم ويحسبونه فيعجز وجوده لديهم وينبذونه على مستأمنه وأما ما رافقتهم فلا تدعو إليها أيضا حاجة بقلية الساكن وضعف الأحوال فلا تنفق لديهم سوقه فيختص بالرخس في سعده وقدي دخل أيضا في قيمة الاقوات قيمة ما يعرض عليها من المكوس والمغارم للسلطان في الأسواق وأبواب الخفرو الحياة في منافع وصولها عن البيوعات لما عيسهم وبذلك كانت الاسعار في الامصار أعلى من الاسعار في البادية إذ المكوس والمغارم والفرائض قليلة لديهم أو معدومة وكثرت في الامصار لاسيما في آخر الدولة وقد تدخل أيضا في قيمة الاقوات قيمة علاجه في الفلج ويحافظ على ذلك في أسعارها كما يقع بالاندلس لهذا العهد وذلك أنهم لما أبجأهم النصاري إلى سيف البحر وبلاده المتوعدة الخبيثة الزراعة النكدية النبات وما كوا عليهم الأرض الزاكية والبلد الذي فاحتها حوالا إلى علاج المزارع والقدن لأصلاح نباتها ولحماها وكان ذلك العلاج بأعمال ذات قيم ورواد من الزبل وغيره لها مؤنة وصارت في فلحهم نفقات لها خطر فاعتبروها في معمرهم وأختصر قطر الاندلس بالغلاء منذ اضطرهم النصاري إلى هذا المعمور بالسلام مع سواحلها لأجل ذلك ويحسب الناس إذا همعوا بغلاء الاسعار في قطرهم أنها قليلة الاقوات والحبوب في أرضهم وليس كذلك فهم أكثر أهل المعمور فلما فهم علمناه وأقودهم عليه وقل أن يخلو منهم سلطان أرضه عن فدان أو مزرعة أو فليح الاقليل من أهل الصنائع والمهن أو الطرء على الوطن من الغزاة المجاهدين ولهذا يختص بهم السلطان

في عطايتهم

في عطايتهم بالعولة وهي أقواتهم وعلوفاتهم من الزرع وانما السبب في غلاء سعر الحبوب عندهم ما ذكرناه \* ولما كانت بلاد البر بالعكس من ذلك في زكاة مناباتهم وطيب أرضهم ارتفعت عنهم المؤن جملة في الفلج مع كثرته وعمومه فصار ذلك سببا لرخس الاقوات ببلدهم والله مقدر الليل والنهار وهو الواحد القهار لا رب سواه

### ١٣ (فصل في قصور أهل البادية عن سكنى المصر الكثير العمران)

والسبب في ذلك أن المصر الكثير العمران يكثر ترفه كما قدمناه وتكثر حاجات ساكنه من أجل الترف وتعتاد تلك الحاجات لما يدعوا إليها فتقلب ضرورات وتصير فيه الأعمال كلها مع ذلك عزيزة والمرافق غالية بازدهام الأغراض عليها من أجل الترف وبالمغارم السلطانية التي توضع على الأسواق والبياعات وتعتبر في قيم المبيعات ويعظم فيها الغلاء في المرافق والاقوات والأعمال فتكثر لذلك نفقات ساكنه كثرة بالغلة على نسبة عمرانها ويعظم خرجه فيحتاج حينئذ إلى المال الكثير للنفقة على نفسه وعياله في ضرورات عيشهم وسائر مؤنهم والبدوى لم يكن دخله كثيرا إذا كان ساكنا فكان كاسدا للأسواق في الأعمال التي هي سبب الكسب فلم يتأهل كسبا ولا مالا فيستعذر عليه من أجل ذلك سكنى المصر الكبير لغلاء مرافقه وعزلة حاجاته وهو في بدو يسد خلته بأقل الأعمال لأنه قليل عوائد الترف في معاشه وسائر مؤناته فلا يضطر إلى المال وكل من يشوف إلى المصر وسكاكته من أهل البادية فسريع ما يظهر عجزه ويقتضخ في استبطائه الأمن يقدم منهم تأهل المال ويحصل له منه فوق الحاجة ويجري إلى الغاية الطبعية لأهل العمران من الدعة والترف حينئذ ينتقل إلى المصر وينتظم حاله مع أحوال أهله في عوائدهم وترفعهم وهكذا شأن بادية عمران الامصار والله بكل شيء محيط

### ١٤ (فصل في أن الاقطار في اختلاف احوالها بالرف والفق مثل الامصار)

(اعلم) أن ما توفّر عمرانها من الاقطار وتعددت الامم في جهاتها وكثرت ساكنة اتسعت أحوال أهلها وكثرت أموالهم وأمصارهم وعظمت دولهم وممالكهم \* والسبب في ذلك كله ما ذكرناه من كثرة الأعمال وما ساقى ذكره من أنها سبب للثروة بما يفضل عنها بعد الوفاء بالضروريات في حاجات الساكن من الفضلة البالغة على مقدار العمران وكثرته فيعود على الناس كسباية ثلونه حسب ما ذكرنا في فصل المعاش وبيان الرزق والكسب فيزيد الرفة لذلك وتتسع الأحوال ويحجب الترف والغنى وتكثر الجباية للدولة بتفاق الأسواق فيكثر مالها ويشمخ سلطانها وتفنن في اتخاذ المعامل والحصون



واجتطاط المدن وتشيد الامصار \* واعتبر ذلك بأقطار المشرق مثل مصر والشام  
وعراق العجم والهند والصين وناحية الشمال كلها وأقطارها وراء البحر الرومي لما  
كثر عمرانها كيف كثر المال فيهم وعظمت دولتهم وتعددت مدنهم وحواضرهم  
وعظمت متاجرهم وأحوالهم فالذي نشاهده لهذا العهد من أحوال تجار الامم  
النصرانية الواردين على المسلمين بالمغرب في رفاههم واتساع أحوالهم أكثر من أن  
يحيط به الوصف وكذا تجار أهل المشرق وما يبلغنا عن أحوالهم وأبلغ منها أحوال  
أهل المشرق الأقصى من عراق العجم والهند والصين فإنه يبلغنا عنهم في باب الغنى  
والرفه غرائب تسير الركان بحديثها وورعها تتلقى بالانكار في غالب الامر ويحجب من  
سمعها من العمامة أن ذلك لزيادة في أموالهم أولان المعادن الذهبية والفضية أكثر  
بأرضهم أولان ذهب الاقدمين من الامم استأثروا به دون غيرهم وليس كذلك فعند  
الذهب الذي نعرفه في هذه الاقطار انما هو من بلاد السودان وهي الى المغرب أقرب  
وجميع ما في أرضهم من البضاعة فائما يجلبونه الى غير بلادهم للتجارة فلو كان المال  
عند اموفور الذين لما جلبوا بضائعهم الى سواهم يتغنون بها الاموال ولا يستغنوا  
عن أموال الناس بالجملة \* ولقد ذهب المنجمون لما رأوا مثل ذلك واستغربوا ما في  
المشرق من كثرة الاحوال واتساعها ووفور أموالها فقالوا بأن عطايا الكواكب  
والسهم في مواليد أهل المشرق أكثر منها حصصا في مواليد أهل المغرب وذلك  
صحيح من جهة المطابقة بين الاحكام النجومية والاحوال الارضية كما قلناه وهم انما  
أعطوا في ذلك السبب النجمي وبقي عليهم أن يعطوا السبب الارضي وهو ما ذكرناه  
من كثرة العمران واختصاصه بأرض المشرق وأقطاره وكثرة العمران تفيد كثرة  
الكسب بكثرة الاعمال التي هي سببه فلذلك اختص المشرق بالرفه من بين الآفاق  
لأن ذلك لجزء الاثر النجمي فقد فهمت مما أشيرنا لك أولا أنه لا يستقل بذلك وأن  
المطابقة بين حكمه وعمران الارض وطبيعتها أمر لا بد منه \* واعتبر حال هذا  
الرفه من العمران في قطر افريقية وبرقة لما خف سكنها وتناقص عمرانها كيف تلاشت  
أحوال أهلها وانتهوا الى الفقر والخصاصة وضعفت جباياتها فقلت أموال دولها  
بعد أن كانت دول الشيعة وصنهاجة به اعلى ما بلغ من الرفه وكثرة الجبايات واتساع  
الاحوال في نفقاتهم وأعطيائهم حتى لقد كانت الاموال ترفع من القبروان الى  
صاحب مصر حاجاته ومهماته وكانت أموال الدولة بحيث جعل جوهر الكاتب في  
سفره الى فتح مصر ألف حمل من المال يستعدها لارزاق الجنود واعطيائهم ونفقات  
الغزاة وقطر المغرب وان كان في القديم دون افريقية فلم يكن بالقليل في ذلك وكانت

أحواله في دول الموحدين متسعة وجباياته موفورة وهو لهذا العهد قد أقصر عن ذلك  
لقصور العمران فيه وتناقصه فقد ذهب من عمران البربر فيه أكثره ونقص عن معهوده  
نقصا ظاهرا محسوسا وكاد أن يلحق في أحواله بمثل أحوال افريقية بعد أن كان عمرانها  
متصلا من البحر الرومي الى بلاد السودان في طول ما بين السوس الأقصى وبرقة وهي  
اليوم كلها وأزك كثرها قفار وخلاء وصحارى الاماها ومنها بسيف البحر وما يقاربها  
من التلول والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

١٥ (فصل في تأمل العقار والضياع في الامصار وحال فوائدها ومنغلاتها)

(اعلم) أن تأمل العقار والضياع الكثيرة لاهل الامصار والمدن لا يكون دفعة واحدة  
ولا في عصر واحد اذ ليس يكون لاحد منهم من الثروة ما يملك به الاملاك التي تخرج قيمها  
عن الحد ولو بلغت أحوالهم في الرفه ما عسى أن تبلغ وانما يكون ملكهم وتأملهم لها  
تدرجيا اما بالوراثة من آباءه وذوي رحمه حتى تتأدى أملاك الكثيرين منهم الى الواحد  
وأكثر ذلك أو أن يكون بحواله الاسواق فان العقار في آخر الدولة وأول الاخرى  
عند فناء الحامية وخرق السياج وتداعى المصر الى الخراب تقل الغبطة به لقله المنفعة  
فيها تلاشى الاحوال فترخص قيمها وتتملك بالانحسار اليسيرة وتختل بالميراث الى ملك  
آخر وقد استجد المصر شبابه باستفحال الدولة الثانية وانتظمت له أحوال رائقة حسنة  
تحصل معها الغبطة في العقار والضياع لكثرة منافعها حينئذ فتمت قيمها ويكون  
لها خطر لم يكن في الاول وهذا معنى الحواله فيها وبصريح ما لكها من أغنى أهل المصر  
وليس ذلك بسعيه واكتسابه اذ قدرته تعجز عن مثل ذلك \* وأما فوائد العقار  
والضياع فهي غير كافية لما لكها في حاجات معاشه اذ هي لا تفي بعوائد الترف وأسبابه  
وانما هي في الغالب لسد الخلة ونمرونة المعاش والذي سمعناه من مشيخة البلدان  
أن القصد باقتناء الملك من العقار والضياع انما هو الخشية على من يترك خلفه من  
الذرية الضعفاء ليكون مرباهم به ورزقهم فيه ونشؤهم بفائدته ماداموا عاجزين عن  
الاكتساب فاذا اقتدروا على تحصيل المكاسب سعوا فيها بأنفسهم وربما يكون من  
الولد من يعجز عن التكسب لضعف في بدنه أو آفة في عقله المعاشي فيكون ذلك العقار  
قواما لحاله هذا قصد المترفين في اقتنائه وأما القول منه واجراء أحوال المترفين فلا  
وقد يحصل ذلك منه للقليل أو النادر بحواله الاسواق وحصول الكثرة البالغة منه  
والعالى في جنسه وقيمه في المصر الا أن ذلك اذا حصل ربما امتدت اليه أعين الامراء  
والولاة واعتصبوه في الغالب أو أرادوه على بيعه منهم ونالت أصحابه منه مضار



ومعاطب والله غالب على أمره وهو رب العرش العظيم

### ١٦ (فصل في حاجات المتولين من اهل الامصار الى الجاه والمدافعة)

وذلك أن الحضري إذا عظم ماله وكثر العقار والضياع تأله وأصبح أغنى أهل المصر ورمقه العيون بذلك وانفسحت أحواله في الترف والعوائد زاحم عليها الامراء والملوك وغصوبه وبما في طباع البشر من العدوان تمتد أعينهم الى تلك ما بيده وينافسون فيه ويحيلون على ذلك بكل ممكن حتى يحصلونه في ربة حكم سلطاني وسبب من المواخذة ظاهر ينتزع به ماله وأكثرا الاحكام السلطانية جائرة في الغالب اذا العدل المحض انما هو في الخلافة الشرعية وهي قليلة اللبث قال صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تعود ملكا عضوا فلا بد حينئذ لصاحب المال والثروة الشهيرة في العمران من حامية تدود عنه وجهه يتسحب عليه من ذى قرابة للملك أو خالصة له أو عصبية يتحماها السلطان فيستظل بظلمها ويرتفع في أنفها من طوارق التعدي وان لم يكن لذلك أصبح نهبا بوجوه التحيلات وأسباب الحكام والله يحكم لامعقب الحكمة

### ١٧ فصل في ان الحضارة في الامصار من قبل الدول وانما ترسخ باتصال الدولة ورسوخها

والسبب في ذلك أن الحضارة هي أحوال عادية زائدة على الضروري من أحوال العمران زيادة تتفاوت بتفاوت الرفه وتفاوت الامم في القلة والكثرة وتفاوتها غير منحصرة تقع فيها عند كثرة التفنن في أنواعها وأصنافها فتكون بمنزلة الصنائع ويحتاج كل صنف منها الى القومة عليه والمهارة فيه وبقدر ما يتزايد من أصنافها تتزايد أهل صناعتها ويتلون ذلك الجليل بها ومتى اتصلت الايام وتعاقبت تلك الصناعات حذق أولئك الصنائع في صناعتهم ومهروا في معرفتها والاعصار بطولها وانفساح أمددها وتكرير أمثالها تزايدت استحكاما ورسوخا وأكثر ما يقع ذلك في الامصار لاستبحار العمران وكثرة الرفه في أهلها وذلك كله انما يجي من قبل الدولة لان الدولة تجمع أموال الرعيمة وتنفعها في بطانتها ورجالها وتسع أحوالهم بالجاه أكثر من اتساعها بالمال فيكون دخل تلك الاموال من الرعايا وخرجها في أهل الدولة ثم فيمن تعلق بهم من أهل المصر وهم الأكثر فتعظم لذلك ثروتهم ويكثر غناهم وتزيد عوائد الترف ومذاهبه وتستحسبهم الصنائع في سائر فنونه وهذه هي الحضارة ولهذا تجد الامصار التي في القاصية ولو كانت موفورة العمران تغلب عليها أحوال البداوة وتبعد عن الحضارة في جميع مذاهبها بخلاف المدن المتوسطة في الاقطار التي هي مركز الدولة

ومقرها وما ذاك الا المجاورة السلطان لهم وفيض أمواله فيهم كالماء يخضر ما قرب منه فاقرب من الارض الى أن ينتهي الى الجحوف على البعد وقد من أن السلطان والدولة سوق للعالم فالصنائع كلها موجودة في السوق وما قرب منه واذا بعدت عن السوق افتقدت الصنائع جملة ثم انه اذا اتصلت تلك الدولة وتعاقب ملوكها في ذلك المصر واحد بعد واحد استحكمت الحضارة فيهم وزادت رسوخا واعتبر ذلك في اليهود لما طال ملكهم بالشام نحو من ألف وأربعمائة سنة رسخت حضارتهم وحذقوا في أحوال المعاش وعوائده والتفنن في صناعاته من المطاعم والملابس وسائر أحوال المنزل حتى انهم اتخذ عنهم في الغالب الى اليوم ورسخت الحضارة أيضا وعوائدها في الشام منهم ومن دولة الروم بعدهم ستمائة سنة فكانوا في غاية الحضارة \* وكذلك أيضا القبط دام ملكهم في الخليفة ثلاثة آلاف من السنين فرسخت عوائد الحضارة في بلادهم مصر وأعقبهم بها ملك اليونان والروم ثم ملك الاسلام الناسخ للكل فلم تزل عوائد الحضارة بهما متصلة وكذلك أيضا رسخت عوائد الحضارة باليمن لاتصال دولة العرب بهما منذ عهد العمالة والتبابعة آلاف من السنين وأعقبهم ملك مصر وكذلك الحضارة بالعراق لاتصال دولة البسط والفرس بهما من لدن الكلدانيين والسكانية والكسروية والعرب بعدهم آلاف من السنين فلم يكن على وجه الارض لهذا العهد أحضر من أهل الشام والعراق ومصر وكذلك أيضا رسخت عوائد الحضارة واستحكمت بالاندلس لاتصال الدولة العظيمة فيها للقوط ثم ما أعقبهم من ملك بني أمية آلاف من السنين وكثرت الدولتين عظمية فاتصلت فيها عوائد الحضارة واستحكمت \* وأما إفريقية والمغرب فلم يكن بها قبل الاسلام ملك ضخم انما قطع الافرنجة الى افريقية البحر وملكوا الساحل وكانت طاعة البربر أهل الضاحية لهم طاعة غير مستحكمة فكانوا على قلعة وأقار وأهل المغرب لم تجاورهم دولة وانما كانوا يعنون بطاعتهم الى القوط من وراء البحر ولما جاء الله بالاسلام وملك العرب إفريقية والمغرب لم يلبث فيهم ملك العرب الا قليلا أول الاسلام وكانوا لذلك العهد في طور البداوة ومن استقر منهم بإفريقية والمغرب لم يجد بهما من الحضارة ما يقلد فيه من سلفه اذ كانوا ابرار منغمسين في البداوة ثم انتفض برابرة المغرب الاقصى لا قرب العهد على يد ميسرة المطفري أيام هشام بن عبد الملك ولم يراجعوا أمر العرب بعد واستقلوا بأمر أنفسهم وان يابغوا لا دريس فلا تعدد دولته فيهم عربية لان البرابرة هم الذين تولوها ولم يكن من العرب فيها كثير عدو بقيت إفريقية للأغلبة ومن اليهم من العرب فكان لهم من الحضارة بعض الشيء بما حصل لهم من ترف الملك ونعيمه وكثرة عمران القيروان



وورث ذلك عنهم كرامة ثم صنهاجة من بعد هم وذلك كله قليل لم يبلغ أربع مائة سنة وانصرفت دولتهم واستحالت صبغة الحضارة بما كانت غير مستحكمة وتغلب بدو العرب الهلاليين عليها وخربوها وبقى أثر خفي من حضارة العمران فيها وإلى هذا العهد يؤنس فيمن سلفه بالقلعة أو القبة أو المهدية سلف فجدله من الحضارة في شؤون منزله وعوائده أحواله آثارا ملتبسة بغيرها يميزها الحضري البصري بها وكذا في أكثر أمصار إفريقيا وليس ذلك في المغرب وأمصار مرسوخ الدولة بافريقية أكثر أمدا منذ عهد الأغالبة والشيعة وصنهاجة وأما المغرب فاتقل اليه منذ دولة الموحدين من الاندلس حظ كبير من الحضارة واستحكمت به عوائدها بما كان لدولتهم من الاستيلاء على بلاد الاندلس وانتقل الكثير من أهلها اليهم طوعا وكرها وكانت من اتساع النطاق ما علمت فكان فيها حظ صالح من الحضارة واستحكمتها ومعظمها من أهل الاندلس ثم انتقل أهل شرق الاندلس عند جالية النصارى إلى إفريقيا فأبقوا فيها وبأمصارها من الحضارة آثارا ومعظمها بتونس امتزجت بحضارة مصر وما ينقله المسافرون من عوائدها فكان بذلك للمغرب وإفريقية حظ صالح من الحضارة عني عليه الخلاء ورجع على أعقابهم وعاد البربر بالمغرب إلى أديانهم من البداوة والخشونة وعلى كل حال فآثار الحضارة بإفريقية أكثر منها بالمغرب وأمصار ملاتد أول فيها من الدول السالفة أكثر من المغرب ولقرب عوائدهم من عوائد أهل مصر بكثرة المترددين بينهم \* ففتن لهذا السرفانه خفي عن الناس واعلم أنها أمور متناسبة وهي حال الدولة في القوة والضعف وكثرة الأمة أو الجليل وعظم المدينة أو المصرو كثرة النعمة واليسار وذلك أن الدولة والملك صورة الخليقة والعمران وكلها مادة لها من الرعايا والأمصار وسائر الأحوال وأموال الجباية عائدة عليهم ويسارهم في الغالب من أسواقهم ومتاجرهم وإذا أقاض السلطان عطاءه وأمواله في أهلها انبث فيهم ورجعت إليه ثم اليهم منه فهي ذاهبة عنهم في الجباية والخراج عائدة عليهم في العطاء فعلى نسبة حال الدولة يكون يسار الرعايا وعلى نسبة يسار الرعايا وكثرتهم يكون مال الدولة وأعماله كله العمران وكثرته فاعتبره وتأمله في الدول تجده والله يحكم لا معقب لحكمه

١٨ (فصل في أن الحضارة غاية العمران ونهاية العمران وإنما مؤذنة بفساده)

قد بينا لك فيما سلف أن الملك والدولة غاية للعصبية وأن الحضارة غاية للبداوة وأن العمران كله من بداوة وحضارة وملك وسوقه له عمر محسوس كما أن للشخص الواحد من أشخاص المكونات عمرا محسوسا وتبين في المعقول والمنقول أن الأربعين

للإنسان غاية في ترديد قواه ونموها وأنه إذا بلغ سن الأربعين وقفت الطبيعة عن أثر النشوء والنمو برهة ثم تأخذ بعد ذلك في الانحطاط فاعلم أن الحضارة في العمران أيضا كذلك لأنه غاية لا مزيد وراءها وذلك أن الترف والنعمة إذا حصل لاهل العمران دعاهم بطبعه إلى مذاهب الحضارة والتخلق بعوائدها والحضارة كما علمت هي التفتن في الترف واستجداء أحواله والكلف بالصنائع التي تؤتى من أصنافه وسائر فنونه من الصنائع المهمة للمطابخ أو الملابس أو المباني أو الفرش أو الآنية ولسائر أحوال المنزل وللتأنيق في كل واحد من هذه صنائع كثيرة لا يحتاج إليها عند البداوة وعدم التأنيق فيها وإذا بلغ التأنيق في هذه الأحوال المنزلية الغاية تبعه طاعة الشهوات فتتلون النفس من تلك العوائد بألوان كثيرة لا يستقيم حالها معها في دينها ولا دنياها أما دينها فلا تستحکم صبغة العوائد التي يعسر نزاعها وأما دنياها فلكثرة الحاجات والمؤنات التي تطالب بها العوائد ويجوز الكسب عن الوفاء بها \* ويأباه أن المصير بالتفتن في الحضارة تعظم نفقات أهلها والحضارة تتفاوت بتفاوت العمران فتي كان العمران أكثر كانت الحضارة أكثر وقد كنا قد علمنا أن المصير الكثير العمران يختص بالغلاء في أحواله وأسعار حاجته ثم تزيد المكوس غلاء لأن الحضارة إنما تكون عند انتهاء الدولة في استفعالها وهو زمن وضع المكوس في الدول لكثرة خرجها حينئذ كما تقدم والمكوس تعود على البياعات بالغلاء لأن السوق والتجار كلهم يحتسبون على سلعتهم وبضائعهم جميع ما ينفقونه حتى في مؤنة أنفسهم فيكون المكس لذلك دخلا في قيم البياعات وأثمانها فتعظم نفقات أهل الحضارة وتخرج عن القصد إلى الإسراف ولا يجدون وليجة عن ذلك لما ملكتهم من أثر العوائد وطاعتها وتذهب مكاسبتهم كلها في النفقات ويتابعون في الاملاق والخصاصة ويغلب عليهم الفقر ويقل المستامون للمبايع فتكسد الأسواق ويفسد حال المدينة وداعية ذلك كله إفراط الحضارة والترف وهذه مفسدات في المدينة على العموم في الأسواق والعمران وأما فساد أهلها في ذاتهم واحدا واحدا على الخصوص فن الكد والتعب في حاجات العوائد والتلون بألوان اشرفي تحصيلها وما يعود على النفس من الضرر بعد تحصيلها بحصول لون آخر من ألوانها فلذلك يكثر منهم الفسق والشر والسفينة والتحميل على تحصيل المعاش من وجهه ومن غير وجهه وتنصرف النفس إلى الفسق في ذلك والغوص عليه واستجماع الحيلة له فتجدهم أجرياء على الكذب والمقامرة والغش والخلابة والسرقة والفجور في الإيمان والربا في البياعات ثم تجدهم أبه مر بطرق الفسق ومذاهبه والمجاهرة به وبدواعيه واطراح الخشمة في الخوض فيه حتى بين الأقارب



وذوى المحارم الذين تقتضى البداوة الحياء منهم في الاقتداع بذلك وتجدهم أيضا أبصر  
بالمكر والخديعة يدفعون بذلك ما عساه ينالهم من القهر وما يتوقعونه من العقاب  
على تلك القبائح حتى يصير ذلك عادة وخلقالا كثرهم الامن عصمه الله ويموج بحر  
المدينة بالسفلة من أهل الأخلاق الذميمة ويجاريهم فيها كثير من ناشئة الدولة  
وولدانهم من أهل عن التأديب وغلب عليه خلق الجوار وان كانوا أهل أنساب  
وبيوتات وذلك أن الناس بشر متماثلون وانما تفاضلوا وتميزوا بالخلق واكتساب  
الفضائل واجتناب الرذائل فن استحكمت فيه صبغة الرذائل باى توجه كان وفسد  
خلق الخريف لم ينفعه زكاه نسبه ولا طيب منبته ولهذا تجد كثيرا من أعقاب البيوت  
وذوى الاحساب والاصالة وأهل الدول منظر حين في الغمار من تحلين للعرف الدينية في  
معاشهم بما فسد من أخلاقهم وما تلونوا به من صبغة الشر والسفسفة واذا كثر ذلك  
في المدينة أو الامة تأذن الله بخرابها وانقرضها وهو معنى قوله تعالى واذا أردنا أن  
نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسدوا فيها الحق عليها القول فدمرناها تدميرا \* ووجهه حينئذ  
أن مكاسبهم حينئذ لا تفي بحاجاتهم كثرة العوائد ومطالبة النفس بما افلاستقيم  
أحوالهم واذا فسدت أحوال الاشخاص واحدا واحدا اختل نظام المدينة وخربت  
وهذا معنى ما يتوله بعض أهل الخواص ان المدينة اذا كثرت فيها غرس النارنج  
تأذنت بالخراب حتى ان كثيرا من العامة يتحاشى غرس النارنج بالدور وليس المراد ذلك  
ولا أنه خاصية في النارنج وانما معناه أن البساتين واجراء المياه هو من توابع الحضارة  
ثم ان النارنج والليم والسرور وأمثال ذلك مما لا طعم فيه ولا منفعة هو من غاية الحضارة  
اذ لا يقصد بهما في البساتين الأشكال فقط ولا تغرس الا بعد التفنن في مذاهب الترف  
وهذا هو الطور الذي يخشى معه هلاك المصر وخرابه كما قلناه ولقد قيل مثل ذلك في  
الدفل وهو من هذا الباب اذا دفل لا يقصد بهما الاتلون البساتين بنورهما ما بين أحر  
وأبيض وهو من مذاهب الترف \* ومن مفاصد الحضارة الانهـمـال في الشهوات  
والاسترسال فيها الكثرة لترف فيقع التفنن في شهوات البطن من المأكـل والملاذ  
ويتبع ذلك التفنن في شهوات الفرج بأنواع المناكح من الزنا واللواط فيفضي ذلك  
الى فساد النوع اما بواسطة اختلاط الانساب كما في الزنا فيجـهـل كل واحد به اذ  
هو غير رشدة لان المبادى مختلطة في الارحام فتفقد الشفقة الطبيعية على البنين والقيام  
عليهم فيملكون ويؤدى ذلك الى انقطاع النوع أو يكون فساد النوع كاللواط اذ هو  
يؤدى الى أن لا يوجد النوع والزنا يؤدى الى عدم ما يوجد منه ولذلك كان مذهب  
مالك رحمه الله في اللواط أظهر من مذهب غيره ودل على أنه أبصر بمقاصد الشريعة

واعتبارها للمصالح فافهم ذلك واعتبر به أن غاية العمران هي الحضارة والترفع وأنه  
اذا بلغ غايته انقلب الى الفساد وأخذ في الهرم كالاعمار الطبيعية للحيوانات بل نقول  
ان الاخلاق الحاصلة من الحضارة والترفع هي عين الفساد لان الانسان انما هو انسان  
باقدماره على جلب منافعه ودفع مضاره واستقامة خلقه للسعي في ذلك والحضري  
لا يقدر على مباشرة حاجاته اما عجزا لما حصل له من الدعة أو ترفعاً لما حصل له من المربي  
في النعيم والترفع وكلا الامرين ذميم وكذا لا يقدر على دفع المضار واستقامة  
خلق السعي في ذلك والحضري بما قد فسد من خلق الانسان بالترف والنعيم في قهر  
التأديب فهو بذلك عيال على الحامية التي تدافع عنه ثم هو فاسد أيضا غالبا فاسدت  
منه العوائد وطاعتها وما تلونت به النفس من مكانتها كما قررناه الا في الاقل النادر واذا  
فسد الانسان في قدرته على أخلاقه ودينه فقد فسدت انسانيته وصار مسجعا على الحقيقة  
وبهذا الاعتبار كان الذين يترهبون على الحضارة وخلقها موجودين في كل دولة فقهدين  
أن الحضارة هي سن الوقوف لعمر العالم في العمران والدولة والله سبحانه وتعالى كل  
يوم هو في شأن لا يشغله شأن عن شأن

١٩ (نصل في ان الامصار التي تكون كراسي للملك تخرب بحراب الدولة وانتقاضها)

قد استقرينا في العمران أن الدولة اذا اختلت وانتقضت فان المصر الذي يكون  
كرسيا لسلطانها ينتقض عمرانه وورعما ينتهي في انتقاضه الى الخراب ولا يكاد ذلك  
يتخلف والسبب فيه أمور \* (الاول) \* أن الدولة لا بد في أقوالها من البداوة المقتضية  
للتجاني عن أموال الناس والبعد عن التحذلق ويدعو ذلك الى تخفيف الجباية والمقارم  
التي منها مادة الدولة فتقل النفقات ويقصر الترف فاذا صار المصر الذي كان كرسيا  
للملك في ملكة هذه الدولة المتجددة ونقصت أحوال الترف فيها نقص الترف فحين  
تحت أيديها من أهل المصر لان الرعا تابع للدولة فيرجعون الى خلق الدولة اما طوعا  
لما في طباع البشر من تقليد متبوعهم أو كرها لما يدعوا اليه خلق الدولة من الانقباض  
عن الترف في جميع الاحوال وقلة القوائد التي هي مادة العوائد فتقصر لذلك حضارة  
المصر ويذهب منه كثير من عوائد الترف وهو معنى ما نقول في خراب مصر \* (الامر  
الثاني) \* أن الدولة انما يحصل لها الملك والاستيلاء بالغلب وانما يكون بعد العداوة  
والحروب والعداوة تقتضى منافاة بين أهل الدولتين وتكثر احداهما على الاخرى في  
العوائد والاحوال وغلب أحد المتنافيين يذهب بالمتنافي الاخر فتكون أحوال  
الدولة السابقة منكورة عند أهل الدولة الجديدة ومستهترة وقيحة وخصوصا أحوال



الترف فتفقد في عرفهم بغير الدولة لها حتى تشأ لهم بالتدريج عوائد أخرى من الترف فتكون عنها حضارة مستأنفة وفيما بين ذلك قصور الحضارة الأولى ونقصها وهو معنى اختلال العمران في مصر \* (الامر الثالث) \* أن كل أمة لا بد لأهلهم من وطن هو منشؤهم ومنه أولية ملكهم وإذا ملكوا ملكا آخر صار له الأول وأما مصر تابعة لامصار الأول واتسع نطاق الملك عليهم ولا بد من توسط الكرسي تخوم الممالك التي للدولة لأنه شبه المركز للنطاق فيبعد مكانه عن مكان الكرسي الأول وتهوى أفئدة الناس اليه من أجل الدولة والسلطان فينتقل اليه العمران ويخف من مصر الكرسي الأول والحضارة انما هي توفرا العمران كما قدمناه فتنقص حضارته وعقدته وهو معنى اختلاله وهذا كما وقع للسلجوقية في عدولهم بكرسيهم عن بغداد الى اصبهان وللعرب قبلهم في العدول عن المدائن الى الكوفة والبصرة ولبنى العباس في العدول عن دمشق الى بغداد ولبنى مرين بالمغرب في العدول عن مراكش الى فاس وبالجملة فاختار الدولة الكرسي في مصر يحل بعمران الكرسي الأول \* (الامر الرابع) \* أن الدولة الثانية لا بد فيهم من تبع أهل الدولة السابقة وأشباهها يتحول إليهم الى قطر آخر يؤمن فيه غائلتهم على الدولة وأكثر أهل مصر الكرسي أشباغ الدولة أما من الحامية الذين نزلوا به أول الدولة أو أعيان المصر لأن لهم في الغالب محاطة للدولة على طبقاتهم وتنوع أصنافهم بل أكثرهم ناشئ في الدولة فهم شبيعة لها وان لم يكونوا بالشوكة والعصية فهم بالليل والمحبة والعقيدة وطبيعة الدولة المتجددة محو آثار الدولة السابقة فينقلهم من مصر الكرسي الى وطنها المتمكن في ملكيتها فبعضهم على نوع التغرب والحبس وبعضهم على نوع الكرامة والتطف بحيث لا يؤدي الى النفرة حتى لا يبقى في مصر الكرسي الا الباعة والهمل من أهل الفلح والعبارة وسواد العامة وينزل مكانهم حاميتها وأشباهها من يشتد به المصر وإذا ذهب من مصر أعيانهم على طبقاتهم نقص ساكنه وهو معنى اختلال عمرانه ثم لا بد من أن يسجد عمران آخر في ظل الدولة الجديدة وتحصل فيه حضارة أخرى على قدر الدولة وانما ذلك بمثابة من له بيت على أوصاف مخصوصة فظهر من قدرته على تغيير تلك الأوصاف وإعادة بنائها على ما يختاره ويقترحه فيخرب ذلك البيت ثم يعيد بناءه ثانية وقد وقع من ذلك كثير في الامصار التي هي كراي للملك وشاهدناه وعلمناه والله يقدر الليل والنهار \* والسبب الطبيعي الأول في ذلك على الجملة أن الدولة والملك للعمران بمثابة الصورة للمادة وهو الشكل الحافظ بنوعه لوجودها وقد تقررت في علوم الحكمة أنه لا يمكن انكسار أحداهما عن الآخر فالدولة دون العمران لا تصور والعمران دون الدولة والملك متعذر لما في طباع البشر من

العدوان الداعي الى النزاع فتعين السياسة لذلك اما الشرعية أو الملكية وهو معنى الدولة وإذا كانا لا يتفكان فاختلال أحدهما مؤثر في اختلال الآخر كما أن عدمه مؤثر في عدمه والخلل العظيم انما يكون من خلل الدولة الكلية مثل دولة الروم أو الفرس أو العرب على العموم أو بني أمية أو بني العباس كذلك وأما الدولة الشخصية مثل دولة أنوشروان أو هرقل أو عبد الملك بن مروان أو الرشيد فاختصاصها متعاقبة على العمران حافظ لوجوده وبقائه وقرينة الشبه بعضهم من بعض فلا تؤثر كثيرا اختلال لأن الدولة بالحقيقة الفاعلة في مادة العمران انما هي العصية والشوكة وهي مستقرة على أشخاص الدولة فإذا ذهبت تلك العصية ودفعها عصية أخرى مؤثرة في العمران ذهبت أهل الشوكة بآجمعهم وعظم الخلل كما قررناه أولا والله سبحانه وتعالى أعلم

## ٢٠ (فصل في اختصاص بعض الامصار ببعض الصنائع دون بعض)

وذلك أنه من البين أن أعمال أهل مصر يستدعي بعضها بعضا لما في طبيعة العمران من التعاون وما يستدعي من الاعمال يختص ببعض أهل المصر فيقومون عليه ويستبصرون في صناعته ويختصون بوظيفته ويجعلون معاشهم فيه ورزقهم منه لعموم البلوى به في المصر والحاجة اليه وما لا يستدعي في المصر يكون غفلا اذا فائدة لم تحله في الاحتراف به وما يستدعي من ذلك لضرورة المعاش فيوجد في كل مصر كالحياط والحداد والنجار وأمثالها وما يستدعي لعوائد الترف وأحوالها فانما يوجد في المدن المستجيرة في العمارة الآخذة في عوائد الترف والحضارة مثل الزجاج والصانع والدهان والطباخ والصغار والفراش والذبايح وأمثال هذه وهي متفاوتة وبقدر ما تزيد عوائد الحضارة وتستدعي أحوال الترف تحدث صنائع لذلك النوع فتوجد بذلك المصر دون غيره ومن هذا الباب الحمامات لانها انما توجد في الامصار المستحضرة المستجيرة العمران لما يدعوا اليه الترف والغنى من النعم ولذلك لا تكون في المدن المتوسطة وان نزع بعض الملوك والرؤساء اليها فيختطها ويجري أحوالها الا أنها اذا لم تكن لها داعية من كافة الناس فسرعان ما تهجر وتخرب وتفرغ عنها القومة لقله فائدتهم ومعاشهم منها والله يقبض ويبسط

## ٢١ (فصل في وجود العصية في الامصار وتغلب بعضهم على بعض)

من البين أن الالتحام والاتصال موجود في طباع البشر وان لم يكونوا أهل نسب واحد الا انه كما قدمناه أضعف مما يكون بالنسب وأنه تحصل به العصية بعضا مما تحصل بالنسب وأهل الامصار كثير منهم ملتحمون بالصهر يجذب بعضهم بعضا الى أن يكونوا



للمجاهرة قرابة قرابة وتجدد بينهم من العداوة والصداقة ما يكون بين القبائل والعشائر  
مثله فيفترون شيعا وعصائب فاذا نزل الهرم بالدولة وتقلص ظل الدولة عن القاصية  
احتاج أهل أمصارها الى القيام على أمرهم والنظر في حمايتهم ورجعوا الى  
الشورى وتميز العلية عن السفلة والنفوس بطباعها متطاولا الى القلب والرياسة  
فتطمع المشيخة بخلا الجوع من السلطان والدولة القاهرة الى الاستبداد وبنازع كل  
صاحبه ويستوصلون بالاتباع من الموالي والشيعة والاحلاف ويذلون ما في أيديهم  
للاوغاد والاشاب فيعصو صب كل صاحبه ويتعين الغلب لبعضهم فيعطف على اكفائه  
ايقص من أعنتهم ويتبعهم بالقتل أو التفرير حتى يخضع منهم الشوكات النافذة  
ويقل الاطفا راخذشة ويستبدعصره أجمع ويرى أنه قد استحدث ملكا يورثه عقبه  
فيحدث في ذلك الملك الاصغر ما يحدث في الملك الاعظم من عوارض الجدة والهرم وديما  
يسمو بعض هؤلاء الى منازع الملوك الاعاظم أصحاب القبائل والعشائر والعصبيات  
والزخوف والحروب والاقطار والممالك فيتمتلون بهم من الجلوس على السرير  
واتخاذ الآلة واعداد المواكب للسير في اقطار البلد والتختم والحسيبة والخطاب  
بالتوكل ما يسخر منه من يشاهد أحوالهم لما يتخلوه من شارات الملك التي ليسوالها  
بأهل انما دفعهم الى ذلك تقلص الدولة والتمام بعض القربان حتى صارت عصية وقد  
يتزده بعضهم عن ذلك ويجري على مذهب السداجة فرار من التعريض بنفسه  
للسخرية والعبث وقد وقع هذا بفر يقية لهذا العهد في آخر الدولة الحفصية لاهل بلاد  
الجزيرة من طرابلس وقابس وتوزر ونقطة وقفصة وبسكرة والزاب وما الى ذلك سموا  
الى مثلها عند تقلص ظل الدولة عنهم منذ عقود من السنين فاستغلبوا على أمصارهم  
واستبدوا بأمرها على الدولة في الاحكام والجبابة وأعطوا طاعة معروفة وصفقة محرصة  
وأقطعوا جانباً من الملاينة والملاطفة والانقياد وهم يعزل عنه وأورثوا ذلك  
أعقابهم لهذا العهد وحدث في خلفهم من الغلظة والتجبر ما يحدث لأعقاب الملوك  
وخلفهم ونظموا أنفسهم في عداد السلاطين على قرب عهدهم بالسوقه حتى محاذلك  
مولانا أمير المؤمنين أبو العباس وانتزع ما كان بأيديهم من ذلك كما نذكره في أخبار  
الدولة وقد كان مثل ذلك وقع في آخر الدولة الصنهاجية واستقل بأمصاير الجزيرة  
أهلها واستبدوا على الدولة حتى انتزع ذلك منهم شيخ الموحدين وملكهم عبد المؤمن بن  
علي ونقلهم كاهم من أمارتهم بها الى المغرب ومحام تلك البلاد آثارهم كاند كرفي  
أخباره وكذا وقع بسببته لا خردولة بني عبد المؤمن وهذا التغلب يكون غالباً في أهل  
السروات والبيوتات المرشحين للمشيخة والرياسة في المصرو قد يحدث التغلب لبعض

السفلة من الغوغاء والدهماء واذا حصلت له العصية والاتهام بالاوغاد لاسباب يجزها  
له المقدار فتغلب على المشيخة والعلية اذا كانوا غا قدين للعصاة والله سبحانه وتعالى  
غالب على أمره

### (فصل في لغات أهل الامصار)

٢٢

(اعلم) أن لغات أهل الامصار انما تكون بلسان الامة أو الجليل الغالين عليها والمختطين  
لها ولذلك كانت لغات الامصار الاسلامية كلها بالمشرق والمغرب لهذا العهد عربية  
وان كان اللسان العربي المضري قد فسدت ملكته وتغير اعرابه والسبب في ذلك  
ما وقع للدولة الاسلامية من الغلب على الامم والدين والملة صورة للوجود والملك  
وكلها موادله والصورة مقدمة على المادة والدين انما يستفاد من الشريعة وهي  
بلسان العرب لما أن النبي صلى الله عليه وسلم عربي فوجب هجر ما سوى اللسان  
العربي من الألسن في جميع ممالكها واعتبر ذلك في نهى عمر رضي الله عنه عن  
بطانة الاعاجم وقال انها خب أي مكر وخديعة فلما هجر الدين اللغات الاجمية  
وكان لسان القائلين بالدولة الاسلامية عربيا هجرت كلها في جميع ممالكها لان الناس  
تبع للسلطان وعلى دينه فصار استعمال اللسان العربي من شعار الاسلام وطاعة  
العرب وهجر الامم لغاتهم وألسنتهم في جميع الامصار والممالك وصار اللسان العربي  
لسانهم حتى رسخ ذلك لغة في جميع أمصارهم ومدنهم وصارت الاسنة العجمية دخيلة  
فيها وغربية ثم فسد اللسان العربي بمخالطتهم في بعض أحكامه وتغيراً واخره وان كان  
بقي في الدلالات على أصله وسمى لساناً حضرياً في جميع أمصار الاسلام وأيضاً أكثر  
أهل الامصار في الملة لهذا العهد من أعقاب العرب المالكين لها الهالكين في ترفها  
بما كثر العجم الذين كانوا يهاوون وأرضهم وديارهم واللغات متوارثة فبقيت  
لغة الأعقاب على حيال لغة الآباء فان فسدت أحكامها بمخالطة الأعاجام شيئاً  
وسميت لغتهم حضرية منسوبة الى أهل الحواضر والامصار بخلاف لغة البدو من  
العرب فانها كانت أعرق في العروبية ولم تملك العجم من الديلم والسجوقية بعدهم  
بالمشرق وزناتة والبربر بالمغرب وصار لهم الملك والاستيلاء على جميع الممالك الاسلامية  
فسد اللسان العربي لذلك وكاد يذهب لولا ما حفظه من عناية المسلمين بالكتاب والسنة  
الذين بهما حفظ الدين وصار ذلك مرجحاً لبقاء اللغة العربية المضرية من الشعر  
والكلام الا قليلاً بالامصار فلما ملك التترو والمغل بالمشرق ولم يكونوا على دين الاسلام  
ذهب ذلك المرح وفسدت اللغة العربية على الاطلاق ولم يبق لها رسم في الممالك



الاسلامية بالعراق وخراسان وبلاد فارس وأرض الهند والسند وما وراء النهر وبلاد الشمال وبلاد الروم وذهبت أساليب اللغة العربية من الشعر والكلام الاقليل لا يقع تعليمه صناعات بالقوانين المتداولة من كلام العرب وحفظ كلامهم بأن يسره الله تعالى لذلك وربعاً بقيت اللغة العربية المضربة بمصر والشام والاندلس والمغرب لبقاء الدين طلباً لها فاحتفظت ببعض الشيء وأما في ممالك العراق وما وراءه فلم يبق له أثر ولا عين حتى أن كتب العلوم صارت تكتب باللسان العجمي وكذا تدريسه في المجالس والله أعلم بالصواب

### (المسئل الخامس من الكتاب الاول)

في المعاش ووجهه من الكسب والصنائع وما يعرض في ذلك كله من الاحوال وفيه مسائل

(فصل) في حقيقة الرزق والكسب وشرحهما وأن الكسب هو قيمة الاعمال البشرية \* اعلم أن الانسان مفقود بالطبع الى ما يقوته وسموه في حالته وأطوارهم من لدن نشوءه الى أشده الى كبره والله الغني وأنتم الفقراء والله سبحانه خلق جميع ما في العالم للانسان وامتن به عليه في غير ما آتاه من كآبه فقال وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعاً وسخر لكم البحر وسخر لكم الفلك وسخر لكم الانعام وكثير من شواهد ويد الانسان مبطونة على العالم وما فيه بما جعل الله له من الاستخلاف وأيدى البشر منتشرة فهي مشتركة في ذلك وما حصل عليه يد هذا امتنع عن الآخر الابعوض فالانسان متى اقتدر على نفسه وتجاوز طور الضعف سعى في اقتناء المكاسب لينفق ما آتاه الله منها في تحصيل حاجاته وضروراته بدفع الاعراض عنها قال الله تعالى فابتغوا عند الله الرزق وقد يحصل له ذلك بغرسه كالطير المصلح للزراعة وأمثاله الا أنها انما تكون معينة ولا بد من سعيه معها كما يأتي فتكون له تلك المكاسب معاشاً ان كانت بمقدار الضرورة والحاجة ورياشاً ومتولاً ان زادت على ذلك ثم ان ذلك الحاصل أو المقتنى ان عادت منفعة على العبد وحصلت له ثمرة من انفاقه في مصالحه وحاجاته سمي ذلك رزقاً قال صلى الله عليه وسلم انما لك من مالك ما أكلت فأفنت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت وان لم يتق به في شيء من مصالحه ولا حاجاته فلا يسمى بالنسبة الى المالك رزقاً والمالك منه حيث يسعي العبد وقد ربه يسمى كسباً وهذا مثل التراث فانه يسمى بالنسبة الى المالك كسباً ولا يسمى رزقاً اذ لم يحصل به منفعة وبالنسبة الى الوارثين متى انتفعوا به يسمى رزقاً هذا حقيقة مسمى الرزق عند أهل السنة وقد اشترط المعتزلة في تسميته رزقاً أن يكون بحيث يصح تملكه وما لا يملك عندهم لا يسمى رزقاً وأخرجوا

الغصوبات والحرام كله عن أن يسمى شيء منها رزقاً والله تعالى يرزق الغاصب والظالم والمؤمن والكافر ويخصص برحمته وهدايته من يشاء وأهم في ذلك حجج ليس هذا موضع بسطها \* ثم اعلم أن الكسب انما يكون بالسعي في الاقتناء والقصد الى التحصيل فلا بد في الرزق من سعي وعمل ولو في تناوله وابتغائه من وجوهه قال تعالى فابتغوا عند الله الرزق والسعي اليه انما يكون باقدار الله تعالى والهامه فالكسب من عند الله فلا بد من الاعمال الانسانية في كل مكسوب ومتمول لانه ان كان عملاً بنفسه مثل الصنائع فظاهر وان كان مقتنى من الحيوان والنبات والمعدن فلا بد فيه من العمل الانساني كما تراء والالم يحصل ولم يقع به انتفاع ثم ان الله تعالى خلق الحجرين المعدنين من الذهب والفضة قيمة لكل متمول وهما الذخيرة والقنية لأهل العالم في الغالب وان اقتنى سواهما في بعض الاحيان فانتما هو لقصد تحصيلهما بما يقع في غيرهما من حوالة الاسواق التي هما عنها يعزل فهما أصل المكاسب والقنية والذخيرة \* واذا تقرر هذا كله فاعلم ان ما يفيد الانسان ويقتنيه من المتولات ان كان من الصنائع فالمتولد المقتنى منه قيمة عمله وهو القصد بالقنية اذ ليس هناك الا العمل وليس بمقصود بنفسه للقنية وقد يكون مع الصنائع في بعضها غير هام مثل التجارة والحياكة معهما الخشب والغزل الا أن العمل فيهما أكثر فقيته أكثر وان كان من غير الصنائع فلا بد في قيمة ذلك المضاد والقنية من دخول قيمة العمل الذي حصلت به اذ لولا العمل لم تحصل قنيته او قد تكون ملاحظة العمل ظاهرة في الكثير منها فتجعل له حصة من القيمة عظمت أو صغرت وقد تحتي ملاحظة العمل كما في أسعار الاقوات بين الناس فان اعتبار الاعمال وانفقات فيها ملاحظة في أسعار الحبوب كما قدمناه لكنه خفي في الاقطار التي علاج الفلح فيها وموته يسيرة فلا يشعر به الا القليل من أهل الفلح فقد بين ان المقادير والمكاسب كلها أو أكثرها انما هي قيم الاعمال الانسانية وتبين مسمى الرزق وانه المستفاد به فقديان معنى الكسب والرزق وشرح مسماهما \* واعلم أنه اذا فقدت الاعمال أو قلت بانتقاص العمر ان تأذن الله برفع الكسب ألا ترى الى الامصار القليلة الساكن كيف يقبل الرزق والكسب فيها ويفقد لقله الاعمال الانسانية وكذلك الامصار التي يكون عمرانها أكثر يكون أهلها أوسع أحوالاً وأشد رفاهية كما قدمناه قبل ومن هذا الباب تقول العائشة في البلاد اذا تناقص عمرانها انها قد ذهب رزقها حتى ان الانهار والعيون ينقطع جريها في القفر لما أن فور العيون انما يكون بالانبات والامتراء الذي هو بالعمل الانساني كالحال في ضروع الانعام فإلم يكن انبات ولا امتراء نصبت وغارت بالجملة كما يحجب الضرع اذا ترك امتراؤه وانظره



في البلاد التي تعهد فيها العميون لايام عمر انهم يأتى عليها الخراب كيف تغور رماهمها  
جمله كانوا لم تكن والله يقدر الليل والنهار

### ٢ (فصل في وجوه المعاش واصنافه ومذاهبه)

(اعلم) أن المعاش هو عبارة عن ابتغاء الرزق والسعي في تحصيله وهو مفعول من العيش  
كانه لما كان العيش الذي هو الحياة لا يحصل الا بهذه جعلت موضعا له على طريق  
المبالغة ثم ان تحصيل الرزق وسعيه اما ان يكون بأخذ من يد الغير وانتزاعه  
بالاقتدار عليه على قانون متعارف ويسعى مغرما وجباية واما ان يكون من الحيوان  
الوحشى باقتناصه وأخذ برمييه من البراء والبحر ويسمى اصطيادا واما ان يكون من  
الحيوان الداجن باستخراج فضوله المنصرفه بين الناس في منافعهم كالبن من الانعام  
والحرير من دوده والعسل من نحله أو يكون من النبات في الزرع والشجر بالقيام عليه  
واعداؤه لاستخراج ثمرته ويسمى هذا كله فلها واما ان يكون الكسب من الاعمال  
الانسانية اما في مواد معينة وتسمى الصنائع من كابة وتجارة وخياطة وحياسة  
وفرسية واما في ذلك أو في مواد غير معينة وهي جميع الامتيازات والتصرفات واما  
ان يكون الكسب من البضائع واعداؤها للاعواض اما بالتقلب بها في البلاد  
واحتكارها وارتقاب حواله الاسواق فيها ويسمى هذا تجارة فهذه وجوه المعاش  
واصنافه وهي معنى ما ذكره المحققون من أهل الادب والحكمة كالحرير وغيره فانهم  
قالوا المعاش اماره وتجارة وفلاحة وصناعة فاما الامارة فليست بعذبة طبيعية  
للمعاش فلا حاجة بنا الى ذكرها وقد تقدم شئ من احوال الجبايات السلطانية  
وأهلها في الفصل الثاني واما الفلاحة والصناعة والتجارة فهي وجوه طبيعية  
للمعاش أما الفلاحة فهي متقدمة عليها كلها بالذات اذ هي بسيطة وطبيعية فطرية  
لا تحتاج الى نظرو ولا علم ولهذا تنسب في الخليفة الى آدم أبي البشر وأنه معلمها واقام  
عليها اشارة الى أنها أقدم وجوه المعاش وانسبها الى الطبيعة واما الصنائع فهي  
ثانيها ومتأخرة عنها لانها مركبة وعلمية تصرف فيها الافكار والانتظار ولهذا لا توجد  
غالبا الا في أهل الحضرة الذي هو متأخر عن البدو وثان عنه ومن هذا المعنى نسبت الى  
ادريس الاب الثاني للخليفة فانه مستنبطها لمن بعده من البشر بالوحى من الله تعالى  
وأما التجارة وان كانت طبيعية في الكسب فالأكثر من طرقها ومذاهبها انما هي  
تحيلات في الحصول على ما بين القيمتين في الشراء والبيع لتحصل فائدة الكسب  
من تلك الفضلة ولذلك أباح الشرع فيه المكاسب لما أنه من باب المقامرة الا أنه ليس

أخذ المال الغير مجبانا فهذا اختص بالمشروعية

### ٣ (فصل في ان الخدمة ليست من المعاش الطبيعي)

اعلم أن السلطان لا يتلذذ من اتخاذ الخدمة في سائر أبواب الامارة والملك الذي هو وسيلة  
من الجندی والشرطي والكاتب ويستعمل في كل باب عن يعلم غناؤه فيه ويتكفل  
بأرزاقهم من بيت ماله وهذا كله مندرج في الامارة ومعاشها اذ كلهم ينسحب عليهم  
حكم الامارة والملك الاعظم هو ينبوع جدا ولهم وأما ما دون ذلك من الخدمة فسيها  
ان أكثر المترفين يترفع عن مباشرة حاجاته أو يكون عاجزا عنها لما ربي عليه من خلق  
التنعم والترفع فيتخذ من يتولى ذلك له ويقطعه عليه أجرا من ماله وهذه الحالة غير  
محمودة بحسب الرجولية الطبيعية للانسان اذ الثقة بكل أحد عجز ولانها تزيد في  
الوظائف والخرج وتدل على العجز والخس للذين ينبغي في مذهب الرجولية التزهد  
عنهما الا أن العواطف تقلب طباع الانسان الى ما لوفوا فهو ابن عوائد لا ابن نسبة  
ومع ذلك فالخدم الذي يستعمل في به ويوثق بغناؤه كالمفقود اذ الخديم القائم بذلك  
لا بعد وأربع حالات اما مضطلع بأمره وموثوق فيما يحصل بيده واما بالعكس فهما  
وهو أن يكون غير مضطلع بأمره ولا موثوق فيما يحصل بيده واما بالعكس في احدهما  
فقط مثل أن يكون مضطلعا غير موثوق أو موثوقا غير مضطلع فاما الاول وهو  
المضطلع الموثوق فلا يمكن أحد استعماله بوجه اذ هو باضطلاع وثقته غنى عن أهل  
الرتب الدينية ومحتمل لئلا الاجر من الخدمة لا قدره على أكثر من ذلك فلا يستعمله  
الا الامراء أهل الجاه العريض لعموم الحاجة الى الجاه واما الصنف الثاني وهو من  
ليس بضطلع ولا موثوق فلا ينبغي اعاقلة استعماله لانه يحجب بخدومه في الامرين معا  
فيضيع عليه لعدم الاصطناع تارة ويذهب ماله بالحيانة أخرى فهو على كل حال كل  
على ماله فهذان الصنفان لا يطمع أحد في استعمالهما ولم يبق الاستعمال الصنفين  
الاخرين موثوق غير مضطلع ومضطلع غير موثوق وللناس في الترجيح بينهما مذاهبان  
واحد من الترجيحين وجهه الا أن المضطلع ولو كان غير موثوق أرجح لانه يؤمن من  
تضييعه ويحاول على التحرز من خيائنه جهدا لا استطاعة واما المضطلع ولو كان مأمونا  
فضرره بالتضييع أكثر من نفعه فاعلم ذلك واتخذ قانونا في الاستكفاء بالخدمة والله  
سبحانه وتعالى قادر على ما يشاء

### ٤ (فصل في ان ابتغاء الاموال من الدنانير والكنوز ليس بمعاش طبيعي)

اعلم أن كثيرا من ضعفاء العقول في الامصار يحرمون على استخراج الاموال من تحت



الارض ويتغنون الكسب من ذلك ويعتقدون أن أموال الامم السالفة محتزنة كلها تحت الارض محتوم عليها كلها بطلاسم سحرية لا يفيض ختامها ذلك الامن عثر على علمه واستحضر ما يحمله من الجور والدعاء والقربان فأهل الامصار بافر يقية يرون أن الافرنجة الذين كانوا قبل الاسلام بها دفنوا أموالهم كذلك وأودعوها في الصحف بالكتاب الى أن يجدوا السبل الى استخراجها وأهل الامصار بالمشرق يرون مثل ذلك في أمم القبط والروم والفرس ويتناقلون في ذلك أحاديث تشبه حديث خرافة من انتهاء بعض الطالبين لذلك الى حفر موضع المال ممن لم يعرف طلسمه ولا خبره فيجدونه خاليا أو معمورا بالديدان أو يشاهد الاموال والجواهر موضوعة والحرس دونها منتضين سيوفهم أو تعيده الارض حتى يظنه خسقا أو يشل ذلك من الهدر ونجد كثيرا من طلبة البربر بالمغرب العاجزين عن المعاش الطبيعي وأسبابه يتقربون الى أهل الدنيا بالاوراق المتخزمة الخواشي اما بخطوط عجمية أو بما ترجم عنهم منها من خطوط أهل الدقائن باعطاء الامارات عليها في أماكتها يتغنون بذلك الرزق منهم بما يعثرونهم على الحفر والطلب ويموتون عليهم بأنهم انما جعلهم على الاستعانة بهم طلب الجاه في مثل هذا من منال الحكام والعقوبات وربما تكون عند بعضهم نادرة أو غريبة من الاعمال السحرية يقوم بها على تصديق ما بقي من دعواه وهو بمنزل عن السحر وطرقه فتولع كثير من ضعفاء العقول بجمع الايدي على الاحتفار والتترفيه بظلمات الليل مخافة الرقباء ويموتون أهل الدول فاذا لم يعثروا على شيء رذوا ذلك الى الجهل بالطلسم الذي ختم به على ذلك المال يخادعون به أنفسهم عن اخفاق مطامعهم والذي يحمل على ذلك في الغالب زيادة على ضعف العقل انما هو العجز عن طلب المعاش بالوجوه الطبيعية للكسب من التجارة والفلح والصناعة فيطلبونه بالوجوه المنحرفة وعلى غير المجرى الطبيعي من هذا وأمثاله عجزا عن السعي في المكاسب وركونا الى تناول الرزق من غير تعب ولا نصب في تحصيلة واكتسابه ولا يعلمون أنهم يوقعون أنفسهم بابتغاء ذلك من غير وجهه في نصب ومتاعب وجهه شديد أشد من الاول ويعرضون أنفسهم مع ذلك لمنال العقوبات وربما يحمل على ذلك في الاكثر زيادة الترف وعوائده وخروجهما عن حد النهاية حتى يقصر عنها وجوه الكسب ومذاهبه ولا تفي بطلابها فالعجز عن الكسب بالمجرى الطبيعي لم يجد وليجة في نفسه الا التمني لوجود المال العظيم دفعة من غير كلفة لئني له ذلك بالعوائد التي حصل في أسرها فيحرص على ابتغاء ذلك ويسعى فيه جهده ونهذافا أكثر من تراهم يحرصون على ذلك هم المترفون من أهل الدولة ومن سكان الامصار الكثيرة الترف المتسعة الاحوال مثل مصر وما في معناها فتجد الكثير منهم

مغرمين بابتغاء ذلك وتحصيله ومساءلة الركبان عن شواذه كما يحرصون على الكيمياء هكذا بلغني عن أهل مصر في مفاوضة من يلقونه من طلبية المغاربة لعلهم يعثرون منه على دفين أو كنز يزيدون على ذلك البحث عن تغوير المياه لما يرون أن غالب هذه الاموال الدفينة كلها في مجاري النيل وأنه أعظم ما يترد فينا أو محتزنة في تلك الآفاق ويموت عليهم أصحاب تلك الدفاتر المفتعلة في الا تذار عن الوصول اليها بحرية النيل نتراب ذلك من الكذب حتى يحصل على معاشه فيحرص سماع ذلك منهم على نضوب الماء بالاعمال السحرية لتحصيل مبتغاه من هذه كلفا بشأن السحر متوارثا في ذلك القطر عن أوليه فعلمهم السحرية وآثارها باقية بأرضهم في البراري وغيرها وقصة سحر فرعون شاهدة باختصاصهم بذلك وقد تناقل أهل المغرب قصيدة ينسبونها الى حكيم المشرق تعطى فيها كيفية العمل بالتغوير بصناعة سحرية حسانا تراها فيها وهي هذه

يا طالب السحر في التغوير \* اسمع كلام الصدق من خبير  
دع عندك ما قد صنفتوا في كتبهم \* من قول بهتان ولفظ غرور  
واسمع لصدق مقالتي ونصيحتي \* ان كنت ممن لا يرى بالزور  
فاذا أردت تغوير البئر التي \* حارت لها الاوهام في التدبير  
صور كصور تلك التي أوقفها \* والرأس رأس الشبل في التقوير  
ويداه ما سكتان للجبيل الذي \* في الدلو ينشل من قرار البير  
وبصدره هاء كما عاينتها \* عدد الطلاق احذر من التكرير  
ويطأ على الطآت غير ملامس \* مشى اليب السكيس النحرير  
ويكون حول الكل خط دائر \* تربيعه أولى من التكرير  
واذبح عليه الطير والطحخيه \* واقصده عقب الذبح بالتخير  
بالسندروس وباللبان وميعة \* والقسط والبسه بثوب حرير  
من أحمر أو أصفر لا أزرق \* لا أخضر فيه ولا تكدير  
ويشده خيطان صوف أبيض \* أو أحمر من خالص التميمير  
والطالع الاسد الذي قدينوا \* ويكون بدء الشهر غير منير  
والبدر متصل بسعد عطارد \* في يوم سبت ساعة التدبير

يعني أن تكون الطآت بين قدميه كأنه يمشي عليها وعندي أن هذه القصيدة من تمويهات المتخرفين فلهم في ذلك أحوال غريبة واصطلاحات عجبية وتنتهي التخرفة والكذب بهم الى أن يسكنوا المنازل المشهورة والدور المعروفة لمثل هذه ويحتفرون الحفر ويضعون المطابق فيها والشواهد التي يكتبونها في صحائف كذبهم ثم يقصدون



ضعفاء العقول بأمثال هذه الصنائع ويعشون على اكتراء ذلك المنزل وسكناه  
ويوهمون أن به دفيناً من المال لا يعبر عن كثرته ويطالبون بالمال لا شتره العاقبة  
والبحرورات لحل الطلاسم ويعدونه بظهور الشواهد التي قد أعدوها هنالك بأنفسهم  
ومن فعلهم فينبعث لما يراه من ذلك وهو قد خدع ولبس عليه من حيث لا يشعرون بينهم  
في ذلك اصطلاح في كلامهم يلبسون به عليهم ليخفي عندهم مخاوتهم فيما يتلونه من حفر  
وبخور وذبح حيوان وأمثال ذلك وأما الكلام في ذلك على الحقيقة فلا أصل له في علم  
ولا خبر \* واعلم أن الكنوز وإن كانت توجد لكنها في حكم النادر على وجه الاتفاق  
لا على وجه القصد إليها وليس ذلك بأمر يتم به البلوى حتى يدخر الناس أموالهم تحت  
الأرض ويحتمون عليها بالطلاسم لا في القديم ولا في الحديث والركاز الذي ورد  
في الحديث وفرضه الفقهاء وهو دفين الجاهلية إنما يوجد بالعثور والاتفاق لا بالقصد  
والطلب وإضافته اختزن ماله وختم عليه بالأعمال السحرية فقد بالغ في إخفائه فكيف  
ينصب عليه الأدلة والامارات لمن يتبعه ويكتب ذلك في الصنائع حتى يطلع على  
ذخيره أهل الأعصار والاتفاق هذا يناقض قصد الإخفاء وإيضاً ففعال العقلاء  
لا بد وأن تكون أغراض مقصود في الانتفاع ومن اختزن المال فإنه يختزنه لولده أو  
قريبه أو من يؤثره وأما أن يقصد إخفاءه بالكيفية عن كل أحد وانما هو للبلاء والهلاك  
أو لمن لا يعرفه بالكيفية ممن سيأتي من الأمم فهذا ليس من مقاصد العقلاء بوجه \* وأما  
قولهم أين أموال الأمم من قبلنا وما علم فيها من الكثرة والوفور فاعلم أن الأموال من  
الذهب والفضة والجواهر والامتنعة إنما هي معادن ومكاسب مثل الحديد والنحاس  
والرصاص وسائر العقارات والمعادن والعمران يظهرها بالأعمال الانسانية ويزيد  
فيها أو ينقصها وما يوجد منها بأيدي الناس فهو متناقل متوارث وربما انتقل من قطر  
إلى قطر ومن دولة إلى أخرى بحسب أغراضه والعمران الذي يستدعى له فإن نقص  
المال في المغرب وافريقية فلم ينقص بلاد الصقالية والافريق وان نقص في مصر  
والشام فلم ينقص في الهند والصين وانما هي الآلات والمكاسب والعمران يوفرها  
أو ينقصها مع أن المعادن يدركها البلاء كما يدرك سائر الموجودات ويسرع إلى اللؤلؤ  
والجواهر أعظم مما يسرع إلى غيره وكذا الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص  
والقصدير ينالها من البلاء والقناء ما ينذهب بأعيانها لا قرب وقت وأما ما وقع في مصر  
من أمر المطالب والكنوز فسببه أن مصر في ملكة القبط منذ آلاف أو يزيد من السنين  
وكن موتاهم يدفنون بوجودهم من الذهب والفضة والجواهر والآلات على مذهب  
من تقدم من أهل الدول فلما انقضت دولة القبط وملك الفرس بلادهم نقر وأعلى ذلك

في قبورهم وكشف قواعمه فأخذوا من قبورهم ما لا يوصف كالأهرام من قبور الملوك  
وغيرها وكذا فعل اليونانيون من بعدهم وصارت قبورهم مظنة لذلك لهذا العهد  
ويعثر على الدفين فيها في كثير من الاوقات أما ما يدفونه من أموالهم أو ما يكرمون به  
موتاهم في الدفن من أوعية ونوايت من الذهب والفضة معدة لذلك فصارت قبور  
القبط منذ آلاف من السنين مظنة لوجود ذلك فيها فلذلك عني أهل مصر بالبحث عن  
المطالب لوجود ذلك فيها واستخراجها حتى أنهم حين ضربت المكوس على الأصناف  
آخر الدولة ضربت على أهل المطالب وصدرت ضريبة على من يشتغل بذلك من الحقي  
والمهوسين فوجد بذلك المتعاطون من أهل الاطماع الذريعة إلى الكشف عنه والدرع  
باستخراجهم وما حصلوا الا على الخيبة في جميع مساعيهم نعوذ بالله من الخسران فيحتاج  
من وقع له شيء من هذا الوسواس والتلبس به أن يتعوذ بالله من العجز والكسل في طلب  
معاشه كما تعوذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وينصرف عن طرق الشيطان  
ووسواسه ولا يشغل نفسه بالمحالات والمكاذب من الحكايات والله يرزق من يشاء بغير  
حساب

### ٥ (فصل في ان الجاه مفيد للمال)

وذلك اننا نجد صاحب المال والحظوة في جميع أصناف المعاش أكثر يساراً وثروة من  
فاقد الجاه \* والسبب في ذلك أن صاحب الجاه مخدوم بالأعمال يتقرب بها إليه في سبيل  
التراف والحاجة إلى جاهه فالناس معينون له بأعمالهم في جميع حاجاته من ضروري  
أو حاجي أو كفاي فتحصل قيم تلك الأعمال كلها من كسبه وجميع ما شأنه أن تبذل فيه  
الاعواض من العمل يستعمل فيها الناس من غير عوض فتتوفر قيم تلك الأعمال عليه  
فهو بين قيم الأعمال يكتسبها وقيم أخرى تدعوه الضرورة إلى اخراجها فتتوفر عليه  
والاعمال لصاحب الجاه كثيرة فتتفقد الغنى لا قرب وقت ويزداد مع الأيام يساراً  
وثروة وله هذا المعنى كانت الامارة أحد أسباب المعاش كما قدمناه وفاقداً الجاه  
بالكلية ولو كان صاحب مال فلا يكون يساره لا بمقدار ماله وعلى نسبة سعيه وهؤلاء  
هم أكثر التجار ولهذا تجد أهل الجاه منهم يكونون أيسر بكثير مما يشهد بذلك اننا  
نجد كثيراً من الفقهاء وأهل الدين والعبادة إذا اشتهر بحسن الظن بهم واعتقد  
الجمهور ومعاملته الله في أفرادهم فأخلص الناس في اعانتهم على أحوال دنياهم  
والاعتمال في مصالحهم أسرع إليهم الثروة وأصبحوا ميسرين غير مال مقنني  
الاما يحصل لهم من قيم الاعمال التي وقعت المعونة بها من الناس لهم رأيان من ذلك



اعداد في الامصار والمدن وفي البدو يسعى لهم الناس في الفلح والتجروكل قاعد بمنزله لا يبرح من مكانه فينمو ماله ويعظم كسبه ويتأهل الغنى من غير سعي ويعجب من لا يفتن لهذا السر في حال ثروته وأسباب غناه ويساره والله سبحانه وتعالى يرزق من يشاء بغير حساب

٦ فصل في ان السعادة والكسب انما يحصل غالباً بالانحسار والخضوع والتملق وان هذه الخلق من اسباب السعادة

قد سلف لنا فيما سبق ان الكسب الذي يستفيد به البشر انما هو قيم اعمالهم ولو قدر احد عطل عن العمل بجملة لكان فاقد الكسب بالكلية وعلى قدر عمله وشرفه بين الاعمال وحاجة الناس اليه يكون قدر قيمته وعلى نسبة ذلك غنى كسبه أو نقصانه وقد بينا آنفاً ان الجاه يفيد المال لما يحصل لصاحبه من تقرب الناس اليه بأعمالهم وأموالهم في دفع المضار وجلب المنافع وكان ما يتقربون به من عمل أو مال عوضاً عما يحصلون عليه بسبب الجاه من الاغراض في صالح أو طالح وتضيق تلك الاعمال في كسبه وقيمها أموال وثروته فيستفيد الغنى واليسار لا قرب وقت ثم ان الجاه متوزع في الناس ومرتب فيهم طبقة بعد طبقة ينتهي في العلو الى الملوك الذين ليس فوقهم يد عالية وفي السفلى الى من لا يملك ضرراً ولا نفعاً بين أبناء جنسه وبين ذلك طبقات متعددة حكمة الله في خلقه بما ينظم معاشهم وتيسر مصالحهم ويتم بقاءهم لان النوع الانساني لا يتم وجوده الا بالتعاون وأنه وان ندر فقد ذلك في صورة مفروضة لا يصح بقاءه ثم ان هذا التعاون لا يحصل الا بالاكرام عليه لجهلهم في الاكثر لصالح النوع ولما جعل لهم من الاختيار ان أفعالهم انما تصدر بالفكر والرؤية لا بالطبع وقد يمنع من المعاونة فيعين حله عليهم افلا بد من حامل يكره أبناء النوع على مصالحهم لتم الحكمة الالهية في بقاء هذا النوع وهذا معنى قوله تعالى ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورجة ربك خير مما يجمعون فقد بين ان الجاه هو القدرة الحاملة للبشر على التصرف فيمن تحت أيديهم من أبناء جنسهم بالاذن والمنع والتسلط بالقهر والغلبة ليحكمهم على دفع مضارهم وجلب منافعهم في العديل بأحكام الشرائع والسياسة وعلى أغراضه فيما سوى ذلك ولكن الاول مقصود في العناية الربانية بالذات والثاني داخل فيها بالعرض كسائر الشرور الداخلة في القضاء الالهي لانه قد لا يتم وجود الخير الكثير الا بوجود شر يسير من أجل المواد فلا يفوت الخير بذلك بل يقع على ما ينطوي عليه من الشر اليسير وهذا معنى وقوع الظلم في الخليقة فتفهم ثم ان كل طبقة من طبقات

أهل الثمران من مدينة أو إقليم لها قدرة على من دونها من الطباق وكل واحد من الطبقة السفلى يستمد بني الجاه من أهل الطبقة التي فوقه ويزداد كسبه تصرفاً فيمن تحت يده على قدر ما يستفيد منه والجاه على ذلك داخل على الناس في جميع أبواب المعاش ويتسع ويضيق بحسب الطبقة والطور الذي فيه صاحبه فان كان الجاه متسعاً كان الكسب الناشئ عنه كذلك وان كان ضيقاً قل له فقله وفاقد الجاه وان كان له مال فلا يكون يساره الا بمقدار عمله وأمواله ونسبة سعيه ذاهباً وآيماً في تنميته كما كثر التجار وأهل الفلاحة في الغالب وأهل الصنائع كذلك اذا فقدوا الجاه واقتصروا على فوائد صنائعهم فانهم يصيرون الى الفقر والخصاصة في الاكثر ولا تسرع اليهم ثروة وانما يرمقون العيش ترميقاً ويدافعون ضرورة الفقر مدافعة واذا تقرر ذلك وأن الجاه متفرع وأن السعادة والخير مرتبطان بحصوله علمت أن بذله وافادته من أعظم النعم وأجلها وأن باذله من أجل المنعمين وانما يبذله لمن تحت يده فيكون بذله يسيراً عالية وعزة فيحتاج طالبه ومبتغيه الى خضوع وتعلق كما يسأل أهل العز والملوك والافئدة عذر حصوله فلذلك قلنا ان الخضوع والتعلق من أسباب حصول هذا الجاه المحصل للسعادة والكسب وان أكثر أهل الثروة والسعادة به هذا التعلق ولهذا نجد الكثير ممن يتخلق بالترفع والشم لا يحصل لهم غرض الجاه فيقتصرون في الكسب على أعمالهم ويصيرون الى الفقر والخصاصة \* واعلم أن هذا الكبر والترفع من الاخلاق المذمومة انما يحصل من توهم الكمال وأن الناس يحتاجون الى بضاعته من علم أو صناعة كالعالم المتبحر في علمه أو الكاتب المجيد في كتابته أو الشاعر البليغ في شعره وكل محسن في صناعته يتوهم أن الناس يحتاجون لما بيده فيحدث له ترفع عليهم بذلك وكذا يتوهم أهل الانساب من كان في آباءه ملك أو عالم مشهوراً أو كامل في طور يعبرون بعاراً أو أسمعه من حال آباءهم في المدينة ويتوهمون أنهم استحقوا مثل ذلك بقرابتهم اليهم ووراثتهم عنهم فهم مستمسكون في الحاضر بالامر المعلوم وكذلك أهل الحيلة والبصر والتجارب بالامور قد يتوهم بعضهم كمالاً في نفسه بذلك واحتياجاً اليه وتجد هؤلاء الاصناف كلهم مترفعين لا يخضعون لصاحب الجاه ولا يتملقون لمن هو أعلى منهم ويستصغرون من سواهم لا اعتقادهم الفضل على الناس فيستكف أحدهم عن الخضوع ولو كان لملك وبعده مذلة وهو انما وسفها ويحاسب الناس في معاملتهم اياه بمقدار ما يتوهم في نفسه ويحقد على من قصر له في شيء مما يتوهمه من ذلك وربما دخل على نفسه الهموم والاحزان من تقصيرهم فيه ويستمر في عناء عظيم من ايجاب الحق لنفسه أو اباية الناس له من ذلك ويحصل له المقت من الناس لما في طباع



البشر من التأله وقل أن يسلم أحد منهم لاحد في الكمال والترفع عليه الا أن يكون ذلك بنوع من القهر والغلبة والاستطالة وهذا كله في ضمن الجاه فاذ فقد صاحب هذا الخلق الجاه وهو مفقود له كما تبين لك مقتته الناس بهذا الترفع ولم يحصل له حظ من احسانهم وفقد الجاه لذلك من أهل الطبقة التي هي أعلى منه لاجل المقت وما يحصل له بذلك من القعود عن تعاهدهم وغشيان منازلهم ففسد معاشه وبقي في خصاصة وفقر وفوق ذلك بقليل وأما الثروة فلا تحصل له أصلا ومن هذا اشتهر بين الناس أن الكامل في المعرفة محروم من الحظ وأنه قد حوسب بما رزق من المعرفة واقتطع له ذلك من الحظ وهذا معناه ومن خلق لشي يسره والله المقدر لارب سواه ولقد يقع في الدول اضراب في المراتب من أهل هذا الخلق ويرتفع فيها كثير من السفلة وينزل كثير من العلية بسبب ذلك وذلك أن الدول اذا بلغت نهايتها من التغلب والاستيلاء انفرد منها منبت الملك بملكهم وسلطانهم ويثس من سواهم من ذلك وانما صاروا في مراتب دون مرتبة الملك وتحت يد السلطان وكأنهم خول له فاذا استمرت الدولة وشمخ الملك تساوى حينئذ في المنزلة عند السلطان كل من انتهى الى خدمته وتقرب اليه بنصيحة وامطة من السلطان لغناؤه في كثير من مهـ ماته فوجد كثير من السوقة يسعى في التقرب من السلطان بحجته وبصحته ويتزلف اليه بوجوه خدمته ويستعين على ذلك بعظيم من الخضوع والتلق له ولخاشيته وأهل نسبه حتى يرسخ قدمه معهم وينظمه السلطان في جلته فيحصل له بذلك حظ عظيم من السعادة وينتظم في عدد أهل الدولة وناشئة الدولة حينئذ من أبناء قومها الذين ذلوا واضغانهم ومهدوا أكفهم وغتروا بما كان لا يأتهم في ذلك من الآثار لم تسمع به نفوسهم على السلطان ويعتدون بآثاره ويجرون في مضمار الدولة بسببه فيمقتهم السلطان لذلك ويأعددهم ويميل الى هؤلاء المصطنعين الذين لا يعتدون بقديم ولا يذهبون الى دالة ولا ترفع انما ذابهم الخضوع له والتلق والاعمال في غرضه متى ذهب اليه فيسمع جاههم وتعلو منازلهم وتنصرف اليهم الوجوه والخواطر بما يحصل لهم من قبل السلطان والمكانة عنده ويبقى ناشئة الدولة فيما هم فيه من الترفع والاعتداد بالقديم لا يزيدهم ذلك الا بعدا من السلطان ومقتاوا يناروا هؤلاء المصطنعين عليهم الى أن تنقرض الدولة وهذا امر طبيعي في الدولة ومنه جاء شأن المصطنعين في الغالب والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق لارب سواه

٧ فصل في ان القائمين بامور الدين من القضاء والفتيا والتدريس والامارة

والخطابة والاذان ونحو ذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب

والسبب لذلك أن الكسب كما قد مناه قيمة الاعمال وانها متفاوتة بحسب الحاجة اليها فاذا كانت الاعمال ضرورية في العمران عامة البلوى به كانت قيمتها أعظم وكانت الحاجة اليها أشد وأهل هذه البضائع الدينية لا تضطر اليهم عامة الخلق وانما يحتاج الى ما عندهم الخواص ممن أقبيل على دينه وان احتج الى الفتيا والقضاء في الخصومات فليس على وجه الاضطرار والعوم فيقع الاستغناء عن هؤلاء في الاكثر وانما يستقيم باقامة من استهم صاحب الدولة بجماله من النظر في المصالح فيقسم لهم حظا من الرزق على نسبة الحاجة اليهم على النحو الذي قررناه لا يساويهم بأهل الشوكة ولا بأهل الصنائع من حيث الدين والمراحم الشرعية لكنه يقسم بحسب عموم الحاجة وضرورة أهل العمران فلا يصح في قسمهم الا القليل وهم أيضا لشرف بضائعهم أعز على الخلق وعند نفوسهم فلا يخضعون لأهل الجاه حتى ينالوا منه حظا يستدرون به الرزق بل ولا تفرغ أوقاتهم لذلك لما هم فيه من الشغل بهذه البضائع الشريفة المشتملة على اعمال الفكر والبدن بل ولا يسعهم ابتذال أنفسهم لاهل الدنيا لشرف بضائعهم فهم يعزل عن ذلك فذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب ولقد باحث بعض الفضلاء فمكروا ذلك على وقوع يدي أوراق مخترقة من حسابات الدواوين يدار المأمون تشتمل على كثير من الدخل والخرج وكان فيما طالعت فيه أرزاق القضاة والائمة والمؤذنين فوقفت عليه وعلم منه حكمة ما قلته ورجع اليه وقضينا العجب من أسرار الله في خلقه وحكمته في عوالمه والله الخالق القادر لارب سواه

٨ فصل في ان القضاة من معاش المستضعفين وأهل العافية من البسوة

وذلك لانه أصيل في الطبيعة وبسيط في منجاء ولذلك لا تجده يتحمل أحد من أهل الحضرة في الغالب ولا من المترفين ويختص متحملة بالمذلة قال صلى الله عليه وسلم وقد رأى السكة ببعض دور الانصار ما دخلت هذه دار قوم الادخله الذل وحله البخارى على الاستكثار منه وترجم عليه باب ما يحذر من عواقب الاشتغال بالآلة الزرع أو تجاوز الحد الذي أمر به والسبب فيه والله أعلم ما يتبعها من المغرم المفضي الى التحكم والبدالعالية فيكون الفارم ذليلا بائسا بما تناوله أيدي القهر والاستطالة قال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تعود الزكاة مغرما إشارة الى الملك العضوض القاهر للناس الذي معه التسلط والجور ونسيان حقوق الله تعالى في المتعولات واعتبار الحقوق كلها مغرما للملوك والدول والله قادر على ما يشاء والله سبحانه



وتعالى أعلم وبه التوفيق

٩ (فصل في معنى التجارة ومذايبها واصنافها)

اعلم أن التجارة محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء أياما كانت السلعة من رقيق أو زرع أو حيوان أو قماش وذلك القدر النامي يسمى ربحا فالمحاولة لذلك الربح إما أن يحتزن السلعة ويحتجى بها حوالة الاسواق من الرخص الى الغلاء فيعظم ربحه وإما بأن ينقله الى بلد آخر تنفق فيه تلك السلعة أكثر من بلده الذي اشتراها فيه فيعظم ربحه ولذلك قال بعض الشيوخ من التجار لطالب الكشف عن حقيقة التجارة أنا أعلم لك في ظنن اشتراء الرخص وبيع الغالي فقد حصلت التجارة إشارة له بذلك الى المعنى الذي قرره والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق لأرب سواه

١٠ (فصل في اقسام الناس يحترف بالتجارة وانهم ينقسمون لاجتناب حرفها)

قد قدمنا أن معنى التجارة تنمية المال بشراء البضائع ومحاولة بيعها بأغلى من ثمن الشراء إما بانظار حوالة الاسواق أو نقلها الى بلد هي فيه أنفق وأغلى أو بيعها بالغلاء على الآجال وهذا الربح بالنسبة الى أصل المال يسيرا لأن المال اذا كان كثيرا عظم الربح لأن القليل في الكثير كثير ثم لا بد في محاولة هذه التنمية من حصول هذا المال بأيدي الباعة في شراء البضائع وبيعها ومعاملتهم في تقاضي أثمانها وأهل النصفه قليل فلا بد من الغش والتطفيف المجحف بالبضائع ومن المطل في الاثمان المجحف بالربح كتهويل المحاولة في تلك المدة وبمغانها ومن الجود والانكار المسحت لرأس المال ان لم يتقيد بالكتاب والتهادة وغناء الحكام في ذلك قليل لأن الحكم انما هو على الظاهر فيعاني التاجر من ذلك أحوال الصعبة ولا يكاد يحصل على ذلك التافه من الربح الا بعظم الغناء والمشقة أو لا يحصل أو يتلاشى رأس ماله فان كان جريسا على الخصومة بصيرا بالحسبان شديد المباحكة مقدما على الحكام كان ذلك أقرب له الى النصفه بجراسته منهم ومما حكته والافلا بد له من جاه يدرع به يوقع له الهيبة عند الباعة ويحمل الحكام على انصافه من معاملته فيحصل له بذلك النصفه في ماله طوعا في الاول وكرها في الثاني وأما من كان غافدا للتجارة والاقدام من نفسه فاقد الجاه من الحكام فينبغي له أن يجتنب الاحتراف بالتجارة لانه يعرض ماله للضياع والذهاب ويصير مأكلة للباعة ولا يكاد ينصف منهم لأن الغالب في الناس وخصوصا الرعا والباعه ثم هوون الى ما في أيدي الناس سواهم متوثبون عليه ولولا وازع الاحكام لاصبحت أموال الناس نهبا

ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين

١١ (فصل في ان خلق التجار نازلة عن خلق الاشرف والملوك)

وذلك أن التجار في غالب أحوالهم انما يعانون البيع والشراء ولا بد فيه من المكايسة ضرورة فان اقتصر عليها اقتصرت به على خالقها وهي أعنى خلق المكايسة بعمدة عن المرواة التي تخلق بها الملوك والاشرف وأما ان استرذل خلقه بما يتبع ذلك في أهل الطبقة السفلى منهم من المماحكة والغش والخلاية وتعاهد الايمان الكاذبة على الايمان ردا وقبولا فأجد بذلك الخلق أن يكون في غاية المذلة لما هو معروف ولذلك تجد أهل الرياسة يتحامون الاحتراف بهذه الحرفة لاجل ما يكسب من هذا الخلق وقد يوجد منهم من يسلم من هذا الخلق ويتحاماها لشرف نفسه وكرم جلاله الا أنه في التاديبين الوجود والله يهدي من يشاء بفضل وكرمه وهو رب الاولين والاخرين

١٢ (فصل في نقل التاجر للسلع)

التاجر البصير بالتجارة لا ينقل من السلع الاما تهم الحاجة اليه من الغنى والفقر والسلطان والسوقة اذ في ذلك نفاق سلعته وأما اذا اختص نقله بما يحتاج اليه البعض فقط فقد يتعذر نفاق سلعته حينئذ باعوا من الشراء من ذلك البعض لعارض من العوارض فتكسب سوقه وتفسد أرباحه وكذلك اذا نقل السلعة المحتاج اليها فاما ينقل الوسط من صنفها فان العالي من كل صنف من السلع انما يختص به أهل الثروة وحاشية الدولة وهم الاقل وانما يكون الناس اسوة في الحاجة الى الوسط من كل صنف فليجتنب ذلك جهده فقيه نفاق سلعته أو كسادها وكذلك نقل السلع من البلد البعيد المسافة أو في شدة الخطر في الطرقات يكون أكثر ندة للتجار وأعظم أرباحا وكفل بمحاولة الاسواق لأن السلعة المنقولة حينئذ تكون قليلة معوزة لبعده مكانها أو شدة الغرور في طريقها فيقل حاملوها ويعز وجودها واذا قلت وعزت غلت أثمانها وأما اذا كان البلد قريب المسافة والطريق سائلا بالامن فانه حينئذ يكثر ناقلوها فتكثر وترخص أثمانها ولهذا تجد التجار الذين يولعون بالدخول الى بلاد السودان أرفه الناس وأكثرهم أموالا لبعدهم عنهم ومشتقتهم واعتراض المفازة الصعبة الخطرة بالخوف والعطش لا يوجد فيهم الماء الا في أماكن معلومة يهتدى اليها أدلاء الركبان فلا يرتكب خطر هذا الطريق وبعده الا الاقل من الناس فتجد سلع بلاد السودان قليلة لا ينافسها بغيرها وكذلك سلعنا لديهم فتعظم بضائع التجار من



تناقلها ويسرع اليهم الغنى والثروة من أجل ذلك وكذلك المسافرين من بلادنا إلى المشرق لبعده الشقة أيضا وأما المترددون في أفق واحد ما بين أمصاره وبلدانه فقائدتهم قليلة وأرباحهم نافهة لكثرة السلع وكثرة ناقلها والله هو الرزاق ذو القوة المتين

### (فصل في الاحتكار)

وما اشتهر عند ذوى البصر والتجربة في الأمصار أن احتكار الزرع لخبين أو قات الغلاء مشؤم وأنه يعود على فائده بالتلف والخسران وسببه والله أعلم أن الناس لحاجتهم إلى الأقوات مضطرون إلى ما يذلون فيها من المال اضطرابا فتبقى النفوس متعلقة به وفي تعلق النفوس بمالهام ترك كبير في وبال على من يأخذه مجانا ولعله الذي اعتبره الشارع في أخذ أموال الناس بالباطل وهذا وإن لم يكن مجانا فالنفوس متعلقة به لاعطائه ضرورة من غير سعة في العذر فهو كالمكره وماعد الأقوات والمأكولات من المبيعات لا اضطراب للناس إليها وانما يغيثهم عليها التفتن في الشهوات فلا يذلون أموالهم فيها إلا باختيار وحرص ولا يبق لهم تعلق بما أعطوه فلهذا يكون من عرف بالاحتكار تجتمع القوى النفسانية على متابعته لما يأخذه من أموالهم فيفسد ربحه والله تعالى أعلم \* وسعت فيما يناسب هذا حكاية طريفة عن بعض مشيخة المغرب أخبرني شيخنا أبو عبد الله الأبلق قال حضرت عند القاضي بناس لعهد السلطان أبي سعيد وهو الفقيه أبو الحسن المليبي وقد عرض عليه أن يختار بعض الألقاب المخزنية لجرأته قال فأطرق مليا ثم قال لهم من مكرس الخمر فاستخلك الحاضرون من أصحابه وعجبوا وسألوه عن حكمة ذلك فقال إذا كانت الجبايات كلها حراما فأختار منها ما لا يتابعه نفس معطيه والخمر قل أن يذلل فيها أحد ماله إلا وهو طرب مسرور وبوجدانه غير أسف عليه ولا متعلقة به نفسه وهذه ملاحظة غريبة والله سبحانه وتعالى يعلم ما تكن الصدور

### ١٤ (فصل في أن رخص الاسعار ضرر بالمحترفين بالرخص)

وذلك أن الكسب والمعاش كما قدمناه انما هو بالصناعات أو التجارة والتجارة هي شراء البضائع والسلع وتخارها تخمين بها حوالة الأسواق بالزيادة في أثمانها ويسمى ربحا ويحصل منه الكسب والمعاش للمحترفين بالتجارة دائما فإذا استديم الرخص في سلعة أو عرض من مأكول أو ملبوس أو معقول على الجملة ولم يحصل لتاجر حوالة الأسواق فسد الربح والنماء بطول تلك المدة وكسدت سوق ذلك الصنف فقعد التجار عن السعي

فيها وفسدت رؤس أموالهم واعتبر ذلك أولا بالزرع فإنه إذا استديم رخصه يفسد به حال المحترفين بسائر أطواره من الفلح والزراعة لقلة الربح فيه وندارته أو فقده فيفقدون النماء في أموالهم أو يجدونه على قلة ويعودون بالاتفاق على رؤس أموالهم وتفسد أحوالهم ويصيرون إلى الفقر والخصاصة ويتبع ذلك فساد حال المحترفين أيضا بالطحن والخبز وسائر ما يتعلق بالزراعة من الحث إلى صيرورته مأكولا وكذا يفسد حال الجنح إذا كانت أرزاقهم من السلطان على أهل الفلح زرعا فانها تقل جبايتهم من ذلك ويحجزون عن إقامة الجنحية التي هم بسببها ومطالبون بها ومنقطعون لها فتفسد أحوالهم وكذا إذا استديم الرخص في السكر والعسل تفسد جميع ما يتعلق به وقعد المحترفون عن التجارة فيه وكذا الملابس إذا استديم فيها الرخص فإذا الرخص المفرط يحجب بمعاش المحترفين بذلك الصنف الرخص وكذا الغلاء المفرط أيضا وانما معاش الناس وكسبهم في التوسط من ذلك وسرعة حوالة الأسواق وعلم ذلك يرجع إلى العوائد المتقررة بين أهل العمران وانما يحمي الرخص في الزرع من بين المبيعات لعموم الحاجة إليه واضطراب الناس إلى الأقوات من بين الغنى والفقر والعالة من الخلق هم الأكثر في العمران فيعم الرفق بذلك ويرجح جانب القوت على جانب التجارة في هذا الصنف الخاص والله الرزاق ذو القوة المتين والله سبحانه وتعالى رب العرش العظيم

### ١٥ (فصل في أن خلق التجارة نازلة عن خلق الرؤساء وبعيدة من المروءة)

قد قدمنا في الفصل قبله أن التاجر مدفوع إلى معاناة البيع والشراء وجلب القوائد والأرباح ولا بد في ذلك من المكايسة والمعاينة والتحدث وممارسة الخصومات واللجاج وهي عوارض هذه الحرفة وهذه الأوصاف نقص من الذكاء والمروءة وتخرج فيها لأن الأفعال لا بد من عود آثارها على النفس فأفعال الخير تعوديات تار الخير والذكاء وأفعال الشر والسفسفة تعود بضد ذلك فتتمكن وترجح أن سبقت وتكررت وتنقص خلال الخير أن تأخرت عنها بما ينطبع من آثارها المذمومة في النفس شأن الملكات الناشئة عن الأفعال وتتفاوت هذه الآثار بتفاوت أصناف التجار في أطوارهم فمن كان منهم سافل الطور مخافا لشرار الباعة أهل الغش والخلافة والفجور في الأثمان أقرارا وانكارا كانت رداءة تلك الخلق عنه أشد وغلبت عليه السفسفة وبعد عن المروءة واكتسابها بالجملة والأفلا بد له من تأثير المكايسة والمماحكة في مروءته وفقدان ذلك منهم في الجملة ووجود الصنف الثاني منهم الذي



قد مناه في الفصل قبله أنهم يدرعون بالجاه ويعوض لهم عن مباشرة ذلك فهم نادرون وأقل من النادر وذلك أن يكون المال قد يوجد عنده دفعة بنوع غريب أو ورثة عن أحد من أهل بيته فحصلت له ثروة تعينه على الاتصال بأهل الدولة وتكسبه ظهوراً وشهرة بين أهل عصره فيرتفع عن مباشرة ذلك بنفسه ويدفعه إلى من يقوم له به من وكلائه وحشمه ويسهل له الحكام النصفة في حقوقهم بما يؤنسونه من بره واتخافه فيبعدونه عن تلك الخلق بالبعد عن معاناة الأفعال المقتضية لها كما مر فتكون مرأتهم أرسخ وأبعد عن تلك الحاجة إلا ما يسرى من آثار تلك الأفعال من وراء الحجاب فانهم يضطرون إلى مشاركة أحوال أولئك الوصلاء ووفقاقتهم أو خلافهم فيما يأتون أو يذرون من ذلك إلا أنه قليل ولا يكاد يظهر أثره والله خلقكم وما تعملون

### ١٦ (فصل في أن الصنائع لله إلهام من المعلم)

(اعلم) أن الصناعة هي ملكة في أمر على فكري وبكونه علميا هو جسماني محسوس والاحوال الجسمانية المحسوسة فنقلها بالمباشرة أو عب لها أو أكمل لأن المباشرة في الاحوال الجسمانية المحسوسة أتم فائدة والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد أخرى حتى ترسخ صورته وعلى نسبة الأصل تكون الملكة ونقل المعايينة أو عب وأتم من نقل الخبر والعلم فالملكة الحاصلة عنه أكمل وأرسخ من الملكة الحاصلة عن الخبر وعلى قدر جودة التعليم وملكة المتعلم يكون حذق المتعلم في الصناعة وحصول ملكته ثم ان الصنائع منها البسيط ومنها المركب والبسيط هو الذي يختص بالضروريات والمركب هو الذي يكون للكليات والمتقدم منها في التعليم هو البسيط لبساطته أولا ولانه مختص بالضروري الذي تتوفر الدواعي على نقله فيكون سابقا في التعليم ويكون تعليمه لذلك ناقصا ولا يزال الفكر يخرج أصنافا من مركباتها من القوة إلى الفعل بالاستنباط شيئا فشيئا على التدرج حتى تكمل ولا يحصل ذلك دفعة وانما يحصل في أزمان وأجيال اذ خروج الأشياء من القوة إلى الفعل لا يكون دفعة لاسيما في الامور الصناعية فلا بد له اذن من زمان ولهذا تجد الصنائع في الامصار الصغيرة ناقصة ولا يوجد منها الا البسيط فاذا تزايدت حضارتها ودعت أمور الترف فيها إلى استعمال الصنائع خرجت من القوة إلى الفعل وتنقسم الصنائع أيضا إلى ما يختص بأمر المعاش ضروريا كان أو غير ضروري وإلى ما يختص بالأفكار التي هي خاصية الانسان من العلوم والصنائع والسياسة ومن الاول الحياكة والجزارة والتجارة والحدادة وأمثالها ومن الثاني الوراقة وهي

معاناة الكتب بالانتساخ والتجليد والغناء والشعر وتعليم العلم وأمثال ذلك ومن الثالث الجندية وأمثالها والله أعلم

### ١٧ (فصل في أن الصنائع انما تكمل بحال العمران الحضري وكثرة)

والسبب في ذلك أن الناس ما لم يستوف العمران الحضري وتمتد المدينة انما همهم في الضروري من المعاش وهو تحصيل الاقوات من الحنطة وغيرها فاذا اعتدت المدينة وتزايدت فيها الاعمال ووفت بالضروري وزادت عليه صرف الزائد حينئذ إلى الكمالات من المعاش ثم ان الصنائع والعلوم انما هي للانسان من حيث فكره الذي يتميز به عن الحيوانات والقوت له من حيث الحيوانية والغذائية فهو مقدم لضروريته على العلوم والصنائع وهي متأخرة عن الضروري وعلى مقدار عمران البلد تكون جودة الصنائع للتأنيق فيها حينئذ واستحادة ما يطلب منها بحيث تتوفر دواعي الترف والثروة وأما العمران البدوي أو القليل فلا يحتاج من الصنائع الا البسيط خاصة المستعمل في الضروريات من نجار أو حداد أو خياط أو حائك أو جزار واذا وجدت هذه بعد فلا توجد فيه كاملة ولا مستحادة وانما يوجد منها بقدر الضرورة اذ هي كلها وسائل إلى غيرها وليست مقصودة لذاتها واذا زخر بجزر العمران وطلبت فيه الكمالات كان من جملتها التأنيق في الصنائع واستحادة ما يطلب منها بحيث تتوفر دواعي الترف والثروة وأما مشال ذلك وقد تنتهي هذه الاصناف اذ استبحر العمران إلى ان يوجد منها كثير من الكمالات والتأنيق فيها في الغاية وتكون من وجوه المعاش في المصر لمتحتها بل تكون فائدتها من أعظم فوائد الاعمال لما يدعو اليه الترف في المدينة مثل الدهان والصفار والحامى والطباخ والسفاح والهراس ومعلم الغناء والرقص وقرع الطبول على التوقييع ومثل الوراقين الذين يعاونون صناعة انتساخ الكتب وتجليدها وتجميعها فان هذه الصناعة انما يدعوا اليها الترف في المدينة من الاشتغال بالامور الفكرية وأمثال ذلك وقد تخرج عن الحد اذا كان العمران خارجا عن الحد كما بلغنا عن أهل مصر أن فيهم من يعلم الطيور العجم والجر الانسية وتخييل أشياء من العجائب بايهاهم قلب الاعيان وتعليم الحداء والرقص والمشي على الخيوط في الهواء ورفع الانقال من الحيوان والحجارة وغير ذلك من الصنائع التي لا توجد عندنا بالمغرب لان عمران أمصارهم يبلغ عمران مصر والقاهرة اذ دام الله عمرانها بالمسلمين

### ١٨ (فصل في ان رسوم الصنائع في الامصار انما هو برسوخ الحضارة وطول امدها)



والسبب في ذلك ظاهر وهو أن هذه كلها عوائد للعمران وألوان والعوائد انما ترسخ  
بكثرة التكرار وطول الامد فتستحكم صبغة ذلك وترسخ في الاجيال واذا  
استحكمت الصبغة عسر نزاعها ولهذا نجد في الامصار التي كانت استجرت في الحضارة  
لما تراجع عمرانها وتناقص بقيت فيها آثار من هذه الصنائع ليست في غيرها من  
الامصار المستحدثة العمران ولو بلغت مبلغا في الوفور والكثرة وما ذاك الا لان  
أحوال تلك القديعة العمران مستحكمة راسخة بطول الاحقاب وتداول الاحوال  
وتكررها وهذه لم تبلغ الغاية بعد وهذا كالحال في الاندلس لهذا العهد فانما نجد فيها  
رسوم الصنائع قائمة وأحوالها مستحكمة راسخة في جميع ما تدعو اليه عوائد  
أمصارها كالمباني والطبخ وأصناف الغذاء واللهم من الآلات والاونار والرقص  
وتضييد القرش في القصور وحسن الترتيب والاوزاع في البناء وصوغ الآنية من  
المعادن والخزف وجمع المواين وإقامة الولائم والاعراس وسائر الصنائع التي يدعو  
اليها الترف وعوائده فيجدهم أقوم عليها وأبصر بها ونجد صنائعها مستحكمة لديهم  
فهم على حصة موفورة من ذلك وحظ متميزين جميع الامصار وان كان عمرانها قد  
تناقص والكثير منه لا يساوي عمران غيرها من بلاد العدة وما ذاك الا لما قد مناه من  
رسوخ الحضارة فيهم برسوخ الدولة الاموية وما قبلها من دولة القوط وما بعدهما من  
دولة الطوائف الى هلم جرت اقبلت الحضارة فيهما مبلغا لم يبلغه في قطر الاما ينقل عن  
العراق والشام ومصر أيضا طول آما الدول فيها فاستحكمت فيها الصنائع وكلت  
جميع أصنافها على الاستجداء والتتميق وبقيت صبغتها ثابتة في ذلك العمران لا تفارقه  
الى أن ينتقض بالكلية حال الصبغ اذا رسخ في الثوب وكذا أيضا حال تونس فيما  
حصل فيه بالحضارة من الدول الصنهاجية والموحدين من بعدهم وما استكمل لها  
في ذلك من الصنائع في سائر الاحوال وان كان ذلك دون الاندلس الا أنه متضاعف  
برسوم منها تنقل اليها من مصر اقرب المسافة بينهم وتردد المسافرين من قطرها الى  
قطر مصر في كل سنة وربما سكن أهلها هناك عصورا فينقلون من عوائد ترفهم بحكم  
صنائعهم ما يقع لديهم موقع الاستحسان فصارت أحوالها في ذلك متشابهة من أحوال  
مصر لما ذكرناه ومن أحوال الاندلس لما ان أكثر ساكنها من شرق الاندلس حين  
الجلاء لعهد المائة السابعة ورسخ فيها من ذلك أحوال وان كان عمرانها ليس بمناسب  
لذلك لهذا العهد الا أن الصبغة استحكمت فقليل لا ما تحول الازوال محلها وكذا نجد  
بالقيروان ومراكش وقلعة بن حماد أثر اباقيها من ذلك وان كانت هذه كلها اليوم خرابا  
أو في حكم الخراب ولا يتقطن لها الا البصير من الناس فيجد من هذه الصنائع آثارا

تدله على ما كان بها كآثار الخط المعقوف في الكتاب والله اخلاق العليم

١٩ (فصل في ان الصنائع انما استجدت وتكثر اذا كثر ظاهرها)

والسبب في ذلك ظاهر وهو أن الانسان لا يسمع بعمله أن يقع مجازا لانه كسبه ومنه  
معاشه اذا فائدة له في جميع عمره في شئ مما سواه فلا يصرفه الا فيما له قيمة في مصره ليعود  
عليه بالنفع وان كانت الصناعة مطلوبة وتوجه اليها اتفاق كانت حينئذ الصناعة  
بمثابة السلعة التي تنفق سوقها وتجلب للبيع فتجهد الناس في المدينة لتعلم تلك الصناعة  
ليكون منها معاشهم واذ لم تكن الصناعة مطلوبة لم تنفق سوقها ولا توجه قصد الى تعلمها  
فاختصت بالترك وفقدت للاهمال ولهذا يقال عن علي رضي الله عنه قيمة كل امرئ  
ما يحسن يعني أن صناعته هي قيمته أي قيمة عمله الذي هو معاشه وأيضا فنهنا سر آخر  
وهو أن الصنائع واجادتها انما تطلبها الدولة فهي التي تنفق سوقها وتوجه الطلبات اليها  
ومالم تطلبه الدولة وانما يطلبها غيرها من أهل المصر فليس على نسبتها لان الدولة هي  
السوق الاعظم وفيها اتفاق كل شئ والقليل والكثير فيها على نسبة واحدة فاتفق منها  
كان أكثر باضرورة والسوقة وان طلبوا الصناعة فليس طلبهم بعام ولا سوقهم بنافعة  
والله سبحانه وتعالى قادر على ما يشاء

٢٠ (فصل في ان الامصار اذا تقاربت الخراب انتقصت منها الصنائع)

وذلك لما بينا أن الصنائع انما استجدت اذا احتيج اليها وكثر طلبها واذا ضعفت أحوال  
المصر وأخذ في الهرم بالتناقص عمرانه وقله ساكنه تناقص فيه الترف ورجعوا الى  
الاقتصار على الضروري من أحوالهم فتقل الصنائع التي كانت من توابع الترف لان  
صاحبها حينئذ لا يصح له بها معاشه فيقر الى غيرها ويعت ولا يكون خلفه فيه ذهب  
رسم تلك الصنائع جلة كما يذهب النقاشون والصواغ والكتاب والنساخ وأمثالهم من  
الصنائع لحاجات الترف ولا تزال الصنائع في التناقص ما زال المصر في التناقص الى  
أن تضحل والله اخلاق العليم سبحانه وتعالى

٢١ (فصل في ان العرب بعد التماس عن الصنائع)

والسبب في ذلك أنهم أعرق في البدو وأبعد عن العمران الحضري وما يدعوا اليه من  
الصنائع وغيرها والعجم من أهل المشرق وأم النصرانية عدوة البحر الرومي أقوم الناس  
عليها لانهم أعرق في العمران الحضري وأبعد عن البدو وعمرانه حتى ان الابل التي  
أعانت العرب على التوحش في القفر والاعراق في البدو ومفقودة لديهم بالجله ومفقودة  
مراعيها والرمال المهية لتساجها ولهذا نجد أوطان العرب وما ملكوه في الاسلام قليل



الصنائع بالجملة حتى تجلب اليه من قطر آخر وانظر بلاد العجم من الصين والهند وأرض الترك وأمم النصرانية كيف استكثرت فيهم الصنائع واستجلبها الامم من عندهم وعجم المغرب من البربر مثل العرب في ذلك لرسوخهم في البداوة منذ أحقاب من السنين ويشهد ذلك بذلك قلة الامصار بقطرهم كما قدمناه فالصنائع بالمغرب لذلك قليلة وغير مستحكمة الا ما كان من صناعة الصوف من نسجه والجلد في خرزه ودبغه فانهم لما استحضروا بالمغواق فيها المبالغ لعموم البلوى بها وكون هذين أغلب السلع في قطرهم لما هم عليه من حال البداوة وأما المشرق فقد رست الصنائع فيه منذ ملك الامم الاقدمين من الفرس والنبط والقبط وبنى اسرائيل ويونان والروم أحقابا سطاولة فرسخت فيهم أحوال الحضارة ومن جلتها الصنائع كما قدمناه فلم يعم رسوخها وأما اليمن والبحرين وعمان والجزيرة وان ملكه العرب الا أنهم تداولوا ملكه آلافا من السنين في أتم كثيرين منهم واختطوا أمصاره ومدنه وبلغوا الغاية من الحضارة والترقى مثل عاد وعود والعمالق وحبر من بعدهم واتباعه والاذواء فطال أمد الملك والحضارة واستحكمت صبغتها وتوفرت الصنائع ورست فلم يبل يلى الدولة كما قدمناه فبقيت مستحكمة حتى الآن واختصت بذلك الوطن كصناعة الوشي والعصب وما يستجد من حوله الثياب والحريز فيها والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

### ١٢ (فصل في صناعه فقل ان يجيد بعد ما ملكه في اخرى)

ومثال ذلك الخياط اذا أجاد ملكة الخياطة وأحكمها ورست في نفسه فلا يجيد من بعدها ملكة التجارة أو البناء الا أن تكون الاولى لم تستحكم بعد ولم ترسخ صبغتها والسبب في ذلك أن الملكات صفات للنفس وألوان فلا تزدحم دفعة ومن كان على الفطرة كان أسهل لقبول الملكات وأحسن استعدادا لخصولها فاذا تلونت النفس بالملكة الاخرى وخرجت عن الفطرة ضعف فيها الاستعداد باللون الحاصل من هذه الملكة فكان قبولها للملكة الاخرى أضعف وهذا بين يشهد له الوجود فقل أن تجيد صاحب صناعة يحكمها ثم يحكم من بعدها أخرى ويكون فيهما معا على رتبة واحدة من الاجادة حتى ان أهل العلم الذين ملكتهم فكرية فقام به هذه المثابة ومن حصل منهم على ملكة علم من العلوم وأجادها في الغاية فقل أن يجيد ملكة علم آخر على نسبه بل يكون مقصرا فيه ان طلبه الا في الاقل النادر من الاحوال ومبنى سببه على ما ذكرناه من الاستعداد وتلويحه بلون الملكة الحاصلة في النفس والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق لارب سواه

### ٢٣ (فصل في الاشارة الى مهمات الصنائع)

اعلم أن الصنائع في النوع الانساني كثيرة لكثرة الاعمال المتداولة في العمران فهي بحيث تشذ عن الحصر ولا يأخذها العدا الا أن منها ما هو ضروري في العمران أو شريف بالموضوع فتخصصها بالذكر وتترك ما سواها فاما الضروري فالغلاحة والبناء والخياطة والتجارة والحياكة وأما الشريفة بالموضوع فكالزوائد والكتابة والوراقة والغناء والطب فأما التوليد فانها ضرورية في العمران وعامة البلوى اذ بها يحصل حياة المولود ويتم غالب موضوعها مع ذلك المولودون وأمهاتهم وأما الطب فهو حفظ الصحة للانسان ودفع المرض عنه ويتفرع عن علم الطبيعة وموضوعه مع ذلك بدن الانسان وأما الكتابة وما يتبعها من الوراقة فهي حافظة على الانسان حاجته ومقبدة لها عن النسيان ومبلغه ضمائر النفس الى البعيد الغائب ومخلدة تنائج الافكار والعلوم في الصحف ورافعة رتب الوجود للمعاني وأما الغناء فهو نسب الاصوات وظهر رجالات الاسماع وكل هذه الصنائع الثلاثة داع الى مخالطة الملوك الاعاظم في خلواتهم ومجالس أنسهم فلها بذلك شرف ليس لغيرها وما سوى ذلك من الصنائع فتابعة ومتممة في الغالب وقد يختلف ذلك باختلاف الاغراض والدواعي والله أعلم بالصواب

### ٢٤ (فصل في صناعة الفلاحة)

هذه الصناعة ثمرتها اتخاذ الاقوات والحبوب بالقيام على اثاره الارض له او ازديادها وعلاج نباتها وتعهدهم بالسقي والتنمية الى بلوغ غايته ثم حصاد سنبله واستخراج حبه من غلافه واحكام الاعمال لذلك وتخصيل أسبابه ودواعيه وهي أقدم الصنائع لما أنها محصلة للقوت المكمل لحياة الانسان غالبا اذ يمكن وجوده من دون جميع الاشياء الا من دون القوت ولهذا اختصت هذه الصناعة بالبداد واذ قد مناه أنه أقدم من الحضر وسابق عليه فكانت هذه الصناعة لذلك بدوية لا يقوم عليها الحضر ولا يعرفونهم الا أن أحوالهم كلها نائية على البداوة فصنائعهم نائية عن صنائعها وتابعة لها والله سبحانه وتعالى مقيم العباد فيما أراد

### ٢٥ (فصل في صناعة البناء)

هذه الصناعة أول صنائع العمران الحضري وأقدمها وهي معرفة العمل في اتخاذ البيوت والمنازل للكن والمأوى للابدان في المدن وذلك أن الانسان لما جبل عليه من الفكر في عواقب أحواله لا بد أن يفكر فيما يدفع عنه الاذى من الحر والبرد كاتخاذ



البيوت المكشوفة بالسقف والحيطان من سائر جهاتها والبشر مختلف في هذه الجبلية  
 التفكيرية فمنهم المعتدلون فيها يتخذون ذلك باعتماد الى الثاني والثالث والرابع  
 والخامس والسادس وأما أهل البدو فيبعدون عن اتخاذ ذلك لقصور أفكارهم من  
 ادراك الصنائع البشرية فيبادرون للغيران والكهوف المعدة من غير علاج ثم  
 المعتدلون المتخذون للمأوى قديما كانوا في البسيط الواحد بحيث يتناكرون  
 ولا يتعارفون فيخشون طروق بعضهم بعضا فيحتاجون الى حفظ مجتمعتهم بإدارة ماء  
 أو أسوار تحوطهم ويصير جمعا مدينته واحدة ومصرها واحدا ويحوطهم الحكماء من  
 داخل يدفع بعضهم عن بعض وقد يحتاجون الى الانتصاف ويتخذون المعادل  
 والحصون لهم ولن تحت أيديهم مثل الملوك ومن في معناهم من الامراء وكبار القبائل  
 في المدن كل مدينة على ما يتعارفون ويصطلحون عليه ويتناسب مزاج هواهم  
 واختلاف أحوالهم في الغنى والفقر وكذا حال أهل المدينة الواحدة فمنهم من يتخذ  
 القصور والمصانع العظيمة الساحة المشتملة على عدة الدور والبيوت والغرف الكبيرة  
 اكثر ولده وحنمة وعياله وتابعه ويؤسس جدرانها بالحجارة ويلحم بينها بالكس ويعلى  
 عليها بالاصبغة والجص ويبالغ في ذلك بالتمنيق والتمنيق اظهار البسطة بالعناية في شأن  
 المأوى وهي مع ذلك الاسراب والمطامير للاختزان لا قوائمه والاصطبلات لربط مقرباته  
 اذا كان من أهل الجنود وكثرة التابع والحاشية كالامراء ومن في معناهم ومنهم من  
 يبني الدورية والبيوت لنفسه وسكنه وولده لا يتغنى ما وراء ذلك لقصور حاله عنه  
 واقتصاره على الكن الطبعي للبشر وبين ذلك مراتب غير منحصرة وقد يحتاج لهذه  
 الصناعة أيضا عند تأسيس الملوك وأهل الدول المدن العظيمة والهيكل المرتفعة  
 ويبالغون في اتقان الاوضاع وعلو الاجرام مع الاحكام لتبلغ الصناعة مبالغها وهذه  
 الصناعة هي التي تحصل الدواعي لذلك وأكثر ما تكون هذه الصناعة في الاقاليم المعتدلة  
 من الرابع وما حواله اذا الاقاليم المنحرفة لانهاء فيها وانما يتخذون البيوت حظائر من  
 القصب والطين وانما يوجد في الاقاليم المعتدلة له وأهل هذه الصناعة القائمون عليها  
 متفانون فيهم البصير الماهر ومنهم القاصر ثم هي تتنوع أنواعا كثيرة فمنها البناء بالحجارة  
 المنجدة يقام بها الجدران ملصقا بعضها الى بعض بالطين والكس الذي يعقد معها ويلحم  
 كنهها جسم واحد ومنها البناء بالتراب خاصة يتخذها الرحان من الخشب مقدرا طولها  
 وعرضا باختلاف العادات في التقدير وأوسطه أربعة أذرع في ذراعين فينصبان على  
 أساس وقد يبدؤا بما بينهما من ابرام صاحب البناء في عرض الأساس ويوصل بينهما بأذرع  
 من الخشب يربط عليها بالحبال والجدران ويسد الجهتان الباقيتان من ذلك الخلاء بينهما

بلوحي آخرين صغيرين ثم يوضع فيه التراب مخلطا بالكس ويركز بالمرأز المعدة حتى  
 ينعم ركزه ويحتلط أجزاءه ثم يزداد التراب ثانيا والثالث الى أن يمتلئ ذلك الخلاء بين اللوحيين  
 وقد تداخلت أجزاء الكس والتراب وصارت جسما واحدا ثم يعاد نصب اللوحيين على  
 الصورة ويركز كذلك الى أن يتم وينظم الألواح كلها سطر من فوق سطر الى أن ينظم  
 الحائط كله ملتصقا كأنه قطعة واحدة ويسمى الطابية وصانعه الطواب ومن صنائع  
 البناء أيضا أن تجمل الحيطان بالكس بعد أن يحل بالماء ويخمر أسبوعا أو أسبوعين  
 على قدر ما يعتدل مزاجه عن افراط النارية المفسدة للحام فاذا تم له ما يرضاه من  
 ذلك علاه من فوق الحائط وذلك الى أن يلتحم ومن صنائع البناء عمل السقف بأن يمد  
 الخشب المحكمة التجارة أو الساذجة على حائط البيت ومن فوقها الألواح كذلك  
 موصولة بالديسارو يصب عليها التراب والكس ويسط بالمرأز حتى تتداخل  
 أجزاءها وتلتحم ويعلى عليها بالكس كما يعلى على الحائط ومن صناعة البناء ما يرجع  
 الى التمييق والتزيين كما يصنع من فوق الحيطان الاشكال المجسمة من الجص يخمر بالماء  
 ثم يرجع جسدا وفيه بقية البلل فيشكل على التناسب تخريعا بمشابك الحديد الى أن  
 يبقى له رونق ورواء وربما عول على الحيطان أيضا بقطع الرخام والاجر والخزف أو  
 بالصدف أو السج يفصل أجزاء متجانسة أو مختلفة وتوضع في الكس على نسب  
 وأوضاع مقدرة عندهم يبدو به الحائط للعيان كأنه قطع الرخام المنمنمة الى غير ذلك  
 من بناء الجباب والصهاريج لسفح الماء بعد أن تعد في البيوت قصاع الرخام القوراء  
 المحكمة الخراط بالفوهات في وسطها النبع الماء الجاري الى الصهرج فيجلب اليه من  
 خارج في القنوات المفضية الى البيوت وأمثال ذلك من أنواع البناء وتختلف الصنائع  
 في جميع ذلك باختلاف الخلق والبصر ويعظم عمران المدينة ويتسع فيكثر ونربما  
 يرجع الحكماء الى نظرها ولا يفهم أبصر به من أحوال البناء وذلك أن الناس  
 في المدن لكثرة الازدحام والعمران يتشاحون حتى في الفضاء والهواء لا على والاسفل  
 ومن الاتساع بظاهر البناء مما يتوقع معه حصول الضرر في الحيطان فيمنع جاره من  
 ذلك الا ما كان له فيه حق ويختلفون أيضا في استحفاف الطرق والمنافذ للمياه الجارية  
 والفضلات المسربة في القنوات وربما يدعى بعضهم حق بعض في حائطه أو علوه أو  
 قذاته لتضايق الجوار أو يدعى بعضهم على جاره اختلال حائطه خشية سقوطه ويحتاج  
 الى الحكم عليه به دمه ودفع ضرره عن جاره عند من يراه أو يحتاج الى قسمة دار أو  
 عرصه بين شر يكين بحيث لا يقع معها فساد في الدار ولا اهمال لمنفعة دار أمثال ذلك  
 ويختص جميع ذلك الاعلى أهل البصر العارفين بالبناء وأحواله المستدلين عليها بالمعاهد



والقمط ومرا كز الخشب وميل الحيطان واعتدالها وقسم المساكن على نسبة  
أوضاعها ومنافعها وتسريب المياه في القنوات مجلوبة ومرفوعة بحيث لا تضرب بما  
مرت عليه من البيوت والحيطان وغير ذلك فلهم بهذا كله البصر والخبرة التي ليست  
لغيرهم وهم مع ذلك يختلفون بالجودة والقصور في الاجيال باعتبار الدول وقوتها  
فانافذنا أن الصنائع وكما لها انما هو بكمال الحضارة وكثرتها بكثرة الطالب لها فذلك  
عندما تكون الدولة بدوية في أول أمرها فتفتقر في أمر البناء إلى غير قطرها كما وقع  
للوليدين عبد الملك حين أجمع على بناء مسجد المدينة والقدس ومسجده بالشام فبعث  
إلى ملك الروم بالقسطنطينية في الفعلة الماهرة في البناء فبعث إليه منهم من حصل له  
غرضه من تلك المساجد وقد يعرف صاحب هذه الصناعة أشياء من الهندسة مثل  
تسوية الحيطان بالوزن وأجراء المياه بأخذ الارتفاع وأمثال ذلك فيحتاج إلى البصر  
بشيء من مسائله وكذلك في جبال الانقال بالهندام فإن الاجرام العظيمة اذا شيدت بالحجارة  
الكبيرة يعجز قدر الفعلة عن رفعها إلى سكانها من الحائط فيتحمل لذلك بمضاعفة قوة  
الحبل بادخاله في المعالق من أثقاب مقدرة على نسب هندسية تصير الثقل عند معاناة  
الرفع خفيفا فيتم المراد من ذلك بغير كلفة وهذا انما يتم بأصول هندسية معروفة ممدولة  
بين البشر وبمثلها كان بناء الهيكل المائله لهذا العهد التي بحسب الناس أنهم من  
بناء الجاهلية وإن أبدانهم كانت على نسبتها في العظم الجسماني وليس كذلك وانما تم  
لهم ذلك بالحيل الهندسية كما ذكرناه ففهم ذلك والله يخلق ما يشاء سبحانه

### (فصل في صناعة التجارة)

٢٦

هذه الصناعة من ضروريات العمران ومادتها الخشب وذلك أن الله سبحانه وتعالى  
جعل للآدمي في كل مكون من المكونات منافع تكمل بها ضروراته أو حاجاته وكان  
منها الشجر فإن له فيه من المنافع ما لا ينحصر مما هو معروف لكل أحد ومن منافعها  
اتخاذها خشبا اذا يبيت وأول منافعها أن يكون وقودا للنيران في معاشهم وعصيا  
للاتكاء والذود وغيرهما من ضرورياتهم ودعائهم لما يخشى ميله من أثقالهم ثم بعد ذلك  
منافع أخرى لأهل البدو والحضر فأما أهل البدو فيخذون منها العمود والأتاد لحياتهم  
والحدود لظعناتهم والرماح والقسي والسهام لسلحهم وأما أهل الحضر فالسقف  
لبيوتهم والاعلاق لآبائهم والكراسي لجلوسهم وكل واحدة من هذه فالخشبة مادة  
لها ولا تصير إلى الصورة الخاصة بها إلا بالصناعة والصناعة المتكفلة بذلك المحصلة لكل  
واحد من صورها هي التجارة على اختلاف رتبها فيحتاج صاحبها إلى تفصيل الخشب

أولا ما يخصب أصغر منه أو ألواح ثم تترك تلك الفصائل بحسب الصور المطلوبة وهو  
في كل ذلك يحاول بصنعة اعداد تلك الفصائل بالانتظام إلى أن تصير أعضاء لذلك  
الشكل المخصوص والقائم على هذه الصناعة هو النجار وهو ضروري في العمران ثم  
اذا عظمت الحضارة وجاء الترف وتأنق الناس فيما يتخذونه من كل صنف من سقف  
أو باب أو كرسى أو ما عون حدث التأنيق في صناعة ذلك واستجداته بغرائب من  
الصناعة كالمالية ليست من الضروري في شيء مثل التخطيط في الابواب والكراسي ومثل  
تهيئة القطع من الخشب بصناعة الخراط يحكم برهيم أو تشكيلها ثم تواف على نسب  
مقدرة وتلحم باللسان ترفيد ولرأى العين ملتحمة وقد أخذ منها اختلاف الاشكال على  
تناسب يصنع هذا في كل شيء يتخذ من الخشب فيجئ أنق ما يكون وكذلك في جميع  
ما يحتاج إليه من الآلات المتخذة من الخشب من أي نوع كان وكذلك قد يحتاج إلى  
هذه الصناعة في انشاء المراكب البحرية ذات الألواح والدر وهي أجرام هندسية  
صنعت على قالب الحوت واعتبار سطحه في الماء بقوامه وكله ليكون ذلك الشكل  
أعوان لها في مصادمة الماء وجعل لها عوض الحركة الحيوانية التي للسماك تحريك  
الرياح وربما أعينت بحركة المقاذيف كما في الاساطيل وهذه الصناعة من أصلها  
محتاجة إلى أصل كبير من الهندسة في جميع أصنافها لأن اخراج الصور من القوة إلى  
الفعل على وجه الاحكام محتاج إلى معرفة التناسب في المقادير اما عمومها وخصوصها  
وتناسب المقادير لا بد فيه من الرجوع إلى المهندس ولهذا كان أئمة الهندسة  
اليونانيون كلهم أئمة في هذه الصناعة فكان أوكليدس صاحب كتاب الاصول  
في الهندسة نجارا وبها كان يعرف وكذلك أبلونيوس صاحب كتاب المخروطات  
وميلانوس وغيرهم وفيما يقال أن معلم هذه الصناعة في الخليقة هو نوح عليه  
السلام وبها أنشأ سفينة النجاة التي كانت بها مجهزة عند الطوفان وهذا الخبر  
وان كان ممكنا أعني كونه نجارا إلا أن كونه أول من علمها أو تعلمها لا يقوم دليل من  
النقل عليه لبعده الآماد وانما معناه والله أعلم الإشارة إلى قدم التجارة لأنه لم يصح  
حكاية عنها قبل خبر نوح عليه السلام فجعل كانه أول من تعلمها ففهم أسرار  
الصنائع في الخليقة والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

### (فصل في صناعة الحياكة والنمياط)

٢٧

هاتان الصناعتان ضروريتان في العمران لما يحتاج إليه البشر من الرفق فالأولى  
لنسج الغزل من الصوف والكتان والقطن سدا في الطول والخاصة ما في العرض لذلك



النسج بالالتحام الشديد فيتم منها قطع مقدرة فتبها الاكسية من الصوف للاشمال  
ومنها الثياب من القطن والكتان للباس والصناعة الثانية لتقدير المنسوجات على  
اختلاف الاشكال والعوائد تفصل أولا بالمقراض قطعاً مناسبة للاعضاء البدنية ثم  
تلمح تلك القطع بالخياطة المحكمة وصلاتاً وتبيناً أو تفصيلاً على حسب نوع الصناعة  
وهذه الثانية مختصة بالعمران الحضري لما أن أهل البدو يستغنون عنها وانما يشتملون  
الاثواب اشتمالاً وانما تفصيل الثياب وتقديرها والحامها بالخياطة للباس من مذهب  
الحضارة وفنونها وتفهم هذا في سر تحرير الخيط في الحج لما أن مشروعية الحج مشتملة  
على نبد العلائق الذي يه كاهها والرجوع الى الله تعالى كما خلقنا أول مرة حتى لا يعلق  
العبد قلبه بشئ من عوائد ترفه لا طيباً ولا نساء ولا مخيطاً ولا خفاً ولا تعرض لصيد ولا  
لشي من عوائد التي تلونت بها نفسه وخلقه مع أنه يفقد هاب الموت ضرورة وانما يجيء  
كأنه وارد الى المحشر ضارعا بقلبه محض الربه وكان جزاؤه ان تم له خلاصه في ذلك أن  
يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمته سبحانه ما أرفقت بعبادك وأرجح بهم في طلب  
هدايتهم اليك \* وهاتان الصنعتان قديمتان في الخليقة لما أن الدف ضروري  
للشرف في العمران المعتدل وأما المنحرف الى الحرف فلا يحتاج أهله الى دف ولهذا يبلغنا  
عن أهل الاقليم الاول من السودان أنهم مراة في الغالب ولقد قدم هذه الصنائع بنسبها  
العامة الى ادريس عليه السلام وهو أقدم الانبياء وربما ينسبونها الى هرمس وقد  
يقال ان هرمس هو ادريس والله سبحانه وتعالى هو الخلاق العليم

### (فصل في صناعة التوايسد)

٢٨

وهي صناعة يعرف بها العمل في استخراج المولود الا دعى من بطن أمته من الرفق  
في اخراجه من رحمها وتهيئة أسباب ذلك ثم ما يصلح بعد الخروج على ما ذكره وهي  
مختصة بالنساء في غالب الامر لما أنهن الظاهرات بعضهن على عورات بعض وتسمى  
القائمة على ذلك منهن القابلة استعير فيها معنى الاعطاء والقبول كأن النساء تعطينا  
الجنين وكأنهن تقبلنه وذلك أن الجنين اذا استكمل خلقه في الرحم وأطواره وبلغ الى  
غاياته والمدة التي قدر الله لمكثه وهي تسعة أشهر في الغالب فيطلب الخرج بما جعل  
الله في المولود من النزوع لذلك ويضيق عليه المنفذ فيعسر وربما مزق بعض جوانب  
الفرج بالضغط وربما انقطع بعض ما كان في الاغشية من الالتصاق والالتحام بالرحم  
وهذه كلها آلام يشد لها الوجع وهو معنى الطلق فتكون القابلة معينة في ذلك بعض  
الشي بفمز الظهر والوركين وما يحاذي الرحم من الاسفل تساوق بذلك فعل الدافعة

في اخراج الجنين وتسهيل ما يصعب منه بما يمكنه او على ما تهدي الى معرفة عسره ثم  
اذا خرج الجنين بقيت بينه وبين الرحم الوصلة حيث كان يتغذى منها متصلة من  
سرتة بمعاء وتلك الوصلة عضو فضلي لتغذية المولود خاصة فتقطعها القابلة من حيث  
لا تتعدى مكان الفضلة ولا تنضر بمعاء ولا برحم أمه ثم تدمل مكان الجراحة منه بالكي  
أو بماتراه من وجوه الاندمال ثم ان الجنين عند خروجه في ذلك المنفذ الضيق وهو  
رطب العظام سهل الانعطاف والانشاء فربما تتغير أشكال أعضائه وأوضاعها القرب  
التكوين ورطوبة المواد فتتناوله القابلة بالغمز والاصلاح حتى يرجع كل عضو الى شكله  
الطبيعي ووضعها المقدر له ويرتد خلقه سوياً ثم بعد ذلك تراجع النفساء وتخاذلها  
بالغمز والملاينة لخروج أغشية الجنين لانها ربما تأخر عن خروجه قليلاً ويخشى عند  
ذلك أن تراجع المسكة حالها الطبيعية قبل استكمال خروج الاغشية وهي فضلات  
فتعفن ويسرى عفنها الى الرحم فيقع الهلاك فتحاذر القابلة هذا وتحاول في اعانة  
الدفع الى أن تخرج تلك الاغشية ان كانت قد تأخرت ثم ترجع الى المولود فتخرج  
أعضائه بالادهان والذرورات القابضة لتشدّه وتجفف رطوبات الرحم وتحمكه لرفع  
إلهاته وتسعته لاستفراغ بطون دماغه وتغرغره باللعوق لدفع السدد من معاه  
وتجويبهها عن الالتصاق ثم تداوى النفساء بعد ذلك من الوهن الذي أصابها بالطلق  
وما لحق رحمها من ألم الانفصال اذا المولود ان لم يكن عضوها طبعاً فحالة التكوين في  
الرحم صيرته بالالتحام كالعضو المتصل فلذلك كان في انفصاله ألم يقرب من ألم القطع  
وتداوى مع ذلك ما يلحق الفرج من ألم من جراحة التمزيق عند الضغط في الخروج  
وهذه كلها أدواء تنجد هؤلاء القوابل أبصر بدوائها وكذلك ما يعرض للمولود مدّة  
الرضاع من أدواء في بدنه الى حين انفصاله فتجدهن أبصر بهن من الطبيب الماهر  
وما ذاك الا لان بدن الانسان في تلك الحالة انما هو بدن انساني بالقوة فقط فاذا جاوز  
الفصال صار بدن انسانياً بالفعل فكانت حاجته حينئذ الى الطبيب أشدّ فهذه الصناعة  
كما تراه ضرورية في العمران للنوع الانساني لا يتم كون أشخاصه في الغالب دونها  
وقد يعرض لبعض أشخاص النوع الاستغناء عن هذه الصناعة اما بخلق الله ذلك لهم  
معجزة وخرقاً للعادة كما في حق الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أوبالهام وهداية يلهم  
لها المولود ويقطر عليها فيتم وجودهم من دون هذه الصناعة فأما شأن المعجزة من ذلك  
فقد وقع كثيراً ومنه ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم ولدته مسروراً محتوناً واضعاً  
يديه على الارض شاخصاً بصره الى السماء وكذلك شأن عيسى في المهد وغير ذلك وأما  
شأن الالهام فلا ينكر واذا كانت الحيوانات العجم تحتص بفرائب من الالهامات



كالنحل وغيرهما فاطنك بالإنسان المفضل عليها وخصوصا بمن اختص بكرامة الله \* ثم  
 الإلهام العام للمولودين في الأقبال على الثدي أو وضع شاهد على وجود الإلهام العام  
 لهم فشان العناية الإلهية أعظم من أن يحاط به ومن هنا يفهم بطلان رأى الفارابي  
 وحكما الاندلس فيما احتجوا به لعدم انقراض الأنواع واستحالة انقطاع المكونات  
 وخصوصا في النوع الإنساني وقالوا لو انقطعت أشخاصه لاستحالة وجودها بعد  
 ذلك لتوقفه على هذه الصناعة التي لا يتم كون الإنسان إلا بها إذ لو قدر أن مولود دون  
 هذه الصناعة وكفالتها إلى حين الفصال لم يتم بقاؤه أصلا ووجود الصنائع دون الفكر  
 ممنوع لأنها غريزة وتابعة له وتكلف ابن سينا في الرد على هذا الرأي تخالفته أيام وذهابه  
 إلى إمكان انقطاع الأنواع وخراب عالم التكوين ثم عوده ثانياً للاقتضاآت فلا يمكن  
 وأوضاع غريبة تندرج في الاحقاب برزعة فتقتضي تخمير طينة مناسبة لمزاجه بحرارة  
 مناسبة فيتم كونه إنسانا ثم يقيض له حيوان يخلق فيه الهام لتربيته والحنو عليه إلى  
 أن يتم وجوده وفصاله وأظن في بيان ذلك في الرسالة التي سماها رسالة حي بن يقظان  
 وهذا الاستدلال غير صحيح وإن كانوا فقه على انقطاع الأنواع لكن من غير ما استدلت  
 به فإن دليله مبني على اسناد الأفعال إلى العلة الموجبة ودليل القول بالفاعل المختار  
 يرد عليه ولا واسطة على القول بالفاعل المختار بين الأفعال والقدرة القديمة ولا حاجة  
 إلى هذا التكلف \* ثم لو سلمناه جدلا فغاية ما ينبغي عليه اطراد وجود هذا الشخص  
 بخلق الإلهام لتربيته في الحيوان الأعجم وما الضرورة الداعية لذلك وإذا كان الإلهام  
 يخلق في الحيوان الأعجم فما المانع من خلقه للمولود نفسه كما قررناه أولا وخلق  
 الإلهام في شخص لمصالح نفسه أقرب من خلقه فيه لمصالح غيره فكلا المذهبين شاهدان  
 على أنفسهما بالبطلان في مناحيهم لما قررته لك والله تعالى أعلم

٢٩ (نصل في صناعة الطب وانما محتاج اليها في الخواضر والامصار دون البادية)

هذه الصناعة ضرورية في المدن والامصار لما عرف من فائدتها فإن ثمرتها حفظ الصحة  
 للاصحاء ودفع المرض عن المرضى بالمداداة حتى يحصل لهم البرء من أمراضهم واعلم  
 أن أصل الأمراض كلها انما هو من الأغذية كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث  
 الجامع للطب وهو قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس الداء وأصل كل داء البردة فأما  
 قوله المعدة بيت الداء فهو ظاهر وأما قوله الحمية رأس الداء فالحمية الجوع وهو  
 الاحتماء من الطعام والممنى أن الجوع هو الدواء العظيم الذي هو أصل الادوية وأما  
 قوله أصل كل داء البردة فعني البردة ادخال الطعام على الطعام في المعدة قبل أن يتم

هضم الأول وشرح هذا أن الله سبحانه خلق الإنسان وحفظ حياته بالغذاء يستعمله  
 بالاكل وينفذ فيه القوى الهاضمة والغاذية إلى أن يصير دما ملائما لأجزاء البدن من  
 اللحم والعظم ثم تأخذه النامية فينقلب للحا وعظما ومعنى الهضم طبخ الغذاء بالحرارة  
 الغريزية طوراً بعد طور حتى يصير جزءاً بالفعل من البدن وتفسيره أن الغذاء إذا حصل  
 في الفم ولا كته الاشداق أثرت فيه حرارة الفم طبخا يسيرا وقلت مزاجه بعض الشيء  
 كما تراه في اللقمة إذا تناولتها طعاماً ثم أجدها مضغاً فترى مزاجها غير مزاج الطعام  
 ثم يحصل في المعدة فتطبخه حرارة المعدة إلى أن يصير كيماوسا وهو وصفه ذلك المطبوخ  
 وترسله إلى الكبد وترسل ما رسب منه في المعائن لا ينقل إلى المخرجين ثم تطبخ حرارة  
 الكبد ذلك الكيماوس إلى أن يصير دما عبيطا وتطفو عليه رغوة من الطبخ هي الصفراء  
 وترسب منه أجزاء يابسة هي السوداء ويقصر الحار الغريزي بعض الشيء عن طبخ  
 الغليظ منه فهو البلم ثم ترسلها الكبد كلها في العروق والجداول ويأخذها طبخ الحار  
 الغريزي هناك فيكون عن الدم الخالص بخار حار رطب يمد الروح الحيواني وتأخذ  
 النامية مأخذها في الدم فيكون الحما ثم غليظه عظاما ثم يرسل البدن ما يفضل عن حاجته  
 من ذلك فضلات مخلفة من العرق واللعاب والدمع وهذه صورة الغذاء  
 وخروجه من القوة إلى الفعل الحما ثم أن أصل الأمراض ومعظمها هي الحيات وسيبها  
 أن الحار الغريزي قد يضعف عن تمام النضج في طبخه في كل طور من هذه فيبقى ذلك  
 الغذاء دون نضج وسيبها غالباً كثرة الغذاء في المعدة حتى يكون أغلب على الحار الغريزي  
 أو ادخال الطعام إلى المعدة قبل أن تستوفي طبخ الأول فيستقل به الحار الغريزي  
 ويترك الأول بجمله أو يوزع عليهم ما فيقصر عن تمام الطبخ والنضج وترسله المعدة كذلك  
 إلى الكبد فلا تقوى حرارة الكبد أيضا على انضاجه وربما بقي في الكبد من الغذاء  
 الأول فضله غير ناضجة وترسل الكبد جميع ذلك إلى العروق غير ناضج كما هو فإذا أخذ  
 البدن حاجته الملائمة أرسله مع الفضلات الأخرى من العرق والدمع واللعاب إن  
 اقترع على ذلك وربما يعجز عن الكثير منه فيبقى في العروق والكبد والمعدة وتزايد  
 مع الأيام وكل ذي رطوبة من الممتزجات إذا لم يأخذها الطبخ والنضج يعفن فيتعفن ذلك  
 الغذاء غير الناضج وهو المسمى بالخلط وكل متعفن ففيه حرارة غريبة وتلك هي السمماة  
 في بدن الإنسان بالحما واختبر ذلك بالطعام إذا ترك حتى يتعفن وفي الزبل إذا تعفن أيضا  
 كيف تنبعث فيه الحرارة وتأخذ مأخذها فهاذا معنى الحيات في الابدان وهي رأس  
 الأمراض وأصلها كما وقع في الحديث وهذه الحيات علاجها بقطع الغذاء عن المريض  
 أسابيع معلومة ثم يناوله الاغذية الملائمة حتى يتم برؤه وذلك في حال الصحة علاج



في التحفظ من هذا المرض وأصله كما وقع في الحديث وقد يكون ذلك الغفن في عضو مخصوص فيتولد عنه مرض في ذلك العضو ويحدث جراحات في البدن أما في الاعضاء الرئيسة أو في غيرها وقد يمرض العضو ويحدث عنه مرض القوى الموجودة له هذه كلها جماع الامراض وأصلها في الغالب من الاغذية وهذا كله مرفوع الى الطبيب ووقوع هذه الامراض في أهل الحضرة والمصارا أكثر لخصب عيشهم وكثرة ما كلهم وقلة اقتصارهم على نوع واحد من الاغذية وعدم توقيتهم لتناولها وكثيرا ما يخلطون بالاغذية من التوابل والبقول والفواكه رطبا ويابس في سبيل العلاج بالطبخ ولا يقتصرون في ذلك على نوع أو نوعين بل يجمعون في اليوم الواحد من ألوان الطبخ أربعين نوعا من النبات والحيوان فيصير للغذاء مزاج غريب ورعيا يكون غريبا عن ملاءمة البدن وأجزائه ثم إن الاهوية في المصارا تقصد بمخالطة الانجفرة العفنة من كثرة الفضلات والاهوية منشطة للارواح ومقوية بنشاطها الاثر الحار الغريزي في الهضم ثم الرياضة مفقودة لاهل المصارا ذهم في الغالب وادعون ساكنون لا تأخذ منهم الرياضة شيئا ولا تؤثر فيهم أثر افكان ووقوع الامراض كثيرا في المدن والمصارا وعلى قدر وقوعه كانت حاجتهم الى هذه الصناعة وأما أهل البدو فكلهم قليل في الغالب والجوع أغلب عليهم لقلة الحبوب حتى صار لهم ذلك عادة وربما يظن أنها جيلة لا تستمر اراهم الادم قليلة لديهم أو مفقودة بالجملة وعلاج الطبخ بالتوابل والفواكه انما يدعو اليه ترف الحضارة الذين هم معزل عنه ففتنا ولون أغذيتهم بسيطة بعيدة عما يحاطها ويقرب مزاجها من ملاءمة البدن وأما أهويتهم فقليلة الغفن لقلة الرطوبات والعفونات ان كانوا أهلين أو لاختلاف الاهوية ان كانوا طوا عن ثم إن الرياضة موجودة فيهم لكثرة الحركة في ركض الخيل أو الصيد أو طلب الحاجات لمهنة أنفسهم في حاجاتهم فيحسن بذلك كله الهضم ويجود ويقتاد داخل الطعام على الطعام فتكون أمراضهم أصلح وأبعد من الامراض فتقل حاجتهم الى الطب ولهذا لا يوجد الطبيب في البادية توجه وماذا لا الاستغناء عنه اذ لو احتج اليه لوجد لانه يكون له بذلك في البدو معاش يدعو الى سكاه سنة الله التي قد خلت في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا

٣٠ (فصل في ان الخط والكتابة من عداد الصنائع الانسانية)

وهو رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس فهو ثاني رتبة من الدلالة اللغوية وهو صناعة شريفة اذا الكتابة من خواص الانسان التي

يبرز بها عن الحيوان وأيضا فهي تطلع على ما في الضمائر وتتأدى بها الاغراض الى البلد البعيدة فتقضي الحاجات وقد دفعت مؤنة المباشرة لها وبطلع بها على العلوم والمعارف وصحف الاولين وما كتبوه من علومهم وأخبارهم فهي شريفة بهذه الوجوه والمنافع وخروجها في الانسان من القوة الى الفعل انما يكون بالتعليم وعلى قدر الاجتماع والعمران والتساعى في الكمالات والطلب لذلك تكون جودة الخط في المدينة اذهو من جملة الصنائع وقد قدمنا أن هذا شأنها وأنها تابعة للعمرة ولهذا نجد أكثر البدو أميين لا يكتبون ولا يقرؤون ومن قرأ منهم أو كتب فيكون خطه قاصرا وقراءته غير نافذة ونجد تعليم الخط في المصارا الخارج عمراتها عن الحد أبلغ وأحسن وأسهل طريقا للاستحكام الصنعة فيها كما يحكي لنا عن مصر لهذا العهد وأن بها معلمين منتصبين لتعليم الخط بالقون على المتعلم قوانين وأحكاما في وضع كل حرف ويريدون الى ذلك المباشرة بتعليم وضعه فتعقد لديه رتبة العلم والحس في التعليم وتأتي ملكته على أتم الوجوه وانما أتى هذا من كمال الصنائع ووفورها بكثرة العمران وانفساح الاعمال وقد كان الخط العربي بالغامبا لغيره من الاحكام والاتقان والجودة في دولة التبابعة لما بلغت من الحضارة والترف وهو المسمى بالخط الحيري وانتقل منها الى الحيرة لما كان بها من دولة آل المنذر نسباء التبابعة في العصبية والمجدين لملك العرب بأرض العراق ولم يكن الخط عندهم من الاجادة كما كان عند التبابعة لقصور ما بين الدولتين وكانت الحضارة وتوابعها من الصنائع وغيرها قاصرة عن ذلك ومن الحيرة لقننه أهل الطائف وقريش فيما ذكر يقال ان الذي تعلم الكتابة من الحيرة هو سفيان بن أمية ويقال حرب ابن أمية وأخذها من أسلم بن سدره وهو قول ممكن وأقرب ممن ذهب الى أنهم تعلموها من اباد أهل العراق لقول شاعرهم

قوم لهم ساحة العراق اذا \* ساروا جميعا والخط والقلم

وهو قول بعيد لان ابادا وانزلوا ساحة العراق فلم ير الواعلي شأنهم من البداوة والخط من الصنائع الحضارية وانما معنى قول الشاعر أنهم أقرب الى الخط والقلم من غيرهم من العرب لقربهم من ساحة المصارا وضواحيها فالقول بأن أهل الحجاز انما لقنوها من الحيرة ولقننها أهل الحيرة من التبابعة وجيرها والليق من الاقوال وكان الحير كتابا تسمى المسند حروفها منفصلة وكانوا يمنعون من تعلمها الا باذنهم ومن حير تعلمت مضر الكتابة العربية الا أنهم لم يكونوا مجيدين لها شأن الصنائع اذا وقعت بالبدو فلا تكون محكمة المذهب ولا ماثلة الى الاتقان والتميق لبون ما بين البدو والصناعة واستغناء البدو عنها في الاكثر وكانت كتابة العرب بدوية مثل أو قريش من كتابتهم لهذا العهد



أقول ان كتابهم لهذا العهد أحسن صناعة لان هؤلاء أقرب الى الحضارة ومخالطة  
 الامصار والدول وأما مضر فكانوا أعرق في البدو وأبعد عن الحضرة من أهل اليمن  
 وأهل العراق وأهل الشام ومصر فكان الخط العربي لا قول الاسلام غير بالغ الى الغاية  
 من الاحكام والاتقان والاجادة ولا الى التوسط لمكان العرب من البداوة والتوحش  
 وبعدهم عن الصنائع وانظر ما وقع لاجل ذلك في رسمهم المصحف حيث رسمه الصحابة  
 بخطوطهم وكانت غير مستحكمة في الاجادة فخالف الكثير من رسوماتهم ما اقتضته  
 رسوم صناعة الخط عند أهلها ثم ائتمنوا المتابعون من السلف رسمهم فيها تبرا كما رسمه  
 أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخير الخلق من بعده المتلقون لوجيه من كتاب الله  
 وكلامه كما يقتضي لهذا العهد خط ولى أو عالم تبركا ويتبع رسمه خطأ أو صوابا أو ينسب  
 ذلك من الصحابة فيما كتبوه فاتبع ذلك وانبت رسمه العبد بالرسم على مواضعه  
 ولا تلتفت في ذلك الى ما رزعه بعض المغفلين من أنهم كانوا يحكمين لصناعة الخط وأن  
 ما يتخيل من مخالفة خطوطهم لاصول الرسم ليس كما يتخيل بل لكها وجه ويقولون  
 في مثل زيادة الالف في لا أذبحنه انه تنبيه على أن الذبح لم يقع وفي زيادة الباء في بأيده انه  
 تنبيه على كمال القدرة الربانية وأمثال ذلك مما لا أصل له الا التحكم المحض وما حلهم  
 على ذلك الاعتقاد هم أن في ذلك تنزيها للصحابة عن توهم النقص في قلة اجادة الخط  
 وحسبوا أن الخط كمال فنزوههم عن نقصه ونسبوا اليهم الكمال باجاده وطلبوا تعليلا  
 ما خالف الاجادة من رسمه وذلك ليس بصحيح \* واعلم أن الخط ليس بكمال في حقهم  
 اذا لم ينسبوا له الصنائع المدنية المعاشية كما رأيت فيما مر والكمال في الصنائع اضافي  
 وليس بكمال مطلق اذا يعود نقصه على الذات في الدين ولا في الخلال وانما يعود على  
 أسباب المعاش وبحسب العمران والتعاون عليه لاجل دلالة على ما في النفوس وقد  
 كان صلى الله عليه وسلم أميا وكان ذلك كمالا في حقه وبالنسبة الى مقامه لشرفه وتنزهه  
 عن الصنائع العملية التي هي أسباب المعاش والعمران كلها وليست الامة كمالا في  
 حقنا نحن اذ هو منقطع الى ربه ونحن متعاونون على الحياة الدنيا شأن الصنائع كلها حتى  
 العلوم الاصطلاحية فان الكمال في حقه هو تنزهه عنها بجلته بخلافنا ثم لما جاء الملك  
 للعرب وفقوا الامصار وملكوا الممالك ونزلوا البصرة والكوفة واحتاجت الدولة  
 الى الكتابة استعملوا الخط وطلبوا صناعته وتعلمه وتداولوه فترقت الاجادة فيه  
 واستحكم وبلغ في الكوفة والبصرة رتبة من الاتقان الا أنها كانت دون الغاية والخط  
 الكوفي معروف الرسم لهذا العهد ثم انتشر العرب في الاقطار والممالك واقتحموا  
 افريقية والاندلس واختط بنو العباس بغداد وترقت الخطوط فيها الى الغاية لما

استجرت في العمران وكانت دار الاسلام ومركز الدولة العربية وكان الخط البغدادي  
 معروف الرسم وتبعه الاقربى المعروف رسمه القديم لهذا العهد ويقر من أوضاع  
 الخط المشرقي وتحتيز ملك الاندلس بالامويين فتميزوا بأحوالهم من الحضارة والصنائع  
 والخطوط فتميز صنف خطهم الاندلسي كما هو معروف الرسم لهذا العهد وطما بحر  
 العمران والحضارة في الدول الاسلامية في كل قطر وعظم الملك ونفقت أسواق العلوم  
 وانتسخت الكتب واجيد كتبها وتجليدها وملئت بها القصور والخزائن الملوكية بما  
 لا كفا له وتنافس أهل الاقطار في ذلك وتنافسوا فيه ثم لما انحلت نظام الدولة الاسلامية  
 وتناقصت تناقص ذلك أجمع ودرست معالم بغداد بدروس الخلاف فانتقل شأنها من  
 الخط والكتابة بل والعلم الى مصر والقاهرة فلم تزل أسواقها نافقة لهذا العهد وله بها  
 معلمون يرسمون لتعليم الحروف بقوانين في وضعها وأشكالها متعارفة بينهم فلا يلبث  
 المتعلم أو يحكم أشكال تلك الحروف على تلك الاوضاع وقد لقنها حسنا وحذق فيها  
 درية وكابا وأخذها قوانين علمية فتجىء أحسن ما يكون وأما أهل الاندلس فافترقوا  
 في الاقطار عند ثلاثي ملك العرب بها ومن خلفهم من البربر وتغلبت عليهم أمم  
 النصرانية فانتشروا في عدوة المغرب وافر بقية من لدن الدولة اللاتينية الى هذا  
 العهد وشاركوا أهل العمران بما لديهم من الصنائع وتعلقوا بأذيال الدولة فغلب  
 خطهم على الخط الاقربى وعنى عليه ونسى خط القروان والمهدية بنسيان عوائدهما  
 وصنائعهما وصارت خطوط أهل افريقية كلها على الرسم الاندلسي بتونس وما اليها  
 لتوفر أهل الاندلس بها عند الجالية من شرق الاندلس وبقي منه رسم يلاذ الجريد الذين  
 لم يحاطوا كتاب الاندلس ولا تترسوا بجوارهم انما كان يغدون على دار الملك بتونس  
 فصارت خط أهل افريقية من أحسن خطوط أهل الاندلس حتى اذا تقلص ظل الدولة  
 الموحدية بعض الشيء وتراجع أمر الحضارة والترفع بتراجع العمران نقص حينئذ حال  
 الخط وفسدت رسوماته وجهل فيه وجه التعليم بفساد الحضارة وتناقص العمران  
 وبقيت فيه آثار الخط الاندلسي تشهد بما كان لهم من ذلك لما قدمنا من أن الصنائع  
 اذا رست بالحضارة فيعسر محوها وحصل في دولة بني حمرين من بعد ذلك بالمغرب  
 الاقصى لون من الخط الاندلسي اقرب جوارهم وسقوط من خرج منهم الى فاس  
 قريبا واستعملهم اياهم سائر الدولة ونسى عهد الخط فيما بعد عن سدة الملك وداره كأنه  
 لم يعرف فصارت الخطوط بافر بقية والمغربين ما تله الى الرداءة بعيدة عن الجودة  
 وصارت الكتب اذا انتسخت فلا فائدة تحصل لتصفحتها منها الا العناء والمشقة لكثرة  
 ما يقع فيها من الفساد والتصحيف وتغيير الاشكال الخطية عن الجودة حتى لا تكاد



تقرأ الأبعد عسر ووقع فيه ما وقع في سائر الصنائع بنقص الحضارة وفساد الدول  
والله أعلم

### ٣١ (فصل في صناعة الورق)

كانت العناية قديماً بالدواوين العلمية والسجلات في نسخها وتجليدها وتصحيحها  
بالرواية والضبط وكان سبب ذلك ما وقع من ضخامة الدولة وتوابع الحضارة وقد ذهب  
ذلك لهذا العهد بنهاية الدولة وتناقص العمران بعد أن كان منه في الملة الإسلامية  
بحر زار بالعراق والاندلس اذ هو كله من توابع العمران واتساع نطاق الدولة  
وتفاق أسواق ذلك لديهم ما فكثر التأليف العلمية والدواوين وحرص الناس  
على تناقلهما في الآفاق والأعصار فاتسخت وجلدت وجاءت صناعة الورق بين  
المعانيين للانساخ والتصحيح والتجليد وسائر الامور الكمية والدواوين واختصت  
بالامصار العظيمة العمران وكانت السجلات أولاً لا تنساخ العلوم وكتب  
الرسائل السلطانية والاقطاعات والصكوك في الرقوق المهيأة بالصناعة من الجلد  
لكثرة الرفه وقلة التأليف صدر الملة كما ذكره وقلة الرسائل السلطانية والصكوك مع  
ذلك فاقصر واعلى الكتاب في الرق تشرىفاً للمكتوبات وميلابها الى الصحة والاتقان  
ثم طما بحر التأليف والتدوين وكثر ترسيل السلطان وصكوكه وضاق الرق عن ذلك  
فأشار الفضل بن يحيى بصناعة الكاغد وصنعه وكتب فيه رسائل السلطان وصكوكه  
واتخذها الناس من بعده صحفاً للمكتوباتهم السلطانية والعلمية وبلغت الاجادة في  
صناعته ما شاءت ثم وقفت عناية أهل العلوم وهم أهل الدول على ضبط الدواوين  
العلمية وتصحيحها بالرواية المسندة الى مؤلفيها واضعها لانه الشأن الاهم من التصحيح  
والضبط فبذلك تسند الاقوال الى قائلها والفتيا الى الحاككم بها المجتهد في طريق  
استنباطها وما لم يكن تصحيح المتن باسنادها الى مدونها فلا يصح اسناد قول لهم ولا قبا  
وهكذا كان شأن أهل العلم وحملته في العصور والاجيال والآفاق حتى لقد قصرت  
فائدة الصناعة الحديثة في الرواية على هذه فقط اذ غرتم الكبري من معرفة صحيح  
الاحاديث وحسنها ومسندها ومرسلها ومقطوعها وموقوفها من موضوعها قد  
ذهبت وتختضت زبدة في ذلك الاتهامات المتلقاة بالقبول عند الامة وصار القصد الى  
ذلك لغوامن العمل ولم يبق عمرة الرواية والاستغفال بها الا في تصحيح تلك الاتهامات  
الحديثة وسواها من كتب الفقه للفتيا وغير ذلك من الدواوين والتأليف العلمية  
واتصال سندها بمؤلفيها ليصح النقل عنهم والاسناد اليهم وكانت هذه الرسوم بالمشرق

والاندلس معبدة الطرق واضحة المسالك ولهذا نجد الدواوين المنتسخة لذلك العهد  
في أقطارهم على غاية من الاتقان والاحكام والصحة ومنها هذا العهد بأيدي الناس  
في العالم أصول عتيقة تشهد ببلوغ الغاية لهم في ذلك وأهل الآفاق يتناقلونهم الى  
الآن ويشدون عليها يد الضمانة ولقد ذهبت هذه الرسوم لهذا العهد جولة بالمغرب  
وأهله لا تقطع صناعة الخط والضبط والرواية منه بانتقاص عمرانه وبدعوة أهله وصارت  
الامتهات والدواوين تنسخ بالخطوط البدوية تنسخها طلبة البر برصائف مستعجبة  
برداءة الخط وكثرة الفساد والتخفيف فتستغلق على متصفحها ولا يحصل منها فائدة  
الا في الاقل النادر وأيضاً فقد دخل الخلل من ذلك في النسيان غالب الاقوال  
المعزوة غير مروية عن أئمة المذهب وانما تلتقي من تلك الدواوين على ما هي عليه  
وتبع ذلك أيضاً ما يتصدى اليه بعض أئمتهم من التأليف لقله بصرهم بصناعته وعدم  
الصنائع الوافية بمقاصده ولم يبق من هذا الرسم بالاندلس الا اثاره خفية بالاتجاه وهي  
على الاضمحلال فقد كاد العلم ينقطع بالكلمة من الغرب والله غالب على أمره ويغنا  
لهذا العهد أن صناعة الرواية فاعلة بالمشرق وتصحيح الدواوين لمن يرويه بذلك سهل  
على مبتغيه لنفاق أسواق العلوم والصنائع كما ذكره بعد الآن الخط الذي بقي من  
الاجادة في الانساخ هنالك انما هو للعجم وفي خطوطهم وأما النسخ بمصر ففسد كما قد  
بالمغرب وأشد والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

### ٣٢ (فصل في صناعة الغناء)

هذه الصناعة هي تلحين الاشعار الموزونة بتقطيع الاصوات على نسب منتظمة معروفة  
يوقع على كل صوت منها لوقعا عند قطعه فيكون نغمة ثم تواف تلك النغم بعضها الى  
بعض على نسب متعارفة فيلذ سماعها لاجل ذلك التناسب وما يحدث عنه من الكيفية  
في تلك الاصوات وذلك أنه تبين في علم الموسيقى أن الاصوات تتناسب فيكون صوت  
نصف صوت وربع آخر وخمس آخر وجزأ من أحد عشر من آخر واختلاف هذه  
النسب عند تأديتها الى السمع يخرجها من البساطة الى التركيب وليس كل تركيب  
منها ملائمة عند السماع بل تركيب خاصة هي التي حصرها أهل علم الموسيقى وتكلموا  
عليها كما هو مذكور في موضعه وقد يساوق ذلك التلحين في النغمات الغنائية بتقطيع  
أصوات أخرى من الجادات اما بالقرع أو بالنفخ في الآلات تتخذ لذلك فترى لها لذة  
عند السماع فمنها هذا العهد أصناف منها ما يسمى بالشبابية وهي قصبة جوفاء بأبجاش  
في جوانبها معدودة يتفخ فيها قصوت ويخرج الصوت من جوفها على سداة من تلك



الابحاش ويقطع الصوت بوضع الاصابع من اليدين جميعا على تلك الابحاش وضعا متعارفا حتى تحدث النسب بين الاصوات فيه وتتصل كذلك متناسبة فيلذ السمع بادراكها للنسب الذي ذكرناه ومن جنس هذه الآلة المزمار الذي يسمى الزلاحي وهو شكل القصبة منحوتة الجانبين من الخشب جوفاء من غير تدوير لاجل اختلافها من قطعتين منفردتين كذلك بالبحاش معدودة ينفتح فيها بقصبة صغيرة توصل فينذ المغني بواسطتها اليها وتصوت بنغمة حادة يجري فيها من تقطيع الاصوات من تلك الابحاش بالاصابع مثل ما يجري في الشبابة ومن أحسن آلات الزمر لهذا العهد البوق وهو بوق من نحاس أجوف في مقدار الذراع يتسع الى أن يكون انقراج مخرجه في مقدار دون الكف في شكل برى القلم وينفتح فيه بقصبة صغيرة تؤدي الريح من الفم اليه فيخرج الصوت فيخداد ويا وفيه ابحاش ايضا معدودة وتقطع نغمة منها كذلك بالاصابع على التناسب فيكون ما نذوا ومنها آلات الاوتار وهي جوفاء كلها اما على شكل قطعة من الكرة مثل الربط والرباب أو على شكل مربع كالقانون توضع الاوتار على بساطها مشدودة في رأسها الى دساتر جائلة لتأق شدة الاوتار ورخوها عند الحاجة اليه بادارتها ثم تقرر الاوتار ما يعود آخر أو بوتر مشدود بين طرفي قوس يمر عليه باهد أن يطل بالسمع والكندرو ويقطع الصوت فيه بتخفيف اليد في امراره أو نقله من وتر الى وتر واليد اليسرى مع ذلك في جميع آلات الاوتار توقع بأصابعها على أطراف الاوتار فيما يقرر أو يحك بالوتر فتحدث الاصوات متناسبة ملذوذة وقد يكون القرع في الطسوت بالقضبان أو في الاعواد بعضها بعض على توقييع متناسب يحدث عنه التذاذ بالمجموع وتبين لك السبب في اللذة الناشئة عن الغناء وذلك أن اللذة كما تقرر في موضعه هي ادراك الملائم والمحسوس انما تدرك منه كيفية فاذا كانت مناسبة للمدرك وملائمة كانت ملذوذة واذا كانت منافية له منافرة كانت مؤلمة فالملائم من الطعوم ما ناسبت كيفيته حاسة الذوق في مزاجها وكذا الملائم من المموسات وفي الروائح ما ناسبت مزاج الروح القلبي البخاري لانه المدرك واليه تؤدي الحاسة ولهذا كانت الرياحين والازهار والطريات أحسن رائحة وأشد ملاءمة للروح الغلبة الحرارة فيها التي هي مزاج الروح القلبي وأما المرئيات والمسموعات فالملائم فيها تناسب الاوضاع في أشكالها وكيفياتها فهو أنسب عند النفس وأشد ملاءمة لها فاذا كان المرئي متناسبا في أشكاله وتخطيطه التي له بحسب مادته بحيث لا يخرج عما تقتضيه مادته الخاصة من كمال المناسبة والوضع وذلك هو معنى الجمال والحسن في كل مدرك كان ذلك حينئذ متناسبا للنفس المدركة فلهذا يدرك الملائمات ولهذا تجد العاشقين المستهترين

في المحبة يعبرون عن غاية محبتهم وعشقهم بامتزاج أرواحهم بروح المحبوب وفي هذا سر تفهمه ان كنت من أهله وهو اتحاد المبدأ وان كل ماسواك اذا نظرت وتأملته رأيت يذك ويبنه اتحادا في البداية يشهد لك به اتحاد كما في الكون ومعناه من وجه آخر أن الوجود يشترط بين الموجودات كما نقوله الحكماء فتود أن تخرج بما شاهدت فيه الكمال لتجده بل تروم النفس حينئذ الخروج عن الوهم الى الحقيقة التي هي اتحاد المبدأ والكون ولما كان أنسب الاشياء الى الانسان وأقربها الى أن يدرك الكمال في تناسب موضوعها هو شكله الانساني فكان ادراكه للجمال والحسن في تخطيطه وأصواته من المدارك التي هي أقرب الى فطرته فيلهمج كل انسان بالحسن من المرقى أو المجموع بمقتضى الفطرة والحسن في المجموع أن تكون الاصوات متناسبة لا متنافرة وذلك أن الاصوات لها كيفيات من الهمس والجهر والرخاوة والشدّة والقلقلة والضغط وغير ذلك والتناسب فيها هو الذي يوجب لها الحسن فأولا أن لا يخرج من الصوت الى مده دفعة بل بتدريج ثم يرجع كذلك وهكذا الى المثل بل لا بد من توسط المغاير بين الصوتين وتأمل هذا من افتتاح أهل اللسان التراكيب من الحروف المتنافرة أو المتقاربة المخارج فانه من بابيه وثانيا تناسبها في الاجزاء كما مر أول الباب فيخرج من الصوت الى نصفه أو ثلثه أو جزء من كذا منه على حسب ما يكون التنقل متناسبا على ما حصره أهل الصناعة فاذا كانت الاصوات على تناسب في الكيفيات كما ذكره أهل تلك الصناعة كانت ملائمة ملذوذة ومن هذا التناسب ما يكون بسيطاً ويكون الكثير من الناس مطبوعا عليه لا يحتاجون فيه الى تعليم ولا صناعة كما نجد المضبوعين على الموازين الشعرية وتوقييع الرقص وأمثال ذلك وتسمى العامة هذه القابلية بالمضمار وكثير من القراء بهذه المشابة يقرؤون القرآن فيجيدون في تلاحين أصواتهم كأنها المزمار فيطربون بحسن مساقهم وتناسب نغماتهم ومن هذا التناسب ما يحدث بالتركيب وليس كل الناس يستوى في معرفته ولا كل الطباع توافق صاحبها في العمل به اذا علم وهذا هو التلحين الذي يتكفل به علم الموسيقى كما نشرحه بعد عند ذكر العلوم وقد أنكر مالك رحمه الله تعالى القراءة بالتلحين وأجازها الشافعي رضي الله تعالى عنه وليس المراد تلحين الموسيقى الصناعية فانه لا ينبغي أن يختلف في حظره اذ صناعة الغناء مباينة للقرآن بكل وجه لان القراءة والاداء تحتاج الى مقدار من الصوت لتعين أداء الحروف لا من حيث اتباع الحركات في موضعها ومقدار المد عند من يطلقه أو يقصره وأمثال ذلك والتلحين أيضا يعين له مقدار من الصوت لا يتم الا به من أجل التناسب الذي قلناه في حقيقة التلحين واعتباراً أحدهما قد يخل بالآخر



اذا تعارضا وتقديم الرواية متعين من تغيير الرواية المنقولة في القرآن فلا يمكن اجتماع  
التلحين والاداء المعترف في القرآن بوجه وانما امر ادهم التلحين البسيط الذي يهتدى  
اليه صاحب المضمار بطبعه كما قدمناه في رد أصواته ترددا على نسب يدركها العالم  
بالغناء وغيره ولا ينبغي ذلك بوجه كما قاله مالك هذا هو محل الخلاف والظاهر تنزيه  
القرآن عن هذا كما ذهب اليه الامام رحمه الله تعالى لان القرآن محل خشوع وذكر  
الموت وما بعده وليس مقام التذاذ بادراك الحسن من الاصوات وهكذا كانت قراءة  
الصحابه رضي الله عنهم كافي أخبارهم وأما قوله صلى الله عليه وسلم لقد أوتي من ما زامن  
من امير آل داود فليس المراد به التريد والتلحين انما معناه حسن الصوت وأداء القراءة  
والإبانة في مخارج الحروف والنطق بها واذ قد ذكرنا معنى الغناء فاعلم أنه يحدث في  
العمران اذا توفروا وتجاوز حد الضرورى الى الخاسى ثم الى الكمال وتفننوا فحدثت  
هذه الصناعة لانه لا يستدعيها الا من فرغ من جميع حاجاته الضرورية والمهمة من  
المعاش والمنزل وغيره فلا يطلبها الا الغارغون عن سائر أحوالهم تغنى في مذهب  
الملذوذات وسكان في سلطان العجم قبل الملة منها بجزاخر في أمصارهم ومدنهم  
وكان ملوكهم يتخذون ذلك ويولعون به حتى لقد كان ملوك الفرس اهتمام بأهل هذه  
الصناعة ولهم مكان في دولتهم وكانوا يحضرون مشاهدتهم ومجامعهم ويغنون فيها  
وهذا شأن العجم لهذا العهد في كل أفق من آفاقهم ومملكة من ممالكهم وأما العرب  
فكان لهم أولافن الشعر يؤلفون فيه الكلام أجزاء متساوية على تناسب بينها في عدة  
حروفها المنحرفة والساكنة ويفصلون الكلام في تلك الاجزاء تفصيلا يكون كل جزء  
منه مستقلا بالافادة لا ينقطع على الآخر ويسمونه البيت فتلائم الطبع بالتجزئة  
أولافن تناسب الاجزاء في المقاطع والمبادئ ثم بتأدية المعنى المقصود وتطبيق الكلام  
عليها فلهجوا به فامتا من بين كلامهم يحفظ من الشرف ليس لغيره لاجل اختصاصه  
بهذا التناسب وجعلوه ديوانا لاخبارهم وحكمهم وشرفهم ومحكا لقرايحهم في اصابة  
المعاني واجادة الاساليب واستقراء على ذلك وهذا التناسب الذي من أجل الاجزاء  
والمنحرفة والساكن من الحروف قطرة من بحر من تناسب الاصوات كما هو معروف في  
كتب الموسيقى الا أنهم لم يشعروا بما سواه لانهم حينئذ لم يتحلوا علما ولا عرفوا صناعة  
وكانت البداوة أغلب نحلهم ثم تغنى الحداة منهم في حداة بلهم والفتيان في فضاء  
خلواتهم ثم فرجعوا الاصوات وترعوا وكانوا يسمون الترم اذا كان بالشعر غناء واذا  
كان بالتليل أنواع القراءة تغبيرا بالغين المعجمة والباء الموحدة وعللها أبو اسحق  
الزجاج بأنها تذكري الغابر وهو الباقي أى بأحوال الآخرة وربما ناسبوا في غنائهم بين

النعيمات مناسبة بسيطة كما ذكره ابن رشيق آخر كتاب العمدة وغيره وكانوا يسمونه  
السناد وكان أكثر ما يكون منهم في الخفيف الذي يرقص عليه ويمشى بالدف والمزمار  
في طرب ويستحق الخلود وكانوا يسمون هذا الهزج وهذا البسيط كله من التلاحين هو  
من أوائلها ولا يعد أن تنقطن له الطباع من غير تعليم شأن البساط كلها من الصنائع  
ولم يزل هذا شأن العرب في بداوتهم وجاهليتهم فلما جاء الاسلام واستولوا على ممالك  
الدنيا وحازوا سلطان العجم وغلبوهم عليه وكانوا من البداوة والغضاضة على الحال  
التي عرفت لهم مع غضارة الدين وشدة في ترك أحوال الفراغ وما ليس بانفع في دين  
ولامعاش فهجروا ذلك شيئا ما ولم يكن الملذوذ عندهم الا ترجيع القراءة والترنم بالشعر  
الذي هو دينهم ومذهبهم فلما جاءهم الترف وغلب عليهم الرفه بما حصل لهم من غنائم  
الامصار والى نصارة العيش ورقة الحاشية واستحلاء الفراغ واقترب الماغنون من  
الفرس والروم فوقعوا الى الحجاز وصاروا موالى للعرب وغنوا جميعا بالعبدان  
والطنابير والمعارف والمزامير وسمع العرب تلحينهم للاصوات فلحنوا عليها أشعارهم  
وظهر بالمدينة نشيط الفارسي وطويس وسائب حاتمولى عبيد الله بن جعفر فسمعوا  
شعر العرب ولحنوه وأجادوا فيه وطار لهم ذكر ثم أخذ عنهم معبد وطبقته وابن مريح  
وأنتظاره وما زالت صناعة الغناء تتدرج الى أن كملت أيام بنى العباس عند ابراهيم بن  
المهدى وابراهيم الموصلى وابنه اسحق وابنه حماد وكان من ذلك في دولتهم بيغداد  
ماتبعه الحديث بعده وبجاليه هذا العهد وأمعنوا في اللهو واللعب واتخذت  
آلات الرقص في الملابس والقضبان والأشعار التي يترنم بها عليه وجعل صنفا وحده  
واتخذت آلات أخرى للرقص تسمى بالكزج وهي تماثيل خيل مسرحة من الخشب  
معلنة بأطراف أقبية يلبسها النسوان ويحاكين بها امتطاء الخيل فيكرونها ويترنمون  
ويشاقفون وأما نال ذلك من اللعب المعد للولائم والاعراس وأيام الاعياد ومجالس  
الفراغ واللهو وكثر ذلك بيغداد وأمصار العراق وانتشر منها الى غيرها وكان للموصلين  
غلام اسمه زرياب أخذ عنهم الغناء فأجاد فصرفوه الى المغرب غيرته منه فلمحق بالحكم  
ابن هشام بن عبد الرحمن الداخل أمير الاندلس فبالغ في تكريمه وركب للقائه وأسنى له  
الجوائز والاقطاعات والجزايات وأحله من دولته وندمائه بمكان فأورث بالاندلس من  
صناعة الغناء ما تناقلوه الى أزمان الطوائف وطما من بابا شيلية بجزراخر وتناقل منها  
بعد ذهاب غضايتها الى بلاد العدو بآفر بيقية والمغرب وانقسم على أمصارها وبها  
الآن منها صباية على تراجع عمرائها وتنقص دولها وهذه الصناعة آخر ما يحصل في  
العمران من الصنائع لانها كالبية في غير وظيفة من الوظائف الا وظيفة الفراغ



والفرح وهي ايضا أول ما ينقطع من العمران عند اختلاله وتراجعه والله أعلم

## ٢٢ (فصل في ان الصنائع تكسب صاحبها عقلا وفهما الكتاب و الحساب)

قد ذكرنا في الكتاب أن النفس الناطقة للانسان انما توجد فيه بالقوة وأن خروجها من القوة الى الفعل انما هو بتجدد العلوم والادراكات عن المحسوسات أولًا ثم ما يكتسب بعدها بالقوة النظرية الى أن يصير ادراكها بالفعل وعقلا محضًا فتكون ذاتا روحانية ويستكمل حينئذ وجودها فوجب لذلك أن يكون كل نوع من العلم والنظر يفيد عقلا فريدا والصنائع أبدًا يحصل عنها وعن ملكتها قانون علمي مستفاد من تلك الملكة فلهذا كانت الحنكة في التجربة تفيد عقلا والملكات الصناعية تفيد عقلا والحضارة الكاملة تفيد عقلا لانها مجتمعة من صنائع في شأن تدبير المنزل ومعايشة أبناء الجنس وتحصيل الآداب في مخالطتهم ثم القيام بأمر الدين واعتبار آدابها وشرائطها وهذه كلها قوانين تنظم علومها فيحصل منها زيادة عقل والكتابة من بين الصنائع أكثر افادة لذلك لانها تشمل على العلوم والانظار بخلاف الصنائع وببأنه أن في الكتابة انتقالا من الحروف الخطية الى الكلمات اللفظية في الخيال ومن الكلمات اللفظية في الخيال الى المعاني التي في النفس ذلك دائما فيحصل لها ملكة الانتقال من الأدلة الى المدلولات وهو معنى النظر العقلي الذي يكسب العلوم المجهولة فيكسب بذلك ملكة من التعقل تكون زيادة عقل ويحصل به قوة فطنة وكيس في الأمور لما تعودوه من ذلك الانتقال ولذلك قال كسرى في كتابه لما راهم تلك الفطنة والكيس فقال ديوانه أي شياطين وجنون قالوا وذلك أصل اشتقاق الديوان لاهل الكتابة ويلحق بذلك الحساب فان في صناعة الحساب نوع تصرف في العدد بالضم والتفريق يحتاج فيه الى استدلال كثير فيبقى متعودا للاستدلال والنظر وهو معنى العقل والله أعلم

## (الفصل السادس من الكتاب الاول)

في العلوم والصنائع والتعليم وطرق دسائر وجهه وما يمرض في ذلك كله من الاحوال وفيه مقدمة ولواحق

## ١ (فصل في ان العلم والتعليم طبيعي في العمران البشري)

وذلك أن الانسان قد شاركت جميع الحيوانات في حيوانيته من الحس والحركة والغذاء والكن وغير ذلك وانما تميز عنها بالفكر الذي يهدي به لتحصيل معاشه والتعاون عليه ببناء جنسه والاجتماع المهني لذلك التعاون وقبول ما جاءت به الانبياء

عن الله تعالى والعمل به واتباع صلاح آخره فهو مفكر في ذلك كله دائما لا يفتر عن الفكر فيه طريقة عين بل اختلاج الفكر أسرع من لمح البصر وعن هذا الفكر تنشأ العلوم وما قدمناه من لصنائع ثم لاجل هذا الفكر وما جبل عليه الانسان بل الحيوان من تحصيل ما تستدعيه الطباع فيكون الفكر راغبا في تحصيل ما ليس عنده من الادراكات فيرجع الى من سبقه بعلم أو زاد عليه بعرفة أو ادرأه أو أخذه عن تقدمه من الانبياء الذين يبلغونه لمن تلقاه فيلقن ذلك عنهم ويحرص على أخذه وعلمه ثم ان فكره ونظيره يتوجه الى واحد واحد من الحقائق وينظر ما يعرض له لذاته واحد بعد آخر ويتمرن على ذلك حتى يصير الحقائق العوارض بتلك الحقيقة ملكة له فيكون حينئذ علمه بما يعرض لتلك الحقيقة علما مخصوصا وتتشوف نفوس أهل الجيل الناشئ الى تحصيل ذلك فيفزعون الى أهل معرفته ويحيى التعليم من هذا فقد تبين بذلك أن العلم والتعليم طبيعي في البشر

## ٢ (فصل في ان التعليم للعلم من جملة الصنائع)

وذلك أن الخدق في العلم والتقني فيه والاستيلاء عليه انما هو بحصول ملكة في الاطاعة بعبادته وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله ومالم تحصل هذه الملكة لم يكن الخدق في ذلك الفن المتناول حاصلًا وهذه الملكة هي في غير الفهم والوعي لاننا نجد فهم المسئلة الواحدة من الفن الواحد وعيها مشتركا بين من شدا في ذلك الفن وبين من هو مبتدئ فيه وبين العاصي الذي لم يحصل علما وبين العالم النحرير والملك انما هي للعالم أو الشاوي في الفنون دون من سواهما فدل على أن هذه الملكة غير الفهم والوعي والملكات كلها جسمانية سواء كانت في البدن أو في الدماغ من الفكر وغيره كاللحساب والجسمانيات كلها محسوسة فمفتقر الى التعليم ولهذا كان السند في التعليم في كل علم أو صناعة الى مشاهير المعلمين فيها معتبرا عند كل أهل أفق وجيل وبديل أيضا على أن تعليم العلم صناعة اختلاف الاصطلاحات فيه فلكل امام من الأئمة المشاهير اصطلاح في التعليم يختص به شأن الصنائع كلها فدل على أن ذلك الاصطلاح ليس من العلم والالكان واحدا عند جميعهم ألا ترى الى علم الكلام كيف يتخالف في تعليمه اصطلاح المتقدمين والمتأخرين وكذا أصول الفقه وكذا العربية وكذا كل علم يتوجه الى مطالعته تجد الاصطلاحات في تعليمه متخالفة فدل على أنها صناعات في التعليم والعلم واحد في نفسه واذا تقرر ذلك فاعلم أن سند تعليم العلم لهذا العهد قد كاد أن ينقطع عن أهل المغرب باختلال عمرانه وتناقص الدول فيه وما يحدث عن ذلك



من نقص الصنائع وفقدانها كما هو وذلك أن القيروان وقرطبة كانتا حاضرتي المغرب  
والاندلس واستجرح عمرانها وكان فيهما للعلوم والصنائع أسواق نافقة وبحور زاخرة  
ورسخ فيهما التعليم لامتداد عصورهما وما كان فيهما من الحضارة فلما خربتا انقطع  
التعليم من المغرب الاقليلا كان في دولة الموحدين عمرا كثر مستفاد منها ولم ترسخ  
الحضارة عمرا كثر ابدا دولة الموحدية في أولها وقرب عهد انقراضها بمبدئها فلم  
تصل أحوال الحضارة فيها الا في الاقل وبعد انقراض الدولة عمرا كثر ارتحل  
الى المشرق من افريقية القاضي أبو القاسم بن زيتون لعهد واسط المائة السابعة  
فأدرك تلميذ الامام ابن الخطيب فأخذ عنهم ولقن تعليمهم وحدث في العقليات  
والنقلات ورجع الى تونس بعلم كثير وتعليم حسن وجاء على أثره من المشرق أبو عبد  
الله بن شعيب الدكالي كان ارتحل اليه من المغرب فأخذ عن مشيخة مصر ورجع الى  
تونس واستقر بها وكان تعليمه مفيدا فأخذ عنهم أهل تونس وانصل سند تعليمهم في  
تلاميذهم اجيالا بعد جيل حتى انتهى الى القاضي محمد بن عبد السلام شارح ابن  
الحاجب وتلميذه وانتقل من تونس الى تلمسان في ابن الامام وتلميذه فانه قرأ مع ابن عبد  
السلام على مشيخة واحدة وفي مجالس بأعيانها وتلميذ ابن عبد السلام بنونس وابن  
الامام تلمسان لهذا العهد الا أنهم من القلة بحيث يخشى انقطاع سندهم ثم ارتحل  
من زواوة في آخر المائة السابعة أبو علي ناصر الدين المشدالي وأدرك تلميذ أبي عمرو بن  
الحاجب وأخذ عنهم ولقن تعليمهم وقرأ مع شهاب الدين القرافي في مجالس واحدة  
وحدث في العقليات والنقلات ورجع الى المغرب بعلم كثير وتعليم مفيد ونزل بجاية  
وانصل سند تعليمه في طلبتها ورجع الى تلمسان عمران المشدالي من تلميذها وأوطنها  
وبث طريقته فيها وتلميذه لهذا العهد بجاية وتلمسان قليل أو أقل من القليل وبقيت  
فاس وسائر أقطار المغرب خلوها من حسن التعليم من لدن انقراض تعليم قرطبة  
والقيروان ولم يصل سند التعليم فيهم فعمر عليهم حصول الملكة والحدق في العلوم  
وأبسر طرق هذه الملكة فتق اللسان بالخواصة والمناظرة في المسائل العلية فهو الذي  
يقرب شأنها ويحصل مرامها فتجد طالب العلم منهم بعد ذهاب الكثير من أعمارهم في  
ملازمة المجالس العلية سكوت لا ينطقون ولا يفكرون وعنايتهم بالحفظ أكثر من  
الحاجة فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف في العلم والتعليم ثم بعد تحصيل من  
يرى منهم أنه قد حصل تجدد ملكته فاصرة في علمه ان فاوض أو ناظر أو علم وما أتاهم  
القصور الا من قبل التعليم وانقطاع سنده والاخفطهم أبلغ من حفظ سواهم لشدة  
عنايتهم به وظنهم أنه المقصود من الملكة العلية وليس كذلك ومما يشهد بذلك في المغرب

ان المدة المعينة لسكنى طلبة العلم بالمدارس عندهم ست عشرة سنة وهي بتونس  
خمس سنين وهذه المدة بالمدارس على المتعارف هي أقل ما يتأتى فيها الطالب العلم  
حصول مبتغاه من الملكة العلية أو اليأس من تحصيلها فطال أمدها في المغرب  
لهذه المدة لاجل عسرهما من قلة الجودة في التعليم خاصة لا مما سوى ذلك  
وأما أهل الاندلس فذهب رسم التعليم من بينهم وذهبت عنايتهم بالعلوم لتناقص عمران  
المسلمين بها منذ عشرين من السنين ولم يبق من رسم العلم فيهم الا فن العربية والادب  
اقتصروا عليه وانحفظ سند تعليمه بينهم فانحفظ بحفظه وأما الفقه بينهم فرسم خلو وأثر  
بعد عشرين وأما العقليات فلا أثر ولا عين وما ذاك الا لانقطاع سند التعليم فيها بتناقص  
العمران وتغلب العدو على عامتها الا قليلا بسف الجرح شغلهم بعائشهم أكثر من  
شغلهم بما بعدهما والله غالب على أمره \* وأما المشرق فلم ينقطع سند التعليم فيه بل  
أسواقه نافقة وبحوره زاخرة لاتصال العمران الموفور واتصال السند فيه وان كانت  
الامصار العظيمة التي كانت معادن العلم قد خربت مثل بغداد والبصرة والكوفة الا  
أن الله تعالى قد أزال منها بأمصا أعظم من تلك وانتقل العلم منها الى عراق العجم  
بخراسان وما وراء النهر من المشرق ثم الى القاهرة وما إليها من المغرب فلم تزل موفورة  
وعمرانها متصلا وسند التعليم بها قائما فأهل المشرق على الجملة أرسخ في صناعة تعليم  
العلم بل وفي سائر الصنائع حتى انه ليظن كثير من رحالة أهل المغرب الى المشرق في  
طلب العلم ان عقولهم على الجملة أكمل من عقول أهل المغرب وانهم أشد نباهة  
وأعظم كسبا بفطرتهم الاولى وان نفوسهم الناطقة أكمل بفطرتهم من نفوس أهل  
المغرب ويعتقدون التفاوت بيننا وبينهم في حقيقة الانسانية ويتشبعون لذلك ويولعون  
بها ما يرون من كسبهم في العلوم والصنائع وليس كذلك ولا يسر بين قطر المشرق والمغرب  
تفاوت بهذا المقدار الذي هو تفاوت في الحقيقة الواحدة اللهم الا اقاليم المنحرفة  
مثل الاول والسابع فان الامزجة فيها منحرفة والنفوس على نسبتها كما مر وانما الذي  
فضل به أهل المشرق أهل المغرب هو ما يحصل في النفس من آثار الحضارة من العقل  
المزيد كما تقدم في الصنائع وزيدته الان تحقيقا وذلك أن الحضرة لهم آداب في أحوالهم  
في المعاش والمساكن والبناء وأمور الدين والدنيا وكذا سائر أعمالهم وعاداتهم  
ومعاملاتهم وجميع تصرفاتهم فلم يبق في ذلك كله آداب يوقف عندها في جميع  
ما يتناولونه ويتلبسون به من أخذ وترك حتى كأنها حدود لا تتعدى وهي مع ذلك صنائع  
يتلقاها الآخر عن الاول منهم ولا شك أن كل صناعة مرتبة يرجع منها الى النفس أثر  
يكسبها عقلا جديدا تستعده لقبول صناعة أخرى وتهيبها العقل لسرعة الادراك



للمعارف \* ولقد بلغنا في تعليم الصنائع عن أهل مصر غايات لا تدرك مثل أنهم يعلمون الحرا الانسية والحيوانات العجم من الماشي والطائر مفردات من الكلام والافعال يستغرب ندورها ويحجز أهل المغرب عن فهمها وحسن الملكات في التعليم والصنائع وسائر الاحوال العادية يزيد الانسان ذكاء في عقله وازداده في فكره بكثرة الملكات الحاصلة للنفس اذ قد من أن النفس انما تنشأ بالادراكات وما يرجع اليها من الملكات فيزدادون بذلك كسب الما يرجع الى النفس من الآثار العلمية فيظنه العاقل تفاوتا في الحقيقة الانسانية وليس كذلك ألا ترى الى أهل الحضرة مع أهل البدو كيف تجد الحضري متعلما بالذكاء ممتلئا من الكيس حتى ان البدوي ليعلم أنه قد فاته في حقيقة انسانيته وعقله وليس كذلك وما ذاك الا لاجادته في ملكات الصنائع والآداب في العوائد والاحوال الحضرية ما لا يعرفه البدوي فلما امتلأ الحضري من الصنائع وملكاتها وحسن تعليمها اظن كل من قصر عن تلك الملكات انها الكمال في عقله وأن نفوس أهل البدو قاصرة بفطرتها وجبلتها عن فطرتها وليس كذلك فانا نجد من أهل البدو من هو في أعلى رتبة من الفهم والكمال في عقله وفطرنه انما الذي ظهر على أهل الحضرة من ذلك هو رونق الصنائع والتعليم فان لها آثارا ترجع الى النفس كما قد مناه وصدق أهل المشرق لما كانوا في التعليم والصنائع أرسخ رتبة وأعلى قدما وكان أهل المغرب أقرب الى البداوة لما قد مناه في الفصل قبل هذا اظن المغفلون في بادى الرأي انه لكمال في حقيقة الانسانية اختصاصا به عن أهل المغرب وليس ذلك بصحيح فتفهمه والله يزيد في الخلق ما يشاء وهو اله السموات والارض

### ٣ (فصل في ان العلوم انما تكثر حيث يكثر العمران وتعلم الحضارة)

والسبب في ذلك ان تعليم العلم كما قد مناه من جملة الصنائع وقد كما قد مناه ان الصنائع انما تكثر في الامصار وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلّة والحضارة والترّف تكون نسبة الصنائع في الجوده والكمّ لانه امر زائد عن المعاش حتى فضلت أعمال أهل العمران عن معاشهم انصرفت الى ما وراء المعاش من التصرف في خاصية الانسان وهي العلوم والصنائع ومن تشوّف بفطرنه الى العلم عن نشأ في القرى والامصار غير المتدّنة فلا يجد فيها التعليم الذي هو صناعه لفقدان الصنائع في أهل البدو كما قد مناه ولا بد له من الرحلة في طلبه الى الامصار المستجرة شأن الصنائع كلها واعتبر ما قرّنه بحال بغداد وقرطبة والقيروان والبصرة والكوفة لما كثر عمرانها صدرا الاسلام واستوت فيها الحضارة كيف زخرت فيها بحار العلم وتفننت في

اصطلاحات التعليم وأصناف العلوم واستنباط المسائل والفنون حتى أربوا على المتقدمين وفانوا المتأخرين ولما تناقص عمرانها وابتدع سكانها انطوى ذلك البساط بجعله جملة وفقد العلم بها والتعليم وانتقل الى غيرهما من امصار الاسلام ونحن لهذا العهد نرى أن العلم والتعليم انما هو بالقاهرة من بلاد مصر لما أن عمرانها مستبحر وحضارتها مستحكمة منذ آلاف من السنين فاستحكمت فيها الصنائع وتفننت ومن جعلتها تعليم العلم وأكده ذلك فيها وحفظه ما وقع لهذه العصور بهما من مآثر من السنين في دولة الترك من أيام صلاح الدين بن أيوب وهلم جرا وذلك أن أمراء الترك في دولتهم يحشون عادية سلطانهم على من يتخلفونه من ذريتهم لماله عليهم من الرق او الولاء ولما يحشون من معاطب الملك ونكباته فاستكثر وامن بناء المدارس والزوايا والربط ووقفوا عليها الاوقاف المفعلة يجعلون فيها شر كالولدهم بنظر علمها ونصيب منها مع ما فيهم غالب من الجنوح الى الخير والتمس الاجور في المقاصد والافعال فكثرت الاوقاف لذلك وعظمت الغلات والقوائد وكثر طاب العلم ومعلمه بكثرة جراتهم منها وارتحل اليها الناس في طلب العلم من العراق والمغرب ونقلت بها أسواق العلوم وزخرت بحارها والله يخلق ما يشاء

### ٤ (فصل في اصناف العلوم الواقعة في العمران لسنه العهد)

(اعلم) أن العلوم التي يخوض فيها البشر وبتداولونها في الامصار تحصيلا وتعلما هي على صنفين صنف طبيعي للانسان يهتدى اليه بفكره وصنف نقلي يأخذه عن وضعه والاول هي العلوم الحكمية الفلسفية وهي التي يمكن أن يتف عليها الانسان بطبيعة فكره ويهتدى بمداركة البشرية الى موضوعاتها ومسائلها وانحاء براهينها ووجوه تعلّمها حتى يقفه نظره ويحشّه على الصواب من الخطا فيهما من حيث هو انسان ذو فكر والثاني هي العلوم النقلية الوضعية وهي كلها مستندة الى الخبر عن الواضع الشرعي ولا مجال فيها للعقل الا في الحاق القروع من مسائلها بالاصول لان الجزئيات الحادثة المتعاقبة لا تندرج تحت النقل الكلي بمجرد وضعه فتحتمل الى الالتحاق بوجه قياسي الا أن هذا القياس يتفرع عن الخبر بثبوت الحكم في الاصل وهو نقلي ف يرجع هذا القياس الى النقل لتفرعه عنه وأصل هذه العلوم النقلية كلها هي الشرعيات من الكتاب والسنة التي هي مشروعة لنا من الله ورسوله وما يتعلق بذلك من العلوم التي تهيوها للافادة ثم يستنبع ذلك علوم اللسان العربي الذي هو لسان الملة وبه نزل القرآن وأصناف هذه العلوم النقلية كثيرة لان المكلف يجب عليه أن يعرف

قوله حتى يقفه  
نظره يستعمل  
وقف متعبدا  
فتقول وقفته على  
كذا أي اطلعت  
عليه قاله نصيراه



أحكام الله تعالى المقروضة عليه وعلى أبناء جنسه وهي مأخوذة من الكتاب والسنة  
بالنص أو بالإجماع أو بالألحاق فلا بد من النظر في الكتاب ببيان ألفاظه أو لاهذا هو  
علم التفسير ثم بإسناد نقله وروايته إلى النبي صلى الله عليه وسلم الذي جاء به من عند  
الله واختلاف روايات القراء في قراءته وهذا هو علم القراءات ثم بإسناد السنة إلى  
صاحبها والكلام في الرواة الناقلين لها ومعرفة أحوالهم وعد التهم يقع الوثوق  
بأخبارهم بعلم ما يجب العمل بمقتضاه من ذلك وهذه هي علوم الحديث ثم لا بد في  
استنباط هذه الأحكام من أصولها من وجه قانوني يفيد العلم بكيفية هذا الاستنباط  
وهذا هو أصول الفقه وبعده هذا يحصل الثمرة بمعرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين  
وهذا هو الفقه ثم إن التكليف منها بدني ومنها قلبي وهو المختص بالإيمان وما يجب  
أن يعتقده مما لا يعتقد وهذه هي العقائد الإيمانية في الذات والصفات وأمور الخير  
والنعم والعذاب والقدر والحج عن هذه بالأدلة العقلية هو علم الكلام ثم النظر في  
القرآن والحديث لا بد أن تتقدمه العلوم اللسانية لأنه متوقف عليها وهي أصناف فيها  
علم اللغة وعلم النحو وعلم البيان وعلم الأدب حسبما تكلم عليها كلها وهذه العلوم  
النقلية كلها مختصة بالله الإسلامية وأهلها وإن كانت كل دالة على الجملة لا بد فيها من  
مثل ذلك فهي مشاركة لها في الجنس البعيد من حيث أنها علوم الشريعة المنزلة من  
عند الله تعالى على صاحب الشريعة المبلغ لها وأما على الخصوص فبإيضاة لجميع  
الملل لأنها ناسخة لها وكل ما قبلها من علوم الملل فمجردة والنظر فيها محظور فقد  
نهى الشرع عن النظر في الكتب المنزلة غير القرآن قال صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا  
أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي أنزل البنا وأنزل اليكم والهناء والهناء  
واحد ورأى النبي صلى الله عليه وسلم في يد عمر رضي الله عنه ورقة من التوراة  
فغضب حتى تبين الغضب في وجهه ثم قال ألم آتكم بها بيضاء نقية والله لو كان موسى  
حيما ما وسعه الاتباعي ثم إن هذه العلوم الشرعية النقلية قد نفقت أسواقها في هذه  
الأمم بما لا مزيد عليه وانتهت فيها مدارك الناظرين إلى الغاية التي لا فوقها وهدبت  
الاصطلاحات ورتبت الفنون فجاءت من وراء الغاية في الحسن والتميز وكان لكل  
فن رجال يرجع إليهم فيه وأوضاع يستفاد منها التعليم واختص المشرق من ذلك  
والمغرب بما هو مشهور منها حسبما ذكره الآن عند تعدد هذه الفنون وقد كسدت  
لهذا العهد أسواق العلم بالمغرب لتناقص العمران فيه وانقطاع سند العلم والتعليم كما  
قدمناه في الفصل قبله وما أدري ما فعل الله بالمشرق والظن به نفاق العلم فيه واتصال  
التعليم في العلوم وفي سائر الصناعات الضرورية والكالية لكثرة عمرانه والحضارة

ووجود الاعانة لطالب العلم بالجرأية من الاوقاف التي اتسعت بها أرزاقهم والله سبحانه  
وتعالى هو النفع الماريد وبه التوفيق والاعانة

○ (علوم القرآن من التفسير والقراءات)

القرآن هو كلام الله المنزل على نبيه المكتوب بين دفتي المصحف وهو متواتر بين الأمة الآن الصحابة روه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على طرق مختلفة في بعض ألفاظه وكيفيات الحروف في أدائها وتوكل ذلك واشتهر إلى أن استقرت منها سبع طرق معينة تواتر نقلها أيضا بأدائها واختصت بالانتساب إلى من اشتهر بروايتها من الجمل الغفير فصارت هذه القراءات السبع أصولا للقراءة وربما زيد بعد ذلك قراءات أخر لحقت بالسبع إلا أنها عند أئمة القراءة لا تقوى قوتها في النقل وهذه القراءات السبع معروفة في كتبها وقد خالف بعض الناس في تواتر طرقها إلا أنها عندهم ككيفيات اللاداء وهو غير منضبط وليس ذلك عندهم بقادح في تواتر القرآن وأباه الأكثر وقالوا بتواترها وقال آخرون بتواتر غير الاداء منها كالمدة والتسهيل لعدم الوقوف على كفيته بالسمع وهو الصحيح ولم يزل القراء يتداولون هذه القراءات وروايتها إلى أن كتبت العلوم ودققت فكُتبت فيما كتب من العلوم وصارت صناعة مخصوصة وعلم منفردا وتناقله الناس بالشرق والاندلس في جيل بعد جيل إلى أن ملك بئرق الاندلس مجاهد من موالى العامريين وكان معنيا بهذا الفن من بين فنون القرآن لما أخذه به مولاه المنصور بن أبي عامر واجتهد في تعليمه وعرضه على من كان من أئمة القراء بحضرته فكان سهمه في ذلك وافرا واختص مجاهد بعد ذلك بإمارة دانية والجزائر الشرقية فنفقت به أسواق القراءة لما كان هو من أئمتها وبما كان له من العناية بسائر العلوم عموما وبالقرآن خصوصا فظهر له عهد أبو عمر والداني وبلغ الغاية فيها ووقفت عليه معرفتها وانتهت إلى روايته أسانيدها ونعدت تأليفه فيها وعول الناس عليها وعدلوا عن غيرها واعتمدوا من بينها كتاب التيسير له ثم ظهر بعد ذلك فيما يليه من العصور والاجيال أبو القاسم ابن فير من أهل شاطبة فعمد إلى تهذيب مادونه أبو عمر وتلخيصه فنظم ذلك كله في قصيدة لغز فيها أسماء القراء بحروف أب ج د ت ث يا أحكمه ليتيسر عليه ما قصده من الاختصار وليكون أسهل للحفظ لأجل نظمها فاستوعب فيها الفن استيعابا حسنا وعنى الناس بحفظها وتلقيها للولدان المتعلمين وجرى العمل على ذلك في امصار المغرب والاندلس وربما أضيف إلى فن القراءات فن الرسم أيضا وهي أوضاع حروف القرآن في المصحف ورسومه الخطية لأن فيه حروفا كثيرة وقع رسمها على غير المعروف من قياس الخط كزيادة الباء



في بأيد وزيادة الالف في لا اذبحنه ولا اوضعوا والواو في جزا والظالمين وحذف  
الالفات في مواضع دون أخرى وما رسم فيه من التاآت ومدودا والاصل فيه مربوط  
على شكل الهاء وغير ذلك وقد مر تعليل هذا الرسم المصعقي عند الكلام في الخط فلما  
جاءت هذه المخالفة لاوضاع الخط وقانونه احتج الى حصرها فكتب الناس فيها  
أيضا عند كتبهم في العلوم وانتهت بالمغرب الى أبي عمر الداني المذكور فكتب فيها  
كتابا من أشهرها كتاب المقنع وأخذ به الناس وعولوا عليه ونظمه أبو القاسم  
الشاطبي في قصيدته المشهورة على روى الراء وولع الناس بحفظها ثم كثر الخلاف  
في الرسم في كلمات وحروف أخرى ذكرها أبو داود سليمان بن نجاح من موالي مجاهد  
في كسبه وهو من تلاميذ أبي عمر والداني والمشتهر بحمل علومه ورواية كسبه ثم نقل بعده  
خلاف آخر فنظم الخراز من المتأخرين بالمغرب أرجوزة أخرى زاد فيها على المقنع  
خلافا كثيرا وعزاء لناقله واشتهرت بالمغرب واقتصروا الناس على حفظها وهجروا بها  
كتب أبي داود وأبي عمرو والشاطبي في الرسم \* (وأما التفسير) \* فاعلم أن القرآن  
نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في  
مفرداته وتراكيبه وكان ينزل جلا جلا وآيات آيات لبيان التوحيد والقروض الدينية  
بحسب الوقائع ومنها ما هو في العقائد الإيمانية ومنها ما هو في أحكام الجوارح ومنها  
ما يتقدم ومنها ما يتأخر ويكون ناسخا له وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبين الجمل  
ويجزئ الناس من المنسوخ ويعرفه أصحابه فعرفوه وعرفوا سبب نزول الآيات ومقتضى  
الحال منها من قول لا عنه كما علم من قوله تعالى إذا جاء نصر الله والفتح أنهم انعى النبي صلى  
الله عليه وسلم وأمثال ذلك ونقل ذلك عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين  
وتداول ذلك التابعون من بعدهم ونقل ذلك عنهم ولم يزل ذلك متناقلا بين الصدر  
الأول والسلف حتى صارت المعارف علومًا ودونت الكتب فكتب الكثير من ذلك  
ونقلت الآثار الواردة فيه عن الصحابة والتابعين وانتهى ذلك الى الطبري والواقدي  
والثعالبي وأمثال ذلك من المفسرين فكتبوا فيه ما شاء الله أن يكتبوه من الآثار ثم  
صارت علوم اللسان صناعة من الكلام في موضوعات اللغة وأحكام الأعراب  
والبلاغة في التراكيب فوضعت الدواوين في ذلك بعد أن كانت ملكات للعرب  
لا يرجع فيها الى نقل ولا كتاب قنوسى ذلك وصارت تتلقى من كتب أهل اللسان  
فاحتج الى ذلك في تفسير القرآن لانه بلسان العرب وعلى مناج بلاغتهم وصار التفسير  
على صنفين تفسير نقلي تمسند الى الآثار المنقولة عن السلف وهي معرفة الناسخ  
والمنسوخ وأسباب النزول ومقاصد الآتى وكل ذلك لا يعرف الا بالنقل عن الصحابة

والتابعين وقد جمع المتقدمون في ذلك وأوعوا الا أن كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على  
الغث والthin والمقبول والمردود والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم  
وانما غلبت عليهم البداوة والامية واذا تشوقوا الى معرفة شئ مما تشوق اليه النفوس  
البشرية في أسباب المكنونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود فانما يسألون عنه أهل  
الكتاب قبلهم ويستفيدون منهم وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من  
النصارى وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ولا يعرفون من ذلك الا  
ما تعرفه العامة من أهل الكتاب ومعظمهم من حير الذين أخذوا بدين اليهودية فلما  
أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالاحكام الشرعية التي يحتاطون لها مثل  
أخبار بدء الخليقة وما يرجع الى الحدوث والملاحم وأمثال ذلك وهو لا مثل كعب  
الاحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وأمثالهم فامتلات التفاسير من المنقولات  
عندهم في أمثال هذه الاغراض أخبار موقوفة عليهم وليست مما يرجع الى  
الاحكام فيتحرى في الصحة التي يجب بها العمل ويتساهل المفسرون في مثل ذلك  
وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات وأصلها كما قلنا عن أهل التوراة الذين  
يسكنون البادية ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك الا أنهم بعد صيتهم  
وعظمت أقدارهم لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة فتلقيت بالقبول من  
يومئذ فلما رجع الناس الى التحقيق والتحصيص وجاء أبو محمد بن عطية من المتأخرين  
بالمغرب فلخص تلك التفاسير كلها وتحرى ما هو أقرب الى الصحة منها ووضع ذلك في كتاب  
متداول بين أهل المغرب الاندلس حسن المنحى وتبعه القرطبي في تلك الطريقة على  
منهاج واحد في كتاب آخر مشهور بالمشرق \* والصنف الآخر من التفسير وهو  
ما يرجع الى اللسان من معرفة اللغة والاعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب  
المقاصد والاساليب وهذا الصنف من التفسير قل أن يتفرده عن الاول اذا الاول هو  
المقصود بالذات وانما جاء هذا بعد أن صار اللسان وعلومه صناعة نعم قد يكون في بعض  
التفاسير غالبا ومن أحسن ما شتمل عليه هذا الصنف من التفاسير كتاب الكشف  
للزحخشري من أهل خوارزم العراق الا أن مؤلفه من أهل الاعتزال في العقائد فيأتى  
بالحجج على مذاهبهم الفاسدة حيث تعرض له في آى القرآن من طرق البلاغة فصار  
بذلك للمحققين من أهل السنة انحراف عنه وتحذير للجمهور من مكائده مع اقرارهم  
برسوخ قدمه فيما يتعلق باللسان والبلاغة واذا كان الناظر فيه واقفا مع ذلك على  
المذاهب السنية محسنا للعجاج عنها فلا جرم أنه مأمون من غوائله فلتغتم مطالعته  
لغرابة قنونه في اللسان ولقد وصل الساني هذه العصور تأليف لبعض العراقيين



وهو شرف الدين الطيبي من أهل تويريز من عراق العجم شرح فيه كتاب الزمخشري هذا وتبع ألفاظه وتعرض لمذاهبه في الاعتزال بأدلة تزييفها ويبين أن البلاغة انما تقع في الآية على ما يراه أهل السنة لأعلى ما يراه المعتزلة فأحسن في ذلك ما شاء مع امتناعه في سائر فنون البلاغة وفوق كل ذي علم عليم

(علوم الحديث)

وأما علوم الحديث فهي كثيرة ومتنوعة لأن منها ما يتطرق في ناسخه ومنسوخه وذلك بما ثبت في شريعتنا من جواز النسخ ووقوعه لطفان من الله بعباده وتحققها عنهم باعتبار مصالحهم التي تكفل لهم بها قال تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها فإذا تعرض الخبران بالنفي والاثبات وتعد ذرا لجمع بينهما ببعض التأويل وعلم تقدم أحدهما تعين أن المتأخر ناسخ ومعرفة الناسخ والمنسوخ من أهم علوم الحديث وأصعبها قال الزهري أعيان الفقهاء وأعجزهم أن يعرفوا ناسخ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من منسوخه وكان للشافعي رضي الله عنه فيه قدم راسخة ومن علوم الأحاديث النظر في الأسانيد ومعرفة ما يجب العمل به من الأحاديث بوقوعه على السند الكامل الشروط لأن العمل انما يجب بما يغلب على الظن صدقه من أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجهد في الطريق التي تحصل ذلك الظن وهو معرفة رواية الحديث بالعدالة والضبط وانما ثبت ذلك بالنقل عن اعلام الدين بتعديدهم وبراءتهم من الجرح والغفلة ويكون لذلك دليلا على القبول أو الترك وكذلك مراتب هؤلاء النقلة من الصحابة والتابعين وتفاوتهم في ذلك وغيرهم فيه واحدا واحدا وكذلك الأسانيد تتفاوت باتصالها وانقطاعها بأن يكون الراوي لم يلق الراوي الذي نقل عنه وبسلامتها من العلل الموهنة لها وتنتهي بالتفاوت الى طرفين فحكم بقبول الأعلى ورد الأسفل ويختلف في المتوسط بحسب المنقول عن أئمة الشأن ولهم في ذلك ألفاظ اصطلاحية على وضعها لهذه المراتب المرتبة مثل الصحيح والحسن والضعيف والمرسل والمنقطع والمعضل والشاذ والغريب وغير ذلك من ألقاب المتداولة بينهم وبوبوا على كل واحد منها ونقلوا ما فيه من الخلاف لأئمة اللسان أو الوفاق ثم النظر في كيفية أخذ الرواية بعضهم عن بعض بقراءة أو كتابة أو منأولة أو اجازة وتفاوت رتبها ومال العلماء في ذلك من الخلاف بالقبول والرد ثم اتبعوا ذلك بكلام في ألفاظ تقع في متون الحديث من غريب أو مشكل أو تعصيف أو مفترق منها أو مختلف وما يناسب ذلك هذا معظم ما ينظر فيه أهل الحديث وغالبه وكانت أحوال نقلة الحديث في عصور

السلف من الصحابة والتابعين معروفة عند أهل بلدتهم بالجواز ومنهم بالبصرة والكوفة من العراق ومنهم بالشام ومصر والجميع معروفون مشهورون في أعصارهم وكانت طريقة أهل الحجاز في أعصارهم في الأسانيد أعلى ممن سواهم وأمن في الصحة لاستبدادهم في شروط النقل من العدالة والضبط وتحققهم عن قبول المجهول الحال في ذلك وسند الطريقة الحجازية بعد السلف الامام مالك عالم المدينة رضي الله تعالى عنه ثم أصحابه مثل الامام محمد بن ادريس الشافعي والامام أحمد بن حنبل وأمثالهم وكان علم الشريعة في مبداء هذا الامر نقلا صرفا ثم لها السلف ونحزوا الصحيح حتى أكلوها وكتب مالك رحمه الله كتاب الموطأ ودعه أصول الاحكام من الصحيح المتفق عليه ورتبه على أبواب الفقه ثم عني الحفاظ بمعرفة طرق الاحاديث وأسانيدها المختلفة وربما يقع اسناد الحديث من طرق متعددة عن رواية مختلفين وقد يقع الحديث أيضا في أبواب متعددة باختلاف المعاني التي اشتمل عليها وجاء محمد بن اسمعيل البخاري امام المحدثين في عصره فخرج أحاديث السنة على أبوابه في مسنده الصحيح بجميع الطرق التي للحجازيين والعراقيين والشاميين واعتمد منها ما أجمعوا عليه دون ما اختلفوا فيه وكرّر الأحاديث يسوقها في كل باب بمعنى ذلك الباب الذي تضمنه الحديث فتكررت لذلك أحاديثه حتى يقال انه اشتمل على تسعة آلاف حديث ومائتين منها ثلاثة آلاف متكررة وفرق الطرق والأسانيد عليها مختلفة في كل باب ثم جاء الامام مسلم بن الحجاج القشيري رحمه الله تعالى فألف مسنده الصحيح حذافيه حذو البخاري في نقل المجمع عليه وحذف المتكرر منها وجمع الطرق والأسانيد وبوبه على أبواب الفقه وتراجعه ومع ذلك فلم يستوعب الصحيح كله وقد استدرك الناس عليهم في ذلك ثم كتب أبو داود السجستاني وأبو عيسى الترمذي وأبو عبد الرحمن النسائي في السنن بأوسع من الصحيح وقصدوا ما توفرت فيه شروط العمل اما من الرتبة العالية في الأسانيد وهو الصحيح كما هو معروف واما من الذي دونه من الحسن وغيره ليكون ذلك اماما للسنة والعمل وهذه هي المسانيد المشهورة في الملة وهي أئمة كتب الحديث في السنة فانها وان تعددت ترجع الى هذه في الاغلب ومعرفة هذه الشروط والاصطلاحات كلها هي علم الحديث وربما يفرد عنها الناسخ والمنسوخ فيجعل فسادا برأيه وكذا الغريب وللناس فيه تأييد مشهورة ثم المؤلفات والمختلف وقد ألف الناس في علوم الحديث وأكثرها ومن فحول علمائه وأئمتهم أبو عبد الله الحاكم وناكبته فيه مشهورة وهو الذي هذبها وأظهر محاسنها وأشهر كتابا للمؤخرين فيه كتاب أبي عمرو بن الصلاح كان لعهد أوائل المائة السابعة وتلاه محبي

قوله تسعة الذي في النوى على مسلم انه سبعة تقديم السنن فخره اه صححه



الدين النووي يمثل ذلك والفن شريف في مغزاه لانه معرفة ما يحفظ به السنن المنقولة  
عن صاحب الشريعة وقد انقطع لهذا العهد تخرج شيء من الاحاديث واستدراكها  
على المتقدمين اذا العادة تشهد بأن هؤلاء الأئمة على تعددهم وتلاحق عصورهم  
وكفايتهم واجتهادهم لم يكونوا يغفلوا شيئا من السنة أو يتركوه حتى يغتر عليه المتأخر  
هذا بعيد عنهم وانما تصرف العناية لهذا العهد الى تصحيح الاتهام المكتوبة  
وضبطها بالرواية عن مصنفها والنظر في أسانيدھا الى مؤلفها وعرض ذلك على ما تقرر  
في علم الحديث من الشروط والاحكام لتتصل الاسانيد محكمة الى منتهى ما لم يزيدوا  
في ذلك على العناية بأكثر من هذه الاتهام الخمسة الافي التليل \* فأما البخاري  
وهو أعلا هارثة فاستصعب الناس شرحه واستغلقوا منحه من أجل ما يحتاج  
اليه من معرفة الطرق المتعددة ورجالها من أهل الحجاز والشام والعراق ومعرفة  
أحوالهم واختلاف الناس فيهم ولذلك يحتاج الى ايمان النظر في التفقه في تراجمه  
لانه يترجم الترجمة ويورد فيها الحديث بسنداً وطريق ثم يترجم أخرى ويورد فيها ذلك  
الحديث بعينه لما تضمنه من المعنى الذي ترجم به الباب وكذلك في ترجمة وترجمة الى  
أن يتكرر الحديث في أبواب كثيرة بحسب معانيه واختلافها ومن شرحه ولم  
يستوف هذا فيه فلم يوف حق الشرح كابن بطال وابن المذهب وابن التين ونحوهم ولقد  
سمعت كثيراً من شيوخنا رجعهم الله يقولون شرح كتاب البخاري دين على الأمة يعنون  
أن أحداً من علماء الأمة لم يوف ما يجب له من الشرح بهذا الاعتبار \* وأما صحيح  
مسلم فكثرت عناية علماء المغرب به وأكبوا عليه وأجمعوا على تفضيله على كتاب  
البخاري من غير الصحيح مما لم يكن على شرطه وأكثر ما وقع له في التراجم وأملى الامام  
المأرزي من فقهاء المالكية عليه شرحا وسماه المعلم بقوله مسلم اشتمل على عيون من  
علم الحديث وفتون من الفقه ثم أكمله القاضي عياض من بعده وسماه اكمال  
المعلم وتلاههما محيي الدين النووي بشرح استوفى ما في الكتابين وزاد عليهما ما خفاه  
شرحا وافييا \* وأما كتب السنن الاخرى وفيها معظم مأخذ الفقهاء فأكثر شرحها  
في كتب الفقه الا ما يختص بعلم الحديث فكتب الناس عليها واستوفوا من ذلك  
ما يحتاج اليه من علم الحديث وموضوعاتها والاسانيد التي اشتملت على الاحاديث  
المعمول بها من السنة \* واعلم أن الاحاديث قد تميزت مراتبها لهذا العهد بين صحيح  
وحسن وضعيف ومعلول وغيرها تنزلها أئمة الحديث وجهابذته وعرفوها ولم يبق  
طريق في تصحيح ما يصح من قبل ولقد كان الأئمة في الحديث يعرفون الاحاديث بطرقها  
وأسانيدھا بحيث لو روي حديث بغير سنده وطريقه يفتنونه الى أنه قد قلب عن وضعه

ولقد وقع مثل ذلك للامام محمد بن اسماعيل البخاري حين ورد على بغداد وقصد  
المحدثون امتحانه فسألوه عن أحاديث قلبوا أسانيدھا فقال لا أعرف هذه ولكن حدثني  
فلان ثم أتى بجميع تلك الاحاديث الى الوضع الصحيح ورد كل متن الى سنده وأقرؤا له  
بالامامة \* واعلم أيضا أن الأئمة المجتهدين تفاوتوا في الاكثار من هذه الصناعة  
والاقلال فأبو حنيفة رضي الله تعالى عنه يقال بلغت روايته الى سبعة عشر حديثا  
أو نحوها ومالك رحمه الله انما صح عنه ما في كتاب الموطأ وغايتها ثلثمائة حديث أو  
نحوها وأحمد بن حنبل رحمه الله تعالى في مسنده خمسون ألف حديث ولكل ما آذاه  
اليه اجتهاده في ذلك وقد تقول بعض المبغضين المتعسفين الى أن منهم من كان قليل  
البضاعة في الحديث فلهذا قلت روايته ولا سبيل الى هذا الماتقد في كبار الأئمة لأن  
الشريعة انما تؤخذ من الكتاب والسنة ومن كان قليل البضاعة من الحديث فيتعين  
عليه طلبه وروايته والحدوث والتشهير في ذلك لياخذ بالدين عن أصول صحيحة ويتلقى  
الاحكام عن صاحبها المبلغ لها وانما قلل منهم من قلل الرواية لأجل المطاعن التي تعترضه  
فيها والعلل التي تعرض في طرقها سيما والجرح مقدم عند الاكثر فيؤديه الاجتهاد الى  
تركها لاخذ بما يعرض مثل ذلك فيه من الاحاديث وطرق الاسانيد ويكثر ذلك فتقل  
روايته لضعف في الطرق وهذا مع أن أهل الحجاز أكثر رواية للحديث من أهل العراق  
لأن المدينة دار الهجرة وماوى الصحابة ومن انتقل منهم الى العراق كان شغلهم بالجهاد  
أكثر والامام أبو حنيفة انما قلت روايته لما شدد في شروط الرواية والتحمل وضعف  
رواية الحديث البقيني اذا عارضها الفعل النفسى وقلت من أجلها روايته فقل حديثه  
لأنه ترك رواية الحديث متعمدا فخافه من ذلك ويدل على أنه من كبار المجتهدين في علم  
الحديث اعتماد مذهبه بينهم والتعويل عليه واعتباره ردوا وقبولاً وأما غيره من المحدثين  
وهم الجمهور فوسعوا في الشروط وكثر حديثهم والكل عن اجتهاد وقد توسع أصحابه  
من بعده في الشروط وكثرت روايتهم وروى الطحاوى فأكثر وكتب مسنده وهو  
جليل القدر لأنه لا يعدل الصحيحين لأن الشروط التي اعتمده البخاري ومسلم  
في كتابيها مجمع عليها بين الأمة كما قالوه وشروط الطحاوى غير متفق عليها كالرواية عن  
المستور الحال وغيره فلهذا أقدم الصحاحان بل وكتب السنن المعروفة عليه لتأخر شرطه  
عن شروطهم ومن أجل هذا قيل في الصحيحين بالاجماع على قبولهما من جهة الاجماع  
على صحة ما فيهما من الشروط المتفق عليها فلا تأخذ ذلك رية في ذلك فالقوم أحق  
الناس بالنظر الجليل بهم والتماس الخارج الصحيحة لهم والله سبحانه وتعالى أعلم بما  
في حقائق الامور

الذي في شرح  
الزرقاني على  
الموطأ حكاية  
أقوال خمسة في  
عدة أحاديث أولها  
خمسمائة ثانيا  
سبعمائة ثالثا  
ألف ونيّف رابعا  
ألف وسبعمائة  
وعشرون خامسا  
ستمائة وستون  
وليس فيه قول بما  
في هذه النسخة  
قاله نصر الهوري



الفقه معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والتدب والكراهة والاباحة وهي متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفة ما من الأدلة فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه وكان السلف يستخرجونها من تلك الأدلة على اختلاف فيها بينهم ولا بد من وقوعه ضرورة أن الأدلة غالبها من النصوص وهي بلغة العرب وفي اقتضات ألفاظها الكثير من معانيها اختلاف بينهم معروف وأيضاً فالسنة مختلفة الطرف في الثبوت وتعارض في الأكثر أحكامها فتحتاج إلى الترجيح وهو مختلف أيضاً فالأدلة من غير النصوص تختلف فيها وأيضاً فالوقائع المتجددة لا توفى بها النصوص وما كان منها غير ظاهر في النصوص فيحمل على منصوص لمشابهة بينهم وهذه كلها اشارات للخلاف ضرورة الوقوع ومن هنا وقع الخلاف بين السلف والأئمة من بعدهم ثم إن الصحابة كأهل المدينة لم يكونوا أهل قتيلا ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم وإنما كان ذلك مختصاً بالخامس للقرآن العارفين بناسخه ومنسوخه ومتشابهه ومحكمه وسائر دلالاته بما تلقوه من النبي صلى الله عليه وسلم أو ممن سمعهم منهم من عليتهم وكانوا يسمون لذلك القراء أي الذين يقرؤون الكتاب لأن العرب كانوا أمة أمية فاختص من كان منهم قارئاً للكتاب بهذا الاسم لغرضه يومئذ وبقي الأمر كذلك صدر إليه ثم عظمت أمصار الإسلام وذهبت الأمية من العرب بممارسة الكتاب وتمكن الاستنباط وكل الفقه وأصبح صناعة وعلماً فبدلوا باسم الفقهاء والعلماء من القراء وانقسم الفقه فيهم إلى طريقتين طريقة أهل الرأي والقياس وهم أهل العراق وطريقة أهل الحديث وهم أهل الحجاز وكان الحديث قليلاً في أهل العراق لما قدمناه فاستكثروا من القياس ومهرروا فيه فلذلك قبل أهل الرأي ومقدم جاءتهم الذي استقر المذهب فيه وفي أصحابه أبو حنيفة وأما أهل الحجاز مالك بن أنس والشافعي من بعده ثم أنكر القياس طائفة من العلماء وأبطلوا العمل به وهم الظاهرية وجعلوا المدارك كلها منحصرة في النصوص والاجماع وردوا القياس إلى الجلي والعلل المنصوصة إلى النص لأن النص على العلة نص على الحكم في جميع محالها وكان أمام هذا المذهب داود بن علي وابنه وأصحابهما وكان هذه المذاهب الثلاثة هي مذاهب الجمهور المشتهرة بين الأمة وشذأهل البيت بمذاهب ابتدعوها وفقهه انفراداً وبنيوه على مذهبهم في تناول بعض الصحابة بالقدح وعلى قولهم بعض الأئمة ورفع الخلاف عن أقوالهم وهي كلها أصول وأهية وشذبت ذلك الخوارج ولم يحتمل الجمهور بمذاهبهم بل

أوسعوها جانب الإنكار والقدح فلا تعرف شيئاً من مذاهبهم ولا تروى كتبهم ولا أثر لشيء منها إلا في مواطنهم فكتب الشيعة في بلادهم وحيث كانت دولتهم قائمة في المغرب والمشرق واليمن والخوارج كذلك ولكل منهم كتب وآراء في الفقه غريبة ثم درس مذهب أهل الظاهر اليوم بدروس أئمتهم وإنكار الجمهور على منتهى ولم يبق إلا في الكتب المجلدة وربما يعكف كثير من الطالبين عن تكلف باتصال مذهبهم على تلك الكتب يروم اخذ فقههم منها ومذهبهم فلا يحلو بطائل ويصير إلى مخالفة الجمهور وإنكارهم عليه وربما عتد به هذه النحلة من أهل البدع بنقله العلم من الكتب من غير مفتاح المعلمين وقد فعل ذلك ابن حزم بالاندلس على علو رتبته في حفظ الحديث وصار إلى مذهب أهل الظاهر ومهر فيه باجتهاد زعمه في أقوالهم وخالف إمامهم داود وتعرض للكثير من أئمة المسلمين فنقم الناس ذلك عليه وأوسعوا مذهبهم استهجاناً وإنكاراً وتلقوا كتبهم بالاعتقال والتكفير حتى إنهم يحضرون بيعها بالأسواق وربما تمزق في بعض الأحيان ولم يبق إلا مذهب أهل الرأي من العراق وأهل الحديث من الحجاز \* فأما أهل العراق فإمامهم الذي استقرت عنده مذاهبهم أبو حنيفة النعمان بن ثابت ومقامه في الفقه لا يلحق بشيئ من أهل جملته وخصه صاملاً والشافعي \* وأما أهل الحجاز فكان إمامهم مالك بن أنس الأصمعي إمام دار الهجرة رحمه الله تعالى واختص بزيادة مدرك آخر للأحكام غير المدارك المعتمدة عن غيره وهو عمل أهل المدينة لأنه رأى أنهم فيما ينقصون عليه من فعل أو ترك متابعون لمن قبلهم ضرورة لدينهم واقتدائهم وهكذا إلى الجيل المباشرين لفعل النبي صلى الله عليه وسلم والآخذين ذلك عنه وصار ذلك عندهم أصول الأدلة الشرعية فظن كثير أن ذلك من مسائل الاجماع فأذكره لأن دليل الاجماع لا يخص أهل المدينة من سواهم بل هو شامل للأئمة \* واعلم أن الاجماع انما هو الاتفاق على الأمر الديني عن اجتهاد ومالك رحمه الله تعالى لم يعتبر عمل أهل المدينة من هذا المعنى وإنما اعتبره من حيث اتباع الجيل بالمشاهدة للجيل إلى أن ينتهي إلى الشارع صلوات الله وسلامه عليه وضرورة اقتدائهم بعين ذلك نعم الملة ذكرت في باب الاجماع الأبواب من حيث ما فيها من الاتفاق الجامع بينها وبين الاجماع لأن اتفاق أهل الاجماع عن نظر واجتهاد في الأدلة واتفاق هؤلاء في فعل أو ترك مستندين إلى مشاهدة من قبلهم ولو ذكرت المسئلة في باب فعل النبي صلى الله عليه وسلم وتقريره أو مع الأدلة المختلف فيها مثل مذهب الصحابي وشرع من قبلنا والاستصحاب لكان أليق ثم كان من بعد مالك بن أنس محمد بن إدريس الملقب بالشافعي رحمه الله تعالى رحل إلى العراق من



بعد ما نلت ولقي أصحاب الامام أبي حنيفة وأخذ عنهم ومن ج طريقة أهل الحجاز بطريقة أهل العراق واختص بمذهب وخالف ما لا كارجحه الله تعالى في كثير من مذهبه وجاء من بعدهما أحمد بن حنبل رحمه الله وكان من عليه المحدثين وقرأ أصحابه على أصحاب الامام أبي حنيفة مع وفور بضاعتهم من الحديث فاختصوا بمذهب آخر ووقف التقليد في الامصار عندهؤلاء الاربعة ودرس المقلدون لمن سواهم وسد الناس باب الخلاف وطرقه لما كثرت شعاب الاصطلاحات في العلوم ولما عاق عن الوصول الى رتبة الاجتهاد ولما خشي من اسناد ذلك الى غير أهله ومن لا يوثق برأيه ولا يدينه فصرحوا بالعجز والاعواز ورددوا الناس الى تقليد هؤلاء كل من اختص به من المقلدين وحظروا أن يتبدل اول تقليد لهم لمافي من التلاعب ولم يبق الا نقل مذهبهم وعمل كل مقلد بمذهب من قاده منهم بعد تصحيح الاصول واتصال سندها بالرواية لا محصول اليوم للفقهاء غير هذا ومدعى الاجتهاد لهذا العهد مردود على عقبه مهجور تقليده وقد صار أهل الاسلام اليوم على تقليد هؤلاء الائمة الاربعة فأما أحمد بن حنبل فقلده قليل بعد مذهبه عن الاجتهاد وأصالت في معاضدة الرواية ولاخبار بعضها ببعض وأكثرهم بالشام والعراق من بغداد ونواحيها وهم أكثر الناس حفظاً للسنة ورواية الحديث وأما أبو حنيفة فقلده اليوم أهل العراق ومسلمة الهند والصين وما وراء النهر وبلاد العجم كلها لما كان مذهبه أخص بالعراق ودار السلام وكان تلميذه صحابة الخلفاء من بني العباس فكثرت تأليفهم ومناظراتهم مع الشافعية وحسنت مباحثهم في الخلافات وجاءوا منها بعلم مستظرف وأنظار غريبة وهي بين أيدي الناس وبالمغرب منها شيء قليل نقله اليه القاضي ابن العربي وأبو الوائيد الباجي في رحلتهم وأما الشافعي فقلده بمصر أكثر مما سواها وقد كان انتشر مذهبه بالعراق وخراسان وما وراء النهر وقاصموا الحنفية في الفتوى والتدريس في جميع الامصار وعظمت مجالس المناظرات بينهم وشحنت كتب الخلافات بأنواع استدلالاتهم ثم درس ذلك كله بدروس المشرق وأقطاره وكان الامام محمد بن ادريس الشافعي لما نزل على بني عبد الحكم بمصر أخذ عنه جماعة من بني عبد الحكم وأشهب وابن القاسم وابن المواز وغيرهم ثم الحرث بن مسكين وبنوه ثم انقرض فقه أهل السنة من مصر بظهور دولة الرافضة وتداول بها فقه أهل البيت وتلاشي من سواهم الى أن ذهبت دولة العبيديين من الرافضة على يد صاحب لاج الدين يوسف بن أيوب ورجع اليهم فقه الشافعي وأصحابه من أهل العراق والشام فعاد الى أحسن ما كان ونفق سوقه واشتهر منهم محيي الدين النووي من الحلبة التي ربيت في ظل الدولة الايوبية بالشام وعز الدين بن

عبد السلام أيضاً ثم ابن الرقعة بمصر وتقي الدين بن دقيق العيد ثم تقي الدين السبكي بعدهما الى أن انتهى ذلك الى شيخ الاسلام بمصر لهذا العهد وهو سراج الدين البلقيني فهو اليوم أكبر الشافعية بمصر كبير العلماء بل أكبر العلماء من أهل العصر \* وأما مالك رحمه الله تعالى فاختص بمذهبه أهل المغرب والاندلس وان كان يوجد في غيرهم الا أنهم لم يقلدوا غيره الا في القليل لما ان رحلتهم كانت غالباً الى الحجاز وهو منتهى سفرهم والمدينة يومئذ دار العلم ومنه اخرج الى العراق ولم يكن العراق في طريقهم فاقتصر واعلى الاخذ عن علماء المدينة وشيخهم يومئذ وامامهم مالك وشيوخه من قبله وتلميذه من بعده فرجع اليه أهل المغرب والاندلس وقلدوه دون غيره ممن لم تصل اليهم طريقته وأيضاً فالابداوة كانت غالبية على أهل المغرب والاندلس ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لاهل العراق فكانوا الى أهل الحجاز أميل للمناسبة البداوة ولهذا لم يزل المذهب المالكي غصاً عندهم ولم يأخذوا تنقيح الحضارة وتهذيبها كما وقع في غيره من المذاهب ولما صار مذهب كل امام عالماً مخصوصاً عند أهل مذهبه ولم يكن لهم سبيل الى الاجتهاد والقياس فاحتاجوا الى تنظير المسائل في الاخلاق وتفرقة بها عند الاستنباه بعد الاستناد الى الاصول المقررة من مذهب امامهم وصار ذلك كما يحتاج الى ملكة راسخة يقتدر بها على ذلك النوع من التنظير والتفرقة واتباع مذهب امامهم فيها ما استطاعوا وهذه الملكة هي علم الفقه لهذا العهد وأهل المغرب جميعاً ملدون لما لك رحمه الله وقد كان تلميذه افرقوا بمصر والعراق فكان بالعراق منهم القاضي اسمعيل وطبقته مثل ابن خوير سمنداد وابن اللبان والقاضي أبو بكر الابهرى والقاضي أبو الحسين بن القصار والقاضي عبد الوهاب ومن بعدهم وكان بمصر ابن القاسم وأشهب وابن عبد الحكم والحرث بن مسكين وطبقتهم ورحل من الاندلس عبد الملك بن حبيب فأخذ عن ابن القاسم وطبقته وبث مذهب مالك في الاندلس ودون فيه كتاب الواضحة ثم دقن العتيبي من تلامذته كتاب العتيبة ورحل من افر بقرية أسد بن الفرات فكتب عن أصحاب أبي حنيفة أقولاً ثم انتقل الى مذهب مالك وكتب على ابن القاسم في سائر أبواب الفقه وجاء الى القيروان بكتابه وسمى الاسدية نسبة الى أسد بن الفرات فقرأ بها سحنون على أسد ثم ارتحل الى المشرق ولقي ابن القاسم وأخذ عنه وعارضه بمائل الاسدية فرجع عن كثير منها وكتب سحنون مسائلها ودقنها وأثبت ما رجع عنه وكتب لاسد أن يأخذ بكتاب سحنون فأثقف من ذلك فترك الناس كتابه واتبعوا مدقنة سحنون على ما كان فيها من اختلاط المسائل في الابواب فكانت تسمى المدقنة والمختلطة وعكف أهل القيروان على هذه المدقنة وأهل



الاندلس على الواضحة والعتبية ثم اختصر ابن أبي زيد المدقونة والمختلطة في كتابه المسمى  
بالمختصر وخلصه أيضا أبو سعيد البرادعي من فقهاء القيروان في كتابه المسمى بالتهذيب  
واعتمده المشيخة من أهل إفريقية وأخذوا به وتركوا ما سواه وكذلك اعتمد أهل  
الاندلس كتاب العتبية وهجروا الواضحة وما سواها ولم تزل علماء المذهب يتعاهدون هذه  
الامهات بالشرح والايضاح والجمع فكتب أهل إفريقية على المدقونة ما شاء الله أن  
يكتبوا مثل ابن يونس والخنمي وابن محرز التونسي وابن بشير وأمثالهم وكتب أهل  
الاندلس على العتبية ما شاء الله أن يكتبوا مثل ابن رشد وأمثاله وجمع ابن أبي زيد  
جميع ما في الامهات من المسائل والخلاف والاقوال في كتاب النوادر فاشتمل على  
جميع أقوال المذهب وفرع الامهات كلها في هذا الكتاب ونقل ابن يونس معظمه  
في كتابه على المدقونة وزخرت بحار المذهب المالكي في الأفق إلى انقراض دولة  
قرطبة والقيروان ثم تسلسل بها أهل المغرب بعد ذلك إلى أن جاء كتاب أبي عمرو بن  
الحاجب لخص فيه طرق أهل المذهب في كل باب وتعديد أقوالهم في كل مسألة فجاء  
كالبرزنج للمذهب وكانت الطريقة المالكية بقيت في مصر من لدن الحرث بن مسكين  
وابن المبشر وابن اللهيث وابن رشيق وابن شاس وكانت بالاسكندرية في بني عوف وبني  
سند وابن عطاء الله ولم أدر عن أخذها أبو عمرو بن الحاجب لكنه جاء بعد انقراض  
دولة العبيديين وذهب فقهاء أهل البيت وظهور فقهاء السنة من الشافعية والمالكية  
ولما جاء كتابه إلى المغرب آخر المائة السابعة عكف عليه الكثير من طلبة المغرب  
وخصوصا أهل بجاية لما كان كبير مشيختهم أبو علي ناصر الدين الزواوي هو الذي جلبه  
إلى المغرب فانه كان قرأ على أصحابه بمصر وشرح مختصره ذلك فجاء به وانتشر بقطر بجاية  
في تلميذه ومنهم من انتقل إلى سائر الامصار المغربية وطلبة الفقه بالمغرب لهذا العهد  
يتداولون قراءته ويتداولونه لما يؤثر عن الشيخ ناصر الدين من الترغيب فيه وقد  
شرحه جماعة من شيوخهم كابن عبد السلام وابن رشد وابن هرون وكلهم من مشيخة  
أهل تونس وسابق حلفتهم في الاجادة في ذلك ابن عبد السلام وهم مع ذلك يتعاهدون  
كتاب التهذيب في دروسهم والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم

### ٨ (علم الفرائض)

وهو معرفة فروض الوراثة وتصحيح سهام الفريضة مما تصح باعتبار فروضها الاصول  
أو مناسختها وذلك اذا هلك أحد الورثة وانكسرت سهامه على فروض ورثته  
فانه حينئذ يحتاج إلى حساب يصح الفريضة الاولى حتى يصل أهل الفروض جميعا

في الفريضة إلى فروضهم من غير تجزئة وقد تكون هذه المناسخات أكثر من واحد  
واثنين وتعدد لذلك بعدد أكثر بقدر ما تعدد محتاج إلى الحساب وكذلك اذا كانت  
فريضة ذات وجهين مثل أن يقر بعض الورثة بوارث وينكره الآخر فتصح على  
الوجهين حينئذ وينظر مبلغ السهام ثم تقسم التركة على نسب سهام الورثة من أصل  
الفريضة وكل ذلك يحتاج إلى الحساب وكان غالبافه وجعلوه فنادفردا وللناس  
فيه تآلف كثيرة أشهرها عند المالكية من متأخري الاندلس كتاب ابن ثابت  
ومختصر القاضي أبي القاسم الحوفي ثم الجعدي ومن متأخري إفريقية ابن النمر  
الطرابلسي وأمثالهم وأما الشافعية والحنفية والحنابلة فلهم فيه تآلف كثيرة  
وأعمال عظيمة صعبة شاهدة لهم باتساع الباع في الفقه والحساب وخصوصا بأعمالهم  
رضي الله تعالى عنه وأمثاله من أهل المذاهب وهو فن شريف لجمعه بين المعقول  
والمنقول والوصول به إلى الحقوق في الوراثة بوجوه صحيحة يقينية عند ما تجهل  
الخطوط وتشكل على القاسمين وللعلماء من أهل الامصار بها عناية ومن المصنفين  
من يحتاج فيها إلى الغلو في الحساب وفرض المسائل التي تحتاج إلى استخراج المجهولات  
من فنون الحساب كالجبر والمقابلة والتصرف في الجدور وأمثال ذلك فعملوا بها  
تآليفهم وهو وان لم يكن متداول بين الناس ولا يفيد فيما يتداولونه من ورائتهم  
لغرابته وقلة وقوعه فهو يقيد المران وتحصيل الملكية في المتداول على أكمل الوجوه  
وقد يحتاج الاكثر من أهل هذا الفن على فضله بالحديث المنقول عن أبي هريرة  
رضي الله عنه أن الفرائض ثلث العلم وانها أول ما ينسى وفي رواية نصف العلم خرجه  
أبو نعيم الحافظ واحتج به أهل الفرائض بناء على أن المراد بالفرائض فروض الوراثة  
والذي يظهر أن هذا الحمل بعيد وان المراد بالفرائض انما هي الفرائض التكليفية في  
العبادات والعمادات والموارث وغيرها وبهذا المعنى يصح فيها النصفية والثلثية  
وأما فروض الوراثة فهي أقل من ذلك كله بالنسبة إلى علم الشريعة كلها وبعين هذا  
المراد أن جل لفظ الفرائض على هذا الفن الخصوص أو تخصصه بفروض الوراثة  
انما هو اصطلاح ناشئ للفقهاء عند حدوث الفنون والاصطلاحات ولم يكن صدر  
الاسلام يطلق على هذا الاعلى عمومته مشتقا من الفرض الذي هو لغة التقدير أو القطع  
وما كان المراد به في اطلاقه لجميع الفروض كما قلناه وهي حقيقة الشرعية  
فلا ينبغي أن يحمل الاعلى ما كان يحمل في عصرهم فهو أليق برادهم منه والله سبحانه  
وتعالى أعلم وبه التوفيق

### ٩ (اصول الفقه وما يتعلق به من الجدل والمخلافات)



(اعلم) أن أصول الفقه من أعظم العلوم الشرعية وأجلها قدرا وأكثرها فائدة وهو النظر في الأدلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الأحكام والتكاليف وأصول الأدلة الشرعية هي الكتاب الذي هو القرآن ثم السنة المبينة له فعلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم كانت الأحكام تتلقى منه بما يوحى إليه من القرآن وبينه بقوله وفعله بخطاب شفاهي لا يحتاج إلى نقل ولا إلى نظر وقياس ومن بعده صلوات الله وسلامه عليه تعذر الخطاب الشفاهي وانحفظ القرآن بالتواتر وأما السنة فأجمع الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على وجوب العمل بما يصل اليها منها قولاً أو فعلاً بالنقل الصحيح الذي يغلب على الظن صدقه وتعين دلالة الشرع في الكتاب والسنة بهذا الاعتبار ثم ينزل الاجماع منزلة ما لاجماع الصحابة على التكبر على مخالفتهم ولا يكون ذلك إلا عن مستند لأن مثلهم لا يتفقون من غير دليل ثابت مع شهادة الأدلة بعصمة الجماعة فصارت الاجماع دليلاً ثابتاً في الشرعيات ثم نظرنا في طرق استدلال الصحابة والسلف بالكتاب والسنة فإذا هم يقيسون الأشياء بالأشياء منها وما يناظرون الامثال بالامثال باجماع منهم وتسليم بعضهم لبعض في ذلك فإن كثيراً من الوقائع بعده صلوات الله وسلامه عليه لم تدرج في النصوص الثابتة ففاسوها بما ثبت وألحقوها بما نص عليه بشرط في ذلك إلحاق الصحيح تلك المساواة بين الشبهين أو المثلين حتى يغلب على الظن أن حكم الله تعالى فيهما واحد وصار ذلك دليلاً شرعياً باجماعهم عليه وهو القياس وهو رابع الأدلة واتفق جمهور العلماء على أن هذه هي أصول الأدلة وإن خالف بعضهم في الاجماع والقياس إلا أنه شذوذ وألحق بعضهم بهذه الأربعة أدلة أخرى لا حاجة بنا إلى ذكرها الضعيف مداركها وشذوذ القول فيها فكان أول مباحث هذا الفن النظر في كون هذه أدلة فأما الكتاب فدليله المعجزة القاطعة في مسنده والتواتر في نقله فلم يبق فيه مجال للاحتمال وأما السنة وما نقل اليها منها فالاجماع على وجوب العمل بما يصح منها كما قلناه معتزداً بما كان عليه العمل في حياته صلوات الله وسلامه عليه من انفاذ الكتب والرسائل إلى النواحي بالأحكام والشرائع أمرها ونهايا وأما الاجماع فلا تفاقم رضوان الله تعالى عليهم على انكار مخالفتهم مع العصمة الثابتة للامة وأما القياس فباجماع الصحابة رضي الله عنهم عليه كما قد سناه هذه أصول الأدلة ثم إن المنقول من السنة محتاج إلى تصحيح الخبر بالنظر في طرق النقل وعدالة الناقلين لتمييز الحالة المحصلة للظن بصدقه الذي هو مناط وجوب العمل وهذه أيضاً من قواعد الفن ويلحق بذلك عند التعارض بين الخبرين وطلب المتقدم منهما معرفة الناسخ والمنسوخ وهي من فصوله أيضاً وأبوابه ثم بعد ذلك يتعين النظر في دلالة الالفاظ وذلك أن استفادة المعاني

على الإطلاق من تراكيب الكلام على الإطلاق يتوقف على معرفة الدلالات الوضعية مفردة ومركبة والقوانين اللسانية في ذلك هي علوم النحو والتصريف والبيان وحين كان الكلام ملكة لأهل لم تكن هذه علوم ولا قوانين ولم يكن الفقه حينئذ محتاج إليها لأنها جيلة وملكة فلما فسدت الملكة في لسان العرب قبيدها الجهابذة المتجردون لذلك بنقل صحيح ومقاييس مستنبطة صحيحة وصارت علومها محتاج إليها الفقيه في معرفة أحكام الله تعالى ثم إن هناك استفادات أخرى خاصة من تراكيب الكلام وهي استفادة الأحكام الشرعية بين المعاني من أدلتها الخاصة من تراكيب الكلام وهو الفقه ولا يكفي فيه معرفة الدلالات الوضعية على الإطلاق بل لابد من معرفة أمور أخرى تتوقف عليها تلك الدلالات الخاصة وبها تستفاد الأحكام بحسب ما أصل أهل الشرع وجهابذة العلم من ذلك وجعلوه قوانين لهذه الاستفادة مثل أن اللغة لا تثبت قياساً والمشتراك لا يراد به معناه معاً والواو لا تقتضي القريب والعام إذا أخرجت أفراد الخاص منه هل يبقى حجة قيساً عداها والامر للوجوب أو الندب وللغور أو التراخي والنهي يقتضي الفساد أو الصحة والمطلق هل يحمل على المقيد والنص على العلة كاف في التعمد أم لا وأمثال هذه فكانت كلها من قواعد هذا الفن ولكونها من مباحث الدلالة كانت لغوية ثم إن النظر في القياس من أعظم قواعد هذا الفن لأن فيه تحقيق الأصل والفرع فيما يقاس وبماثل من الأحكام وينفتح الوصف الذي يغلب على الظن أن الحكم علق به في الأصل من بين أوصاف ذلك المحل أو وجود ذلك الوصف والفرع من غير معارض يمنع من ترتيب الحكم عليه في مسائل أخرى من توابع ذلك كلها قواعد لهذا الفن (واعلم) أن هذا الفن من الفنون المستحدثة في الملة وكان السلف في غيبة عنه بما أن استفادة المعاني من الالفاظ لا يحتاج فيها إلى مزيد مما عندهم من الملكة اللسانية وأما القوانين التي يحتاج إليها في استفادة الأحكام خصوصاً فإنهم أخذ معظمها وأما الأسانيد فلم يكونوا يحتاجون إلى النظر فيها القرب العصر وممارسة النقلة وخبرتهم بهم فلما انقرض السلف وذهب الصدر الأول وانقلبت العلوم كلها صناعة كما قررناه من قبل احتاج الفقهاء والمجتهدون إلى تحصيل هذه القوانين والقواعد لاستفادة الأحكام من الأدلة فكتبوها فافاناً بأبرأسه سموه أصول الفقه وكان أول من كتب فيه الشافعي رضي الله تعالى عنه أمل في رسالته المشهورة تكلم فيها في الاوامر والنواهي والبيان والخبر والنسخ وحكم العلة



المقصود من القياس ثم كتب فقهاء الحنفية فيه وحققوا تلك القواعد وأوسعوا  
أقول فيها وكتب المتكلمون أيضا كذلك الآن كتابه الفقهاء فيها أمس بالفتن وألبق  
بالفروع لكثرة الامثلة منها والشواهد وبناء المسائل فيها على النكت الفقهية  
والمكلمون يجردون صور تلك المسائل عن الفقه ويميلون الى الاستدلال العقلي  
ما أمكن لانه غالب فنونهم ومقتضى طريقتهم فكان لفقهاء الحنفية فيها اليد الطولى  
من الغوص على النكت الفقهية والتقاط هذه القوانين من مسائل الفقه ما أمكن  
وجاء أبو زيد الدبوسي من أئمتهم فكتب في القياس بأوسع من جميعهم ونعم الابحاث  
والشروط التي يحتاج اليها فيه وكذا صناعة أصول الفقه بكامله وتهدت مسائله  
وتعمدت قواعده وعن الناس بطريقة المتكلمين فيه وكان من أحسن ما كتب فيه  
المتكلمون كتاب البرهان لامام الحرمين والمستصفي للغزالي وهما من الاشعرية وكتاب  
العهد لعبد الجبار وشرحه المعتمد لأبي الحسين البصري وهما من المعتزلة وكانت  
الاربعة قواعدها الفن وأركانها ثم نلخص هذه الكتب الاربعة فخلان من المتكلمين  
التأخرين وهما الامام فخر الدين بن الخطيب في كتاب المحصول وسيف الدين الآمدي  
في كتاب الاحكام واختلفت طرائقهما في الفن بين التحقيق والحجاج فابن الخطيب  
أسبل الى الاستكثار من الادلة والاحتجاج والآمدي مولع بتحقيق المذاهب وتفريع  
المسائل وأما كتاب المحصول فاختصره لميد الامام سراج الدين الارموي في كتاب  
التحصيل وتاج الدين الارموي في كتاب الحاصل واقتطف شهاب الدين القرافي منهما  
مقدمات وقواعد في كتاب صغير سماه التنقيحات وكذلك فعل البيضاوي في كتاب  
المنهاج وعني المبتدئون بهذين الكتابين وشرحهما كثير من الناس \* وأما  
كتاب الاحكام للآمدي وهو أكثر تحقيقا في المسائل فلخصه أبو عمرو بن الحاجب في  
كتابه المعروف بالختصر الكبير ثم اختصره في كتاب آخر تدوله طلبة العلم وعني أهل  
المشرق والمغرب به وعطالته وشرحه وحصلت زبدة طريقة المتكلمين في هذا الفن  
في هذه المختصرات \* وأما طريقة الحنفية فكتبوا فيها كثيرا وكان من أحسن  
كتابة فيها للمتقدمين تأليف أبي زيد الدبوسي وأحسن كتابة المتأخرين فيها تأليف سيف  
الاسلام البرزوي من أئمتهم وهو مستوعب وجاء ابن الساعاتي من فقهاء الحنفية فجمع  
بين كتاب الاحكام وكتاب البرزوي في الطريقتين وسمى كتابه بالبدائع فجاء من أحسن  
الاولياد وأبدعها وأئمة العلماء لهذا العهد يدولونه قراءة ومجنا وولع كثير من علماء  
العجم بشرحه والحال على ذلك لهذا العهد هذه حقيقة هذا الفن ونعين موضوعاته  
وتعديدا لتأليف المشهورة لهذا العهد فيه والله يتقنا بالعلم ويجعلنا من أهله بمنه

وكرمه الله على كل شيء تقدير \* (وأما الخلافات) \* فاعلم أن هذا الفقه المستنبط  
من الادلة الشرعية كثر فيه الخلاف بين المجتهدين باختلاف مداركهم وأنظارهم  
خلاف لا بد من وقوعه لما قدمناه واتسع ذلك في الملة اتساعا عظيما وكان للمقلدين أن  
يقلدوا من شاؤوا منهم ثم لما انتهت ذلك الى الأئمة الاربعة من علماء الامصار وكانوا  
يمكن من حسن الظن بهم اقتصر الناس على تقليدهم ومنعوا من تقليد سواهم  
لذهاب الاجتهاد لصعوبته وتشعب العلوم التي هي مواده باتصال الزمان وافتقار من  
يقوم على سوى هذه المذاهب الاربعة فأقيمت هذه المذاهب الاربعة أصول الملة  
وأجرى الخلاف بين المتكلمين بها والآخرين باحكامها مجرى الخلاف في النصوص  
الشرعية والاصول الفقهية وجرى بينهم المناظرات في تصحيح كل منهم مذهب امامه  
تجرى على أصول صحيحة وطرائق قوية يحجج بها كل على مذهبه الذي قلده وتمسك  
به واجريت في مسائل الشريعة كلها وفي كل باب من أبواب الفقه فتارة يكون  
الخلاف بين الشافعي ومالك وأبو حنيفة يوافق أحدهما وتارة بين مالك وأبي حنيفة  
والشافعي يوافق أحدهما وتارة بين الشافعي وأبي حنيفة ومالك يوافق أحدهما وكان  
في هذه المناظرات بيان مأخذ هؤلاء الأئمة ومعارات اختلافهم ومواقع اجتهادهم  
كان هذا الصنف من العلم يسمى بالخلافات ولا بد لصاحبه من معرفة القواعد التي  
يتوصل بها الى استنباط الاحكام كما يحتاج اليها المجتهد الآن المجتهد يحتاج اليها  
للاستنباط وصاحب الخلافات يحتاج اليها لحفظ تلك المسائل المستنبطة من أن  
يهدمها المخالف يادله وهو اعمرى علم جليل الفائدة في معرفة مأخذ الأئمة وأداتهم  
ومران المطالعين له على الاستدلال فيميار ومون الاستدلال عليه وتآليف الحنفية  
والشافعية فيه أكثر من تأليف المالكية لان القياس عند الحنفية أصل للكثير  
من فروع مذهبهم كما عرفت فهم لذلك أهل النظر والبحث وأما المالكية  
فالاثر أكثر معتد بهم وليسوا بأهل نظر وأيضاً أكثرهم أهل المغرب وهم بادية  
غفل من الصنائع الا في الاقل وللغزالي رحمه الله تعالى فيه كتاب المأخذ ولاي  
زيد الدبوسي كتاب التعليقة ولابن القصار من شيوخ المالكية عميون الادلة وقد  
جمع ابن الساعاتي في مختصره في أصول الفقه جميع ما ينبغي عليهما من الفقه الخلاف  
مدرجا في كل مسألة ما ينبغي عليهما من الخلافات \* (وأما الجدل) \* وهو  
معرفة آداب المناظرة التي تجرى بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم فانه لما كان باب  
المناظرة في الرد والقبول متسعا وكل واحد من المناظرين في الاستدلال والجواب  
يرسل عنانه في الاحتجاج ومنه ما يكون صوابا ومنه ما يكون خطأ فاحتاج الأئمة الى  
أن يضعوا آدابا وحكاما يقف المناظران عند حدودها في الرد والقبول وكيف



يكون حال المستدل والمجيب بحيث يسوغ له أن يكون مستدلا وكيف يكون  
مخصوصا منقطعاً ومجمل اعتراضه أو معارضته وأين يجب عليه السكوت وخصمه  
الكلام والاستدلال ولذلك قيل فيه أنه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في  
الاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأي وهدمه كان ذلك الرأي من الفقه أو غيره  
وهي طريقتان طريقة البردوي وهي خاصة بالأدلة الشرعية من النص والاجماع  
والاستدلال وطريقة العميدى وهي عامة في كل دليل يستدل به من أي علم كان  
وأكثره استدلال وهو من المناسخ الحسنة والمغالطات فيه في نفس الأمر كثيرة  
وإذا اعتبرنا النظر المنطقي كان في الغالب أشبه بالقياس المغايطي والسوفسطائي  
الأن صور الأدلة والأقضية فيه محفوظة مراعاة تحترى فيها طرق الاستدلال كما  
ينبغي وهذا العميدى هو أول من كتب فيها ونسبت الطريقة إليه وضع الكتاب المسمى  
بالإرشاد مختصراً وتبعه من بعده من المتأخرين كالنسفي وغيره جازوا على أثره  
وسلكوا مسلكه وكثرت في الطريقة التآليف وهي لهذا العهد مجهزة لنقص العلم  
والتعليم في الأمصار الإسلامية وهي مع ذلك كالية وليست ضرورية والله سبحانه  
وتعالى أعلم به التوفيق

### (علم الكلام)

١٠

هو علم يتضمن الجواب عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المخرفين  
في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة وسر هذه العقائد الإيمانية هو  
التوحيد فلنقدم هنا الطريقة في برهان عقلي يكشف لنا عن التوحيد على أقرب الطرق  
والمأخذ ثم نرجع إلى تحقيق علمه وفيما ينظر ويشير إلى حدوثه في الملة ومادعالي  
وضعه فنقول إن الحوادث في عالم الكائنات سواء كانت من الذوات أو من الأفعال  
البشرية أو الحيوانية فلا بد لها من أسباب متقدمة عليها تقع في مستقر العادة وعنها  
يتم كونه وكل واحد من هذه الأسباب حادث أيضاً فلا بد له من أسباب أخرى ولا تزال  
تلك الأسباب من تقيية حتى تنتهي إلى مسبب الأسباب وموجدوها وخالقها سبحانه  
لا اله الا هو وتلك الأسباب في ارتقائها تنفس وتتضاعف طولاً وعرضاً ويحار العقل في  
ادراكها وتعيدها فإذا لا يحصرها إلا العلم المحيط سيما الأفعال البشرية والحيوانية  
فإن من جملة أسبابها في الشاهد القصد والارادات إذ لا يتم كون الفعل إلا بإرادته  
والقصد إليه والقصد والارادات أمور نفسانية ناشئة في الغالب عن تصورات سابقة  
تلو بعضها بعضها وتلك التصورات هي أسباب قصد الفعل وقد تكون أسباب تلك

التصورات تصورات أخرى وكل ما يقع في النفس من التصورات مجهول سببه إذ لا  
يطلع أحد على مبادئ الأمور النفسانية ولا على ترتيبها انما هي أشياء يلقيها الله في  
الفكر يتبع بعضها بعضاً والانسان عاجز عن معرفة مبادئها وغاياتها وانما يحيط  
علماً في الغالب بالاسباب التي هي طبيعة ظاهرة ويقع في مداركها على نظام وترتيب  
لأن الطبيعة محصورة للنفس وتحت طورها وأما التصورات فنطاقها أوسع من النفس  
لأن العقل الذي هو فوق طور النفس فلا تدرك الكثير منها فضلاً عن الاحاطة وتأمل  
من ذلك حكمة الشارع في نهيه عن النظر إلى الاسباب والوقوف معها فإنه وادهم  
فيه الفكر ولا يحلونه بطائل ولا يظفر بحقيقة قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون  
وربما انقطع في وقوفه عن الارتقاء إلى ما فوقه فزلت قدمه وأصبح من الضالين  
الهاكمين نعوذ بالله من الحرمان والخسران المبين ولا تحسبن أن هذا الوقوف  
أو الرجوع عنه في قدرتك واختيارك بل هو لون يحصل للنفس وصيغة تستحكم من  
الخوض في الاسباب على نسبة لأنعلمها إذ لو علمناها لتحرزنا منها فلتتحرز من ذلك بقطع  
النظر عنها جله وأيضاً فوجه تأثير هذه الاسباب في الكثير من مسياتها مجهول لأنها  
انما يوقف عليها بالعادة لا اقتران الشاهد بالاستناد إلى الظاهر وحقيقة التأثير وكيفية  
مجهولة وما أوتيت من العلم الا قليلاً فلذلك أمرنا بقطع النظر عنها والغائها جله والتوجه  
إلى مسبب الاسباب كلها وفعالها وموجدها لترسخ صفة التوحيد في النفس على ما علمنا  
الشارع الذي هو أعرف بمصالح ديننا وطرق سعادتنا لاطلاعه على ما وراء الحس قال  
صلى الله عليه وسلم من مات يشهد أن لا اله الا الله دخل الجنة فان وقف عند تلك  
الاسباب فقد انقطع وحقت عليه كلمة الكفر وان سجد في بحر النظر والبحث عنها وعن  
أسبابها وتأثيراتها واحداً بعدوا واحداً فأننا الضامن له أن لا يعود إلا بالخيبة فلذلك نهانا  
الشارع عن النظر في الاسباب وأمرنا بالتوحيد المطلق قل هو الله أحد الله الصمد  
لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ولا تتقن بما يزعم لك الفكر من أنه مقتدر على  
الاحاطة بالكائنات وأسبابها والوقوف على تفصيل الوجود كله وسفه رأيه في ذلك  
واعلم أن الوجود عند كل مدرك في بادئ رأيه منحصر في مداركه لا يعدوها والامر في  
نفسه بخلاف ذلك والحق من ورائه ألا ترى الأصم كيف ينحصر الوجود عنده في  
المحسوسات الأربع والمعقولات ويسقط من الوجود عنده صنف السموات وكذلك  
الاعمى أيضاً يسقط عنده صنف المرئيات ولولا ما يردهم إلى ذلك تقليد الآباء والمشجعة  
من أهل عصرهم والكافة لما أقروا به لكنهم يتبعون الكافة في اثبات هذه الاصناف  
لا يقتضي فطرهم وطبيعة ادراكهم ولو سئل الحيوان الا يحجم ونطق لوجدناه منكراً



للمعقولات وساقطة لديه بالكلية فاذا علمت هذا فافعل هنالك ضربا من الادراك غير  
مدركا تالان ادراكا تالوفا محدثة وخلق الله أكبر من خلق الناس والخصر مجهول  
والوجود أوسع ذنا فامن ذلك والله من وراءهم محيط فاتهم ادراكا كمدركا تال في  
الخصر واتبع ما أمرك الشارع به من اعتقادك وعملك فهو أحرص على سعادتك واعلم  
بما ينفعك لأنه من طور فوق ادراكا تال ومن نطاق أوسع من نطاق عقلك وليس ذلك  
بقادر في العقل ومداركه بل العقل ميران صحيح فأحكامه بيقينية لا كذب فيها غير أنك  
لا تطمع أن ترز به أمور التوحيد والآخرة وحقيقة النبوة وحقائق الصفات الالهية  
وكل ما وراء طوره فان ذلك طمع في محال ومثال ذلك مثال رجل رأى الميزان الذي  
يوزن به الذهب فطمع أن يزن به الجبال وهذا لا يدرك على أن الميزان في أحكامه غير  
صادق لكن العقل قد يقف عنده ولا يتعدى طوره حتى يكون له أن يحيط بالله وبصفاته  
فانه ذرة من ذرات الوجود الحاصل منه وتغفن في هذا الغلط من يقدم العقل على  
السمع في أمثال هذه القضايا وقصور فهمه واضمحلال رأيه فقد تبين لك الحق من  
ذلك واذا تبين ذلك فلعل الأسباب اذا تجاوزت في الارتقاء نطاق ادراكا تال ووجودنا  
خرجت عن أن تكون مدركة فيفضل العقل في بقاء الاوهام ويحار وينقطع فاذا  
التوحيد هو العجز عن ادراك الأسباب وكيفيات تأثيرها ونفوذ ذلك الى خالقها  
المحيط بها اذا فاعل غيره وكلها ترقى اليه وترجع الى قدرته وعلمنا به انما هو من حيث  
صدورنا عنه وهذا هو معنى ما نقل عن بعض الصديقين العجز عن الادراك ادراكا تال  
ان المعبر في هذا التوحيد ليس هو الايمان فقط الذي هو تصديق حكمي فان ذلك  
من حديث النفس وانما الكمال فيه حصول صفة منه تتكيف بها النفس كما ان  
المطلوب من الاعمال والعبادات أيضا حصول ملكة الطاعة والانتفاء وتفرغ  
القلب عن شواغل ماسوى المعبود حتى ينقلب المرید السالك ربانيا والفرق بين الحال  
والعلم في العقائد فرق ما بين القول والاتصاف وشرحه ان كثيرا من الناس يعلم أن  
رحمة اليتيم والمسكين قريبة الى الله تعالى مندوب اليها ويقول بذلك ويعترف به ويذكر  
مأخذه من الشريعة وهو لو رأى يتيما أو مسكينا من أبناء المستضعفين لفرغ عنه  
واستنكف أن يبشره فضلا عن التمسح عليه للرحمة وما بعد ذلك من مقامات العطف  
والحنو والصدقة فهذا انما حصل له من رحمة اليتيم مقام العلم ولم يحصل له مقام الحال  
والاتصاف ومن الناس من يحصل له مع مقام العلم والاعتراف بأن رحمة المسكين  
قريبة الى الله تعالى مقام آخر أعلى من الاول وهو الاتصاف بالرحمة وحصول ملكتها  
فحين رأى يتيما أو مسكينا بادرا اليه ومسح عليه والتمس الثواب في الشفقة عليه لا يكاد

يصبر عن ذلك ولو دفع عنه ثم تصدق عليه بما حضره من ذات يده وكذلك علمك  
بالتوحيد مع اتصافك به والعلم الحاصل عن الاتصاف ضرورة هو أوثق مبنى من العلم  
الحاصل قبل الاتصاف وليس الاتصاف بحاصل عن مجرد العلم حتى يقع العمل  
ويتكرر مرارا غير منحصرة فترسخ الملكة ويحصل الاتصاف والتحقيق ويحجب العلم  
الثاني النافع في الآخرة فان العلم الاول المجرد عن الاتصاف قليل الجدوى  
والنفع وهذا علم أكثر النظائر والمطلوب انما هو العلم الحالى الناشئ عن العادة \*  
واعلم أن الكمال عند الشارع في كل ما كلف به انما هو في هذا فاطلب اعتقاده  
فالكمال فيه في العلم الثاني الحاصل عن الاتصاف وما طلب علمه من العبادات فالكمال  
فيها في حصول الاتصاف والتحقيق بها ثم ان الاقبال على العبادات والمواظبة عليها  
هو المحصل لهذه الثمرة الشريفة قال صلى الله عليه وسلم في رأس العبادات جعلت قرّة  
عيني في الصلاة فان الصلاة صارت له صفة وحالا يجذف فيها منتهى لذته وقرّة عينه وأين  
هذا من صلاة الناس ومن لهم بها فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون اللهم  
وفقنا واهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين  
فقد تبين لك من جميع ما قررناه أن المطلوب في التكليف كلها حصول ملكة راسخة في  
النفس يحصل عنها علم اضطرارى للنفس هو التوحيد وهو العقيدة لايمانة وهو الذى  
تحصل به السعادة وأن ذلك سواء فى التكليف القلبية والبدينية ويتفهم منه أن  
الايمان الذى هو أصل التكليف وينبوعها هو بهذه المشابة ذو مراتب أولها  
التصديق القلبي الموافق للسان وأعلىها حصول كيفية من ذلك الاعتقاد القلبي  
وما يتبعه من العمل مستولية على القلب ليستتبع الجوارح وتندرج في طاعتها جميع  
التصرفات حتى تخترط الافعال كلها في طاعة ذلك التصديق الايمانى وهذا أرفع مراتب  
الايمان وهو الايمان الكامل الذى لا يقارف المؤمن معه صغيرة ولا كبيرة اذ حصول  
الملكة ورسوخها مانع من الانحراف عن مناهجه طرفة عين قال صلى الله عليه وسلم  
لا يرزى الرانى حين يرزى وهو مؤمن وفي حديث هرقل لما سأل أباسفيا بن حرب عن  
النبي صلى الله عليه وسلم وأحواله فقال فى أصحابه هل يرتد أحد منهم سخطة لدينه  
قال لا قال وكذلك الايمان حين تخالط بشائسته القلوب ومعناه أن ملكة الايمان اذا  
استقرت عسر على النفس مخالفتها شأن الملكات اذا استقرت فانها تحصل بمشابة الجبل  
والقطرة وهذه هي المرتبة العالية من الايمان وهي في المرتبة الثانية من العصمة لأن  
العصمة واجبة للانبياء وجوباً سابقاً وهذه حاملة للمؤمنين حصولاً تالاً بعمالهم  
وتصديقهم وبهذه الملكة ورسوخها يقع التفاوت في الايمان كالذى يتلى عليك من



أقاريل السلف وفي تراجم البخاري رضي الله عنه في باب الايمان كثير منه مثل أن  
 الايمان قول وعمل ويزيد وينقص وان الصلاة والصيام من الايمان وان تطوع  
 رمضان من الايمان والحياة من الايمان والمراد بهذا كله الايمان الكامل الذي أشرنا  
 اليه والى ملكته وهو فعل وأما التصديق الذي هو أول مراتبه فلا تفاوت فيه فمن اعتبر  
 أوائل الاسماء وحمله على التصديق منع من التفاوت كما قال أئمة المتكلمين ومن اعتبر  
 أوخر الاسماء وحمله على هذه الملكة التي هي الايمان الكامل ظهر له التفاوت وليس  
 ذلك بقادح في اتحاد حقيقته الأولى التي هي التصديق اذ التصديق موجود في جميع  
 رتبته لانه أقل ما يطلق عليه اسم الايمان وهو الخاص من عبادة الكفر والقياس بين  
 الكافر والمسلم فلا يجرى أقل منه وهو في نفسه حقيقة واحدة لا تتفاوت وإنما التفاوت  
 في الحال الحاصلة عن الاعمال كما قلناه فافهم \* واعلم أن الشارع وصف لنا هذا  
 الايمان الذي في المرتبة الأولى الذي هو تصديق وعين أموراً مخصوصة كقلنا التصديق  
 بهما بقلوبنا واعتقادها في أنفسنا مع الاقرار بالسنة وهي العقائد التي تقررت في الدين  
 قال صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الايمان فقال أن تؤمن بالله وملكه وكتبه  
 ورسوله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره وهذه هي العقائد الايمانية المقررة في علم  
 الكلام \* ونشر اليها جملة لتبين لك حقيقة هذا الدين وكيفية حدوده فنقول  
 اعلم أن الشارع لما أمرنا بالايمان بهذا الخالق الذي رداً لافعال كلها اليه وأفرده به  
 كما قدمناه وعرفنا أن في هذا الايمان نجاتنا عند الموت اذا حضرنا لم يعترفنا بكنهه حقيقة  
 هذا الخالق المعبود اذ ذلك متعذر على ادراكنا من فوق طورنا فكأننا أولاً اعتقاد  
 تنزيهه في ذاته عن مشابهة المخلوقين والامساك أنه خالق لهم لعدم الفارق على هذا  
 التقدير ثم تنزيهه عن صفات النقص والاشابه المخلوقين ثم توحيد به الاتحاد والام بتم  
 الخلق للتمانع ثم اعتقاد أنه عالم قادر فبذلك تتم الافعال شأهاً وقضية الكمال الاتحاد  
 والخلق ومريد والام يخص شئ من المخلوقات ومقدر لكل كائن والا فالارادة حادثة  
 وأنه بعد الموت تكميلاً لعنايته بالايحاديث ولو كان لامر فان كان عبثاً فهو للبقاء  
 السرمدى بعد الموت ثم اعتقاد بعثة الرسل للنجاة من شقاء هذا المعاد لا اختلاف  
 أحواله بالشقاء والسعادة وعدم معرفتنا بذلك ونعام لطفه بنا في الاتيان بذلك وبيان  
 الطريقين وأن الجنة للنعم وجهنم للعذاب هذه أمتهات العقائد الايمانية معللة بأدلتها  
 العقائية وأدلتها من الكتاب والسنة كثيرة وعن تلك الأدلة أخذها السلف وأرشد اليها  
 العلماء وحققها الأئمة الآن أنه عرض بعد ذلك خلاف في تفاصيل هذه العقائد أكثر مما رها  
 من الآتي المتشابهة فدعنا ذلك الى الختام والتناظر والاستدلال بالعقل زيادة الى

النقل فحدث بذلك علم الكلام ولين لك تفصيل هذا الجمل وذلك أن القرآن ورد  
 فيه وصف المعبود بالتنزيه المطلق الظاهر للدلالة من غير تأويل في آي كثيرة وهي  
 أسلوب كلها وصريح في بابها فوجب الايمان بها ووقع في كلام الشارع صلوات الله عليه  
 وكلام الصحابة والتابعين تفسيرها على ظاهرها ثم وردت في القرآن آي أخرى قلبلة  
 توهم التشبيه مرة في الذات وأخرى في الصفات فأما السلف فغلبوا أدلة التنزيه لكثرة  
 ووضوح دلالتها وعلوا استعمال التشبيه وقضوا بأن الآيات من كلام الله فآمنوا بها  
 ولم يتعرضوا لمعناها بحث ولا تأويل وهذا معنى قول الكثيرينهم اقرؤوها كما جاءت  
 أي آمنوا بأنهم من عند الله ولا تتعرضوا لتأويلها ولا تفسيرها الجواز أن تكون  
 ابتلاء فيجب الوقف والاذعان له وشذذ لعصرهم مبتدعة اتبعوا ما تشابه من الآيات  
 وتوغلوا في التشبيه ففريق أشبهوا في الذات باعتقاد اليد والقدم والوجه عملاً بطواهر  
 وردت بذلك فوقعوا في التجسيم الصريح ومخالفة آي التنزيه المطلق التي هي أكثر  
 موارد وأوضح دلالة لأن معقولية الجسم تقتضي النقص والافتقار وتغليب آيات  
 السلوب في التنزيه المطلق التي هي أكثر موارد وأوضح دلالة أولى من التعلو بطواهر  
 هذه التي لنا عن أغنية وجمع بين الدالين بتأويلهم ثم يفرون من شناعة ذلك بقولهم  
 جسم لا كالأجسام وليس ذلك بدافع عنهم لانه قول متناقض وجمع بين نفي وإثبات ان كان  
 بالمعقولية واحدة من الجسم ان خالفوا بينهما ونفوا المعقولية المتعارفة فقد وافقونا  
 في التنزيه ولم يبق الا جعلهم لفظ الجسم اسماً من أسمائه ويتوقف مثله على الاذن وفريق  
 منهم ذهبوا الى التشبيه في الصفات كإثبات الجهة والاستواء والنزول والصوت  
 والحرف وأمثال ذلك وآل قولهم الى التجسيم فزعموا مثل الاولين الى قولهم صوت  
 لا كالاصوات جهة لا كالجهاات نزول لا كنزول يعنون من الأجسام واندفع ذلك بما  
 اندفع به الاول ولم يبق في هذه الظواهر الاعتقادات السلف ومذاهبهم والايمان بها كما  
 هي لا يكثر النفي على معانيها بغير ما مع أنها صحيحة ثابتة من القرآن ولهذا انتظر ما تراه  
 في عقيدة الرابطة لابن أبي زيد وكتاب المختصر له وفي كتاب الحافظ بن عبد البر وغيرهم  
 فانهم يحرمون على هذا المعنى ولا تخمس عينك عن الترائن الدالة على ذلك في غضون  
 كلامهم ثم لما كثرت العلوم والصنائع وولع الناس بالتدوين والبحث في سائر الانحاء  
 وآلف المتكلمون في التنزيه حدثت بدعة المعتزلة في تعميم هذا التنزيه في آي السلوب  
 ففرضوا بنفي صفات المعاني من العلم والقدرة والارادة والحياة زائدة على أحكامها يلزم  
 على ذلك من تعدد القديم بزعمهم وهو مردود بأن الصفات ليست عين الذات ولا غيرها  
 وقضوا بنفي السمع والبصر كونهما من عوارض الأجسام وهو مردود لعدم



اشترط البنية في مدلول هذا اللفظ وانما هو ادراك المسموع أو المبصر وقضوا بنفي الكلام لشبه ما في السمع والبصر ولم يعقلوا صفة الكلام التي تقوم بالنفس فقضوا بأن القرآن مخلوق بدعة صرح السلف بخلافها وظن ضرر هذه البدعة واقتنوا بعض الخلفاء عن أئمتهم فحمل الناس عليها وخالفهم أئمة السلف فاستحل خلافهم إيسار كثير منهم ودماؤهم كان ذلك سببا لانتهاض أهل السنة بالأدلة العقلية على هذه العقائد دفعاً في صدور هذه البدع وقام بذلك الشيخ أبو الحسن الأشعري أمام المتكلمين فتوسط بين الطرق ونفى التشبيه وأثبت الصفات المنعوية وقصر التنزيه على ما قصره عليه السلف وشهدت له الأدلة المخصصة لعدم ما ثبت الصفات الأربع المعنوية والسمع والبصر والكلام القائم بالنفس بطريق النقل والعقل ورد على المبتدعة في ذلك كله وتكلم معهم فيما مهدوا لهذه البدع من القول بالصلاح والاصح والتحسين والتقيج وكل العقائد في أبعثة وأحوال الجنة والنار والثواب والعقاب وألحق بذلك الكلام في الإمامة لما ظهر حينئذ من بدعة الإمامية من قولهم إنها من عقائد الإيمان وإن يجب على النبي تعيينها والخروج عن العهد في ذلك لم هي له وكذلك على الأمة وقصارى أمر الإمامة أنها قضية مصلحة إجماعية ولا تلحق بالعقائد فذلك الحق هو ما عايناه من هذا الفن وسموا مجوعه علم الكلام أما لما فيه من المناظرة على البدع وهي كلام صرف وليست براجعة إلى عمل وأما لأن سبب وضعه والخوض فيه هو تنازعهم في إثبات الكلام النفسي وكثر اتباع الشيخ أبي الحسن الأشعري واقتفى طريقته من بعده تلميذه كابن مجاهد وغيره وأخذ عنهم القاضي أبو بكر الباقلاني فتصدرا للإمامة في طريقتهما وهذبها ووضع المقدمات العقلية التي تتوقف عليها الأدلة والانتظار وذلك مثل إثبات الجوهر الفرد والخلاص وأن العرض لا يقوم بالعرض وأنه لا يبقى زمانين وأمثال ذلك مما تتوقف عليه أدلتهم وجعل هذه القواعد تبعاً للعقائد الإيمانية في وجوب اعتقادها لتوقف تلك الأدلة عليها وأن بطلان الدليل يؤذن ببطلان المدلول وجملت هذه الطريقة وجاءت من أحسن الفنون النظرية والعلوم الدينية إلا أن صور الأدلة تعتبر بها الأقيسة ولم تكن حينئذ ظاهرة في الملة ولظهر منها بعض الشيء فلم يأخذ به المتكلمون لما لبستها للعلوم الفلسفية المبينة للعقائد الشرعية بالجملة فكانت مهجورة عندهم لذلك ثم جاء بعد القاضي أبي بكر الباقلاني إمام الحرمين أبو المعالي غاملي في الطريقة كتاب الشامل وأوسع القول فيه ثم خصه في كتاب الإرشاد واتخذوا الناس إماماً لعقائدهم ثم انتشرت من بعد ذلك علوم المنطق في الملة وقرأه الناس وفرقوا بينه وبين العلوم الفلسفية بأنه قانون ومعياري للأدلة فقط يسير به الأدلة منها كما يسير من سواها ثم نظروا

في تلك القواعد والمقدمات في فن الكلام للأقدمين فخالقوا الكثير منها بالبراهين التي أدلت إلى ذلك وربما أن كثيراً منها مقبوس من كلام الفلاسفة في الطبيعيات والالهيات فلما سيروها للمعار المنطق ردهم إلى ذلك فيها ولم يعتقدوا بطلان المدلول من بطلان دليله كما صار إليه القاضي فصارت هذه الطريقة من مصطلحهم مبينة للطريقة الأولى وتسمى طريقة المتأخرين وربما أدخلوا فيها الرد على الفلاسفة فيما خالفوا فيه من العقائد الإيمانية وجمعوا لهم من خصوم العقائد تناسب الكثير من مذاهب المبتدعة ومذاهبهم وأول من كتب في طريقة الكلام على هذا المنحى الغزالي رحمه الله وتبعه الإمام ابن الخطيب وجماعة قفوا أثرهم واعتمدوا تقليدهم ثم توغل المتأخرون من بعدهم في مخالطة كتب الفلسفة والتبس عليهم شأن الموضوع في العليين فحسبوه فيها واحداً من اشتباه المسائل فيها \* وأعلم أن المتكلمين لما كانوا يستدلون في أكثر أحوالهم بالكائنات وأحوالها على وجود الباري وصفاته وهو نوع استدلالهم غالباً والجسم الطبيعي ينظر فيه الفيلسوف في الطبيعيات وهو بعض من هذه الكائنات إلا أن نظره فيها مخالف لنظر المتكلم وهو ينظر في الجسم من حيث يتحرك ويسكن والمتكلم ينظر فيه من حيث يدل على الفاعل وكذا انظر الفيلسوف في الالهيات انما هو نظر في الوجود المطلق وما يقتضيه لذاته ونظر المتكلم في الوجود من حيث أنه يدل على الموجد والجملة فموضوع علم الكلام عند أهلنا هو العقائد الإيمانية بعد فرضها صحيحة من الشرع من حيث يمكن أن يستدل عليها بالأدلة العقلية فترفع البدع وتزول الشكوك والشبه عن تلك العقائد وإذا تأملت حال الفن في حدوده وكيف تدرج كلام الناس فيه صدر بعده صدوروكاهم يفرض العقائد صحيحة ويستنهض الحجج والأدلة علمت حينئذ ما قررناه لك في موضوع الفن وأنه لا يعدوه واقداً اختلطت الطريقتان عند هؤلاء المتأخرين والتبست مسائل الكلام بمسائل الفلسفة بحيث لا يتميز أحد الفين من الآخر ولا يحصل عليه طلبة من كتبهم كما فعله البيضاوي في الطوارق ومن جاء بعده من علماء العجم في جميع تأليفهم إلا أن هذه الطريقة قد يعنى بها بعض طلبة العلم للاطلاع على المذاهب والأغراق في معرفة الحجاج لو فورد ذلك فيها وأما محاذاة طريقة السلف بعقائد علم الكلام فانما هو الطريقة القديمة للمتكلمين وأصلها كتاب الإرشاد وما حدا حدوه ومن أراد إدخال الرد على الفلاسفة في عقائدهم فليكتب الغزالي والإمام ابن الخطيب فانها وإن وقع فيها مخالفة للاصطلاح القديم فليس فيها من الاختلاط في المسائل والاتباس في الموضوع ما في طريقة هؤلاء المتأخرين من بعدهم وعلى الجملة فينبغي أن يعلم أن هذا العلم الذي هو علم الكلام غير ضروري لهذا العهد على طالب



العلم اذ المجددة والمبتدعة قد انقضوا والائمة من اهل السنة كفونا انهم فيما كتبوا ودقوا والادلة العقلية انما الاحتاجوا اليها حين دافعوا ونصروا واما الان فلم يبق منها الا كلام تنزه الباري عن كثير ايام ساماته واطلاقه ولقد سئل الجنيد رحمه الله عن قوم مزبهم من المتكلمين يفيضون فيه فقال ما هؤلاء فقيل قوم ينزهون الله بالادلة عن صفات الحدود وسمات النقص فقال نبي العيب حيث يستحيل العيب عيب لكن فائدة في آحاد الناس وطلبة العلم فائدة معتبرة اذ لا يحسن بحامل السنة الجهل بالجلبج النظرية على عقائدها والله ولي المؤمنين

### ١١ (علم التصوف)

هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الامة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع الى الله تعالى والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة وكان ذلك عاماً في الصحابة والسلف فلما فشا الاقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس الى مخالطة الدنيا اختص المقلدون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة وقال القشيري رحمه الله ولا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية ولا قياس وانما اشرأه لقب ومن قال اشتقاقه من الصفاء أو من الصفة فبعيد من جهة القياس اللغوي قال وكذلك من الصوف لانهم لم يختصوا بلبسه \* قلت والظاهر ان قيل بالاشتقاق انه من الصوف وهم في الغالب محتصون بلبسه ما كانوا عليه من مخالطة الناس في لبس فاخر الثياب الى لبس الصوف فلما اختص هؤلاء بذهب الزهد والانفراد عن الخلق والاقبال على العبادة اختصوا بما خذمد ركة لهم وذلك أن الانسان بما هو انسان انما يتميز عن سائر الحيوان بالادراك وادراكه نوعان ادراك للعلوم والمعارف من اليقين والظن والشك والوهم وادراك الاحوال القائمة من الفرح والحزن والقبض والبسط والرضا والغضب والصبر والشكر وأمثال ذلك فالروح العاقل والمتصرف في البدن تنشأ من ادراكات وارادات واحوال وهي التي يميز بها الانسان وبعضها ينشأ من بعض كما ينشأ العلم من الادلة والفرح والحزن عن ادراك المؤلم أو المتلذذ به والنشاط عن الحمام والكسل عن الاعياء وكذلك المريد في مجاهدته وعبادته لا بد وأن ينشأه عن كل مجاهدة حال نتيجة تلك المجاهدة وتلك الحالة اما أن تكون نوع عبادة فتخرج تصديره قاصداً للمريد واما أن لا تكون عبادة وانما تكون

صفة حاصلة للنفس من حزن أو سرور أو نشاط أو كسل أو غير ذلك من المقامات ولا يزال المريد يترقى من مقام الى مقام الى أن ينتهي الى التوحيد والمعرفة التي هي الغاية المطلوبة للسعادة قال صلى الله عليه وسلم من مات يشهد أن لا اله الا الله دخل الجنة فالمريد لا بد له من الترقى في هذه الاطوار وأصلها كلها الطاعة والاخلاص وبتقدمها الايمان ويصاحبها وتنشأ عنها الاحوال والصفات تنائج وغرات ثم تنشأ عنها أخرى وأخرى الى مقام التوحيد والعرفان واذا وقع تقصير في النتيجة أو خلل فنعلم أنه انما أتى من قبل التقصير في الذي قبله وكذلك في الخواطر النفسانية والواردات القلبية فلهذا يحتاج المريد الى محاسبة نفسه في سائر أعماله وينظر في حقائدها لان حصول النتائج عن الاعمال ضروري وقصورها من الخلل فيها كذلك والمريد يجب ذلك بذوقه ويحاسب نفسه على أسبابه ولا يشاركهم في ذلك لا القليل من الناس لان الغفلة عن هذا كأنها شاملة وغاية أهل العبادات اذ لم ينتهوا الى هذا النوع أنهم يأتون بالطاعات مخلصين من نظر الفقه في الاجزاء والامتنال وهؤلاء يمشون عن نتائجها بالاذواق والمواجد ليطلعوا على أنها خالصة من التقصير أو لا فظهر أن أصل طريقهم كلها محاسبة النفس على الافعال والتروك والكلام في هذه الاذواق والمواجد التي تحصل عن المجاهدات ثم تستقر للمريد مقاماً ويترقى منها الى غيرها ثم لهم مع ذلك آداب مخصوصة بهم واصطلاحات في ألفاظ تدور بينهم اذا اوضاع اللغوية انما هي للدعائي المتعارفة فاذا عرض من المعاني ما هو غير متعارف اصطلاحنا عن التعبير عنه بالفظ يتيسر فهمه منه فلهذا اختص هؤلاء بهذا النوع من العلم الذي ليس لواحد غيرهم من أهل الشريعة الكلام فيه وصار علم الشريعة على صنفين صنف مخصوص بالفقهاء وأهل الفتيا وهي الاحكام العامة في العبادات والعبادات والمعاملات وصنف مخصوص بالقوم في القيام بهذه المجاهدة ومحاسبة النفس عليها والكلام في الاذواق والمواجد العارضة في طريقها وكيفية الترقى منها من ذوق الى ذوق وشرح الاصطلاحات التي تدور بينهم في ذلك فلما كتبت العلوم ودونت وألف الفقهاء في الفقه وأصوله والكلام والتفسير وغير ذلك كتب رجال من أهل هذه الطريقة في طريقهم ففهم من كتب في الورع ومحاسبة النفس على الاقتداء في الاخذ والترك كما فعله القشيري في كتاب الرسالة والسهروردي في كتاب عوارف المعارف وأمثالهم وجمع الغزالي رحمه الله بين الامرين في كتاب الاحياء فدقون فيه أحكام الورع والاقتداء ثم بين آداب القوم وسننهم وشرح اصطلاحاتهم في عباراتهم وصار علم التصوف في الملة علماً مدقوناً بعد ان كانت الطريقة عبادة فقط وكانت أحكامها انما تلتقي من صدور



الرجال كما وقع في سائر العلوم التي قوت بالكتاب من التفسير والحديث والفقه والاصول وغير ذلك \* ثم ان هذه المجاهدة والخلوة والذكر يتبعها غالبا كشف حجاب الحس والاطلاع على عوالم من أمر الله ليس لصاحب الحس ادراك الشيء منها والروح من تلك العوالم وسبب هذا الكشف أن الروح اذا رجع عن الحس اظهر الى الباطن ضعفت أحوال الحس وقويت أحوال الروح وغلب سلطانه وتجدد نشوه وأعان على ذلك الذكر فانه كالغذاء لتنمية الروح ولا يزال في غور وتزيد الى أن يصير شهودا بعد ان كان علما وبه كشف حجاب الحس ويتم وجود النفس الذي لها من ذاتها وهو عين الادراك فيعرض حينئذ لمواهب الربانية والعلوم الدنية والفتح الالهي وتقرّب ذاته في تحقيق حقيقة آمن الافق الاعلى أفق الملائكة وهذا الكشف كثيرا ما يعرض لاهل المجاهدة فيدركون من حقائق الوجود ما لا يدرك سواهم وكذلك يدركون كثيرا من الوقائع قبل وقوعها ويتصرفون بهم منهم وقوى نفوسهم في الموجودات السفلية وتصير طوع ارادتهم فالعظماء منهم لا يعتبرون هذا الكشف ولا يتصرفون ولا يخبرون عن حقيقة شيء لم يؤمروا بالتسكّم فيه بل يعدّون ما يقع لهم من ذلك محنة ويتعزّون منه اذا هاجهم وقد كان الصحابة رضي الله عنهم على مثل هذه المجاهدة وكان حظهم من هذه الكرامات أوفر الخفوظ لكنهم لم يقع لهم بها عناية وفي فضائل أبي بكر وعمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم كثير منها وتبعهم في ذلك أهل الطريقة ممن اشتملت رسالة القشيري على ذكرهم ومن تبع طريقة منهم \* ثم ان قوم من المتأخرين انصرفت عنايتهم الى كشف الحجاب والمدارك التي وراءه واختلفت طرق الرياضة عنهم في ذلك باختلاف تعليمهم في امانة القوى الحسية وتغذية الروح العاقل بالذكري حتى يحصل للنفس ادراكها الذي لها من ذاتها بتمام نشوتها وتغذيتها فاذا حصل ذلك زعموا أن الوجود قد انحصر في مداركها حينئذ وأنهم كشفوا ذوات الوجود وتصوروا حقائقها كلها من العرش الى الطش هكذا قال الغزالي رحمه الله في كتاب الاحياء بعد أن ذكر صورة الرياضة \* ثم ان هذا الكشف لا يكون صحيحا كاملا عندهم الا اذا كان ناشئا عن الاستقامة لان الكشف قد يحصل لصاحب الجوع والخلوة وان لم يكن هنالك استقامة كالسحرة والنصارى وغيرهم من المرتاضين وائس مرادنا الا الكشف الناشئ عن الاستقامة ومناله أن المرأة الصغيلة اذا كانت محدبة أو مقعرة وحوزي بها جهة المرنى فانه يتشكل فيه معوجا على غير صورته وان كانت مسطحة تشكل فيها المرنى صحيحا فالاستقامة للنفس كالانبساط للمرأة فيما ينطبع فيها من الاحوال والمعاني المتأخرون بهذا النوع من الكشف تسكاموا في

حقائق الموجودات العلوية والسفلية وحقائق الملك والروح والعرش والكرسي وأمثال ذلك وقصرت مداركهم لم يشاركونهم في طريقهم عن فهم أذواقهم ومواجدهم في ذلك وأهل القيايين منكر عليهم ومسلم لهم وليس البرهان والدليل بنافع في هذه الطريق ردا وقبولا اذهى من قبيل الوجدانيات وربما قصد بعض المصنفين بيان مذهبهم في كشف الوجود وترتيب حقائقه فأقنى بالانغمض فالاغمض بالنسبة الى أهل النظر والاصطلاحات والعلوم كما فعل الفرغاني شارح قصيدة ابن الفارض في الديباجة التي كتبها في صدر ذلك الشرح فانه ذكر في صدور الوجود عن الفاعل وترتيبه أن الوجود كله صادر عن صفة الواحدانية التي هي مظهر الاحدية وهما معا صادران عن الذات الكريمة التي هي عين الوحدة لا غير ويسمون هذا الصدور بالتجلي وأقول مراتب التجليات عندهم تجلي الذات على نفسه وهو يتضمن الكمال بافضاء الابدان والظهور لقوله في الحديث الذي يتناقلونه كنت كثيرا مخفيا فأحببت أن أعرف خلقت الخلق ليعرفوني وهذا الكمال في الابدان المتزل في الوجود وتفصيل الحقائق وهو عندهم عالم المعاني والحضرة الكلبية والحقيقة المحمدية وفيها حقائق الصفات واللوح والقلم وحقائق الانبياء والرسل أجمعين والكمال من أهل الملة الحمديّة وهذا كله تفصيل الحقيقة المحمدية ويصدر عن هذه الحقائق حقائق أخرى في الحضرة الهبائية وهي مرتبة المثلثات عن العرش ثم الكرسي ثم الافلاك ثم عالم العناصر ثم عالم التركيب هذا في عالم الرتق فاذا تجلّت فهي في عالم الفتق ويسمى هذا المذهب مذهب أهل التجلي والمظاهر والحضرات وهو كلام لا يقتدر أهل النظر على تحصيل مقتضاه لغموضه وانغلاقه وبعد ما بين كلام صاحب المشاهدة والوجدان وصاحب الدليل وربما أنكر بظاهر الشرع هذا الترتيب وكذلك ذهب آخرون منهم الى القول بالوحدة المطلقة وهو رأي أغرب من الاقل في تعقده وتنفاريعه يزعمون فيه أن الوجود له قوى في تفاصيلها كانت حقائق الموجودات وصورها وموادها والعناصر انما كانت بما فيها من القوى وكذلك ما داتها لها في نفسها اقوة بها كان وجودها ثم ان المركبات فيها تلك القوى متضمنة في القوة التي كان بها التركيب كالقوة المعدنية فيها قوى العناصر بهيولها وازيادة القوة المعدنية ثم القوة الحيوانية تتضمن القوة المعدنية وازيادة قوتها في نفسها وكذا القوة الانسانية مع الحيوانية ثم ذلك يتضمن القوة الانسانية وازيادة وكذا الذوات الروحانية والقوة الجامعة للكل من غير تفصيل هي القوة الالهية التي انبثت في جميع الموجودات كلية وجرئية وجمعتها وأحاطت بها من كل وجه لامن جهة الظهور ولا من جهة الخفاء ولا من جهة الصورة ولا من جهة



المادة فالكل واحد وهو نفس الذات الالهية وهي في الحقيقة واحدة بسيطة والاعتبار هو الفصل لها كالانسانية مع الحيوانية ألا ترى أنها مندرجة فيها وكأنها تكونها مقارة يمثلونها بالجنس مع النوع في كل موجود كما ذكرناه وتارة بالكل مع الجزء على طريقة المثال وهم في هذا كله يفرون من التركيب والكثرة بوجه من الوجوه وانما أوجبهما عندهم الوهم والخيال والذي يظهر من كلام ابن دهقان في تقرير هذا المذهب أن حقيقة ما يقولونه في الوحدة شبيه بما نقوله الحكما في الألوان من أن وجودها مشروط بالضوء فإذا عدم الضوء لم تكن الألوان موجودة بوجه وكذا عندهم الموجودات المحسوسة كلها مشروطة بوجود المدرك الحسي بل والموجودات المعقولة والمتوهمية أيضا مشروطة بوجود المدرك العقلي فإذا الوجود المفصل كله مشروط بوجود المدرك البشري فلو فرضنا عدم المدرك البشري جله لم يكن هناك تفصيل الوجود بل هو بسيط واحد فالحر والبرد والصلابة واللين بل والارض والماء والنار والسماء والكواكب انما وجدت لوجود الخواص المدركة لها المماثلة في المدرك من التفصيل الذي ليس في الموجود وانما هو في المدارك فقط فاذا فقدت المدارك المفصلة فلا تفصيل انما هو ادراك واحد وهو انما لا غيره ويعتبرون ذلك بحال النائم فانه اذا نام وفقد الحس الظاهر فقد كل محسوس وهو في تلك الحالة الا ما يفصله الخيال قالوا فكذا اليقظان انما يعتبر تلك المدركات كلها على التفصيل بنوع مدركه البشري ولو قدر فقد مدركه فقد التفصيل وهذا هو معنى قولهم المتوهم لا الوهم الذي هو من جله المدارك البشرية هذا المختصر رأيهم على ما يفهم من كلام ابن دهقان وهو في غاية السقوط لانه قطع بوجود البلد الذي نحن مسافرون عنه واليه يقينا مع غيبته عن أعيننا وبوجود السماء المظلمة والكواكب وسائر الاشياء الغائبة عنا فالانسان قاطع بذلك ولا يكابر أحد نفسه في اليقين مع ان المحققين من المتصوفة المتأخرين يقولون ان المريد عند الكشف ربما عرض له توهم هذه الوحدة ويسمى ذلك عندهم مقام الجمع ثم يترقى عنه الى التمييز بين الموجودات ويعبرون عن ذلك بمقام الفرق وهو مقام العارف المحقق ولا بد للمريد عندهم من عقبة الجمع وهي عقبة صعبة لانه يخشى على المريد من وقوفه عندها فتخسر صفقته فقد تبينت مراتب أهل هذه الطريقة ثم ان هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكاملين في الكشف وفيما وراء الحس توغلوا في ذلك فذهب الكثير منهم الى الحلول والوحدة كما أشرفنا اليه وملأوا الصحف منه مثل الهروي في كتاب المقامات له وغيره وتبعهم ابن العربي وابن سبعين وتلميذهما ابن العفيف وابن الفارض والنجم الاسرائيلي في قصائد هم وكان سلفهم مخالطين للاسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضا

بالحلول والهيئة الائمة مذهبهم يعرف لا قولهم فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب ومعناه رأس العارفين يزعمون أنه لا يمكن أن يساويه أحد في مقامه في المعرفة حتى يقبضه الله ثم يورث مقامه لا آخر من أهل العرفان وقد أشار الى ذلك ابن سينا في كتاب الاشارات في فصول التصوف منها فقال جل جنتاب الحق أن يكون شرعة لكل وارد أو يطلع عليه الا الواحد بعد الواحد وهذا كلام لا تقوم عليه حجة عقلية ولا دليل شرعي وانما هو من أنواع الخطابة وهو بعينه ما نقوله الرافضة ودانوا به ثم قالوا بترتيب وجود الابدال بعد هذا القطب كما قاله الشيعة في النقباء حتى انهم لما أسندوا اليأس خرقوا التصوف ليحعلوه أصلا لطريقتهم وتخليهم رفعوه الى على رضى الله عنه وهو من هذا المعنى أيضا والافعل رضى الله عنه لم يختص من بين الصحابة بخاتمة ولا طريقة في لباس ولا حال بل كان أبو بكر وعمر رضى الله عنهما أزهد الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثرهم عبادة ولم يختص أحد منهم في الدين بشئ يؤثر عنه في الخصوص بل كان الصحابة كلهم اسوة في الدين والزهد والمجاهدة يشهد لذلك من كلام هؤلاء المتصوفة في أمر القاطمي وما شئنا كتبهم في ذلك مما ليس لسلف المتصوفة فيه كلام ينفي أو اثبات وانما هو مأخوذ من كلام الشيعة والرافضة ومذاهبهم في كتبهم والله يهدي الى الحق ثم ان كثيرا من الفقهاء وأهل الفتيا اتدبوا للرد على هؤلاء المتأخرين في هذه المقالات وأمنالها وشملوا بالنكيس ما وقع لهم في الطريقة والحق أن كلامهم معهم فيه تفصيل فان كلامهم في أربعة مواضع أحدها الكلام على المجاهدات وما يحصل من الاذواق والمواجد ومحاسبة النفس على الاعمال لتحصل تلك الاذواق التي تصير مقامها ويرتقى منه الى غيره كما قلناه وثانيها الكلام في الكشف والحقيقة المدركة من عالم الغيب مثل الصفات الربانية والعرش والكرسي والملائكة والوحي والنبوة والروح وحقائق كل موجود غائب أو شاهد وتركيب الاكوان في صدورهم عن موجد ها وتكونها كما مر وثالثها التصرفات في العوالم والاكوان بأنواع الكرامات ورابعها ألفاظ موهمة الظاهر صدرت من الكثيرين أئمة القوم يعبرون عنها في اصطلاحهم بالسطحات تستشكل ظواهرها فنفكر ومحسن ومتأول فأما الكلام في المجاهدات والمقامات وما يحصل من الاذواق والمواجد في نتائجها ومحاسبة النفس على التقصير في أسبابها فأمر لا مدفع فيه لاحد وأذواقهم فيه صحيحة والتحقيق بها هو عين السعادة وأما الكلام في كرامات القوم واخبارهم بالمغيبات ونصرتهم في الكائنات فأمر صحيح غير منكر وان مال بعض العلماء الى انكارها فليس ذلك من



الحق وما احتج به الاستاذ أبو اسحق الاسفرايخي من أئمة الأشعرية على انكارها  
 لا تبسها بالمعجزة فقد فرق المحققون من أهل السنة بينهم بالتحدي وهو دعوى وقوع  
 المعجزة على وفق ما جاء به قالوا ثم أن وقوعها على وفق دعوى الكاذب غير ممدور لأن  
 دلالة المعجزة على الصدق عقلية فإن صفة نفسها التصديق فلو وقعت مع الكاذب  
 لتبدلت صفة نفسها وهو محال هذا مع أن الوجود شاهد بوقوع الكثرة من هذه  
 الكرامات وانكارها نوع مكابرة وقد وقع للحصاة وأكبر السلف كثير من ذلك وهو  
 معلوم مشهور وأما الكلام في الكشف واعطاء حقائق العلويات وترتيب صدور  
 الكائنات فأكثر كلامهم فيه نوع من التشابه لما أنه وجداني عندهم وفاقا للوجدان  
 عندهم بعزل عن أدواقهم فيه واللغات لا تعطى دلالة على مرادهم منه لأنها لم توضع إلا  
 للمعرفة وأكثرت من المحسوسات فينبغي أن لا تعترض لكلامهم في ذلك وتتركه فيما  
 تركاه من التشابه ومن رزقه الله فهم شيء من هذه الكلمات على الوجه الموافق لظاهر  
 الشريعة فأكرم بها سعادة وأما اللفاظ الموهمة التي يعبرون عنها بالسطحات ويؤاخذهم  
 بها أهل الشرع فاعلم أن الانصاف في شأن القوم أنهم أهل غيبة عن الحس والواردات  
 تلكهم حتى ينطقوا عنها بما لا يقصدونه وصاحب الغيبة غير مخاطب والمجبور معذور  
 فن علم منهم فضله واقتداؤه حمل على القصص الجليل من هذا وإن العبارة عن المواجه  
 صعبة لفقدان الوضع لها كما وقع لابي يزيد وأمثاله ومن لم يعلم فضله ولا اشتهر فؤاخذ بما  
 صدر عنه من ذلك إذا لم يتبين لنا ما يحملنا على تأويل كلامه وأما من تكلم بمثلها وهو  
 حاضر في حسه ولم يعلم به الحال فؤاخذ أيضا ولهذا أفقى الفقهاء رأيا كبر المتصوفة  
 بقتل الخلاج لأنه تكلم في حضوره وهو مالك لحاله والله أعلم وسلف المتصوفة من أهل  
 الرسالة أعلام الملة الذين أشربنا إليهم من قبل لم يكن لهم حرص على كشف الحجاب ولا هذا  
 النوع من الإدراك إنما همهم الاتباع والاقتراف ما استطاعوا ومن عرض له شيء من  
 ذلك أعرض عنه ولم يحفل به بل يفترون منه ويرون أنه من العوائق والمحن وأنه إدراك  
 من إدراكات النفس مخلوق حادث وأن الموجودات لا تنحصر في مدارك الإنسان  
 وعلم الله أوسع وخلق أكبر وشريعته بالهداية أم لك فلا ينطقون بشيء مما يدركون بل  
 حطروا الخوض في ذلك ومنعوا من يكشف له الحجاب من أصحابهم من الخوض فيه  
 والوقوف عنده بل يلتزمون طريقهم كما كانوا في عالم الحس قبل الكشف من الاتباع  
 والاقتراف ويأمرون أصحابهم بالترامها وهكذا ينبغي أن يكون حال المريدين والله الموفق  
 للصواب

(علم تعبير الرؤيا)

هذا العلم من العلوم الشرعية وهو حادث في الملة عندما صارت العلوم صناعا وكتب  
 الناس فيها وأما الرؤيا والتعبير لها فقد كان موجودا في السلف كما هو في الخلف وربما  
 كان في الملوك والأمم من قبل إلا أنه لم يصل إلينا إلا كتفا فيه بكلام المعبرين من أهل  
 الإسلام والأفكار رؤيا موجودة في صنف البشر على الإطلاق ولا بد من تعبيرها فلمقد كان  
 يوسف الصديق صلوات الله عليه به رؤيا كما وقع في القرآن وكذلك ثبت في الصحيح  
 عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي بكر رضي الله عنه والرؤيا مدرك من مدارك  
 الغيب وقال صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له وأقول ما بدى  
 وقال لم يبق من المبشرات إلا الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له وأقول ما بدى  
 به النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح  
 وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا انقفل من صلاة الغداة يقول لأصحابه هل رأى أحد  
 منكم الليلة رؤيا يسألهم عن ذلك ليستبشروا ما وقع من ذلك مما فيه ظهور الدين  
 واعزازه وأما السبب في كون الرؤيا مدركا للغيب فهو أن الروح القلبية وهو الجنار  
 اللطيف المنبعث من تجويف القلب اللحي يتشرف في الشريانات ومنع الدم في سائر  
 البدن وبه تكمل أفعال القوى الحيوانية واحساسها فإذا أدركه الملال بكثرة  
 التصرف في الاحساس بالحواس الخمس وتصريف القوى الظاهرة وغشي سطح البدن  
 ما يغشاه من برد الليل الخنس الروح من سائر أقطار البدن إلى مركزه القلبية فيستجم  
 بذلك لمعاودة فعله فتعطلت الحواس الظاهرة كلها وذلك هو معنى النوم كما تقدم  
 في أول الكتاب ثم أن هذا الروح القلبية هو مطية للروح العاقل من الإنسان والروح  
 العاقل مدرك لجميع ما في عالم الأمر بذاته اذ حقيقة ذاته عين الإدراك وانما يمنع  
 من تعقله للمدارك الغيبية ما هو فيه من حجاب الاشتغال بالبدن وقواه وحواسه فلو  
 قد خلا من هذا الحجاب وتجرد عنه لرجع إلى حقيقة ذاته وهو عين الإدراك فيعقل كل  
 مدرك فإذا تجرد عن بعضها خفت شواغله فلا بد له من إدراك للحمة من عالمه بقدر ما تجرد  
 له وهو في هذه الحالة قد خفت شواغل الحس الظاهر كلها وهي الشاغل الأعظم فاستعد  
 لقبول ما هنالك من المدارك الثلاثة من عالمه وإذا أدرك ما يدرك من عوالمه رجع  
 إلى بدنه اذ هو مادام في بدنه جسماني لا يمكنه التصرف إلا بالمدارك الجسمانية والمدارك  
 الجسمانية للعلم إنما هي الدماغية والمتصرف منها هو الخيال فإنه يتزع من الصور  
 المحسوسة صوراً خيالية ثم يذنبها إلى الحافظة تحفظها إلى وقت الحاجة إليها عند  
 النظر والاستدلال وكذلك تجرد النفس منها صوراً أخرى نفسانية عقلية فيترقى التجريد  
 من المحسوس إلى المعقول والخيال واسطة بينهما ولذلك إذا أدركت النفس من عالمها



ما تدركه ألقته الى الخيال فيصوره بالصورة المناسبة له ويدفعه الى الحس المشترك فيراه  
النائم كأنه محسوس فيتنزل المدرك من الروح العقلي الى الحسي والخيال أيضا  
واسطة هذه حقيقة الرؤيا ومن هذا التقرير يظهر لك الفرق بين الرؤيا الصالحة وأضغاث  
الاحلام الكاذبة فانها كلها صور في الخيال حالة النوم لكن ان كانت تلك الصور  
متنزلة من الروح العقلي المدرك فهو رؤيا وان كانت مأخوذة من الصور التي  
في الحافظة التي كان الخيال أودعها اليها منذ البقطة فهي أضغاث أحلام \* وأما  
معنى التعبير فاعلم أن الروح العقلي اذا أدرك مدركه وألقاه الى الخيال فيصوره فانما  
يصوره في الصور المناسبة لذلك المعنى بعض الشيء كما يدرك معنى السلطان الاعظم  
فيصوره الخيال بصورة البحر أو يدرك العدو فيصوره الخيال في صورة الحية فاذا  
استيقظ وهو لم يعلم من أمره الا أنه رأى البحر أو الحية فينظر المعبر بقوة التشبيه بعد أن  
يتبين أن البحر صورة محسوسة وأن المدرك وراءها وهو يمدى بقرائن أخرى تعينه  
المدرك فيقول مثلاً هو السلطان لان البحر خلق عظيم يناسب أن يشبه به السلطان  
وكذلك الحية يناسب أن تشبه بالعدو لعظم ضررها وكذا الاواني تشبه بالنساء لانهن  
أوعية وأمثال ذلك ومن المرنى ما يكون صريحاً لا يفتقر الى تعبير للاثم ووضوحها  
أو اقرب الشبه فيها بين المدرك وشبهه وهذا وقع في الصحيح الرؤيا ثلاث رؤيا من الله  
ورؤيا من الملك ورؤيا من الشيطان فالرؤيا التي من الله هي الصريحة التي لا تفتقر الى  
تأويل والتي من الملك هي الرؤيا الصادقة تفتقر الى التعبير والرؤيا التي من الشيطان  
هي الاضغاث \* واعلم أيضاً أن الخيال اذا ألقى اليه الروح مدركه فانما يصوره  
في القوالب المعتادة للحس مالم يكن الحس أدركه قط فلا يصور فيه فلا يمكن من ولد  
أعشى أن يصوره السلطان بالبحر ولا العدو بالحية ولا النساء بالاواني لانه لم يدرك شيئاً  
من هذه وانما يصوره الخيال أمثال هذه في شبهها ومناسبها من جنس مدركه التي هي  
المسموعات والمشعومات وليتخفظ المعبر من مثل هذا فربما اختلط به التعبير وفسد قانونه  
ثم ان علم التعبير علم بقوانين كلية يبنى عليها المعبر عبارة ما يقص عليه وتأويله كما يقولون  
البحر يدل على السلطان وفي موضع آخر يقولون البحر يدل على الغيظ وفي موضع آخر  
يقولون البحر يدل على الهم والامر القادح ومثل ما يقولون الحية تدل على العدو  
وفي موضع آخر يقولون هي كاتمة وفي موضع آخر يقولون تدل على الحياة وأمثال  
ذلك فيحفظ المعبر هذه القوانين الكلية ويعبر في كل موضع بما تقتضيه القرائن التي  
تعين من هذه القوانين ما هو أليق بالرؤيا وتلك القرائن منها في البقطة ومنها في النوم  
ومنها ما ينقدح في نفس المعبر بالخاصية التي خلقت فيه وكل ميسر لما خلق له ولم يزل

هذا العلم متناقلاً بين السلف وكان محمد بن سيرين فيه من أشهر العلماء وكتب عنه  
في ذلك القوانين وتناقلها الناس لهذا العهد وألف الكرماني فيه من بعده ثم ألف  
المتكلمون المتأخرون وأكثروا والمتداول بين أهل المغرب لهذا العهد كتب ابن أبي  
طالب الفيرواني من علماء القيروان مثل الممتع وغيره وكتاب الاشارة للسالمى وهو علم  
مضى بنور النبوة للمناسبة بينهما كما وقع في الصحيح والله علام الغيوب

### (العلوم العقلية واصنافها)

١٣

وأما العلوم العقلية التي هي طبيعية للانسان من حيث انه ذو فكر فهي غير مختصة بجهة  
بل يوجد النظر فيها لاهل الملل كلهم ويستوون في مداركها ومباحثها وهي موجودة  
في النوع الانساني منذ كان عمران الخليفة وتسمى هذه العلوم علوم الفلسفة  
والحكمة وهي مشتملة على أربعة علوم الاول علم المنطقي وهو علم يصم الذهن عن  
الخطا في اقتناص المطالب المجهولة من الامور والحاصلة المعلومة وفائدته تميز الخطا من  
الصواب فيما يلتمسه الناظر في الموجودات وعوارضها ليقف على حقيقة الحق  
في الكائنات بمنتهى فكره ثم النظر بعد ذلك عندهم اتمام المحسوسات من الاجسام  
العنصرية والمكونة عنها من المعدن والنبات والحيوان والاجسام الفلكية  
والحركات الطبيعية والنفس التي تنبعث عنها الحركات وغير ذلك ويسمى هذا الفن  
بالعلم الطبيعي وهو الثاني منها واما أن يكون النظر في الامور التي وراء الطبيعة من  
الروحانيات ويسمونه العلم الالهي وهو الثالث منها والعلم الرابع وهو الناظر في المقادير  
ويشتمل على أربعة علوم وتسمى التعاليم أو لها علم الهندسة وهو الناظر في المقادير على  
الاطلاق اما المنفصلة من حيث كونها معدودة أو المتصلة وهي اتمادو بعد واحد وهو  
الخط أو ذو بعدين وهو السطح أو ذو أبعاد ثلاثة وهو الجسم التعليمي ينظر في هذه  
المقادير وما يعرض لها اتمام من حيث ذاتها أو من حيث نسبة بعضها الى بعض وثانيها  
علم الارتماطيقي وهو معرفة ما يعرض لكم المنفصل الذي هو العدد ويؤخذ من  
الخواص والعوارض اللاحقة وثالثها علم الموسيقى وهو معرفة نسب الاصوات والنغم  
بعضها من بعض وتقديرها بالعدد وغرته معرفة تلاحين الغناء ورابعها علم الهيئة وهو  
تعيين الاشكال للافلاك وحصر أوضاعها وتعدد هالك كوكب من السيارة والقيام  
على معرفة ذلك من قبل الحركات السماوية المشاهدة الموجودة لكل واحد منها  
ومن رجوعها واستقامتها واقبالها وادبارها فهذه أصول العلوم الفلسفية وهي سبعة  
المنطق وهو المقدم منها وبعده التعاليم فالارتماطيقي أولاً ثم الهندسة ثم الهيئة ثم



الموسيقى ثم الطبيعيات ثم الالهيات ولكل واحد منها فروع تتفرع عنه من فروع  
الطبيعيات الطب ومن فروع علم العدد علم الحساب والفرائض والمعاملات ومن  
فروع الهيئة الازياج وهي قوانين لحسابات حركات الكواكب وتعديلها للوقوف  
على مواضعها متى قصد ذلك ومن فروع النظر في النجوم علم الاحكام النجومية  
ونحن نتكلم عليها واحدا بعد واحد الى آخرها واعلم ان أكثر من عني بها في الاجيال  
الذين عرفنا أخبارهم الاثنان العظيمان في الدولة قبل الاسلام وهما فارس والروم  
فكانت أسواق العلوم نافقة لديهم على ما بلغنا لما كان العمران موفورا فيهم والدولة  
والسلطان قبل الاسلام وعصرهم فمما كان لهذه العلوم مجور زاخرة في آفاقهم  
وأمصارهم وكان للكلدانيين ومن قبلهم من السريانيين ومن عاصرهم من القبط  
عناية بالسحر والتجامة وما يتبعها من الطلاسم وأخذ ذلك عنهم الامم من فارس ويونان  
فاختص بها القبط وطمى بحر هافهم كما وقع في المتلوق من خبر هاروت وماروت وشأن  
السحرة وما نقله أهل العلم من شأن البرابي بصعيد مصر ثم تابعت الملل بحظر ذلك  
وتحريره فدرست علومه وبطلت كأن لم تكن الا بقايا يتناقلها منتهلو هذه الصنائع  
والله أعلم بصحتها مع أن سيوف الشرع قائمة على ظهورها مانعة من اختبارها وأما  
الفرس فكان شأن هذه العلوم العقلية عندهم عظيما ونطاقها متسعاً لما كانت عليه  
دولتهم من النخامة واتصال الملك ولقد يقال ان هذه العلوم انما وصلت الى يونان  
منهم حين قتل الاسكندر دارا وغلب على مملكة البكترية فاستوى على كتبهم وعلومهم  
مالا يأخذه الحصر ولما فتحت أرض فارس ووجدوا فيها كتباً كثيرة كتب سعد بن أبي  
وقاص الى عمر بن الخطاب ليستأذنه في شأنها وتنقلها للمسلمين فكتب اليه عمر أن  
اطرحوها في الماء فان يكن ما فيها هدى فقد هدانا الله باهدى منه وان يكن ضلالاً فقد  
كفانا الله فطرحوها في الماء أوفى النار وذهبت علوم الفرس فيها عن أن تصل اليها \*  
واما الروم فكانت الدولة منهم ايونان أولاً وكان لهذه العلوم بينهم مجال رحب  
وجملها مشاهير من رجالهم مثل أساطين الحكمة وغيرهم واختص فيها المشاؤون منهم  
أصحاب الرواق بطريفة حسنة في التعليم كانوا يقرؤن في رواق يظلمهم من الشمس  
والبرد على ما زعموا واتصل فيها سنده تعليمهم على ما يزعمون من لدن لقمان الحكيم  
في تلميذه بقراط الذي ثم الى تلميذه افلاطون ثم الى تلميذه ارسطو ثم الى تلميذه الاسكندر  
الافروديسي وتامسطيون وغيرهم وكان ارسطو معلماً لاسكندر ملكهم الذي  
غلب الفرس على ملكهم وانتزع الملك من أيديهم وكان أرسطو في هذه العلوم قدما  
وأبعدهم فيها صيتا وكان يسمى المعلم الأول فطار له في العالم ذكر \* ولما انقرض

أمر اليونان وصار الامر لقيصرية وأخذوا يدين النصرانية هجروا تلك العلوم  
كما تقتضيها الملل والشرائع فيها وبقيت في صحفها ودواوينها مخلدة باقية في  
خزائنهم ثم ملكوا الشام وكتب هذه العلوم باقية فيهم ثم جاء الله بالاسلام وكان لأهل  
الظهور الذي لا كفأ له وابتزوا الروم ملكهم فيما ابتزوه للامم وابتداء أمرهم  
بالسذاجة والغفلة عن الصنائع حتى اذا اتجج السلطان والدولة وأخذوا من  
الحضارة بالخط الذي لم يكن لغيرهم من الامم وتفننوا في الصنائع والعلوم تشوقوا الى  
الاطلاع على هذه العلوم الحكيمة بما معوا من الاساقفة والاقسة المعاهدين بعض  
ذكر منها وما تسموا اليه افكار الانسان فيها فبعث أبو جعفر المنصور الى ملك الروم  
أن يبعث اليه بكتب التعاليم مترجمة فبعث اليه بكتاب أوقايدس وبعض كتب  
الطبيعيات فقرأها المسلمون واطلعوا على ما فيها وازدادوا حرصا على الظفر بما بقي  
منها وجاء المأمون بعد ذلك وكانت له في العلم رغبة بما كان يتحمله فابعث لهذه العلوم  
حرصا وأوفد الرسل على ملوك الروم في استخراج علوم اليونانيين واتساعها بالخط  
العربي وبعث المترجمين لذلك فأوعى منه واستوعب وعكف عليها النظارة من أهل  
الاسلام وحذقوا في فنونها وانتهت الى الغاية انظارهم فيها وخالقوا كثير من آراء  
المعلم الأول واختصوه بالرد والقبول لوقوف الشهرة عنده ودونوا في ذلك الدواوين  
وأرسلوا على من تقدمهم في هذه العلوم وكان من أكابرهم في الملة أبو نصر الفارابي وأبو  
علي بن سينا بالمشرق والقاضي أبو الوليد بن رشد والوزير أبو بكر بن الصائغ بالاندلس  
الى آخرين بلغوا الغاية في هذه العلوم واختص هؤلاء بالشهرة والذكر واقصر كثير  
على اتحال التعاليم وما يضاف اليها من علوم التجامة والسحر والطلسمات ووقفت  
الشهرة في هذا المتخل على مسلمة بن أحمد المجرى من أهل الاندلس وتلميذه ودخل  
على الملة من هذه العلوم وأهلها داخله واستهوت الكثير من الناس بما جئوا اليها  
وقلدوا آراءها والذنب في ذلك لمن ارتكبه ولو شاء الله ما فعلوه \* ثم ان المغرب  
والاندلس لما ركبت ريح العمران بهما وتناقصت العلوم بتناقصه اضمح ذلك منهما  
الا قليلا من رسومه تجدها في تفاريق من الناس وتحت رقبة من علماء السنة وبلغنا  
عن أهل المشرق أن بضائع هذه العلوم لم تزل عندهم موفورة وخصوصا في عراق العجم  
وما بعده فيما وراء النهر وأنهم على تيج من العلوم العقلية لوفر عمرانهم واستحكام  
الحضارة فيهم ولقد وقفت بمصر على تأليف متعددة لرجل من عظماء هرة من بلاد  
خراسان يشهر بسعد الدين التفتازاني منها في علم الكلام وأصول الفقه والبيان  
تشهد بأن له ملكة واسعة في هذه العلوم وفي شأنها ما يدل له على أن له اطلاعا على العلوم



الحكمة زقد ما عالمة في سائر النون العقلية والله يؤيد بنصره من يشاء كذلك بلغنا لهذا العهد أن هذه العلوم الفلسفية ببلاد الأفرنجية من أرض رومة وما إليها من العدو الشمالية نافذة الاسواق وأن رسومها هنالك متجددة ومجالس تعليمها مستعدة ودواوينها جامعة متوفرة وطالبها متكررة والله أعلم بما هنالك وهو يخلق ما يشاء ويختار

### (العلوم العددية)

وأولها الارتباط بين وهو معرفة خواص الأعداد من حيث التآليف أما على التوالي أو بالتضعيف مثل أن الأعداد إذا توالى متفاضلة بعدد واحد فإن جمع الطرفين منها مساو لجمع كل عددين بعدهما من الطرفين بعد واحد ومثل ضعف الواسطة إن كانت عدة تلك الأعداد فرداً مثل الأفراد على تواليها والزوج على تواليها ومثل أن الأعداد إذا توالى على نسبة واحدة يكون أولها نصف ثانيها وثانيها نصف ثالثها الخ أو يكون أولها ثلث ثانيها وثانيها ثلث ثالثها الخ فإن ضرب الطرفين أحدهما في الآخر كضرب كل عددين بعدهما من الطرفين بعد واحد أحدهما في الآخر ومثل مربع الواسطة إن كانت العدة فرداً وذلك مثل أعداد زوج الزوج المتوالية من اثنين فأربعة فثمانية فستة عشر ومثل ما يحدث من الخواص العددية في وضع المثلثات العددية والمربعات والمخمسات والمستدسات إذا وضعت متتالية في سطورها بأن يجمع من الواحد إلى العدد الأخير فتكون مثلثة وتتوالى المثلثات هكذا في سطر تحت الاضلاع ثم تزيد على كل مثلث ثلث الضلع الذي قبله فتكون أربعة وتزيد على كل مربع مثلث الضلع الذي قبله فتكون خمسة وهلم جرا وتتوالى الأشكال على توالي الاضلاع ويحدث جدول ذو طول وعرض ففي عرضه الأعداد على تواليها ثم المثلثات على تواليها ثم المربعات ثم الخمسات الخ وفي طوله كل عدد وأشكاله بالغاما بلغ وتحدث في جمعها وقسمتها بعضها على بعض طولا وعرضا خواص غريبة استقرت منها وتقررت في دواوينهم مسائلها وكذلك ما يحدث للزوج والفرد وزوج الزوج والفرد وزوج الزوج والفرد فإن لكل منها خواص مختصة به تضمنها هذا الفن وليست في غيره وهذا الفن أول أجزاء التعاليم وأبناها ويدخل في براهين الحساب والحكمة المتقدمين والمتأخرين فيه تأليف وأكثرتهم بدرجونه في التعاليم ولا يفردونه بالتأليف فعل ذلك ابن سينا في كتاب الشفاء والنجاة وغيره من المتقدمين وأما المتأخرون فهو عندهم مهجور أو غير مستداول ومنفعته في البراهين لا في الحساب فهجروه لذلك بعد أن استخلصوا زبدته في البراهين الحسابية كما فعله ابن البناء في كتاب رفع الحجاب والله سبحانه وتعالى أعلم

\*(ومن فروع علم العدد صناعة الحساب)\* وهي صناعة علمية في حساب الأعداد بالضم والتفريق فالضم يكون في الأعداد بالافراد وهو الجمع وبالتضعيف تضاعف عدداً باحداً عدداً آخر وهذا هو الضرب والتفريق أيضاً يكون في الأعداد أما بالافراد مثل إزالة عدد من عدد ومعرفة الباقي وهو الطرح أو تفصيل عدد بأجزاء متساوية تكون عدته المحصلة وهو القسمة وسواء كان هذا الضم والتفريق في الصحيح من العدد أو الكسر ومعنى الكسر نسبة عدد إلى عدد وتلك النسبة تسمى كسراً وكذلك يكون بالضم والتفريق في الجذور ومعناها العدد الذي يضرب في مثله فيكون منه العدد المربع فإن تلك الجذور أيضاً يدخلها الضم والتفريق وهذه الصناعة حادثة احتيج إليها للحساب في المعاملات وألف الناس فيها كثيراً وتداولوها في الأمصار بالتعليم للولدان ومن أحسن التعليم عندهم الابتداء بها لأنها معارف متفحة وبراهين منتظمة فينشأ عنها في الغالب عقل مضى درب على الصواب وقد يقال من أخذ نفسه بتعليم الحساب أول أمره أنه يغلب عليه الصدق لما في الحساب من صحة المباني ومناقشة النفس فيصير ذلك خلقاً ويتعود الصدق ويلزمه مذهباً ومن أحسن التأليف المبسوطه في هذا العهد بالمغرب كتاب الحصار الصغير لابن البناء المراكشي فيه تلخيص ضابط اقوانين أعماله مفيد ثم شرحه بكتاب سماه رفع الحجاب وهو مستغلق على المبتدئ بما فيه من البراهين الوثيقة المباني وهو كتاب جليل القدر أدركا المشيخة تعظمه وهو كتاب جدير بذلك وانما جاءه الاستغلاق من طريق البرهان ببيان علوم التعاليم لأن مسائلها راعى أعمالها واضحة كلها وإذا قصد شرحها فأنما هو إعطاء العلل في تلك الأعمال وفي ذلك من العسر على الفهم ما لا يوجد في أعمال المسائل فتأملته والله يهدي بنوره من يشاء وهو القوى المتين \*(ومن فروعها الجبر والمقابلة)\* وهي صناعة يستخرج بها العدد المجهول من قبل المعلوم المفروض إذا كان بينهما نسبة تقضي ذلك فاصطالحوا فيها على أن جعلوا للمجهولات مراتب من طريق التضعيف بالضرب أو لها العدد لأن به يتعين المطلوب المجهول باستخراج منه نسبة المجهول إليه وثانيها الشيء لأن كل مجهول فهو من جهة إيهامه شيء وهو أيضاً جذر لما يلزم من تضعيفه في المرتبة الثانية وثالثها المال وهو أمر مبهم وما بعد ذلك فعلى نسبة الاس في المضروبين ثم يقع العمل المفروض في المسئلة فتخرج إلى معادلة بين مختلفين أو أكثر من هذه الأجناس فيقابلون بعضها ببعض ويجبرون ما فيها من الكسر حتى يصير صحيحاً ويخطون المراتب إلى أقل لا سوس إن أمكن حتى يصير إلى الثلاثة التي عليها مدار الجبر عندهم وهي العدد والشيء والمال فإن كانت المعادلة بين واحد



وواحد تعين فالمال والجذر يزول ابهامه بمعادلة العددين والمال وان عادل الجذور  
يتعين بعديتها وان كانت المعادلة بين واحد واثنين أخرجه العمل الهندسي من طريق  
تفصيل الضرب في الاثنين وهي مهمة فيعينها ذلك الضرب المفصل ولا يمكن المعادلة  
بين اثنين واثنين وأكثر ما انتهت المعادلة بينهم الى ست مسائل لان المعادلة بين عدد  
وجذر مال مفردة أو مرصبة تبقى ستة وأول من كتب في هذا الفن أبو عبد الله  
الخوارزمي وبعده أبو كامل شجاع بن أسلم وجاء الناس على أثره فيه وكاتبه في مسائله  
الست من أحسن الكتب الموضوعة فيه وشرحه كثير من أهل الاندلس فأجادوا  
ومن أحسن شروحاته كتاب القرشي وقد بلغنا أن بعض أئمة التعاليم من أهل المشرق  
أنهى المعاملات الى أكثر من هذه الستة أجناس وبلغها الى فوق العشرين واستخرج  
لها كلها أعمالا وأتبعه براهين هندسية والله يزيد في الخلق ما يشاء سبحانه وتعالى  
\*(ومن فروعه أيضا المعاملات)\* وهو يتصرف الحساب في معاملات المدن  
في البياعات والمساحات والزكوات وسائر ما يعرض فيه العدد من المعاملات يصرف  
في ذلك صناعة الحساب في المجهول والمعلوم والمكسر والصحيح والجذور وغيرها  
والغرض من تكثير المسائل المفروضة فيها حصول المرات والدرب بتكرار العمل حتى  
ترسخ الملكة في صناعة الحساب ولاهل الصناعة الحسابة من أهل الاندلس تآليف  
فيها متعددة من أشهرها معاملات الزهراوي وابن السمع وأبي مسلم بن خالدون من  
تلميذ مسلمة الجريطي وأمثالهم \*(ومن فروعه أيضا القرائض)\* وهي صناعة  
حسابية في تصحيح السهام لذوى الفروض في الوراثات اذا تعددت وهلك بعض  
الوارثين وانكسرت سهامه على ورثته أو زادت الفروض عند اجتماعها وتراجعها  
على المال كله أو كان في الفريضة اقرارا وانكارا من بعض الورثة فيحتاج في ذلك كله  
الى عمل يعين به سهام الفريضة من كم تصح وسهام الورثة من كل بطن مستحقا حتى  
تكون حظوظ الوارثين من المال على نسبة سهامهم من جملة سهام الفريضة فيدخلها  
من صناعة الحساب جزء كبير من صحيحه وكسره وجذره ومعلومه ومجهوله وترتب على  
ترتيب أبواب القرائض الفقهية ومسائلها فتشتمل حينئذ هذه الصناعة على جزء من  
الفقه وهو أحكام الوراثه من الفروض والعول والاقرار والانكار والوصايا والتدبير  
وغير ذلك من مسائلها وعلى جزء من الحساب وهو تصحيح السهام باعتبار الحسب  
الفقهى وهي من أجل العلوم وقد يورد أهلها أحاديث نبوية تشهد بفضلها مثل  
القرائن ثلث العلم وانما أول ما يرفع من العلوم وغير ذلك وعندى أن ظواهر تلك  
الاحاديث كلها انما هي في القرائض العينية كما تقدم لأقراين الوراثات فانها أقل

من أن تكون في كميتها ثلث العلم وأما القرائض العينية فكثيرة وقد ألف الناس في هذا  
الفن قديما وحديثا وأوعبوا ومن أحسن التأليف فيه على مذهب مالك رحمه الله  
كتاب ابن ثابت ومختصر القاضي أبي القاسم الخوافي وكتاب ابن المنذر والجعدى  
والصردى وغيرهم لكن الفضل للعوفي فكاتبه مقدم على جميعها وقد شرحه من  
شيوخنا أبو عبد الله سليمان الشطبي كبير مشيخة فاس فأوضح وأوعب ولامام الحرمين  
فيها تآليف على مذهب الشافعي تشهد باتساع باعه في العلوم ورسوخ قدمه وكذا  
للحنفية والحنابلة ومقامات الناس في العلوم مختلفة والله يهدي من يشاء به وكرمه  
لأرب سواه

### (العلوم الهندسية)

هذا العلم هو النظر في المقادير اما المتصلة كالخط والسطح والجسم واما المنفصلة  
كالاعداد وفيها يعرض لها من العوارض الذاتية مثل أن كل مثلث فزوياه مثل  
قائمتين ومثل أن كل خطين متوازيين لا يلتقيان في وجه ولو خرجا الى غير نهاية ومثل  
أن كل خطين متقاطعين فالزاويتان المتقابلتان منهما متساويتان ومثل  
أن الاربعه مقادير المتناسبة ضرب الاول منها في الثالث كضرب الثاني في الرابع  
وأمثال ذلك والكتاب المترجم لليونانيين في هذه الصناعة كتاب أوقليدس ويسمى كتاب  
الاصول وكتاب الاركان وهو أبسط ما وضع فيها للمتعملين وأول ما ترجم من كتاب  
اليونانيين في الملة أيام أبي جعفر المنصور ونسخه محتاتفة باختلاف المترجمين فمنها الحمين  
ابن اسحاق واثابت بن قرة وليوسف بن الجياج ويشتمل على خمس عشرة مقالة أربعة  
في السطوح وواحدة في الاقدار المتناسبة وأخرى في نسب السطوح بعضها الى بعض  
وثلاث في العدد والعاشرة في المنطقات والقوى على المنطقات ومعناه الجذور  
وخمس في الجسمات وقد اختصره الناس اختصارا كثيرة كما فعله ابن سينا  
في تعاليم الشفاء أفرد له جزءا منها اختصه به وكذلك ابن الصلت في كتاب الاقتصار  
وغيرهم وشرحه آخرون شروحا كثيرة وهو مبدأ العلوم الهندسية باطلاق واعلم أن  
الهندسة تفيد صاحبها اضاءة في عقله واستقامة في فطرته لأن براهينها كلها بينة  
الانتظام جليلة الترتيب لا يكاد الغلط يدخل أقيسة ترتيبها وانتظامها فيبعد الفكر  
بما رستها عن الخطا وينشأ صاحبها عقل على ذلك المهيمن وقد زعموا أنه كان مكتوبا  
على باب افلاطون من لم يكن مهندسا فلا يدخل منزلا وكان شيوخنا رحمهم الله يقولون  
ممارسة علم الهندسة لفكر بمثابة الصابون للشوب الذي يغسل منه الاقدار وينقيه  
من الاوضار والادران وانما لا أشرفنا اليه من ترتيبه وانتظامه \*(ومن فروعه



هذا الفن الهندسة المخصوصة بالاشكال الكرية والمخروطات \* أما الاشكال الكرية ففيها كتابان من كتب اليونانيين ثاودوسيوس وميلاوش في سطوحها وقطوعها او كتاب ثاودوسيوس مقدم في التعليم على كتاب ميلاوش لتوقف كثير من براهينه عليه ولا بد منهم ما لمن يريد الخوض في علم الهيئة لان براهينها متوقفة عليهما فالكلام في الهيئة كله كلام في الكرات السماوية وما يعرض فيها من القطوع والدوائر بأسباب الحركات كما ذكره فقد يتوقف على معرفة أحكام الاشكال الكرية سطوحها وقطوعها وأما المخروطات فهو من فروع الهندسة أيضا وهو علم يتظر فيما يقع في الاجسام المخروطية من الاشكال والقطوع ويبرهن على ما يعرض لذلك من العوارض يبراهين هندسية متوقفة على التعليم الاول وفائدتها تظهر في الصنائع العملية التي موادها الاجسام مثل التجارة والبناء وكيف تصنع التماثيل الغريبة والهيكل النادرة وكيف يتحيل على جزر الاثقال ونقل الهيكل بالهندام والميخال وأمثال ذلك وقد أفرد بعض المؤلفين في هذا الفن كتابا في الحيل العملية يتضمن من الصناعات الغريبة والحيل المستظرفة كل عجيبه وربما استغلق على الفهوم لصعوبة براهينه الهندسية وهو موجود بأيدي الناس ينسبونه الى بنى شاكر والله تعالى أعلم \* (ومن فروع الهندسة المساحة) وهو فن يحتاج اليه في مسح الارض ومعناه استخراج مقدار الارض المعلومه بنسبة شبر أو ذراع أو غيرهما أو نسبة أرض من أرض اذا قويت بمثل ذلك ويحتاج الى ذلك في توظيف الخراج على المزارع والقدن وبساتين الغراسية وفي قسمة الحوائط والاراضي بين الشركاء أو الورثة وأمثال ذلك ولاناس فيها موضوعات حسنة وكثيرة والله الموفق للصواب: منه وكرمه \* (المنظر من فروع الهندسة) وهو علم يتبين به أسباب الغلط في الادراك البصري بمعرفة كيفية وقوعها بناء على أن ادراك البصر يكون بمخروط شعاعي رأسه يقطعه الباصر وقاعدته المرئي ثم يقع الغلط كثيرا في رؤية القريب كبير أو البعيد صغيرا وكذا رؤية الاشباح الصغيرة تحت الماء ووراء الاجسام الشفافة كبيرة ورؤية النقطة النازلة من المطر خطا مستقيما والسلعة دائرية وأمثال ذلك فيتبين في هذا العلم أسباب ذلك وكيفياته بالبراهين الهندسية ويتبين به أيضا اختلاف المنظر في القمر باختلاف العروض الذي ينبنى عليه معرفة رؤية الالهة وحصول الكسوفات وكثير من امثال هذا وقد ألف في هذا الفن كثير من اليونانيين وأشهر من ألف فيه من المسلمين ابن الهيثم وغيره فيه أيضا تأليف وهو من هذه الرياضة وتفاير بعضها

(علم الهيئة)

وهو علم يتظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتحركة وبسببها بكيفيات تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلاك لزمت عنها هذه الحركات الخمسة بطرق هندسية كما يبرهن على أن مركز الارض مسابن لمركز ذلك الشمس بوجود حركة الاقبال والادبار وكما يستدل بالرجوع والاستقامة للكواكب على وجود أفلاك صغيرة حاملة لها متحركة داخل فلكها الاعظم وكما يبرهن على وجود الفلك الثامن بحركة الكواكب الثابتة وكما يبرهن على تعدد الافلاك للكواكب الواحدية بعدد الميول له وأمثال ذلك وادراك الموجود من الحركات وكيفياتها وأجناسها انما هو بالرصد فانما علمنا حركة الاقبال والادبار به وكذا تركيب الافلاك في طبقاتها وكذا الرجوع والاستقامة وأمثال ذلك وكان اليونانيون يعتمدون بالرصد كثيرا ويتخذون له الآلات التي توضع لرصدها حركة الكواكب المعين وكانت تسمى عندهم ذات الحلق وصناعة عملها والبراهين عليه في مطابقة حركاتها بحركة الفلك منقول بأيدي الناس وأما في الاسلام فلم تقع به عناية الا في القليل وكان في أيام المأمون شيء منه وصنع الآلة المعروفة للرصد المسماة ذات الحلق وشرع في ذلك فلم يتم ولم مات ذهب رسمه وأغفل واعتمد من بعده على الارصاد القديمة وليست بمغنية لاختلاف الحركات باتصال الاحقاب وان مطابقة حركة الآلة في الرصد بحركة الافلاك والكواكب انما هو بالتقريب ولا يعطى التحقيق فاذا طال الزمان ظهرت تفاوت ذلك بالتقريب وهذه الهيئة صناعة شريفة وليست على ما يفهم في المشهور أنها تعطى صورة السموات وترتيب الافلاك والكواكب بالحقيقة بل انما تعطى أن هذه الصور والهيئات للأفلاك لزمت عن هذه الحركات وأنت تعلم أنه لا يعد أن يكون الشيء الواحد لا زمانا اثنين وان قلنا ان الحركات لازمة فهو استدلال باللازم على وجود الملزوم ولا يعطى الحقيقة بوجهه على أنه علم جليل وهو أحد أركان التعاليم ومن أحسن التأليف فيه كتاب المجسطي منسوب لبطليموس وليس من ملوك اليونان الذين أسماؤهم ببطليموس على ما حقه شرح الكتاب وقد اختصره الأئمة من حكماء الاسلام كما فعله ابن سينا وأدرجه في تعاليم الشفاء وخلصه ابن رشد أيضا من حكماء الاندلس وابن السمع وابن الصلت في كتاب الاقتصار ولابن الفرغاني هيئة مخصصة قريبا وحذف براهينها الهندسية والله علم الانسان ما لم يعلم سبحانه لا اله الا هو رب العالمين \* (ومن فروع علم الازياج) وهي صناعة حسابية على قوانين عددية فيما يخص كل كوكب من طريق حركته وما أدى اليه برهان الهيئة في وضعه من سرعة وبطء واستقامة ورجوع وغير ذلك يعرف به مواضع الكواكب في أفلاكها لاي وقت فرض من قبل حسابان حركاتها على تلك



القوانين المستخرجة من كتب الهيئة ولهذه الصناعة قوانين كالمقدمات والاصول  
لها في معرفة الشهور والايام والتواريخ الماضية واصول متقررة من معرفة الاوج  
والخفيض والممول واصناف الحركات واستخراج بعضها من بعض يضعونها  
في جداول مرتبة تسهلا على المتعلمين وتسمى الازياج ويسمى استخراج مواضع  
الكواكب للوقت المفروض لهذه الصناعة تعد بلا وتقويم للناس فيه تاليف كثيرة  
للمتقدمين والمتأخرين مثل البتاني وابن الكادر وقد عول المتأخرون لهذا العهد بالمغرب  
على زيج منسوب لابن اسحاق من منجمي تونس في قول المنة السابعة ويرغمون أن  
ابن اسحاق عول فيه على الرصد وان يهوديا كان بصقلية ماهر في الهيئة والتعالم  
وكان قد عني بالرصد وكان يعث اليه بما يقع في ذلك من أحوال الكواكب وحركاتها  
فكان أهل المغرب لذلك عنوابه لوثاقة مبناه على ما يرغمون ونلخصه ابن البنا في آخر سماه  
المنهاج فولع به الناس لما سهل من الاعمال فيه وانما يحتاج الى مواضع الكواكب  
من الفلك اتبعني عليها الاحكام النجومية وهو معرفة الآثار التي تحدث عنها  
بأوضاعها في عالم الانسان من الملك والدول والمواليد البشرية كما ينبغي بعد وفوض  
فيه أدلتهم ان شاء الله تعالى والله الموفق لما يحبه ويرضاه لا معبود سواه

### (علم المنطق)

وهو قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود والمعرفة للماهيات والاليج المفيدة  
للتصديقات وذلك أن الاصل في الادراك انما هو المحسوسات بالحواس الخمس وجميع  
الحيوانات مشتركة في هذا الادراك من الناطق وغيره وانما يتميز الانسان عنها بادراك  
الكلمات وهي مجردة من المحسوسات وذلك بأن يحصل في الخيال من الاشخاص المتفقة  
صورة منطبقة على جميع تلك الاشخاص المحسوسة وهي الكلية ثم ينظر الذهن بين  
تلك الاشخاص المتفقة وأشخاص أخرى توافقها في بعض فيحصل له صورة تنطبق  
أيضا عليها باعتبار ما اتفقا فيه ولا يزال يرتقى في التجريد الى الشكل الذي لا يحد كليا  
آخر معه يوافق فيكون لاجل ذلك بسيطا وهذا مثل ما يجرد من أشخاص الانسان  
صورة النوع المنطبقة عليها ثم ينظر بينه وبين الحيوان ويجرد صورة الجنس المنطبقة  
عليها ثم بينهما وبين النبات الى أن ينتهي الى الجنس العالي وهو الجوهر فلا يجد كليا  
يوافقه في شيء فيقف العقل هناك عن التجريد ثم ان الانسان لما خلق الله له الفكر الذي  
به يدرك العلوم والصنائع وكان العلم اما تصورا للماهيات ويعني به ادراك الساذج من غير  
حكم معه واما تصديقا أي حكما بثبوت أمر لا من فرضا رسي الفكر في تحصيل المطلوبات

قوله البتاني بفتح  
الموحدة وتشديد  
المنهات كما ضبطه  
ابن خلدون  
في ترجمته قبيل  
آخر المحمد بن اه  
مصدقه

اما بأن تجمع تلك الكلمات بعضها الى بعض على جهة التاليف فتحصل صورة في  
الذهن كلية منطبقة على أفراد في الخارج فتكون تلك الصورة الذهنية مفيدة لمعرفة  
ماهية تلك الاشخاص واما بأن يحكم بأمر على أمر فيثبت له ويكون ذلك تصديقا  
وغاياته في الحقيقة راجعة الى التصور لأن فائدة ذلك اذا حصل انما هي معرفة حقائق  
الاشياء التي هي مقتضى العلم وهذا السعي من الفكر قد يكون بطريق صحيح وقد  
يكون بطريق فاسد فاقتضى ذلك تمييز الطريق الذي يسعى به الفكر في تحصيل  
المطالب العلمية ليميز فيها الصحيح من الفاسد فكان ذلك قانون المنطق وتكامل فيه  
المتقدمون أول ما تكلموا به جلا جلا ومفترقا ولم تهم مذ ب طرقه ولم تجمع مسائله حتى  
ظهر في يونان ارسطو فهدب مباحثه ورتب مسائله وفصوله وجعله أول العلوم  
الحكمية وفاتحتها ولذلك يسمى بالمعلم الأول وكتاب المخصوص بالمنطق يسمى النص وهو  
يشتمل على ثمانية كتب أربعة منها في صورة القياس وأربعة في مادته وذلك أن المطالب  
التصديقية على انحاء \* فنها ما يكون المطلوب فيه اليقين بطبعه ومنها ما يكون  
المطلوب فيه الظن وهو على مراتب فينظر في القياس من حيث المطلوب الذي يقيد  
وما ينبغي أن تكون مقدما له بذلك الاعتبار ومن أي جنس يكون من العلم أو من  
الظن وقد ينظر في القياس لاعتبار مطلوب مخصوص بل من جهة اتجاها خاصة  
ويقال للنظر الأول أنه من حيث المادة ونعني به المادة المنتجة للمطلوب المخصوص  
من يقين أو ظن ويقال للنظر الثاني أنه من حيث الصورة واتجاه القياس على الاطلاق  
فكانت لذلك كتب المنطق ثمانية \* الأول في الاجناس العالية التي ينتهي اليها  
تجريد المحسوسات وهي التي ليس فوقها جنس ويسمى كتاب المقولات \* والثاني  
في القضايا التصديقية واصنافها ويسمى كتاب العبارة \* والثالث في القياس  
وصورة اتجاها على الاطلاق ويسمى كتاب القياس وهذا آخر النظر من حيث الصورة  
\* ثم الراجع كتاب البرهان وهو النظر في القياس المنتج لليقين وكيف يجب أن تكون  
مقدماته بقرينة ويختص بشروط أخرى لا فائدة اليقين مذ كورة فيه مثل كونها ذاتية  
وأولية وغير ذلك وفي هذا الكتاب الكلام في المعرفات والحدود اذا المطلوب فيها  
انما هو اليقين لوجوب المطابقة بين الحد والحدود لا تحتمل غيرها فذلك اختصت  
عند المتقدمين بهذا الكتاب \* والخامس كتاب الجدل وهو القياس المقيد قطع  
المشاغب والحكام الخصم وما يجب أن يستعمل فيه من المشهورات ويختص أيضا من  
جهة افادته لهذا الغرض بشروط أخرى من حيث افادته لهذا الغرض وهي مذ كورة  
هناك وفي هذا الكتاب يذكر المواضع التي يستنبط منها صاحب القياس قياسه



وقبه عكوس القضايا \* والسادس كتاب السفسطة وهو القياس الذي يفيد خلاف الحق ويغاطبه المناظر صاحبه وهو فاسد وهذا لما كتب ليعرف به القياس المغالطي فيحذر منه \* والسابع كتاب الخطابة وهو القياس المفيد ترغيب الجمهور وحلهم على المراد منهم وما يجب أن يستعمل في ذلك من المقالات \* والثامن كتاب الشعر وهو القياس الذي يفيد التمثيل والتشبيه خاصة للاقبال على الشيء والنفرة عنه وما يجب أن يستعمل فيه من القضايا التخيلية هذه هي كتب المنطق الثمانية عند المتقدمين ثم إن حكماء اليونانيين بعد أن تهذبت الصناعة وربت رأوا أنه لا بد من الكلام في الكلمات الخمس المفيدة للتصور فاستدركوا فيها مقالة تختص بهام مقدمة بين يدي الفن فصارت تسعا وترجمت كلها في اللغة الإسلامية وكتبها وتداولها فلاسفة الاسلام بالشرح والتلخيص كما فعله الفارابي وابن سينا ثم ابن رشد من فلاسفة الاندلس وابن سينا كتاب الشفاء استوعب فيه علوم الفلسفة السبعة كلها ثم جاء المتأخرون فغيروا اصطلاح المنطق وألحقوا بالنظر في الكلمات الخمس ثمرته وهي الكلام في الحدود والرسوم نقلوها من كتاب البرهان وحدثوا كتاب المقولات لأن نظر المنطقي فيه بالعرض لا بالذات وألحقوا في كتاب العبارة الكلام في العكس لانه من توابع الكلام في القضايا ببعض الوجوه ثم تكلموا في القياس من حيث اتساجه للمطالب على العموم لا بحسب مادة وحدثوا النظر فيه بحسب المادة وهي الكتب الخمسة البرهان والجدل والخطابة والشعر والسفسطة وربما يلزم بعضهم بالسير منها اماما وأغفلوها كأن لم تكن وهي المهمة المعتمد في الفن ثم تكلموا فيما وضعوه من ذلك كلاما مستبحرا ونظروا فيه من حيث انه فن برأسه لا من حيث انه آلة للعلوم فطال الكلام فيه واتسع وأول من فعل ذلك الامام فخر الدين بن الخطيب ومن بعده أفضل الدين الخوننجي وعلى كتبه معتمد المشارقة لهذا العهد وله في هذه الصناعة كتاب كشف الاسرار وهو طويل واختصر فيها مختصر المار جزوه وحسن في التعليم ثم مختصر الجمل في قدر أربعة أوراق أخذ بجمع الفن وأصوله فتدأله المتعلمون لهذا العهد فينتفعون به وهجرت كتب المتقدمين وطرقهم كأن لم تكن وهي ممتلئة من ثمرة المنطق وفائدته كما قلناه والله الهادي للصواب

### (الطبيعات)

١٨

وهو علم يبحث عن الجسم من جهة ما يلحقه من الحركة والسكون فينظر في الاجسام السماوية والعنصرية وما يتولد عنها من حيوان وانسان ونبات ومعدن وما يتكون

في الارض من العيون والزلزل وفي الجوف من السحاب والبخار والرعد والبرق والصواعق وغير ذلك وفي مبدأ الحركة للاجسام وهو النفس على تنوعها في الانسان والحيوان والنبات وكتب أرسطو فيه موجوده بين أيدي الناس ترجمت مع ما ترجم من علوم الفلسفة أيام المأمون وألف الناس على حذوها وأوعب من ألف في ذلك ابن سينا في كتاب الشفاء جمع فيه العلوم السبعة للفلاسفة كما قدمنا ثم خصه في كتاب النجاء وفي كتاب الاشارات وكأنه يخالف أرسطو في الكثير من مسائلها ويقول برأيه فيها وأما ابن رشد فلخص كتب أرسطو وشرحها متبعاً له غير مخالف وألف الناس في ذلك كثيراً لكن هذه هي المشهورة لهذا العهد والمعتبرة في الصناعة ولاهل المشرق العناية بكتاب الاشارات لابن سينا وللإمام ابن الخطيب عليه شرح حسن وكذا الأمدى وشرحه أيضاً نصير الدين الطوسي المعروف بنحو اوجه من أهل المشرق وبحث مع الامام في كثير من مسائله فأوفى على انظاره وبحوثه وفوق كل ذي علم عليم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

### (علم الطب)

١٩

ومن فروع الطبيعيات صناعة الطب وهي صناعة تنظر في بدن الانسان من حيث يمرض ويصح فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالادوية والاغذية بعد أن يتبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن وأسباب تلك الامراض التي تنشأ عنها وما لكل مرض من الادوية مستدلين على ذلك بأمرجة الادوية وقواها وعلى المرض بالعلامات المؤذنة بنشأته وقبوله الدواء أولاً في السجية والفضلات والتبصير محاذين لذلك قوة الطبيعة فانها المدبرة في حالي الصحة والمرض وانما الطبيب يحاذيها ويعينها بعض الشيء بحسب ما تقتضيه طبيعة المادة والفصل والسن ويسمى العلم الجامع لهذا كله علم الطب وربما أفردوا بعض الاعضاء بالكلام وجعلوه علماً خاصاً كالعين وعلاها وأكحالها وكذلك ألحقوا بالفن من منافع الاعضاء ومعناها المنفعة التي لاجلها خلق كل عضو من أعضاء البدن الحيواني وان لم يكن ذلك من موضوع علم الطب الا أنهم جعلوه من لواحقه وتوابعه وامام هذه الصناعة التي ترجمت كتبه فيها من الاقدمين جالينوس يقال انه كان معاصر العيسى عليه السلام ويقال انه مات بصقلية في سبيل تغلب ومطاوعة اغتراب ونا آتفه فيها هي الاتهامات التي اقتدى بها جميع اطباء بعده وكان في الاسلام في هذه الصناعة أئمة جاؤا من وراء الغيبة مثل الرازي والجوسي وابن سينا ومن أهل الاندلس أيضاً كثير وأشهرهم ابن زهر وهو لهذا العهد في المدن



الاسلامية كأنها انقصت لوقوف العمران وتناقضه وهي من الصنائع التي لا تستمدعها الا الحضارة والترقى كما بينه بعد

(فصل) وللبادية من أهل العمران طب يتنونه في غالب الامر على تجربة قاصرة على بعض الاشخاص متوارثا عن مشايخ الحى وبمجانته وربما يصح منه البعض الا أنه ليس على قانون طبيعى ولا على موافقة المزاج وكان عند العرب من هذا الطب كثير وكان فيهم أطباء معروفون كالحرث بن كلدة وغيره والطب المنقول في الشرعيات من هذا القبيل وليس من الرضى في شئ وانما هو أمر كان عاديا للعرب ووقع في ذكر أحوال النبي صلى الله عليه وسلم من نوع ذكر أحواله التي هي عادة وجبلة لا من جهة أن ذلك مشروع على ذلك النحو من العمل فانه صلى الله عليه وسلم انما بعث ليعلننا الشرائع ولم يبعث لتعريف الطب ولا غيره من العباديات وقد وقع له في شأن تلقيح النخل ما وقع فقال أنتم أعلم بأمر ديننا كم فلا ينبغي أن يحصل شئ من الطب الذي وقع في الاحاديث الصحيحة المنقولة على أنه مشروع فليس هناك ما يدل عليه اللهم الا اذا استعمل على جهة التبرك وصدق العقد الايمانى فيكون له أثر عظيم في النفع وليس ذلك في الطب المزاجى وانما هو من آثار الكلمة الايمانية كما وقع في مداواة المبطلون بالعسل والله الهادى الى الصواب لارب سواه

### (الفلاح)

٢٠

هذه الصناعة من فروع الطبيعيات وهي النظر في النبات من حيث تنميته ونشوه بالسقى والعلاج وتعهد به بمنزلة ذلك وكان للمتقدمين بها عناية كثيرة وكان النظر فيها عندهم عاما في النبات من جهة غرسه وتنميته ومن جهة خواصه وروحانيته ومشاكلتها لروحانيات الكواكب والهيكل المستعمل ذلك كله في باب السحر فعظمت عنايتهم به لاجل ذلك وترجم من كتب اليونانيين كتاب الفلاحة النبطية منسوبة لعلاء النبط مشتملة من ذلك على علم كبير ولما نظر أهل الملة فيما اشتمل عليه هذا الكتاب وكان باب السحر مسدودا والنظر فيه محظورا فافتدروا منه على الكلام في النبات من جهة غرسه وعلاجه وما يعرض له في ذلك وحذفوا الكلام في الفن الاخر منه بجله واختصر ابن العوام كتاب الفلاحة النبطية على هذا المنهاج وبقي الفن الاخر منه مغفلا نقل منه مسلمة في كتيبه السحرية اتهامات من مسائله كما ذكره عند الكلام على السحر ان شاء الله تعالى وكتب المتأخرين في الفلاحة كثيرة ولا يعدون فيها الكلام في الغراس والعلاج وحفظ النبات من حوائجه وعوائقه وما يعرض في ذلك كله

وهي موجودة

### (علم الالهييات)

٢١

وهو علم ينظر في الوجود المطابق فأولا في الامور العادة للجسمانيات والروحانيات من الماهيات والوحدة والكمية والوجوب والامكان وغير ذلك ثم ينظر في مبادئ الموجودات وانها روحانيات ثم في كيفية صدور الموجودات عنها ومراتبها ثم في أحوال النفس بعد مفارقة الاجسام وعودها الى المبدأ وهو عندهم علم شريف يزعمون أنه يوقفهم على معرفة الوجود على ما هو عليه وان ذلك عين السعادة في زعمهم وسيأتى الرد عليهم وهو تال للطبيعيات في ترتيبهم ولذلك يسمونه علم ما وراء الطبيعة وكتب المعلم الاقل فيه موجودة بين أيدي الناس ولخصه ابن سينا في كتاب الشفاء والنجاء وكذلك لخصه ابن رشد من حكماء الاندلس ولما وضع المتأخرون في علوم القوم ودقوا فيها ورد عليهم الغزالي ما رد منها ثم خلط المتأخرون من المتكلمين مسائل علم الكلام بمسائل الفلسفة لعروضها في سباحتهم وتشابه موضوع علم الكلام بموضوع الالهييات ومسائله بمسائلها فصارت كأنهم افن واحد ثم غيروا ترتيب الحكماء في مسائل الطبيعيات والالهييات وخلطوها ما فتنوا واحدا قدسوا الكلام في الامور العادة ثم اتبعوه بالجسمانيات وتوابعها ثم بالروحانيات وتوابعها الى آخر العلم كما فعله الامام بن الخطيب في المباحث المشرقية وجميع من بعده من علماء الكلام وصار علم الكلام مختلطا بمسائل الحكمة وكتبه محشوة بها كان الغرض من موضوعها ومسائلها واحد والتبس ذلك على الناس وهو غير صواب لان مسائل علم الكلام انما هي عقائد متلقاة من السريعة كما نقلها السلف من غير رجوع فيها الى العقل ولا تعويل عليه بمعنى انها لا تثبت الابه فان العقل معزول عن الشرع وأنظاره وما تحدث فيه المتكلمون من اقامة الحجج فليس بجناح الحق فيها فالتعليل بالدليل بعد ان لم يكن معلوما هو شأن الفلاسفة بل انما هو التماس حجة عقلية تعضد عقائد الايمان ومذاهب السلف فيها وتدفع شبه أهل البدع عنها الذين زعموا أن مداركهم فيها عقلية وذلك بعد أن تفرض صحة بالادلة النقلية كما تلقاها السلف واعتقدوها وكثير ما بين المقامين وذلك أن مدارك صاحب السريعة أوسع لاتساع نطاقها عن مدارك الانظار العقلية فهي فوقها ومحيط بها الاستمدادها من الانوار الالهية فلا تدخل تحت قانون النظر الضعيف والمدارك المحاط بها فاذا هددنا الشارع الى مدركه فينبغي أن نقدمه على مداركنا ونشقه دونها ولا ننظر في تصحيحه بمدارك العقل ولو عارضه بل نعتمد ما أمرنا به اعتقادا



وعلماء ونسكت عملهم نفهم من ذلك ونفوضه الى الشارع ونعزل العقل عنه والمتكلمون انما دعاهم الى ذلك كلام أهل الاحاد في معارضات العقائد السلفية بالبدع النظرية فاحتاجوا الى الرد عليهم من جنس معارضاتهم واستدعى ذلك الحجج النظرية ومحاذاة العقائد السلفية بها وأما النظري في مسائل الطبيعيات والالهييات بالتصحيح والبطالان فليس من موضوع علم الكلام ولا من جنس انظار المتكلمين فاعلم ذلك لتمييز به بين الفنين فانهم ما مختلفان عند المتأخرين في الوضع والتأليف والحق مغايرة كل منهما صاحبه بالموضوع والمسائل وانما جاء الالتباس من اتحاد المطالب عند الاستدلال وصار احتياج أهل الكلام كانه انشاء اطالب الاعتماد بالدليل وليس كذلك بل انما هو رد على المهدين والمطلوب مفروض الصدق معلوم وكذلك جاء المتأخرون من غلاة المتصوفة المتكلمين بالموأجد أيضا فخلطوا مسائل الفنين بينهم وجعلوا الكلام واحدا فيها كلها مثل كلامهم في النبوات والاتحاد والحلول والوحدة وغير ذلك والمدار في هذه الفنون الثلاثة متغايرة مختلفة وابدعها من جنس الفنون والعلوم مدارك المتصوفة لانهم يدعون فيها الوجدان وينفرون عن الدليل والوجدان بعيد عن المدارك العلمية والبحاث وتوابعها كما بيناه ونبينه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم والله أعلم بالصواب

### ٢٢ علوم السحر والطلسمات

هو علم بكيفية استعدادات تقدر النفوس البشرية بها على التأثيرات في عالم العناصر ما بغير معين أو معين من الامور السماوية والاقول هو السحر والثاني هو الطلسمات ولما كانت هذه العلوم مهجورة عند الشرائع لما فيها من الضرر ولما يشترط فيها من الوجهة الى غير الله من كوكب أو غيره كانت كتبها كالمفقود بين الناس الا ما وجد في كتب الامم الاقدمين فيما قبل نبوة موسى عليه السلام مثل التبط والكلدانيين فان جميع من تقدمه من الانبياء لم يشرعوا الشرائع ولا جأوا بالاحكام انما كانت كتبهم مواظ ووحيد الله وتذكير بالجنة والنار وكانت هذه العلوم في أهل بابل من السريانيين والكلدانيين وفي أهل مصر من القبط وغيرهم وكان لهم فيها التأليف والآثار ولم يترجم لسان كتبهم فيها الا القليل مثل الفلاحة النبطية من أوضاع أهل بابل فأخذ الناس منها هذا العلم وتغنوا فيه ووضعوا بعد ذلك الاوضاع مثل مصاحف الكواكب السبعة وكتاب طمطم الهندي في صور الدرج والكواكب وغيرهم ثم ظهر بالمشرق جابر بن حيان كبير السحرة في هذه الملة فتصنف

كتب القوم واستخرج الصناعة وغاص على زبدتها واستخرجها ووضع فيها غيرهما من التآليف وأكثر الكلام فيها وفي صناعة السحرة لانهم من توابعها لان احالة الاجسام النوعية من صورة الى أخرى انما يكون بالقوة النفسية لا بالصناعة العملية فهو من قبيل السحر كما ذكره في موضعه \* ثم جاء مسلمة بن أحمد الجرجاني امام أهل الاندلس في التعاليم والسحريات فلخص جميع تلك الكتب وذهب وجمع طرقها في كتابه الذي سماه غاية الحكيم ولم يكتب أحد في هذا العلم بعده \* ولقد تقدمت مقدمة يمين بها حقيقة السحر وذلك أن النفوس البشرية وان كانت واحدة بالنوع فهي مختلفة بالخواص وهي أصناف كل صنف مختص بخاصية واحدة بالنوع لا توجد في الصنف الاخر وصارت تلك الخواص فطرة وجبلة لصنفها فنفس الانبياء عليهم الصلاة والسلام لها خاصية تستعذبهم بالمعرفة الربانية ومخاطبة الملائكة عليهم السلام عن الله سبحانه وتعالى كما مر وما يتبع ذلك من التأثير في الاكوان واستجلاب روحانية الكواكب للتصرف فيها والتأثير بقوة نفسانية أو شيطانية فأما تأثير الانبياء فقد دلهي وخاصة ربانية ونفوس الكهنة لها خاصية الاطلاع على المغيبات بقوى شيطانية وهكذا كل صنف مختص بخاصية لا توجد في الاخر والنفوس الساحرة على مراتب ثلاثة يأتي شرحها فأولها المؤثرة بالهمة فقط من غير آلة ولا معين وهذا هو الذي تسميه الفلاسفة السحر والثاني معين من مزاج الافلاك والعناصر وأخوخاص الاعداد ويسمونه الطلسمات وهو أضعف رتبة من الاول والثالث تأثير في القوى المخيلة يعتمد صاحب هذا التأثير على القوى المخيلة في تصرف فيها بنوع من التصرف ويبقى فيها أنواعا من الخيالات والحاكات وصورا مما يقصده من ذلك ثم ينزلها الى الحس من الرأين بقوة نفسه المؤثرة فيه فينظر الراؤن كأنها في الخارج وليس هنالك شيء من ذلك كما يحكي عن بعضهم أنه يرى البساتين والانهار والقصور وليس هنالك شيء من ذلك ويسمى هذا عند الفلاسفة الشعوذة والشعوذة هذا تفصيل مراتبه ثم هذه الخاصية تكون في الساحر بالقوة شأن القوى البشرية كلها وانما تخرج الى الفعل بالرياضة ورياضة السحر كلها انما تكون بالتوجه الى الافلاك والكواكب والعوالم العلوية والشياطين بأنواع التعظيم والعبادة والخضوع والتذلل فهي لذلك وجهة الى غير الله وسجود له والوجهة الى غير الله كفر فلهذا كان السحر كثيرا والكفر من مواده واسبابه كما رأيت ولهذا اختلف الفقهاء في قتل الساحر هل هو لكفره السابق على فعله أو لتصرفه بالافساد وما ينشأ عنه من الفساد في الاكوان والكل حاصل منه ولما كانت المرتبتان الاوليان من السحر لها حقيقة في الخارج والمرتبة الاخيرة الثالثة



لاحقيقة لها اختلف العلماء في السحر هل هو حقيقة أو ما هو تخيل فالقائلون بأن له حقيقة نظروا الى المرتبتين الاولين والقائلون بأن لاحقيقة له نظروا الى المرتبة الثالثة الاخيرة فليس بينهم اختلاف في نفس الامر بل انما جاء من قبل اشتباه هذه المراتب والله أعلم \* واعلم أن وجود السحر لا مريية فيه بين العقلاء من أجل التأثير الذي ذكرناه وقد نطق به القرآن قال الله تعالى ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولان نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهم ما ما يفترون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله وسحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان يخيل اليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله وجعل سحره في مشط ومشاقة وجف طلعة ودفن في بئر ذروان فأنزل الله عز وجل عليه في المعوذتين ومن شر النفاثات في العقد قالت عائشة رضي الله عنها فكل لا يقرأ على عقدة من تلك العقد التي سحر فيها إلا انخلت وأما وجود السحر في أهل بابل وهم الكلدانيون من النبط والسريانيين فكثير ونطق به القرآن وجاءت به الاخبار وكان للسحر في بابل ومصر أزمان بعثة موسى عليه السلام أسواق نافقة ولهذا كانت معجزة موسى من جنس ما يدعون ويتناغون فيه وبقى من آثار ذلك في البرابي بصعيد مصر شواهد دالة على ذلك ورأينا بالعيان من بصورة الشخص المسحور بخواص أشياء مقابلة لما نواه وحاوله موجوده بالمسحور وأمثال تلك الممانى من أسماء وصفات في التأليف والتفريق ثم يتكلم على تلك الصورة التي أقامها مقام الشخص المسحور عينا أو معنى ثم ينقب من ريقه بعد اجتماعه في نفسه كبرير مخارج تلك الحروف من الكلام السوء ويعقد على ذلك المعنى في سبب أعداء ذلك تفاولا بالعقد والزام وأخذ العهد على من أشرك به من الجن في نفقه في فعله ذلك استشهارة للعزيمة بالعزم وتلك البنية والأسماء السيئة روح خبيثة تخرج منه مع النفخ متعلقة بريقه الخارج من فيه بالنفث فتزل عنها أرواح خبيثة ويقع عن ذلك بالمسحور ما يحاوله الساحر وشاهدنا أيضا من المتحليين للسحر وعمله من يشير إلى كساء أو جلد ويتكلم عليه في سره فإذا هو مقطوع مخترق ويشير إلى بطون الغنم كذلك في مراعيها بالعجم فإذا معارها ساقة من بطونها إلى الأرض وسمعنا أن بأرض الهند لهذا العهد من يشير إلى إنسان فيحت قلبه ويقع ميتا وينقب عن قلبه فلا يوجد في حشاؤه ويشير إلى الرمانة وتفتح فلا يوجد من حبوبها شيء وكذلك سمعنا أن بأرض السودان وأرض الترك من يسحر السحاب فيطر الأرض

المخصوصة وكذلك رأينا من عمل الطلسمات عجائب في الاعداد المتحابية وهي ركز رد أحد العددين مائتان وعشرون والآخر مائتان وأربعة وثمانون ومعنى المتحابية أن أجزاء كل واحد التي فيه من نصف وثلث وربع وسدس وخمس وأمثالها إذا جمع كان مساويا للعدد الآخر صاحبها يسمى لأجل ذلك المتحابية ونقل أصحاب الطلسمات أن لتلك الاعداد أثر في الالفه بين المتحابين واجتماعهما إذا وضع لهما مثالان أحدهما بطالع الزهرة وهي في بيتها وأشرقتها ناظرة إلى القمر نظرمودة وقبول ويجعل طالع الثاني سابع الأول ويضع على أحد المثالين أحد العددين والآخر على الآخر ويقصد بالآخر الذي يراد أن تلافه أعني المحبوب ما أدري إلا كثر كية أو الأكثر أجزاء فيكون لذلك من التأليف العظيم بين المتحابين ما لا يكاد ينقل أحدهما عن الآخر قاله صاحب الغاية وغيره من أئمة هذا الشأن وشهدت له التجربة وكذا طابع الاسد ويسمى أيضا طابع الحصى وهو أن يرسم في قالب عند اصبع صورة أسد شائلا ذنبه عاضا على حصة قد قسمها بنصفين وبين يديه صورة حية منسابة من رجله إلى قبالة وجهه فاغرة فاها إلى فيه وعلى ظهره صورة عقرب تدب ويتحين برسمه حلول الشمس بالوجه الأول والثالث من الاسد بشرط صلاح الثيرين وسلامتهما من النحوس فاذا وجد ذلك وعثر عليه طبع في ذلك الوقت في مدة دار المنقال فإدونه من الذهب ونمس بعد في الزعفران محلولاء الماء الورد ورفع في خرقة حرير صفراء فانهم يزعمون أن لمسه يمسكهم من العز على السلاطين في مباشرتهم وخدمتهم وتسخرهم له ما لا يعبر عنه وكذلك للسلاطين فيه من القوة والعز على من تحت أيديهم ذكر ذلك أيضا أهل هذا الشأن في الغاية وغيرها وشهدت له التجربة وكذلك وفق المستدس المختص بالشمس ذكرنا أنه يوضع عند حلول الشمس في شرفها وسلامتها من النحوس وسلامة القمر بطالع ملوكي يعتد برفيه نظير صاحب العاشر لصاحب الطالع نظرمودة وقبول ويصلح فيه ما يكون في مواليه الملوك من الأدلة الشريفة ويرفع في خرقة حرير صفراء بعد أن يغمس في الطيب فرغوا أن له أثر في صحابة الملوك وخدمتهم ومعاشرتهم وأمثال ذلك كثير وكأب الغاية للسلمة بن أحمد الجربطي هو سدونة هذه الصناعة وفيه استيفاءها وبكال مسائلها وذكرنا أن الامام الفخر بن الخطيب وضع كتابا في ذلك وسماه بالسرا المكتوم وأنه بالمشرق يتداوله أهله ونحن لم نقف عليه والامام لم يكن من أئمة هذا الشأن فيما نظن ولعل الأمر بخلاف ذلك وبالمغرب صنف من هؤلاء المتحليين لهذه الاعمال السحرية يعرفون بالبعاجين وهم الذين ذكرت أولا أنهم يشيرون إلى الكساء أو الجلد فيخترق ويشيرون إلى بطون الغنم بالبعج فتبعج ويسمى أحدهم لهذا العهد باسم



البعاج لأن أكثر ما ينتحل من السحر بعج الانعام يرهب بذلك أهلها يعطوه من قصلها  
وهم يستترون بذلك في الغاية خوفا على أنفسهم من الحكام لقيت منهم جماعة وشاهدت  
من أفعالهم هذه بذلك وأخبروني أن لهم وجهة ورياضة خاصة بدعوات ككفرية  
واشرالروحانيات الجن والكواكب سطرت فيها صحيفة عندهم تسمى الخزيرية  
يتدارسونها وات بهذه الرياضة والوجهة يصلون الى حصول هذه الافعال لهم وان  
التأثير الذي لهم انما هو فيما سوى الانسان الحر من المتاع والحيوان والرقيق ويعبرون  
عن ذلك بقولهم انما نفعل فيما تشي فيه الدراهم أي مائلك ويبيع ويشترى من سائر  
الملوكات هذا ما زعموه وسألت بعضهم فاخبرني به وأما أفعالهم فظاهرة موجودة وقفا  
على الكثير منها وعما ينتها من غير رية في ذلك هذا شأن السحر والطلسمات وآثارهما في  
العالم فاما الفلاسفة ففرقوا بين السحر والطلسمات بعد أن أثبتوا أنهما جميعا أثر للنفس  
الانسانية واستدلوا على وجود الأثر للنفس الانسانية بأن لهما آثارا في بدنهما على غير  
المجرى الطبيعي وأسبابه الجسمانية بل آثارا عارضة من كفيات الارواح تارة  
كالهفوة الحادثة عن الفرح والسرور ومن جهة التصورات النفسانية أخرى  
كالذي يقع من قبل التوهم فان الماشي على حرف حائط أو على جبل منتصب اذا قوى  
عنده توهم السقوط سقط بلا شك وهذا تجد كثيرا من الناس يعودون أنفسهم ذلك  
حتى يذهب عنهم هذا الوهم فتجدهم يمشون على حرف الحائط والجبل المنتصب  
ولا يخافون السقوط فثبت أن ذلك من آثار النفس الانسانية وتصورها للسقوط من  
أجل الوهم واذا كان ذلك اثر للنفس في بدنهما من غير الاسباب الجسمانية الطبيعية  
فما نرا أن يكون لهما مثل هذا الاثر في غير بدنهما اذ نسبتها الى الابدان في ذلك النوع من  
التأثير واحدة لانها غير حادثة في البدن ولا منطبعة فيه فثبت أنها مؤثرة في سائر الاجسام  
وأما التفرقة عندهم بين السحر والطلسمات فهو ان السحر لا يحتاج الى حرقية الى  
معين وصاحب الطلسمات يستعين بروحانيات الكواكب وأسرار الاعداد وخواص  
الموجودات وأوضاع الفلك المؤثرة في عالم العناصر كما يقوله المنجمون ويقولون السحر  
اتحاد روح بروح والطلسم اتحاد روح بجسم ومعناه عندهم ربط الطبائع العلوية  
السمائية بالطبائع السفلية والطبائع العلوية هي روحانيات الكواكب ولذلك  
يستعين صاحبها في غالب الامر بالنجامة والساحر عندهم غير مكسب لسحره بل هو  
مفطور عندهم على تلك الجيلة المختصة بذلك النوع من التأثير والفرق عندهم بين  
المعجزة والسحر أن المعجزة قوة الهية تبعث في النفس ذلك التأثير فهو مؤيد بروح الله  
على فعله ذلك والساحر انما يفعل ذلك من عند نفسه وبقوته النفسانية وبامداد

الشیاطین في بعض الاحوال فيبينهما الفرق في المعقولة والحقيقة والذات في نفس  
الامر وانما استدلل نحن على التفرقة بالعلامات الظاهرة وهي وجود المعجزة لصاحب  
الخبر وفي مقاصد الخبر وللنفوس المتمحضة للخير والتحدى بها على دعوى النبوة والسحر  
انما يوجد لصاحب الشر وفي أفعال الشر في الغالب من التفرق بين الزوجين وضرر  
الاعداء وأمثال ذلك وللنفوس المتمحضة للشر هذا هو الفرق بينهما عند الحكماء الالهيين  
وقد يوجد لبعض المتصوفة وأصحاب الصكرات تأثيرا أيضا في أحوال العالم وليس  
معدودا من جنس السحر وانما هو بالامداد الالهی لأن طريقتهم ونحلتهم من آثار  
النبوة وتوابعها ولهم في المدد الالهی حظ على قدر حالهم وإيمانهم وعسكهم بكلمة الله  
واذا اقتدر أحد منهم على أفعال الشر فلا يأتيتها لانه متعبد فيما يأتيه ويذره للامر  
الالهی فما لا يقع لهم فيه الاذن لا يأتونه بوجه ومن أناه منهم فقد عدل عن طريق الحق  
وربما سلب جاله ولما كانت المعجزة بامداد روح الله والقوى الالهية فلذلك لا يعارضها  
شي من السحر وانظر شأن سحره فرعون مع موسى في معجزة العصا كيف تلقفت  
ما كانوا يأفكون وذهب سحرهم واضمحلت كأن لم يكن وكذلك لما أنزل على النبي  
صلى الله عليه وسلم في المعوذتين ومن شر النفاثات في العقد قالت عائشة رضي الله عنها  
فكان لا يقرؤها على عقدة من العقد التي سحر فيها الا انحلت فالسحر لا يثبت مع اسم الله  
وذكره وقد نقل المؤرخون أن زركش كوايان وهي راية كسرى كان فيها الوفق المثني  
العددي منسوجا بالذهب في أوضاع فلكية رصدت لذلك الوفق ووجدت الراية يوم  
قتل رستم بالقادسية واقعة على الارض بعد انهزام أهل فارس وسناتهم وهو فيما تترجم  
أهل الطلسمات والافاق مخصوص بالغلب في الحروب وأن الراية التي يكون فيها أو  
معها لا تنهزم أصلا الا أن هذه عارضها المدد الالهی من ايمان أصحاب رسول الله صلى  
الله عليه وسلم وعسكهم بكلمة الله فانحل معها كل عقد سحري ولم يثبت وبطل ما كانوا  
يعملون وأما الشريرة فلم تفرق بين السحر والطلسمات وجعلته كله بابا واحدا محظورا  
لأن الافعال انما أباح لنا الشارع منها ما يميننا في ديننا الذي فيه صلاح آخرتنا أو  
في معاشنا الذي فيه صلاح دنيانا وما لا يميننا في شيء منهما فان كان فيه ضرر أو نوع ضرر  
كالسحر الحاصل ضرره بالوقوع ويلحق به الطلسمات لأن أثرهما واحد كالنجامة التي  
فيها نوع ضرر بامتداد التأثير فتفسد العقيدة الايمانية برد الامور الى غير الله فيكون  
حينئذ ذلك الفعل محظورا على نسبه في الضرر وان لم يكن مهما علينا ولا فيه ضرر فلا  
أقل من أن تركه قربة الى الله فان من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فجعلت الشريرة  
باب السحر والطلسمات والشعوذة بابا واحدا ما فيها من الضرر وخصته بالخطر



والنحرى وأما الفرق عندهم بين المعجزة والسحر فالذى ذكره المتكلمون أنه راجع إلى  
التحدى وهو دعوى وقوعها على وفق ما ادعاه قائلوا والساحر مصروف عن مثل هذا  
التحدى فلا يقع منه ووقوع المعجزة على وفق دعوى الكاذب غير مقدور لأن دلالة  
المعجزة على الصدق عقلية لأن صفة نفسها التصديق فلو وقعت مع الكذب لاستحال  
الصادق كاذبا وهو محال فإذا لا تقع المعجزة مع الكاذب باطلاق وأما الحكماء فالفرق  
بينهم عندهم كما ذكرناه فرق ما بين الخير والشر في نهاية الطريقين فالساحر لا يصدر منه  
الخير ولا يستعمل في أسباب الخير وصاحب المعجزة لا يصدر منه الشر ولا يستعمل  
في أسباب الشر وكانهم على طرفي النقيض في أصل فطرتهما والله يهدي من يشاء  
وهو القوى العزيز لا رب سواه

(فصل) ومن قبيل هذه التأثيرات النفسانية الاصابة بالعين وهو تأثير من نفس المعيان  
عندما يستحسن بعينه مدركا من الذوات أو الاحوال ويفرط في استحضاره وينشأ عن  
ذلك الاستحسان حينئذ أنه يروم معه سلب ذلك الشيء عن اتصف به فيؤثر فسادا وهو  
جبله فطرية أعني هذه الاصابة بالعين والفرق بينها وبين التأثيرات وإن كان منها  
ما لا يكسب أن صدورها راجع إلى اختيار فاعلمها والقطري منها قوة صدورها لانفس  
صدورها ولهذا قالوا القاتل بالسحر أو بالكرامة يقتل والقاتل بالعين لا يقتل  
وما ذلك إلا لأنه ليس بمأير يده ويقصده أو يتركه وانما هو مجبور في صدوره عنه والله  
أعلم بما في الغيوب ومطلع على ما في السرائر

### (علم اسرار الحروف)

٢٣

وهو المسمى بهذا العهد بالسميات نقل وضعه من الطلسمات اليه في اصطلاح أهل التصرف  
من المتصوفة فاستعمل استعمال العام في الخاص وحدث هذا العلم في الملة بعد  
صدورها وعند ظهور الغلاة من المتصوفة وجنوحهم إلى كشف حجاب الحس وظهور  
الخوارق على أيديهم والتصرفات في عالم العناصر وتدوين الكتب والاصطلاحات  
ومن أعظمهم في تنزل الوجود عن الواحد وترتيبه وزعموا أن الكمال الاسمائي مظاهره  
أرواح الافلاك والكواكب وأن طبائع الحروف واسرارها سارية في الاسماء فهي  
سارية في الاكوان على هذا النظام والاكوان من لدن الابداع الاقل تنقل في اطواره  
وتعرب عن أسرارها فحدث لذلك علم أسرار الحروف وهو من تفاريع علم السميات لا يوقف  
على موضوعه ولا تحاط بالعدد مسائله تعددت فيه تأليف البوني وابن العربي  
وغيرهما من أتباع آثارهما وحاصله عندهم وغرته تصرف النفوس الرابية في عالم

الطبيعة بالاسماء الحسنى والكلمات الالهية الناشئة عن الحروف المحيطة بالامرار  
السارية في الاكوان ثم اختلفوا في سر التصرف الذي في الحروف بما هو قديم من  
جعله للمزاج الذي فيه وقسم الحروف بقسمة الطبائع إلى أربعة أصناف كما للعناصر  
واختصت كل طبيعة بصنف من الحروف يقع التصرف في طبيعتها فعلا وانفعالا  
بذلك الصنف فتشعبت الحروف بقانون صناعي يسمى منه التكسير إلى نارية وهوائية  
ومائية وترابية على حسب تنوع العناصر فالألف للنار والباء للهواء والجيم للماء  
والدال للتراب ثم ترجع كذلك على التوالي من الحروف والعناصر إلى أن تنفذ فتعني  
لعنصر النار حروف سبعة الألف والياء والطاء والميم والفاء والسين والذال وتعني  
لعنصر الهواء سبعة أيضا الباء والواو والياء والنون والصاد والطاء وتعني لعنصر  
الماء أيضا سبعة الجيم والزاى والكاف والصاد والقاف والشاء والغين وتعني لعنصر  
التراب أيضا سبعة الدال والحاء واللام والعين والراء والخاء والشين والحروف النارية  
لدفع الامراض الباردة ولما عطف قوة الحرارة حيث تطلب مضاعفتها محاسنا وحكما  
كما في تضعيف قوى المريح في الحروب والقتل والفتك والمائية أيضا لدفع الامراض  
الحارة من حميات وغيرها ولتضعيف القوى الباردة حيث تطلب مضاعفتها محاسنا أو  
حكما كضعيف قوى القمر وأمثال ذلك ومنهم من جعل سر التصرف الذي في الحروف  
للقسبة العددية فإن حروف أبجد دالة على اعدادها المتعارفة وضعا وطبعافينها من  
أجل تناسب الاعداد تناسب في نفسها أيضا كما بين الباء والكاف والراء دلالتها كلها  
على الاثنين كل في مرتبة فالباء على اثنين في مرتبة الاحاد والكاف على اثنين  
في مرتبة العشرات والراء على اثنين في مرتبة المئين وكالذي بينها وبين الدال والميم  
والهاء دلالتها على الاربعة وبين الاربعة والاثنين نسبة الضعف وخرج للاسماء أوافق  
كما للاعداد يختص كل صنف من الحروف بصنف من الاوافق الذي يناسبه من حيث  
عدد الشكل أو عدد الحروف وامتزج التصرف من السر الحرفي والسر العددي لأجل  
التناسب الذي بينهما فامسرت تناسب الذي بين هذه الحروف وأمزجة الطبائع أو بين  
الحروف والاعداد فأمر عسر على الفهم اذ ليس من قبيل العلوم والقياسات وانما  
مستندهم فيه الذوق والكشف قال البوني ولا تظن أن سر الحروف مما يتوصل اليه  
بالقياس العقلي وانما هو بطريق المشاهدة والتوفيق الالهي وأما التصرف في عالم  
الطبيعة بهذه الحروف والاسماء المركبة فيها وتأثر الاكوان عن ذلك فأمر لا ينكر  
لثبوته عن كثير منهم تواترا وقد يظن أن تصرف هؤلاء وتصرف أصحاب الطلسمات  
واحد وليس كذلك فإن حقيقة الطلسم وتأثيره على ما حققه أهله أنه قوى روحانية من

ترتيب طبائع  
الحروف عند  
المقاربة غير ترتيب  
المشاركة ومنهم  
الغزالي كما أن الجبل  
عندهم يخالف في  
سنة أحرف فان  
الصاد عندهم بستين  
والضاد بتسعين  
والسين المهمة  
بثمانية والطاء  
بثمانية والسين  
بثمانية والسين  
بألف قاله نصر  
الهوري



جوهر القهر تفعل فيماله ركب فعل غلبة وقهر بأسرار فلكية ونسب عديدة ونجورات  
جالات لروحانية ذلك الطلسم مشدودة فيه بالهمة فائدتها ربط الطبائع العلوية  
بالطبائع السفلية وهو عندهم كالجيرة المركبة من هوائية وأرضية ومائية ونارية  
حاصلة في جلتها مجبل وتصرف ما حصلت فيه الى ذاتها وقلبه الى صورتها وكذلك  
الاكسير لاجسام المعدنية كالجيرة تقلب المعدن الذي تسرى فيه الى نفسها بالاحالة  
ولذلك يقولون موضوع الكيمياء جسد في جسد لان الاكسير أجزاءه كلها جسدانية  
ويقولون موضوع الطلسم روح في جسد لانه ربط الطبائع العلوية بالطبائع السفلية  
والطبائع السفلية جسد والطبائع العلوية روحانية وتحقيق الفرق بين تصرف أهل  
الطليسمات وأهل الاسماء بعد أن تعلم أن التصرف في عالم الطبيعة كله انما هو للنفس  
الانسانية والهمم البشرية أن النفس الانسانية محيطة بالطبيعة وحكمة عليها بالذات  
الآن تصرف أهل الطليسمات انما هو في استئزال روحانية الافلاك وربطها بالصور أو  
بالنسب العددية حتى يحصل من ذلك نوع مزاج يفعل الاحالة والقلب بطبيعتها فعل  
الجيرة فيما حصلت فيه وتصرف أصحاب الاسماء انما هو بما حصل لهم بالمجاهدة والكشف  
من النور الالهي والامداد الرباني فيسخر الطبيعة لذلك طائفة غير مستعصية ولا يحتاج  
الى مدد من القوى الفلكية ولا غيرها لان مدده أعلى منها ويحتاج أهل الطليسمات الى  
قليل من الرياضة تفيد النفس قوة على استئزال روحانية الافلاك وأهون بها وجهة  
ورياضة بخلاف أهل الاسماء فان رياضتهم هي الرياضة الكبرى وليست لقصد  
التصرف في الاكوان اذ هو حجاب وانما التصرف حاصل لهم بالعرض كرامة من  
كرامات الله لهم فان خلاص صاحب الاسماء عن معرفة أسرار الله وحقائق الملكوت  
الذي هو نتيجة المشاهدة والكشف واقتصر على مناسبات الاسماء وطبائع الحروف  
والكلمات وتصرف بها من هذه الخيفية وهو لاهم أهل السيمياء في المشهور كان اذا  
لا فرق بينه وبين صاحب الطليسمات بل صاحب الطليسمات أوثق منه لانه يرجع الى  
أصول طبيعية علمية وقوانين مرتبة وأما صاحب اسرار الاسماء اذا فاته الكشف الذي  
يطلع به على حقائق الكلمات وآثار المناسبات بفوات الخلو في الوجهة وليس له  
في العلوم الاصطلاحية قانون برهاني يعول عليه يكون حاله أضعف رتبة وقد يعجز  
صاحب الاسماء قوى الكلمات والاسماء بقوى الكواكب فيعين لذكر الاسماء  
الحسنى أو ما يرسم من أوقافها بل ولسائر الاسماء أوقافا تكون من حظوظ الكواكب  
الذي يناسب ذلك الاسم كما فعله البوني في كتابه الذي سماه الانماط وهذه المناسبة عندهم  
هي من لدن الحضرة العمائية وهي برزخية الكمال الاسمائي وانما تنزل تفصيلها

في الحقائق على ما هي عليه من المناسبة واثبات هذه المناسبة بتعندهم انما هو بحكم  
المشاهدة فاذا خلاصاحب الاسماء عن تلك المشاهدة وتلقى تلك المناسبة تقلد  
كان عمله بمثابة عمل صاحب الطاسم بل هو أوثق منه كما قلنا وكذلك قد يعجز أيضا  
صاحب الطليسمات عمله وقوى كواصفه بقوى الدعوات المؤلفة من الكلمات  
الخصوصية لمناسبة بين الكلمات والكواكب الآن مناسبة الكلمات عندهم ليست كما  
هي عند أصحاب الاسماء من الاطلاع في حال المشاهدة وانما يرجع الى ما اقتضته أصول  
طريقتهم السهرية من اقتسام الكواكب لجميع ما في عالم المكونات من جواهر  
واعراض وذوات ومعاني والحروف والاسماء من جملة ما فيه فكل واحد من  
الكواكب قسم منها يخصه وينون على ذلك مباني غريبة منكورة من تقسيم سور  
القرآن وآية على هذا النحو كما فعله مسلمة المجرى في الغاية والظاهر من حال البوني  
في انماطه أنه اعتبر طريقهم فان تلك الانماط اذا تصفحتها وتصفت الدعوات التي  
تضمنتها وتقسيمها على ساعات الكواكب السبعة ثم وقفت على الغاية وتصفت  
قيامات الكواكب التي فيها وهي الدعوات التي تختص بكل كوكب بسعونها قيامات  
الكواكب أي الدعوة التي يقام لها به شاهد ذلك اما بأنه من مادتها أو بأن التناسب  
الذي كان في أصل الابداع وبرزخ العلم قضى بذلك كله وما أوتيتم من العلم الا قليلا  
وليس كل ما حرمه الشارع من العلوم بمنكر الثبوت فقد ثبت أن السحر حق مع حظره  
لكن حسبا من العلم ما علمنا \* (ومن فروع علم السيمياء عندهم استخراج الاجوبة من  
الاسئلة) \* بارتباطات بين الكلمات حرفية يوهمون أنها أصل في معرفة ما يحاولون  
علمه من الكائنات الاستقبالية وانما هي شبه المعاينة والمسائل السائلة ولهم في ذلك  
كلام كثير من أدعية وأعجبه زايحة العالم السبقي وقد تقدم ذكرها ونين هنا ما ذكره  
في كيفية العمل بتلك الزايحة بدائرتهما وجدوا لها المكتوب حولها ثم تكشف عن  
الحق فيها وأنها ليست من الغيب وانما هي مطابقة بين مسئلة وجوابها في الافادة فقط  
وقد أشرنا الى ذلك من قبل وليس عندنا رواية يعول عليها في صحة هذه القصيدة الا  
أننا نحري نأصح النسخ منها في ظاهر الامر والله الموفق بمنه وهي هذه

يقول سيبقي ويحمد ربه \* مصل على هاد الى الناس أرسلا  
محمد المبعوث خاتم الأنبياء \* ويرضى عن الصحب ومن لهم تلا  
الاهذه زايحة العالم الذي \* ترامهم بكم وبالعقل قد حلا  
فن أحكم الوضع فيحكم جسمه \* ويدركه أحكام تدبرها العلا  
ومن أحكم الربط فيدرك القوة \* ويدركه للتقوى وللإكل حصلا



ومن أحكم التصريف يحكم سره \* وب عقل نفسه وصح له الولا  
وفي عالم الالام تراه محققا \* وهذا مقام من بالاذكار كلا  
فهذه سرائر عليكم بكتبتها \* أقفا دوائر اولحاء عدلا  
فطاه لها عرش وفيه نقوشنا \* بنظم ونثر قد تراه مجدولا  
ونسب دوائر كنسبة فللكها \* وارسم كواكبا لادراجها العلا  
وأخرج لاوتار وارسم حروفها \* وكود بعنقه على حدم من خلا  
أقم شمس كل زيرهم وسويونه \* وحقق بهم سامهم ونورهم جلا  
وحصل علوم الطباع مهندسا \* وعلم الموسيقى والارباع مثلا  
وسؤلوس سبق وعلم حروفهم \* وعلم بالآلات فحقق وحصلا  
وسودوائر ونسب حروفها \* وعالمها أطلق والاقليم جدولا  
أم سبر لنا فهو نهاية دولة \* زناية آت وحكم لها خلا  
وقطر لاندلس فابن لهودهم \* وجاء بنو نصر وظفرهم تلا  
ملوك وفرسان واهل الحكمة \* فان شئت نصهم وقطرهم حلا  
ومهدى توحيد بتونس حكمهم \* ملوك وبالشرق بالاوقاف نزلا  
واقسم على القطر وكن متفقدنا \* فان شئت للروم فبالجزر شكلا  
فقدش وبرشمنون الرءاء حرفهم \* وفرنسهم دال وبالطاء كلا  
ملوك ككناوة ودلون قافهم \* واعراب قومنا بترقيق اءلا  
فهذه دجباثي وسند فهرمس \* وفرس ططاري وما بعدهم طلا  
فقمصرهم حاء ويرد جردهم \* لكاف وقبطهم بلامه طولا  
وعباس كلهم شريف معظم \* ولا كن تركي بذال الفعل عطلا  
فان شئت تدقيق الملوك وكلهم \* نفتم بيونا ثم نسب وجردولا  
على حكم قانون الحروف وعلمها \* وعلم طبائعها واكله مثلا  
فن علم العلوم يعلم علما \* ويعلم أسرار الوجودوا كلا  
فيرسخ علمه ويعرف ربه \* وعلم ملاحيم بحماميم فصلا  
وحيث أتى اسم والعروض يشقه \* فحكم الحكيم فيه قطعاً ما يقتلا  
وتأنيك أحرف فسولضربها \* وأحرف سيبويه تأنيك فصلا  
فكن بتسكير وقابل وعوضن \* بترنيمك الغالى للاجزاء خلخلا  
وفي العقد والحزور يعرف غالبا \* وزد لمع وصفه في العقل فعلا  
واخذ لمطلع وسويه رتبة \* واعكس بجذره وبالدور عدلا

[illegible]

الكلام على استخراج نسبة اللا وزن وكيفياتهما ومقادير المقابيل منهما وقوة الدرجة المتميزة

بالنسبة الى موضع المعلق من امتزاج طبائع وعلم طب اوصافه الكيميائية

أيا طالبا للطب مع علم جابر \* وعالم مقدار المقادير بالولا  
اذا شئت علم الطب لا بد نسبة \* لاحكام ميزان تصادف منها  
فيشفي عليكم والا كسيرة محكم \* وأمزاج وضعكم بتصحيح انجلا

(الطب الروحاني)

وشتت ایلوش ۵۶۰ م و دهنه بجلا \* لهرام برجیس و سبعة کلا  
لتحلیه ل أوجاع الب و ارد صحوا \* كذلك و التركيب حيث تنقلا  
کد منع مهم ۵۵۳ و هم ۶ ص لهای و لم آ آ و هم وی سکره لال ح  
مهمت مهم ع ع می مزح ۲۲۴ ل ک عا عر

(مطاريح الشعاعات في و الايد الملوك و بنهم)



وعلم مطاريج الشعاعات مشكل \* وضع قسما بمنطقة جـ  
ولكن في جـ مقام امامنا \* ويبدو اذا عرض الكواكب عدلا  
بدال مراكز بين طول وعرضها \* فن أدرك المعنى علا ثم فوضلا  
مواقع تربيع وسه مسقط \* تسديسهم تليث بيت الذي تلا  
يزاد لتربيع وهذا قياسه \* يقيدنا وحذره وبالعين أعمالا  
ومن نسبة الربعين ركب شعاعك \* بصاد وضعفه وتربيعه انجلا  
اختص ص ٨٠ مع وي هذا العمل هنا للملوك والقانون مطرد عمله ولم ير  
أعجب منه

مقامات الملوك المقام الاول ه المقام الثاني ه مهم ص عر المقام الثالث  
ع ع والمقام الرابع ه ه المقام الخامس لا ي المقام السادس ع يير المقام السابع ع ه

خط الاتصال والانفصال ٤٥٤ ط ٤ ٤

خط الاتصال ٨١ > ٨١ م

خط الاتصال ٤٥٣٦٦٠٦

الورث للجميع وتباع الجرافام

الاتصال والانقصال

الواجب التام في الاتصالات ٤٥٤٤ هـ

اقامة الانوار  
به عم ع

الجزر الحبيب في العمل صحرا له شعاع

أقامة السؤال عن الملوك ع ح ٥ لا خ ل ١١ ع

مقام الاول نور عو مقام بها هج لا

(الانفعال الروعاني والاقتصاد الرباني)

أيا طالب السر تهليل ربه \* لدى أسمائه الحسنى تصادف منها  
تطعمك أخيار الانام بقلوبهم \* كذلك ريسهم وفي الشمس أعمالا  
ترى عامة الناس اليك تقيدوا \* وماقلته حقا وفي الغيرة أهملوا  
طريقك هذا السيل والسبل الذي \* أقوله غيركم ونصركم وجاهتلي  
إذا شئت تحيا في الوجود مع التقى \* ودينا متينا أو تكن متوصلا  
كذي النون والجنيد مع سر صنعة \* وفي سر بظام أراك مسر بلا  
وفي العالم العلوى تكون محدثا \* كذا قالت الهندوصوفية الملا  
طريق رسول الله بالحق ساطع \* وماحكم صنع مثل جبريل أنزلا  
فبطشك تهليل وقوسك مطلع \* ويوم الخميس البدء والاحداثجلى  
وفي جمعة أيضا بالاسماء مثله \* وفي اثنين للعسفى تكون مكمل  
وفي طائه سر وفي هائه اذا \* أراك بهامع نسبة الكل أعطلا  
وساعة سعد شرطهم في نقوشها \* وعود ومصطكى بنحور تحصلا  
وتلو عليها آخر الحشر دعوة \* والاخلاص والبيع المثنى مرتلا  
(اتصال أنوار الكواكب) \* بلعاني لاهى لا ظ غش لد مع ق صم ف وى  
وفي يدك اليمنى حديد وخاتم \* وكل برأسك وفي دعوة فلا  
وآية حشر فاجعل القلب وجهها \* واتلو اذا نام الانام ورتلا  
هى السر فى الاكوان لاشئ غيرها \* هى الآية العظمى خفق وحصلا  
تكون بها قطبا اذا جدت خدمة \* وتذكر أسرار امن العالم العلا  
مرى بها ناجى ومعروف قبله \* وباح بها الحلاج جهرافأعقلا  
وكان بها الشـبلى يدأب دائما \* الى أن رقى فوق المريدين واعلى  
فصف من الادناس قلبك جاهدا \* ولازم لاذكار ووصم وتنفلا  
فما نال سر القوم الامحقةـقى \* عليم بأسرار العلوم محصلا

ع محصح و لم ع ۲ ک ل ع ا الخ = سماع ۸ ح ۵ ح ۴ و ک صرح ۷

مقامات المحبة وميل النفوس والمجاهدة والطاعة والعبادة وحب  
وتعشق وفناء الفناء وتوحي ومراقبة وعلم الله







سنيته ومنها حروف برسم الزمام كذلك غير أن رسم الزمام يعطى نسبة ثانية فهي  
بمنزلة واحد ألف وبمنزلة عشرة ولها نسبة من خمسة بالعربي فاستحق البيت من  
الجدول أن توضع فيه ثلاثة حروف في هذا الرسم وحرفان في الرسم فاختصر وامن  
الجدول بيوتاً خالية فتى كانت أصول الادوار زائدة على أربعة حسبت في العدد  
في طول الجدول وان لم تزد على أربعة لم يحسب الا العامر منها \* (والعمل في  
السؤال يفتقر الى سبعة أصول) \* عدة حروف الاوتار وحفظ ادوارها بعد طرحها  
اثني عشر اثني عشر وهي ثمانية ادوار في الكامل وستة في الناقص أبداً ومعرفة درج  
الطالع وسلطان البرج والدور الاكبر الاصل وهو واحد أبداً وما يخرج من اضافة  
الطالع للدور الاصل وما يخرج من ضرب الطالع والدور في سلطان البرج واضافة  
سلطان البرج للطالع والعمل جميعه ينتج عن ثلاثة ادوار مضروبة في أربعة تكون  
اثني عشر دوراً ونسبة هذه الثلاثة الادوار التي هي كل دور من أربعة نشأة ثلاثية كل  
نشأة لها ابتداء ثم انما تضرب ادواراً رباعية أيضاً ثلاثية ثم انما من ضرب ستة في اثنين  
فكان لها نشأة يظهر ذلك في العمل ويتبع هذه الادوار الاثني عشر نتائج وهي في  
الادوار اما أن تكون نتيجة أو أكثر الى ستة فأول ذلك نفرض سؤالاً اعلى الزايرة  
هل هي علم قديم أو محدث بطالع أول درجة من القوس انشاء حروف الاوتار ثم حروف  
السؤال فوضعنا حروف وتر رأس القوس ونظيره من رأس الجوزاء وثالثه وتر رأس  
الدلو الى حد المركز وأضفنا اليه حروف السؤال ونظرنا عدةها وأقل ما تكون ثمانية  
وثمانين وأكثر ما تكون ستة وتسعين وهي جملة الدور الصحيح فكانت في سؤالنا الثلاثة  
وتسعين ويختصر السؤال ان زاد عن ستة وتسعين بأن يسقط جميع ادوار الاثني  
عشرية ويحفظ ما خرج منها وما بقي فكانت في سؤالنا سبعة ادواراً بالباقي تسعة اثنتا  
في الحروف ما لم يبلغ الطالع اثني عشرة درجة فان بلغها لم تثبت لها عدة ولا دور ثم اثبت  
أعدادها أيضاً ان زاد الطالع عن أربعة وعشرين في الوجه الثالث ثم تثبت الطالع  
وهو واحد وسلطان الطالع وهو أربعة والدور الاكبر وهو واحد وأجمع ما بين الطالع  
والدور وهو اثنان في هذا السؤال واضرب ما خرج منهم في سلطان البرج يبلغ ثمانية  
وأضف السلطان للطالع فيكون خمسة فهذه سبعة أصول فما خرج من ضرب الطالع  
والدور الاكبر في سلطان القوس مما لم يبلغ اثني عشر فبسه تدخل في ضلع ثمانية من  
أسفل الجدول صاعداً وان زاد على اثني عشر طرح ادواراً وتدخل بالباقي في ضلع ثمانية  
وتعلم على منتهى العدد والنسبة المستخرجة من السلطان والطالع يكون الطالع في ضلع  
السطح المبسوط الاعلى من الجدول وتعدمتوا اليها خسائر ادواراً وتحفظها الى أن

يقف العدد على حرف من أربعة وهي ألف أو باء أو جيم أو زاي فوق العدد في عملنا  
على حرف الالف وخلف ثلاثة ادوار فبصرنا ثلاثة في ثلاثة كانت تسعة وهو عدد  
الدور الاول فأثبتناه واجمع ما بين الضلعين القائم والمبسوط يكن في بيت ثمانية في  
مقابلة البيوت العامة بالعدد من الجدول وان وقف في مقابلة الخالي من بيوت  
الجدول على أحد هافلا بغيره ونستمر على ادوارك وادخل بعدد ما في الدور الاول  
وذلك تسعة في صدر الجدول مما يلي البيت الذي اجتمع عليه وهي ثمانية مارة الى جهة  
اليسار فوق على حرف لام ألف ولا يخرج منها أبداً حرف مركب وانما هو اذن حرف  
تاء أربعة مائة برسم الزمام فعلم عليها بعد نقلها من بيت القصيد واجمع عدد الدور  
للسلطان يبلغ ثلاثة عشر ادخل بها في حروف الاوتار وأثبت ما وقع عليه العدد وعلم  
عليه من بيت القصيد ومن هذا القانون تدريكم تدور الحروف في النظم الطبيعي  
وذلك أن تجمع حروف الدور الاول وهو تسعة لسلطان البرج وهو أربعة تبلغ ثلاثة  
عشر أضفها بمثلها تكون ستة وعشرين أسقط منها درج الطالع وهو واحد في هذا  
السؤال الباقي خمسة وعشرون فعلى ذلك يكون نظم الحروف الاول ثم ثلاثة  
وعشرون مرتين ثم اثنان وعشرون مرتين على حسب هذا الطرح الى أن ينتهي  
للواحد من آخر البيت المنظوم ولا تقف على أربعة وعشرين لطرح ذلك الواحد  
أولاً ثم ضع الدور الثاني وأضف حروف الدور الاول الى ثمانية الخارجة من ضرب  
الطالع والدور في السلطان تكون سبعة عشر الباقي خمسة فاضع في ضلع ثمانية  
بخمسة من حيث انتهت في الدور الاول وعلم عليه وادخل في صدر الجدول بسبعة  
عشر ثم بخمسة ولا تعد الخالي والدور عشرون فوجدنا حرف تاء خمسمائة وانما  
هونون لان دورنا في مرتبة العشرات فكانت الخمسمائة بخمسين لان دورها  
سبعة عشر فلو لم تكن سبعة عشر لكانت خمسيناً فأثبت فوناناً ادخل بخمسة أيضاً  
من أوله وانظر ما حاذى ذلك من السطح تجدوا احد افاقه قمر العدد واحد ايقع على  
خمس أضف لها واحد السطح تكون ستة أثبت واوا وعلم عليها من بيت القصيد  
أربعة وأضفها للثمانية الخارجة من ضرب الطالع مع الدور في السلطان تبلغ اثني  
عشر أضف لها الباقي من الدور الثاني وهو خمسة تبلغ سبعة عشر وهو الدور الثاني  
فدخلنا بسبعة عشر في حروف الاوتار فوق العدد على واحد أثبت الالف وعلم عليها  
من بيت القصيد وأسقط من حروف الاوتار ثلاثة حروف عدة الخارج من الدور  
الثاني وضع الدور الثالث وأضف خمسة الى ثمانية تكون ثلاثة عشر الباقي واحد  
انقل الدور في ضلع ثمانية بواحد وادخل في بيت القصيد بثلاثة عشر وخذ ما وقع عليه



العدد وهو ق وعلم عليه وادخل بثلاثة عشر في حروف الاوتار وأثبت ما خرج وهو سين  
وعلم عليه من بيت القصيد ثم ادخل مما يلي السين الخارجة بالباقي من دور ثلاثة عشر  
وهو ز ا ح ف ذ ما يلي حرف سين من الاوتار فكان ب أثبتا وعلم عليهما من بيت القصيد  
وهذا يقال له الدور المعطوف وميزانه صحيح وهو أن تضعف ثلاثة عشر بمثلها وتضيف  
اليها الواحد الباقي من الدور تبلغ سبعة وعشرين وهو حرف باء المستخرج من الاوتار  
من بيت القصيد وادخل في صدر الجدول بثلاثة عشر وانظر ما قبله من السطح  
واضعفه بمثله وزد عليه الواحد الباقي من ثلاثة عشر فكان حرف جيم وكانت للجهة  
سبعة فذلك حرف زاي فأثبتناه وعلمنا عليه من بيت القصيد وميزانه أن تضعف السبعة  
بمثلها وزد عليها الواحد الباقي من ثلاثة عشر يكن خمسة عشر وهو الخامس عشر من  
بيت القصيد وهذا آخر ادوار الثلاثيات وضع الدور الرابع وله من العدد تسعة باضافة  
الباقي من الدور السابق فاضرب الطالع مع الدور في المظان وهذا الدور آخر العمل  
في البيت الاول من الرباعيات فاضرب على حرفين من الاوتار واصعد بتسعة في ضلع  
ثمانية وادخل بتسعة من دور الحرف الذي أخذته آخر من بيت القصيد فالتساع  
حرف راء فأثبتته وعلم عليه وادخل في صدر الجدول بتسعة وانظر ما قبلها من السطح  
بكون ج ق هـ هـ العدد واحد ا يكون ألف وهو الثاني من حرف الراء من بيت  
القصيد فأثبتته وعلم عليه وعد ما يلي الثاني تسعة يكون ألف أيضا أثبتته وعلم عليه  
واضرب على حرف من الاوتار واضعف تسعة بمثلها تبلغ ثمانية عشر ا دخل بها في  
حروف الاوتار تقف على حرف راء أثبتنا وعلم عليهما من بيت القصيد ثمانية وأربعين  
وادخل بثمانية عشر في حروف الاوتار تقف على س أثبتنا وعلم عليهما اثنين وأصاف  
اثنين الى تسعة تكون أحد عشر ا دخل في صدر الجدول بأحد عشر تقابلها من السطح  
ألف أثبتنا وعلم عليها ستة وضع الدور الخامس وعدته سبعة عشر الباقي خمسة اصعد  
بخمسة في ضلع ثمانية واضرب على حرفين من الاوتار واضعف خمسة بمثلها وأضفها الى  
سبعة عشر عدد دورها الجمله تسعة وعشرون ا دخل بها في حروف الاوتار تقف على  
ب أثبتنا وعلم عليها اثنين وثلاثين وا طرح من سبعة عشر اثنين التي هي في أس اثنين  
وثلاثين الباقي خمسة عشر ا دخل بها في حروف الاوتار تقف على ق أثبتنا وعلم عليها  
ستة وعشرين وادخل في صدر الجدول بست وعشرين تقف على اثنين بالغبار وذلك  
حرف ب أثبتته وعلم عليه أربعة وخسين واضرب على حرفين من الاوتار وضع الدور  
السادس وعدته ثلاثة عشر الباقي منه واحد فتيين اذ ذلك أن دور النظم من خمسة  
وعشرين فإن الادوار خمسة وعشرون وسبعة عشر وخمسة وثلاثة عشر وواحد

فاضرب خمسة في خمسة تسكن خمسة وعشرين وهو الدور في نظم البيت فانتقل الدور في  
ضلع ثمانية وواحد ولكن لم يدخل في بيت القصيد بثلاثة عشر كما قد مناه لانه دور ثان  
من نشأة تركيبية ثانية بل أضفنا الاربعة التي من أربعة وخسين الخارجة على حروف  
ب من بيت القصيد الى الواحد تكون خمسة تضيف خمسة الى ثلاثة عشر التي للدور تبلغ  
ثمانية عشر ا دخل بها في صدر الجدول وخذ ما قبلها من السطح وهو ألف أثبتته وعلم  
عليه من بيت القصيد اثني عشر واضرب على حرفين من الاوتار ومن هذا الجدول تنظر  
أحرف السؤال فما خرج منها زده مع بيت القصيد من آخره وعلم عليه من حروف  
السؤال ليكون داخل في العدد في بيت القصيد وكذلك تفعل بكل حرف حرف بعد  
ذلك مناسب الحروف السؤال فما خرج منها زده الى بيت القصيد من آخره وعلم عليه ثم  
أضف الى ثمانية عشر ما علمته على حرف الالف من الآحاد في مكان اثنين تبلغ الجمله  
عشرين ا دخل بها في حروف الاوتار تقف على حرف راء أثبتته وعلم عليه من بيت القصيد  
سبعة وتسعين وهو نهاية الدور في الحرف الوترى فاضرب على حرفين من الاوتار وضع  
الدور السابع وهو ابتداء لمتخرج ثمان ينشأ من الاختراعين ولهذا الدور من العدد تسعة  
تضيف لها واحد ا تكون عشرة للنشأة الثانية وهذا الواحد يزيد بعد الى اثني عشر دورا  
اذا كان من هذه النسبة أو تنقصه من الاصل تبلغ الجمله خمسة عشر فاصعد في ضلع  
ثمانية وتسعين وادخل في صدر الجدول بعشرة تقف على خمسمائة وانما هي خمسون  
نون مضاعفة بمثلها وتلك ق أثبتنا وعلم عليهما من بيت القصيد اثنين وخسين وأسقط  
من اثنين وخسين اثنين وأسقط تسعة التي للدور الباقي واحد وأربعون فادخل بها في  
حروف الاوتار تقف على واحد أثبتته وكذلك ا دخل بها في بيت القصيد تجد واحدا  
فهذا ميزان هذه النشأة الثانية فعلم عليه من بيت القصيد علامتين علامة على الالف  
الاخير الميزاني وأخرى على الالف الاولى فقط والثانية أربعة وعشرون واضرب على  
حرفين من الاوتار وضع الدور الثامن وعدته سبعة عشر الباقي خمسة ا دخل في ضلع  
ثمانية وخسين وادخل في بيت القصيد بخمسة تقف على عين بسبعين أثبتنا وعلم عليها  
وادخل في الجدول بخمسة وخذ ما قبلها من السطح وذلك واحد أثبتته وعلم عليه من  
البيت ثمانية وأربعين وأسقط واحدا من ثمانية وأربعين للاس الثاني وأضف اليها  
خمسة الدور الجمله اثنان وخسون ا دخل بها في صدر الجدول تقف على حرف ب  
غباريه وهي مرتبة مئينية لتزايد العدد فتكون مائتين وهي حرف راء أثبتنا وعلم عليها  
من القصيد أربعة وعشرين فانتقل الامر من ستة وتسعين الى الابداء وهو أربعة  
وعشرون فأضف الى أربعة وعشرين خمسة الدور وأسقط واحدا تكون الجمله ثمانية



وعشرين ادخل بالنصف منها في بيت القصيدة تقف على ثمانية أثبت ٢ وعلم عليها  
 وضع الدور التاسع وعدده ثلاثة عشر الباقي واحد اصعد في ضلع ثمانية بواحد وباست  
 نسبة العمل هنا كذا في الدور السادس لتضاعف العدد ولانه من النشأة الثانية  
 ولانه أول السلسلة الثالث من مربعات البروج وآخر الستة الرابعة من المثلثات فاضرب  
 ثلاثة عشر التي للدور في أربعة التي هي مثلثات البروج السابقة الجملة اثنان وخسون  
 ادخل بها في صدر الجدول تقف على حرف اثنين غبارية وانما هي مئينية لتجاوزها في  
 العدد عن مرتبة الا حاد والعشرات فاثبت ما تين راء وعلم عليها من بيت القصيدة ثمانية  
 وأربعين وأضف الى ثلاثة عشر الدور واحد الاس وادخل بأربعة عشر في بيت القصيدة  
 تبلغ ثمانية فعلم عليها ثمانية وعشرين واطرح من أربعة عشر سبعة يبقى سبعة اضرب  
 على حرفين من الاوتار وادخل بسبعة تقف على حرف لام أثبتته وعلم عليه من البيت  
 وضع الدور العاشر وعدده تسعة وهذا ابتداء المثلثة الرابعة واصعد في ضلع ثمانية  
 بتسعة تكون خلافا صعد بتسعة ثمانية تصير في السابع من الابتداء اضرب تسعة في  
 أربعة لصعودنا بتسعين وانما كانت تضرب في اثنين وادخل في الجدول بستة وثلاثين  
 تقف على أربعة زمامية وهي عشرية فأخذناها أحادية لقله الادوار فاثبت حرف دال  
 وان أضفت الى ستة وثلاثين واحد الاس كان حدها من بيت القصيدة فعلم عليها ولو  
 دخلت بالتسعة لا غير من غير ضرب في صدر الجدول لوقف على ثمانية فاطرح من ثمانية  
 أربعة الباقي أربعة وهو المقصود ولودخلت في صدر الجدول بثمانية عشر التي هي تسعة  
 في اثنين لوقف على واحد زمامي وهو عشرى فاطرح منه اثنين تكرر التسعة الباقي  
 ثمانية نصفها المطلوب ولودخلت في صدر الجدول بسبعة وعشرين بضربها في ثلاثة  
 لوقعت على عشرة زمامية والعمل واحد ثم ادخل بتسعة في بيت القصيدة وأثبت  
 ما خرج وهو ألف ثم اضرب تسعة في ثلاثة التي هي مركب تسعة الماضية وأسقط  
 واحد وادخل في صدر الجدول بستة وعشرين وأثبت ما خرج وهو مائتان بحرف  
 راء وعلم عليه من بيت القصيدة ستة وتسعين واضرب على حرفين من الاوتار وضع الدور  
 الحادي عشر وله سبعة عشر الباقي خمسة اصعد في ضلع ثمانية بخمسة وتحسب ما تكرر  
 عليه المشي في الدور الأول وادخل في صدر الجدول بخمسة تقف على خال فخذ ما قابله  
 من السطح وهو واحد فادخل بواحد في بيت القصيدة تكن سين أثبتته وعلم عليه أربعة  
 ولو يكون الوقف في الجدول على بيت عامر لا ثبتنا الواحد ثلاثة وأضعف سبعة عشر  
 بمثلها وأسقط واحدا وأضعفها بمثلها وزدها أربعة تبلغ سبعة وثلاثين ادخل بها في  
 الاوتار تقف على ستة أثبتتها وعلم عليها وأضعف خمسة بمثلها وادخل في البيت تقف على

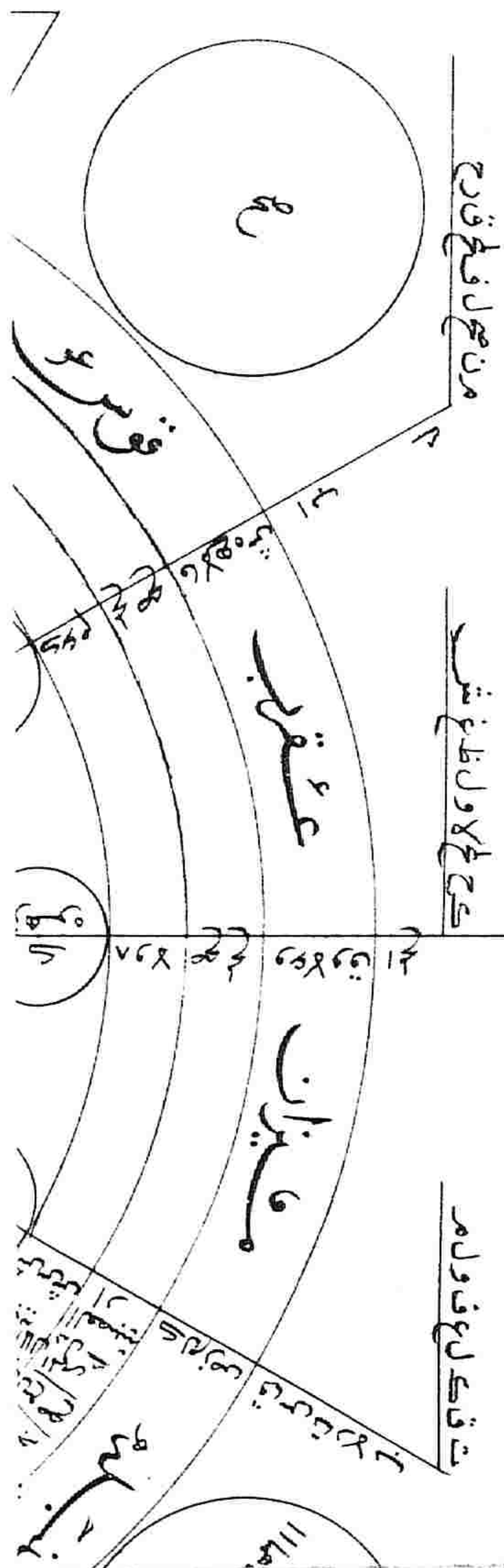
لام أثبتها وعلم عليها عشرين واضرب على حرفين من الاوتار وضع الدور الثاني عشر وله  
 ثلاثة عشر الباقي واحد اصعد في ضلع ثمانية بواحد وهذا الدور آخر الادوار وآخر  
 الاختراعين وآخر المربعات الثلاثية وآخر المثلثات الرباعية والواحد في صدر الجدول  
 يقع على ثمانين زمامية وانما هي آحاد ثمانية وليس معناها من الادوار الا واحد فلوزاد  
 عن أربعة من مربعات اثنين عشرًا وثلاثة من مثلثات اثنين عشر لكات ح وانما هي  
 د فاثبتا وعلم عليها من بيت القصيدة أربعة وسبعين ثم انظر ما ناسبها من السطح تكن  
 خمسة أضعفها بمثلها لاس تبلغ عشرة أثبت ي وعلم عليها وانظر في أي المراتب وقعت  
 وجدنا في الرابعة دخلنا بسبعة في حروف الاوتار وهذا المدخل يسمى التوليد  
 الحرفي فكانت ف اثبتها وأضف الى سبعة واحد الدور الجملة ثمانية ادخل بها في  
 الاوتار تبلغ س اثبتها وعلم عليها ثمانية واضرب ثمانية في ثلاثة الزائدة على عشرة الدور  
 فانها آخر مربعات الادوار بالمثلثات تبلغ أربعة وعشرين ادخل بها في بيت القصيدة  
 وعلم على ما يخرج منها وهو مائتان وعلامة مائة وتسعون وهو نهاية الدور الثاني في  
 الادوار الحرفية واضرب على حرفين من الاوتار وضع النتيجة الاولى ولها تسعة  
 وهذا العدد يناسب أبدأ الباقي من حروف الاوتار بعد طرحها أدوارا وذلك تسعة  
 فاضرب تسعة في ثلاثة التي هي زائدة على تسعين من حروف الاوتار وأضف لها واحدا  
 الباقي من الدور الثاني عشر تبلغ ثمانية وعشرين فادخل بها في حروف الاوتار تبلغ  
 ألف اثبتته وعلم عليه ستة وتسعين وان ضربت سبعة التي هي أدوار الحروف التسعينية  
 في أربعة وهي الثلاثة الزائدة على تسعين والواحد الباقي من الدور الثاني عشر  
 كان كذلك واصعد في ضلع ثمانية بتسعة وادخل في الجدول بتسعة تبلغ اثنين  
 زمامية واضرب تسعة فيما ناسب من السطح وذلك ثلاثة وأضف لذلك سبعة عدد  
 الاوتار الحرفية واطرح واحدا الباقي من دور اثنين عشر تبلغ ثلاثة وثلاثين ادخل بها  
 في البيت تبلغ خمسة فاثبتها وأضف تسعة بمثلها وادخل في صدر الجدول بثمانية عشر  
 وخذ ما في السطح وهو واحد فادخل به في حروف الاوتار تبلغ م اثبتته وعلم عليه  
 واضرب على حرفين من الاوتار وضع النتيجة الثانية ولها سبعة عشر الباقي خمسة  
 فاصعد في ضلع ثمانية بخمسة واضرب خمسة في ثلاثة الزائدة على تسعين تبلغ خمسة عشر  
 أضف لها واحدا الباقي من الدور الثاني عشر تكن تسعة وادخل بستة عشر في بيت  
 القصيدة تبلغ ت اثبتته وعلم عليه أربعة وستين وأضف الى خمسة الثلاثة الزائدة على  
 تسعين وزدوا واحدا الباقي من الدور الثاني عشر يكن تسعة وادخل بها في صدر الجدول  
 تبلغ ثلاثين زمامية وانظر ما في السطح تجدوا واحدا أثبتته وعلم عليه من بيت القصيدة



وهو التاسع أيضا من البيت وادخل بتسعة في صدر الجداول تقف على ثلاثة وهي  
عشرات فثبت لام وعلم عليه وضع النتيجة الثالثة وعددها ثلاثة عشر الباقي واحد  
فانقل في ضلع ثمانية بواحد وأضف الى ثلاثة عشر الثلاثة الزائدة على التسعين وواحد  
الباقى من الدور الثاني عشر تبلغ سبعة عشر وواحد النتيجة تكن ثمانية عشر ادخل بها  
في حروف الاوتار تكن لاما اثبتنا فهذا آخر العمل \* والمثال في هذا السؤال السابق  
أردنا أن نعلم أن هذه الزايرة علم محدث أو قديم بطالع أول درجة من القوس  
أثبتنا حروف الاوتار ثم حروف السؤال ثم الاصول وهي عدة الحروف ثلاثة وتسعون  
أدوارها سبعة الباقي منها تسعة الطالع واحد سلطان القوس أربعة الدور الاكبر  
واحد درج الطالع مع الدور اثنان ضرب الطالع مع الدور في السلطان ثمانية اضافة  
السلطان للطالع خمسة بيت القصد

سؤال عظیم الخلق حزت فصن اذن \* غرائب شد ضبطه الحدم مثلاً

حروف الاوتار ص ط ه ر ث ل ه م ص ص و ن ب ه س ا  
ن ل م ن ص ع ف ص و ر س ك ل م ن ص ع ف  
ض ق ر س ت ث خ ذ ط غ ش ط ي ع ح ص ر و ح ر  
و ح ل ص ك ل م ن ص ا ب ج د ه و ز ح ط ي  
\*(حروف السؤال)\* ال ز ا ي ر ج ع ل م م ح د ث ا م ق د ي م  
الدور الاول ٩ الدور الثاني ١٧ الباقي ٥ الدور الثالث ١٣ الباقي ١ الدور الرابع ٩  
الدور الخامس ١٧ الباقي ٥ الدور السادس ١٣ الباقي ١ الدور السابع ٩  
الدور الثامن ١٧ الباقي ٥ الدور التاسع ١٣ الباقي ١ الدور العاشر ١٣  
الدور الحادي عشر ١٧ الباقي ٥ الدور الثاني عشر ١٣ الباقي ١ النتيجة الاولى ٩  
النتيجة الثانية ١٧ الباقي ٥ النتيجة الثالثة ١٣ الباقي ١





من صول فالح قرح

صحت لاول ظغ شرب

ت فک ل عوف ول مر

الانتم انما اهل البيت  
الانتم انما اهل البيت  
الانتم انما اهل البيت

من صول فالح قرح

عقرب

عقرب

عقرب

عقرب

جدى

جدى

جدى

من صول فالح قرح

عقرب

عقرب

عقرب

ولا اباب دل ج ق ر س ع د ت ج ه ز ط غ ش

ب ج د ه و ز ح ط ي

من صول فالح قرح

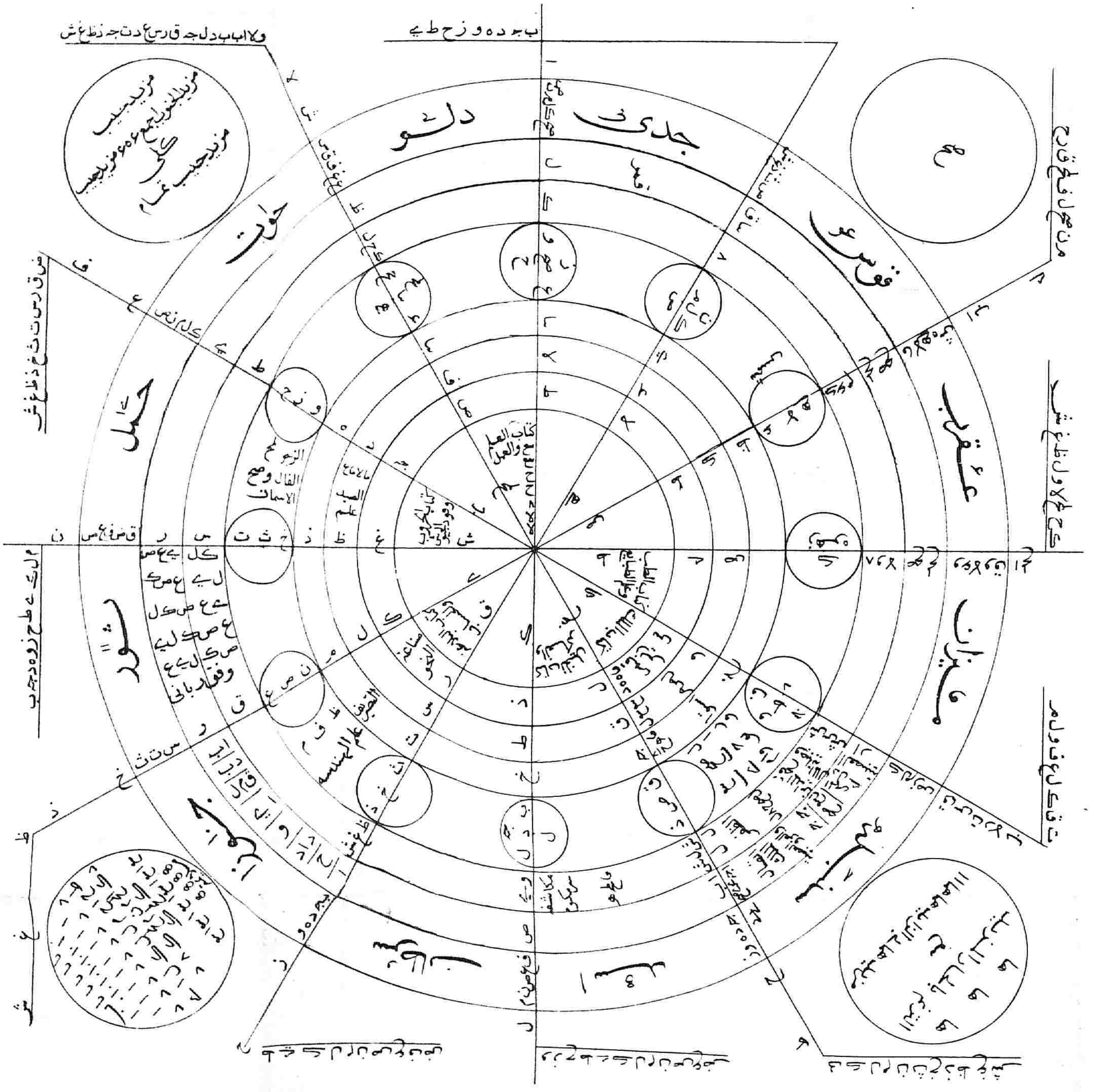
من صول فالح قرح

من صول فالح قرح

من صول فالح قرح

من صول فالح قرح

من صول فالح قرح





هذا آخر الكلام في استخراج الاجوبة من زاوية العالم منظومة وللقوم طرائق  
أخرى من غير الزاوية يستخرجون بها اجوبة المسائل غير منظومة وعندهم أن  
السري في استخراج الجواب منظومة من الزاوية انما هو من جهتهم ما لا يناسب  
وهو سؤال عظيم الخلق البيت ولذلك يخرج الجواب على رويته وأما الطرق الأخرى  
فيخرج الجواب غير منظوم فمن طرائقهم في استخراج الاجوبة ما تنقله عن بعض  
المحققين منهم

### (فصل في الاطلاع على الاسرار الخفية من جهة الارباب طائفة الحرفية)

اعلم أرشدنا الله وإياك أن هذه الحروف أصل الاسئلة في كل قضية وانما تستخرج  
الاجوبة على تجزئته بالكلية وهي ثلاثة وأربعون حرفا كما ترى والله علام الغيوب  
اول اع ظ س ا ل م خ ي د ل ز ق ت ا ر ذ ص ف ن  
غ ش ال ل ا ي ب م ض ب ح ط ل ج ه د ن ل ث ا  
وقد نظمها بعض الفضلاء في بيت جعل فيه كل حرف مستخدم من حرفين وسماه القطب  
فقال سؤال عظيم الخلق حزن فصن اذن \* غرائب شذ ضبطة الجد مثلا  
فاذا أودت استنجاح المسئلة فاحذف ما تكررت من حروفها واثبت ما فضل منه  
ثم احذف من الاصل وهو القطب لكل حرف فضل من المسئلة حرفا يائله وأثبت  
ما فضل منه ثم امزج الفضلين في سطر واحد تبدأ بالاول من فضله والثاني من فضل  
المسئلة وهكذا الى أن يتم الفضلان أو ينقذ أحدهما قبل الآخر فتضع البقية على  
ترتيبها فاذا كان عدد الحروف الخارجة بعد المزج موافقا لعدد حروف الاصل قبل  
الحذف فالعمل صحيح فيتم هذا ضيف اليها خمس نونات لتعدل بها الموازين الموسيقية  
وتكامل الحروف ثمانية وأربعين حرفا فتعمر بها جدولاً من بعاب يكون آخرها في السطر  
الاول أول ما في السطر الثاني وتنقل البقية على حالها وهكذا الى أن تتم عمارة  
الجدول ويعود السطر الاول بعينه وتتوالى الحروف في القطر على نسبة الحركة ثم  
تخرج وتر كل حرف بقسمة مربعة على أعظم جزء يوجد له وتضع الوتره مقابل الحرفه  
ثم تستخرج النسب العنصرية للحروف الجدولية وتعرف قوتها الطبيعية وموازينها  
الروحانية وغرائزها النفسانية وأسوسها الاصلية من الجدول الموضوع لذلك وهذه  
صورته

١	القوى	الموازين	الفرائز	الاسوس	و
ب	٢٨ هـ	١٥ د	١٤ ح	١٣ ح	١٢ ح
ج	٢٩ و	١٦ د	١٥ ح	١٤ ح	١٣ ح
د	٣٠ ط	١٧ د	١٦ ح	١٥ ح	١٤ ح
هـ	٣١ ط	١٨ د	١٧ ح	١٦ ح	١٥ ح
و			١٨ ح	١٧ ح	١٦ ح
ز			١٩ ح	١٨ ح	١٧ ح

١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ١٠١ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ ٦٢٤ ٦٢٥ ٦٢٦ ٦٢٧ ٦٢٨ ٦٢٩ ٦٣٠ ٦٣١ ٦٣٢ ٦٣٣ ٦٣٤ ٦٣٥ ٦٣٦ ٦٣٧ ٦٣٨ ٦٣٩ ٦٤٠ ٦٤١ ٦٤٢ ٦٤٣ ٦٤٤ ٦٤٥ ٦٤٦ ٦٤٧ ٦٤٨ ٦٤٩ ٦٥٠ ٦٥١ ٦٥٢ ٦٥٣ ٦٥٤ ٦٥٥ ٦٥٦ ٦٥٧ ٦٥٨ ٦٥٩ ٦٦٠ ٦٦١ ٦٦٢ ٦٦٣ ٦٦٤ ٦٦٥ ٦٦٦ ٦٦٧ ٦٦٨ ٦٦٩ ٦٧٠ ٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٣ ٦٧٤ ٦٧٥ ٦٧٦ ٦٧٧ ٦٧٨ ٦٧٩ ٦٨٠ ٦٨١ ٦٨٢ ٦٨٣ ٦٨٤ ٦٨٥ ٦٨٦ ٦٨٧ ٦٨٨ ٦٨٩ ٦٩٠ ٦٩١ ٦٩٢ ٦٩٣ ٦٩٤ ٦٩٥ ٦٩٦ ٦٩٧ ٦٩٨ ٦٩٩ ٧٠٠ ٧٠١ ٧٠٢ ٧٠٣ ٧٠٤ ٧٠٥ ٧٠٦ ٧٠٧ ٧٠٨ ٧٠٩ ٧١٠ ٧١١ ٧١٢ ٧١٣ ٧١٤ ٧١٥ ٧١٦ ٧١٧ ٧١٨ ٧١٩ ٧٢٠ ٧٢١ ٧٢٢ ٧٢٣ ٧٢٤ ٧٢٥ ٧٢٦ ٧٢٧ ٧٢٨ ٧٢٩ ٧٣٠ ٧٣١ ٧٣٢ ٧٣٣ ٧٣٤ ٧٣٥ ٧٣٦ ٧٣٧ ٧٣٨ ٧٣٩ ٧٤٠ ٧٤١ ٧٤٢ ٧٤٣ ٧٤٤ ٧٤٥ ٧٤٦ ٧٤٧ ٧٤٨ ٧٤٩ ٧٥٠ ٧٥١ ٧٥٢ ٧٥٣ ٧٥٤ ٧٥٥ ٧٥٦ ٧٥٧ ٧٥٨ ٧٥٩ ٧٦٠ ٧٦١ ٧٦٢ ٧٦٣ ٧٦٤ ٧٦٥ ٧٦٦ ٧٦٧ ٧٦٨ ٧٦٩ ٧٧٠ ٧٧١ ٧٧٢ ٧٧٣ ٧٧٤ ٧٧٥ ٧٧٦ ٧٧٧ ٧٧٨ ٧٧٩ ٧٨٠ ٧٨١ ٧٨٢ ٧٨٣ ٧٨٤ ٧٨٥ ٧٨٦ ٧٨٧ ٧٨٨ ٧٨٩ ٧٩٠ ٧٩١ ٧٩٢ ٧٩٣ ٧٩٤ ٧٩٥ ٧٩٦ ٧٩٧ ٧٩٨ ٧٩٩ ٨٠٠ ٨٠١ ٨٠٢ ٨٠٣ ٨٠٤ ٨٠٥ ٨٠٦ ٨٠٧ ٨٠٨ ٨٠٩ ٨١٠ ٨١١ ٨١٢ ٨١٣ ٨١٤ ٨١٥ ٨١٦ ٨١٧ ٨١٨ ٨١٩ ٨٢٠ ٨٢١ ٨٢٢ ٨٢٣ ٨٢٤ ٨٢٥ ٨٢٦ ٨٢٧ ٨٢٨ ٨٢٩ ٨٣٠ ٨٣١ ٨٣٢ ٨٣٣ ٨٣٤ ٨٣٥ ٨٣٦ ٨٣٧ ٨٣٨ ٨٣٩ ٨٤٠ ٨٤١ ٨٤٢ ٨٤٣ ٨٤٤ ٨٤٥ ٨٤٦ ٨٤٧ ٨٤٨ ٨٤٩ ٨٥٠ ٨٥١ ٨٥٢ ٨٥٣ ٨٥٤ ٨٥٥ ٨٥٦ ٨٥٧ ٨٥٨ ٨٥٩ ٨٦٠ ٨٦١ ٨٦٢ ٨٦٣ ٨٦٤ ٨٦٥ ٨٦٦ ٨٦٧ ٨٦٨ ٨٦٩ ٨٧٠ ٨٧١ ٨٧٢ ٨٧٣ ٨٧٤ ٨٧٥ ٨٧٦ ٨٧٧ ٨٧٨ ٨٧٩ ٨٨٠ ٨٨١ ٨٨٢ ٨٨٣ ٨٨٤ ٨٨٥ ٨٨٦ ٨٨٧ ٨٨٨ ٨٨٩ ٨٩٠ ٨٩١ ٨٩٢ ٨٩٣ ٨٩٤ ٨٩٥ ٨٩٦ ٨٩٧ ٨٩٨ ٨٩٩ ٩٠٠ ٩٠١ ٩٠٢ ٩٠٣ ٩٠٤ ٩٠٥ ٩٠٦ ٩٠٧ ٩٠٨ ٩٠٩ ٩١٠ ٩١١ ٩١٢ ٩١٣ ٩١٤ ٩١٥ ٩١٦ ٩١٧ ٩١٨ ٩١٩ ٩٢٠ ٩٢١ ٩٢٢ ٩٢٣ ٩٢٤ ٩٢٥ ٩٢٦ ٩٢٧ ٩٢٨ ٩٢٩ ٩٣٠ ٩٣١ ٩٣٢ ٩٣٣ ٩٣٤ ٩٣٥ ٩٣٦ ٩٣٧ ٩٣٨ ٩٣٩ ٩٤٠ ٩٤١ ٩٤٢ ٩٤٣ ٩٤٤ ٩٤٥ ٩٤٦ ٩٤٧ ٩٤٨ ٩٤٩ ٩٥٠ ٩٥١ ٩٥٢ ٩٥٣ ٩٥٤ ٩٥٥ ٩٥٦ ٩٥٧ ٩٥٨ ٩٥٩ ٩٦٠ ٩٦١ ٩٦٢ ٩٦٣ ٩٦٤ ٩٦٥ ٩٦٦ ٩٦٧ ٩٦٨ ٩٦٩ ٩٧٠ ٩٧١ ٩٧٢ ٩٧٣ ٩٧٤ ٩٧٥ ٩٧٦ ٩٧٧ ٩٧٨ ٩٧٩ ٩٨٠ ٩٨١ ٩٨٢ ٩٨٣ ٩٨٤ ٩٨٥ ٩٨٦ ٩٨٧ ٩٨٨ ٩٨٩ ٩٩٠ ٩٩١ ٩٩٢ ٩٩٣ ٩٩٤ ٩٩٥ ٩٩٦ ٩٩٧ ٩٩٨ ٩٩٩ ١٠٠٠



ثم تأخذ وتر كل حرف بعد ضربه في أسوس أوتاد الفلك الأربعة واحدا زمايلي الأوتاد وكذلك السواقط لأن نسبتها مضطربة وهذا الخارج هو أول رتب السريان ثم تأخذ مجموع العناصر وتحط منها أسوس المولدات يبقى أس عالم الخلق بعد عروضة للمعد الكونية فتعمل عليه بعض المجردات عن المواد وهي عناصر الامداد يخرج أفق النفس الأوسط وتطرح أول رتب السريان من مجموع العناصر يبقى عالم المتوسط وهذا مخصوص بعوالم الأكوان البسيطة لا المركبة ثم تضرب عالم المتوسط في أفق النفس الأوسط يخرج الأفق الأعلى فتعمل عليه أول رتب السريان ثم تطرح من الرابع أول عناصر الامداد الأصلية يبقى ثالث رتبة السريان فتضرب بمجموع أجزاء العناصر الأربعة أبدا في رابع مرتبة السريان يخرج أول عالم التفصيل والثاني في الثاني يخرج ثاني عالم التفصيل والثالث في الثالث يخرج ثالث عالم التفصيل والرابع في الرابع يخرج رابع عالم التفصيل فتجمع عوالم التفصيل وتحط من عالم الكل تبقى العوالم المجردة فتقسم على الأفق الأعلى يخرج الجزء الأول ويقسم المنكسر على الأفق الأوسط يخرج الجزء الثاني وما انكسر فهو الثالث ويتعين الرابع هذا في الرابع وان شئت أكثر من الرابع فتستكثر من عوالم التفصيل ومن رتب السريان ومن الاوقات بعد الحروف والله يرشدنا وإياك وكذلك اذا قسم عالم التجربة على أول رتب السريان خرج الجزء الأول من عالم التركيب وكذلك الى نهاية الرتبة الأخيرة من عالم الكون فافهم وتدبر والله المرشد المعين ومن طر يقهم أيضا في استخراج الجواب قال بعض المحققين منهم اعلم أيدينا الله وإياك بروح منه أن علم الحروف جايل يتوصل العالم به لما لا يتوصل بغيره من العلوم المتداولة بين العالم وللعلم به شرائط تلزم وقد يستخرج العالم أسرار الخليفة وسرار الطبيعة فطاع بذلك على نتيجتي الفلسفة أعني السيميا وأختها ويرفع له حجاب الجهولات ويطلع بذلك على مكنون خبايا القلوب وقد شهدت جماعة بأرض المغرب ممن اتصل بذلك فأظهر الغرائب وخرق العوائد وتصرف في الوجود بتأييد الله واعلم أن ملاك كل فضيلة الاجتهاد وحسن الملكة مع الصبر مفتاح كل خير كما أن الخرق والمجته رأس الحرمان فأقول اذا أردت أن تعلم قوة كل حرف من حروف الفنا يطوس أعني أبجد الى آخر العدد وهذا أول مدخل من علم الحروف فانظر ما لذلك الحرف من الاعداد فتلک الدرجة التي هي مناسبة للحرف هي قوته في الجسمانيات ثم اضرب العدد في مثله فتخرج لك قوته في الروحانيات وهي وتره وهذا في الحروف المنقوطة لا يتم بل يتم لغير المنقوطة لان المنقوطة منها مراتب المعان باقى عليها البيان فيما بعد واعلم أن لكل شكل من أشكال الحروف شكلا في العالم

العلوى أعني الكرسي ومنها المتحرل والساكن والعلوى والسفلى كما هو مرقوم في أما كنهه من الحداد والموضوعة في الزيارج واعلم أن قوى الحروف ثلاثة أقسام الأول وهو أقلها قوة تظهر بعد كتابتها فتكون كتابته لعالم روحاني مخصوص بذلك الحرف المرسوم فتخرج ذلك الحرف بقوة نفسانية وجمع همة كانت قوى الحروف مؤثرة في عالم الاجسام الثاني قوتها في الهيئة الفكرية وذلك ما يصدر عن تصريف الروحانيات لها فهي قوة في الروحانيات العلويات وقوة شكلية في عالم الجسمانيات الثالث وهو ما يجمع الباطن أعني القوة النفسانية على تكوينه فتكون قبل النطق به صورة في النفس بعد النطق به صورة في الحروف وقوة في النطق وأما طبائعها فهي الطبيعيات المنسوبة للمتولدات في الحروف وهي الحرارة واليبوسة والحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة والرطوبة فهذه أسرار العدد اليماني والحرارة جامعة للهواء والنار وهما ا ه ط م ف ش ذ ز ح ق ث ظ والبرودة جامعة للهواء والماء ب و ي ن ص ت ض د ح ل ع ر خ غ واليبوسة جامعة للنار والارض ا ه ط م ف ش ذ ب و ي ن ص ت ض فهذه نسبة حروف الطبائع وتداخل أجزاء بعضها في بعض وتداخل أجزاء العالم فيها علويات وسفليات بأسباب الاتهامات الأولى أعني الطبائع الأربع المنفردة فتجد أردت استخراج مجهول من مسئلة ما فحق طالع السائل أو طالع مسئلته واستنطق حروف أوتادها الأربعة الأولى والرابع والسابع والعاشر مستوية مرتبة واستخرج أعداد القوى والأوتاد كما سنبين واجمل وانسب واستنتج الجواب يخرج لك المطلوب اما بصريح اللفظ أو بالمعنى وكذلك في كل مسئلة تقع لك بيانه اذا أردت أن تستخرج قوى حروف الطالع مع اسم السائل والحاجة فاجمع أعدادها بالجل الكبر فكل الطالع الحمل رابعة السرطان سابعة الميزان عاشره الجدى وهو أقوى هذه الأوتاد فأسقط من كل برج حرفي التعريف وانظر ما يخص كل برج من الاعداد المنطقة الموضوعة في دائرتها واحذف أجزاء الكسر في النسب الاستنطاقية كما هو أثبت تحت كل حرف ما يخصه من ذلك ثم أعدد حروف العناصر الأربعة وما يخصها كالأول وارسم ذلك كله أحرفا ورتب الأوتاد والقوى والقرائن سطرا متمترجا وكسر واضرب ما يضرب لاستخراج الموازين واجمع واستنتج الجواب يخرج لك الضمير وجوابه مثاله افرض ان الطالع الحمل كما تقدم ترسم ح م ل فلحاء من العدد ثمانية لها النصف والرابع والثمن د ب ا الميم لها من العدد اربعون لها النصف والرابع والثمن والعشر ونصف العشر اذا أردت التدقيق م ل ي ه

اعل هذه عبارة  
بعض المشاركة لأن  
هذا ترتيب المشاركة  
لاترتيب المغاربة  
الذي قدمه قاله  
نصر الله مصححه



د اللام لهما من العدد ثلاثون لهما النصف والثلاثان والثالث والخمس والسادس  
والعشر **ك** ي و ه ج وهكذا تفعل بسائر حروف المثلة والاسم من كل  
لفظ يقع لك وأما استخراج الاوتاد فهو أن تقسم مربع كل حرف على أعظم جزء  
له مثاله حرف د له من الاعداد أربعة مربعها ستة عشر اقسمها على أعظم جزء  
يوجد لها وهو اثنان يخرج وتر الدال ثمانية ثم تضع **ك** كل وتر مقابل الحرفه ثم تستخرج  
النسب العنصرية كما تقدم في شرح الاستنطاق ولها قاعدة تطرد في استخراجها من  
طبع الحروف وطبع البيت الذي يحل فيه من الجدول كما ذكر الشيخ من عرف  
الاصطلاح والله أعلم

(فصل في الاستدلال على ما في الضمان الخفية بالقوانين الحرفية)

وذلك لوسأل سائل عن عليل لم يعرف مرضه ما علته وما الموافق لبرته منه فوالسائل  
أن يسمى ما شاء من الأشياء على اسم العلة المجهولة لتجعل ذلك الاسم قاعدة لك ثم  
استمطق الاسم مع اسم الطالع والعناصر والسائل واليوم والساعة أن أردت التدقيق  
في المسئلة والاقصرت على الاسم الذي سماه السائل وفعلت به كما بينت فأقول مثلاً سمي  
السائل فرساً فأثبت الحروف الثلاثة مع أعدادها المنطقة بيانه أن للقائم من العدد  
ثمانين ولها م ك ي ح ب ثم الراء لها من العدد مائتان ق ن ل ي  
ثم السين لها من العدد ستون ولها م ل ك فالواو وعدتها م د ج ب  
والسين مثله ولها م ل ك فاذا بطت حروف الاسماء وجدت عنصرين  
متساويين فاحكم لأكثرها ما حروفها بالغلبة على الآخر ثم اجل عدد حروف  
عناصر اسم المطلوب وحروفه دون ببط وكذلك اسم الطالب واحكم للأكثر  
والأقوى بالغلبة

وصفة قوى استخراج العناصر

فتكون الغلبة هنا للتراب وطبعه البرودة والبيوسة طبع السوداء فتحكم على المريض  
بالسوداء فإذا ألفت من حروف الاستنطاق كلاما على نسبة تقريبيه خرج موضع  
الوجع في الحلق ويوافقهم من الادوية حقنة ومن الاشربة شراب الليمون هذا ما خرج  
من قوى أعداد حروف اسم فرس وهو مثال تقريبي مختصر وأما استخراج قوى العناصر

پیاض بالاصل

من الاسماء العلمية فهو أن نسمى مثلاً محمد اقترسم أحرفه مقطعة ثم نضع أسماء العناصر  
الأربعة على ترتيب الفلك يوضح لك ما في كل عنصر من الحروف والعدد ومثاله

ناری	ترای	هوائی	مائ
۱۱۱	ب ب ب	ج ج ج ج ج ج ج	د د د د د
ه ه ه	و و و	ز ز ز ز ز ز ز	ح ح ح ح ح ح ح
ط ط ط	ی ی ی	ک ک ک ک ک ک ک	ل ل ل ل ل ل ل
م م م	ن ن ن	ص ص ص ص ص ص ص	ع ع ع ع ع ع ع
ف ف ف	ض ض ض	ق ق ق ق ق ق ق	ر ر ر ر ر ر ر
س س س	ت ت ت	ث ث ث ث ث ث ث	خ خ خ خ خ خ خ
ذ ذ ذ	ظ ظ ظ	غ غ غ غ غ غ غ	ش ش ش ش ش ش ش

فتمجد أقوى هذه العناصر من هذا الاسم المذكور عنصر الماء لأن عدد حروفه عشرون حرفاً جعلت له الغلبة على بقية عناصر الاسم المذكور وهكذا يفعل بجميع الاسماء حينئذ تضاف إلى أواخرها أولوتر المتسوب للطالع في الزايرة أو لولوتر البيت المنسوب لما كان بن وهب الذي جعله قاعدة لمخرج الاسئلة وهو هذا

سؤال عظیم الخلق حزت فصن اذن \* غرائب شک ضبطه الجدمثلا

وهو وتر مشهور بالاستخراج المجهولات وعليه كان يعتمد ابن الرقام وأصحابه وهو عمل تام قام بنفسه في المثالات الوضعية وصفة العمل بهذا الوتر المذكور أن ترسمه مقطعا معتزجا بألفاظ السؤال على قانون صنعة التكمير وعدة حروف هذا الوتر أعني البيت ثلاثة وأربعون حرفا لأن كل حرف مشدد من حرفين ثم تحذف ما تكررت عند المزج من الحروف ومن الأصل لكل حرف فضل من المسئلة حرفا مماثلة وثبت الفضلين سطرًا معتزجا بعضه ببعض الحروف الأول من فضله القطب والثاني من فضله السؤال حتى يتم الفضلтан جميعا فتكون ثلاثة وأربعين فتضيف إليها خمس نونات ليكون ثمانية وأربعين لتعدل بها الموازين الموسيقية ثم تضع الفضلة على ترتيبها فإن كان عدد الحروف الخارجة بعد المزج يوافق العدد الأصلي قبل الحذف فالعمل صحيح ثم عمر بما مررت جدولا مر بها يكون آخر ما في السطر الأول أول ما في السطر الثاني وعلى هذا النسق حتى يعود السطر الأول بعينه وتتوالى الحروف في القطر على نسبة الحركة ثم تخرج وتر كل حرف كما تقدم وتضعه مقابلا لحرفه ثم تستخرج النسب العنصرية للحروف الجدولية لتعرف قوتها الطبيعية وموازينها الروحانية وغرائزها النفسانية وأسسها



الاصليّة من الجدول الموضوع لذلك وصفة استخراج النسب العنصرية هو أن تنظر الحرف الأول من الجدول ما طبيعته وطبيعة البيت الذي حل فيه فان اتفقت فحسن والا فاستخرج بين الحرفين نسبة ويتسع هذا القانون في جميع الحروف الجدولية وتحقق ذلك سهل على من عرف قوانينه كما هو مقرر في دوائرها الموسيقية ثم تأخذ وتر كل حرف بعد ضربه في أسوس أو تاد الفلك الاربعة كما تقدم واحذر ما يلي الاوتاد وكذلك السواقل لأن نسبتها مضطربة وهذا الذي يخرج لك هو أول مراتب السريان ثم تأخذ مجموع العناصر وتخط منها أسوس المولدات يبقى اس عالم الخلق بعد عروضة للمدد الكونية فتحمل عليه بعض المجردات عن المواد وهي عناصر الامداد يخرج أفق النفس الاوسط وتطرح أول رتب السريان من مجموع العناصر يبقى عالم التوسط وهذا مخصوص بعوالم الاكوان البسيطة لا المركبة ثم تضرب عالم التوسط في أفق النفس الاوسط يخرج الأفق الاعلى فتحمل عليه أول رتب السريان ثم تطرح من الرابع أول عناصر الامداد الاصلية يبقى ثالث رتبة السريان ثم تضرب مجموع أجزاء العناصر الاربعة أبدأ في رابع رتب السريان يخرج أول عالم التفصيل والثاني في الثاني يخرج ثاني عالم التفصيل وكذلك الثالث والرابع فتجمع عوالم التفصيل وتخط من عالم الكل تبقى العوالم المجردة فتقسم على الأفق الاعلى يخرج الجزء الأول ومن هنا يطرد العمل في التامة وله مقامات في كتب ابن وحشية والبوني وغيرهما وهذا التدبير يجري على القانون الطبيعي الحكيم في هذا الفن وغيره من فنون الحكمة الالهية وعليه مدار وضع الزياجر الحرفية والصنعة الالهية والنيرجات الفلسفية والله الملمهم وبه المستعان وعليه التكلان وحبنا الله ونعم الوكيل

### (علم الكيمياء)

٢٤

وهو علم يتطرق في المادّة التي يتم بها كون الذهب والفضة بالصناعة ويشرح العمل الذي يوصل الى ذلك فيتصفحون المكونات كلها بعد معرفة أجزائها وقواها لعلمهم يعثرون على المادّة المستعدة لذلك حتى من الفضلات الحيوانية كالعظام والريش والبيض والعدرات فضلا عن المعادن ثم يشرح الاعمال التي تخرج بها تلك المادّة من القوّة الى الفعل مثل حل الاجسام الى أجزائها الطبيعية بالتصعيد والتقطير ووجد الذائب منها بالتكليس وامهائها الصلب بالفهر والصلابة وأمثال ذلك وفي زعمهم أنه يخرج بهذه الصناعات كلها جسم طبيعي يسمونه الاكسبرو أنه يلقى منه على الجسم المعدني المستعد لقبول صورة الذهب أو الفضة بالاستعداد القريب من الفعل مثل الرصاص

والقصدير والنحاس بعد أن يحمي بالنار فيعود ذهبا ابريزا ويكون من ذلك الاكسبر اذا ألغزوا اصطلاحاتهم بالروح وعن الجسم الذي يلقى عليه بالجسد فشرح هذه الاصطلاحات وصورة هذا العمل الصناعي الذي يقاب هذه الاجساد المستعدة الى صورة الذهب والفضة هو علم الكيمياء وما زال الناس يؤلفون فيها قديما وحديثا وربما يعزى الكلام فيها الى من ليس من أهلها وامام المدونين فيها جابر بن حيان حتى انهم يخصونها به فيسمونه علم جابر وله فيها سبعون رسالة كلها شبيهة بالالغاز وزعموا أنه لا يفتح مقفلها الا من أحاط علما بجميع ما فيها والطغرائي من حكماء المشرق المتأخرين له فيها دواوين ومناظرات مع أهلها وغيرهم من الحكماء وكتب فيها مسئلة الجربطلي من حكماء الاندلس كتابه الذي سماه رتبة الحكيم وجعله قريئنا لكتابته الاخر في الصحر والظلمات الذي سماه غاية الحكيم وزعم أن هاتين الصناعتين هما نتيجتان للحكمة وثمرتان للعلوم ومن لم يقف عليهما فهو فاقد ثمرة العلم والحكمة أجمع وكلامه في ذلك الكتاب وكلامهم أجمع في تأليفهم هي الغاية تعذر فهمها على من لم يعان اصطلاحاتهم في ذلك \* ونحن نذكر سبب عدولهم الى هذه الرموز والالغاز ولابن المغيرة من أئمة هذا الشأن كلمات شعرية على حروف المعجم من أبدع ما يجي في الشعر ملغوزة كلها الغز لا حاجي والمعاينة فلا تكاد تفهم وقد ينسبون للغزالي رحمه الله بعض التآليف فيها وليس بصحيح لأن الرجل لم تكن مداركه العالية لتقف عن خطأ ما يذهبون اليه حتى يتخلل وربما نسبوا بعض المذاهب والاقوال فيها لخالدين يزيد بن معاوية ربيب مروان بن الحكم ومن المعلوم البين أن خالدا من الجيل العربي والبداءة اليه أقرب فظهر بعيد عن العلوم والصناعات بالجولة فكيف له بصناعة غريبة المنحى مبنية على معرفة طبائع المركبات وأجزائها كتب الناظرين في ذلك من الطبيعيات والطب لم تظهر بعد ولم تترجم اللهم الا أن يكون خالدين يزيد آخر من أهل المدارك الصناعية تشبه باسمه فمكن \* وأنا أنقل لك هنا رسالة أبي بكر بن بشرون لابي السمع في هذه الصناعة وكلامها من تليد مسئلة فيستدل من كلامه فيها على ما ذهب اليه في شأنها اذا أعطيت حقه من التأمل قال ابن بشرون بعد صدور من الرسالة خارج عن الغرض والمقدمات التي لهذه الصناعة الكريمة قد ذكرها الاولون واقتص جميعها أهل الفلسفة من معرفة تكوين المعادن وتخليق الاحجار والجواهر وطباع البقاع والاماكن فنعنا اشتهارها من ذكرها وانمكن أبين لك من هذه الصنعة ما يحتاج اليه فتبدأ بعرفته فقد قالوا ينبغي لطلاب هذا العلم أن يعلموا أولا ثلاث خصال أولها اهل تكون والثانية من أي تكون والثالثة من أي كيف تكون فاذا عرف هذه الثلاثة



وأما هذا فقد ظهر بطلوبه وبلغ نهايته من هذا العلم فأما البحث عن وجودها والاستدلال عن تكوّنهما فقد كفيّا كما بعثنا به اليك من الاكسير وأما من أي شيء تكون فأنما يريدون بذلك البحث عن الحجر الذي يمكنه العمل وان كان العمل موجودا من كل شيء بالقوة لأنهم من الطبائع الاربع منها تركبت ابتداء واليه ترجع انتهاء ولكن من الاشياء ما يكون فيه بالقوة ولا يكون بالفعل وذلك ان منها ما يمكن تفصيلها ومنها ما لا يمكن تفصيلها فالتي يمكن تفصيلها تعالج ولا تدبر لأنها بالقوة فقط وانما يمكن تفصيلها والتي لا يمكن تفصيلها لا تعالج ولا تدبر لأنها بالفعل فقط وانما يمكن تفصيلها لا تدبر الا بعض طبائعهما في بعض وفضل قوة الكبير منها على الصغير فينبغي لك وفقك الله أن تعرف أوفق الاجزاء المنفصلة التي يمكن فيها العمل وجنسه وقوته وعمله وما يدبر من اخل والعقد والتنقية والتكليس والتشيف والتقليب فان من لم يعرف هذه الاصول التي هي عماد هذه الصناعة لم ينجح ولم يظفر بخير أبدا وينبغي لك ان تعلم هل يمكن أن يستعان عليه بغيره أو يكتفى به وحده وهل هو واحد في الابتداء أو شاركه غيره فصارت في التدبير واحد افسى حجرا وينبغي لك أن تعلم كيفية عمله وكيفية وزانه وأزمانه وكيف تركيب الروح فيه وادخال النفس عليه وهل تقدر النار على تفصيلها منه بعد تركيبها فان لم تقدر فلا يعلو وما السبب الموجب لذلك فان هذا هو المطلوب فافهم \* واعلم ان الفلاسفة كلهم ادحت النفس وزعمت انها المدبرة للجسد والحاملة له والدافعة عنه والفاعلة فيه وذلك ان الجسد اذا خرجت النفس منه مات وبرد فلم يقدر على الحركة والامتناع من غيره لانه لا حياة فيه ولا نور وانما ذكرت الجسد والنفس لان هذه الصفات شبيهة بجسد الانسان الذي تركيبه على الغذاء والعشاء وقوامه وعظامه بالنفس الحية النورية التي بها يفعل العظام والاشياء المتقابلة التي لا يقدر عليها غيرها بالقوة الحية التي فيها وانما يفعل الانسان لاختلاف تركيب طبائعه ولو اتفقت طبائعه لسلت من الاعراض والتضاد ولم تقدر النفس على الخروج من بدنه ولكان خالدا باقيا فسمي مدبر الاشياء تعالى \* واعلم ان الطبائع التي يحدث عنها هذا العمل كيفية دافعة في الابتداء فيضية محتاجة الى الانتهاء وليس لها اذا صارت في هذا الحدة أن تستحيل الى مادته تركبت كما قلناه انفا في الانسان لان طبائع هذا الجوهر قد لزمت بعضها بعضا وصارت شيئا واحدا شبيها بالنفس في قوتها وفعلها وبالجسد في تركيبه ومجسّمته بعد ان كانت طبائع مفردة بأعيانها فاجبا من افعال الطبائع أن القوة للضعف الذي يقوى على تفصيل الاشياء وتركيبها وتتمامها فلذلك قلت قوى وضعيف وانما وقع التغيير والفناء في التركيب الاول للاختلاف وعدم ذلك في الثاني للاتفاق

\* وقد قال بعض الاولين التفصيل والتقطيع في هذا العمل حياة وبقاء والتركيب موت وفناء وهذا الكلام دقيق المعنى لان الحكيم أراد بقوله حياة وبقاء خروجه من العدم الى الوجود لانه مادام على تركيبه الاول فهو فان لا محالة فاذا ركب التركيب الثاني عدم الفناء والتركيب الثاني لا يكون الا بعد التفصيل والتقطيع فاذا التفصيل والتقطيع في هذا العمل خاصة فاذا بقي الجسد المحلول انبسط فيه لعدم الصورة لانه قد صار في الجسد بمنزلة النفس التي لا صورة لها وذلك أنه لا وزن له فيه وسترى ذلك ان شاء الله تعالى وقد ينبغي لك أن تعلم أن اختلاط اللطيف باللطيف أهون من اختلاط الغليظ بالغليظ وانما أرشدك بذلك التشبه كل في الارواح والاجساد لان الاشياء تتصل بأشكالها وذكرت لك ذلك لتعلم أن العمل أوفق وأيسر من الطبائع اللطيفة الروحانية منها من الغليظة الجسمية وقد يتصور في العقل ان الاجزاء أقوى وأصبر على النار من الارواح كما ترى الذهب والحديد والنحاس أصبر على النار من الكبريت والزرنيق وغيرهما من الارواح فأقول ان الاجساد قد كانت ارواحا في بدنها فلما أصابها حر الكيان قلبها أجساد الرجة غليظة فلم تقدر النار على أكلها الا فراط غلظتها وتلججها فاذا أفرطت النار عليها صيرتها ارواحا كما كانت أول خلقها وان تلك الارواح اللطيفة اذا أصابتها النار أبت ولم تقدر على البقاء عليها فينبغي لك أن تعلم ما صير الاجساد في هذه الحالة وصير الارواح في هذا الحال فهو أجل ما تعرفه \* أقول انما أبت تلك الارواح لاشتعالها ولطافتها وانما اشتعلت لكثرة رطوبتها ولان النار اذا أحست بالرطوبة تعلقت بها لانها هواية نشاكل النار ولا تزال تغتذي بها الى أن تنفنى وكذلك الاجساد اذا أحست بوصول النار اليها القلة تلججها وغلظتها وانما صارت تلك الاجساد لا تشتعل لانها مركبة من أرض وما صابر على النار لطيفه متحد بكثيفه لطول الطبخ اللين المازج للاشياء وذلك أن كل متلاش انما يتلاشى بالنار لمفارقة لطيفه من كثيفه ودخول بعضه في بعض على غير التحليل والموافقة فصارت تلك الانضمام والتداخل مجاورة لا ممازجة فسهل بذلك افتراقهما كالماء والدهن وما أشبههما وانما وصفت ذلك لتستدل به على تركيب الطبائع وتقابلهما فاذا علمت ذلك علمنا شيئا فقد أخذت حظك منها وينبغي لك أن تعلم أن الاختلاط التي هي طبائع هذه الصناعة موافقة لبعضها البعض مفصلة من جوهر واحد يجمعها نظام واحد بتدبير واحد لا يدخل عليه غريب في الجز منه ولا في الكل كما قال الفيلسوف انك اذا أحكمت تدبير الطبائع وتأليفها ولم تدخل عليها غريبا فقد أحكمت ما أردت احكامه وقوامه اذا الطبيعة واحدة لا غريب فيها فن أدخل عليها غريبا فقد ذراغ عنها ووقع



في الخطأ \* واعلم ان هذه الطبيعة اذا حل لها جسد من قرائنها على ما ينبغي في الحل حتى يشاكلها في الرقة واللطافة انبسط فيه وجرت معه حيثما جرى لان الاجساد مادامت غليظة جافية لا تنبسط ولا تتزاحج وحل الاجساد لا يكون بغير الارواح فافهم هذا الله هذا القول واعلم هذا الله ان هذا الحل في جسد الحيوان هو الحق الذي لا يضمحل ولا ينتقض وهو الذي يقرب الطبائع ويمسكها ويظهر لها ألوانا وزهرا عجيبه وليس كل جسد يحل خلاف هذا هو الحل التام لانه مخالف للحياة وانما حله بما يوافق ويدفع عنه حرق النار حتى يزول عن الغلظ وتقلب الطبائع عن حالاتها الى ماله ان تنقلب من اللطافة والغلظ فاذا بلغت الاجساد نهايتها من التحليل والتلطف ظهرت لها هنالك قوة تمسك وتغوص وتقلب وتنفذ وكل عمل لا يرى له مصداق في أوله فلا خير فيه \* واعلم ان البارد من الطبائع هو يبس الاشياء ويعتد رطوبتها والبارد منها يظهر رطوبتها ويعتد يبسها وانما أفردت الحروا والبرد لانها مفاعلان والرطوبة واليبس منفعلان وعلى انفعال كل واحد منهما صاحبه تحدث الاجسام وتتكون وان كان الحار أكثر فعلا في ذلك من البرد لان البرد يبس له نقل الاشياء ولا تتحركها والحار هو عملة الحركة ومتى ضعفت عنه الكون وهو الحرارة لم يتم منها شيء أبدا كما أنه اذا أفرطت الحرارة على شيء لم يكن ثم بردا حرقته وأهلكته فن أجل هذه العلة احتيج الى البارد في هذه الاعمال ليضيق به كل ضد على ضده ويدفع عنه حر النار ولم يحذر الفلاسفة أكثر شيء الا من النيران المحرقة وأمرت بتطهير الطبائع والانساف واخراج دنسها ورطوبتها ونفي آفاتهما وأوساخها عنها على ذلك استقام رأيهم وتدبيرهم فانما علمهم انما هو مع النار أولا واليه يصير آخر اقل ذلك قالوا اياكم والنيران المحرقات وانما أرادوا بذلك نفي الآفات التي معها فتجمع على الجسد آفتين فتكون أسرع لهلاكه وكذلك كل شيء انما يتلاشى ويفسد من ذاته لتضاد طبائعه واختلافه فيتوسط بين شيئين فلم يجد ما يقويه ويعينه الا قهرته الآفة وأهلكته واعلم ان الحكماء كلها ذكروا ترداد الارواح على الاجساد مرارا ليكون ألزم اليها وأقوى على قتال النار اذا هي باشرتها عند الالفه أعني بذلك النار العنصرية بقا علمه \* ولنقل الآن على الجذر الذي يمكن منه العمل على ما ذكرته الفلاسفة فقد اختلفوا فيه فمنهم من زعم أنه في الحيوان ومنهم من زعم أنه في النبات ومنهم من زعم أنه في المعادن ومنهم من زعم أنه في الجميع وهذه الدعاوى ليست بحاجة الى استقصائها ومناظرة أهلها عليهم لان الكلام بطول جدا وقد قات فيما تقدم ان العمل يكون في كل شيء بالقوة لان الطبائع موجودة في كل شيء فهو كذلك فتريد أن تعلم من أي شيء يكون العمل بالقوة والفعل فنقص الى ما قاله الحراني ان الصبغ

كله أحد صبغين اما صبغ جسد كل زعفران في الثوب الابيض حتى يحول فيه وهو مضجع منتقض التركيب والصبغ الثاني تقلب الجوهر من جوهر نفسه الى جوهر غيره ولونه كتقلب الشجر بل التراب الى نفسه وقلب الحيوان والنبات الى نفسه حتى يصير التراب نباتا والنبات حيوانا ولا يكون الا بالروح الحى واليك ان الفاعل الذي له تولد الاجرام وقلب الاعيان فاذا كان هذا هكذا فنقول ان العمل لا بد ان يكون اما في الحيوان واما في النبات وبرهان ذلك انهما مطبوعان على الغذاء وبه قوامهما وعامهما فاما النبات فليس فيه ما في الحيوان من اللطافة والقوة ولذلك قل خوض الحكماء فيه واما الحيوان فهو آخر الاستحالات الثلاث ونهايتها وذلك ان المعدن يستحيل نباتا والنبات يستحيل حيوانا والحيوان لا يستحيل الى شيء هو أظف منه الآن ان يعكس راجعا الى الغلظ وأنه أيضا لا يوجد في العالم شيء يتعلق به الروح الحية غيره والروح أظف ما في العالم ولم تتعلق الروح بالحيوان الا بمشاكلته اياها فاما الروح التي في النبات فانها يسيرة فيها غلظ وكثافة وهي مع ذلك مستغرقة كامنة فيه لغلظها وغلظ جسد النبات فلم يقدر على الحركة لغلظه وغلظ روحه والروح المتحركة أظف من الروح الكامنة كثيرا وذلك ان المتحرك كونه يقبل الغذاء والتنقل والتنفس وليس للكامنة غير قبول الغذاء وحده ولا تجري اذا قبست بالروح الحية الا كالارض عند الماء كذلك النبات عند الحيوان فالعمل في الحيوان أعلى وأرفع وأهون وأيسر فينبغي للعاقل اذا عرف ذلك ان يجرب ما كان سهلا ويترك ما يحشى فيه عسرا \* واعلم ان الحيوان عند الحكماء ينقسم أقساما من الاتهامات التي هي الطبائع والحديشة التي هي المواليده وهذا معروف متيسر الفهم فلذلك قسمت الحكماء العناصر والمواليده أقساما حية وأقساما ميتة فجعلوا كل متحرك فاعلا حيا وكل ساكن مفعولا ميتا وسموا ذلك في جميع الاشياء وفي الاجساد الذائبة وفي العقاقير المعدنية فسموا كل شيء يذوب في النار ويظير ويشتعل حيا وما كان على خلاف ذلك سموه ميتا فاما الحيوان والنبات فسموا كل ما انفصل منها طبائع أربع حيا وما لم ينقل سموه ميتا ثم انهم طلبوا جميع الاقسام الحية فلم يجدوا الوفاق هذه الصناعة مما ينقل فصولا أربعة ظاهرة للعيان ولم يجدوه غير الحجر الذي في الحيوان فيصنوع عن جنسه حتى عرفوه وأخذوه ودبروه فتكيف لهم منه الذي أرادوا وقد يتكيف مثل هذا في المعادن والنبات بعد جمع العقاقير وخلطها ثم تفصل بعد ذلك فاما النبات فنه ما ينقل ببعض هذه الفصول مثل الاشنان واما المعادن ففيها أجساد ورواح وانفاس اذا مزجت ودبرت كان منها ماله تأثير وقد دبرنا كل ذلك فكان الحيوان منها أعلى وأرفع



وتدبيره أسهل وأيسر فينبغي لك أن تعلم ما هو الحجر الموجود في الحيوان وطريق وجوده  
 أنا نبينا أن الحيوان أرفع المواليد وكذا ما تركب منه فهو أرفع منه كالثبات من  
 الأرض وإنما كان النبات أرفع من الأرض لأنه إنما يكون من جوهره الصافي  
 وجسده اللطيف فوجب له بذلك اللطافة والرقّة وكذا هذا الحجر الحيواني بمنزلة النبات  
 في التراب وبالمجمل فإنه ليس في الحيوان شيء يفصل طبائع أربعاء غيره فافهم هذا القول  
 فإنه لا يكاد يخفى الأهل على جاهل بين الجهالة ومن لا عقل له فقد أخبرتك ماهية هذا الحجر  
 وأعلمتك جنسه وأنا أنأبين لك وجوه تدابير حتى يكمل الذي شرطناه على أنفسنا من  
 الانصاف أن شاء الله سبحانه (التدبير على بركة الله) هذا الحجر الكريم فاودعه القرعة  
 والانبى وفصل طبائعه الأربع التي هي النار والهواء والأرض والماء وهي الجسد  
 والروح والنفس والصبغ فإذا عزلت الماء عن التراب والهواء عن النار فارتفع كل  
 واحد في أناته على حدة وخذ الهابط أسفل الاناء وهو الثقل فاعسله بالنار الحارة حتى  
 تذهب النار عنه سواده ويزول غلظه وجفافه ويبيضه تبيضا محكما وطير عنه فضول  
 الرطوبات المستجنة فيه فإنه يصير عند ذلك ماء أبيض لا ظلمة فيه ولا وسخ ولا تضاد ثم  
 اعمد إلى تلك الطبائع الأولى الصاعدة منه فطهرها ايضا من السواد والتضاد وكرّر عليها  
 الغسل والتصعيد حتى تطف وتترق وتصفو فإذا فعلت ذلك فقد فتح الله عليك فابدأ  
 بالتركيب الذي عليه مدار العمل وذلك أن التركيب لا يكون إلا بالتزويج والتعفين  
 فأما التزويج فهو اختلاط اللطيف بالغليظ وأما التعفين فهو التمشية والسحق حتى  
 يختلط بعضه ببعض ويصير شيئا واحدا لا اختلاف فيه ولا نقصان بمنزلة الامتزاج بالماء  
 فعند ذلك يقوى الغليظ على امسالك اللطيف وتقوى الروح على مقابلة النار وتصب  
 عاها وتقوى النفس على الغوص في الأجساد والديب فيها وإنما وجد ذلك بعد  
 التركيب لأن الجسد المحلول لما ازدوج بالروح ما زجه بجميع أجزائه ودخل بعضها في  
 بعض لتشا كلها فصار شيئا واحدا ووجب من ذلك أن يعرض للروح من الصلاح  
 والفساد والبقاء والثبوت ما يعرض للجسد لموضع الامتزاج وكذلك النفس إذا  
 امتزجت بهما ودخلت فيهما بخدمة التدبير اختلطت أجزاؤهما بجميع أجزاء  
 الآخرين أعني الروح والجسد وصارت هي وهما شيئا واحدا لا اختلاف فيه بمنزلة  
 الجزء الكلي الذي سلت طبائعه وانفقت أجزاؤه فإذا بقي هذا المركب الجسد المحمول  
 وألح عليه النار وأظهر ما فيه من الرطوبة على وجهه ذاب في الجسد المحلول ومن  
 شان الرطوبة الاشتعال وتعلق النار به فإذا أرادت النار التعلق بهما منعهما من  
 الاتحاد بالنفس مما زجه الماء لها فإن النار لا تتحد بالدهن حتى يكون خالصا وكذلك

الماء من شأنه النور فمن النار فإذا ألح عليه النار وأرادت نظيره حبه الجسد  
 الملبس الممازج له في جوفه فذعه من الطيران فكان الجسد له لامسا للماء والماء  
 له لبقاء الدهن والدهن له لثبات الصبغ والصبغ له لظهور الدهن وانهما  
 الدهنية في الأشياء المظلمة التي لا نور لها ولا حياة فيها فهذا هو الجسد المستقيم وهكذا  
 يكون العمل وهذه التصفية التي سألت عنها وهي التي سميتها الحكمة بيضة وأياها  
 يعنون لا بيضة الدجاج \* واعلم أن الحكماء لم تسمها بهذا الاسم لغير معنى بل أشبهتها  
 ولقد سألت مسلمة عن ذلك يوما وليس عندهم غيري فقلت لها أيها الحكماء الفاضل أخبرني  
 لأي شيء سميت الحكماء مركب الحيوان بيضة أختاروا منهم لذلك أم لمعنى دعاهم إليه  
 فقال بل لمعنى غامض فقلت أيها الحكماء وما ظهر لهم من ذلك من المنفعة والاستدلال  
 على الصناعة حتى شبهوها وسموها بيضة فقال لشبهها وقرابتهما من المركب ففكر فيه  
 فإنه سيظهر لك معناه فبقيت بين يديه مفكرا لا أقدر على الوصول إلى معناه فلما رأى  
 ما مني من الفكر وان نفسي قد مضت فيها أخذ بعضدى وهزني هزة خفيفة وقال لي  
 يا أبا بكر ذلك للنسبة التي بينهما في كمية الألوان عند امتزاج الطبائع وتأليفها فلما قال  
 ذلك انفجرت عني الظلمة وأضاء لي نور قلبي وقوى عقلي على فهمه فنهضت شاكر الله عليه  
 إلى منزلي وأقت على ذلك شكلا هندسيا يبرهن به على صحة ما قاله مسلمة وأنا واضعه لك  
 في هذا الكتاب مثال ذلك أن المركب إذا تم وكل كان نسبة ما فيه من طبيعة الهواء إلى  
 ما في البيضة من طبيعة الهواء كنسبة ما في المركب من طبيعة النار إلى ما في البيضة  
 من طبيعة النار وكذلك الطبيعتان الأخريان الأرض والماء فأقول إن كل شيئين  
 متناسلين على هذه الصفة فهما متشابهان ومثال ذلك أن تجعل اسطح البيضة هزوح  
 فإذا أردنا ذلك فأننا أخذنا قل طبائع المركب وهي طبيعة اليبوسة ونضيف اليها مثالا  
 من طبيعة الرطوبة ونديرهما حتى تنشف طبيعة اليبوسة طبيعة الرطوبة وتقبل  
 قوتها وكان في هذا الكلام رمز ولكنه لا يخفى عليك ثم تحمل عاها جميعا مثلها  
 من الروح وهو الماء فيكون الجميع ستة أمثال ثم تحمل على الجميع بعد التدبير مثلا من  
 طبيعة الهواء التي هي النفس وذلك ثلاثة أجزاء فيكون الجميع تسعة أمثال اليبوسة  
 بالقوة وتجعل تحت كل ضلعين من المركب الذي طبيعته محيطية بسطح المركب  
 طبيعتين فتجعل أول الضلعين المحيطين بسطح طبيعة الماء وطبيعة الهواء وهما  
 ضلعا ح د وسطح أ ب ج د وكذلك الضلعان المحيطان بسطح البيضة اللذان هما الماء  
 والهواء ضلعا ه ز و فاقول إن سطح أ ب ج د يشبه سطح ه ز و طبيعة الهواء التي تسمى  
 نفسا وكذلك ب ج من سطح المركب والحكماء لم تسم شيئا باسم شيء إلا لشبهه به



والكلمات التي سألت عن شرحها الارض المقدسة وهي المتقدمة من الطائع العلوية  
والسفلية والنحاس هو الذي أخرج سواده وقطع حتى صار هباء ثم جرب الزاج حتى صار  
نحاسيا والمغنيب يا جبرهم الذي تجمد فيه الارواح وتخرج الطبيعة العلوية التي  
تسجن فيها الارواح لتقابل عايتها النار والفرقة لون أحمر فان يحدته الكيان والرماس  
جبرله ثلاث قوى مختلفة الشخوص ولكنها متشاكله ومتجانسة قالوا احدة روحانية  
نيرة صافية وهي الفاعلة والثانية نفسانية وهي متحركة حساسة غير أنها أغلظ من  
الاولى ومركزها دون مركز الاولى والثالثة قوة أرضية حاسة قابضة منعكسة الى مركز  
الارض لتقاتلها وهي الماسكة الروحانية والنفسانية جميعا والمحيطة بهما وأما سائر  
الباقية فبتدعة ومخترة الباسا على الجاهل ومن عرف المقدمات استغنى عن غيرها  
\* فهذا جميع ما سألتني عنه وقد بعثت به اليك مفسرا وزجوا بتوفيق الله أن تبلغ  
أملك والسلام انتهى كلام ابن بشرون وهو من كبار تلاميذ مسلمة الجبريطي شيخ الاندلس  
في علوم الكيمياء والسيمياء والسحر في القرن الثالث وما بعده \* وأنت ترى كيف  
صرف ألفاظهم كلها في الصناعة الى الرمز والالغاز التي لا تكاد تبين ولا تعرف  
وذلك دليل على أنها ليست بصناعة طبيعية \* والذي يجب أن يعتقده في أمر الكيمياء  
وهو الحق الذي بعضه الواقع أنهم من جنس آثار النفوس الروحانية ونصرت فيها في  
عالم الطبيعة امام نوع الكرامة ان كانت النفوس خيرة أو من نوع السحر ان كانت  
النفوس شريرة فاجرة فأما الكرامة فظاهرة وأما السحر فلان الساحر كما ثبت في مكان  
تحقيقه بقلب الاعيان المادية بقوته السحرية ولا بد له مع ذلك عندهم من مادة يقع  
فعله السحري فيها كخلق بعض الحيوانات من مادة التراب أو الشجر والنبات وبالجملة  
من غير مادتها المخصوصة بها كما وقع لسحرة فرعون في الحبال والعصى وكما ينقل عن  
سحرة السودان والهنود في قاصية الجنوب والترك في قاصية الشمال انهم يسحرون  
الجولامطار وغير ذلك \* ولما كانت هذه تخلق الذهب في غير مادته الخاصة به  
كان من قبيل السحر والمتكاملون فيه من اعلام الحكماء مثل جابر ومسلمة ومن كان  
قبلهم من حكماء الامم انما نحو هذا المنحى ولهذا كان كلامهم فيه الغارازا حذرا  
عليها من انكار الشرائع على السحر وأنواعه لأن ذلك يرجع الى الضنانية بها كما هو  
رأى من لم يذهب الى التحقيق في ذلك وانظر كيف سمي مسلمة كاتبة فيها رتبة الحكميم  
وسمي كاتبة في السحر والطلسمات غاية الحكيم اشارة الى عموم موضوع الغاية  
وخصوص موضوع هذه لان الغاية أعلى من الرتبة فكانت مسائل الرتبة بعض من  
مسائل الغاية وتشاركها في الموضوعات ومن كلامه في الفنين يبين ما قلناه ونحن نبين

فيما بعد غلط من يزعم ان مدارك هذا الامر بالصناعة الطبيعية والله العالم الخبير

### ٢٥ (فصل في ابطال الفلاسفة وفساد مستواها)

هذا الفصل وما بعده مهم لان هذه العلوم عارضة في العمران كثيرة في المدن وضررها  
في الدين كثير فوجب أن يصدع بشأنها ويكشف عن المعتقد الحق فيها وذلك أن قوما  
من عقلاء النوع الانساني زعموا أن الوجود كله الحسي منه وما وراء الحسي تدرك  
ذواته وأحواله بأسبابها وعلاها بالانظار الفكرية والاقبسية العقلية وأن تصحيح  
العقائد الايمانية من قبل النظر لا من جهة السمع فانهم بعض من مدارك العقل وهو لا  
يسمون فلاسفة جمع فيلسوف وهو باللسان اليوناني محب الحكمة فهموا عن ذلك  
وشعروا له وحوسوا على اصابه الغرض منه ووضعوا قانونا يهتدى به العقل في نظره  
الى التمييز بين الحق والباطل ومحموه بالمنطق ومحصل ذلك أن النظر الذي يقيد تمييز  
الحق من الباطل انما هو للذهن في المعاني المنتزعة من الموجودات الشخصية فيجترد  
منها أولا صوراً منطبقة على جميع الاشخاص كما ينطبق الطابع على جميع النقوش التي  
ترسمها في طرأ أو شمع وهذه المجردة من المحسوسات تسمى المعقولات الاوائل ثم تجترد  
من تلك المعاني الكلية اذا كانت مشتركة مع معاني أخرى وقد تميزت عنها في  
الذهن فتجترد منها معاني أخرى وهي التي اشتهرت بها ثم تجترد ثانياً ان شاركها غير  
وثالثاً الى أن ينتهي التجريد الى المعاني البسيطة الكلية المنطبقة على جميع المعاني  
والاشخاص ولا يكون منها تجريد بعد هذا وهي الاجناس العالية وهذه المجردات  
كلها من غير المحسوسات هي من حيث تأليف بعضها مع بعض لتحصيل العلوم منها  
تسمى المعقولات الثانوية فاذا نظر الفكر في هذه المعقولات المجردة وطاب تصور  
الوجود كما هو فلا بد للذهن من اضافة بعضها الى بعض ونفي بعضها عن بعض بالبرهان  
العقلي اليقيني ليحصل تصوراً للوجود تصوراً صحيحاً مطابقاً اذا كان ذلك بقانون صحيح  
كما مر وصنف التصديق الذي هو تلك الاضافة والحكم متقدم عندهم على صنف  
التصور في النهاية والتصور متقدم عليه في البداية والتعليم لان التصور التام عندهم  
هو غاية الطلب الادراك وانما التصديق وسيلة له وما تسمعه في كتب المنطقيين من  
تقدم التصور وتوقف التصديق عليه فمعنى الشعور لا بمعنى العلم التام وهذا هو  
مذهب كبيرهم ارسطو ثم يزعمون أن السعادة في ادراك الموجودات كلها ما في الحس  
وما وراء الحس بهذا النظر وتلك البراهين \* وحاصل مداركهم في الوجود على  
الجملة وما آلت اليه وهو الذي فرغوا عليه قضايا انظارهم أنهم عثروا أولاً على الجسم



السقلى بجهكم الشهود والحس ثم ترقى ادراكهم قليلا فشعروا بوجود النفس من قبل الحركة والحس في الحيوانات ثم أحسوا من قوى النفس بسلطان العقل ووقف ادراكهم فقطوا على الجسم العالى السماوى بنحو من القضاء على أمر الذات الانسانية فوجب عندهم أن يكون للفلك نفس وعقل كمالا لانسان ثم انهوا ذلك نهاية عدد الاحاد وهى العشر تسع مفصلة ذواتها جمل وواحد أقل مفرد وهو العاشر ويرغمون أن السعادة فى ادراك الوجود على هذا النحو من القضاء مع تهذيب النفس وتخليقها بالفضائل وان ذلك ممكن للانسان ولولم يرد شرع لتمييزه بين الفضيلة والرذيلة من الافعال بمقتضى عقله ونظيره وميله الى الحمودة بها واجتنابه للمذموم بفطرته وان ذلك اذا حصل للنفس حصلت لها البهجة واللذة وان الجهل بذلك هو الشقاء السرمدى وهذا عندهم هو معنى النعيم والعذاب فى الآخرة الى خبط لهم فى تفاصيل ذلك معروف من كلماتهم وامام هذه المذاهب الذى حصل مسائلها ودون علمها ووسطر حجاجها فيما بلغنا فى هذه الاحقاب هو ارسطو المقدونى من أهل مقدونية من بلاد الروم من تلاميذ افلاطون وهو معلم الاسكندرو ويسمونه المعلم الاقل على الاطلاق يعنون معلم صناعة المنطق اذ لم تكن قبله مهذبة وهو أقل من رتب قانونها واستوفى مسائلها وأحسن بسطها واقدأحسن فى ذلك القانون ماشاء لو تكفل له بقصدهم فى الالهيات ثم كان من بعده فى الاسلام من اخذ بتلك المذاهب واتبع فيها رأيه حذو المنع بالنقل الا فى القليل وذلك أن كتب أولئك المتقدمين لما ترجعها الخلفاء من بنى العباس من اللسان اليونانى الى اللسان العربى تصفحها كثير من أهل الملة وأخذ من مذاهبهم من أضله الله من متخلى العلوم وجادلوا عنها واختلفوا فى مسائل من تقارب بعضها وكان من أشهرهم أبو نصر الفارابى فى المائة الرابعة لعهد سيف الدولة وأبو على بن سينا فى المائة الخامسة لعهد نظام الملك من بنى بويه باصبيان وغيرهما \* واعلم أن هذا رأى الذى ذهبوا اليه باطل بجميع وجوهه فأما اسنادهم الموجودات كلها الى العقل الاقل واكتفاءهم به فى الترقى الى الواجب فهو قصور عما وراء ذلك من رتب خالق الله فالوجود أوسع نطاقا من ذلك ويخلق ما لا تعلمون وكأنهم فى اقتصارهم على اثبات العقل فقط والغفلة عما وراءه بمنابة الطبيعيين المقتصرين على اثبات الاجسام خاصة المعرضين عن النقل والعقل المعتمدين أنه ليس وراء الجسم فى حكمه الله شئ وأما البراهين التى يزعمونها على مدعياتهم فى الموجودات ويعرضونها على معيار المنطق وقانونه فهى قاصرة وغير واقية بالغرض أما ما كان منها فى الموجودات الجسمانية ويسمونه العلم الطبيعى فوجه قصوره أن المطابقة بين تلك النتائج الذهنية

التي تستخرج بالحدود والاقبسة كما فى زعمهم وبين ما فى الخارج غير يقينى لان تلك أحكام ذهنية كلية عامة والموجودات الخارجية متشخصة بموادها ولعل فى المواد ما يمنع من مطابقة الذهن الكلى للخارجى الشخصى اللهم الا ما يشهد له الحس من ذلك فدليله شهوده لا تلك البراهين فأين اليقين الذى يجدونه فيما وراء ما يكون تصرف الذهن أيضا فى المعقولات الاول المطابقة للشخصيات بالصور الخيالية لافى المعقولات الثوانى التى تجريدها فى الرتبة الثانية فيكون الحكم حينئذ يقينا بمنابة المحسوسات اذ المعقولات الاول أقرب الى مطابقة الخارج الكمال الانطباق فيها فنسلم لهم حينئذ دعاوهم فى ذلك الا أنه ينبغي لنا الاعراض عن النظر فيها اذ هو من ترك المسلم لما لا يعنيه فان مسائل الطبيعيات لا تهمنا فى ديننا ولا معاشنا فوجب علينا تركها \* وأما ما كان منها فى الموجودات التى وراء الحس وهى الروحانيات ويسمونه العلم الالهى وعلم ما بعد الطبيعة فان ذواتها مجهولة رأسا ولا يمكن التوصل اليها ولا البرهان عليها لان تجريد المعقولات من الموجودات الخارجية الشخصية انما هو ممكن فيما هو مدرك لنا ونحن لا ندرك الذوات الروحانية حتى نتجرد منها ما هيئات أخرى بحجاب الحس يتناوب بينها فلا يتأتى لنا برهان عليها ولا مدرك لنا فى اثبات وجودها على الجملة الا ما نتجده بين جنسينا من أمر النفس الانسانية وأحوال مداركها وخصوصا فى الرؤيا التى هى وجدانية لكل أحد وما وراء ذلك من حقيقته واصفاتها فأمر غامض لا سبيل الى الوقوف عليه وقد صرح بذلك محققوهم حيث ذهبوا الى أن ما لا مادة له لا يمكن البرهان عليه لان مقدمات البرهان من شرطها أن تكون ذاتية وقال كبيرهم افلاطون ان الالهيات لا يوصل فيها الى يقين وانما يقال فيها بالاحق والاولى يعنى الظن واذا كنا انما نحصل بعد التعب والنصب على الظن فقط فكيف ينال الظن الذى كان أولا فإى فائدة لهذه العلوم والاشتغال بها ونحن انما هنا يتناوب يحصل اليقين فيما وراء الحس من الموجودات وهذه هى غاية الافكار الانسانية عندهم وأما قولهم ان السعادة فى ادراك الموجودات على ما هى عليه بتلك البراهين فقول مزيف مردود وتفسيره أن الانسان مركب من جزأين أحدهما جسمانى والاخر روحانى متميز به ولكل واحد من الجزأين مدارك مختصة به والمدرك فىهما واحد وهو الجزء الروحانى يدرك تارة مدارك روحانية وتارة مدارك جسمانية الا أن المدارك الروحانية يدركها بذاته بغير واسطة والمدارك الجسمانية بواسطة آلات الجسم من الدماغ والحواس وكل مدرك فلها ابتهاج بما يدركه واعتبره بمحال الصبى فى أقل مداركه الجسمانية التى هى بواسطة كيف ينتهج بما يصره من الضوء وبما يسمعه من الاصوات فلا شك أن الابتهاج بالادراك الذى للنفس من



ذاتها بغير واسطة يكون أشد والذات النفس الروحانية إذا شعرت بأدراكها الذي لها من  
ذاتها بغير واسطة حصل لها ابتهاج ولذة لا يعبر عنها وهذا الإدراك لا يحصل بنظر ولا علم  
وانما يحصل بالكشف حجاب الحس ونسيان المدارك الجسمانية بالجملة والمتصوفة كثيرا  
ما يعنون بحصول هذا الإدراك للنفس بحصول هذه البهجة فيحاولون بالرياضة امانة  
القوى الجسمانية ومداركها حتى التكر من الدماغ ليحصل للنفس ادراكها الذي لها  
من ذاتها عند زوال الشواغب والموانع الجسمانية فيحصل لهم بهجة ولذة لا يعبر عنها  
وهذا الذي زعموه بتقدير صحته مسلم لهم وهو مع ذلك غير وافي بمقصودهم فأما قولهم ان  
البراهين والادلة العقلية محصلة لهذا النوع من الادراك والابتهاج عنه فباطل كما  
رأيتهم اذا البراهين والادلة من جملة المدارك الجسمانية لانها بالقوى الدماغية من  
الخيال والفكر والذكرون في شيء تعني به في تحصيل هذا الادراك امانة هذه القوى  
الدماغية كلها لانها منازعة له قاذرة فيه وتجد الماهر منهم عاكفا على كتاب الشفاء  
والاشارات والنجاء وتلاخيص ابن رشد للنفس من تأليف ارسطو وغيره يقرأون اوراقها  
ويتوثق من براهينها ويلتمس هذا القسط من السعادة فيها ولا يعلم انه يستكثر بذلك من  
الموانع عنها ومستندهم في ذلك ما ينتقلونه عن ارسطو والغارابي وابن سينا أن من  
حصل له ادراك العقل الفعال واتصل به في حياته فقد حصل حظ من هذه السعادة  
والعقل الفعال عندهم عبارة عن أول رتبة يتكشف عنها الحس من رتب الروحانيات  
ويحملون الاتصال بالعقل الفعال على الادراك العلي وقد رأيت فساد وانما يعنى  
ارسطو وأصحابه بذلك الاتصال والادراك الادراك النفس الذي لها من ذاتها بغير  
واسطة وهو لا يحصل الا بكشف حجاب الحس وأما قولهم ان البهجة الناشئة عن هذا  
الادراك هي عين السعادة الموعود بها فباطل أيضا لاننا نثبت اننا بما نقره أن وراء  
الحس مدرك آخر للنفس من غير واسطة وانما يتبعها بادراكها ذلك ابتهاجا شديدا  
وذلك لا يعنى اننا نثبت عين السعادة الاخرية ولا بتدليل من جملة الملائكة لتلك  
السعادة وأما قولهم ان السعادة في ادراك هذه الموجودات على ما هي عليه فقول باطل  
مبنى على ما كنا قد مناه في أصل التوحيد من الاوهام والاعلاط في أن الوجود عند  
كل مدرك منحصر في مداركه وينافى بذلك وأن الوجود أوسع من أن يحاط به  
أو يستوفى ادراكه بجملة روحانيا وجسمانيا والذي يحصل من جميع ما نقرناه من  
مذاهبهم أن الجزء الروحاني اذا فارق القوى الجسمانية أدرك ادراكا كذا ناله مختصا  
بصنف من المدارك وهي الموجودات التي أحاط بها علمنا وليس بعمام الادراك في  
الموجودات كلها اذ لم تنحصر وانه يتبع بذلك النجوم من الادراك ابتهاجا شديدا كما

يتبع الصبي بمداركه الحسية في أول نشوه ومن لنا بعد ذلك بأدراك جميع الموجودات  
أو بحصول السعادة التي وعدنا بها الشارع ان لم نعمل لها هيئات هيئات المتعدون  
وأما قولهم ان الانسان مستقل بتدبير نفسه واصلاحها بلا بسطة المحمود من الخلق  
ومجانبة المذموم فأمر مبنى على أن ابتهاج النفس بأدراكها الذي لها من ذاتها هو عين  
السعادة الموعود بها لان الرائل عائدة للنفس عن تمام ادراكها ذلك بما يحصل لها من  
الملكات الجسمانية والوانها وقد بينا ان أثر السعادة والشقاوة من وراء الادراكات  
الجسمانية والروحانية فهذا التذيب الذي توصلوا الى معرفته انما تنفعه في البهجة  
الناشئة عن الادراك الروحاني فقط الذي هو على مقاييس وقوانين وأما ما وراء ذلك  
من السعادة التي وعدنا بها الشارع على امتثال ما أمر به من الاعمال والاخلاق  
فأمر لا يحيط به مدارك المدركين وقد تنبه لذلك زعيمهم أبو علي بن سينا فقال في كتاب  
المبدل والمعاد ما معناه ان المعاد الروحاني وأحواله هو مما يتوصل اليه بالبراهين العقلية  
والمقاييس لانه على نسبة طبيعية محفوظة ووثيرة واحدة فلنا في البراهين عليه سعة وأما  
المعاد الجسماني وأحواله فلا يمكن ادراكه بالبرهان لانه ليس على نسبة واحدة وقد  
بسطه لنا الشريعة المحمدية فليست نظيرها ولنرجع في أحواله اليها فهذا العلم كما  
رأيتهم غير وافي بمقاصدهم التي حوّموا عليها مع ما فيه من مخالفة الشرائع وظواهرها  
وليس له فيما علمنا الاثرة واحدة وهي شخص الذهن في ترتيب الادلة والحجج لتحصيل  
ملكة الجودة والصواب في البراهين وذلك ان نظم المقاييس وتركيبها على وجه  
الاحكام والاتقان هو كما شرطوه في صناعتهم المنطقية وقولهم بذلك في علومهم الطبيعية  
وهم كثيرا ما يستعملونها في علومهم الحكيمة من الطبيعيات والتعاليم وما بعدها  
فيستولى الناظر فيها بكثرة استعمال البراهين بشرطها على ملكة الاتقان والصواب  
في الحجج والاستدلالات لانها وان كانت غير وافية بمقصودهم فهي أصح ما علمناه من  
قوانين الانتظار هذه هي ثمرة هذه الصناعة مع الاطلاع على مذاهب أهل العلم وآرائهم  
ومضارها ما علمت فليكن الناظر فيها متحرزا جهده من معاطبها وليكن نظره من ينظر فيها  
بعيد الامتلاء من الشرعيات والاطلاع على التفسير والفقه ولا يكفى أحد عليها وهو  
خوف من الملة فقل أن يسلم لذلك من معاطبها والله الموفق للصواب وللحق والهادي  
اليه وما كنا ننتدى لولا أن هذا الله

(فصل في ابطال صناعة النجوم وضعف مداركها وفسادها فيها)

هذه الصناعة يزعم أصحابها أنهم يعرفون بها الكائنات في عالم العناصر قبل حدوثها



من قبل معرفة قوى الكواكب وتأثيرها في المولدات العنصرية بمفردة ومجمعة فتكون لذلك أوضاع الافلاك والكواكب دالة على ما سيحدث من نوع نوع من أنواع الكائنات الكلمة والتخصية فالمتقدمون منهم يرون أن معرفة قوى الكواكب وتأثيراتها بالتجربة وهو أمر تقصر الاعمار كلها الواجتماع عن تحصيله اذا التجربة انما تحصل في المرات المتعددة بالتكرار ليحصل عنها العلم والظن وأدوار الكواكب منها ما هو طوي بل الزمن فيحتاج تكرره الى آما دواحقاب متطاولة يتقاصر عنها ما هو طويل من أعمار العالم وربما ذهب ضء منهم الى أن معرفة قوى الكواكب وتأثيراتها كانت بالوحى وهو رأى فائل وقد كفو نامونة ابطاله ومن أوضح الادلة فيه أن تعلم أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام أبعد الناس عن الصنائع وأنهم لا يعرضون للاخبار عن الغيب الآن يكون عن الله فكيف يدعون استنباطه بالصناعة ويشيرون بذلك لانبيهم من الخلق وأما بطليموس ومن تبعه من المتأخرين فيرون أن دلالة الكواكب على ذلك دلالة طبيعية من قبل مزاج يحصل للكواكب في الكائنات العنصرية قال لان فعل النيران وأثرهما في العنصر يات ظاهرا لا يسع أحد اجده مثل فعل الشمس في تبدل الفصول وأثر جتها ونضج الثمار والزرع وغير ذلك وفعل القمر في الرطوبات والماء وانضاج المواد المتعفنة وفواكه القضاء وسائر أفعاله ثم قال ولنا فيما بعدهما من الكواكب طريقان الاولى التقليل لمن نقل ذلك عنه من أئمة الصناعة الا أنه غير مقنع للنفس الثانية الحس والتجربة بقياس كل واحد منها الى النيران الاعظم الذى عرفنا طبيعته وأثره معرفة ظاهرة فننظر هل يزيد ذلك الكوكب عند اقران في قوته ومزاجه فتعرف موافقته له في الطبيعة أو ينقص عنها فتعرف مضادته ثم اذا عرفنا قواها مفردة عرفنا هار كبة وفلك عند تناظرها بأشكال التثليث والتربيع وغيرهما ومعرفة ذلك من قبل طبائع البروج بالقياس أيضا الى النيران الاعظم واذا عرفنا قوى الكواكب كلها فهمي مؤثرة في الهواء وذلك ظاهر والمزاج الذى يحصل منها للهواء يحصل لما تحتها من المولدات وتخلق به النطف والبزق فتصير حال البدن المتكون عنها والنفس المتعلقة به القاضية عليه المكتسبة لما هان منه وما يتبع النفس والبدن من الاحوال لان كفيات البزرة والنطفة كفيات لما يتولد منهما وينشأ منهما قال وهو مع ذلك ظنى وليس من اليقين في شئ وليس هو أيضا من القضاء الالهى يعنى القدر انما هو من جملة الاسباب الطبيعية للكائن والقضاء الالهى سابق على كل شئ هذا محصل كلام بطليموس وأصحابه وهو منصوص في كتابه الاربع وغيره ومنه يتبين ضعف مدرك هذه الصناعة وذلك أن العلم الكائن

أو الظن به انما يحصل عن العلم بجملة أسبابه من الفاعل والقابل والصورة والغاية على ما تبين في موضعه والقوى النجومية على ما قرره انما هي فاعلة فقط والجزء العنصرى هو القابل ثم ان القوى النجومية ليست هي الفاعل بجملة قابل هناك قوى أخرى فاعلة معها في الجزء المادى مثل قوة التوليد للاب والنوع التى في النطفة وقوى الخاصة التى تميز بها صنف صنف من النوع وغير ذلك فالقوى النجومية اذا حصل كمالها وحصل العلم فيها انما هي فاعل واحد من جملة الاسباب الفاعلة للكائن ثم انه يشترط مع العلم بقوى النجوم وتأثيراتها مزيج حدس وتخمين وحينئذ يحصل عنده الظن بوقوع الكائن والحس والتخمين قوى للناظر في فكره وليس من على الكائن ولا من أصول الصناعة فاذا فقد هذا الحدس والتخمين رجعت ادراجها عن الظن الى الشك هذا اذا حصل العلم بالقوى النجومية على سداد ولم تعترضه آفة وهذا معوز لما فيه من معرفة حسابات الكواكب في سيرها لتعرف به أوضاعها ولما أن اختصاص كل كوكب بقوة لادليل عليه ومدرك بطليموس في اثبات القوى للكواكب الخمسة بقياسها الى الشمس مدرك ضعيف لان قوة الشمس غالبية لجميع القوى من الكواكب ومستولية عليها فقل أن يشعر بالزيادة فيها والنقصان منها عند المقارنة كما قال وهذه كلها قاذحة في تعريف الكائنات الواقعة في عالم العناصر بهذه الصناعة ثم ان تأثير الكواكب فيما تحتها باطل اذ قد تبين في باب التوحيد أن لفاعل الا الله بطريق استدلالى كما رأيت واجتله أهل علم الكلام بما هو غنى عن البيان من أن اسناد الاسباب الى المسببات مجهول الكيفية والعقل متهم على ما يقضى به فيما يظهر يادى الرأى من التأثير فلعل استنادها على غير صورة التأثير المتعارف والقدرة الالهية رابطة بينهما كما ربطت جميع الكائنات علوا وسفلا سيما والشرع برذال حوادث كلها الى قدرة الله تعالى ويبرأ مما سوى ذلك والنبوات أيضا منكرة لشأن النجوم وتأثيراتها واستقراء الشرعيات شاهد بذلك فمثل قوله ان الشمس والقمر لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته وفي قوله أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر بى فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب الحديث الصحيح فعد بان لك بطلان هذه الصناعة من طريق الشرع وضعف مداركها مع ذلك من طريق العقل مع ما لها من المضار في العمران الانسانى بما تبعث في عقائد العوام من الفساد اذا اتفق الصدق من احكامها في بعض الاحايين اتفقا فالارجع الى تعليل ولا تحقيق فيلهم بذلك من لا معرفة له ويظن اطراد الصدق في سائر احكامها وليس كذلك فيقع في رذال الاشياء الى غير خالقها ثم ما ينشأ عنها كثيرا



في الدول من توقع القواطع وما يبعث عليه ذلك التوقع من تطاول الاعداء والمتربصين بالدولة الى الفتك والثورة وقد شاهدنا من ذلك كثيرا فينبغي أن تحظر هذه الصناعة على جميع أهل العمران لما ينشأ عنها من المضار في الدين والدول ولا يقدر في ذلك كون وجودها طبيعيا للبشر بمقتضى مداركهم وعلومهم فالخير والشر طبيعتان موجودتان في العالم لا يمكن نزعهما وانما يتعلق التكليف بأسباب حصولهما فيبتغي السعي في اكتساب الخير بأسبابه ودفع أسباب الشر والمضار هذا هو الواجب على من عرف مفساد هذا العلم ومضارمه وليعلم من ذلك أنها وان كانت صحيحة في نفسها فلا يمكن أحد من أهل الملة تحصيل علمها ولا ملكتها بل ان نظرها ناظر وظن الا حاطة بهم اقبهوا في غاية القصور في نفس الامر فان الشريرة لما حظرت النظر فيها فقد الاجتماع من أهل العمران لقراءتها والتحليق لتعليمها وصار المولع بها من الناس وهم الاقل وأقل من الاقل انما يطالع كتبها ومقالاتها في كسريته مستتر عن الناس وتحت رقيقة الجهور مع تشعب الصناعة وكثرة فروعها واعتناصها على الفهم فكيف يحصل منها على طائل ونحن نجد الفقه الذي عم نفعه دينا ودنيا وسهلت ما خذوه من الكتاب والسنة وعكف الجهور على قراءته وتعليمه ثم بعد التحقيق والتجميع وطول المداينة وكثرة المجالس وتعدد ما انما يحذف فيه الواحد بعد الواحد في الاعصار والاحيال فكيف يعلم مجبور للشريرة مضروب دونه سد الحظر والتهريم ~~م~~ تقوم عن الجهور صعب المأخذ محتاج بعد الممارسة والتحصيل لاصوله وفروعه الى مزيد حدس وتحنين يكتنفان به من الناظر فآين التحصيل والحدق فيه مع هذه كلها ومدعى ذلك من الناس مردود على عقبيه ولا شاهد له يقوم بذلك لغرابة الفن بين أهل الملة وقلة جلته فاعتبر ذلك تبين لك صحة ما ذهبنا اليه والله أعلم بالغيب فلا يظهر على غيبه أحدا \* ومما وقع في هذا المعنى لبعض أصحابنا من أهل العصر عند ما غلب العرب عساكر السلطان أي الحسن وحاصروهم بالقيروان وكثرا رجاف الفريقين الاولياء والاعداء وقال في ذلك أبو القاسم الرواحي من شعراء أهل تونس

أستغفر الله كل حين \* قد ذهب العيش والهناء  
أصبح في تونس وأمسى \* والصبح لله والمساء  
الخوف والجوع والمنايا \* يحدثها الهرج والوباء  
والناس في مريبة وحرب \* وما عسى يتقع المراء  
فاحمدى ترى عليا \* حل به الهلك والتواء  
وأخر قال سوف يأتي \* به اليكم صبار خاء

والله من فوق ذاه هذا \* يقضى لعبديه ما يشاء  
ياراصد الخفس الجوارى \* ما فعلت هذه السماء  
مطلتونا وقد زعمتم \* أنكم اليوم أملياء  
مترخيس على خيس \* وجاء سبت وأربعا  
ونصف شهر وعشر ثمان \* وثالث ضمه القضاء  
ولا نرى غير زور قول \* أذاك جهل أم ازدراء  
انا الى الله قد علمنا \* أن ليس يستدفع القضاء  
رضيت بالله لي الهـ \* حسبكم البدر أؤذ كاء  
ما هذه الانجم السوارى \* الا عباد يدأ واماء  
يقضى عليها وليس تقضى \* وماله في الورى اقتضاء  
ضلت عقول ترى قديما \* ما شأنه الحرم والقناء  
وحكمت في الوجود طبعها \* يحده الماء والهواء  
لم ترحلوا ازاء مر \* تغذوه موترة وماء  
الله ربي ولست أدري \* ما الجوهر الفرد والخلاء  
ولا الهيمول التي تنادى \* مالى عن صورة عراء  
ولا وجود ولا انعدام \* ولا ثبوت ولا انتفاء  
ولست أدري ما الكسب الا \* ما جلب البيع والشراء  
وانما مذهبي وديني \* ما كان والناس أولياء  
اذلا فصول ولا أصول \* ولا جدال ولا ارتياء  
ماتبع الصدر واقفيننا \* يا حبيذا كان الاقتفاء  
كانوا كما يعلمون منهم \* ولم يكن ذلك الهذاء  
يا أشعري الزمان انى \* أشعرنى الصيف والشتاء  
أنا أجرى بالشر شرا \* والخير عن مثله جزاء  
واننى ان أكن مطيعا \* فرب أعصى ولى رجاء  
واننى تحت حكم بار \* أطاعه العرش والبراء  
ليس باستطاركم واكن \* أتاحه الحكم والقضاء  
لو حدثت الاشعري عن \* له الى رأيه انتـ  
فقال أخبرهم بأنى \* مما يقولونه بسراء



٢٧ فصل في انكار ثمة الكيمياء استعماله ووجودها وما ينشأ من المفاسد عن انتحالها

اعلم ان كثيرا من العاجزين عن معاشهم تحملهم المطامع على انتحال هذه الصنائع ويرون انها أحسن مذهب المعاش ووجوهه وأن اقتناء المال منها أيسر وأسهل على متبغيه فيرتكبون فيها من المتاعب والمشاق ومعاملة الصعاب وعسف الحكام وخسارة الاموال في النفقات زيادة على النيل من غرضه والعطب آخر اذا ظهر على خيبة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وانما أطمعهم في ذلك رؤية أن المعادن تستحيل وينقلب بعضها الى بعض للمادة المشتركة فيها ولون بالعلاج ضرورة الفضة ذهباً والنحاس والقصدير فضة ويحسبون أنهم من تمككات عالم الطبيعة ولهم في علاج ذلك طرق مختلفة لاختلاف مذاهبهم في التدبير وصورته وفي المادة الموضوعة عندهم للعلاج السمعة عندهم بالبحر المكرم هل هي العذرة أو الدم أو الشعر أو البيض أو كذا أو كذا مما سوى ذلك وجملة التدبير عندهم بعد تعين المادة أن تعي بالفهر على حجر صلد أملس وتسقى أثناء امهائها بالماء بعد أن يضاف اليها من العقاقير والادوية ما يناسب القصد منها ويؤثر في انقلابها الى المعدن المطلوب ثم تجفف بالشمس من بعد السقي أو تطبخ بالنار أو تصعد أو تكسر لاستخراج مائها أو ترابها فادري بذلك كله من علاجها وتم تدبيره على ما اقتضته أصول صنعة حصل من ذلك ككل تراب أو مائع يسمونه الا كسرو يزعمون أنه اذا ألقى على الفضة المحمأة بالنار عادت ذهباً والنحاس المحمي بالنار عادت فضة على حسب ما قصد به في عمله ويزعم المحققون منهم أن ذلك الاكسيرة مادة مركبة من العناصر الاربعة حصل فيها بذلك العلاج الخاص والتدبير مزاج ذو قوى طبيعية تصرف ما حصلت فيه اليها وتقلبه الى صورتهما من اجها وتثبت فيه ما حصل فيها من الكيفيات والقوى كالتجيرة للخبر تقلب العجين الى ذاتها وتعمل فيه ما حصل لها من الانفشاش والهشاشة ليحسن هضمه في المعدة ويستحيل سريره الى الغذاء وكذا اكسير الذهب والفضة فيما يحصل فيه من المعادن يصرفه اليها ويقلبه الى صورتها هذا يحصل زعمهم على الجملة فتجدهم عاكفين على هذا العلاج يتبعون الرزق والمعاش فيه ويتناقلون أحكامه وقواعده من كتب لائحة الصناعة من قبلهم يتداولونها بينهم ويتناظرون في فهم لغوزها وكشف أسرارها ذهبي في الاكثر تشبه المعنى كآلف جابر بن حيان في رسائله السبعين ومسلمة المجريطي في كتابه رتبة الحكيم والطغرائي والمغربي في قصائده العريضة في اجادة النظم وأمثالها ولا يحلون من بعده هذا كله بطائل منها \* فاوضت يوما شيخنا أبا البركات التلغيني كبير مشيخة الاندلس في مثل ذلك ووقفته على بعض التأليف فيها فتصفح طويلا ثم رده الى وقال لي وأنا ايضا من له

أن لا يعود الى بيته الا بالخبية ثم منهم من يقتصر في ذلك على الدلسة فقط اما الظاهرة كتمويه الفضة بالذهب أو النحاس بالفضة أو خلطها معاً على نسبة جزء أو جزأين أو ثلاثة أو الخفية كالقاء الشبه بين المعادن بالصناعة مثل تبييض النحاس وتليينه بالزوق المصعد فيجىء جسمها معدنياً شبيهاً بالفضة ويخفى الاعلى النقاد المهرة فيقدر أصحاب هذه الدلس مع دلتهم هذه مسكة يسرونها في الناس ويطبعونها بطابع السلطان تمويهها على الجمهور بالخلاص وهو لاء أخس الناس حرفة وأسوأهم عاقبة لتلبسهم بسرقة أموال الناس فإن صاحب هذه الدلسة انما هو يدفع نحاساً في الفضة وفضة في الذهب ليستخلصها لنفسه فهو سارق أو أشتر من السارق ومعظم هذا الصنف لدينا بالمغرب من طلبه البربر المنتبذين باطراف البقاع ومساكن الانغمار بأوون الى ما جاد البادية ويعتقون على الاغنياء منهم بأن بأيديهم صناعة الذهب والفضة والنفوس مواءمة بجمها والاسهلاك في طلبهم ما فيحصلون من ذلك على معاش ثم يبقى ذلك عندهم تحت الخوف والرقبة الى أن يظهر العجز وتقع الفضيحة فيفرون الى موضع آخر ويستجدون حالاً أخرى في استهواء بعض أهل الدنيا باطماعهم فيما لديهم ولا يزالون كذلك في ابتغاء معاشهم وهذا الصنف لا كلام معهم لانهم بلغوا الغاية في الجهل والرداءة والاحتراف بالسرقة ولا حاسم لعلمهم الا اشتداد الحكم عليهم وتناولهم من حيث كانوا وقطع أيديهم متى ظهر واعلى شأنهم لأن فيه افساد اللسكة التي تعم بها البلوى وهي مقول الناس كافة والسلطان مكلف باصلاحها والاحتياط عليها والاشتداد على مفسديها وأما من انتحل هذه الصناعة ولم يرض بحال الدلسة بل استنكف عنها وزنه نفسه عن افساد سكة المسلمين ونقودهم وانما يطلب احالة الفضة للذهب والرصاص والنحاس والتزدير الى الفضة بذلك النحوم من العلاج وبالاكسيرة الحاصل عنده فلنأمر هؤلاء متكلم وبحث في مداركهم لذلك مع اننا لانعلم أن أحداً من أهل العلم تم له هذا الغرض أو حصل منه على بغية انما ذهب أعمارهم في التدبير والفهر والصلابة والتصعيد والتكليس واعتياهم الاخطار بجمع العقاقير والبحث عنها ويتناقلون في ذلك حكايات وقعت لغيرهم ممن تم له الغرض منها أو وقف على الوصول يقنعون باستمائها والمفاوضة فيها ولا يستريون في تصديقها شأن الكافين المغربيين بوساوس الاخبار فيما يكلفون به فاذا سئلوا عن تحقيق ذلك بالمعينة أنكره وقالوا انما سمعنا ولم نره كذا انما نعلم في كل عصر وجيل واعلم أن انتحال هذه الصناعة قديم في العالم وقد تكلم الناس فيها من المتقدمين والمتأخرين فلننقل مذاهبهم في ذلك ثم تلوه بما يظهر فيها من التحقيق الذي عليه الامر في نفسه منقول ان مبنى الكلام في هذه الصناعة عند الحكماء على حال المعادن السبعة



المنطوقة وهي الذهب والفضة والرصاص والقزدير والنحاس والحديد والخارصين  
هل هي مختلفات بالفصول وكلها أنواع قائمة بأنفسها وأنها مختلفة بخواص من  
الكيفيات وهي كلها أصناف لنوع واحد فالذي ذهب اليه أبو نصر الفارابي وتابعه  
عليه حكاه الأندلس أنها نوع واحد وأن اختلافها إنما هو بالكيفيات من الرطوبة  
واليبوسة واللين والصلابة والألوان من الصفرة والبياض والسواد وهي كلها  
أصناف لذلك النوع الواحد والذي ذهب اليه ابن سينا وتابعه عليه حكاه المشرق  
أنها مختلفة بالفصول وأنها أنواع متباينة كل واحد منها قائم بنفسه متحقق بحقيقته  
له فصل وجنس شأن سائر الأنواع وبني أبو نصر الفارابي على مذهبه في اتفاقها بالأنواع  
إمكان انقلاب بعضها إلى بعض لا مكان تبدل الأعراض حينئذ وعلاجها بالصنعة  
فإن هذا الوجه كانت صناعة الكيمياء عنده ممكنة سهلة المأخذ وبني أبو علي ابن سينا  
على مذهبه في اختلافها بالأنواع إنكار هذه الصنعة واستحالة وجودها بناء على أن  
الفصل لا سبيل بالصناعة إليه وإنما خلقه خالق الأشياء ومقدرها وهو الله عز وجل  
والفصول مجهولة الحقائق رأينا بالتصور فكيف يحاول انقلابها بالصنعة وغلطه  
الطغرائي من أكابر أهل هذه الصناعة في هذا القول ورد عليه بأن التدبير والعلاج  
ليس في تخليق الفصل وإبداعه وإنما هو في أعداد المادة لقبوله خاصة والفصل يأتي  
من بعد الأعداد من لدن خالقه وبارئه كما يفيض النور على الأجسام بالثقل والامهات  
ولاحاجة بنا في ذلك إلى تصوره ومعرفة قال وإذا كنا قد عثرنا على تخليق بعض  
الحيوانات مع الجهل بفصولها مثل العقرب من التراب والتن ومثل الحيات المتكوتة  
من الشعر ومثل ما ذكره أصحاب الفلاحة من تكوين النحل إذا فقدت من عجاجيل  
البقر وتكوين القصب من قرون ذوات الطلف وتصديره سكرًا بمشوش القرون بالعسل  
بين يدي ذلك الفلح للقرون فما المانع إذا من العثور على مثل ذلك في الذهب والفضة  
فتتخذ مادة تصيرها للتدبير بعد أن يكون فيها استعداد أول لقبول صورة الذهب  
والفضة ثم تحاول بالعلاج إلى أن يتم فيها الاستعداد لقبول فصلها انتهى كلام  
الطغرائي بجمعنا وهذا الذي ذكره في الرد على ابن سينا صحيح لكن لنا في الرد على أهل هذه  
الصناعة مأخذ آخر تبين منه استحالة وجودها وبطلان مزعمهم أجمعين لا الطغرائي  
ولا ابن سينا وذلك أن حاصل علاجهم أنهم بعد الوقوف على المادة المستعدة  
بالاستعداد الأول يجعلونها موضوعا ويحاذون في تدبيرها وعلاجها تدبير الطبيعة  
في الجسم المعدني حتى أحالة ذهباً أو فضة ويضاعفون القوى الفاعلة والمنفعله لتتم في  
زمان أقصر لأنه تبين في موضعه أن مضاعفة قوة الفاعل تنقص من زمن فعله وتبين أن

الذهب إنما يتم كونه في معدنه بعد ألف وثمانين من السنين دورة الشمس الكبرى فإذا  
تضاعفت القوى والكيفيات في العلاج كان زمن كونه أقصر من ذلك ضرورة على  
ما قلناه أو يتحرون بعلاجهم ذلك حصول صورة من أجبية لتلك المادة تصيرها كالخبرة  
فتفعل في الجسم المعالج الأفاعيل المطلوبة في حالته وذلك هو الأيسر على ما تقدم \*  
واعلم أن كل متكون من المولدات العنصرية فلا بد فيه من اجتماع العناصر الأربعة على  
نسبة متفاوتة إذ لو كانت متكافئة في النسبة لما تم امتزاجها فلا بد من الجزء الغالب  
على الكل ولا بد في كل ممتزج من المولدات من حرارة غريزية هي الفاعلة لكونه الحافظة  
أصورته ثم كل متكون في زمان فلا بد من اختلاف أطواره وانتقاله في زمن التكوين  
من طور إلى طور حتى ينتهي إلى غايته وانظر شأن الإنسان في طور النطفة ثم العلاقة ثم  
المضغة ثم التصوير ثم الجنين ثم المولود ثم الرضيع ثم إلى نهايته ونسب الأجزاء  
في كل طور تختلف في مقاديرها وكيفياتها والالكان الطور بعينه الأول هو الآخر  
وكذا الحرارة الغريزية في كل طور مخالفة لها في الطور الآخر فانظر إلى الذهب  
ما يكون له في معدنه من الأطوار منذ ألف سنة وثمانين وما ينتقل فيه من الأحوال  
فيحتاج صاحب الكيمياء إلى أن يساوق فعل الطبيعة في المعدن ويحاذيه بتدبيره وعلاجه  
إلى أن يتم ومن شرط الصناعة أبدأ تصور ما يقصد إليه بالصنعة في الأمثال السائرة  
للمحكم أول العمل آخر الفكرة وآخر الفكرة أول العمل فلا بد من تصور هذه  
الحالات للذهب في أحواله المتعددة ونسبها المتفاوتة في كل طور واختلاف الحارة  
الغريزية عند اختلافها ومقدار الزمان في كل طور وما ينوب عنه من مقدار القوى  
المضاعفة ويقوم مقامه حتى يحاذي بذلك كله فعل الطبيعة في المعدن أو تعدل بعض  
المواد صورة من أجبية تكون كصورة الخبرة للخبر وتفعل في هذه المادة بالمناسبة لقواها  
ومقاديرها وهذه كلها إنما يحصرها العلم المحيط والعلوم البشرية قاصرة عن ذلك وإنما  
حال من يدعى حصوله على الذهب بهذه الصنعة بمثابة من يدعى بالصنعة تخليق إنسان  
من المني ونحن إذا سلمنا له الإحاطة بأجزائه ونسبته وأطواره وكيفية تخليقه في رجه  
وعلم ذلك علماً محصلاً بتفاصيله حتى لا يشذ منه شيء عن علمه سلمنا له تخليق هذا الإنسان  
وأني له ذلك \* ولنقرب هذا البرهان بالاختصار ليسهل فهمه فنقول حاصل صناعة  
الكيمياء وما يدعونه بهذا التدبير أنه مساوقة الطبيعة المعدنية بالفعل الصناعي  
ومحاذاة لها إلى أن يتم ككون الجسم المعدني أو تخليق مادة بقوى وأفعال وصورة  
من أجبية تفعل في الجسم فعلاً طبيعياً تصيره وتقلبه إلى صورته وأفعال العمل الصناعي  
مسبوق بتصورات أحوال الطبيعة المعدنية التي يقصد مساوقتها ومحاذاة لها وفعل



المادة ذات القوى فيها تصور مفصلا واحدة بعد أخرى وتلك الأحوال لانهاية لها  
والعلم البشري عاجز عن الاحاطة بما دونها وهو بمثابة من يقصد تخليق انسان  
أو حيوان أو نبات هذا يحصل هذا البرهان وهو أثق ما علمته وليست الاستحالة فيه  
من جهة الفصول كما رأيت ولا من الطبيعة انما هو من تعذر الاحاطة وقصور البشر عنها  
وما ذكره ابن سينا بعزل عن ذلك وله وجه آخر في الاستحالة من جهة غايته وذلك أن  
حكمة الله في الجبرين وندورهما انهما قيم لمكاسب الناس ومقولاتهم فلو حصل عليهم  
بالصنعة لبطلت حكمة الله في ذلك وكثر وجودهما حتى لا يحصل أحد من اقتنائهما  
على شيء وله وجه آخر من الاستحالة أيضا وهو ان الطبيعة لا تترك أقرب الطرق في أفعالها  
وترتكب الأعوص والابعد فلو كان هذا الطريق الصناعي الذي يزعمون أنه صحيح  
وأنه أقرب من طريق الطبيعة في معدها وأقل زمانا لما تركته الطبيعة الى طريقها  
الذي سلكته في كون النضة والذهب وتخليقهما وأما تشبيه الطغرائي هذا التدبير بما  
عثر عليه من مفردات لامثاله في الطبيعة كالعقرب والنحل والحية وتخليقها فامر صحيح  
في هذه أدنى اليه العثور كما زعم \* وأما الكيمياء فلم يقل عن أحد من أهل العلم أنه عثر عليها  
ولا على طريقها وما زال متحلوها يخبطون فيها خبط عشواء الى هلم جئوا ولا يظفرون  
الابالحكايات الكاذبة ولو صح ذلك لأحد منهم لحفظه عنه أولاده وتلميذه وأصحابه  
وتنقل في الأصدقاء وضمن تصديقه صحة العمل بعده الى أن يتشروا ويبلغ السنا والى  
غيرنا وأما قولهم ان الاكسير بمثابة الخمرة وأنه مركب يحيل ما يحصل فيه  
ويقلبه الى ذلك فاعلم أن الخمرة انما تقلب العجين وتعدده للهضم وهو فساد والفساد في  
المواد سهل يقع بأيسر شيء من الأفعال والطبائع والمطلوب بالاكسير قلب المعدن الى  
ما هو أشرف منه وأعلى فهو تكوين وصلاح والتكوين أصعب من الفساد فلا  
يقاس الاكسير بالخمرة وتحقيق الامر في ذلك أن الكيمياء ان صح وجودها كما تزعم  
الحكماء المتكلمون فيها مثل جابر بن حيان ومسلمة بن أحمد المجريطي وأمثالهم فليست  
من باب الصنائع الطبيعية ولا تتم بامر صناعي وليس كلامهم فيها من منى  
الطبيعات انما هو من منى كلامهم في الامور السخرية وسائر الخوارق وما كان من  
ذلك للعلاج وغيره وقد ذكر مسلمة في كتاب الغاية ما يشبه ذلك وكلامه فيها في كتاب رتبة  
الحكيم من هذا المنحى وهذا كلام جابر في رسالته ونحو كلامهم فيه معروف ولا حاجة  
بنا الى شرحه وبالجملة فأمرها عندهم من كليات المواد الخارجة عن حكم الصنائع فكما  
لا يتدبر ما منه الخشب والحيوان في يوم أو شهر خشب أو حيوانا فيمعدا محجريا تخلقه  
كذلك لا يتدبر ذهب من مادة الذهب في يوم ولا شهر ولا يتغير طريق عاده الأبارقادما

وراء عالم الطبائع وعمل الصنائع فكذلك من طلب الكيمياء طلبا صناعيا ضيع ماله  
وعمله ويقال لهذا التدبير الصناعي التدبير العقيم لأن نيلها ان كان صحيحا فهو واقع  
بما وراء الطبائع والصنائع فهو كالشيء على الماء وامتطاء الهواء والنفوذ في كثائف  
الاجساد ونحو ذلك من كرامات الاولياء الخارقة للمادة أو مثل تخليق الطير ونحوها  
من معجزات الانبياء قال تعالى واذ خلق من الطين كهيئة الطير اذني فتنفخ فيها فتكون  
طيرا باذني وعلى ذلك فسيل نسيها مختلف بحسب حال من يؤتاها فربما أوتيتها الصالح  
وبوتيتها غيره فتكون عنده معارة وربما أوتيتها الصالح ولا يملك ايتاءها فلا تتم في يد غيره  
ومن هذا الباب يكون عملها محريا فقد تبين أنها انما تقع بتأثيرات النفوس وخوارق  
العادة اما معجزة أو كرامة أو سحرا ولهذا كان كلام الحكماء كلهم فيها الغار لا يظفر  
بحقيقة الامن خاض لجة من علم السحر واطلع على تصرفات النفس في عالم الطبيعة  
وأمر خرق العادة غير منحصرة ولا يقصد أحد الى تحصيلها والله بما يعملون محيط  
وأكثر ما يحصل على التماس هذه الصناعة واتحاليها هو كما قلناه العجز عن الطرق  
الطبيعية للمعاش وابتغاؤه من غير وجودها الطبيعية كالقلاحة والتجارة والصناعة  
فبستصعب العاجز ابتغاه من هذه ويروم الحصول على الكثير من المال دفعة بوجوه  
غير طبيعية من الكيمياء وغيرها وأكثر من يعني بذلك الفقراء من أهل العمران حتى  
في الحكماء المتكلمين في انكارها واستحالتها فان ابن سينا القائل باستحالتها كان  
علية الوزراء فكان من أهل الغنى والثروة والقار إلى القائل بامكانها كان من أهل  
الفقر الذين يعوزهم أدنى بلغة من المعاش وأسبابه وهذه هممة ظاهرة في انظار النفوس  
المولعة بطرقها واتحاليها والله الرزاق ذو القوة المتين لا رب سواه

### ٢٨ (فصل في ان كثرة التأليف في العلوم عائقة عن التحصيل)

(اعلم) أنه مما أضر بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غايته كثرة التأليف  
واختلاف الاصطلاحات في التعليم وتعدد طرقها ثم مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار  
ذلك وحينئذ يسلم له منصب التحصيل فيحتاج المتعلم الى حفظها كلها أو أكثرها  
ومراعاة طرقها ولا يفي عمره بما كتب في صناعة واحدة اذا تجرد لها فيقع القصور  
ولا بد دون رتبة التحصيل ويمثل ذلك من شأن الفقه في المذهب المالكي بكتاب  
المدونة مثلا وما كتب عليه من الشروحات الفقهية مثل كتاب ابن يونس واللخمى  
وابن بشير والتنبيهات والمقدمات والبيان والتحصيل على العينية وكذلك كتاب ابن  
الحاجب وما كتب عليه ثم انه يحتاج الى تغيير الطريقة القير وانية من القرطبية



والبغدادية والمصرية وطرق المتأخرين عنهم والاحاطة بذلك كله وحينئذ يسلم له منصب انشيا وهي كلها متكررة والمعنى واحد والمتعلم مطالب باستحضار جميعها وتمييز ما بينها والعمر يقتضي في واحد منها ولو اقتصر المعلوم بالتعليم على المسائل المذهبية فقط لكان الامر بدون ذلك بكثير وكان التعليم سهلا وما أخذه قريبا ولكنه داء لا يرتفع لاستقرار العوائد عليه فصارت كالطبيعة التي لا يمكن نقلها ولا تحويلها ويثقل أيضا علم العربية من كتاب سيوييه وجميع ما كتب عليه وطرق البصريين والكوفيين والبغداديين والاندلسيين من بعدهم وطرق المتقدمين والمتأخرين مثل ابن الحاجب وابن مالك وجميع ما كتب في ذلك وكيف يطالب به المتعلم وينتضي عمره دونه ولا يطمع أحد في الغاية منه الا في القليل النادر مثل ما وصل اليها بالمغرب لهذا العهد من تأليف رجل من أهل صناعة العربية من أهل مصر يعرف بابن هشام ظهوره من كلامه فيها انه استولى على غاية من ملكة تلك الصناعة لم تحصل الا لسيوييه وابن جني وأهل طبقة العظم ملكته وما أحاط به من أصول ذلك الفن وتعارفه وحسن تصرفه فيه ودل ذلك على أن الفضل ليس منحصرا في المتقدمين سيما مع ما قدمناه من كثرة الشواغب بتعدد المذاهب والطرق والتأليف ولكن فضل الله بؤيته من يشاء وهذا نادر من نوادر الوجود والافالظاها أن المتعلم ولو قطع عمره في هذا كله فلا يفي له بتحصيل علم العربية مثلا الذي هو آلة من الآلات ووسيلة فكيف يكون في المقصود الذي هو الثمرة ولكن الله يهدي من يشاء

### ٢٩ (فصل في ان كثرة الاختصار است الموافقة في العلوم مخلة بالتعليم)

ذهب كثير من المتأخرين الى اختصار الطرق والانحاء في العلوم يولعون بها ويدقون منها برناجها مختصرا في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار في الالفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن وصار ذلك مخلا بالابلاغة وعسرا على الفهم وربما عدوا الى الكتب الاتمهات المطولة في الفنون للتفسير والبيان فاختصروها وتقريبوا بالحفظ كما فعله ابن الحاجب في الفقه وأصول الفقه وابن مالك في العربية والخونجي في المنطق وأمثالهم وهو فساد في التعليم وفيه خلل بالتحصيل وذلك لأن فيه تخلطا على المبتدى بالقاء الغايات من العلم عليه وهو لم يستعد لقبولها بعد وهو من سوء التعليم كما سيأتي ثم فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلم يتبع الفاظ الاختصار العويصة للفهم بتزاحم المعاني عليها وصعوبة استخراج المسائل من بينها لأن ألفاظ المختصرات تجدها لاجل ذلك صعبة عويصة فينقطع في فهمها حظ صالح

عن الوقت ثم بعد ذلك فالملكة الحاصلة من التعليم في تلك المختصرات اذا تم على سداده ولم تعقبه آفة فهي ملكة قاصرة عن الملكات التي تحصل من الموضوعات البسيطة المطولة بكثرة ما يقع في تلك من التكرار والاحالة المفيد لحصول الملكة التامة واذا اقتصر على التكرار قصرت الملكة لقلته كشأن هذه الموضوعات المختصرة فقصدوا الى تسهيل الحفظ على المتعلمين فارتكبوا بهم صعبا يقطعهم عن تحصيل الملكات النافعة وتذكروا من يهدي الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له والله سبحانه وتعالى أعلم

### ٣٠ (فصل في وجوب الصواب في تعليم العلوم وطريق اناد)

(اعلم) أن تلقين العلوم للمتعلمين انما يكون مفيدا اذا كان على التدريس شيئا فشيئا وقليلًا قليلا يلقي عليه أولا مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب ويقرب له في شرحها على سبيل الاجال ويراعى في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهي الى آخر الفن وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم الا أنها جزئية وضعيفة وغايتها أنها هيأته لفهم الفن وتحصيل مسائله ثم يرجع به الى الفن ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة الى أعلى منها ويستوفى الشرح والبيان ويخرج عن الاجال ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه الى أن ينتهي الى آخر الفن فيجود ملكته ثم يرجع به وقد شد فلا يترك عويصا ولا مهما ولا متعلقا الا وضح وفتح له مقفله فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته هذا وجه التعليم المفيد وهو كما رأيت انما يحصل في ثلاث تكرارات وقد يحصل للبعض في أقل من ذلك بحسب ما يخلق له ويتيسر عليه وقد شاهدنا كثيرا من المعلمين لهذا العهد الذي أدركنا يجهلون طرق التعليم واذا رته ويحضرون المتعلم في أول تعليمه المسائل المغفلة من العلم ويطلبونه باحضار ذهنه في حلها ويحسبون ذلك مراعاة على التعليم وصوابا فيه ويكلفونه رعي ذلك وتحصيله ويخلطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون في مبادئها وقبل أن يستعدا فهمها فان قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجا ويكون المتعلم أول الامر عاجزا عن الفهم بالجملة الا في الاقل وعلى سبيل التقريب والاجال وبالامثال الحسية ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلا قليلا بمخالفة مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه والانتقال فيها من التقريب الى الاستيعاب الذي فوقه حتى تتم الملكة في الاستعداد ثم في التحصيل ويحيط هو بمسائل الفن واذا القيت عليه الغايات في البدايات وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعي وبعيد عن الاستعداد له كل ذهنه عنها وحسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه فتكاسل عنه وانحرف عن قبوله وتعمد في هجرته وانما



أنى ذلك من سوء التعليم ولا ينبغي للمعلم أن يزيد متعلمه على فهم كتابه الذى أكب على التعليم منه بحسب طاقته وعلى نسبة قبوله للتعليم مبتدئاً كان أو منتهياً ولا يخلط مسائل الكتاب بغيرها حتى يعيه من أوله إلى آخره ويحصل اغراضه ويستولى منه على ملكة بها ينقد في غيره لأن المتعلم إذا حصل ملكة ما في علم من العلوم استعدها لقبول ما يلقى وحصل له نشاط في طلب المزيد والنهوض إلى ما فوق حتى يستولى على غايات العلم وإذا خلط عليه الأمر عجز عن الفهم وأدركه الكلال وانظم فكره ويئس من التحصيل وهجر العلم والتعليم والله يهدي من يشاء وكذلك ينبغي لك أن لا تطول على المتعلم في الفن الواحد بتقريب المجالس وتقطيع ما بينها لانه ذريعة إلى الانبساط وانقطاع مسائل الفن بعضها من بعض فيعسر حصول الملكة بتفريقها وإذا كانت أوائل العلم وأواخره حاضرة عند الفكرة مجانة للنسيان كانت الملكة أيسر حصولاً وأحكم ارتباطاً وأقرب صبغة لأن الملكات إنما تحصل بتتابع الفعل وتكراره وإذا تنوسى الفعل تنوسيت الملكة الناشئة عنه والله علمكم ما لم تكونوا تعلمون ومن المذاهب الجميلة والطرق الواجبة في التعليم أن لا يخلط على المتعلم علمان معاً فإنه حينئذ قل أن يظفر بواحد منهما لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما إلى تفهم الآخر فيستغلغلان معاً ويستصعبان ويعود منهما بالخيبة وإذا تفرغ الفكر لتعليم ما هو بسبيله مقتصر عليه فربما كان ذلك أجدر بنحصيله والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب

(فصل) واعلم أيها المتعلم أنى أتخفك بفائدة في تعلمك فان تلقيتها بالقبول وأمسكتها بيد الصناعة ظفرت بكنز عظيم وذخيرة شريفة وأقدم لك مقدمة تعينك في فهمها وذلك ان الفكر الانساني طبيعة مخصوصة فطرها الله كما فطر سائر مبتدعاته وهو وجدان حركة النفس في البطن الاوسط من الدماغ تارة يكون مبدأً للأفعال الانسانية على نظام وترتيب وتارة يكون مبدأً لعلم ما لم يكن حاصله بان يتوجه إلى المطلوب وقد تصور طريقه ويروم نفيه أو اثباته فيلوح له الوسط الذى يجمع بينهما أسرع من لمح البصر ان كان واحداً وينتقل إلى تحصيل آخر ان كان متعدداً ويصير إلى الظفر بمطلوبه هذا شأن هذه الطبيعة الفكرية التي تميز بها البشر من بين سائر الحيوانات ثم الصناعة المنطقية هي كيفية فعل هذه الطبيعة الفكرية النظرية تصفه لتعلم سداده من خطئه لأنها وان كان الصواب لها ذاتياً الا أنه قد يعرض لها الخطأ في الأقل من تصور الطرفين على غير صورتهم من اشتباه الهيئات في نظم القضايا وترتيبها للساج فتعين المنطق للتخلص من ورطة هذا الفساد

إذا عرض فالمنطق إذا أمر صناعي مساوق للطبيعة الفكرية ومنطبق على صورة فعلها ولكونه أمر اصناعي استغنى عنه في الأكثر ولذلك تجد كثيراً من خول النظر في الخليفة يحصلون على المطالب في العلوم دون صناعة المنطق ولا سيما مع صدق النية والتعرض لرحمة الله فان ذلك أعظم معنى ويسلكون بالطبيعة الفكرية على سدادها فيفضى بالطبع إلى حصول الوسط والعلم بالمطلوب كما فطرها الله عليه ثم من دون هذا الأمر الصناعي الذى هو المنطق مقدمة أخرى من التعلم وهي معرفة الالفاظ ودلائلها على المعاني الذهنية تردها من مشافهة الرسوم بالكتاب ومشافهة اللسان بالخطاب فلا بد أيها المتعلم من مجاوزتك هذه الحجب كلها إلى الفكر في مطلوبك فأولا دلالة الكتابة المرسومة على الالفاظ المقولة وهي أخفها ثم دلالة الالفاظ المقولة على المعاني المطلوبة ثم القوانين في ترتيب المعاني للاستدلال في قوالها المعروفة في صناعة المنطق ثم تلك المعاني مجردة في الفكر اشتراطاً يقتضيه بالمطلوب بالطبيعة الفكرية بالتعرض لرحمة الله ومواهبه وليس كل أحد يتجاوز هذه المراتب بسرعة ولا يقطع هذه الحجب في التعليم بسهولة بل ربما وقف الذهن في حجب الالفاظ بالمناقشات أو عثر في اشتراك الأدلة بشغب الجدال والشبهات وقعد عن تحصيل المطلوب ولم يكدي يتخلص من تلك الغمرة الا قليلاً ممن هداه الله فإذا التبت بمثل ذلك وعرض لك ارتباط في فهمك أو تشعب بالشبهات في ذهنك فاطرح ذلك واتبذ حجب الالفاظ وعوائق الشبهات واترك الأمر الصناعي بجملة واخلص إلى فضاء الفكر الطبيعي الذى فطرت عليه وسرح نظرك فيه وفرغ ذهنك فيه للغوص على مرامك منه واضعها حيث وضعها أكبر النظائر قبلك مستعرضاً للفتح من الله كما فتح عليهم من ذهنهم من رحمة وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون فإذا فعت ذلك أشرق عليك أنوار الفتح من الله بالظفر بمطلوبك وحصل الامام الوسط الذى جعله الله من مقتضيات هذا الفكر ونظره عليه كما قلناه وحينئذ فارجع به إلى قوال الأدلة وصورها فأفرغه فيها ووفه حقه من القانون الصناعي ثم اكسه صور الالفاظ وأبرزه إلى عالم الخطاب والمشافهة وثيق العرى صحيح البنيان \* وأما ان وقفت عند المناقشة والشبهة في الأدلة الصناعية وتحميص صوابها من خطئها وهذه أمور صناعية وضعية تستوى جهات المتعددة وتشابه لأجل الوضع والاصطلاح فلا تميز جهة الحق منها أذ جهة الحق إنما تستبين إذا كانت بالطبع فيستمر ما حصل من الشك والارتباب وتسدد الحجب على المطلوب وتبعد بالنظر عن تحصيله وهذا شأن الأكثرين من النظائر والمتأخرين سيما من سبق له عجمة في لسانه فربطت عن ذهنه ومن حصل له شغب بالقانون المنطقي تعصب



له فاعتقد أنه الذريعة الى ادراك الحق بالطبع فيقع في الحيرة بين شبه الادلة وشكوكها ولا يكاد يخلص منها والذريعة الى درك الحق بالطبع انما هو الفكر الطبيعي كما قلناه اذ اجرد عن جميع الاوهام وتعرض الناظر فيه الى رحمة الله تعالى وأما المنطق فانما هو واصف افعل هذا الفكر فيساووقه لذلك في الاكثر فاعتبر ذلك واستمطر رحمة الله تعالى متى أعوز لفهم المسائل تشرق عليك أنواره بالالهام الى الصواب والله الهادي الى رحمة وما العلم الا من عند الله

### ٣١ (فصل في أن العلوم الالهية لا توسع فيها الا نظار ولا تفرع المسائل)

(اعلم) أن العلوم المتعارفة بين أهل العمران على صنفين علوم مقصودة بالذات كالشرعيات من التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام وكالطبيعيات والانهيآت من الفلسفة وعلوم هي آلية وسيلة لهذه العلوم كالعربية والحساب وغيرهما للشرعيات وكانطق للفلسفة وربما كان آلة لعلم الكلام ولاصول الفقه على طريقة المتأخرين فأما العلوم التي هي مقاصد فلا حرج في توسعة الكلام فيها وتفرع المسائل واستكشاف الادلة والانظار فان ذلك يزيد طاعتها في ملكته وايضا طاعتها بالمقصودة وأما العلوم التي هي آلة لغيرها مثل العربية والمنطق وأمثالها فلا ينبغي أن ينظر فيها الامن حيث هي آلة لذلك الغير فقط ولا يوسع فيها الكلام ولا تفرع المسائل لان ذلك يخرج لها عن المقصود اذا المقصود منها ما هي آلة له لا غير فكما خرجت عن ذلك خرجت عن المقصود وصار الاشتغال بها لغوامع ما فيه من صعوبة الحصول على ملكتها بطولها وكثرة فروعها وربما يكون ذلك عائقا عن تحصيل العلوم المقصودة بالذات لطول وسائلها مع أن شأنها أهم والعمر يهصر عن تحصيل الجميع على هذه الصورة فيكون الاشتغال بهذه العلوم الآلية تضييعا للعمر وشغلا عما لا يعني وهذا كما فعل المتأخرون في صناعة النحو وصناعة المنطق وأصول الفقه لانهم أوسعوا دائرة الكلام فيها وأكثروا من التفاريع والاستدلالات بما أخرجها عن كونها آلة وصيرها من المقاصد وربما يقع فيها انظار لا حاجة بها في العلوم المقصودة فهي من نوع اللغز وهي أيضا مضرّة بالتعليم على الاطلاق لان التعليم اهتمهم بالعلوم المقصودة أكثر من اهتمهم بوسائلها فاذا قطعوا العمر في تحصيل الوسائل بقي ينظفرون بالمقاصد فلهذا يجب على المعلمين لهذه العلوم الآلية أن لا يستجروا في شأنها وينهوا المتعلم على الغرض منها ويقفوا به عنده فنزعت به همته بعد ذلك الى شيء من التوغل فليبرق له ما شاء من المراتق صعبا أو سهلا وكل ميسر لما خلق له

### ٣٢ (فصل في تعليم الولدان واختلاف مذاهب الامصار الاسلامية في طرق)

(اعلم) أن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعار الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه الى القلوب من روح الايمان ويقائمه من آيات القرآن وبعض متون الاحاديث وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبنى عليه ما يحصل بعد من الملكات وسبب ذلك أن تعليم الصغر أشد رسوخا وهو أصل لما بعده لان السابق الاول للقلوب كالاساس للملكات وعلى حسب الاساس وأساليبه يكون حال ما ينبنى عليه واختلقت طرقهم في تعليم القرآن للولدان باختلاف فهم باعتبار ما ينشأ عن ذلك التعليم من الملكات فأما أهل المغرب فذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط وأخذهم أثناء المداينة بالرسم ومسائله واختلاف جهة القرآن فيه لا يخجلون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم لامن حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب الى أن يحذف فيه أو ينقطع دونه فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعا عن العلم بالجملة وهذا مذهب أهل الامصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر أم المغرب في ولدانهم الى أن يجاوزوا حد البلوغ الى الشبيبة وكذا في الكبير اذا راجع مذاكرة القرآن بعد طائفة من عمره فهم لذلك أقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم وأما أهل الاندلس فذهبهم تعليم القرآن والكتاب من حيث هو وهذا هو الذي يراعونه في التعليم الا أنه لما كان القرآن أصل ذلك وأسه ومنبع الدين والعلوم جعلوه أصلا في التعليم فلا يقتصرون لذلك عليه فقط بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب والترسل وأخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكتاب ولا تقتصر عنايتهم في التعليم بالقرآن دون هذه بل عنايتهم فيه بالخط أكثر من جميعها الى أن يخرج الولد من عمر البلوغ الى الشبيبة وقد شد بعض الشيء في العربية والشعر والبصريهما وبرز في الخط والكتاب وتعلق بأذيال العلم على الجملة لو كان فيها سند لتعليم العلوم لكنهم ينقطعون عند ذلك لانقطاع سند التعليم في آفاقهم ولا يحصل بأيديهم الا ما حصل من ذلك التعليم الاول وفيه كفاية لمن أرشده الله تعالى واستعداد اذا وجد المعلم وأما أهل افرريقية فيخلطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب ومدارسه قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها الا أن عنايتهم بالقرآن واستظهار الولدان آياته ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءته أكثر مما سواهم وعنايتهم بالخط تسع لذلك وبالجملة فطريقهم في تعليم القرآن أقرب الى طريقة أهل الاندلس لان سند طريقهم في ذلك متصل بشيخة الاندلس الذين أجازوا مندغلب النصارى على



نشق الاندلس واستقرت واتونس وعندهم أخذوا ولادتهم بعد ذلك وأما أهل المشرق  
فيخلطون في التعليم كذلك على ما يبلغوا ولا أدري بم عنيتهم منها والذي ينقل لنا أن  
عنيتهم بدراسة القرآن وحفظ العلم وقوانينه في زمن الشيعة ولا يخلطون بتعليم الخط  
بل لتعليم الخط عندهم قانون ومعلمون له على انفرادهم كما تعلم سائر الصنائع ولا يتداولونها  
في مكاتب الصبيان وإذا كتبوا لهم الألواح فخط قاصر عن الإجابة ومن أراد تعلم الخط  
فعلى قدر ما ينسخ له بعد ذلك من المهمة في طلبه ويتبعه من أهل صنعة فأما أهل  
أفريقية والمغرب فأفادهم الاقتصاد على القرآن القصور عن ملكة الإنسان بجملة وذلك  
أن القرآن لا ينشأ عنه في الغالب ملكة لما أن البشر مصروفون عن الاتيان بمثله فهم  
مصروفون لذلك عن الاستعمال على أساليبه والاحتذاء به وليس لهم ملكة في غير  
أساليبه فلا يحصل لصاحبه ملكة في اللسان العربي وحظه الجود في العبارات وقلة  
التصرف في الكلام وربما كان أهل أفريقية في ذلك أخف من أهل المغرب لما  
يخلطون في تعليمهم القرآن بعبارات العلوم في قوانينها كما قلناه فيقتدرون على شئ من  
التصرف ومحاذاة المثل بالمثل الآن ملكتهم في ذلك قاصرة عن البلاغة لما أن أكثر  
محفوظهم عبارات العلوم انمازلة عن البلاغة كما سيأتي في فصله وأما أهل الاندلس  
فأفادهم التفنن في التعليم وكثرة رواية الشعر والترسل ومدارس العربية من أول  
العمر حصول ملكة صاروا بها أعرف في اللسان العربي وقصروا في سائر العلوم بعد ذلك  
عن مدارس القرآن والحديث الذي هو أصل العلوم وأساسها فكانوا لذلك أهل حظ  
وأدب بارع ومقصر على حسب ما يكون التعليم الثاني من بعد تعليم الصبا ولقد ذهب  
القاضي أبو بكر بن العربي في كتاب رحلته إلى طريقة غريبة في وجه التعليم وأعاد  
في ذلك وأبدأ وقدم تعليم العربية والشعر على سائر العلوم كما هو مذهب أهل الاندلس  
قال لأن الشعر دين وأن العرب يدعوا إلى تقديمه وتعليم العربية في التعليم ضرورة فساد  
اللغة ثم ينتقل منه إلى الحساب فيتمرن فيه حتى يرى القوانين ثم ينتقل إلى درس  
القرآن فانه ييسر عليه هذه المقدمة ثم قال وباعقله أهل بلادنا في أن يؤخذ الصبي  
بكتاب الله في أول أمره يقرأ ما لا يفهم وينصب في أمر غيره أهمل عليه ثم قال ينظر في  
أصول الدين ثم أصول الفقه ثم الجدل ثم الحديث وعلومه ونهى مع ذلك أن يخلط في  
التعليم علما الآن يكون المتعلم قابلا لذلك بجودة الفهم والنشاط هذا ما أشار إليه  
القاضي أبو بكر رحمه الله وهو لعمرى مذهب حسن الآن العوائد لا تساعد عليه وهي  
أملك بالأحوال ووجه ما اختصت به العوائد من تقدم دراسة القرآن إشارا للتبرك  
والثواب وخشية ما يعرض للولد في جنون الصبا من الآفات والقواطع عن العلم

فيقوته القرآن لانه مادام في الحجر منقاد للحكم فاذا تجاوز البلوغ وانحل من ربة  
القهر فربما عصفت به رياح الشبهة فألقته بساحل البطالة فيفتنون في زمان الحجر  
وربة الحكم تحصيل القرآن لا لا يذهب خلوا منه ولو حصل اليقين باستقراره في طلب  
العلم وقبوله التعليم لكان هذا المذهب الذي ذكره القاضي أولى ما أخذ به أهل المغرب  
والمشرق ولكن الله يحكم ما يشاء لا معقب لحكمه سبحانه

### ٣٣ (فصل في ان الشدة على المتعلمين مضره بهم)

وذلك أن أرواف الحد في التعليم مضر بالتعلم سيما في أصغر الولد لانه من سوء الملكة  
ومن كان مربيا بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم سطابه القهر وضيق  
على النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعاها إلى الكسل وحمل على الكذب  
والخبط وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه وعمله  
المكر والخديعة لذلك وصارت له هذه عادة وخلقا فسدت معاني الانسانية التي له من  
حيث الاجتماع والتمرن وهي الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله وصار عيالا على غيره في  
ذلك بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجليل فانقبضت عن غايتها  
ومدى انساقتها فارتكس وعاد في أسفل السافلين وهكذا وقع لكل أمة حصلت في  
قبضة القهر ونال منها العسف واعتبره في كل من يملك أمره عليه ولا تكون الملكة  
الكافله له رفيقة به وتجذب ذلك فيهم استقرار وانظره في اليهود وما حصل بذلك فيهم من  
خلق السوء حتى أنهم يوصفون في كل أفق وعصر بالخرج ومعناه في الاصطلاح  
المشهور التخابث والكيد وسببه ما قلناه فينبغي للمعلم في متعلمه والوالد في ولده  
أن لا يستبدوا عليهم في التأديب وقد قال محمد بن أبي زيد في كتابه الذي ألفه في حكم  
المعلمين والمتعلمين لا ينبغي لمؤدب الصبيان أن يزيد في ضربهم إذا احتاجوا إليه على  
ثلاثة أسواط شيئا ومن كلام عمر رضي الله عنه من لم يؤدبه الشرع لأدبه الله حرصا على  
صون النفوس عن مذلة التأديب وعلما بأن المقدار الذي عينه الشرع لذلك أملك  
له فانه أعلم بمصلحته ومن أحسن مذاهب التعليم ما تقدم به الرشيد لمعلم ولده محمد  
الأمين فقال يا أحرار أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه وغرة قلبه قصير يدك عليه  
مبسوطة وطاعته لك واجبة فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين أقرئه القرآن وعرفه  
الأخبار وروقه الأشعار وعلّم السنن وبصره بمواقع الكلام وبدنه وامنع من  
الضحك إلا في أوقانه وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه ورفع مجالس  
القواد إذا حضر واجلسه ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيدها بها من غير



أن تحزنه فتمت ذهنه ولا تمن في مساحته فيستحلي الفراغ ويألفه وقومه ما استطعت  
بالقرب والملاينة فان أباهما فعليك بالشدة والغلظة انتهى

### ٣٤ (فصل في ان الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخه مزيد كمال في التعلم)

والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما يتحلون به من المذاهب  
والفضائل نارة علما وتعلما وانقاء وتارة محاسبة وتلقينا بالمباشرة الآن حصول  
الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكما وأقوى رسوخا فعلى قدر كثرة الشيوخ  
يكون حصول الملكات ورسوخها والاصطلاحات أيضا في تعليم العلوم مخلفة على  
التعلم حتى لا يظن كثير منهم أنها جزء من العلم ولا يدفع عنه ذلك المباشرة  
لاختلاف الطرق فيها من المعلمين فلقاء أهل العلوم وتعدد المشايخ يفيد تمييز  
الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها فيجرب العلم عنها ويعلم أنها انحاء تعليم  
وطرق توصيل وتنهض قواه الى الرسوخ والاستحكام في الملكات ويصح معارفه  
ويعجزها عن سواها مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين وكثرتهم من المشيخه عند  
تعدددهم وتنوعهم وهذا لمن يسر الله عليه طرق العلم والهداية فالرحلة لابد منها في  
طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بقاء المشايخ ومباشرة الرجال والله يهدي من  
يشاء الى صراط مستقيم

### ٣٥ (فصل في ان العلماء من بين البشر ابعده عن البياسة ومذاهبها)

والسبب في ذلك أنهم معتادون النظر الفكري والغوص على المعاني وانزاعها من  
المحسوسات وتجربدها في الذهن أمورا كلية عامة ليحكم عليها بأمر العموم لا بخصوص  
مادة ولا شخص ولا جيل ولا أمة ولا صنف من الناس ويطبّقون من بعد ذلك الكلي  
على الخارجيات وأيضا يقيسون الأمور على أشباهها وأمثالها بما اعتادوه من القياس  
الفقهي فلا تزال أحكامهم وأنظارهم كلها في الذهن ولا تصير الى المطابقة الا بعد الفراغ  
من البحث والنظر ولا تصير بالجملة الى مطابقة وانما يفرع عما في الخارج عما في الذهن  
من ذلك كالأحكام الشرعية فانها فروع عما في المحفوظ من أدلة الكتاب والسنة  
فقط مطابقة ما في الخارج لها عكس الانظار في العلوم العقلية التي تطلب في صحتها  
مطابقة ما في الخارج فهم معتادون في سائر أنظارهم الأمور الذهنية والانظار  
الفكرية لا يعرفون سواها والسياسة يحتاج صاحبها الى مراعاة ما في الخارج وما يلحقها  
من الأحوال ويتبعها فانها خفية ولعل أن يكون فيها ما يمنع من الخافها بشبه أو مثال  
ويتأفي الكلي الذي يحاول تطبيقه عليها ولا يقاس شيء من أحوال العمران على

الآخر إذ كما اشتبه في أمر واحد فلعلمها اختلاف في أمور فكون العلماء لاجل  
ما تعودوه من تعميم الأحكام وقياس الأمور بعضهم على بعض إذا نظروا في السياسة  
أفرغوا ذلك في قالب انظارهم ونوع استدلالهم فيقعون في الغلط كثيرا ولا يؤمن  
عليهم ويلحق بهم أهل الذكاء والكيس من أهل العمران لأنهم ينزعون بثقوب  
أذهانهم الى مثل شأن الفقهاء من الغوص على المعاني والقياس والمحاكاة فيقعون في  
الغلط والعامى السليم الطبع المتوسط الكيس لقصور فكره عن ذلك وعدم اعتياده  
ايه يقتصر على كل مادة على حكمها وفي كل صنف من الأحوال والانتخاص على ما يختص  
به ولا يعدي الحكم بقياس ولا تعميم ولا يفارق في أكثر نظره المواد المحسوسة  
ولا يجاوزها في ذهنه كالسائح لا يفارق البر عند الموج قال الشاعر  
فلا توجلن اذا ما سبحت \* فان السلامة في الساحل

فيكون مأموئنا من النظر في سياسته مستقيم النظر في معاملته أبناء جنسه فيحسن  
معاشه وتذرع آفاته ومضارته باستقامة نظره وفوق كل ذي علم عليم ومن هنا يتبين  
أن صناعة المنطق غير مأمونة الغلط لكثرة ما فيها من الانتزاع وبعد ها عن المحسوس  
فانها تنظر في المعقولات النوانى ولعل المواد فيها ما يمنع تلك الأحكام ويناقضها عند  
مراعاة التطبيق اليقيني وأما النظر في المعقولات الاول وهي التي تجريد ها قريب  
فليس كذلك لانها خيالية وصور المحسوسات حافظة مؤدنة بتصديق انطباقه والله  
سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

### ٣٦ (فصل في ان حملة العلم في الاسلام اكثرهم العجم)

من الغريب الواقع أن حملة العلم في الملة الاسلامية أكثرهم العجم لامن العلوم  
الشرعية ولامن العلوم العقلية الا في القليل النادر وان كان منهم العربي في نسبته  
فهو عجمي في لغته ومرباه ومشيجته مع أن الملة عربية وصاحب شريعته عربي  
والسبب في ذلك أن الملة في أولها لم يكن فيها علم ولا صناعة لمقتضى أحوال السداجة  
والبداءة وانما أحكام الشريعة التي هي أوامر الله ونواهيه كان الرجال ينقلونها  
في صدورهم وقد عرفوا مأخذها من الكتاب والسنة بما تلقوه من صاحب الشرع  
وأصحابه والقوم يومئذ عرب لم يعرفوا أمر التعليم والتأليف والتدوين ولا دفعوا  
اليه ولا دعته اليه حاجة وجرى الأمر على ذلك زمن الصحابة والتابعين وكانوا يسمون  
المختصين بجملة ذلك ونقله القراء أي الذين يقرؤون الكتاب وليسوا أئمة لان الأئمة  
يومئذ صفة عامة في الصحابة بما كانوا عرفوا بقبيل لجملة القرآن يومئذ قراء إشارة الى



هذا فهم قراء الكتاب الله والسنة الماثورة عن الله لانهم لم يعرفوا الاحكام الشرعية الا منه ومن الحديث الذي هو في غالب موارد تفسيره وشرح قال صلى الله عليه وسلم تركت فيكم امرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي فلما بعد النقل من لدن دولة الرشيد فبعد احتياج الى وضع التفسير القرآنية وتقييد الحديث مخافة ضياعه ثم احتياج الى معرفة الاسانيد وتعديل الناقيل للتمييز بين الصحيح من الاسانيد وما دونه ثم كثر استخراج احكام الوقائع من الكتاب والسنة وفسد مع ذلك الانسان فاحتجج الى وضع القوانين التحويلية وصارت العلوم الشرعية كلها ملكات في الاستنباط والاستخراج والتنظير والقياس واحتاجت الى علوم أخرى وهي وسائل لها من معرفة قوانين العربية وقوانين ذلك الاستنباط والقياس والذب عن العقائد اليمانية بالادلة الكثيرة لبدع والاحاد فصارت هذه العلوم كلها علوم اذات ملكات محتاجة الى التعليم فاندرجت في جملة الصنائع وقد كثرت منها أن الصنائع من متجمل الحضرة وأن العرب أبعد الناس عنها فصارت العلوم لذلك حضرية وبعد عنها العرب وعن سوقها والحضر لذلك العهد هم العجم أو من في معناهم من الموالي وأصل الحواضر الذين هم يومئذ تبع للعجم في الحضارة وأحوالها من الصنائع والحرف لانهم أقوم على ذلك للحضارة الرايحة فيهم منذ دولة الفرس فكان صاحب صناعة النحوسبيويه والفارسي من بعده والزجاج من بعدهما وكنهم عجم في أنسابهم وانما روي في اللسان العربي فأكتسبوه بالمرى ومخالطة العرب وصبروه قوانين وفنالمين بعدهم وكذا جملة الحديث الذين حفظوه عن أهل الاسلام أكثرهم عجم أو مستعجمون باللغة والمربى وكان علماء أصول الفقه كلهم عجم كما يعرف وكذا جملة علم الكلام وكذا أكثر المفسرين ولم يبق بحفظ العلم وتدوينه الا الاعاجم وظهور مصداق قوله صلى الله عليه وسلم لو تعلق العلم بأكاف السماء لنام له قوم من أهل فارس وأما العرب الذين أدركوا هذه الحضارة وسوقها وخرجوا اليها عن البداوة فشغلهم الرياسة في الدولة العباسية وما دفعوا اليه من القيام بالملك عن القيام بالعلم والنظر فيه فانهم كانوا أهل الدولة وحاميتها وأولى سياستها مع ما يلحقهم من الانفة عن اتعمال العلم حينئذ بما صار من جملة الصنائع والرؤساء أبدا يستكفون عن الصنائع والمهن وما يجزأها ودفعوا ذلك الى من قام به من العجم والمولدين وما زالوا يرون لهم حق القيام به فانه دينهم وعلومهم ولا يحتقرون حملتها كل الاحتقار حتى اذا خرج الامر من العرب بجملة وصار للعجم صارت العلوم الشرعية غريبة النسبة عند أهل الملك بما هم عليه من البعد عن نسبتها وامتن حملتها بما يرون أنهم بعداء عنهم مستغلين بما لا يعني ولا يجدى عنهم في الملك والسياسة كما

ذكرناه في نقل المراتب الدينية فهذا الذي قرناه هو السبب في أن جملة الشريعة أو عامة من العجم وأما العلوم العقلية أيضا فلم تظهر في الملة الا بعد أن تميز جملة العلم ومولفوه واستقر العلم كله صناعة فاختصت بالعجم وتركتها العرب وانصرفوا عن اتعمالها فلم يحملها الا العربيون من العجم شأن الصنائع كما قلناه أولا فلم يزل ذلك في الامصار مادامت الحضارة في العجم وبلادهم من العراق وخراسان وما وراء النهر فلما خربت تلك الامصار وذهبت منها الحضارة التي هي سر الله في حصول العلم والصنائع ذهب العلم من العجم جملة لما شغلهم من البداوة واختص العلم بالامصار الموفرة الحضارة ولا أفر اليوم في الحضارة من مصر فهي أم العالم وايران الاسلام وينبوع العلم والصنائع وبقي بعض الحضارة فيما وراء انهر لما هلك من الحضارة بالدولة التي فيها فلم يبق بذلك حصص من العلوم والصنائع لا تنكر وقد دلنا على ذلك كلام بعض علمائهم في تأليف وصلت اليها الى هذه البلاد وهو سعد الدين التفتازاني وأما غيره من العجم فلم يزلهم من بعد الامام بن الخطيب ونصير الدين الطوسي كلا ما يعول على نهايته في الاصابة فاعتبر بذلك وتأمله ترجعنا في أحوال الخليفة والله يخلق ما يشاء لا اله الا هو وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وحسبنا الله ونعم الوكيل والحمد لله

### ٣٧ (فصل في علوم اللسان العربي)

أركانها أربعة وهي اللغة والنحو والبيان والادب ومعرفة ضرورية على أهل الشريعة اذا أخذوا احكام الشريعة كلها من الكتاب والسنة وهي بلغة العرب ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب وشرح مشكلاتهم من لغاتهم فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة وتفاوت في التأكيديتفاوت مراتبها في التوفيق بمقصود الكلام حسب ما يتبين في الكلام عليها فافنا والذي يتحصل أن الاهم المقدم منها هو النحو اذ به يتبين أصول المقاصد بالدلالة في معرفة الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر ولولا جهل أصل الافادة وكان من حق علم اللغة التقدم لولأن أكثر الاوضاع باقية في موضوعاتهم تتغير بخلاف الاعراب الدال على الاسناد والمسند والمسند اليه فانه تغير بالجملة ولم يبق له أثر فلذلك كان علم النحو أهم من اللغة اذ في جهله الاخلال بالنفاهم جملة وليست كذلك اللغة والله سبحانه وتعالى أعلم به التوفيق

### (علم النحو)

اعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده وتلك العبارة فعل لساني فلا



بدأن تصير ملكة متفتررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم وكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحسن الملكات وأوضحها بآبانه عن المقاصد لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني مثل الحركات التي تعين الفاعل من المفعول من المجزور أعني المضاف ومثل الحروف التي تقضي بالافعال الى الذوات من غير تكلف ألفاظ أخرى وليس يوجد ذلك الا في لغة العرب وأما غيرها من اللغات فكل معنى أو حال لا بد له من ألفاظ تخصه بالدلالة ولذلك نجد كلام العجم في مخاطبتهم أطول مما نقدره بكلام العرب وهذا هو معنى قوله صلى الله عليه وسلم أو تبت جوامع الكلام واختصر لي الكلام اختصارا فصار للحروف في لغتهم والحركات والهيات أي الاوضاع اعتبار في الدلالة على المقصود غير متكلفين فيه اصناعة يستفيدون ذلك منها انما هي ملكة في ألسنتهم يأخذها الآخر عن الأول كما تأخذ صبياته لهذا العهد لغاتنا فلما جاء الاسلام وفارقوا الجار لطلب الملك الذي كان في أيدي الامم والدول وخالطوا العجم تغيرت تلك الملكة بما ألقى اليها السمع من المخالفات التي للمتعرين والسمع أبو الملكات اللسانية ففسدت بما ألقى اليها مما يغيرها لجنوحها اليه باعتبار السمع وخشى أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأسا ويطول العهد بها فيغلق القرآن والحديث على المفهوم فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة شبه الكلمات والقواعد يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ولحقون الاشباه بالاشباه مثل أن الفاعل مرفوع والمفعول منصوب والمبتدا مرفوع ثم رأوا تغير الدلالة بتغير حركات هذه الكلمات فاصطلحوا على تسميته اعرابا وتسمية الموجب لذلك التغير عاملا وأمثال ذلك وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم ففقدوها بالكتاب وجعلوها صناعة لهم مخصوصة واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو وأول من كتب فيها أبو الاسود الدؤلي من بني كنانة ويقال بإشارة على رضى الله عنه لانه رأى تغير الملكة فأشار عليه بحفظها فذرع الى ضبطها بالقوانين الحاضرة المستقرة ثم كتب فيها الناس من بعده الى أن انتهت الى الخليل بن أحمد الفراهيدي أيام الرشيد أخرج ما كان الناس اليها المذهب تلك الملكة من العرب فذهب الصناعة وكل أبوابها وأخذها عنه سيبويه فأكمل تفاريعها واستكثر من أدلتها وشواهدا ووضع فيها كتابه المشهور الذي صار اما لكل ما كتب فيها من بعده ثم وضع أبو علي الفارسي وأبو القاسم الزجاج كتابا مختصرة للمتعلمين يحذون فيها حذوا الامام في كتابه ثم طال الكلام في هذه الصناعة وحدث الخلاف بين أهلها في الكوفة والبصرة المصريين القديين للعرب وكثرت الادلة والحجج بينهم وتباينت الطرق في التعليم وكثر الاختلاف

في اعراب كثير من آي القرآن باختلافهم في تلك القواعد وطال ذلك على المتعلمين وجاء المتأخرون بعداهم في الاختصار واقتصر واكثر من ذلك الطول مع استيعابهم لجميع ما نقل كما فعله ابن مالك في كتاب التسهيل وأمثاله واقتصرهم على المبادئ للمتعلمين كما فعله الزمخشري في المفصل وابن الحاجب في المقدمة له ووربما نظموا ذلك نظما مثل ابن مالك في الارجوزتين الكبرى والصغرى وابن معطى في الارجوزة الالفية وبالجملة قالنا كيف في هذا الفن أكثر من أن تحصى أو يحاط بها وطرق التعليم فيها مختلفة فطريقة المتقدمين مغايرة لطريقة المتأخرين والصكوفيون والبصريون والبغداديون والاندلسيون مختلفة طرقهم كذلك وقد كادت هذه الصناعة أن تؤذن بالذهاب لما رأينا من النقص في سائر العلوم والصنائع بتناقص العمران ووصل الينا بالمغرب لهذه العصور ديوان من مصر منسوب الى جمال الدين ابن هشام من علمائها استوفى فيه أحكام الاعراب بحجته ومفصلة وتكلم على الحروف والمفردات والجل وحذف ما في الصناعة من المتكرر في أكثر أبوابها وسماه بالمغنى في الاعراب وأشار الى نكت اعراب القرآن كلها وضبطها بأبواب وفصول وقواعد انتظمت سائرها فوقفنا منه على علم جم يشهد بعلو قدره في هذه الصناعة ووفور بضاعته منها وكانه ينحوي طريقته منحة أهل الموصل الذين اقتفوا أثر ابن جني واتبعوا مصطلح تعليمه فألقى من ذلك بشي عجيب دال على قوة ملكته وإطلاعه والله يزيد في الخلق ما يشاء

### (علم اللغة)

هذا العلم هو بيان الموضوعات اللغوية وذلك أنه لما فسدت ملكة اللسان العربي في الحركات المسماة عند أهل النحو بالاعراب واستنبطت القوانين لحفظها كما قلناه ثم استمر ذلك الفساد بعباسة العجم ومخالطتهم حتى تأذى الفساد الى موضوعات الالفاظ فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضوعه عندهم ميلا مع هجته المتعربين في اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية فاحتج الى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية الدروس وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث فشمركثير من أئمة اللسان لذلك وأملوا فيه الدواوين وكان سابق الحلبة في ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي ألف فيها كتاب العين فحصر فيه مركبات حروف المعجم كلها من الثنائي والثلاثي والرابعي والخامسي وهو غاية ما ينتهي اليه التركيب في اللسان العربي وتأنى له حصر ذلك بوجوه عديدة حاضرة وذلك أن جملة الكلمات الثنائية تخرج من جميع



الاعداد على التوالي من واحد الى سبعة وعشرين وهو دون نهاية حروف المعجم  
 بواحد لان الحرف الواحد منها يؤخذ مع كل واحد من السبعة والعشرين  
 فتكون سبعة وعشرين كلمة ثمانية ثم يؤخذ الثاني مع الستة والعشرين كذلك ثم  
 الثالث والرابع ثم يؤخذ السابع والعشرون مع الثامن والعشرين فيكون واحدا  
 فتكون كلها اعداد على التوالي العدد من واحد الى سبعة وعشرين فيجمع كلهم  
 بالعمل المعروف عند اهل الحساب ثم تضاعف لاجل قلب الثاني لان التقديم  
 والتأخير بين الحروف معتبر في التركيب فيكون الخارج جملة الثنائيات وتخرج  
 الثلاثيات من ضرب عدد الثنائيات فيما يجمع من واحد الى ستة وعشرين لان كل  
 ثنائية يزيد عليها حرفا فتكون ثلاثية فتكون الثنائية بمنزلة الحرف الواحد مع كل  
 واحد من الحروف الباقية وهي ستة وعشرون حرفا بعد الثنائية فيجمع من واحد الى  
 ستة وعشرين على التوالي العدد ويضرب فيه جملة الثنائيات ثم تضرب الخارج في  
 ستة جملة معلوبات الكلمة الثلاثية فيخرج مجموع تراكيبها من حروف المعجم وكذلك  
 في الرباعي والخماسي فانحصرت له التراكيب بهذا الوجه ورتب أبوابه على حروف  
 المعجم بالترتيب المتعارف واعتمد فيه ترتيب الخارج فبدأ بحروف الخلق ثم ما بعده من  
 حروف الخلق ثم الاضراس ثم الشفة وجعل حروف العلة آخرا وهي الحروف  
 الهوائية وبدأ من حروف الخلق بالعين لانه الاقصى منها فلذلك سمي كتابه بالعين لان  
 المتقدمين كانوا يذهبون في تسمية دواوينهم الى مثل هذا وهو تسميته بأول ما يقع فيه من  
 الكلمات والالفاظ ثم بين المهمل منها من المستعمل وكان المهمل في الرباعي والخماسي  
 أكثر لقله استعمال العرب له لثقله ولحق به الثاني لقله دورانه وكان الاستعمال في  
 الثلاثي أغلب فكانت أوضاعه أكثر لدورانه وضمن الخليل ذلك كله في كتاب العين  
 واستوعبه أحسن استيعاب وأوعاه وجاء أبو بكر الزبيدي وكتب لهشام المؤيد  
 بالاندلس في المائة الرابعة فاختصره مع المحافظة على الاستيعاب وحذف منه المهمل  
 كله وكثيرا من شواهد المستعمل ونحوه للحفظ أحسن تلخيص وألف الجوهرى  
 من المشاركة كتاب الصحاح على الترتيب المتعارف لحروف المعجم فجعل البداية منها  
 بالهمزة وجعل الترجمة بالحروف على الحرف الاخير من الكلمة لاضطرار الناس  
 في الاكثر الى أواخر الكلم وحصر الالة اقصد بمحصر الخليل ثم ألف فيها من الاندلسيين  
 ابن سيده من أهل دانية في دولة علي بن مجاهد كتاب المحكم على ذلك المنهج من  
 الاستيعاب وعلى نحو ترتيب كتاب العين وزاد فيه التعرض لاشتقاقات الكلم  
 وتصار يفهمها من أحسن الدواوين ونحوه محمد بن أبي الحسين صاحب المستنصر

من ملوك الدولة الحفصية بنونس وقلب ترتيبه الى ترتيب كتاب الصحاح في اعتبارا و آخر  
 الكلام وبناء التراجم عليها فكانوا في رحم وسلي أبيوة هذه أصول كتب اللغة فيما  
 علمناه وهناك مختصرات أخرى مختصة بصنف من الكلام ومستوعبة لبعض الابواب  
 أولكلها الآن وجه الحصر فيها خفي ووجه الحصر في تلك جلي من قبل التراكيب  
 كما رأيت ومن الكتب الموضوعات أيضا في اللغة كتاب الزمخشري في المجازين فيه  
 كل ما تجوزت به العرب من الالفاظ وفيما تجوزت به من المدلولات وهو كتاب شريف  
 الافادة ثم لما كانت العرب تضع الشيء على العموم ثم تستعمل في الامور الخاصة  
 ألفاظا أخرى خاصة بها فوق ذلك عندنا بين الوضع والاستعمال واحتاج الى فقه في  
 اللغة عزيز المأخذ كما وضع الايض بالوضع العام لكل ما فيه بياض ثم اختص ما فيه  
 بياض من الخليل بالاشتباه ومن الانسان بالازهر ومن الغنم بالامح حتى صار استعمال  
 الايض في هذه كلها الخناوخر وجاعن لسان العرب واختص بالتأليف في هذا المنهج  
 الثعالبي وأفرده في كتاب له سماه فقه اللغة وهو من أكدم ما أخذ به اللغوي نفسه أن  
 يحرف استعمال العرب عن مواضعه فليس معرفة الوضع الا قبل بكاف في التركيب  
 حتى يشهد له استعمال العرب لذلك وأكثر ما يحتاج الى ذلك الاديب في فن نظم  
 ونثره حذرا من أن يكثر لحنه في الموضوعات اللغوية في مفرداتها و تراكيبها وهو أشد  
 من اللحن في الاعراب وأخف وكذلك ألف بعض المتأخرين في الالفاظ المشتركة  
 وتكفل بمصرها وان لم تبلغ الى النهاية في ذلك فهو مستوعب لا أكثر وأما المختصرات  
 الموجودة في هذا الفن المخصوصة بالمتداول من اللغة الكثير الاستعمال تسهلا لحفظها  
 على الطالب فكثيرة مثل الالفاظ لابن السكيت والفصح لثعلب وغيرهما وبعضها  
 أقل لغة من بعض لاختلاف نظرهم في الالفاظ على الطالب للحفظ والله الخلاق العليم  
 لأرب سواه

### (علم البيان)

هذا العلم حادث في الملة بعد علم العربية واللغة وهو من العلوم اللسانية لانه متعلق  
 بالالفاظ وما تفيد ويقتضيه الدلالة عليه من المعاني وذلك أن الامور التي يقصد  
 المتكلم بها افادة السامع من كلامه هي اما تصور مفردات تسند ويسند اليها وينفذي  
 بعضها الى بعض والدالة على هذه هي المفردات من الاسماء والافعال والحروف واما  
 غير المسندات من المسند اليها والازمنة ويدل عليها بتغير الحركات وهو الاعراب  
 وأبنية الكلمات وهذه كلها هي صناعة النحويين من الامور المكتشفة بالواقعات



المحتاج للدلالة أحوال المتخاطبين أو الفاعلين وما يقتضيه حال الفعل وهو محتاج  
إلى الدلالة عليه لانه من تمام الافادة واذا حصلت للمتكلم فقد بلغ غاية الافادة في  
كلامه واذا لم يشتمل على شيء منها فليس من جنس كلام العرب فان كلامهم واسع  
ولكل مقام عندهم مقال يختص به بعد كمال الاعراب والابانة ألا ترى أن قولهم زيد  
جاءني مغاير لقولهم جاءني زيد من قبل أن المتقدم منهما هو الالهة عند المتكلم فن قال  
جاءني زيد أفاد أن اهتمامه بالمجيء قبل الشخص المسند اليه ومن قال زيد جاءني أفاد  
أن اهتمامه بالشخص قبل المجيء المسند وكذا التعبير عن أجزاء الجملة بما يناسب المقام  
من موصول أو مبهم أو معرفة وكذا تأكيد الاسناد على الجملة كقولهم زيد قائم وان  
زيد قائم وان زيد القائم متغايرة كلها في الدلالة وان استوت من طريق الاعراب فان  
الاول العاري عن التأكيد انما يفيد الخالي الذهني والثاني المؤكد بان يفيد المتردد  
والثالث يفيد المنكر فهي مختلفة وكذلك تقول جاءني الرجل ثم تقول مكانه بعينه  
جاءني رجل اذا قصدت بذلك التنكير تعظيمه وأنه رجل لا يعادله أحد من الرجال ثم  
الجملة الاسنادية تكون خبرية وهي التي لها خارج تطابقه أولا وانشائية وهي التي  
لا خارج لها كالطلب وأنواعه ثم قديتين ترك العاطف بين الجملتين اذا كان للثانية محل  
من الاعراب فيشترط بذلك منزلة السابع المفرد نعتا وتوكيد او بدلا بلا عطف أو ينعين  
العطف اذا لم يكن للثانية محل من الاعراب ثم يقتضي المحل الاطناب والايجاز فيورد  
الكلام عليهما ثم قديدا باللفظ ولا يريد منطوقه ويريد لازمه ان كان مفردا كما تقول زيد  
أسد فلا ترى حقيقة الاسد المنطوقة وانما تريد شجاعته اللازمة وتسند هذا الى زيد  
وتسمى هذه استعارة وقد تريد باللفظ المركب الدلالة على ملزومه كما تقول زيد كثير  
الرماد وتريد به ما لزم ذلك منه من الجود وقرى الضيف لان كثرة الرماد ناشئة عنهما  
فهى دالة عليهما وهذه كلها دلالة زائدة على دلالة الالفاظ المفرد والمركب وانما هي  
هيات وأحوال لواقعات جعلت للدلالة عليهما أحوال وهيات في الالفاظ كل  
بحسب ما يقتضيه مقامه فاشتمل هذا العلم المسمى بالبيان على البحث عن هذه الدلالات  
التي لهيات والأحوال والمقامات وجعل على ثلاثة أصناف الصنف الاول يبحث  
فيه عن هذه الهيات والأحوال التي تطابق باللفظ جميع مقتضيات الحال ويسمى  
علم البلاغة والصنف الثاني يبحث فيه عن الدلالة على اللازم اللفظي وملزومه وهي  
الاستعارة والكناية كما قلناه ويسمى علم البيان والحقوا بهما صنفا آخر وهو النظر  
في ترتيب الكلام وتحسينه بنوع من التتميق اما بسجع يفصله أو تجنيس يشابه بين  
ألفاظه أو ترصيع يقطع أوزانه أو تورية عن المعنى المقصود بإيهام معنى أخفى منه

لاشتركا اللفظ بينهما وأمثال ذلك ويسمى عندهم علم البديع وأطلق على الاصناف  
الثلاثة عند المحققين اسم البيان وهو اسم الصنف الثاني لان الاقدمين أول  
ما تكلموا فيه ثم تلاحت مسائل الفن واحدة بعد أخرى وكتب فيها جعفر بن يحيى  
والجاحظ وقدامة وأمثالهم املاآت غير واقية فيها ثم نزل مسائل الفن تكميل  
شيأ فشيأ الى أن محض السكاكي زبدته وهذب مسائله ورب أبوابه على نحو ما ذكرناه  
أنعام من الترتيب وألف كتابه المسمى بالمفتاح في النحو والتصريف والبيان فجعل هذا  
الفن من بعض أجزائه وأخذ المتأخرون من كتابه ونحوه منه أتمته هي المتداولة  
لهذا العهد كما فعله السكاكي في كتاب التبيان وابن مالك في كتاب المصباح وجلال الدين  
القزويني في كتاب الايضاح والتلخيص وهو أصغر حجما من الايضاح والعناية به لهذا  
العهد عند أهل المشرق في الشرح والتعلم منه أكثر من غيره وبالجملة فالشارقة على  
هذا الفن أقوم من المغاربة وسببه والله أعلم أنه كالمى في العلوم اللسانية والصنائع  
الكلمية توجد في العمران والمشرق وأفرعها من المغرب كما ذكرناه أو نقول لعناية  
العجم وهم معظم أهل المشرق كتفسير الزمخشري وهو كله مبني على هذا الفن وهو أصله  
وانما اختص بأهل المغرب من أصنافه علم البديع خاصة وجعلوه من جملة علوم الادب  
الشعرية وقرعوا له ألقابا وعددوا أبوابا ونوعوا أنواعا وزعموا أنهم هم أحصوا من  
لسان العرب وانما جعلهم على ذلك الولوع بتزيين الالفاظ وأن علم البديع سهل المأخذ  
وصعبت عليهم مأخذ البلاغة والبيان لدقة انظارهما ونحو من معانيهما فاجتافوا  
عنهما وعن ألف في البديع من أهل افرريقية ابن رشيق وكتاب العمدة له مشهور وجرى  
كثير من أهل افرريقية والاندلس على منعهما واعلم أن غرة هذا الفن انما هي في فهم  
الاعجاز من القرآن لان اعجازه في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الاحوال  
منطوقة ومفهومة وهي أعلى مراتب الكلام مع السكال فيما يختص بالالفاظ في اتقانها  
وجودة رصفها وتركيبها وهذا هو الاعجاز الذي تقصر الافهام عن دركه وانما يدرك  
بعض الشيء منه من كان له ذوق بخالطة اللسان العربي وحصول ملكته فيدرك من  
اعجازه على قدر ذوقه فلهذا كانت مدارك العرب الذين سمعوه من مبلغه أعلى مقاما  
في ذلك لانهم فرسان الكلام وجهان بذهن والذوق عندهم موجود بأوفر ما يكون وأصح  
وأحوج ما يكون الى هذا الفن المفسرون وأكثر تفاسير المتقدمين غفل عنه حتى ظهر  
جار الله الزمخشري ووضع كتابه في التفسير وتبع آي القرآن بأحكام هذا الفن بما  
يبدى البعض من اعجازه فانقره بهذا الفضل على جميع التفاسير لولا أنه يؤيد عقائد  
أهل البدع عند اقتباسها من القرآن بوجوه البلاغة ولاجل هذا ايهاماه كثير من



أهل السنة مع وفور بضائته من البلاغة فمن أحكم عقائد السنة وشاركت في هذا الفن بعض المشاركة حتى يقتدر على الرد عليه من جنس كلامه أو يعلم أنه بدعة فيعرض عنها ولا تضر في معتقده فانه عين عليه النظر في هذا الكتاب للظفر بشئ من الاعجاز مع السلامة من البدع والاهواء والله الهادي من يشاء الى سواء السبيل

### (علم الادب)

هذا العلم لاموضوع له يتطرق في اثبات عوارضه أو نفيها وانما المقصود منه عند أهل اللسان غرضه وهي الاجادة في فن المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم فيجملون لذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به الكلمة من شاعر على الطبقة وجميع متساوي في الاجادة ومساائل من اللغة والنحو مبثوثة أثناء ذلك متفرقة يستقرى منها الناظر في الغالب معظم قواني العربية مع ذكر بعض من أيام العرب يفهم به ما يقع في أشعارهم منها وكذلك ذكر المهم من الانساب الشهيرة والاخبار العامة والمقصود بذلك كله أن لا يتجنى على الناظر فيه شئ من كلام العرب وأساليبهم ومناحي بلاغتهم اذا تصفحه لانه لا يحصل الملكة من حفظه الا بعد فهمه فيحتاج الى تقديم جميع ما يوقف عليه فهمه ثم اسمهم اذا أرادوا حذو هذا الفن قالوا الادب وهو حفظ أشعار العرب وأخبارها والاخذ من كل علم بطرف يريدون من علوم اللسان أو العلوم الشرعية من حيث متونها فقط وهي القرآن والحديث اذ لا مدخل لغير ذلك من العلوم في كلام العرب الا ما ذهب اليه المتأخرون عند كلفهم بصناعة البدع من التورية في أشعارهم وترسائهم بالاصطلاحات العلمية فاحتاج صاحب هذا الفن حينئذ الى معرفة اصطلاحات العلوم ليكون قائما على فهمها ومعنا من شيوخنا في مجالس التلميم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين وهي أدب الكتاب لابن قتيبة وكتاب الكامل للمبرد وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لابي القاسم البغدادي وما سوى هذه الاربعة تتبع لها فروع عنها وكتب المحدثين في ذلك كثيرة وكان الغناء في الصدر الاول من أجزاء هذا الفن لما هو تابع للشعر اذ الغناء انما هو تلحينه وكان الكتاب والفضلاء من الخواص في الدولة العباسية يأخذون أنفسهم به حرصا على تحصيل أساليب الشعر وفنونه فلم يكن انتماله قادحا في العدالة والمروءة وقد ألف القاسمي أبو الفرج الاصبهاني وهو ما هو كتابه في الاغاني جمع فيه أخبار العرب وأشعارهم وأنسابهم وأيامهم ودواهم وجعل مبناه على الغناء في المائة صوت التي اختارها المغنون للرشد فاستوعب فيه ذلك أتم استيعابا ووافاء واعمرى

أنه ديوان العرب وجامع أشعار النحاسين التي سلفت لهم في كل فن من فنون الشعر والتاريخ والغناء وسائر الاحوال ولا يعدل به كتاب في ذلك فيما نعلمه وهو الغاية التي يسمو اليها الاديب ويقف عندها وأنى لهم ما ونحن الآن نرجع بالتحقيق على الاجمال فيما تكلمنا عليه من علوم اللسان والله الهادي للصواب

### ٣٨ (فصل في ان اللغة ملكة صناعية)

(اعلم) أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة اذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها وليس ذلك بالنظر الى المفردات وانما هو بالنظر الى التراكيب فاذا حصلت الملكة التامة في تركيب الالفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ومرعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال بلغ المتكلم حينئذ الغاية من افادة مقصوده للسامع وهذا هو معنى البلاغة والملكات لا تحصل الا بتكرار الافعال لان الفعل يقع أولا وتعود منه للذات صفة ثم تتكرر فتكون حالا ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أى صفة راسخة فالتكلم من العرب حين كانت ملكته اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم في مخاطباتهم ويقتضي تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها فليقتنأ أولا ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم واستعماله يتكرر الى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كآخذهم هكذا تصيرت اللسان واللغات من جيل الى جيل وتعلمها العجم والاطفال وهذا هو معنى ما نقوله العامة من أن اللغة للعرب بالطبع أى بالملكة الاولى التي أخذت عنهم ولم يأخذوها عن غيرهم ثم انما فسدت هذه الملكة لمضر بمخاطبتهم الاعاجم وسبب فسادها أن النشئ من الجيل صار يسمع في العبارة عن المقاصد كيفيات أخرى غير الكيفيات التي كانت للعرب فيعبر بها عن مقصوده لكثرة المخالطين للعرب من غيرهم ويسمع كيفيات العرب أيضا فاختلط عليه الامر وأخذ من هذه وهذه فاستحدث ملكة وكانت ناقصة عن الاولى وهذا معنى فساد اللسان العربي ولهذا كانت لغة قريش أفصح اللغات العربية وأصرحها لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم ثم من اكتنفهم من ثقيف وهذيل وخزاعة وبني كنانة وغطفان وبني أسد وبني عيم وأما من بعد عنهم من ربيعة ونهم وجذام وغسان وايد وقضاعة وعرب اليمن الجاهليين لأم الفرس والروم والحبشة فلم تكن لغتهم تامة الملكة بمخاطبة الاعاجم وعلى نسبة



بعدهم من قريش كان الاحتجاج بلغاتهم في الصحة والفساد عند أهل الصناعة العربية والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

٢٩ ﴿نصل في لغة العرب لهذا العهد لغة مستقلة مغايرة للغة مضر وعجم﴾

وذلك انما نجد هاهنا في بيان المقاصد والوفاء بالدلالة على سنن اللسان المضرى ولم يفقد منها الادلالة الحركات على تعيين الفاعل من المفعول فاعتاضوا منها بالتقديم والتأخير وبقرائن تدل على خصوصيات المقاصد الا أن البيان والبلاغة في اللسان المضرى أكثر وأعرف لأن الالفاظ بأعيانها دالة على المعاني بأعيانها ويبقى ما تقتضيه الاحوال ويسمى بساط الحال محتاجا الى ما يدل عليه وكل معنى لا بد وأن تكتنفه أحوال تخصه فيجب أن تعتبر تلك الاحوال في تأدية المقصود لانها صفة ذات تلك الاحوال في جميع الالسن أكثر ما يدل عليها بالفاظ تخصها بالوضع وأما في اللسان العربي فأنما يدل عليها بأحوال وكيفيات في تراكيب الالفاظ وتأليفها من تقديم أو تأخير أو حذف أو حركة اعراب وقيدل عليها بالحروف غير المستقلة ولذلك تشاوت طبقات الكلام في اللسان العربي بحسب تشاوت الدلالة على تلك الكيفيات كما قد منها فكان الكلام العربي لذلك أو جزو أقل ألفاظا وعبارة من جميع الالسن وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا واعتبر ذلك بما يحكى عن عيسى بن عمرو قد قال له بعض النحاة اني أجد في كلام العرب تكرارا في قولهم زيد قائم وان زيدا قائم وان زيدا قائم والمعنى واحد فقال له ان معانيها مختلفة فالاول لفادة الخالي الذهن من قيام زيد والثاني لمن سمعه فأذكره والثالث لمن عرف بالاصرار على انكاره فاختلفت الدلالة باختلاف الاحوال وما زالت هذه البلاغة والبيان ديدن العرب ومذهبهم لهذا العهد ولا تلتفتن في ذلك الى خرفة النحاة أهل صناعة الاعراب القاصرة مداركهم عن التحقيق حيث يزعمون أن البلاغة لهذا العهد ذهبت وأن اللسان العربي فسد اعتبارا بما وقع أو آخر الكلام من فساد الاعراب الذي يتدارسون قوائمه وهي مقالة دسها التشيع في طباعهم وألقاها القصور في أفئدتهم والافتن نجد اليوم الكثير من ألفاظ العرب لم تزل في موضوعاتها الاولى والتعبير عن المقاصد والتعاون فيه بتفاوت الابانة موجود في كلامهم لهذا العهد وأساليب اللسان وفنونه من النظم والنثر موجودة في محاطباتهم وفهم الخطيب المصقع في محافلهم ومجامعهم والشاعر المقلق على أساليب لغتهم والمذوق الصحيح والطبع السليم شاهدان بذلك ولم يفقد من أحوال اللسان

المدون الاحركات الاعراب في أو آخر الكلم فقط الذي لزم في لسان مضر طريقة واحدة ومهيبة معروفة وهو الاعراب وهو بعض من أحكام اللسان وانما وقعت العناية بلسان مضر لما فسد بمخاطبتهم الاعاجم حين استولوا على ممالك العراق والشام ومصر والمغرب وصارت ملكته على غير الصورة التي كانت أولا فاقبلت لغة أخرى وكان القرآن مثزلا به والحديث النبوي منقول بلغته وهما أصلا الدين والملة تخشى تناسيها وانغلاق الافهام عنهما بما يفقدان اللسان الذي تنزله فاحتج الى تدوين أحكامه ووضع مقاييسه واستنباط قوائمه وصار علما اذا فصول وأبواب ومفردات ومسائل سماه أهله بعلم النحو وصناعة العربية فأصبح فنا محفوظا وعلما مكتوبا وبواسطه الى فهم كتاب الله وسنة رسوله وأبناو علما لواعيننا بهذا اللسان العربي لهذا العهد واستقر بنا أحكامه نعتاض عن الحركات الاعرابية في دلالتها بأشياء أخرى موجودة فيه فتكون لها قوانين تخصها واعلمها تكون في أو آخره على غير المنهاج الاول في لغة مضر فليست اللغات وملكاتها مجازا وواقدا كان اللسان المضرى مع اللسان الجيرى بهذه المشابهة وتغيرت عند مضر كثير من موضوعات اللسان الجيرى وتصاريف كلماته تشهد بذلك الانتقال الموجود لدينا خلافا لمن يعمله القصور على أنهم لغة واحدة ويلمس اجراء اللغة الجيرية على مقاييس اللغة المضرية زقوائنها كما يزعم بعضهم في اشتقاق القيل في اللسان الجيرى أنه من القول وكثير من أشباه هذا وليس ذلك بصحيح ولغة جبر لغة أخرى مغايرة للغة مضر في الكثير من أوضاعها وتصاريفها وحركات اعرابها كما هي لغة العرب لهذا العهد نامع لغة مضر الا أن العناية بلسان مضر من أجل الشريعة كما قلناه حمل ذلك على الاستنباط والاستقراء وليس عندنا لهذا العهد ما يحملنا على مثل ذلك ويدعونا اليه ومما وقع في لغة هذا الجيل العربي لهذا العهد حيث كانوا من الاقطار شأنهم في النطق بالقاف فانهم لا ينطقون بها من مخرج القاف عند أهل الامصار كما هو مذكور في كتب العربية انه من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الاعلى وما ينطقون بها أيضا من مخرج الكاف وان كان أسفل من موضع القاف وما يليه من الحنك الاعلى كما هي بل يجيئون بها متوسطة بين الكاف والقاف وهو موجود للجيل أجمع حيث كانوا من غرب أو شرق حتى صار ذلك علامة عليهم من بين الامم والاجيال ومختصا بهم لا يشار كهم فيها غيرهم حتى ان من يريد التعرّب والاتساب الى الجيل والدخول فيه يحاكيهم في النطق بهم وعندهم أنه انما يتميز العربي الصريح من الدخيل في العروبية والحضري بالنطق بهذه القاف ويظهر بذلك أنهم لغة مضر بعينها فان هذا الجيل الباقيين معظمهم ورؤساؤهم شرقا وغربا في ولد منصور بن



عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان من سليم بن منصور ومن بني عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور ومنهم لهذا العهد أكثر الامم في المعمور وأغلبهم وهم من أعقاب مضر وسراجليل منهم في النطق بهذه القاف أسوة وهذه اللغة لم يندعها هذا الجيل بل هي متوارثة فيهم متعاقبة ويظهر من ذلك أنها لغة مضر الاولين ولعلها لغة النبي صلى الله عليه وسلم بعينها وقد ادعى ذلك فقهاء أهل البيت وزعموا أن من قرأ في أم القرآن اهدنا الصراط المستقيم بغير القاف التي لهذا الجيل فقد لحن وأفسد صلاته ولم أدر من أين جاء هذا فان لغة أهل الامصار أيضا لم يستحدثوها وانما تناقلوها من لدن سلفهم وكان أكثرهم من مضر لما نزلوا الامصار من لدن الفتح وأهل الجليل أيضا لم يستحدثوها الا أنهم أبعد من مخالطة الاعاجم من أهل الامصار فهذا يرجح فيما يوجد من اللغة لديهم أنه من لغة سلفهم هذا مع اتفاق أهل الجليل كلهم شرقا وغربا في النطق بها وأنها الخاصة التي يتميز بها العربي من الهجين والحضري قفهم ذلك والله الهادي المبين

#### ٤٠ (فصل في ان لغة أهل الحضرة والامصار لغة قائمة بنفسها مخالفة للغة سمر)

اعلم أن عرف الخطاب في الامصار وبين الحضرة ليس بلغة مضر القديمة ولا بلغة أهل الجليل بل هي لغة أخرى قائمة بنفسها بعدة عن لغة مضر وعن لغة هذا الجيل العربي الذي لعهدنا وهي عن لغة مضر أبعد فاما أنها لغة قائمة بنفسها فهو ظاهر يشهد له ما فيها من التغير الذي بعد عندها عن لغة أهل النحولنا وهي مع ذلك تختلف باختلاف الامصار في اصطلاحاتهم فلهذا أهل المشرق مباينة بعض الشيء للغة أهل المغرب وكذا أهل الاندلس معهم ما وكل منهم متوصل بلغته الى تأدية مقصوده والابانة عما في نفسه وهذا معنى اللسان واللغة وفقدان الاعراب ليس بضائر لهم كما قلناه في لغة العرب لهذا العهد واما أنها أبعد عن اللسان الاول من لغة هذا الجيل فلا أن البعد عن اللسان انما هو بمخالطة العجمة فنخالط العجم أكثر كانت لغتهم عن ذلك اللسان الاصلى أبعد لان الملكة انما تحصل بالتعليم كما قلناه وهذه ملكة ممتزجة من الملكة الاولى التي كانت للعرب ومن الملكة الثانية التي للعجم فعلى مقدار ما يسمعون من العجمة ويربون عليه يعدون عن الملكة الاولى واعتبر ذلك في امصار افريقية والمغرب والاندلس والمشرق أما افريقية والمغرب فخالطت العرب فيها البرابرة من العجم بوفور عراهم ولم يكديخلوهم منهم مصر ولا جليل فغلبت العجمة فيها على اللسان العربي لذي كان لهم وصارت لغة أخرى ممتزجة والعجمة فيها أغلب لما ذكرناه في عن اللسان الاول أبعد

وكذا

وكذا المشرق ما غلب العرب على أمهم من فارس والترك فخالطوهم وتداولت بينهم لغاتهم في الاكثرة والفلاحين والسبي الذين اتخذوهم خولا ودايات وأظن انرا واضع ففسدت لغتهم بفساد الملكة حتى انقلبت لغة أخرى وكذا أهل الاندلس مع عجم الخلافة والافرنجة وصار أهل الامصار كلهم من هذه الاقاليم أهل لغة أخرى مخصوصة بهم تخالف لغة مضر ويخالف أيضا بعضها بعضا كما نذكره وكانها لغة أخرى لاستحكام ملكتها في أجيالهم والله يخلق ما يشاء ويقدر

#### ٤١ (فصل في تعليم اللسان المضرى)

اعلم أن ملكة اللسان المضرى لهذا العهد قد ذهبت وفسدت ولغة أهل الجليل كلهم مغارة للغة مضر التي نزل بها القرآن وانما هي لغة أخرى من امتزاج العجمة بها كما قدمناه الا أن اللغات لما كانت ملكات كما مر كان تعلمها ككاشان سائر الملكات ووجه التعليم لمن يتلقى هذه الملكة ويروم تحصيلها أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجارى على أساليبهم من القرآن والحديث وكلام السلف ومخاطبات فحول العرب في أشعارهم وأشعارهم وكلمات المولدين أيضا في سائر فنونهم حتى يتنزل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور منزلة من نشأ بينهم ولقن العبارة عن المقاصد منهم ثم يتصرف بعد ذلك في التعبير عما في ضميره على حسب عباراتهم وتأليف كتاباتهم وما وعاه وحفظه من أساليبهم وترتيب ألفاظهم فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال ويرداد بكثرتهما رسوخا وقوة ويحتاج مع ذلك الى سلامة الطبع والتفهيم الحسن لمنازع العرب وأساليبهم في التراكييب ومراعاة التطبيق بينها وبين مقتضيات الاحوال والذوق يشهد بذلك وهو ينشأ ما بين هذه الملكة والطبع السليم فيهما كما نذكر وعلى قدر الحفظ وكثرة الاستعمال تكون جودة المقول المصنوع نظما ونثرا ومن حصل على هذه الملكات فقد حصل على لغة مضر وهو الناقد البصير بالبلاغة فيها وهكذا ينبغي أن يكون تعلمها والله يهدي من يشاء بفضل وكرمه

#### ٤٢ (فصل في ان ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومقتضية عنها في التعليم)

والسبب في ذلك أن صناعة العربية انما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة فهو علم بكيفية لانفس كيفية فايت نفس الملكة وانما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علما ولا يحكمها اعمالا مثل أن يقول بصير بالخياطة غير محكم للملكة في التعبير عن بعض أنواعها الخياطة هي أن يدخل الخيط في خرت الابرقة ثم يغرزها في لفقى الثوب فجتمعين ويخرجها من الجانب الاخر بمقدار كذا ثم يردّها الى حيث



ابتدأت ويخرجها قدام منفذها الاقول بطرح ما بين الفين الاولين ثم يتبادى على ذلك الى آخر العمل ويعطى صورة الحبك والتبنيث والتفتيح وسائر أنواع الخياطة وأعمالها وهو اذا طوب أن يعمل ذلك بيده لا يحكم منه شيئا وكذا لو سئل عالم بالحجارة عن تفصيل الخشب فيقول هو أن تضع المنشار على رأس الخشبة وتمسك بطرفه وآخر قبالة تلك تمسك بطرفه الآخر وتتعاقبانه بنسكك وأطرافه المضرسة المحددة تقطع ما مرت عليه ذاهبة وجاية الى أن ينتهي الى آخر الخشبة وهو لو طوب به هذا العمل أو شئ منه لم يحكمه وهكذا العلم بقوانين الاعراب مع هذه الملكة في نفسها فان العلم بقوانين الاعراب انما هو علم بكيفية العمل وليس هو نفس العمل ولذلك نجد كثيرا من جهابذة النحاة والمهرة في صناعة العربية المحيطين علم تلك القوانين اذا سئل في كتابة سطرين الى أخيه أو ذى مودته أو شكوى ظلامه أو قصد من قصوده أخطأ فيها عن الصواب وأكثر من اللحن ولم يجد تأليف الكلام لذلك والعبارة عن المقصود على أساليب اللسان العربي وكذا نجد كثيرا ممن يحسن هذه الملكة ويحيد الفنين من المنظوم والمنثور وهو لا يحسن اعراب الفاعل من المفعول ولا المرفوع من المجرور ولا شيئا من قوانين صناعة العربية فمن هذا تعلم أن تلك الملكة هي غير صناعة العربية وأنما مستغنية عنها بالجملة وقد نجد بعض المهرة في صناعة الاعراب بصرايحجال هذه الملكة وهو قليل واتفاق وأكثر ما يقع للمخاطبين لكتاب سيبويه فإنه لم يقتصر على قوانين الاعراب فقط بل ملأ كتابه من أمثال العرب وشواهد أشعارهم وعباراتهم فكان فيه جزء صالح من تعليم هذه الملكة فبعد العاكف عليه والمحصل له قد حصل على حظ من كلام العرب واندرج في محفوظه في أمما كنه ومفاصل حاجاته وتنبه به شأن الملكة فاستوفى تعليمها فكان أبلغ في الافادة ومن هؤلاء المخاطبين لكتاب سيبويه من يغفل عن التقطن لهذا فيحصل على علم اللسان صناعة ولا يحصل عليه ملكة وأما المخاطبون لكتب المتأخرين العارضة عن ذلك الامن القوانين النحوية مجردة عن أشعار العرب وكلامهم فقلما يشعرون لذلك بأمر هذه الملكة أو يتنبهون شأنها فتجدهم يحسبون أنهم قد حصلوا على رتبة في لسان العرب وهم أبعد الناس عنه وأهل صناعة العربية بالاندلس ومعلوها أقرب الى تحصيل هذه الملكة وتعليمها من سواهم لقيامهم فيها على شواهد العرب وأمثالهم والتفقه في الكثير من التراكييب في مجالس تعليمهم فيسبق الى المبتدى كثير من الملكة أثناء التعليم فتقطع النفس لها وتسعد الى تحصيلها وقبولها وأما من سواهم من أهل المغرب وافر بقة وغيرهم فأجروا صناعة العربية مجرى العلوم بحما وقطعوا النظر عن التفقه في تراكييب كلام العرب

الان أعربوا شاهدا أو رجحوا مذهباً من جهة الاقتضاء الذهني لامن جهة محامل اللسان وترا كيبه فأصبحت صناعة العربية كأنها من جملة قوانين المنطق العقابية أو الجدل وبعدت عن مناحي اللسان وملكته وما ذلك الا لعدواهم عن البحث في شواهد اللسان وترا كيبهم وتميز أساليبه وغفلت عنهم عن المران في ذلك للمتعلم فهو أحسن ما تفيد هذه الملكة في اللسان وتلك القوانين انما هي وسائل للتعليم لكنهم أجروها على غير ما قصد بها وأصاروها علما يحتاجوا بعدوا عن ثمرتها وتعلم مما قررناه في هذا الباب أن حصول ملكة اللسان العربي انما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب حتى يرتسم في خياله المنوال الذي نسجوا عليه ترا كيبهم فينسج هو عليه وينزل بذلك منزلة من نشأ معهم وخالف عباراتهم في كلامهم حتى حصلت له الملكة المستقرة في العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم والله مقدر الامور كلها والله أعلم بالغيب

٤٣ فصل في تفسير الذوق في مصطلح اهل البيان وتحقيق معناه

وبيان انما يحصل غالباً للمستمعين من العجم

اعلم أن لفظة الذوق يتداولها المعنون بفنون البيان ومعناها حصول ملكة البلاغة للسان وقدمت تفسير البلاغة وأنها مطابقة الكلام للمعنى من جميع وجوهه بخواص تقع للتراكيب في افادة ذلك فالتمسك بكلم بلسان العرب والبليغ فيه يتجوزى الهيئة المقيدة لذلك على أساليب العرب وأنحاء مخاطباتهم وينظم الكلام على ذلك الوجه جهده فاذا اتصلت مقاماته بمخالطة كلام العرب حصلت له الملكة في نظم الكلام على ذلك الوجه وسهل عليه أمر التركيب حتى لا يكاد يخوفه غير معنى البلاغة التي للعرب وان سمع تركيبا غير جار على ذلك المنهج فحججه ونبا عنه سمعه بأدنى فكر بل وبغير فكر الا بما استفاد من حصول هذه الملكة فان الملكات اذا استقرت ورسخت في محالها ظهرت كأنها طبيعة وجبلة لذلك المحل ولذلك يظن كثير من المغفلين ممن لم يعرف شأن الملكات أن الصواب للعرب في لغتهم اعرابا وبلاغة أمر طبيعي ويقول كانت العرب تنطق بالطبع وليس كذلك وانما هي ملكة لسانية في نظم الكلام تمكنت ورسخت فظهرت في بادى الرأي أنها جبلة وطبع وهذه الملكة كما تقدم انما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطن لخواص ترا كيبه وليست تحصل بعرفة القوانين العلمية في ذلك التي استنبطها أهل صناعة اللسان فان هذه القوانين انما تفيد علما بذلك اللسان ولا تفيد حصول الملكة بالفعل في محلها وقد مر ذلك واذا تقرر ذلك فلك الملكة البلاغة في اللسان تهدي البليغ الى وجود النظم وحسن



التركيب الموافق لتراكيب العرب في لغتهم ونظم كلامهم ولورام صاحب هذه الملكة  
 حيداً عن هذه السبيل المعينة والتراكيب المخصوصة لما قدر عليه ولا وافقه عليه  
 لانه لانه لا يعتاده ولا تهديه اليه ملكته الراسخة عنده واذا عرض عليه الكلام  
 حائداً عن أسلوب العرب وبلاغتهم في نظم كلامهم أعرض عنه ومجه وعلم أنه ليس  
 من كلام العرب الذين مارس كلامهم وربما يعجز عن الاحتجاج لذلك كما تصنع أهل  
 القوانين النحوية والبيانية فان ذلك استدلال بما حصل من القوانين المفادة  
 بالاستقراء وهذا أمر وجداني حاصل بممارسة كلام العرب حتى يصير كواحد منهم  
 ومثاله لو فرضنا صبيان صبيانهم نشأ ورث في جيلهم فانه يتعلم لغتهم ويحكم شأن  
 الاعراب والبلاغة فيها حتى يستولى على غايتها وليس من العلم القانوني في شيء وانما هو  
 بحصول هذه الملكة في لسانه ونطقه وكذلك تحصل هذه الملكة لمن بعد ذلك الجليل بحفظ  
 كلامهم وأشعارهم وخطبهم والمداد ومعه على ذلك بحيث يحصل الملكة ويصير كواحد  
 ممن نشأ في جيلهم ورث بين أجيالهم والقوانين بعزل عن هذا واستعير له هذه الملكة عندما  
 ترسخ وتستقر اسم الذوق الذي اصطلح عليه أهل صناعة البيان وانما هو موضوع  
 لادراك الطعوم لكن لما كان محل هذه الملكة في اللسان من حيث النطق بالكلام كما  
 هو محل لادراك الطعوم استعير له الاسم وأيضاً فهو وجداني اللسان كما أن الطعوم  
 محسوسة له فليل له ذوق واذا تبين لك ذلك علمت منه أن الاعاجم الداخلين في اللسان  
 العربي الطارئين عليه المضطرين الى النطق به لمخالطة أهلهم كالفرس والروم والترك  
 بالمشرق وكالبربر بالمغرب فانه لا يحصل لهم هذا الذوق لقصور حظهم في هذه الملكة  
 التي قرروا أمرها الآن قصاراهم بعد طائفة من العمر وسبق ملكة أخرى الى اللسان  
 وهي لغاتهم أن يعتنوا بما يتداوله أهل مصر بينهم في المحاوراة من مفرد ومركب لما  
 يضطرون اليه من ذلك وهذه الملكة قد ذهبت لأهل الامصار وبعدها عنها كما تقدم وانما  
 لهم في ذلك ملكة أخرى وليست هي ملكة اللسان المطلوبة ومن عرف تلك الملكة  
 من القوانين المسطرة في الكتب فليس من تحصيل الملكة في شيء انما حصل أحكامها  
 كما عرفت وانما تحصل هذه الملكة بالممارسة والاعتقاد والتكرار لكلام العرب فان  
 عرض لك ما سمعته من أن سيمويه والفسارسي والزمخشري وأمثالهم من فرسان  
 الكلام كانوا أعجماً مع حصول هذه الملكة لهم فاعلم أن أولئك القوم الذين تسمع عنهم  
 انما كانوا أعجماً في نسبهم فقط وأما المربي والنشأة فكانت بين أهل هذه الملكة من  
 العرب ومن تعلمها منهم فاستولوا بذلك من الكلام على غاية لا وراءها وكأنهم في أول  
 نشأتهم من العرب الذين نشأوا في أجيالهم حتى أدركوا كنه اللغة وصاروا من أهلها

فهم وان كانوا أعجماً في النسب فليسوا بأعجماء في اللغة والكلام لانهم أدركوا الملة في  
 عنقوانهم واللغة في شبايحهم ولم تذهب آثار الملكة ولا من أهل الامصار ثم عكفوا على  
 الممارسة والمداينة لكلام العرب حتى استولوا على غايته واليوم الواحد من العجم  
 اذا خلط أهل اللسان العربي بالامصار فأول ما يجد تلك الملكة المقصودة من اللسان  
 العربي متميزة الآثار ويجد ملكتهم الخاصة بهم ملكة أخرى مخالفة لملكته اللسان  
 العربي ثم اذا فرضنا أنه أقبل على الممارسة لكلام العرب وأشعارهم بالمداينة  
 والحفظ يستفيد تحصيلها فقل أن يحصل له ما قدمناه من أن الملكة اذا سبقها ملكة  
 أخرى في المحل فلا تحصل الا ناقصة مخدوشة وان فرضنا أعجمياً في النسب سلم من مخالطة  
 اللسان العجمي بالكلية وذهب الى تعلم هذه الملكة بالمداينة فربما يحصل له ذلك لكنه  
 من النسيان وربما ينجح في علمه بما تقرّر وربما يدعي كثير من ينظر في هذه القوانين  
 البيانية حصول هذا الذوق لهم وهو غلط أو مغالطة وانما حصلت له الملكة ان  
 حصلت في تلك القوانين البيانية وايسر من ملكة لعبارة في شيء والله يهدي من يشاء  
 الى صراط مستقيم

٤٤ فصل في ان أهل الامصار على الاطلاق قاصرون في تحصيل هذه الملكة اللسانية التي تنفذ  
 بالتعليم ومن كان منهم بعد من اللسان العربي كان محصوراً له في ما هو عليه

والسبب في ذلك ما سبق الى المتعلم من حصول ملكة مناقية للملكة المطلوبة بما  
 سبق اليه من اللسان الحضري الذي أفادته العبارة حتى نزل بها اللسان عن ملكته  
 الاولى الى ملكة أخرى هي لغة الحضرة لهذا العهد ولهذا نجد المعلمين يذهبون الى  
 المسابقة بتعليم اللسان للولدان وتعمد النحاة أن هذه المسابقة بصنائعهم وليس كذلك  
 وانما هي بتعليم هذه الملكة بمخالطة اللسان وكلام العرب نعم صناعة النحاة أقرب الى  
 مخالطة ذلك وما كان من لغات أهل الامصار أعرق في العبارة وأبعد عن لسان مضر  
 قصر صاحبه عن تعلم اللغة المضرية وحصول ملكتها التمكن المناقاة حينئذ واعتبر  
 ذلك في أهل الامصار فأهل افريقية والمغرب لما كانوا أعرق في العبارة وأبعد عن  
 اللسان الاول كان أهم قصور تام في تحصيل ملكته بالتعليم واقد نقل ابن الرقيق  
 أن بعض كتاب القبروان كتب الى صاحب لهيا أخى ومن لا عدمت فقد علم أن أبو سعيد  
 كلاماً أنك كنت ذكرت أنك تكون مع الذين تأتي وعاقنا اليوم فلم يتيأ لنا الخروج  
 وأما أهل المنزل الكلاب من أمر الشين فقد كذبوا هذا باطلاً ليس من هذا حرفاً واحداً  
 وكذا اليك وأما مشتاق اليك ان شاء الله وهكذا كانت ملكتهم في اللسان المضري



شبه ما ذكرنا وكذلك أشعارهم كانت بعيدة عن الملكة نازلة عن الطبقة ولم تزل كذلك لهذا العهد ولها ما كان باقر بقية من مشاهير الشعراء إلا ابن رشيق وابن شرف وأكثر ما يكون فيها الشعراء طائفتين عليهما ولم تزل طبقتهم في البلاغة حتى الآن مائلة إلى القصور وأهل الأندلس أقرب منهم إلى تحصيل هذه الملكة بكثرة معاناتهم وامتلأ منهم من المحفوظات اللغوية نظاما ونثر وكان فيهم ابن حيان المؤرخ أمام أهل الصناعة في هذه الملكة ورافع الراية لهم فيها وابن عبد ربه والقسطلي وأمثالهم من شعراء ملوك الطوائف لما زخرت فيها بحجار اللسان والأدب وتداول ذلك فيهم مشين من السنين حتى كان الانقراض والجللاء أيام تغلب النصرانية وشغلوا عن تعلم ذلك وتناقص العمران فتناقص ذلك شأن الصنائع كلها فقصرت الملكة فيهم عن شأنها حتى بلغت الحضيض وكان من آخرهم صالح بن شريف ومالك بن المرحل من تليد الطبقة الأشبليين بسببة وكاب دولة ابن الأحمر في أولها وألقت الأندلس أفلاذ كبدها من أهل تلك الملكة بالجللاء إلى العدو وعدو الأشبيلية إلى سببة ومن شرق الأندلس إلى أفر بقية ولم يلبثوا إلى أن انقرضوا وانقطع سند تعليمهم في هذه الصناعة لعسر قبول العدو لها وصعوبتها عليهم بعروج السننهم ورسوخهم في العجة البربرية وهي منافية لما قلناه ثم عادت الملكة من بعد ذلك إلى الأندلس كما كانت ونجم بها ابن بشرين وابن جابر وابن الجباب وطبقتهم ثم إبراهيم الساحلي الطريحي وطبقتهم وقفاهم ابن الخطيب من بعدهم الهالك لهذا العهد شهيد أسعابه أعدائه وكان له في اللسان ملكة لا تدرك وتبع أثره تليده بعده وبالجملة فشان هذه الملكة بالأندلس أكثر وتعليمها أيسر وأهل بهاهم عليه لهذا العهد كما قدمناه من معاناة علوم اللسان ومحافظتهم عليها وعلى علوم الأدب وسند تعليمها ولأن أهل اللسان العجمي الذين تفسد ملكتهم انما هم طارئون عليهم وليست عجمتهم أصلا للغة أهل الأندلس والبربر في هذه العدو وهم أهلها ولسانهم لسانها إلا في الأمصار فقط وهم فيها منغمسون في بحر عجمتهم ووطانتهم البربرية فيصعب عليهم تحصيل الملكة اللسانية بالتعليم بخلاف أهل الأندلس واعتبر ذلك بحال أهل المشرق لعهد الدولة الأموية والعباسية فكان شأنهم شأن أهل الأندلس في تمام هذه الملكة واجادتهم البعدهم لذلك العهد عن الاعاجم ومخاطبتهم إلا في القليل فكان أمر هذه الملكة في ذلك العهد أقوم وكان فحول الشعراء والكتاب أوفر لتوفر العرب وأبنائهم بالمشرق وانظر ما اشتمل عليه كتاب الأغاني من نظمهم ونثرهم فان ذلك الكتاب هو كتاب العرب وديوانهم وفيه لغتهم وأخبارهم وابامهم وملتهم العربية وسيرتهم وآثار خلفائهم وملوكهم وأشعارهم وغنائهم وسائر مغانيهم له فلا كتاب أوعب منه لأحوال

العرب وبقي أمر هذه الملكة مستحكما في المشرق في الدولتين وربما كانت فيهم أبلغ من سواهم ممن كان في الجاهلية كما ذكره بعد حتى تلاشي أمر العرب ودرست لغتهم وفسد كلامهم وانقضى أمرهم ودولتهم وصار الأمر للاعاجم والملك في أيديهم والتغلب لهم وذلك في دولة الديلم والسجوقية وخاطوا أهل الأمصار والحواسر حتى بعدوا عن اللسان العربي وملكته وصار متعلمها منهم متصرفا عن تحصيلها وعلى ذلك نجد لسانهم لهذا العهد في فن المنظوم والمنثور وان كانوا أكثرين منه والله يخلق ما يشاء ويختار والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق لأرب سواه

### ٤٥ ( فصل في انقسام الكلام إلى فني النظم والنثر )

(اعلم) أن لسان العرب وكلامهم على فنين في الشعر المنظوم وهو الكلام الموزون المقفى ومعناه الذي تكون أوزانه كلها على روى واحد وهو القافية وفي النثر وهو الكلام غير الموزون وكل واحد من الفنين يشتمل على فنون ومذاهب في الكلام فأما الشعر فنه المدح والهجاء والرثاء وأما النثر فنه السجع الذي يؤتى به قطعاً ويلتزم في كل كلمتين منه قافية واجدة يسمى سجعاً ومنه المرسل وهو الذي يطلق فيه الكلام إطلاقاً ولا يقطع أجزاء بل يرسل إرسالاً من غير تقييد بقافية ولا غيرها ويستعمل في الخطب والدعاء وترغيب الجمهور وترهيبهم وأما القرآن وإن كان من المنشور إلا أنه خارج عن الوصفين وليس يسمى مرسلًا مطلقاً ولا مسججاً بل تفصيل آيات ينتهي إلى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها ثم يعاد الكلام في الآية الأخرى بعدها وينتهي من غير التزام حرف يكون سجعاً ولا قافية وهو معنى قوله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم وقال قد فصلنا الآيات ويسمى آخر الآيات منها فواصل إذا ليست أسججاً ولا التزام فيها ما يلتزم في السجع ولا هي أيضاً قواف واطلق اسم المثاني على آيات القرآن كلها على العموم لما ذكرناه واختصت بأم القرآن للعلبة فيها كالبحر للثريا ولهذا سميت السبع المثاني وانظر هذا مع ما قاله المفسرون في تعليل تسميتها بالمثاني يشهد لك الحق برجحان ما قلناه \* واعلم أن لكل واحد من هذه الفنون أساليب تختص به عند أهلها لا تصلح للآخر ولا تستعمل فيه مثل السبب المختص بالشعر والحمد والدعاء المختص بالخطب والدعاء المختص بالخطبات وأمثال ذلك وقد استعملت المتأخرون أساليب الشعر وموازينها في المنشور من كثرة الاسجاع والتزام التفتية وتقسيم السبب بين يدي الأغراض وصار هذا المنشور إذا تأمته من باب الشعر وفنه ولم يفترقا إلا في الوزن واستقر



المأخرون من الكتاب على هذه الطريقة واستعملوها في الخطابات السلطانية وقصروا الاستعمال في المنشور كما على هذا الفن الذي ارتضوه وخطوا الأساليب فيه وهجروا المرسل وتناسوه بخصوصاً أهل المشرق وصارت الخطابات السلطانية لهذا العهد عند الكتاب الغفل جارية على هذا الأسلوب الذي أشرنا إليه وهو غير صواب من جهة البلاغة لما يلاحظ في تطبيق الكلام على مقتضى الحال من أحوال المخاطب والمخاطب وهذا الفن المنشور المقتضى أدخل المتأخرون فيه أساليب الشعر فوجب أن تنزه الخطابات السلطانية عنه إذا سلب الشعر توافيقها للوزنية وخط الجذب بالهزل والاطناب في الأوصاف وضرب الأمثال وكثرة التشبيهات والاستعارات حيث لا تدعو ضرورة إلى ذلك في الخطاب والتزام التقفية أيضاً من الملوذعة والترزين وجلال الملك والسلطان وخطاب الجمهور عن الملوك بالترغيب والترهيب ينافي ذلك ويماينهوا المحمود في الخطابات السلطانية الترسيل وهو إطلاق الكلام وإرساله من غير تجميع الألفي الأقل النادر وحيث ترسله الملكة إرسالاً من غير تكلف له ثم إعطاء الكلام حقته في مطابقة مقتضى الحال فإن المقامات مختلفة ولكل مقام أسلوب يخصه من اطناب أو إيجاز أو حذف أو إثبات أو تصريح أو إشارة وكناية واستعارة وأما اجراء الخطابات السلطانية على هذا النحو الذي هو على أساليب الشعر فمذموم وما حمل عليه أهل العصر الاستيلاء العجبة على ألسنتهم وقصورهم لذلك عن إعطاء الكلام حقه في مطابقة مقتضى الحال فمحذوراً عن الكلام المرسل بعد أدبه في البلاغة وانفساح خطوبه وولعوا بهذا المسجع يلفقون به ما نقصهم من تطبيق الكلام على المقصود ومقتضى الحال فيه ويجبرونه بذلك القدر من الترزين بالاسجاع والالقباب البديعة ويغفلون عما سوى ذلك وأكثر من أخذ به هذا الفن وبالغ فيه في سائر أنحاء كلامهم كتاب المشرق وشعرنا لهذا العهد حتى أنهم ليخلون بالأعراب في الكلمات والتصريف إذا دخلت لهم في تجنيس أو مطابقة لا يجهل معانها فيرجحون ذلك الصنف من التجنيس ويدعون الأعراب ويفسدون بنية الكلمة عماها تصادف التجنيس فتأمل ذلك بما قدمناه لك تقف على صحة ما ذكرناه والله الموفق للصواب بحسنه وكرمه والله تعالى أعلم

٤٦ (فصل في ان لا تتفق الابداع في فن المنظوم والمنثور معاً الا بالاقول)

والسبب في ذلك أنه كما بيناه ملكة في اللسان فاذا نسبت إلى محله ملكة أخرى قصرت بالمحل عن تمام الملكة اللاحقة لأن تمام الملكات وحصولها لطباع التي على النطرة

الاولى أسهل وأيسر وإذا تقدمت ملكة أخرى كانت منازعة لها في المدة القابلة وعاقبة عن سرعة القبول فوقعت المناقاة وتعدرت التمام في الملكة وهذا موجود في الملكات الصناعية كلها على الإطلاق وقد برهننا عليه في موضعه فهو من هذا البرهان فاعتبر منه في اللغات فإنها ملكات اللسان وهي بمنزلة الصناعة وانظر من تقدم له شيء من العجبة كيف يكون قاصراً في اللسان العربي أبداً فالعجمي الذي سبق له اللغة الفارسية لا يستولى على ملكة اللسان العربي ولا يزال قاصراً فيه ولو تعلمه وعلمه وكذا البربري والرومي والافرنجي قل أن تجد أحداً منهم محكم الملكة اللسان العربي وما ذلك إلا لما سبق إلى ألسنتهم من ملكة اللسان الآخر حتى أن طالب العلم من أهل هذه اللسان إذا طام به بين أهل اللسان العربي جاء مقصراً في معارفه عن الغاية والتحصيل وما أتى إلا من قبل اللسان وقد تقدم لك من قبل أن اللسان واللغات شبيهة بالصنائع وقد تقدم لك أن الصنائع وملكاتها لا تزدهم وإن من سبق له إجادة في صناعة فقل أن يجيد أخرى أو يستولى فيها على الغاية والله خلقكم وما تملكون

(فصل في مناعة الشعر ووجه تعلمه)

هذا الفن من فنون كلام العرب وهو المسمى بالشعر عندهم ويوجد في سائر اللغات إلا أننا الآن انما نتكلم في الشعر الذي للعرب فإن أمكن أن نجد فيه أهل اللسان الأخرى مقصودهم من كلامهم والافاكل لسان أحكام في البلاغة تخصه وهو في لسان العرب غريب النزعة عزيز المنحى اذ هو كلام مفصل قطعاً قطعات متساوية في الوزن مقهدة في الحرف الاخير من كل قطعة وتسمى كل قطعة من هذه القطعات عندهم بيتاً ويسمى الحرف الاخير الذي تتفق فيه روياء وقافية ويسمى جملة الكلام إلى آخره قصيدة وكلمة وينفرد كل بيت منه بإفادته في تركيبه حتى كأنه كلام وحده مستقل عما قبله وما بعده وإذا أفرد كان تاماً في باب في مدح أو تشييب أو رثاء فيمحصر الشاعر على إعطاء ذلك البيت ما يستقل في إفادته ثم يستأنف في البيت الآخر كلاماً آخر كذلك ويستطرد للخروج من فن إلى فن ومن مقصود إلى مقصود بأن يوطئ المقصود الأول ومعانيه إلى أن تناسب المقصود الثاني ويعيد الكلام عن التنافر كما يستطرد من التشييب إلى المدح ومن وصف البداء والطلول إلى وصف الركاب أو الخيل أو الطيف ومن وصف الممدوح إلى وصف قومه وعساكره ومن التفجيع والعزاء في الرثاء إلى التأثر وأمثال ذلك ويراعى فيه اتفاق القصيدة كلها في الوزن الواحد حذراً من أن يتساهل الطبع في الخروج من وزن إلى وزن يقاربه فقد ينجح ذلك من أجل المقاربة



على كثير من الناس ولهذه الموازين شروط وأحكام تمنعها علم العروض وليس كل وزن يتفق في الطبع استعملته العرب في هذا الفن وانما هي أوزان مخصوصة تسمى أهل تلك الصناعة الجور وقد حصروها في خمسة عشر مجزأة يعني أنهم لم يجدوا للعرب في غيرها من الموازين الطبيعية نظاما \* واعلم أن فن الشعر من بين الكلام كان شريفا عند العرب ولذلك جعلوه ديوان علومهم وأخبارهم وشاهد صوابهم وخطئهم وأصلا يرجعون اليه في الكثير من علومهم وحكمهم وكانت ملكته مستحكمة فيهم شأن الملكات كلها والملكات اللسانيات كلها انما تنسب بالصفة والارتاض في كلامهم حتى يحصل شبه في تلك الملكة والشعر من بين فنون الكلام صعب المأخذ على من يريد اكتساب ملكة بالصناعة من المتأخرين لاستقلال كل بيت منه بأنه كلام تام في مقصوده ويصلح أن ينفرد دون ما سواه فيحتاج من أجل ذلك إلى نوع تلطف في تلك الملكة حتى يفرع الكلام الشعري في قوالبه التي عرفت له في ذلك المنحى من شعر العرب ويبرزه مستقلا بنفسه ثم يأتي بيت آخر كذلك ثم يبيت ويستكمل الفنون الوافية بمقصوده ثم يناسب بين البيوت في موالات بعضها مع بعض بحسب اختلاف الفنون التي في القصيدة ولصعوبة منجها وغرابة فنه كان محكما للقرايح في استجداء أساليبه زججا الأفكار في تنزيل الكلام في قوالبه ولا يكتفي فيه بملكية الكلام العربي على الإطلاق بل يحتاج بخصوصه إلى تدف ومحاولة في رعاية الأساليب التي اختصها العرب بها واستعمالها وانما ذكر هنا أسلوب الأسلوب عند أهل هذه الصناعة وما يريدون بها في إطلاقهم فاعلم أنها عبارة عن المنوال الذي يندرج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه ولا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته أصل المعنى الذي هو وظيفة الأعراب ولا باعتبار إفادته كمال المعنى من خواص التراكيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه الذي هو وظيفة العروض فهذه العلوم الثلاثة خارجة عن هذه الصناعة الشعرية وانما يرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلمة باعتبار انطباقها على تركيب خاص وتلك الصورة تنزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها ويصيرها في الخيال كالقالب أو المنوال ثم يتقن التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الأعراب والبيان في رسمها فيه رسما كما يفعل البناء في القالب أو التماسيح في المنوال حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه فإن لكل فن من الكلام أساليب تختص به وتوجد فيه على أنحاء مختلفة فوال الطول في الشعر يكون بخطاب الطول كقوله

\* يادارية بالعداء فالسند \* ويكون باستدعاء الصب للوقوف والسؤال كقوله \* قفانسا الدار التي خف أهلها \* أو باستدعاء الصب على الطفل كقوله \* قفانك من ذكرى حبيب ومنزل \* أو بالاستفهام عن الجواب مخاطب غير معين كقوله \* ألم تسأل فتخبرك الرسوم \* ومثل تحية الطول بالامر لمخاطب غير معين بحديثها كقوله \* حي الديار بجانب الغزل \* أو بالدعاء لها بالسقيا كقوله

اسقي طلوعهم أجش هذيم \* وغدت عليهم نضرة وزعيم

أو سؤاله السقيا لها من البرق كقوله

يا برق طالع منزلا بالبرق \* واحد السحاب لها حداء الانيق

أو مثل التقيع في الجزع باستدعاء البكاء كقوله

كذا فليجل الخطب وليقدح الامر \* وليس اعين لم يقض ماؤها عذر

أو باستعظام الحادث كقوله \* أرايت من حملوا على الأعواد \* أو بالتسجيل على الأكوام بالمصيبة لفقده كقوله

منابت العشب لاحام ولا راع \* مضى الردى بطويل الرمح والباع

أو بالانكار على من لم يتفجع له من الجمادات كقول الخارجي

أي أشجر الخابور مالك مورقا \* كأنك لم تجزع على ابن طريف

أو بهتنة فريقة بالراحة من ثقل وطأته كقوله

ألقى الزماح ربيعة بن زرار \* أودى الردى بفريقك المغوار

وأما ذلك كثير في سائر فنون الكلام ومذاهبه وتنظيم التراكيب فيه بالجل وغير الجل انشائية وخبرية اعمية وفعلية متفقة وغير متفقة فصوله وموصولة على ما هو شأن التراكيب في الكلام العربي في مكان كل كلمة من الاخرى يعرفك فيه ما انت فيه بالارتياض في أشعار العرب من القالب الكلي المجرد في الذهن من التراكيب المعينة التي ينطبق ذلك القالب على جميعها فان مؤلف الكلام هو كالبنا أو التماسيح والصورة الذهنية المنطبقة كالقالب الذي يبنى فيه أو المنوال الذي ينسج عليه فان خرج عن القالب في بنائه أو على المنوال في نسجه كان فاسدا ولا تقولن ان معرفة قوانين البلاغة كافية في ذلك لانا نقول قوانين البلاغة انما هي قواعد علمية قياسية تفيد جواز استعمال التراكيب على هيأتها الخاصة بالقياس وهو قياس على صحيح مطرد كما هو قياس القوانين الاعرابية وهذه الأساليب التي نحن نقررها ليست من القياس في شئ انما هي هيئة ترسخ في النفوس من تتبع التراكيب في شعر العرب



لجربانها على اللسان حتى تستحكم صورتها فيستفيد بها العمل على مثالها والاحتذاء  
بها في كل تركيب من الشعر كما قدمنا ذلك في الكلام باطلاق وان القوانين العلية من  
العربية والبيان لا تفيد تعليمه بوجه و ليس كل ما يصح في قياس كلام العرب وقوانينه  
العلمية استعماله وانما المستعمل عندهم من ذلك انحاء معروفة بطلع عليها الحافظون  
لكلامهم تدرج صورتها تحت تلك القوانين القياسية فاذا نظرت في شعر العرب على  
هذا النحو وبهذه الاساليب الذهنية التي تصير كالقوالب كان نظرا في المستعمل من  
تراكمهم لا فيما يقتضيه القياس ولهذا قلنا ان المحصل لهذه القوالب في الذهن انما  
هو حفظ اشعار العرب وكلامهم وهذه القوالب كما تكون في المنظوم تكون في  
المنثور فان العرب استعملوا كلامهم في كلا الفنين وجاء به مفصلا في النوعين  
ففي الشعر بالقطع الموزونة والقوافي المقيدة واستقلال الكلام في كل قطعة وفي  
المنثور بعبارة الموزونة والتشابه بين القطع غالباً وقد يمدونه بالاسجاع وقد  
يرسلونه وكل واحدة من هذه معروفة في لسان العرب والمستعمل منها عندهم هو  
الذي بيني مؤلف الكلام عليه تأليفه ولا يعرفه الا من حفظ كلامهم حتى يتجرد في  
ذهنه من القوالب المعينة الشخصية قال بكي مطلق يحذو حذوه في التأليف كما  
يحذو البناء على القالب والنساج على المنوال فلهذا كان من تأليف الكلام منفردا  
عن نظرائه النحوي والبياني والعروضي نعم ان مراعاة قوائن هذه العلوم شرط فيه  
لا يتم بدونها فاذا تحصلت هذه الصفات كلها في الكلام اختص بنوع من النظر لطيف  
في هذه القوالب التي يسمونها اساليب ولا يقيدده الا حفظ كلام العرب نظماً ونثراً  
واذا تقرر معنى الاسلوب ما هو فلنذكر بعده حذاً أو رسماً للشعر به تفهم حقيقة  
على صعوبة هذا الغرض فاننا لم نقف عليه لاحد من المتقدمين فيما رأينا من قول  
العروضي في حذائه الكلام الموزون المقتفي ليس بمحذو هذا الشعر الذي نخر بصدده  
ولارسم له وصناعتهم انما تنظر في الشعر باعتبار ما فيه من الاعراب والبلاغة والوزن  
والقوالب الخاصة فلا جرم ان حذاهم ذلك لا يصلح له عندنا فلا بد من تعريف يعطينا  
حقيقته من هذه الحقيقة فنقول الشعر هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة  
والاوصاف المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي مستقل بكل جزء منها في  
غرضه ومقصده عما قبله وبعده الجاري على اساليب العرب المخصوصة به فقولنا  
الكلام البليغ جنس وقولنا المبني على الاستعارة والوصاف فصل عما يحلوه من هذه  
غنه في الغالب ليس بشعر وقولنا المفصل بأجزاء متفقة الوزن والروي فصل له عن  
الكلام المنثور الذي ليس بشعر عند الكل وقولنا مستقل بكل جزء منها في غرضه

ومقصده عما قبله وبعده بيان للحقيقة لان الشعر لا تكون أياته الا كذلك ولم ينصل  
به شيء وقولنا الجاري على الاساليب المخصوصة به فصل له عما لم يجز منه على اساليب  
العرب المعروفة فانه حينئذ لا يكون شعراً انما هو كلام منظوم لان الشعر له اساليب  
تخصه لا تكون للمنثور وكذا اساليب المنثور لا تكون للشعر فاما كان من الكلام  
منظوما وليس على تلك الاساليب فلا يكون شعراً وبهذا الاعتبار كان الكثير من  
اقيانه من شيوخنا في هذه الصناعة الادبية يرون ان نظم المتنبي والمعري ليس هو من  
الشعر في شيء لانهم لم يجريا على اساليب العرب من الامم عندهم يرون ان الشعر يوجد  
للعرب وغيرهم ومن يرى انه لا يوجد غيرهم فلا يحتاج الى ذلك ويقول مكانه الجاري على  
الاساليب المخصوصة واذ قد فرغنا من الكلام على حقيقة الشعر فلنرجع الى الكلام  
في كيفية عمله فنقول \* اعلم ان لعمل الشعر واحكام صناعته شروطاً اولها الحفظ من  
جنسه أي من جنس شعر العرب حتى تنشأ في النفس ملكة ينسج على مثوالها ويتغير  
المحفوظ من الحزن النقي الكثير الاساليب وهذا المحفوظ المختار أقل مما يكفي فيه شعر  
شاعر من الفحول الاسلاميين مثل ابن ابي ربيعة وكثير وذي الرمة وجرير وأبي نواس  
وحبيب والبحتري والرضي وأبي فراس وأكثره شعر كتاب الاغاني لانه جع شعراً هل  
الطبعة الا الامية كله والمختار من شعر الجاهلية ومن كان خالياً من المحفوظ فنظمه  
قاصر ردي ولا يعطيه الرونق والحلاوة الا كثرة المحفوظ فن قل حفظه أو عدم لم  
يكن له شعر وانما هو نظم ساقط واجتناب الشعر أولى من لم يكن له محفوظ ثم بعد  
الامتلاء من الحفظ وشهد القرينة للنسج على المنوال يقبل على النظم وبالاكثر منه  
تستحكم ملكته وترسخ ويرى يقال ان من شرطه نسيان ذلك المحفوظ اتضح رسومه  
الحرفية الظاهرة اذهى صادة عن استعمالها بعينها فاذا نسيها وقد تكلفت النفس بها  
انتقش الاسلوب فيها كأنه منوال يأخذ بالنسج عليه بأمثالها من كلمات أخرى  
ضرورة ثم لا بد له من الخلقة واستجداء المكان المنظور فيه من المياه والازهار وكذا  
المسموع لاستنارة القرينة باستجماعها وتنشيطها بلاذا السرور ثم مع هذا كله فشرطه  
أن يكون على جسام ونشاط فذلك أجمع له وأنشط للقرينة أن تأتي بمثل ذلك المنوال  
الذي في حفظه قالوا وخيرا الاوقات لذلك اوقات البكر عند الهبوب من النوم وفراغ  
المعدة ونشاط الفكر وفي هؤلاء الجسام ويرى قالوا ان من بواعثه العشق والانتشاء ذكر  
ذلك ابن رشيق في كتاب العمدة وهو الكتاب الذي انفرد به هذه الصناعة واعطاء حقه  
ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده مثله قالوا فان استصعب عليه بعد هذا كله فليتركه  
الى وقت آخر ولا يكره نفسه عليه وليكن بناء البيت على القافية من أول صوغه ونمجه



بعض ما وبنى الكلام عليها الى آخره لانه ان غفل عن بناء البيت على القافية صعب عليه وضعها في محلها فربما تجيء نافرة فقلقة واذا سمح الخاطر بالبيت ولم يناسب الذي عنده فليتركه الى موضعه الا ليق به فان كل بيت مستقل بنفسه ولم يبق الا المناسبة فليختبر فيها كما يشاء ولا يرجع شأه بعد الخلاص منه بالنقيح والنقد ولا يضمن به على الترتل اذ لم يبلغ الاجادة فان الانسان مفتون بشعره اذ هو نبات ففكره واختراع قريحته ولا يستعمل فيه من الكلام الا الافصح من الترا كيب والخالص من الضرورات اللسانية فليجربها فانها تنزل بالكلام عن طبقة البلاغة وقد حذر أئمة اللسان عن الولد ارتكاب الضرورة اذ هو في سعة منها بالعدول عنها الى الطريقة المنلى من الملكة ويحتمل أيضا المعقد من الترا كيب جهده وانما يقصد منها ما كانت معانيه تسابق ألقاظه الى الفهم وكذلك كثرة المعاني في البيت الواحد فان فيه نوع تعقيد على الفهم وانما المختار منه ما كانت ألقاظه طبعا على معانيه أو وفيه فان كانت المعاني كثيرة كان حشوا واستعمل الذهن بالغوص عليها فنع الذوق عن استيفاء مدركه من البلاغة ولا يكون الشعر سهلا الا اذا كانت معانيه تسابق ألقاظه الى الذهن ولهذا كان شيوخنا رحمهم الله يعيبون شعرا أبي بكر بن خلفا جنة شاعر شرق الاندلس لكثرة معانيه وازدحامها في البيت الواحد كما كانوا يعيبون شعرا المتنبي والمعري بعدم النج على الاساليب العربية كما مر فكان شعرهما كلاهما منظوما نازلا عن طبقة الشعر والحاكم بذلك هو الذوق وليحتمل الشاعر أيضا الخوشى من الألقاظ والمقصر وكذلك السوقي المبتذل بالتداول بالاستعمال فانه ينزل بالكلام عن طبقة البلاغة أيضا فيصير مبتذلا ويقترب من عدم الافادة قولهم النار حارة والسما فوقنا وبعقدار ما يقترب من طبقة عدم الافادة يبعد عن رتبة البلاغة اذ هما طرفان ولهذا كان الشعراء في الربائيات والنبويات قليل الاجادة في الغالب ولا يحدق فيه الا الفحول وفي القليل على العشر لان معانيها متداولة بين الجمهور فتصير مبتذلة لذلك واذا تعذر الشعر بعد هذا كله فليراوضه ويعاوده فان التريجة مثل الضرع يدر بالامتراء ويجب بالترلو والاهمال وبالجملة فهذه الصناعة وتعلمها مستوفى في كتاب العمدة لابن رشيق وقد ذكرنا منها ما حضرنا بحسب الجهد ومن أراد استيفاء ذلك فعليه بذلك الكتاب ففيه البغية من ذلك وهذه نبذة كافية والله المعين وقد نظم الناس في أمر هذه الصناعة الشعرية ما يجب فيها ومن أحسن ما قيل في ذلك وأظنه لابن رشيق

لعن الله صنعة الشعر ماذا \* من صنوف الجهال منه لقينا  
يؤثرون الغريب منه على ما \* كان سهلا للسامعين مينا

ويرون المحال معنى صحيحا \* وخسيس الكلام شيئا غنيا  
يجهلون الصواب منه ولا يد \* رين للجهل انهم يجهلون  
فهم عند من سوانا بلا مو \* ن وفي الحق عندنا بعدرونا  
انما الشعر ما يناسب في النظر \* وان كان في الصفات فنونا  
فأقرب بعضه بشا كل بعضا \* وأقامت له الصدور المتونا  
كل معنى أذاك منه على ما \* تمني ولم يكن أو يكونا  
فتناهي من البيان الى أن \* كاد حسنا يبين لنا ظرنا  
فكان الالفاظ منه وجوه \* والمعاني ركن فيها عيونا  
ان ما في المرام حسب الاماني \* يتحلى بحسنه المتشدونا  
فاذا ما مدحت بالشعر حرا \* رمت فيه مذاهب المشتينا  
فجعلت التسبب سهلا قريبا \* وجعلت المديح صدقا مينا  
وتعليت ما يهجن في السمع \* وان كان لفظه موزونا  
واذا ما عرضته بهجاء \* عبت فيه مذاهب المرقينا  
فجعلت التصريح منه دواء \* وجعلت التعريض داء دينا  
واذا ما بكيت فيه على العا \* دين يوما للبين والظاعينا  
حلت دون الاسى وذلات ما كا \* ن من الدمع في العيون مصونا  
ثم ان كنت عاتبا جئت بالوع \* د وعيدا وبالصوابه اينا  
فتركت الذي عبت عليه \* حذرا آمناء زرامينا  
وأصح القريض ما قارب النظر \* وان كان واضحا مستبينا  
فاذا قبل أطمع الناس طرا \* واذا ريم أعجز المجهزينا  
ومن ذلك أيضا قول بعضهم

الشعر ما قومت ربع صدوره \* وشددت بالتهذيب أس متونه  
ورأيت بالاطناب شعب صدوعه \* وفقت بالايجاز عور عيونه  
وجهت بين قريبه وبعيده \* وجهت بين محبه ومعيته  
واذا مدحت به جوادا ماجدا \* وقضيت به بالشكر حق ديونه  
أصفية به بتقش ورضيته \* وخصصته بخطيره وعينه  
فيكون جزلا في مساق صنوفه \* ويكون سهلا في اتفاق فنونه  
واذا بكيت به الديار وأهلها \* أجريت للمعزون ما شؤونه  
واذا أردت كناية عن رية \* باينت بين ظهوره وبطونه



فجعات سامعه يشوب شكوكه \* بشبوته وظنونته يبينه

٤٨ (فصل في ان صناعة النظم والشعر انما هي في الالفاظ لا في المعاني)

(اعلم) ان صناعة الكلام نظاما ونثرا انما هي في الالفاظ لا في المعاني وانما المعاني تبع لها وهي اصل فالصانع الذي يحاكي ملكة الكلام في النظم والنثر انما يحاكيها في الالفاظ بحفظ أمثالها من كلام العرب ليعتد استعماله وجريه على لسانه حتى تستقر له الملكة في لسان مضر ويخاص من العجة التي ربي عليها في جيله ويفرض نفسه مثل وليد ينشأ في جيل العرب ويلق لغتهم كما يلقيها الصبي حتى يصير كأنه واحد منهم في لسانهم وذلك انما قد علمنا أن لسان ملكة من الملكات في النطق بمحاول تحصيلها بتكرارها على اللسان حتى تحصل والذي في اللسان والنطق انما هو الالفاظ وأما المعاني فهي في النظم أيضا فالمعاني موجودة عند كل واحد وفي طوع كل فكر منها ما يشاء ويرضى فله محتاج الى صناعة وتأليف الكلام للعبارة عنها هو المحتاج للصناعة كما قلناه وهو بمثابة القوال للمعاني فكأن الاواني التي يعترف بها الماء من البحر منها آنية الذهب والفضة والصدف والزجاج والخزف والماء واحد في نفسه وتختلف الجودة في الاواني المملوءة بالماء باختلاف جنسها لا باختلاف الماء كذلك جودة اللغة وبلاغتها في الاستعمال تختلف باختلاف طبقات الكلام في تأليفه باعتبار تطبيقه على المقاصد والمعاني واحدة في نفسها وانما الجاهل بتأليف الكلام وأساليبه على مقتضى ملكة اللسان اذا حاول العبارة عن مقصوده ولم يحسن بمثابة المقعد الذي يروم النهوض ولا يستطيعه لفقدان القدرة عليه والله يعلمكم ما لم تكونوا تعلمون

٤٩ (فصل في ان حصول هذه الملكة بكثرة الحفظ وجودها بمجودة المحفوظ)

قد قد علمنا أنه لا بد من كثرة الحفظ ان يروم تعلم اللسان العربي وعلى قدر جودة المحفوظ وطبقته في جنسه وكثرته من قلته تكون جودة الملكة الحاصلة عنه للحفظ فمن كان محفوظه شعر حبيب أو العتابي أو ابن المعتز أو ابن هاني أو الشريف الرضي أو رسائل ابن المقفع أو سهل بن هرون أو ابن الزيات أو البديع أو الصابي تكون ملكته أجود وأعلى مقاما ورتبة في البلاغة من يحفظ شعر ابن سهل من المتأخرين أو ابن النبية أو رسل البيهقي أو العماد الاصبهاني لنزول طبقة هؤلاء عن أولئك يظهر ذلك للبصير الناقد صاحب الذوق وعلى مقدار جودة المحفوظ أو المسموع تكون جودة الاستعمال من بعده ثم اجادة الملكة من بعدهما فبارتقاء المحفوظ في طبقته من

الكلام

الكلام ترتقي الملكة الحاصلة لان الطبع انما ينسج على منوالها وتنويع الملكة بتغذيتها وذلك أن النفس وان كانت في جبلتها واحدة بالنوع فهي تختلف في البشر بالقوة والضعف في الادراكات واختلاف انما هو باختلاف ما يرد عليها من الادراكات والملكات والالوان التي تكفيها من خارج فبهذه يتم وجودها وتخرج من القوة الى الفعل صورتها والملكات التي تحصل لها انما تحصل على التدريب كما قد علمناه فالملكة الشعرية تنشأ بحفظ الشعر وملكة الكتابة بحفظ الاجماع والترسيل والعلمية بمخاطبة العلوم والادراكات والابحاث والانظار والفقهية بمخاطبة الفقه وتنظيم المسائل وتفريغها وتخرج الفروع على الاصول والتصوفية الربانية بالعبادات والاذكار وتعطيل الحواس الظاهرة بالخلوة والانفراد عن الخلق ما استطاع حتى تحصل له ملكة الرجوع الى حسه الباطن وريحه وينقلب ربانيا وكذا سائرها وللنفس في كل واحد منها لون تتكيف به وعلى حسب ما نشأت الملكة عليه من جودة أو رداءة تكون تلك الملكة في نفسها ملكة البلاغة العالية الطبقة في جنسها انما تحصل بحفظ العالي في طبقة من الكلام ولهذا كان الفقهاء وأهل العلوم كلهم قاصرين في البلاغة وما ذلك الا لما يسبق الى محفوظهم ويعتلى به من القوانين العلمية والعبارة الفقهية الخارجة عن أسلوب البلاغة والنازلة عن الطبقة لان العبارات عن القوانين والعلوم لاحظ لها في البلاغة فاذا سبق ذلك المحفوظ الى الفكر وكثرتا وتآوت به النفس جاءت الملكة الناشئة عنه في غاية القصور وانحرفت عباراته عن أساليب العرب في كلامهم وهـ كذا نجد شعر الفقهاء والنحاة والمتكلمين والنظار وغيرهم ممن لم يعتلى من حفظ النقي الحزن من كلام العرب (أخبرني) صاحبنا الفاضل أبو القاسم بن رضوان كاتب العلامة بالدولة المرينية قال ذاكرت يوما صاحبنا أبا العباس بن شعيب كاتب السلطان أبي الحسن وكان المقدم في البصر باللسان لعهد فأنشدته مطلع قصيدة ابن النحوي ولم أنسها له وهو هذا

لم أدر حين وقفت بالاطلال \* ما الفرق بين جديدها والبالى

فقال لي على البديهة هذا شعر فقيه فقلت له ومن أين لك ذلك قال من قوله ما الفرق اذ هي من عبارات الفقهاء وليست من أساليب كلام العرب فقلت له الله أبوك انه ابن النحوي \* وأما الكتاب والشعراء فليسوا كذلك لتخبرهم في محفوظهم ومخاطبتهم كلام العرب وأساليبهم في الترتيل واتقائهم له الجيد من الكلام \* ذاكرت يوما صاحبنا أبا عبد الله بن الخطيب وزير الملوک بالاندلس من بني الاحمر وكان الصدر المقدم في الشعر والكتابة فقلت له أجد استصعابا على في نظم الشعر متى رمته مع بصري به



وحفظي للجيد من الكلام من القرآن والحديث وفنون من كلام العرب وان كان محفوظي قلة لا وانما أتيت والله أعلم من قبل ما حصل في حفظي من الاشعار العلمية والقوانين التأليفية فاني حفظت قصيدتي الشاطبي الكبرى والصغرى في القراءات وتدارست كتابي ابن الحاجب في النقة والاصول وجل الخونجي في المنطق وبعض كتاب التسهيل وكثيرا من قوانين التعليم في المجالس فامتلا محفوظي من ذلك وخذش وجه الملكة التي استعددت لها بالتحفظ الجيد من القرآن والحديث وكلام العرب فعاق القرية عن بلوغها فنظر الى ساعة معجبا ثم قال لله أنت وهل يقول هذا الامثلك \* ويظهر لك من هذا الفصل وما تقر فيه سر آخر وهو اعطاء السبب في أن كلام الاسلاميين من العرب اهل طبقة في البلاغة وأذواقها من كلام الجاهلية في منشورهم ومنظومهم فانا نجد شعر حسان بن ثابت وعمر بن أبي ربيعة والخطيب وجرير والفرزدق ونصيب وغيا لان ذى الرمة والاحوص وبنو السلف من العرب في الدولة الادوية وصدر من الدولة العباسية في خطبهم وترسلهم ومحاوراتهم لله لولك ارفع طبقة في البلاغة من شعر النابغة وعنترة وابن كثوم وزهير وعلمة بن عبدة وطرفة بن العبد ومن كلام الجاهلية في منشورهم ومحاوراتهم والطبع السليم والذوق الصحيح شاهدان بذلك للناقد البصير بالبلاغة والسبب في ذلك ان هؤلاء الذين أدركوا الاسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن والحديث اللذين عجز البشر عن الاتيان بمثليهما ككونها ولجت في قلوبهم ونشأت على أساليبها فنقومهم فنضت طباعهم وارتقت ملكاتهم في البلاغة على ملكات من قبلهم من أهل الجاهلية ممن لم يسمع هذه الطبقة ولانشأ عليها فكان كلامهم في نظمهم ونثرهم أحسن ديباجة وأصفى رونقا من أولئك وأرصف مبنى وأهدل تة فاجبا استفادوه من الكلام العالي الطبقة وتأمل ذلك بشهد لك به ذوقك ان كنت من أهل الذوق والتبصر بالبلاغة \* ولقد سألت يوما شيخنا الشريف أبا القاسم قاضي غرناطة لعهدنا وكان شيخ هذه الصناعة أخذ بسببته عن جماعة من مشيختنا من تلاميذ الشلوبيين واستجروا في علم اللسان وجاء من وراء الغاية فيه فسأله بما ما بال العرب الاسلاميين أعلى طبقة في البلاغة من الجاهليين ولم يكن ليستكر ذلك بذوقه فسكت طويلا ثم قال لي والله ما أدري فقلت أعرض عليك شيئا ظهر لي في ذلك واهله السبب فيه وذكرته هذا الذي كتبت فسكت معجبا ثم قال لي يافقيه هذا كلام من حقه أن يكتب بالذهب وكان من بعده هابوثر محلي وبصيح في مجالس التعليم الى قولي ويشهد لي بالنباهة في العلوم والله خلق الانسان وعلمه البيان

٥٠ (فصل في ترفع اهل المراتب عن اتحال اشعر)

(اعلم) أن الشعر كان ديوانا للعرب فيه علومهم وأخبارهم وحكمهم وكان رؤا العرب منافسين فيه وكانوا يقفون بسوق عكاظ لانشاده وعرض كل واحد منهم ديباجته على فحول الشأن وأهل البصر لتمييز حوله حتى انتهوا الى المناغاة في تعليق أشعارهم بأركان البيت الحرام موضع جهم وبيت ابراهيم كما فعل امرؤ القيس بن حجر والنابغة الذبياني وزهير بن أبي سلمى وعنترة بن شداد وطرفة بن العبد وعلمة بن عبدة والاعشى وغيرهم من أصحاب المعلقات السبع فانه انما كان يتوصل الى تعليق الشعر بهم من كان له قدرة على ذلك بقومه وعصيته ومكانه في مضر على ما قيل في سبب تسميتهم بالمعلقات ثم انصرف العرب عن ذلك أول الاسلام بمشاغلهم من أمر الدين والنبوة والوحى وما أدهشهم من أساليب القرآن ونظمه فأخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض في النظم والثرزما نأثم استقر ذلك وأونس الرشد من الملة ولم ينزل الوحى في تحرير الشعر وحظوه وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم وأثاب عايمه فرجهوا حينئذ الى دينهم منه وكان لعمر بن أبي ربيعة كبير قریش لذلك العهد مقامات فيه عالية وطبقة مرتفعة وكان كثيرا ما يعرض شعره على ابن عباس فيقف لاستماعه معجبا به ثم جاء من بعد ذلك الملك والدولة العزیزة وتقرب اليهم العرب بأشعارهم يمدحونهم بها ويحجزهم اخلفاء بأعظم الجوائز على نسبة الجوده في أشعارهم ومكانهم من قومهم ويحرصون على استمداد أشعارهم يطلعون منها على الآثار والاخبار واللغة وشرف اللسان والعرب يطالبون وليدهم بحفظها ولم يزل هذا الشأن أيام بنى أمية وصدر من دولة بنى العباس وانظر ما نقله صاحب العقد في مسامرة الرشيد للاصمعي في باب الشعر والشعراء نجد ما كان عليه الرشيد من المعرفة بذلك والرسوخ فيه والعناية بانتماله والتبصر بحيد الكلام وردئه وكثرة محفوظه منه ثم جاء خلق من بعدهم لم يكن اللسان لسانهم من أجل العجمة وتقصيرها باللسان وانما تعلموه صناعة ثم مدحوا بأشعارهم أمراء الحجم الذين ليس اللسان لهم طالبين معروفهم فقط لاسوى ذلك من الاغراض كما فعله حبيب والبهترى والمتنبى وابن هاني ومن بعدهم الى هلم جتراف صار عرض الشعر في الغالب انما هو الكذب والاستجداء لذهاب المنافع التي كانت فيه للاوائين كذا كرناه انفا وانف منه لذلك أهل الهمم والمراتب من المتأخرين وتغير الحال وأصبح تعاطيه هجعة في الرياسة ومدمة لاهل المناصب الكبيرة والله مقلب الليل والنهار

٥١ (فصل في اشعار العرب واهل الاصهار لسنة العهد)

(اعلم) ان الشعر لا يختص باللسان العربي فقط بل هو موجود في كل لغة سواء كانت



عربية أو بجمية وقد كان في الفرس شعراء وفي يونان كذلك وذكر منهم ارسطوف في كتاب المنطق أو ميروس الشاعر واثنى عليه وكان في حير أيضاً شعراء. تتقدمون ولما فسد لسان مضر ولغتهم التي دوت مقايدها وقوانين اعرابها وفسدت اللغات من بعد بحسب ما خالطها وما زجها من العجمة فكانت تحيل العرب بأنفسهم لغة خالفت لغة سلفهم من منصرف في الاعراب جملة وفي كثير من الموضوعات اللغوية وبناء الكلمات وكذلك الحضرة أهل الامصار نشأت فيهم لغة أخرى خالفت لسان مضر في الاعراب وأكثر الاوضاع والتعاريف وخالفت أيضاً لغة الجبل من العرب لهذا العهد واختلفت هي في نفسها بحسب اصطلاحات أهل الاتفاق فلهذا أهل الشرق وأما صارة لغة غير لغة أهل المغرب وأما صاره وتخالفتهم أيضاً لغة أهل الاندلس وأما صاره ثم لما كان الشعر موجوداً بالطبع في أهل كل لسان لأن الموازين على نسبة واحدة في اعداد المتحرركات والسواكن وتماثلها موجودة في طباع البشر فلم يهجر الشعر بفقدان لغة واحدة وهي لغة مضر الذين كانوا يقولون وفرسان ميدانه حسبما اشتهر بين أهل الخليفة بل كل جبل وأهل كل لغة من العرب المستعجمين والحضر أهل الامصار يتعاطون منه ما يطاوعهم في اتحاله ووصف بنائه على مهيبة كلامهم فأما العرب أهل هذا الجبل المستعجمون عن لغة سلفهم من مضر فيقرضون الشعر لهذا العهد في سائر الاعاريض على ما كان عليه سلفهم المستعربون ويأتون منه بالمطولات مشتملة على مذاهب الشعر وأغراضه من النسيب والمدح والرثاء والهجاء ويستطردون في الخروج من فن الى فن في الكلام وربما هجموا على المقصود لاول كلامهم وأكثر ابتدائهم في قصائدهم باسم الشاعر ثم بعد ذلك ينسبون فأهل أمصار المغرب من العرب يسمون هذه القصائد بالاصمعيات نسبة الى الاصمعي راوية العرب في أشعارهم وأهل المشرق من العرب يسمون هذا النوع من الشعر بالبدوي وربما يلحنون فيه الحاناً بسيطة لعل في طريقة الصناعة الموسيقية ثم يغنون به ويسمون الغناء به باسم الحوراني نسبة الى حوران من أطراف العراق والشام وهي من منازل العرب البادية ومساكنهم الى هذا العهد ولهم فن آخر كثير التداول في نظمهم يجيئون به معصبا على أربعة أجزأ يخالف آخرها الثلاثة في رويته ويلتزمون القافية الرابعة في كل بيت الى آخر القصيدة شبيهاً بالمربع والخمسة الذي أحدثه المتأخرون من المولدين والهاولاء العرب في هذا الشعر بلاغة فائقة وفيهم الفحول والمتأخرون والكثير من المتحليين للعلوم لهذا العهد وخصوصاً علم اللسان يستنكر هذه الفنون التي لهم اذا سمعها وسمع نظمهم اذا أنشد ويعتقد أن ذوقه انما يباعها لاستهجانها وفقدان الاعراب منها وهذا انما أتى من فقدان الملكة في لغتهم فلو حصلت

له ملكة من ملكاتهم لشهد له طبعه وذوقه بلاغتها ان كان سليماً من الآفات في فطرته ونظيره والافالاعراب لا مدخل له في البلاغة انما البلاغة مطابقة الكلام للمقصود ولتقتضى الحال من الوجود فيه سواء كان الرفع والاعلى الفاعل والنصب والاعلى المفعول أو بالعكس وانما يدل على ذلك قرائن الكلام كما هو لغتهم هذه فالدلالة بحسب ما يصطلح عليه أهل الملكة فاذا عرف اصطلاح في ملكة واشتهر صحت الدلالة واذا طبقت تلك الدلالة المقصود ومقتضى الحال صحت البلاغة ولا عبرة بقوانين النحاة في ذلك وأساليب الشعر وفنونه موجودة في أشعارهم هذه ما عدا حركات الاعراب في أواخر الكلم فان غالب كلماتهم موقوفة الاخر ويتمزعتهم الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر بقرائن الكلام لا بحركات الاعراب فن أشعارهم على لسان الشريف بن هشام يكي الجازية بنت سرحان ويذكر طعنهم مع قومها الى المغرب

قال الشريف بن هشام علي \* ترى كبدي حراشكت من زفيرها  
يعزل للاعلام اين مارأت خاطري \* يرذا اعلام البدوي يلقى عصيرها  
وماذا شكات الروح مما طراها \* عذاب ودائع تلف الله خبرها  
بحسن قطاع عامري ضميرها \* طوى وهند جاني ذكيرها  
وعادت كما خواره في يد غاسل \* على مثل شوك الطلح عقدوا بسيرها  
تجابدوها اثنين والى بينهم \* على شول لعه والمعاني جربها  
وباتت دموع العين ذارقات لسانها \* شبيه دوار السواني يدبرها  
تدارك منها الجثم حذر اورادها \* مروان يجي مترا بكما من صيرها  
اصب من القيعان من جانب الصفا \* عيون ولحان البرق في غديرها  
ها أيقنى منى سنابلت غدوة \* بغداد ناحت منى حتى فقيرها  
ونادى المنادى بالرحيل وشددوا \* وعرج غاربها على مستيرها  
وشد لها الادهم دياب بن غانم \* على يد ماضي وليد مقرب ميرها  
وقال لهم حسن بن سرحان غزبوا \* وسوقوا النجوم ان كان ناهو غيرها  
ويد لص وسده سها بالتساح \* وباليمن لا يجعدوا في صغيرها  
غدرني زمان السفح من عابس الوغى \* وما كان يرمى من حير وميرها  
غدرني وهو زعماء صديق وصاحبي \* ونال به ما من درمي ما يدبرها  
ورجع يقول لهم بلاد ابن هشام \* لخير البلاد المعطشة ما يجيرها  
حرام علي باب بغداد وأرضها \* داخل ولا عائد له من بعيرها  
فصدق درمي من بلاد ابن هشام \* على الشمس اوحول الغطام من هجيرها



وبانت نيران العذارى قوادح \* فجزوا بجرحان فيبروا أسيرها  
ومن قولهم في رثاء أمير زنادة أبي سعدى البقرى مقارعهم بأفريقية وأرض الزاب  
ورثاؤهم له على جهة التهكم

تقول فتاة الحى سعدى وهاضها \* ولها فى طعون الباكين هويل  
أيا سائل عن قبر الزناى خليفه \* خذ الغمت منى لا تكون هبيل  
ترام العالى الواردات وفوقه \* من الربط عيساوى بناء طويل  
وتهبيل الغور من سائر النقا \* به الواد شرقا والبراع دليل  
أيا لهف كبدى على الزناى خليفه \* قد كان لأعقاب الجياد سليل  
قتيل فقى الهيجا دياب بن غانم \* جراحه كفواه المزاد تسيل  
يا جانا مات الزناى خليفه \* لا ترحل الآن يريد رحيل  
وبالامس رحلت ثلاثين مرة \* وهشرا وستا فى النهار قليل  
ومن قولهم على لسان الشريف بن هاشم يذكر عتبا وقع بينه وبين ماضى بن مقرب  
تسدى لى ماضى الجياد وقال لى \* أيا شكر ما احناشى عليك رضاش  
أيا شكر عدى مابق وديننا \* ورا ناعرب عر بالابسين غاش  
نحن عدى ناصادقوا ما قضى لنا \* كما صادقت طعم الزناد طشاش  
ياهدنا يا شكر عدى لبر سلامه \* لنجد ومن عمر بلاده عاش  
ان كانت بنت سيدهم بأرضهم \* هى العرب ما ردنا لهن طيش  
ومن قولهم فى ذكر رحلتهم الى الغرب وغلهم زنادة عليه

وأى جميل ضاع لى فى الشريف بن هاشم \* وأى جميل ضاع قبلى جميلها  
أنا كنت انا وياه فى زهو بيتنا \* عنانى لحبه ما عنانى دليلها  
وعدت كنى شارب من مدامة \* من الخرقهوة ما قدر من جميلها  
أو مثل شطامات مضبون كبدها \* غريبا وهى مدوخه عن قبيلها  
أناها زمان السوء حتى ادوخت \* وهى بين عرب غافلا عن نزيلها  
كذلك أنا لما لحانى من الوحى \* شاكى بكبد باديامن عليها  
وأمرت قومي بالرحيل وبكروا \* وقوا واشتاد الخوايا جميلها  
قعدنا سبعة أيام محبوس فجعنا \* والبد وما ترفع عمود يقبلها  
تظل على احداث الثنايا سوارى \* يضل الحرف فوق التصاوى نصيلها  
ومن شعر سلطان بن مظفر بن يحيى من الزاودة أحد بطون رباح وأهل الرياسة فيهم  
يقولها وهو معتقل بالمهدية فى سجن الأمير أبى زكريا بن أبى حنص أول ملوك إفريقية

من الموحدين

يقول وفى نوح الدجاء دهبه \* حرام على أجنان عيف منامها  
أيا من لقي حالف الوجد والاسى \* وروحها يلى طال ما فى سقامها  
جهازية بدويه عريضة \* عداوية ولها بعيد امرامها  
مولعة بالبدو لا تألف القرى \* سوا عابى الوعداوى خيامها  
عمان ومشتها بها كل سرية \* محونة بها ولها صحح غرامها  
ومرباعها عشب الاراضى من الحيا \* لوانى من الخور الحلايا حسامها  
تسوق بسوق العين مما تداركت \* عليها من السحب السوارى غمامها  
وماذا بك بالما وماذا تبلطت \* عيون عذارى المزن عذابا جامها  
كان عروس البكر لا تحت ثيابها \* عليها ومن نور الاقاحى حزامها  
فلاة ودهنا واتساع ومنه \* ومرعى سوى ما فى مراعى نعامها  
ومشروبها من مخض ألبان شولها \* عليهم ومن لحم الخوارى طعامها  
تعاب على الابواب والموقف الذى \* يشيب الفقى مما يقاسى زحامها  
سقى الله ذا الوادى المشجر بالحيا \* عوبلا ويحيى ما بلى من رمامها  
فكافأتم بالود منى وليتنفى \* ظفرت بأيام مضت فى ركامها  
لىالى أقواس الصبا فى سوا عدى \* اذاقت لا تحظى من ايندى سهامها  
وفرسى عديدا تحت سرجى مسافة \* زمان الصبا سرجا ويدي لحامها  
وكم من رداح أسهرتى ولم أرى \* من الخلق أبهى من نظام ابتسامها  
وكم غيرها من كاعب مرجحة \* مطرزة الاجفان باهى وشامها  
وصفقت من وجدى عليها طريجة \* بكفى ولم ينسى جداها ذمامها  
ونار يخطب الوجد توهج فى الحشى \* وتوجج لا يطفأ من الماذن رامها  
أيا من وعدنى الوعد هذا الى متى \* فى العمر فى دار عافى ظلامها  
ولكن رأيت الشمس تكسف ساعة \* وبغى عليها ثم يبرى غمامها  
بنود ورايات من السعد أقبلت \* البنا بعون الله يهفوعلامها  
أرى فى القلايا العين أظعان عزوتى \* ورعى على كفى وسبرى امامها  
بجرع عتاق النوق من عود شامس \* أحب بلاد الله عندى حشامها  
الى منزل بالجعفرية للى \* مقيم بها ما لذ عندى مقامها  
وتلقى سراة من هلال بن عامر \* يزيل الصدا والغل عنى سلامها  
بهم تضرب الامثال شرقا ومغربا \* اذا قاتلوا قوماسرىع انهم رامها



عليهم ومن هوى حماهم تحية \* من الدهر ما غنى بقبة جامها  
فدع ذا ولا تأسف على سالف مخني \* ترى الدنيا مادامت لاحد دواها  
ومن أثار المتأخرين منهم قول خالد بن حزة بن عمر شيخ الكعوب من أولاد أبي اللؤلؤ  
بعاتب أقتالهم أولاد سهيل ويحجب شاعرهم شبل بن مسكان بن مهلهل عن أبيات نثر  
عليهم فيها بقومه

يقول وذا قول المصاب الذي نشأ \* قوارع قيعان يعانى صعلها  
يرجح بها حادى المصاب اذا اتقى \* فنونا من انشاد القوافى عرابها  
محبرة مختارة من نشادنا \* تحدى بها تام الوشملت أهابها  
مغربة عن ناقد فى غضوننا \* محكمة القيعان دابى ودابها  
وهيض تذكارى لها ياذوى الندى \* قوارع من شبل وهذى جوابها  
اشبل جنينا من حال طرائفنا \* فراح يريج الموجهين الغناها  
نشرت ولم تقصروا أنت عادى \* سوى قلت فى جهورها ما أعابها  
أقولك فى أم المتين بن حزة \* وحامى حماها عاديا فى حرابها  
أما تعلم أنه قامها بعد مالى \* رصاص بن يحيى وعلاق دابها  
شهابا من أهل الامرياشبل خارق \* وهل ريت من جللوغى واصطلى بها  
شواهد طفاها أضرمت بعد طغية \* وأثنا طفها حاسر الأهابها  
واضرم بعد الطفيتين التى صحت \* نعا إلى بيت المتياق قدى بها  
كأن كان هو يطلب على داجنيت \* رجال بن كعب الذى يتقى بها  
ومنها فى العتاب

وليد اتعابتوا أنا أغنى لاني \* غنيت بعلاق الثنا واغتصابها  
على وناذع بها كل مبضع \* بالاسياق نتاش العدا من رقابها  
فان كانت الاملا لىغت عرابس \* علينا باطراف القنا اختصابها  
ولانقرها الارهاق ودبل \* وزرق السبايا والمطايا ركا بها  
بنى عنما ما نرتضى الذل علة \* تسير كالسنة الحناش انسلابها  
وهى عا لما بان المنايا ثقيلها \* بلا شك والديا سريع انقلابها  
ومنها فى وصف الطعائن

بظعن قطوع البید لا تحتشى العدا \* فتوف بجوهرات مخوف جنابها  
ترى العيز فيها قل لشبل عرائف \* وكل مهابة محتطها ربابها  
ترى أهلها غص الصباح أن يقلها \* بكل حلوب الجوف مستدبابها

لها كل يوم فى الارامى قتائل \* ورا القاجر المزوج عفو اصحابها  
ومن قولهم فى الامثال الحكمية

وطلبك فى الممنوع منك سفاهة \* وصداك عن صدعك صواب  
اذا ريت ناسا يغلقوا عنك بابهم \* ظهور المطايا يفتح الله باب  
ومن قول شبل يذكر انتساب الكعوب الى برجم

فشايب وشباب من أولاد برجم \* جميع البرايا تشكى من ضهادها  
ومن قوله يعاتب اخوانه فى موالاة شيخ الموحدين أبي محمد بن تافراكين المستبد بحجابة  
السلطان بتونس على سلطانهم كقوله أبي الحق ابن السلطان أبي يحيى وذلك فيما  
قرب من عصرنا

يقول بلا جهل فى الجود خالدا \* مقالة قوال وقال صواب  
مقالة حيران بذهن ولم يكن \* هريجا ولا فيما يقول ذهب  
تجست معنائها بالحاجة \* ولا هرج ينقاد منه معاب  
وليت بها كبدى وهى نعم صاحبه \* حزينته فذكر والحزين بصاب  
تقوت بادية شرحها عن ما كرب \* جرت من رجال فى القبيل فراب  
بنى كعب أدنى الاقر بين لدمنا \* بنى عتم منهم شايب وشباب  
جرى عند فتح لوطن منا بعضهم \* مصافة ودوانساع جناب  
وبعضهم من ملاله عن خصمه \* كما بعلموا قولى يقينه صاب  
وبعضهم موهوب من بعض ملكنا \* ضرابا وفى حر الظهير كذب  
وبعضهم موجابا جرحا سمعت \* خواطر منا للزبد وهاب  
وبعضهم و نظار قينا بسوة \* نقهنا حتى ما عينا به ساب  
رجع ينتهى محاسنها تبيحه \* مرارا وفى بعض المرار رباب  
وبعضهم وشاكي من اوغاد قادر \* غلق عنه فى احكام السقاى باب  
فصمناه عنه واقتضى منه مورد \* على كره مولى الباقى وديان  
ونحن على دافى المدا نطلب العلا \* لهم ما حططنا للفجور نقاب  
وحزننا حى وطن بترشيش بعدما \* نفقنا عليها سبقا ورقاب  
ومهد من الاملا ما كان خارج \* على احكام والى أمرها الهاب  
بردع قروم من قروم قبيلنا \* بنى كعب لا واهل الفريم وطاب  
جرينا بهم عن كل تالف فى العدا \* وقمنا لهم عن كل قيد مناب  
الى ان عاد من لا كان فيهم مهمة \* ربيها وخيراته عليه نصاب



وركبوا السبايا الممّنات من أهلها \* ولبسوا من أنواع الحرير ثياب  
وساقوا المطايا بالشر الانسواله \* جاهير ما يقلوبها بجلاب  
وكسبوا من أصناف السعايا ذخائر \* ضخام لحزات الزمان تصاب  
وعادوا نظير البرمكين قبل دا \* والا هلالا في زمان دياب  
وكانوا النادر على كل مهمة \* الى أن بان من نار العدو شهاب  
خلوا الدار في جنح الظلام ولا اتقوا \* ملامه ولا دار الكرام عتاب  
كسوا الحى جلباب البهيم لستره \* وهم لودروا لبسوا قبيح جباب  
لذلك منهم حابس مادار القنا \* ذهل حلى ان كان عقله غاب  
يظن ظنونا ليس نحن بأهلها \* تمنى يكن له في السماح شعاب  
خطاهو ومن واتاه في سوطه \* بالاثبات من ظن القبايح عاب  
فواعزوق ان الفتى بو محمد \* وهوب لا لاف بغير حساب  
وبرحت الاوغاد منه ويحسبوا \* بروحه ما يصحى بروح سحاب  
جروا يطلبوا تحت السحاب شرائع \* لقوا كل ما يستاملوه شراب  
وهو لوعطى ما كان للراى عارف \* ولا كان في قلبه عطاء صواب  
وان نحن ما نستاملوا عنه راحة \* وانه باسهم التلاف مصاب  
وان ما وطا ترشيش يضيق وسعها \* عليه ويمشى بالفرزوع لزاب  
وانه منها عن قريب مفاصل \* خنوج عناز هو الهاوقباب  
وعن فائنات العارف يفيض غوانج \* ربوا خلف استار وخلف حجاب  
يتيه اذا تاهوا ويصبوا اذا صبوا \* بحسن قوانين وصوت رباب  
يضلوه من عدم اليقين وربما \* يطارح حتى ما كانه شاب  
بهم حازله زمة وطوع أوامر \* ولذة ما كول وطيب شراب  
حرام على ابن تافرا كين ماضى \* من الود الا مليل بحراب  
وان كان له عقل رجيع وفطنة \* يلجج في اليم الغريق غراب  
وأما البدا لا بدّها من فيماعل \* كبار الى أن تبقى الرجال كباب  
ويحمى بهما سوق علينا سلاعه \* ويحمار موصوف القنا وجعاب  
وعيسى غلام طالب ربح ملكا \* ندوما ولا يمسي صحح بناب  
أياوا كين الخبز تبغوا ادا مه \* غلظتوا أدمتوا في السموم لباب  
ومن شعر على بن عمر بن ابراهيم من رؤساء بني عامر لهذا العهد أحد بطون زغبة  
بعاتب بنى عمه المتطاولين الى رباعته

محبرة كالدر في يد صانع \* اذا كان في سلك الحرير نظام  
أباحها منها فيه أسباب ماضى \* وشاء تبارك والضعون تسام  
غدامنه لام الحى حين وانشطت \* عصاها ولا صبا عليه حكام  
ولكن ضميرى يوم بان بهم اليها \* تبرم على شوك القتاد برام  
والا كأبراص التهامى قوادح \* وبين عواج الكائنات نرام  
والا لكان القلب في يد قابض \* أناههم بمنشار القطيع غشام  
لما قلت سممن شقا البين زارنى \* اذا كان ينادى بالفراق وخام  
ألا يا ربوع كان بالامس عامر \* بجي وحله والقطين لنام  
وغيد تدانى للخطافى ملاعب \* دجى الليل فيهم ساهرونيام  
ونعم بشوف المناظرين التحامها \* لنا ما بدامن مهرق وكظام  
وعرو دباسها ليدعو لسربها \* واطلاق من شرب المهام ونعام  
واليوم ما فيها سوى اليوم حولها \* ينوح على اطلال لها وخيام  
وقفنا بها طور اطويلا نسالها \* بعين ضعيفا والدموع حجام  
ولا صح لى منها سوى وحش خاطرى \* وسقمى من أسباب ان عرفت او هام  
ومن بعد ذاتى لمنصور بو على \* سلام ومن بعد السلام سلام  
وقولوا له يا بو الوفا كلح رأيكم \* دخلتم بحور غامقات دهم  
زواخر ما تنقاس بالعود انما \* لها سيلات على الفضاوأكام  
ولا قسمتو فيها قياسا يدكم \* وليس البحور الطاميات تعام  
وعانوا على هلكاتكم في ورودها \* من الناس عدمان العقول لثام  
أيا هزوة ركبوا الضلالة ولا لهم \* قرار ولا دنيا له سن دوام  
الا عناهم ولورى كيف رأيهم \* مثل سرور فلاه مالهسن تمام  
خلوا القنا وبقوا في مرقب العلا \* مواضع ما هيا لهم بتمام  
وحق النبي والبيت واركانه الذى \* وما زارها في كل دهر و عام  
ابن اللبائى فيه ان طالت الحيا \* يذوقون من خط الكساع مدام  
ولا برهاتنى البوادي عوا كف \* بكل ردينى مطرب وحسام  
وكل مسافه كالسد اياه عابر \* عليها من اولاد الكرام غلام  
وكل كيت يكتمص عض نابه \* يظل بصارع فى العثمان لحام  
وتحمل بنا الارض العقيمة مدة \* وتولدا من كل ضيق كظام  
بالابطال والقود الهجان وبالقنا \* لها وقت وجعات البسود ورزحام



أَتَجِدُنِي وَأَنَا عَقِيدُ نَفْسِي \* وَفِي سَنٍ رَمَحِي لِلْحُرُوبِ عِلَامُ  
وَنَحْنُ كَأُضْرَاسِ الْمَوَافِي نَجْعُكُمْ \* حَتَّى يَقَاضُوا مِنْ دِيُونِ غِرَامِ  
مَتَى كَانَ يَوْمُ الْقَحْطِ يَا مِيرَابُوعِي \* يَلْقَى سَعَايَا صَايِرِينَ قَدَامِ  
كَذَلِكَ يُوْجُو إِلَى الْبَسْرِ ابْنُ عَمَّتِهِ \* وَخَلَى الْجِيَادَ الْعَالِيَاتِ نَسَامِ  
وَخَلَى رَجَالًا لَا يَرَى الضِّمِيمَ جَارَهُمْ \* وَلَا يَجْمَعُونَ أَبْدَهُ الْعَدُوَّ زَمَامِ  
الْأَيَقِيمُوا هَا وَعَقْدُ بُوْسَمِ \* وَهَمُّ عَذْرَعْنَهُ دَائِمًا وَدَوَامِ  
وَكَمْ ثَارَ طَعْنُهَا عَلَى الْبَدَنِ سَابِقِ \* مَا بَيْنَ صَحَاصِيحٍ وَمَا بَيْنَ حَسَامِ  
فَتَى ثَارَ قَطَارُ الصَّوِيِّ يَوْمَنَا عَلَى \* لَنَا أَرْضُ تَرَكِ الطَّاعِنِينَ زَمَامِ  
وَكَمْ ذَا يَجْبِيوُ الثَّرَاهُ مِنْ غَنِيمَةٍ \* حَلِيفُ النَّبَا سَمَاعِ كُلِّ غِيَامِ  
وَأَنْ جَافَأَ حَفْوُهُ الْمُلُوكَ وَوَسَّعُوا \* غَدَا طَبْعَهُ يَجْدِي عَلَيْهِ قِيَامِ  
عَلَيْكُمْ سَلَامُ اللَّهِ مِنْ لَسَنِ فَاهِهِ \* مَا غَنَّتِ الْوَرْقَا وَنَاحَ جَامِ  
وَمِنْ شَعْرٍ عَرَبٍ غَرِبُوا حَيَّ حُورَانِ لَا مَرَأَةَ قَتَلَ زَوْجَهَا فَبَعَثَتْ إِلَى أَحِلَافِهِ مِنْ قَيْسِ  
تَعْرِفُهُمْ بِطَلَبِ نَارِهِ تَقُولُ

تَقُولُ فَتَاةُ الْحَيِّ أُمُّ سَلَامَةٍ \* بَعِينَ أَرَاعَ اللَّهُ مِنْ لَارِئِي لَهَا  
تَبَيَّتْ بِطُولِ اللَّيْلِ مَا تَأَلَّفَ الْكُرَى \* مَوْجَعَةٌ كَانَ الشَّقَا فِي مَجَالِهَا  
عَلَى مَا جَرَى فِي دَارِهَا وَبُوعِيَا لَهَا \* بِالْمَخْطَةِ مَحِينِ الْبَيْنِ غَيْرَ حَالِهَا  
فَقَدْ تَارَى شَهَابُ الدِّينِ يَا قَيْسُ كَلْبَهُمْ \* وَتَمَوَّعَ عَنْ أَخَذِ التَّارِ مَا ذَامِقَالِهَا  
أَنَا قَلْتُ إِذَا وَرَدَ الْكِتَابُ يَسْرَنِي \* وَبِيرِدُ مِنْ نِيرَانِ قَلْبِي ذُبَالِهَا  
أَيَّا حِينَ تَسْرِجُ الذَّوَابِ وَاللَّحَى \* وَيَبِضُ الْعَذَارَى مَا حِينُوا بِجَالِهَا

### ﴿الموشحات والازجال للاندلس﴾

وَأَمَّا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ فَلَمَّا كَثُرَ الشَّعْرُ فِي فُطْرِهِمْ وَتَهَذَّبَتْ مَنَاحِيهِ وَفَنُونُهُ وَبَاغَ التَّمَيُّقُ فِيهِ  
الْغَايَةَ اسْتَحْدَثَ الْمُتَأَخِّرُونَ مِنْهُمْ قَنَاصَهُمْ بِمَوْهِجِ مَوْهِجٍ يَنْظُمُونَ أَهْمَاطًا أَمْهَاطًا وَأَغْصَانًا  
أَغْصَانًا يَكْتُرُونَ مِنْهَا وَمِنْ أَعَارِضِهَا الْمُخْتَلِفَةِ وَيَسْمُونَ الْمُتَعَدِّدَةً مِنْهَا بَيْتًا وَاحِدًا وَيَلْتَزِمُونَ  
عِنْدَ قَوَائِمِ تِلْكَ الْأَغْصَانِ وَأَوْرَاقِهَا مَتْنًا يَأْتِي بِأَعْدَادٍ إِلَى آخِرِ الْقِطْعَةِ وَأَكْثَرُ مَا تَنْتَهِي  
عِنْدَهُمْ إِلَى سَبْعَةِ أَبْيَاتٍ وَيَشْتَمِلُ كُلُّ بَيْتٍ عَلَى أَغْصَانٍ عِدَدِهَا يَجِبُ الْإِغْرَاضُ  
وَالْمَذَاهِبُ وَيَنْسَبُونَ فِيهَا وَيَمْدَحُونَ كَمَا يَفْعَلُ فِي الْقَصَائِدِ وَتَجَارُوا فِي ذَلِكَ إِلَى الْغَايَةِ  
وَاسْتَظَرَفَهُ النَّاسُ جِلَّةُ الْخَاصَةِ وَالْكَافَّةُ لسهولة تناوله وقرب طريقته وكان المخترع  
لَهَا بِجَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ مُقَدِّمٌ مِنْ مَعَايِرِ الْفَرَبْرِ مِنْ شُعَرَاءِ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُرَوَّانِيِّ

وَأَخَذَ ذَلِكَ عَنْهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ صَاحِبُ كِتَابِ الْعُقَدِ وَلَمْ يَظْهَرْ لَهُ مَعَ  
الْمُتَأَخِّرِينَ ذِكْرُ وَكُسْدَتِ مَوْشِحَاتِهِمْ مَا فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ بَرَعَ فِي هَذَا الشَّانِ عِبَادَةُ الْقَرَارِ  
شَاعِرُ الْمُعْتَصِمِ بْنِ صَمَّادِ حَ صَاحِبِ الْمَرْيَةِ وَقَدْ ذَكَرَ الْأَعْلَمُ الْبَطْلِيُّ وَسَمِعْتُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا بَكْرَ بْنَ  
زُهَيْرٍ يَقُولُ كُلُّ الْوَشَاحِينَ عِيَالٌ عَلَى عِبَادَةِ الْقَرَارِ فِيمَا اتَّفَقَ لَهُ مِنْ قَوْلِهِ  
بَدْرَتُمْ \* شَمْسُكُمْ \* غَصْنُكُمْ \* مَسَلَتْكُمْ  
مَا أْتُمْ \* مَا أَوْضَحَكُمْ \* مَا أَوْرَقَكُمْ \* مَا أُنْجَمَكُمْ  
لَا جَرَمَ \* مِنْ لَحْمَا \* قَدْ عَشَقْنَا \* قَدْ حَرَمَكُمْ  
وَزَعَمُوا أَنَّهُ لَمْ يَسْبِقْ عِبَادَةُ وَشَاحَ مِنْ مَعَادِيرِهِ الَّذِينَ كَانُوا فِي زَمَنِ الطَّوَاتِفِ \* وَجَاءَ  
مَصْلِيًّا خَلْفَهُ مِنْهُمْ ابْنُ أَرْفَعَةَ رَأْسُ شَاعِرِ الْمَأْمُونِ ابْنِ ذِي النُّونِ صَاحِبِ طَلِيعَةِ الْقَالِ  
وَقَدْ أَحْسَنَ فِي أَبْدَانِهِ فِي مَوْشِحَتِهِ الَّتِي طَارَتْ لَهُ حَيْثُ يَقُولُ  
الْعُودُ قَدْ تَرَنَّمَ \* بِأَبْدَعِ تَلْحِينِ \* وَسَقَتْ الْمَذَانِبُ \* رِيَاضُ الْبَسَاتِينِ  
وَفِي أَنْتِهَائِهِ حَيْثُ يَقُولُ

تَخْطُرُ وَلَا تَسْلَمُ \* عَسَالُ الْمَأْمُونِ \* مَرْقُوعُ الْكَتَائِبِ \* يَحْيَى بْنُ ذِي النُّونِ  
ثُمَّ جَاءَتْ الْحَلْبَةُ الَّتِي كَانَتْ فِي دَوْلَةِ الْمُلُوكِ فَظَهَرَتْ لَهُمْ الْبِدَائِعُ وَسَابَقُ فَرَسَانِ حَلْبَتِهِمْ  
الْأَعْمَى الطَّلِيحِيُّ ثُمَّ يَحْيَى بْنُ بَقِيٍّ وَطَلِيحِيُّ بْنُ مَوْشِحَاتِ الْمَهْدِيَّةِ قَوْلُهُ  
كَيْفَ السَّيْلِ إِلَى \* صَبْرِي وَفِي الْمَعَالِمِ أَشْجَانِ  
وَالرَّكْبُ فِي وَسْطِ الْفَلَا \* بِالْخَرِّ وَالنَّوَامِ قَدْبَانِ  
وَذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمَشَائِخِ أَنَّ أَهْلَ هَذَا الشَّانِ بِالْأَنْدَلُسِ يَذْكُرُونَ أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ  
الْوَشَاحِينَ احْتَمَوْا فِي مَجْلِسٍ بِأَسْبِيلِيَّةٍ فَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَصْطَنَعَ مَوْشِحَةً وَتَأَنَّقَ فِيهَا  
فَتَقَدَّمَ الْأَعْمَى الطَّلِيحِيُّ لِأَنَّ شَادَ فَلَمَّا افْتَتَحَ مَوْشِحَتَهُ الْمَشْهُورَةَ يَقُولُ

ضَاكُكُ عَنْ بَهْمَانِ \* سَافِرٌ عَنْ دَرٍّ \* ضَاكُكُ عَنْ الزَّمَانِ \* وَحَوَاهِ صَدْرِي  
صَرَفَ ابْنُ بَقِيٍّ مَوْشِحَتَهُ وَتَبِعَهُ الْبَاقُونَ وَذَكَرَ الْأَعْلَمُ الْبَطْلِيُّ وَسَمِعْتُ أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ زُهَيْرٍ يَقُولُ  
مَا حَسَدْتُ قَطُّ وَشَاحَ عَلَى قَوْلِ الْإِبْنِ بَقِيٍّ حِينَ وَقَعَ لَهُ  
أَمَّا تَرَى أَحْمَدَ \* فِي مَجْدِهِ الْعَالِي لَا يَلْحَقُ \* أَطْلَعَهُ الْغَرْبُ \* فَأَرَانَا مُلْهُ بِأَمْرِ شَرْقِ  
وَكَانَ فِي عَصْرِ هَمَّا عَلَى الْمَوْشِحِينَ الْمَطْبُوعِينَ أَبُو بَكْرٍ الْإِيضُ وَكَانَ فِي عَصْرِ هَمَّا أَيْضًا  
الْحَكِيمُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ بَاجَةَ صَاحِبُ التَّلَاحِينَ الْمَعْرُوفَةُ وَمِنْ الْحِكَايَاتِ الْمَشْهُورَةِ أَنَّهُ حَضَرَ  
مَجْلِسَ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ صَاحِبِ سِرْفِطَةَ فَالْقَى عَلَى بَعْضِ قِيَمَانِهِ مَوْشِحَتَهُ  
جَزْرًا لَذِيلِ أَيْمَاجَرٍ \* وَصَلَ الشُّكْرُ مِنْكَ بِالشُّكْرِ  
فَطَرِبَ الْمَدُوحَ لِذَلِكَ فَلَمَّا خَتَمَهَا يَقُولُ



عقد الله راية النصر \* لامير العلاء أبي بكر

فلما طرق ذلك التلمذ سمع ابن تيفلوت صاح واطرباه وشق ثيابه وقال ما أحسن ما بدأت وما خفت و - خلف بالايمن المغلظة لايشي ابن باجة الى داره الاعلى الذهب نخاف الحكيم سوء العاقبة فاحتمل بأن جعل ذهباً في نعله وشي عليه \* وذكر أبو الخطاب بن زهران أنه جرى في مجلس أبي بكر بن زهير فذكر أبي بكر الايض الوشاح المتقدم الذكر فغص منه بعض الحاضرين فقال كيف تغص عن يقول

مالذي شرب راح \* على رياض الاتاح \* لولا هضم الوشاح \* اذا أسي في الصباح  
أوفى الاصيل \* أضنى يقول \* ما للشمول \* لطمت خدي  
وللشمس \* هبت فمالي \* غصن اعتدال \* ضمه بردي  
ما أباد القلوبا \* يشي لنا مسترياً \* بالخطه ردتوباً \* وبالماء الشنبيا  
برد غليل \* صب غليل \* لا يستحيل \* فيه عن عهدى  
ولا يزال \* في كل حال \* يرجو الوصال \* وهو في الصدد

واشتهر بعد هؤلاء في صدر دولة الموحدين محمد بن أبي الفضل بن شرف قال الحسن بن دويده رأيت حاتم بن سعيد على هذا الاقتنا شمس قاربت بدرا \* راح ونديم  
وابن بهرودس الذي له باليلة الوصل والسعود \* بالله هودي  
وابن موهل الذي له ما العيد في حلة وطاق \* وشم طيب

وانما العيد في التلاقي \* مع الحبيب

وأبو اسحق الرويني قال ابن سعيد سمعت أبا الحسن سهل بن مالك يقول انه دخل على ابن زهير وقد أسن وعليه زى البادية اذ كان يسكن بمحمن استيه فلم يعرفه فجلس حيث انتهى به المجلس وجرى المحاضرة فأنشد نفسه موشحة وقع فيها

كل الدجى يجرى \* من مقله الفجر \* على الصباح

ومعصم النهر \* في حلال خضر \* من البطاح

فتحرك ابن زهير وقال أنت تقول هذا قال اختر قال ومن تكون فعرفه فقال ارتفع فوالله ما عرفتك قال ابن سعيد وسابق الحلبة التي أدركت هؤلاء أبو بكر بن زهير وقد عمرت موشحاته وغربت قال وسمعت أبا الحسن سهل بن مالك يقول قيل لابن زهير لو قيل لك ما أبدع وأرفع ما وقع لك في التوشيح قال كنت أقول

مالموله \* من سكره لا يفتق \* باله سكرانا

من غير خمر \* مالمالكيب المشوق \* يندب الاوطانا

هل تستعاد \* أيامنا بالخليج \* وليالينا

أونستغاد \* من التسيم الأريج \* مسك دارينا  
واد يكاد \* حسن المكان البهيج \* أن يحيننا  
ونهر ظله \* دوح عليه أيق \* مورك فينان  
والماء يجرى \* وعام وغريق \* من جنى الريحان  
واشتهر بعده ابن حيون الذي له من الزجل المشهور قوله  
تفوق بينهم كل حين \* بما سبب من يدوعين

ويشتد في القصيد

علفت ملج علمت راى \* فليس يحل ساع من قتال

وبعمل بنى العنين منامى \* ما يعمل فينا بنى النبال

واشتهر معهم أبو شاذ بن غرناطة المهر بن الفرس قال ابن سعيد ولما سمع ابن زهير قوله

لله ما كان من يوم بهج \* بنهر حص على تلك المروج

ثم انعطفتنا على فم الخليج \* اندض في حانه مسك الختام

عن عبيد زانه صافي المدام \* ورد الاصيل نهم كف الظلام

قال ابن زهير كنا نحن عند هذا الرداء وكان معه في بلده مطرف \* أخبر ابن سعيد عن والده أن مطرفاً هذا دخل على ابن الفرس فقام له وأكرمه فقال لا تفعل فقال ابن الفرس كيف لا أقوم لمن يقول

قلوب مصائب \* بألحاظ أصيب \* فقل كيف يبقى بلا وجد

وبعد هذا ابن جرمون بمرسية \* ذكر ابن الراسين أن يحيى الخزرجي دخل عليه في مجلسه فأنشده موشحة لنفسه فقال له ابن جرمون لا يكون الموشح موشح حتى يكون عار يلين التكلف قال على مثل ماذا قال على مثل قولي

ياها جرى هل الى الوصال \* منك سبي

أوهل ترى عن هو الأسالى \* قلب العلي

وأبو الحسن سهل بن مالك بغرناطة \* قال ابن سعيد كان والذي يعجب بقوله

ان سميل الصباح في الشرق \* عاد بجوراني أجمع الافق \* فتداعت نوادب الورق

أتراها خافت من الغرق \* فبكت سحرة على الورق

واشتهر بأشيلية لذلك العهد أبو الحسن بن الفضل قال ابن سعيد عن والده سمعت سهل

ابن مالك يقول يا ابن الفضل لك على الوشاحين الفضل بقولك

واحسرتنا لزمان مضى \* عشية بان الهوى وانقضى

وأفردت بالرغم لا بالرضى \* وبت على جرات الغضى



أعانق بالفكر تلك الظلول \* وألثم بالوهم تلك الرسوم  
قال وسمعت أبا بكر بن الصابوني ينشد الأستاذ أبا الحسن الزجاج موشحاته غير ماهرة  
فلا سمعت يقول له الله ذلك الأفي قوله

قسما باللهوى لذي حجر \* ماليل المشوق من فجر  
خذ الصبح ليس بطرد \* ماليلي فيما أظن غد \* صبح يا ليل انك الابد  
أوقطعت قوادم النسر \* فنجوم السماء لا تسرى  
ومن موشحات ابن الصابوني قوله

ما حل صب ذي ضنى واكتئاب \* أمرضه يار يلته الطيب  
عامله محبوبة باجتئاب \* ثم اقتدى فيه الكرى بالحبيب  
جفا جفوني النوم لكفى \* لم أبكه الا لفقا لخيال  
وذا الوصال اليوم قد غرتني \* منه ككشاة رساء الوصال  
فلمست باللائم من صـ \* بصورة الحق ولا بالمثل  
واشتهر بين أهل العدو ابن خلف الجزايري صاحب الموشحة المشهورة  
يد الاصبح قد قدحت \* زناد الانوار \* في مجامر الزهر  
وابن هزرا الجبائي وله من موشحة

نغر الزمان موافق \* حياك منه باقسام  
ومن محاسن الموشحات للمتأخرين موشحة ابن سهل شاعر اشيلية وسبقة من بعدها  
فنها قوله

هل درى ظبي الحى أن قد حنى \* قلب صب حلد عن مكس  
فهو في نار وضيق مثل ما \* لعبت ربح الصبا بالقبس  
وقد نصح على منواله فيها صاحبنا الوزير أبو عبد الله بن الخطيب شاعر الاندلس والمغرب  
لعمره وقد مر ذكره فقال

جادك الغيث اذا الغيث هـ ما \* يا زمان الوصل بالاندلس  
لم يكن وصالك الاحلما \* في الكرى أو خلسة المختلس  
اذ يقول الدهر أسباب المنى \* تنقل الخطو على مازم  
زمر ابن فـ رادى وثى \* مثل ما يدعوا الوفود الموسم  
والحيا قد جلل الروض سنا \* فسنا الازهار فيه تبسم  
وروى النعمان عن ماء السما \* كيف يروى مالك عن أنس  
فكساه الحسن ثوبا معلا \* يزدهى منه بأهسى ملبس

في ليل كتمت سرا هوى \* بالدج لولائوس القدر  
مال نجسم الكاس فيها هوى \* مستقيم السير سعد الاثر  
وطرما فيه من عيب سوى \* انه من كل البصر  
حين لذ النوم منأوكما \* هجم الصبح نجوم الحرس  
غارث الشهب بنا أوربما \* أثرت فينا عبون النرجس  
أى شئ لا مرئ قد خلاصا \* فيكون الروض قد كن فيه  
تنهب الازهار فيه الفرصا \* أمنت من مكره ما تنقيه  
فاذا الماء تناجى والحـ \* وخلا كل خليل بأخيه  
تبصر الورود غيرة بدما \* يكتمى من غيظه ما يكتمى  
وترى الآس ليبيافهـ \* يسرق الدمع بأدنى فرس  
يا أهيل الحى من وادى الغضى \* وبقلي مسكن أنتم به  
ضاق عن وجدى بكم رحب القضا \* لا أبالي شرقه من غربه  
فأعبد واعهد أنس قد مذنى \* تنقذوا عائدكم من كربه  
واتقوا الله وأحبوا مغرما \* يتلاشى نفسا في نفس  
حبس القلب عايكم كرما \* أفترضون خراب الحبس  
وبقلى فيكم ومقرب \* باحاديث المني وهو بعيد  
قد راطلح منه المغرب \* شقوة المغرى به وهو سعيد  
قد تساوى محسن أو مذنب \* في هواه بين وعد ووعيد  
ساحرا لمة معسول الهمى \* جال في النفس مجاز النفس  
سدد السهم وسمى ورمى \* بفؤادى نهبة المفترس  
ان يكن جارو خاب الامل \* وفؤاد الصب بالشوق يذوب  
فهـ لولانس حبيب أول \* ليس في الحب محبوب ذنوب  
أمره معقل ممتثل \* في ضلوع قد براهاوة لوب  
حكم اللعظ بها فاحتملما \* لم يراقب في ضعاف الانفس  
ينصف المظالم من ظلمنا \* ويجازى البر منها والمسي  
ما قلبي كلبا هبت صبا \* عادة عبيد من الشوق جديد  
كان في اللوح له مكتوبا \* قوله أن هذا لى لشديد  
جلب الهم له والوصـ \* فهو لا شجبان في جهد جهيد  
لا عجب في أضلعي قد أضرمنا \* فهو ناري في هـ سيم الميس



لم تدع من مهجتي الا الذما \* كبقاء الصبح بعد الغلس  
سلى بانفس في حكم القضا \* وامررى الوقت برجعي ومتاب  
واتركى ذكرى زمان قد مضى \* بين عتبي قد تقضت وعتاب  
واصر في القول الى المولى الرضى \* ملهم التوفيق في أم الكتاب  
الكريم المنتهى والمنتقى \* أسد السرح و بدر المجلس  
ينزل النصر عليه مثل ما \* ينزل الوحى بروح القدس  
وأما المشاركة فالتسكف ظاهر على ما عانوه من الموثصات ومن أحسن ما وقع لهم  
في ذلك موثقة ابن سنا الملك المصرى اشتهرت شرقا وغربا وأولها  
يا حبيبي ارفع حجاب النور \* عن العذار  
تنظر المسك على الكافور \* في جلد السار

كالى يا صبي تيجان الربى بالحلى \* واجعلى سوارها منعطف الجدول  
ولم شاع فن التوشيح في أهل الاندلس وأخذ به الجمهور لاسلسته وتتميق كلامه وترصيع  
أجزائه نسجت العاقبة من أهل الامصار على منواله ونظموا في طريقته بلغتهم الحضرية  
من غير أن يلتزموا فيها اعرابا واستخدموه فناموه بالزجل والتزموا النظم فيه على  
مناحيهم الى هذا العهد فجاء فيه بالغرائب واتسع فيه للبلاغة بحال بحسب لغتهم  
المستجبة \* وأول من أبدع في هذه الطريقة الزجلية أبو بكر بن قرمان وان كانت  
قلت قبله بالاندلس لكن لم يظهر حلاها ولا انسبكت معانيها واشتهرت رشاقتها الا في  
زمانه وكان لعهد الملتزمين وهو امام الزجالين على الاطلاق قال ابن سعيده ورأيت أزجاله  
مروية بغير ادأ أكثر مما رأيتها بجوارض المغرب قال وسمعت أبا الحسن بن جحدر  
الاشبيلي امام الزجالين في عصرنا يقول ما وقع لاحد من أئمة هذا الشأن مثل ما وقع لابن  
قرمان شيخ الصناعة وقد خرج الى منزله مع بعض أصحابه فجلسوا تحت هريرش  
وأمامهم تمثال أسد من رخام يصب الماء من فيه على صفائح من الحجر مدرجة فقال

وعريش قد قام على دكان \* بحال رواق  
وأسد قد ابتلع نعبان \* في غلاظ ساق  
وفتح فيه بحال انسان \* فيه الفواق  
وانطلق يجرى على الصفاح \* ولقى الصباح

وكان ابن قرمان مع أنه قرطبي الدار كثيرا ما يتردد الى اشبيلية ويبيت بنهرها فانفق أن  
اجتمع ذات يوم جماعة من اعلام هذا الشأن وقد ركبوا في النهر للترفة ومعهم غلام  
جبل الصورة من سروات أهل البلد ويوتهم وكانوا محجة عين في زورق للصيد فظفروا

في وصف الحال وبدأ منهم عيسى البليدي فقال

يطمع بالخلاص قلبي وقد فأتو \* وقد ضمو عشقو بسهم مأتو  
تراه قد حصل مسكين حلالو \* ففلق ولذلك أمر عظيم صابأتو  
توحش الجفون السكحل اذا عاتو \* وذيك الجفون السكحل أبلأتو  
ثم قال أبو عمرو بن الزاهر الاشبيلي

نشب والهوى من بلج فيه نشب \* ترى اش كان دعاه يشقى ويتعذب  
مع العشق قام في مالو يلعب \* وخلق كثر من ذا اللعب مأتو  
ثم قال أبو الحسن المقرئ الداني

نهار ملج تعجبني أوصافو \* شراب وملاح من حولي طافو  
والمعلمين يقولوا بصفافو \* والنورى أخرى بعقلا تلاتو  
ثم قال أبو بكر بن مرتين

الحق يريد حديث تعالى عاد \* في الواد الجبر والمزهر والصاد  
تنبه حيتان ذلك الذي يصطاد \* قلوب الورى هي في شديكا تواتو  
ثم قال أبو بكر بن قرمان

اذا شمر اكما مويرمها \* ترى النور يرشق لذيك الجها  
وليس مراد وأن يقع فيها \* الا ان يقبل يديدا تواتو  
وكان في عصرهم بشرق الاندلس محلف الاسود وله محاسن من الزجل منها قوله  
قد كنت مشبوب واختشيت الشيب \* وردنى ذا العشق لامر صعب  
يقول فيه

حين تنظر الخلد الشريف البهى \* تنتهى في الحمر الى ما تنتهى  
يا طالب الكيمياء عيسى \* تنظر بها النضفة ترجع ذهب  
وجاءت بعدهم حلبة كان سابقتها مدغيس وقعت له العجائب في هذه الطريقة فن قوله  
في زجله المشهور

ورذاذدق ينزل \* وشعاع لشمس يضرب  
فترى الواحد يقضض \* وترى الآخر يذهب  
والنبات يشرب زيسكر \* والغصون ترقص وتطرب  
وتريد تبحي النسا \* ثم تستحي وتهرب

ومن محاسن أزجاله قوله

لاح الضياء والنجوم حيارى \* فقم بنا تنزع الكل



شربت ممزوجا من قسراعا \* أحلى هي عندي من العسل  
يا من يابني ككما تقلد \* قالدك الله بما تقول  
يقول بان الذنوب مولد \* وأنه يفسد العقول  
لارض الخبز يكون لك ارض \* اش ما ساقتك لذا الفضول  
مرأنت للحج والزيار \* ودعني في الشرب منهم  
من ليس لوقدره ولا استطاعا \* النية ابلغ من العمل  
وظهر بعده هؤلاء بشيعة ابن جدر الذي فضل على الرجالين في فتح ميورقة بلزجل الذي  
أوله هذا

من عائد التوحيد بالسيف يحق \* أنابري من يعاند الحق  
قال ابن سعيد لقيته وقلت تلي هذه المعجم صاحب الزجل المهور الذي أوله  
بالبني ان رأيت حبيبي \* أقبل اذنوب الرسيلا  
ليس أخذ عنق الغزير \* وأسرق قم الخيلا  
ثم جاء من بعدهم أبو الحسن سهل بن مالك امام الادب ثم من بعدهم هذه العصور  
صاحبنا الوزير أبو عبد الله بن الخطيب امام النظم والثرف في الملة الاسلامية من غير  
مدافع في محاسنه في هذه الطريقة  
امزج الاكواس واملا لي تجدد \* ما خلق المال الا أن يتدد  
ومن قوله على طريقة الصوفية وينحومني الشترى منهم  
بين طالع ونزول \* اختلطت بالغزول \* ومضى من لم يكن \* وبقي من لم يزول  
ومن محاسنه أيضا قوله في ذلك المعنى  
البعء عنك يا بني أعظم مصابي \* وحين حصل لي قربك نسيت قرابي  
وكان لعصر الوزير ابن الخطيب بالاندلس محمد بن عبد العظيم من أهل وادي آش وكان  
امام في هذه الطريقة وله من زجل يعارض به مدغيس في قوله  
لاح الضياء والنجوم حيارى \* بقوله

حل المجنون يا أهل الشطارا \* مذحلت الشمس بالبحر  
جددوا كل يوم خلاعا \* لا تجمعوا لواء السهام  
اليها يتخلعوا في سبيل \* على خضرة ذاك النبات  
وصل بغداد واجتاز النيل \* أحسن عندي في ذيك الجهات  
وطاقتها أصح من اربعين ميل \* ان مررت الريح عليه وجات  
لم يلق الغيب ارامارا \* ولا بمقدار ما يكتمل

وكيف ولا فيه موضع رفعا \* الا ويسرح فيه النحل  
وهذه الطريقة الزجلية لهذا العهد هي فن العائنة بالاندلس من الشعرو فيها نظمهم  
حتى انهم ينظمون بها في سائر البحور الخمسة عشر لكن بلغتهم العامية ويسمونه الشعر  
الزجلي مثل قول شاعرهم

لي دهر بعشق جفونك وسنين \* وأنت لاشقة ولا قلب يلين  
حتى ترى قلبي من أجلك كيف رجعت \* صنعة السكة ما بين الحدادين  
الدموع ترشش والنار تلتهب \* والمطارق من شمال ومن عين  
خلق الله النصارى للغزو \* وأنت تغزو في قلوب العاشقين  
وكان من المجيدين لهذه الطريقة لا قول هذه المائة الاديب أبو عبد الله الألويسي وله  
من قصيدة يمدح فيها السلطان ابن الأحمر

طل الصباح قم يا ندعي شربوا \* ونخدمكم من بعدما نطربوا  
سيكة الفجر أحلت شفقا \* في ميلق الليل وقوم قلبه  
ترى غبارا خالص أبيض نقي \* فضة هو الكن الشفق ذهب  
وسقواء كتوا عند البشر \* نور الجفون من نورها تكسبو  
فهو النهار يا صاحبي للعاش \* عيش الفتى فيه بالله ما أطيب  
والليل نصال للقبل والعناق \* على سرير الوصل يتقابوا  
جاد الزمان من بعدما كان بخيل \* واش كقلبه من يريه عسرو  
كما جرع مرز فيما قد مضى \* يشرب سواه ويأكل طيب  
قال الرقيب يا أديبا لا شذا \* في الشرب والعشق ترى تحبو  
وتعجبوا عذابي من ذا الخبر \* قلت يا قوم مما تعجبوا  
يعشق مليح الارقيق الطباع \* علاش تكفروا بالله أو تكتبوا  
لبس يريح الحس الاشاعر أديب \* يقض بكمرو ويدع ثيبو  
اما الكاس فحرام نعم هو حرام \* على الذي ما يدري كيف يشربوا  
ويد الذي يحسن حسابه ولم \* يقدر يحسن القاط أن يجلبوا  
وأهل العقل والفكر والمجون \* يغفرونوبهم لهذا ان أذنبوا  
طبي بهي فيها يطفي الجمر \* وقلبي في جمر الفضي يلهو  
غزال بهي ينظر قلوب الاسود \* وما لهم قبل النظر يذهبوا  
ثم يحببهم اذا ابتسم بضحكوا \* ويفرحوا من بعدما يندبوا  
فويم كالحاتم ونغر نقي \* خطيب الامنة لا قبل يخطبوا



جوهر و مرجان أي عقد يا فلان \* قد صدقته الناظم ولم يقبوا  
 وشارب الخضر يريد لاشريد \* من شبهه بالسك قد عيبوا  
 يسبل دلال مثل جناح الغراب \* ليالي هجرى منه يستغربوا  
 على بدن أبيض بلون الحليب \* ما قط راى لثغـم يعلوا  
 وزوج هندات ما علمت قبلها \* ذلك الصلا يا ريت ما أصلوا  
 تحت العكاكن منها خصر رقيق \* من رقتو يحسنى اذا نطلبوا  
 أرق هو من ديني فيما أقول \* جديد عنك حق ما أكذبوا  
 أي دين بهالي معالي وأي عقل \* من ينبعل من ذا وذات سلوا  
 تحمل ارداف ثقال كالقريب \* حين ينظر العاشق وحين يرقبوا  
 ان لم ينفس غدر أو ينقشع \* في طرف ديسا والبشر تطلبوا  
 يصير ليك المكان حين تجي \* وحين تغيب ترجع في هين تبوا  
 محاسنك مثل خصال الأمير \* أو الرمل من هو الذي يحسبوا  
 عماد الامصار وفصح العرب \* من فصاحة لفظه يتقربوا  
 يحمل العلم انفراد العمل \* ومع بديع الشعر ما أكذبوا  
 ففي السدر بالرحم ما أطعنه \* وفي الرقاب بالسيف ما أضربوا  
 من السماء يحسد في أربع منات \* فمن يعد قلبه أو يحسبوا  
 الشمس نور والقمهر همتو \* والغيث جود ووالنجوم منصبا  
 يكب جواد الجود ويطلق عمان \* الاغنيا والجند حين يركبوا  
 من خلعتو يلبس كل يوم بطيب \* منه بنات المعالي تطلبوا  
 نعمتو تظهر على كل من يحبه \* فاصد ووارد قط ما خيروا  
 قد أظن الحق وكان في حجاب \* لاش بقدر الباطل بعد ما يحسبوا  
 وقد بنى بالسر ركن التقى \* من بعد ما كان الزمان خربوا  
 تخاف حين تلتقاء كما ترجيه \* فزع سماعة وجهه ما أسيدوا  
 يلقي الحروب ضاحكا وهي عابه \* غلاب هو لاشي في الدنيا يغلبوا  
 اذا جسد سيفه ما بين الردود \* فليس شئ يغنى من يضربوا  
 وهو تسمى المصطفى والاله \* لاسلطنة اختاروا واستخبوا  
 تراه خليفة أمير المؤمنين \* يقود جموشو ويزين موكبوا  
 لذي الامارة تخضع الرؤس \* نعم وفي تقبيل يديه يرغبوا  
 بيته يبدور الزمان \* يطلعوا في الجسد ولا يغربوا

وفي المعالي

وفي المعالي والشرف يعدو \* وفي التواضع والحق يقربوا  
 والله يقيهم ما دار القللك \* وأشرق شمسهم ولا ح كوكبوا  
 وما يغنى ذا القصيدة في عروض \* يا شمس خسر مالها مغربوا  
 ثم استحدث أهل الامصار بالمغرب فضا آخر من الشعر في أعاريض مزدوجة كالموشع  
 نظموا فيه بلغتهم الحضرية أيضا وسموه عروض البلد وكان أول من استحدثه فيهم  
 رجل من أهل الاندلس نزل بفاس يعرف بابن عمه بن فظم قطعة على طريقة الموشع ولم  
 يخرج فيها عن مذاهب الاعراب مطلعها

أبكاني بشاطى النهر نوح الحمام \* على الغصن في البستان قريب الصباح  
 وكف السحر يحوم مداد الظلام \* وماء الذي يجري بنجر الاقحاح  
 باكرت الرياض والطلل فيها اقتراق \* مر الجواهر في فحور الجوار  
 ودمع الندى واعرنه رق انهراق \* يحاسكي ثعابين حلقت بالثمار  
 لو وابل الغصون خلخال على كل ساق \* ودار الجميع بالروض دور السوار  
 وأبدى الندى تحرق جيوب الكمام \* ويحمل نسيم المسك عنها رياح  
 وعاج الصبا يطل بمسك الغمام \* وجسر النسيم ذيلو عليها وفاح  
 رأيت الحمام بين الورق في القضب \* قد ابتلت أرياشو بقطر الندى  
 تنوح مثل ذاك المستهام الغريب \* قد التفت من ثوب الجسد في ردا  
 ولكن بما أحمر وساق وخضب \* يتظم سالكو جواهر ويتقلدا  
 جلس بين الاغصان جلسة المستهام \* جناحا توسد والتوى في جناح  
 وصار يشتكى ما في الفؤاد من غرام \* منها ضم منقاره لصدرة وصاح  
 قلت يا حجام احرمت عيني الهجوع \* أراك ما تزال تبكي بدمع سفوح  
 قال لي بكيت حتى صفت لي الدموع \* بلا دمع نسقي طول حياتي تنوح  
 على فرخ طار لي لم يكن لورجوع \* ألقت البكا والحزن من عهد نوح  
 كذا هو الوفاء وكذا هو الزمام \* انظر جفون صارت بحال الجراح  
 وانتم من بكى منكم اذا تم عام \* يقول عناني ذا البكا والنواح  
 قلت يا حجام لو خضت بحر الضنى \* كنت تبكي وترثي لي بدمع هتون  
 ولو كان بقلبك ما بقلبي أنا \* ما كان يصير تحتك فروع الغصون  
 اليوم نقاسي الهجر كم من سنا \* حتى لاسبيل جملة تراني العيون  
 ومما كسا جسدي التحول والسقام \* أخفاني نحو لي عن عيون اللواح  
 لوجنتي المنايا كان يموت في المقام \* ومن مات بعد ما قزم لقد استراح



قال لي لورقدت لاوراق الرياض \* من خوفي عليه ودانقوس للفقود  
وتخضبت من دمي وذال البياض \* طوف العهد في عنقي ليوم التناد  
أما طرف منقاري حديد واستفاض \* باطراف البلد والجسم صار في الرماد  
فاستحسنه أهل فاس وولعوا به ونظموا على طريقته وتركوا الأعراب الذي ليس من  
شأنهم وكثر سماعه بينهم واستفحل فيه كثير منهم ونوعوه أصنافا إلى المزدوج والكارى  
والمعبة والغزل واختلفت أسماؤها باختلاف ازدواجها وملاحظاتهم فيها فن  
المزدوج ما قاله ابن شجاع من فحولهم وهوم من أهل تازا

المال زينة الدنيا وعز النفوس \* يهوى وجوها ليس هي بأهيا  
فها كل من هو كثير الفلوس \* ولوه الكلام والرتبة العاليا  
يكبر من كثر ما لولو كان صغير \* ويصغر عزيز القوم أذ يقتقر  
من ذا ينطبق صدرى ومن ذا يصبر \* يكاد يتققع لولا الرجوع للقدور  
حتى يلججى من هو في قوم كبير \* لمن لا أصل عند وولا للخطر  
لذا ينبغي يحزن على ذى العكوس \* وبصغ عليه ثوب فراش صافيا  
اللى صارت الأذنان امام الرأس \* وصار يستفيد الواد من الساقيا  
ضعف الناس على ذا وفسد ذا الزمان \* ما يدروا على من يكثر واذا العتاب  
اللى صار فلان يصبح بأبوفلان \* ولورايت كيف يرذا الجواب  
عشنا والسلام حتى رأينا عيان \* أنفاس السلاطين في جلود الكلاب  
بكار النفوس جدا ضعاف الاسوس \* هم ناحيا والمجد في ناحيا  
يروا أنهم والناس يروهم تيوس \* وجوه البلد والعمدة الراسيا  
ومن مذاهبهم قول ابن شجاع منهم في بعض من دوجاته

تعب من تبع قلبه وملاح ذا الزمان \* أهمل يا فلان لا يلعب الحسن فيك  
ما منهم ملج عاهد الاو خان \* قليل من عليه تجس ويحبس عليك  
يهبوا على العناق ويتمنوا \* ويستعمدوا تقطيع قلوب الرجال  
وان واصلوا من حينهم يقطعوا \* وان عاهدوا خانوا على كل حال  
ملج كان هو يتو وشت قلبى معو \* وصيرت من خدى لقدمو نعال  
ومهدت لومن وسط قلبى مكان \* وقلت لقلبي اكرم لمن حل فيك  
وهون عليك ما يعتريك من هوان \* فلا بد من هول الهوى يعتريك  
حكمتوا على راضيت بأمير \* فلو كان يرى حالى اذا يصرو  
يرجع مثل در حولى بوجه الغدير \* مرديه ويتعطس بحال النحر و

وتعلمت

وتعلمت من ساعا بسقى الضمير \* ويقههم مراد وقبل أن يذكرو  
ويجمل في مطلق لوان كان \* عصر في الربيع أوفى الليالى يرين  
وعيشى بسوق كان ولوبا صهان \* وايش ما يقل يحتاج يقل لويحيك  
حتى أتى على آخرها \* وكان منهم على بن المؤذن سلمان \* وكان لهذه العصور القرية من  
فحولهم بزروهون من ضواحي مكاسة رجل يعرف بالكفيف أبدع في مذاهب هذا الفن  
ومن أحسن ما علق له بحفوظي قوله في رحلة السلطان ابى الحسن وبني مرين الى  
افريقية يصف هزيمتهم بالقيروان ويعزيمهم عنها ويونسهم بما وقع غيرهم بعد أن  
عيمهم على غزاتهم الى افريقية في ملعبة من فنون هذه الطريقة يقول في مفتحتها وهو  
من أبدع مذاهب البلاغة في الاشعار بالمقصد في مطاع الكلام وافتاحه ويسمى  
براعة الاستهلال

سبحان مالك خواطر الامرا \* ونواصيا في كل حين وزمان  
ان طعناه عطفهم لنا قسرا \* وان عصيانه عاقب بكل هوان  
الى أن يقول في السؤال عن جيوش المغرب بعد التخلص

كن مرعى قل ولا تكن راعى \* فالراعى عن رعيته مسؤول  
واستفتح بالصلاة على الداعي \* للسلام والرضا السنى المكمول  
على الخلفاء الراشدين والاتباع \* واذا كره بعدهم اذا تحب وقول  
أجاجا تحلوا الصبرا \* ودواسرح البلاد مع سكان  
عسكر فاس المنيرة الغرا \* وينسارت بو عزائم السلطان  
أجاجا بالنسب الذى زرتهم \* وقطعتم لوكلا كل البيدا  
عن جيش الغرب حين يسألكم \* المتلوف في افريقية السوداء  
ومن كان بالعطايا يزودكم \* ويدع برية الحجاز رغدا  
قام قل للسدد صاف الجزرا \* ويهجز شوط بعد ما يخفان  
وزف كردوم وتهب في الغبرا \* أى ما زاد غزالهم سبحان  
لو كان ما بين تونس الغربا \* وبلاد الغرب سدا السكندر  
مبني من شرقها الى غربا \* طبقا بحديد او ثانيا بصقر  
لا بد الطير أن تجيب نبا \* أو يأتى الريح عنهم بفرد خبر  
مأعوصها من أمور وماشرا \* لوتقرا كل يوم على الديوان  
لحرت بالدم وانصدع حجرا \* وهوت الخراب وخافت الغزلان  
أد رلى بعقلك الفحاص \* وتفكرلى بحاطرك جمعاً



ان كان تعلم جام ولا رقص \* عن السلطان شهر وقبله سبعا  
تظهر عند المهين القصاص \* وعلا مات تنشر على الصفا  
الاقوم عارين فلا ستر \* مجهولين لا مكان ولا امكان  
ما يدروا كيف يصوروا كسرا \* وكيف دخلوا مدينة القبروان  
امولاي ابو الحسن خطينا الباب \* قضية سيرةنا الى تونس  
فقنا كما على الجريد والزاب \* واشرك في اعراب افريقيا القوبس  
ما بلغك من عمر فتي الخطاب \* الفاروق فاتح القرى المولس  
ملك الشام والحجاز وتاج كسرى \* وفتح من افريقيا وكان  
رد ولدت لو كثره ذكرى \* ونقل فيها تفرق الاخوان  
هذا الفاروق مردى الاعوان \* صرح في افريقيا بالتصريح  
وبقت حسي الى زمن عثمان \* وقبها ابن الزبير عن تصحيح  
لمن دخلت غنائها الديوان \* مات عثمان وانقلب علينا الريح  
وافترق الناس على ثلاثة امرا \* وبقي ما هو للسكرت عنوان  
اذا كان ذاق في مدة البرا \* اش نعمل في اواخر الازمان  
وأصحاب الحضرة في مكاسانا \* وفي تاريخ كائنا وكيوانا  
تذكر في صحتها آياتنا \* شق وسطح وابن مرانا  
ان مريم اذا تكفراياتنا \* بلحدا وتونس قد سقط بناينا  
قد ذكرنا ما قال سيد الوزرا \* عيسى بن الحسن الرفيع الشأن  
قال لي رايك وانا بذا أدري \* لكن اذا جاء القدر عيت الاعيان  
وبقول لك مادي المرينيا \* من حضرة فاص الى عرب دياب  
أراد المولى بموت ابن يحيى \* سلطان تونس وصاحب الابواب  
ثم أخذني ترحيل السلطان وجيشه الى آخر رحلته ومنتهى أمره مع اعراب افريقية  
وأني فيها بكل غريسة من الابداع وأما أهل تونس فاستحدثوا في اللعبة أيضا على لغتهم  
الحضرية الا أن أكثره ردى ولم يعلق بمحفوظي منه شيء لردائه \* وكان لعامة بغداد  
أضافن من الشهير سمونه المواليا وتجنه فنون كثيرة يسمون منها القوما وكان  
ومنهم مفرد ومنه في بيتين ويسمونه دويت على الاختلافات المعبرة عندهم في كل واحد  
منها وغالبها من دوجة من أربعة أغصان وتبعهم في ذلك أهل مصر القاهرة وأتوا فيها  
بالغرائب وتجرأ فيها في أساليب البلاغة بمقتضى لغتهم الحضرية فجاءوا بالعجائب  
ومن أعجب ما علق بمحفظي منه قول شاعرهم

هذا جراح طريا \* والدماء تنضج  
وقا تلي يا أخيا \* في الفلايخ  
قالوا وناخذ بنارك \* قلت ذا أقبح  
ولغيره

طرفت باب الخبا قالت من الطارق \* فقلت مفقون لانا هب ولا سارق  
تبسمت لاح لي من ثغرها يارق \* رجعت حيران في بحر آدمي غارق  
ولغيره

عهدي بها وهي لا تأمن على البين \* وان شكوت الهوى قالت فدتك العين  
لمن تعني لها غيري غليم زين \* ذكرتها العهد قالت لك على دين  
ولغيره في وصف الحشيش

دي خمر صرف التي عهدي بها باقي \* تغني عن الخمر والخمار والساق  
حبا ومن قبحها تعمل على احراق \* خبيتها في الحشى طلت من احداق  
ولغيره

يا من وصالوا أطفال المحبة مع \* كم توجد القلب بالهجران آوه أح  
أودعت قلبي حوصو والتصبر مع \* كل الوري كخ في عيني وشخصك دح  
ولغيره

ناديتها ومشيبي قد طواني طي \* جودي على بقبلة في الهوى يامي  
قالت وقل لي كوت داخل فوادى كي \* ما هكذا القطن يحشى فم من هو حى  
ولغيره

راني ابسم سبقت سحب ادمي برقه \* ما ط اللثام تبدي بدر في شرقه  
اسبل دجى الشعر تاه القلب في طرقة \* رجعت هدا بنا نجيط الصبح من فرقه  
ولغيره

يا حادى العيس ازجر بالمطاي ازر \* وقف على منزل احبابي قبيل الفجر  
وصبح في حيم يسم يريد الاجر \* ينضر يصلى على ميت قبيل الهجر  
ولغيره

عيني التي كنت أوعا كم بها باتت \* ترى النجوم وبالتسهيدي اقتات  
وأسمم البين صابتي ولا فاتت \* وسلوى عظم الله أكرم ماتت  
ولغيره

هويت في قنطر تمكم ياملاح الحكر \* غزال يلى الاسود الضار يا بالسكر



غصن اذا ما انتفى بسبي البنات البكر \* وان تهال فاللبد وعند ذكر  
ومن الذي يسمونه دويت

قد أقدم من أحبه بالباري \* أن يبعث طيفه مع الاسمار  
يانار شويقي به فاتقدى \* ليلافعساه بهتدى بالنار  
واعلم أن الاذواق في معرفة البلاغة كلها انما تحصل من خالط تلك اللغة وكثراستعماله  
لها ومخاطبته بين أجيالها حتى يحصل ملكتها كما قلناه في اللغة العربية فلا الاندلسي  
بالبلاغة التي في شعراهل المغرب ولا المغربي بالبلاغة التي في شعراهل الاندلس  
والمشرق ولا المشرق بالبلاغة التي في شعراهل الاندلس والمغرب لأن اللسان  
الحضري زتر اكيه مختلفة فيهم وكل واحد منهم مدر لبلاغة لغته وذائق محاسن  
الشعر من أهل جلده وفي خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم  
آيات \* وقد كدنا أن نخرج عن الغرض وعزمنا أن نقبض العنان عن القول في هذا  
الكتاب الاوّل الذي هو طبيعة العمران وما يعرض فيه وقد استوفينا من مسائل  
ما حسبناه كفاية ولعل من يأتي بعدنا ممن يؤيده الله بفكر صحيح وعلم مبين يغوص  
من مسائله على أكثر مما كتبنا فليس على مستنبط الفن احصاء مسائله وانما عليه  
تعيين موضع العلم وتنويع فصوله ومائة كلم فيه والمتأخرون يلحقون المسائل من بعده  
شيأ فشيأ الى أن يكمل والله يعلم وأنتم لا تعلمون  
قال مؤلف الكتاب عفا الله عنه أتممت هذا الجزء الاوّل بالوضع والتأليف قبل التنقيح  
والتهذيب في مدة خمسة أشهر آخرها من نصف تمام تسعة وسبعين وسبع مائة ثم نقحته بعد  
ذلك وهذبتة وألحقت به تواريح الامم كما ذكرت في أوّله وشرطته وما العلم الا من عند  
الله العزيز الحكيم

تم طبع الجزء الاوّل المعروف بمقدمة ابن خلدون  
وبليه الجزء الثاني أوّله الكتاب الثاني في  
اخبار العرب وأجيالهم ودولهم  
منذ مبداء الخليقة  
الى هذا  
العهد